

كاتب حققت رواياته مرتبة الأكثر مبيعاً على قائمة نيويورك تايمز

ستيقن كينغ

STEPHEN KING

المعهد

THE INSTITUTE



رواية



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

المعهد

THE INSTITUTE

المعهد
THE INSTITUTE

ستيفن كينغ

STEPHEN KING

ترجمة

أوليف عوكي

مراجعة وتحريـر

مركز التعريب والبرمجة



الدار العربية للعلوم - ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

Stephen King: The INSTITUTE

حقوق الترجمة العربية مرخص بها قانونياً

Published by SCRIBNER, an imprint of Simon & Schuster, Inc. by
agreement with the Lotts Agency Ltd

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقع بينه وبين الدار العربية للعلوم
ناشرون، ش.م.ل.

Copyright © 2019 by Stephen King All rights reserved Arabic
Copyright © 2020 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الطبعة الأولى: أيلول/سبتمبر 2020 م - 1442 هـ

ردمك 978-614-02-3919-7

جميع الحقوق محفوظة للناشر

cebook.com/ASPARabic

itter.com/ASPARabic

ww.aspbooks.com

sparabic

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل.
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L



عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 – 785108 – 785107 (+961-1)

ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 1102-2050 - لبنان

فاكس: 786230 (+961-1) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية
بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر

أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها، من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم
ناشرون ش.م.ل.

تصميم الغلاف: علي القهوجي

التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف 785107 (1-)
الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف 786233 (1-)
(+961)

وفقاً للمركز الوطني للأطفال المفقودين والمستغّلين،
يتم التبليغ عن فقدان حوالي 800,000 طفل كل سنة
في الولايات المتحدة. يتم العثور على معظمهم.
على عكس الآلاف منهم.

القارع الليلي

1

بعد نصف ساعة على موعد انطلاق طائرة دلتا التي يستقلها تيم جايميسون من تامبا نحو الأضواء الساطعة لنيويورك وأبنيتها الطويلة، كانت لا تزال تركن عند البوابة. وعندما دخلَ الحجرة أحد موظفي دلتا ترافقه امرأة شقراء تتدلى من عنقها شارة أمن، انتشرت تدمرات خافتة حزينة بين ركاب الدرجة السياحية المكتظة.

«يرجى الانتباه!»، نادى موظف دلتا.

«كم سيطول التأخير؟»، سأل شخصٌ. «لا تلطف الأمور».

«يجب أن يكون التأخير قصيراً، ويريد القبطان طمأنتكم جميعاً أن رحلتكم ستصل على الوقت تقريباً. لكن هناك ضابط فدرالي يحتاج إلى ركوب الطائرة، لذا على أحدكم أن يتخلى له عن مقعده».

ساد تأوه جماعي، ورأى تيم عدة أشخاص يجهّزون هواتفهم الخلوية في حال وقوع بعض المتاعب. فقد وقعت بعض المتاعب في حالات مماثلة من قبل.

«يحقّ لخطوط دلتا الجوية أن تقدّم تذكرة مجانية إلى نيويورك على الرحلة التالية، التي ستُقلع صباح الغد عند الساعة 6:45 صباحاً -»

ساد تأوه آخر. وقال أحدهم، «فقط أطلقوا النار عليّ».

تابع الموظف كلامه غير مُردّع. «سيقيم الليلة في الفندق مجاناً، كما سيحصل على أربعمئة دولار. هذا مبلغ جيد يا قوم. مَنْ يقبل هذا العرض؟».

لم يقبله أحدٌ. لم تقل شقراء الأمن شيئاً، بل اكتفت بتفحص حجرة الدرجة السياحية المزدحمة بعينين بصيرتين بكل شيء لكن بلا حيوية نوعاً ما.

«ثمانئة»، قال موظف دلتا. «زائد الإقامة في الفندق والتذكرة المجانية».

«تتكلم وكأنك مضيف برنامج مسابقات»، نخر رجلٌ يجلس في الصف الذي أمام صف تيم.

لم يقبل أحدُ العرض أيضاً.

«ألف وأربعمئة دولار؟».

ومع ذلك لم يقبل أحدُ أيضاً. وجد تيم هذا مثيراً للاهتمام لكن ليس مدهشاً كلياً. ليس لأن رحلةً عند السادسة وخمس وأربعين دقيقة تعني النهوض قبل الفجر فحسب. بل لأن معظم ركاب الدرجة السياحية كانوا مجموعات عائلية عائدةً إلى منازلها بعد زيارة مختلف مناطق الجذب السياحي في فلوريدا، وأزواجاً رياضيين على وجوههم حروق من الشمس، وبعض الشباب البدينين ذي الوجوه المحمّرة الغاضبة الذين لديهم على الأرجح أعمال في التفاحة الكبيرة قيمتها أكثر بكثير من ألف وأربعمئة دولار.

صاح شخص يجلس في الصفوف الخلفية، «أضف سيارة ماستانغ ذات سقف قابل للطيّ ورحلة لشخصين إلى أوروبا، ويمكنك أخذ مقعدنا!». أثارت هذه النكتة بعض الضحك. لم تبدُ ودودة جداً.

نظرَ وكيل البوابة إلى الشقراء ذات الشارة، لكنه لم يحصل على المساعدة التي كان يأملها منها. بل اكتفت بمتابعة استطلاعها، ولا شيء يتحرّك فيها غير عينيها. تنهّد وقال، «ألف وستمئة».

قرّر تيم جايميسون فجأةً أنه يريد الخروج من هذه الطائرة اللعينة والسفر مجاناً في سيارات الآخرين شمالاً. رغم أن هكذا فكرة لم تخطر بباله أبداً قبل هذه اللحظة، إلا أنه وجد أنه يمكنه تخيل نفسه يفعلها، وبوضوح تام. ها هو يقف على الطريق العام 301 في مكان ما وسط مقاطعة هرناندو ماداً إبهامه. الطقس حار، وحشرات البقّ تطير بأعداد هائلة، وهناك لوحة إعلانات لمحامي حالات الانزلاق والسقوط، وأغنية «خذها بسرعة» تصدح من مشغّل موسيقى موضوع على الدرجة الخرسانية لمقطورة قريبة موصولة بسيارة يغسلها رجل لا يرتدي قميصاً، وفي نهاية المطاف سيأتي مُزارعٌ ما ويقبله في شاحنة صغيرة ذات أوتاد جانبية محمّلة بالشمام ومعلق تمثال مغنطيسي على لوحة قيادتها. المال في جيبه لن يكون أفضل جزء حتى. بل أفضل جزء سيكون الوقوف هناك بمفرده، على بُعد كيلومترات من غلبة السردين هذه وروائح العطور والعرق ورذاذ الشعر المتحاربة داخلها.

لكن ثاني أفضل جزء سيكون حَلب ثدي الحكومة لبضعة دولارات إضافية.

وقف بطوله العادي تماماً (مئة وثمانية وسبعون سنتيمتراً تقريباً)، ودَقَعَ نظَّاراته على أنفه، ورفع يده. «اجعله ألفين يا سيد، زائد إمكانية استرداد ثمن تذكرتي، ويمكنك أخذ مقعدي».

2

تبيَّن أن الإقامة هي في فندق رديء قريب من نهاية المدرج الأكثر استخداماً في مطار تامبا الدولي. غفا تيم على أصوات الطائرات، واستيقظ على المزيد منها، ونزل ليتناول بيضة مسلوقة وفتيرتين مطاطيتين من مقصف الفطور المجاني. رغم أنه لم يكن فطور فاخر أبداً، إلا أن تيم أكل بشهية، ثم عاد إلى غرفته لينتظر الساعة التاسعة، موعد فتح المصارف أبوابها.

قبضَ كسبه المفاجئ من دون متاعب، لأن المصرف كان يعرف بقدومه وقد استحصل على الموافقة المسبقة للشيك؛ لم تكن لديه نيَّة أن ينتظر في الفندق الرديء حتى يُحَرَّر. أخذ الألفين بأوراق من فئة الخمسين والعشرين، وطواها في جيبه الأمامي لإيسر، واستردَّ حقيبته القماشية من حارس أمن المصرف، وطلبَ سيارة أوبر لتأخذه إلى إلتون. دَقَعَ للسائق هناك، وتنرَّه إلى أقرب لافتة 301-ش، ومدَّ إبهامه. بعد خمس عشرة دقيقة، أقله عجوُز يرتدي قبعة عليها شعار شركة كايس. لم يكن هناك شمام في الجهة الخلفية لشاحنته، ولا أوتاد جانبية، لكنها مطابقة نوعاً ما لما تخيَّله ليلة أمس.

«إلى أين أنت ذاهب يا صديقي؟»، سأل العجوز.

«حسناً»، قال تيم، «نيويورك، في نهاية المطاف. أظن».

بصق العجوز خيطاً من عصارة التبغ من النافذة وقال، «الآن لماذا يريد أي رجل عاقل الذهاب إلى هناك؟».

«لا أعرف»، قال تيم، رغم أنه كان يعرف؛ فقد أخبره صديق قديم في الخدمة عن وجود وظائف كثيرة في مجال الأمن الخاص في التفاحة الكبيرة، ومنها بعض الشركات التي ستعطي وزناً أكبر لخبرته من ذلك الريفِّي الأحمق

غولديبرغ الذي أنهى مهنته في شرطة فلوريدا. «أمل فقط الوصول إلى جورجيا هذه الليلة. ربما سيعجبني ذلك المكان أكثر».

«الآن تتكلم بشكل منطقي»، قال العجوز. «جورجيا ليست سيئة، خصيصاً إذا كنت تحبّ الخوخ. تسبّب لي إسهالاً. لا تمنع بعض الموسيقى، أليس كذلك؟».

«على الإطلاق».

«عليّ تحذيرك أنني أسمعها صاحبةً. سمعي خفيف قليلاً».

«يسرّني الركوب معك».

كانت موسيقى وايلون جينينغز بدلاً من ريو سبيدواغن، لكن تيم لم يمانع. بعد وايلون جاء دور شوتر جينينغز ومارتي ستيوارت. راح الرجلان في الدودج رام المملّخة بالوحل يستمعان إلى الموسيقى ويراقبان الطريق يمرّ بهما. بعد مئة كيلومتر، ركن العجوز جانباً، ولمس طرف قبعته لتيم، وتمنّى له حظاً سعيداً.

لم يصل تيم إلى جورجيا تلك الليلة - بل أمضاها في فندق رديء آخر قرب منصة على جانب الطريق تبعد عشرين برتقال - لكنه وصل إلى هناك في اليوم التالي. في بلدة برانزويك (حيث تم اختراع نوع معين من اليخنة اللذيذة المذاق)، شغل وظيفة لأسبوعين في مصنع لإعادة التصنيع، وقد وافق عليها من دون تفكير مسبق تماماً مثلما فعل عندما أخذ قراره بالتخلي عن مقعده على رحلة دلتا من مطار تامبا. لم يكن بحاجة إلى المال، لكن بدا له أنه بحاجة إلى الوقت. فهو في مرحلة انتقالية، وهذا لا يحصل بين ليلة وضحاها. كما كانت هناك صالة بولينغ وفرع من سلسلة مطاعم دينيه بجوار المصنع. من الصعب مقاومة هكذا تركيبة.

3

براتبه من مصنع إعادة التصنيع بالإضافة إلى كسبه المفاجئ من شركة الطيران، وقف تيم على منحدر برانزويك I-95 الشمالي وهو يشعر أنه غني جداً بالنسبة لرجل يتنقل على نحو مشوّت. وقّف هناك لأكثر من ساعة في الشمس، وبدأ يفكر بالاستسلام والعودة إلى دينيه ليتناول كوباً بارداً من الشاي المثلج عندما ركنت بجانبه سيارة فولفو ستايشن جهتها الخلفية مليئة بكراتين.

المرأة المسنّة الجالسة خلف المقود أنزلت نافذة جهة الراكب كهربائياً وحدّقت به بنظرات سميكة. «رغم أنك لست ضحماً، إلا أنك تبدو مفتول العضلات»، قالت. «لست مغتصباً أو مضطرباً نفسياً، أليس كذلك؟».

«لا، سيدتي»، أخبرها تيم وهو يفكر في سرّه: لكن ماذا سأقول غير ذلك؟

«بالطبع ستقول هذا، صح؟ هل أنت ذاهب حتى كارولينا الجنوبية؟ حقيبتك القماشية توحى بذلك».

مرّت سيارته مندفعاً قرب الفولفو وأسيرت على المنحدر وبوقها يلعلع. لم تعرها انتباهاً وأبقت نظرتها المحدّقة مركزة على تيم.

«نعم، سيدتي. وانتهاءً في نيويورك».

«سأخذك إلى كارولينا الجنوبية - ليس بعيداً في تلك الولاية الجاهلة، لكن قليلاً - إذا كنت ستساعدني قليلاً بالمقابل. يدُ تغسل الأخرى، إذا فهمت قصدي».

«تحكّين لي ظهري وأحكّ لك ظهرك»، قال تيم مبتسماً.

«لن يكون هناك حكّ من أي نوع، لكن يمكنك أن تتركب السيارة».

ركب تيم. إسمها مارجوري كيلرمان، وتُدِير مكتبة برانزويك. كما أنها عضوة في شيء يدعى جمعية مكاتب الجنوب الشرقي. لا تملك مالاً، مثلما قالت، لأن «ترامب والمقرّبين منه يأخذونه كله. لا يفهمون الثقافة تماماً مثلما لا يفهم الحمار علم الجبر».

بعد مئة كيلومتر شمالاً، وكانا لا يزالان في جورجيا، توقّفت قرب مكتبة صغيرة رتّة في بلدة پُولر. أنزل تيم كراتين الكتب ونقلها إلى الداخل. كما نقل حوالي عشر كراتين أخرى إلى الفولفو ستذهب، مثلما أخبرته مارجوري كيلرمان، إلى مكتبة ياماسي العامة، على بُعد حوالي خمسة وستين كيلومتراً شمالاً، على خط ولاية كارولينا الجنوبية. لكن بعد وقت قصير من عبورهما هارديفيل، توقف تقدّمهما. كانت السيارات والشاحنات مكدّسة في الممرين، وتكدّس المزيد منها خلفهما بسرعة.

«آه، أكره عندما يحصل هذا»، قالت مارجوري، «ويبدو أنه يحصل دائماً في كارولينا الجنوبية، حيث هم بخلاء جداً ليعرّضوا الطريق العام. وقع حادثٌ

في مكان ما أمامنا، وبوجود ممرين فقط، لا أحد يستطيع المرور. سأبقى هنا لنصف يوم. سيد جايميسون، أنت مُعفي من أي واجبات إضافية. لو كنت مكانك، لنزلت من مركبتي وعدتُ سيراً على الأقدام إلى مخرج هارديفيل، وجربتُ حظي على الطريق العام 17».

«ماذا بشأن كل كراتين الكتب هذه؟».

«آه، سأجد شخصاً قوياً آخر ليساعدني على إنزالها»، قالت وابتسمت له. «الحق يُقال، لقد رأيتُك واقفاً هناك في الشمس الحارة وقررتُ أن أخاطر قليلاً».

«حسناً، إذا كنتِ واثقة من قرارك». كان الازدحام قد بدأ يُشعره بالاختناق. تماماً مثلما شَعَرَ في الواقع وهو عالقٌ وسط الدرجة السياحية على متن رحلة دلتا. «إذا لستِ واثقة، سأبقى هنا. لستُ مستعجلاً كي لا أتأخر على موعدٍ أو أي شيء».

«أنا واثقة»، قالت. «سرّني لقاؤك يا سيد جايميسون».

«وأنا أيضاً يا آنسة كيلرمان».

«هل تحتاج إلى مساعدة مالية؟ يمكنني الاستغناء عن عشرة دولارات».

تأثّر وتفاجأ - ليس للمرة الأولى - بلطف الأشخاص العاديين وكَرَمهم، خاصة أولئك الذين لا يملكون الكثير للاستغناء عنه. لا تزال أميركا مكاناً جيداً، مهما عارض البعض (بما فيهم هو نفسه، من وقت لآخر) هذا الرأي. «لا، أنا بخير. شكراً على العرض».

صافحها، ثم نزل من السيارة وسار عائداً على ممر الطوارئ I-95 إلى مخرج هارديفيل. عندما لم يجد سيارة آتية على الطريق العام 17 فوراً، تنزّه كيلومترين إلى حيث يلتقي الطريق العام بالطريق 92. رأى هناك لافتة تشير إلى بلدة دوپراي. أصبح الوقت متأخراً بعد الظهر، فقرّر تيم أنه يجدر به أن يجد فندقاً رخيصاً ليبيت فيه ليلته. سيكون بلا شك فندقاً رديئاً آخر، لكن البدائل - النوم في العراء وترك البعوض يأكله حياً أو النوم في حظيرة مُزارع ما - أقل جاذبية حتى. لذا توجه نحو دوپراي.

الأحداث العظيمة تبدأ من أحداث صغيرة.

بعد ساعة كان يجلس على صخرة عند حافة الطريق ذي الممرين ينتظر انتهاء مرور قطار شحن بدا ذا طول لا ينتهي متوجّه نحو دوپراي بسرعة جليلة هي خمسين كيلومتراً في الساعة: عربات نقل، طوابق سيارات (معظمها محمّلة بحطام وليس مركبات جديدة)، خزانات نפט، عربات مسطحة مكشوفة، وعربات مستطيلة محمّلة بمواد شريرة لا أحد يعلم ماهيتها ستؤدي، في حال خروج القطار عن سكّته، إلى اشتعال النيران في غابات الصنوبر أو لفّ سكان دوپراي بسُحُب دخان ضارّة أو حتى مميتة. ظهرت أخيراً عربة مذبذب برتقالية يجلس فيها رجلٌ ذو رداء سروالي على كرسي حديقة، وبقراً كتاباً ورقّي الغلاف ويدخّن سيجارةً. رفع نظره عن كتابه ولوّح لتيّم بيده. لوّح له تيم بدوره.

البلدة تبعد ثلاثة كيلومترات، وقد بُنيّت حول تقاطع SR 92 (يسمّى الآن الشارع الرئيسي) مع شارعين آخرين. بدا له أن دوپراي نجت إلى حد كبير من سلاسل المتاجر التي احتلت البلدات الأكبر منها؛ يوجد متجر وسترن أوتو، لكنه مُغلق ونوافذه مغطاة بالصابون. لاحظ تيم وجود متجر بقالة، وصيدلية، ومتجر بدا له أنه يبيع قليلاً من كل شيء، وصالونّي تجميل. كما رأى صالة سينما عليها يافطة للبيع أو الإيجار، ومتجرّاً لمستلزمات السيارات يظنّ نفسه متجر دوپراي لتعزيز أداء السيارات، ومطعماً يدعى مطعم بّف. وهناك ثلاث دور عبادة، إحداها ميثودية. لم يكن هناك أكثر من عشرين سيارة وشاحنة مزرعة مبعثرة في أماكن ركن السيارات المائلة التي تزُر المنطقة التجارية. أما الأرصفة فمهجورة تقريباً.

بعد ثلاثة مربعات سكنية، وبعد دار عبادة أخرى، لمحّ نُزل دوپراي. ورأى ما وراءه، حيث الشارع الرئيسي يعود افتراضياً إلى SR 92، تقاطع سكة حديدية آخر، ومستودعاً، وسلسلة سقوف معدنية تلمع في الشمس. وما وراء تلك البُنَى، تُطيق غابات الصنوبر مرة أخرى. على العموم، بدت له البلدة كأنها مأخوذة من أغنية شعبية، من إحدى قطع الحنين إلى الوطن تلك التي غنّاها آلان جاكسون أو جورج سترايت. كانت لافتة النُّزل قديمة وصدئة، مما يوحي أنه قد يكون مغلقاً مثل صالة السينما، لكن بما أن فترة بعد الظهر تنحسر الآن وبدا له أنه المأوى الوحيد المحتمل في البلدة، توجّه إليه تيم.

في منتصف الطريق إلى هناك، بعد دار بلدية دوبراي، وصل إلى مبنى من الطوب تتسلق جوانبه نباتات لبلاّب. وعلى المرّجة المجزّزة بشكل أنيق هناك لافتة تُعلن أن هذا هو قسم مأمور مقاطعة فيرلي. قال تيم لنفسه إن المقاطعة لا شك رديئة إذا كانت هذه البلدة هي مقرّ مأمورها.

هناك طرادان مركّونان عند الجهة الأمامية، أحدهما سيارة سيدان جديدة بعض الشيء، والآخر جيب فوّرررر قديم ملطّخ بالوجول على لوحة قيادته فقاعة ضوء. نظرَ تيم نحو المدخل - اللوحة العابرة تقريباً لشخصٍ جوّالٍ يحمل الكثير من المال في جيبه - وصعد الدرجات القليلة، ثم عاد ليلقي نظرة فاحصة على لوحة الإعلانات المعلقة على الباب المزدوج. نظرة فاحصة على أحد تلك الإعلانات بالذات، بعد أن شَعَرَ أنه ربما أخطأ في قراءته وأراد أن يتحقّق.

ليس في هذا اليوم والعمر، فكّر في سرّه. لا يُعقّل.

لكنه يُعقّل. بجانب مُلصقٍ إعلاني يقول إذا كنت تعتقد أن الماريجوانا قانونية في كارولينا الجنوبية، فكّر مرة أخرى، كان هناك إعلان يقول فقط قارع ليلي مطلوب. تقديم الطلب في الداخل.

رائع، فكّر في سرّه. ذكريات الماضي الجميل.

استدار نحو لافتة النُّزل الصدئة وتوقف مؤقتاً مرة أخرى، وراح يفكّر بإعلان تلك الوظيفة. فُتح أحد أبواب المخفر في تلك اللحظة وظهر شرطي ضامرٍ يسوّي قبعته على شعره الأحمر، وآخر خيوط الشمس تتلألأ على شارته. راح يتأمل حذاء عملٍ تيم، وسرواله الجينز المليء بالغبار، وقميصه القطني الرقيق الأزرق. وتركزت عيناه للحظة على الحقيبة القماشية المعلقة فوق كتف تيم قبل أن ينتقل نظره إلى وجهه. «هل يمكنني مساعدتك يا سيد؟».

غمره الآن نفس الحافز الذي جَعَله ينهض على متن الطائرة. «على الأرجح لا، لكن من يدري؟».

5

الشرطي الأحمر الشعر هو معاون تاغارت فاراداي. راقق تيم إلى الداخل، حيث تفوح الروائح المألوفة للمبيّضات وكعكات النشادر من منطقة الاحتجاز ذات الزنازين الأربعة في الجهة الخلفية. بعد تقديم تيم إلى فيرونیکا غيبسون، المعاونة في منتصف عمرها التي تعمل كمسؤولة الاتصال والتوجيه

بعد ظهر اليوم، طلبَ فاراداي أن يرى رخصة قيادة تيم ووثيقة تعريف واحدة أخرى على الأقل. ما قدّمه تيم بالإضافة إلى رخصة قيادته كان بطاقة شرطة ساراسوتا الخاصة به، دون أن يحاول إخفاء حقيقة أن صلاحيتها انتهت منذ تسعة أشهر. ومع ذلك، لم يتغيّر موقف المعاونين إلا قليلاً عندما رآها.

«لست مقيماً في مقاطعة فيرلي»، قالت روني غيسون.

«لا»، وافقها تيم. «على الإطلاق. لكن يمكن أن أصبح مقيماً فيها إذا حصلتُ على وظيفة القارع الليلي».

«الراتب ليس كبيراً»، قال فاراداي، «وعلى كل حال القرار ليس قراري. المأمور آشورث هو الذي يوظف ويطرد».

قالت روني غيسون، «آخر قارع ليلي لدينا تقاعد وانتقل للعيش في جورجيا. إد ويتلوك. أصيب بالتصلب الجانبي الضموري، أو ما يسمّى مرض لو غيرغ. رجل لطيف. حظ سيئ. لكن معه أشخاص يهتمون به».

«دائماً للطفاء يُصابون بالأمراض السيئة»، قال تاغ فاراداي. «أعطيه استمارةً يا روني». ثم قال لتيم: «نحن قسم صغير يا سيد جايميسون، طاقم من سبعة أشخاص واثان منهم بدوام جزئي. هذا أقصى ما يستطيع دافعو الضرائب تحمّله. المأمور جون في دورية حالياً. إذا لم يُعد عند الخامسة، أو الخامسة والنصف على أبعد تقدير، يكون قد ذهب إلى منزله ليتناول العشاء ولن يعود قبل الغد».

«سأبقى هنا هذه الليلة على كل حال. طبعاً بافتراض أن التُّرل مفتوح».

«آه، أعتقد أن لدى نوربرت بضع عُرف»، قالت روني غيسون. تبادلَت نظرةً مع ذي الشعر الأحمر وضجّكا.

«هذا يُفهمني أنه قد لا يكون فندقاً ذا أربعة نجوم».

«لا تعليق على ذلك»، قالت غيسون، «لكنني سأفحص الشراشف بحثاً عن تلك الحشرات الحمراء الصغيرة قبل أن أستلقي عليها، لو كنتُ مكانك. لماذا تركت شرطة ساراسوتا يا سيد جايميسون؟ أظن أنك يافع لكي تتقاعد».

«هذه مسألة سأناقشها مع رئيسك، بافتراض أنه سيقبل مقابلتي».

تبادل الضابطان نظرة أخرى أطول، ثم قال تاغ فاراداي، «هيا أعطي الرجل استمارة توظيف يا روني. تشرّفُ بمعرفتك يا سيد. أهلاً بك في

دوپراي. تصرّف بسلوك جيد وسننجم بشكل ممتاز». قال هذا وانصرف تاركاً البديل للسلوك الجيد مشرّعاً للتأويل. من خلال النافذة ذات القضبان، رأى تيم جيب الفورنر يتراجع من بقعة ركنه ويسير في شارع دوپراي الرئيسي القصير.

كانت الاستمارة على لوح مشبكي. جلس تيم على أحد الكراسي الثلاثة الموجودة عند الجدار الأيسر، ووضع حقيبته القماشية بين قدميه، وبدأ يملأها. قارع ليلي، فكَرَّ في سرّه. تباّ لي.

6

اكتشّف تيم أن المأمور آشورث - المأمور جون بالنسبة لمعظم سكان البلدة وبالنسبة لمعاونيه أيضاً - شخص ذو بطن كبير ويسير ببطء. لديه خدًا كلب صيد والكثير من الشعر الأبيض، وهناك بقعة كاتشاب على قميص زيه الرسمي. يضع مسدّساً نوع غلوك على وركه وخاتم ياقوت في أحد خنصره. لكنته حادّة ومحياّه ودود، لكن عينيه العميقتين في مَحْجَرِيهما البيدينين ذكيتان وفضوليتان. يمكن بسهولة تخيّلُه في أحد تلك الأفلام الجنوبية المبتذلة مثل السير بثقة لولا حقيقة أنه أسود البشرة. وهناك شيء آخر: شهادة مؤطّرة للتخرّج من الأكاديمية الوطنية لمكتب التحقيقات الفدرالي في كوانتيكو معلقة على الجدار بجانب الصورة الرسمية للرئيس ترامب. هذا ليس من صنف الأشياء التي تحصل عليها عبر إرسال الغطاء العلوي لعلب الحبوب بالبريد.

«إذاً»، قال المأمور جون وهو يهزّ كرسي مكتبه إلى الخلف. «ليس لديّ الكثير من الوقت. مارسيلا تنزعج عندما أتأخر على العشاء. إلا إذا كانت هناك أزمة ما، بالطبع.»

«مفهوم.»

«لذا هيا ندخل صُلب الموضوع. لماذا تركت شرطة ساراسوتا وماذا تفعل هنا؟ لا تتضمن كارولينا الجنوبية الكثير من الطرقات المزدحمة، ودوپراي ليست على أحدها بالضبط.»

لن يهاتف آشورث ساراسوتا هذه الليلة على الأرجح، لكنه سيفعل ذلك في الصباح، لذا لا جدوى من الثرثرة غير الضرورية. وهذا شيء لا يريد تيم من الأصل. إذا لم يحصل على وظيفة القارع الليلي، سيمضي الليلة في دوپراي ويغادر في الصباح ليواصل رحلته الكثيرة المحطات إلى نيويورك،

رحلة أصبح يفهم الآن أنها ثغرة ضرورية بين ما حصل ذات يوم أواخر العام الماضي في مركز وستفيلد التجاري في ساراسوتا وبين أي شيء قد يحصل تالياً. بصرف النظر عن كل ذلك، الأمانة خير ضمان، فقط لأن الكذبات - خاصة في عصر تتوفر فيه كل المعلومات تقريباً لأي شخص لديه لوحة مفاتيح واتصال لاسلكي - تعود عادة لتؤرق الكذاب.

«أعطيتُ خياراً بين الاستقالة والطرْد فاخترتُ الاستقالة. لم يُسَرَّ أحدٌ بذلك، بالأخص أنا - كنتُ أحبُّ وظيفتي وأحبُّ ساحل الخليج - لكنه كان أفضل حل. بهذه الطريقة أحصل على بعض المال، ليس معاش تقاعد كاملاً، لكنه أفضل من لا شيء. تقاسمته مع زوجتي السابقة.»

«والسبب؟ بسَّط المسألة لكي أستطيع الوصول إلى العشاء بينما لا يزال ساخناً.»

«هذا لن يأخذ وقتاً طويلاً. في نهاية دوامي ذات يوم في نوفمبر الفائت، عرَّجتُ على مركز وستفيلد التجاري لأشتري حذاءً. فقد دُعيتُ إلى عرس. كنتُ لا أزال مرتدياً الزي الرسمي، واضح؟»

«واضح.»

«لحظة خروجي من متجر الأحذية ركضت امرأة إليّ وقالت إن مرافقاً يلوح بمسدس قرب صالة السينما. لذا صعدتُ إلى هناك بخطى سريعة.»

«هل أشهرت سلاحك؟»

«لا سيدي، ليس في تلك اللحظة. كان الولد ذو المسدس في الرابعة عشرة ربما، وتأكدتُ أنه إما ثمل أو منتشٍ. رأيتُ ولداً آخر معه وكان يركله. كما كان يصوب المسدس إليه.»

«تبدو مثل قضية كليفلاند تلك. الشرطي الذي أطلق النار على الولد الأسود الذي كان يلوح بمسدس هوائي.»

«خطر هذا ببالي عندما اقتربتُ منه، لكن الشرطي الذي أطلق النار على تامير رايس اعتقد أن الولد يلوح بمسدس حقيقي. كنتُ متأكداً تماماً أن المسدس الذي رأيته ليس حقيقياً، لكنني لم أقدر أن أجزم بالكامل. ربما أنت تعرف لماذا.»

بدا أن المأمور جون آشورث نسي أمر العشاء. «لأنه كان يصوبه إلى الولد الممدد على الأرض. لا معنى من تصوب مسدس مزيف إلى شخص. إلا

إذا، وأنا أفترض هنا، كان الولد الممدد على الأرض لا يعرف ذلك».

«ادعى المُرْتِكِب لاحقاً أنه كان يهزّه أمام الولد ولا يصوّبه إليه وهو يقول له «هذا لي أيها السافل، لا تأخذ ما هو لي». لم أر ذلك. بدا لي أنه كان يصوّبه إليه. صحتُ به أن يرمي السلاح ويرفع يديه في الهواء. إما لم يسمعي أو لم يعرني أي انتباه، وأكمل الركل والتصويب. أو الهزّ، إذا كان هذا ما كان يفعله. على كل حال، أشهرتُ سلاحي». سكتَ للحظة. «إذا كان لهذا أي تأثير، أعلم أنهما كانا أبيضين».

«ليس لهذا أي تأثير عندي. كانا ولدين يتعاركان. أحدهما ملقى على الأرض ويتعرّض للأذى، والآخر يحمل ما قد يكون أو قد لا يكون مسدساً حقيقياً. لذا هل أطلقت النار عليه؟ أخبرني أن الأمور لم تصل إلى ذلك الحد».

«لم يُطلق النار على أحد. لكن... تعرف كيف يتجمّع الناس لمشاهدة أي عراق، لكنهم يميلون إلى التبعر حالما يظهر سلاح؟».

«بالتأكيد. وإذا كان لديهم أي منطلق، يجدر بهم أن يركضوا بأقصى سرعة».

«هذا ما حصل، ما عدا بضعة أشخاص بقوا رغم ذلك».

«أولئك الذي يصوّرون بهواتفهم».

أوما تيم برأسه. «أربعة أو خمسة طامحين أن يصبحوا سبيلبرغ. على أي حال، صوّبتُ مسدّسي نحو السقف وأطلقتُ ما كان يُفترض أن تكون طلقة تحذيرية. ربما كان قراراً سيئاً، لكنه بدا لي القرار الصحيح في تلك اللحظة. القرار الوحيد. كانت هناك أضواء متدلية في ذلك الجزء من المركز التجاري. أصابت الرصاصة أحدها وسقطت على رأس أحد المتفجّرين. رمى الولد مسدّسه، وحالما ارتطم بالأرض، تأكّدتُ أنه لم يكن حقيقياً لأنه ارتد عنها. تبين أنه مسدّس مائي بلاستيكي مصنوع ليشبه مسدساً ألياً عيار 12 ملم. والولد الذي كان يُركل على الأرض أصيب ببعض الرضوض والجروح، لا شيء بدا أنه يتطلب عرّزاً، لكن المتفجّج غاب عن الوعي لثلاث ساعات. ارتجاج في الدماغ. وفقاً لمحاميهِ، فقدَ ذاكرته وتُصيبه صُداعات مُبرحة».

«هل رفع دعوى ضد القسم؟».

«نعم. ستستغرق بعض الوقت، لكنه سيحصل على شيء في نهاية المطاف».

راح المأمور جون يفكر. «إذا بقي علي مقربة ليصوّر المشادّة، فقد لا يحصل علي الكثير، مهما تكن صداعاته سيئة. أفترض أن القسم اتهمك بإطلاق النار بشكل مستهتر».

صحيح، وسيكون لطيفاً، فكر تيم في سرّه، لو يمكننا ترك الأمور عند هذا الحد. لكن لا يمكنهما. قد يبدو المأمور جون نسخة أميركية أفريقية للزعيم هوغ في مسلسل ذو دوكس أوف هازارد، لكنه لس مغفلاً. من الواضح أنه يتعاطف مع قضية تيم - أي شرطي تقريباً سيتعاطف معها - لكنه سيتحقّق منها في جميع الأحوال. من الأفضل أن يسمع بقية القصة من تيم نفسه.

«قبل أن أدخل متجر الأحذية، دخلت المقصف وتناولت كوبي شراب. الضباط الذين استجابوا للنداء وألقوا القبض على الولد شمّوا رائحته في أنفاسي وأجروا لي الفحص. جاءت النتيجة 0.06، تحت الحد القانوني لكن ليس جيداً إذا ما تذكرنا أنني أطلقت النار للتو ووضعا رجلاً في المستشفى».

«أنت عادةً شخصٌ يتناول الشراب يا سيد جايميسون؟».

«كثيراً في الأشهر الستة تقريباً يعد طلاق، لكن هذا كان منذ سنتين. ليس الآن». وهذا، بالطبع، ما سأقوله، فكر في سرّه.

«نعم، نعم، دعني أرى إن فهمتُ هذا بشكل صحيح». مدّ المأمور سبابه بدينه. «لم تكن مناوباً، مما يعني أنك لو كنت لا ترتدي زيّك الرسمي، لما كانت تلك المرأة قد ركضت إليك في المقام الأول».

«على الأرجح لا، لكنني كنتُ سأسمع الهرج والمرج ولذهبتُ إلى هناك على أي حال. الشرطي لا يكون غير مناوب حقاً أبداً. أنا متأكد أنك تعرف ذلك».

«نعم، نعم، لكن هل كان مسدّسك ليكون معك؟».

«لا، كان ليبقى في سيارتي».

مدّ آشورث إصبعاً ثانياً لهذه النقطة، ثم أضاف إصبعاً ثالثاً. «كان الولد يحمل ما بدا أنه مسدّس مزيف، لكن كان يمكن أن يكون حقيقياً. لا يمكنك أن تكون أكيداً بشأن هذا أو ذاك».

«نعم».

هنا جاء الإصبع رقم أربعة. «طلقتك التحذيرية أصابت ضوءاً، ولم تُسقطه فقط بل أسقطته على رأس متفرّج بريء. هذا إذا كان يمكنك اعتبار حقير يصوّر بهاتف خلوي متفرّجاً بريئاً».

أوما تيم برأسه.

مدّ المأمور إبهامه. «وقبل حدوث هذه المشادة، صدق أنك ابتلعت كوبي شراب».

«نعم. وبينما كنت مرتدياً زيّ الرسمي».

«ليس قراراً جيداً، ليس... ماذا يسمّونه... منظرًا جيداً، لكنني لن أُغيّر رأيي بأنك شهدت خطأ سيئاً جداً». قرع المأمور جون أصابعه على حافة مكتبه، وطرطق خاتم خنصره الياقوتي نقرة صغيرة كل مرة. «أعتقد أن قصتك شنيعة جداً لكي لا تكون حقيقية، لكنني أظن أنني سأتصل بمكان توظيفك السابق وأتحقق بنفسي. ولو لمجرد سماع القصة مرة أخرى وأتعجب منها من جديد».

ابتسم تيم. «كنت أرفع تقاريري إلى برناديت ديبينو. إنها رئيسة شرطة ساراسوتا. ومن الأفضل لك أن تذهب إلى المنزل لتناول العشاء، وإلا ستغضب زوجتك».

«نعم، نعم، دعني أقلق بشأن مارسي». مال المأمور إلى الأمام مستنداً على معدته. بدت عيناه أكثر إشراقاً من أي وقت مضى. «إذا قست نسبة الشراب في دمك الآن يا سيد جايميسون، كم ستكون؟».

«قسه وستعرف».

«لا أظن أنني سأفعل. لا أظن أنني بحاجة إلى ذلك». مال إلى الورا؛ أصدر كرسي مكتبه صرير معاناة طويلة أخرى. «لماذا تريد وظيفة قارع ليلي في مكان خسيس صغير كهذا؟ الراتب مئة دولار في الأسبوع فقط، وصحيح أن المتاعب ليست كثيرة من أيام الأحد إلى الخميس، إلا أن الوضع يمكن أن يكون محتدداً يومي الجمعة والسبت. نادي التعرية في پنلي أغلق أبوابه العام الماضي، لكن هناك عدة مقاصف وأماكن للرقص في النواحي القريبة».

«كان جدّي قارعاً ليلياً في هيينغ، مينيسوتا. البلدة حيث ترعرع بوب ديلان؟ كان هذا بعد أن تقاعد من شرطة الولاية. إنه السبب الذي جعلني أريد أن أكون شرطياً عندما كنت صغيراً. رأيت اللافتة، وفكرت في نفسي...». هزّ

تيم كتفيه. بماذا فكّر؟ تقريباً الشيء نفسه الذي فكّر فيه عندما قبل العمل في مصنع إعادة التصنيع. لا شيء تقريباً. خطر بباله أنه قد يكون، من الناحية الذهنية على الأقل، في موقف صعب نوعاً ما.

«تسير على حُطى جَدِّك، أجل». شبكَ المأمور جون يديه فوق بطنه الكبير وحدّق بتيم - بتلك العينين اللامعتين الفضوليتين الغارقتين في مَحْجِرَيْهِمَا البدينين. «تعتبر نفسك متقاعدًا، أليس كذلك؟ تبحث فقط عن شيء لتتسلّى به خلال ساعات الخمول؟ ألا تعتقد أنك يافع لهكذا أمر؟».

«متقاعد من الشرطة، نعم. هذه مرحلة وانتهت. أخبرني صديقٌ أنه يمكنه أن يدبّر لي وظيفة أمن في نيويورك، وأردتُ تغيير المشهد. ربما لستُ مضطراً إلى الذهاب إلى نيويورك لأحصل على هكذا وظيفة». شَعَرَ أن ما أراده حقاً هو تغيير الذهنية. قد لا تحقّق وظيفة القارع الليلي ذلك، لكنها قد تحقّقه.

«قلت إنك مطلق؟».

«نعم».

«أولاد؟».

«لا. أرادت أولاداً، على عكسي أنا. لم أشعر أنني جاهز».

أخفّض المأمور جون نظره إلى استمارة تيم. «تقول هنا إنك في الثانية والأربعين. في معظم الحالات - على الأرجح ليس كلها - إذا لم تكن جاهزاً وقتها...»

انخفت صوته منتظراً بأفضل أساليب رجال الشرطة أن يملأ تيم الصمت. لم يفعل تيم ذلك.

«ربما قد تذهب إلى نيويورك في نهاية المطاف يا سيد جايميسون، لكنك هائمٌ فحسب الآن. هل من الإنصاف قول هذا؟».

فكّر تيم في المسألة ووافق أنه من الإنصاف قوله ذلك.

«إذا أعطيتك هذه الوظيفة، كيف يمكنني أن أعرف أنك لن تقرّر أن تهيم من هنا بعد أسبوعين أو شهر من الآن؟ دوپراي ليست المكان الأكثر إثارة للاهتمام على كوكب الأرض، أو حتى في كارولاينا الجنوبية. ما أسأله يا سيد هو كيف أعرف أنك شخص موثوق؟».

«سأبقى هنا. بافتراض دائماً أنك تشعر أنني أقوم بعملٍ. إذا قرَّرت أنني لا أفعل ذلك، يمكنك طردني. وإذا قرَّرت المغادرة، سأعطيك إشعاراً قبل وقت طويل. هذا وعدٌ مني».

«الراتب غير كافٍ لتعيش منه».

هَرَّ تيم كتفيه. «سأجد شيئاً آخر إذا أحتجْتُ إلى ذلك. هل تقصد أن تقول لي إنني سأكون الشخص الوحيد هنا الذي يعمل في وظيفتين ليكسب قوته؟ لديّ بعض المدّخرات لأرتكز عليها».

بقي المأمور جون يجلس على كرسيه لبعض الوقت وهو يفكّر، ثم وقف على قدميه. فعَلَ ذلك برشاقة مدهشة لرجل ثقيل مثله. «تعال صباح الغد وسنرى ماذا سنفعل بشأن ذلك. حوالي العاشرة سيكون جيداً».

وهذا سيعطيك الوقت الكافي لتتكلّم مع شرطة ساراسوتا، فكّر تيم في سرّه، وترى إن صدقتُ في قصتي. ولتكتشف أيضاً إن كانت هناك لطخات أخرى في سجلي.

وَقَفَ ومدَّ يده. كانت قبضة المأمور جون قوية. «أين ستبيت هذه الليلة يا سيد جايميسون؟».

«في ذلك التُّزل، إذا كانت هناك غرفة شاغرة».

«آه، سيكون هناك الكثير من العُرف الشاغرة لدى نوربرت»، قال المأمور، «وأشكُّ أن يحاول بيعك بعض الحشيشة. يبدو لي أنك لا تزال تبدو شرطياً بعض الشيء». إذا لم تكن لديك مشكلة في هضم الطعام المقلي، يبقى مطعم بَاف في آخر الشارع مفتوحاً حتى الساعة. أنا مولع بالكبد والبصل شخصياً».

«شكراً. وشكراً على التكلّم معي».

«على الإطلاق. محادثة مثيرة للاهتمام. وعندما تذهب إلى التُّزل، أخير نوربرت أن المأمور جون قال أن يعطيك إحدى العُرف الجيدة».

«سأفعل ذلك».

«لكنني سأتحقّق من الحشرات في جميع الأحوال قبل أن أتمدّد على السرير».

ابتسم تيم. «حصلتُ على هذه النصيحة من قبل».

7

تألف العشاء في مطعم بَف من شريحة دجاج مقلية مع فاصوليا خضراء، ثم قطعة حلوى بالخوخ. ليس سيئاً. أما الغرفة التي حصل عليها في نُزل دويراي فمسألة مختلفة. لقد جَعَلتِ الغرفة التي أقام فيها تيم خلال تجواله شمالاً تبدو قصوراً. مكيف الهواء في النافذة يطرطق بقوة، لكنه لم يُبَرِّد الأجواء كثيراً. رأس الدُش الصدئ يقطر منه الماء، ولم يستطع إيجاد أي طريقة لإيقافه. (وَصَعَّ أخيراً منشفة تحته ليكتم صوت التكتكة). الظلة على المصباح الذي بجانب السرير محترقة في مكانين. الصورة الوحيدة في الغرفة - وهي رسم مُقْلِق يُظهر سفينة شراعية مأهولة كلياً برجال سود مكشَّرين وربما قتلة - معلقة بشكل مائل. قَوْمها تيم، لكنها مالت فوراً من جديد.

هناك كرسي حديقة في الخارج. المقعد مرتخ وإلِقوائم صدئة مثل رأس الدُش المعيوب، لكنها تحمَّلت وزنه. جلس هناك ممططاً رجليه، وراح يصفع الحشرات عنه ويراقب الشمس تحرق ضوءها البرتقالي عبر الأشجار. النظر إلى هذا المشهد أشعره بالسعادة والحزن في آن. ظهر قطار شحن آخر لا ينتهي تقريباً حوالي الثامنة والرُّبع، وراح يسير على طريق الولاية متجاوزاً المستودعات في ضواحي البلدة.

«قطار جورجيا الجنوبية اللعين هذا يتأخر دائماً».

نظرَ تيم حوله وشاهدَ المالك والموظف المسائي الوحيد لهذه المؤسسة الفاخرة. كان نحيلاً جداً، وهناك سترة بنقشة الپايزلي متدلّية فوق نصفه العلوي، ويرتدي سروالاً كاكّي اللون شديد القصر يكشف جواربه البيضاء وحذاءه الرياضي كونفرس المسنّ. وجهه الشبيه بالجرذ تقريباً مؤطر بقصّة شعر البيتلز العتيقة.

«فعلاً»، قال تيم.

«لا يهّم»، قال نوربرت وهو يهزّ كتفيه. «قطار المساء يُكْمِل طريقه دائماً. وهكذا يفعل قطار منتصف الليل معظم الوقت إلا إذا كان معه ديزل يجب تفريغه أو فاكهة طازجة ونباتيات للبقالة. يوجد وصلة هناك». شبك سباتيه ببعضهما للتوضيح. «يذهب أحد الخطين إلى أطلنطا، برمينغهام، هنتسفيل، وأماكن مماثلة. ويأتي الآخر من جاكسونفيل ويذهب إلى تشارلستون، ويلمنغتون، نيويورك، وأماكن مماثلة. قطارات شحن الصباح

هي التي تتوقف في الأغلب. كلكم تفكّرون بأعمال المستودع؟ ينقصهم عادة رجل أو رجلان. لكن يجب أن يكون لديك ظهر قوي. هذا ليس لي».

نظرَ تيم إليه. جرجرَ نوربرت حذاءه الرياضي وابتسم ابتسامَةً كشفت ما اعتقد تيم أنها أسنان ستزول قريباً.

«أين سيارتك؟».

بقي تيم ينظر فحسب.

«هل أنت شرطي؟».

«أنا الآن مجرد رجل يراقب غروب الشمس عبر الأشجار»، قال تيم، «وقريباً سأفعل ذلك لوحدي».

«لا تقل المزيد، لا تقل المزيد»، قال نوربرت وانسحب متوقفاً فقط ليُلقي نظرةً تقييميةً ضيقةً فوق كتفه.

مرّ قطار الشحن في نهاية المطاف. انطفأت أضواء العبور الحمراء، وارتفعت الحواجز. المركبتان أو الثلاثة التي كانت تنتظر أدارت محرّكاتها وانطلقت. راقب تيم الشمس تتحوّل من برتقالية إلى حمراء بينما غرقت في الأفق - السماء الحمراء في الليل تُبهج البحار، هكذا كان جدّه القارع الليلي يقول. راقب ظلال أشجار الصنوبر تطول على الطريق SR 92 وتلتصق ببعضها. كان متأكداً تماماً أنه لن يحصل على وظيفة القارع الليلي، وُرّب ضارّة نافعة. بدت له دويراي بعيدة عن كل شيء، وليست مجرد مسار جانبي بل تكاد لا تكون مساراً لعيناً من الأصل. لولا تلك المستودعات الأربعة، لما تواجدت البلدة على الأرجح. وما الغاية من تواجدها؟ لتخزين تلفزيونات من ميناء شمالي ما مثل ويلمنغتون أو نورفك، لكي يمكن شحنها في نهاية المطاف إلى أطلنطا أو ماريتا؟ لتخزين صناديق قطع كمبيوتر مشحونة من أطلنطا لكي يمكن إعادة تحميلها في نهاية المطاف وشحنها إلى ويلمنغتون أو نورفك أو جاكسونفيل؟ لتخزين أسمدة أو مواد كيميائية خطيرة، لأن القانون في هذا الجزء من الولايات المتحدة لا يحظرها؟ تلف وتدور، وما كان دائرياً لا جدوى منه، أي مغفل يعرف هذا.

دخل غرفته، وأوصد بابه (غبي؛ هذا الشيء مهلهل لدرجة أن ركلة واحدة ستحطّمه)، وخلع كل ثيابه ما عدا ملابسه الداخلية، وتمدّد على السرير

المترهّل لكن الخالي من الحشرات (بقدر ما استطاع أن يتحقّق، على الأقل). وَصَع يديه خلف رأسه وحدّق بصورة الرجال السود المكشّرين في الفرقاطة أو مهما يكن الإسم اللعين الذي يُطلَق على هكذا سفينة. إلى أين يذهبون؟ هل هم قراصنة؟ بدوا له قراصنةً. أياً كانوا، سيتلخّص الأمر في نهاية المطاف بالتحميل والتفريغ في الميناء التالي. ربما كل شيء يتلخّص هكذا. وكل شخص. منذ وقت غير بعيد فرّغ نفسه من رحلة دلتا متوجّهة إلى نيويورك. وبعد ذلك حمّل صناديق وقوارير في آلة فرز. واليوم حمّل كتباً لأمانة مكتبة لطيفة في مكان وفرّغها في مكانٍ آخر. إنه هنا فقط لأن الطريق I-95 كان مزدحماً بسيارات وعربات تنتظر قدوم شاحنة القَطْر لتُبعد سيارة محطمة مشوّومة. على الأرجح بعد أن تكون الإسعاف قد حمّلت السائق وأفرغته في أقرب مستشفى.

لكن القارع الليلي لا يحمّل أو يُفرغ، فكّر تيم في سرّه. بل فقط يسير ويقرع. هذا هو، مثلما كان جدّه ليقول، الجزء الجميل.

غفا، ولم يستيقظ إلا عند منتصف الليل، عندما مرّ قطار شحن آخر ملعلعاً. دخل الحمّام وبوّل، وقبل أن يعود إلى السرير، أنزل الصورة المائلة عن الجدار وأسند طاقم الرجال السود المكشّرين بمواجهة الجدار. هذا الشيء اللعين يسبّب له القشعريرة.

8

عندما رنّ الهاتف في غرفته في الصباح التالي، كان تيم قد استحمّ ويجلس على كرسي الحديقة مرة أخرى، يراقب الظلال التي غطت الطريق عند الغروب تتراجع في الاتجاه الآخر. إنه المأمور جون. لم يضع أي وقت.

«لم أعتقد أن رئيسك ستكون في عملها في هذا الوقت المبكر، لذا بحثتُ عنك على الانترنت يا سيد جايميسون. يبدو أنك نسييت أن تذكر أمرين في استثمارك. ولم تتطرّق إليهما في محادثتنا أيضاً. لقد تلقيت إشادةً لإنقاذك شخصاً سنة 2017، ونلت جائزة شرطي ساراسوتا العام سنة 2018. هل نسييت فحسب؟»

«لا»، قال تيم. «لقد قدّمتُ للوظيفة بشكل مرتجل. ولو تسنّى لي المزيد من الوقت للتفكير، لكنك دوّنت ذلك».

«أخبرني عن التمساح. لقد ترعرعتُ عند ضفاف مستنقع ليتل بي دي، وأحبُّ سماع قصة تمساح جيدة.»

«ليست قصة جيدة جداً، لأنه لم يكن تمساحاً كبيراً جداً. ولم أنقذ حياة الولد، لكن للقصة طابعها المضحك.»

«دعنا نسمعها.»

«جاء الاتصال من الهيلاندز، وهو ملعب غولف خاص. كنتُ أقرب شرطي للمكان. وحدثُ أن الولد قد تسلق شجرة بالقرب من إحدى الفجوات المائية. كان في الحادية عشرة أو الثانية عشرة من عمره، أو شيء من هذا القبيل، وبصيح بأعلى صوته. والتمساح تحته مباشرة.»

«يبدو مثل سامبو الأسود الصغير»، قال المأمور جون. «لكن حسبما أذكر، كانت هناك نمور وليس تمساحاً في تلك القصة، وإذا كان ملعب غولف خاصاً، أنا أكيد أن الولد على الشجرة لم يكن أسود.»

«لا، والتمساح كان نائماً أكثر منه مستيقظاً»، قال تيم. «طوله متر ونصف فقط. متر وثمانون سنتيمتراً كحد أقصى. استعرتُ مقبض غولف حديدياً من والد الولد - هو الشخص الذي رشّحني لتلقي الإشادة - وضربته بضع مرات.»

«سأفترض أنك ضربت التمساح وليس الوالد.»

ضحك تيم. «صحيح. عاد التمساح إلى الفجوة المائية، ونزل الولد عن الشجرة، وهذا كل شيء.» سكت قليلاً. «ما عدا أنني دُكرتُ في نشرة أخبار المساء. ألّوح مقبض غولف. مزحٌ مُذيع الأخبار كيف أنني «قذفتُ» التمساح بعيداً. من فكاهات الغولف، مثلما تعرف.»

«نعم، نعم، وقصة شرطي العام؟.»

«حسناً»، قال تيم، «أنا أحضُر على الوقت دائماً، ولا أتغيّب بداعي المرض أبداً، وكان عليهم أن يقدموها إلى شخص ما.»

ساد الصمت لعدة لحظات على الطرف الآخر للخط. ثم قال المأمور جون، «لا أعرف إن كنتَ تسمّي هذا تواضعاً أو احتراماً منخفضاً للذات، لكن لا يهمني الوصفين كثيراً. أعرف أن هذا كثيرٌ لكشفه بعد معرفة قصيرة، لكنني رجلٌ يتكلم بصراحة. يقول البعض إنني أطلق النار من شفّتي. وزوجتي أحدهم.»

نظّر تيم إلى الطريق، إلى السكة الحديدية، إلى الظلال المنسجبة. وألقى نظرةً على برج ماء البلدة الذي يلوح كروبوت غاز في فيلم خيال علمي. ارتأى أنه سيكون يوماً حاراً آخر. ارتأى شيئاً آخر أيضاً. يمكنه أن يحظى بهذه الوظيفة أو يخسرها في هذه اللحظة بالذات. كل شيء يعتمد على ما سيقوله تالياً. والسؤال هو إن كان يريدّها حقاً، أو كانت مجرد نزوة وُلدت من قصة عائلية عن الجدّ توم؟

«سيد جايميسون؟ هل لا تزال معي؟».

«لقد استحييتُ تلك الجائزة. هناك شرطيون آخرون كان من الممكن أن يحصلوا عليها، فقد عملتُ مع بعض الضباط الممتازين، لكن بلى، استحييتُها. لم آخذ معي الكثير عندما تركتُ ساراسوتا - كنتُ أنوي أن أشحن البقية إذا توقفتُ بشيء جيد في نيويورك - لكنني أحصرتُ التنويه. إنه في حقيقتي القماشية. سأريك إياه إذا كنت تريد.».

«أريد»، قال المأمور جون، «لكن ليس لأنني لا أصدّقك. أودّ فقط رؤيته. مؤهلاتك أفضل بكثير من وظيفة قارع ليلي إلى حد يبعث على السخرية، لكن إذا كنت تريدّها حقاً، يمكنك أن تبدأ عند الحادية عشرة هذه الليلة. من الحادية عشرة حتى السادسة، هذا هو الدوام.».

«أريدّها»، قال تيم.

«حسناً.».

«هكذا بكل بساطة؟».

«أنا أيضاً رجلٌ يثق بغرائزه، والوظيفة هي لقارع ليلي وليس لحارس شخصي، لذا نعم، هكذا بكل بساطة. لا داعي لكي تأتي عند العاشرة. تم قليلاً أكثر وتعالَ عند الظهر. ستعطيك الشرطة غوليكسون الملخص. لن يستغرق ذلك طويلاً. فهي ليست علم الصواريخ، مثلما يقولون، رغم أنك عرضة لرؤية بعض صواريخ الطريق في الشارع الرئيسي ليالي السبت بعدما تُغلق المقاصف أبوابها.».

«حسناً. وشكراً.».

«لنرى كم ستبقى شاكراً بعد نهاية أسبوعك الأول. آه، شيء آخر. لست أجد معاوني المأمور، ولا يحقّ لك حمل سلاح ناري. إذا صادفتك حالة لا يمكنك تولّي أمرها، أو تعتقد أنها خطيرة، اتصل بالمركز لاسلكياً. هل هذا واضح؟».

«نعم».

«من الأفضل أن يكون واضحاً يا سيد جايميسون. إذا عرفت أنك تحمل مسدساً، ستُطرَد فوراً».

«مفهوم».

«استرح قليلاً إذًا. أنت على وشك أن تصبح مخلوقاً ليلياً».

مثل الكونت دراكولا، فكَّر تيم في سرِّه. أغلَق الخط، وعلَّق لافتة عدم الإزعاج على الباب، وأسدل الستارة الرقيقة والكثيية فوق النافذة، وعيَّر هاتفه، وعاد إلى النوم.

9

المعاونة ويندي غوليكسون، وهي من العاملين بدوام جزئي في المخفر، أصغر من روني غيبسون بعشر سنوات ورائعة الجمال، حتى يربطها شعرها الأشقر على شكل كعكة مشدودة جداً بحيث يكاد يصرخ من الألم. لم يُقِّم تيم بأي محاولة ليتغزَّل بها؛ كان واضحاً أن درع حمايتها من الغزل مرفوعٌ ومكهرب بالكامل. تساءل للحظة إن كانت تفكر بشخص آخر لوظيفة القارع الليلي، ربما أخ أو حبيب.

أعطته خريطة منطقة دوپراي التجارية غير ذات الشأن الكبير، وجهازاً لاسلكياً محمولاً باليد يُعلَّق بالحزام، وساعة دوام تُعلَّق بالحزام أيضاً. لا تعمل على البطاريات، مثلما شرحت المعاونة غوليكسون؛ عليه تعبئتها في بداية كل وردية.

«أنا أكيد أن هذه كانت أحدث تكنولوجيا عام 1946»، قال تيم. «إنها من ذكريات الماضي الجميل نوعاً ما».

لم تتبسم. «تسجِّل وقتك عند فرومي لبيع وإصلاح المحرَّكات الصغيرة، ومرة أخرى عند محطة القطارات في الطرف الغربي للشارع الرئيسي. المسافة كيلومتران ونصف في كل اتجاه. كان إد وبتلوك يُنهي أربع جولات كل وردية».

ما مجموعه عشرون كيلومتراً. «لن أحتاج إلى حمية غذائية بالتأكيد».

لم تبتسم أيضاً. «سأنظّم وروني غيبسون جدول عمل لك. ستحظي بليتين إجازة كل أسبوع، يومَي الاثنين والثلاثاء على الأرجح. البلدة هادئة جداً بعد عطلة نهاية الأسبوع، لكننا قد نضطر إلى تعديل مواعيد عملك أحياناً. هذا إذا بقيت».

شبك تيم يديه على صدره ونظرَ إليها بشبه ابتسامة. «هل لديك مشكلة معي أيتها المعاونة غوليکسون؟ لأنه إذا كانت لديك مشكلة معي، تكلمي الآن أو إلزمي الصمت».

كانت بشرتها بيضاء صافية، ولا يسعها إخفاء التورّد عندما يملأ خديها. وهذا يزيد من جمالها فحسب، لكنه افترض أنها تكره ذلك.

«لا أعرف بالتحديد. فقط الوقت كفيلاً بإثبات المسألة. نحن طاقم جيد. صغير لكن جيد. كلنا نتضافر مع بعضنا البعض. وأنت مجرد رجل غريب حظي بوظيفة. سكان البلدة يستهزئون بالقارع الليلي، وكانت لإد روح رياضية بشأن كل ذلك المزاح، لكنها وظيفة مهمة، خاصة في بلدة تضم قوة شرطة صغيرة العدد مثلنا».

«درهم وقاية خير من قنطار علاج»، قال تيم. «كان جدّي معتاداً على قول هذا. كان قارعاً ليلياً أيتها الشرطة غوليکسون. لهذا السبب تقدّمتُ للوظيفة».

ربما لانت قليلاً. «بالنسبة لساعة الدوام، أوافقك أنها قديمة. كل ما يمكنني قوله هو أن عليك أن تعتاد عليها. القارع الليلي وظيفة تماثلية في عصر رقمي. على الأقل في دويراي».

10

سرعان ما اكتشف تيم ما قصدته. كان مبدئياً شرطي دوريات من العام 1954 تقريباً، فقط من دون مسدّس أو حتى هراوة، ولا يحق له اعتقال أحد. قلّة من المؤسسات التجارية الكبيرة في البلدة مجهزة بأجهزة أمنية، لكن معظم المتاجر الصغيرة لا تملك هكذا تكنولوجيا. لذا في أماكن مثل دويراي للتجارة وصيدلية أوبرغ، كان يتحقّق من أن أضواء الأمن الخضراء مضاءة ولا يوجد أي أثر للمتطفّلين. أما للمتاجر الصغيرة، فيهرّ مقابض ومسكات الأبواب، ويحدّق عبر الزجاج، ويقرع القرع الثلاثي التقليدي. يحصل على ردّ من وقت لآخر - تلويح أو بضع كلمات - لكن لا يكون هناك ردّ في الأغلب، ولا بأس بهذا. فيضع علامة بالطبشورة ويكمل طريقه. يتبع نفس الإجراء في رحلة عودته،

لكنه يمحو العلامات هذه المرة. ذكّرت العملية بنكتة إيرلندية قديمة: إذا وصلت إلى هناك قبلي، ضع علامة على الباب بالطبشورة. وإذا وصلت إلى هناك قبلك، سأمحوها. لم يبدو له أن هناك سبباً منطقياً للعلامات؛ بل كانت من باب التقليد فقط، وربما يعود تاريخها، عبر سلسلة طويلة من القارعين الليليين، إلى أيام إعادة الإعمار.

بفضل أحد المعاوين ذوي الدوام الجزئي، وجد تيم مكاناً أنيقاً ليقيم فيه. أخبره جورج بوركيت أن لدى أمه شقة مفروشة صغيرة فوق مرأبها وستؤجره إياها بسعر رخيص إذا كان مهتماً. «غرفتان فقط، لكنهما جميلتين جداً. عاش أخي هناك لسنتين قبل أن ينتقل إلى فلوريدا. يعمل في مدينة الملاهي يونيفرسال في أورلاندو، ويتقاضى أجراً محترماً».

«حسناً فعَل».

«نعم، لكن أسعار الأشياء في فلوريدا... آه، غير معقولة. عليّ تحذيرك يا تيم، إذا استأجرت هناك، لا يمكنك سماع موسيقى صاخبة في وقت متأخر من الليل. ماما لا تحبّ الموسيقى. حتى إنها لم تحبّ بانجو فلويد، الذي يمكنه أن يعزف عليه ببراعة تامة. كانا يتجادلان كثيراً بشأن ذلك».

«جورج، نادراً ما أكون في المنزل خلال الليل».

الشرطي بوركيت - في منتصف عشريناته، طيب القلب ومرح، وليس مُثقلًا بذكاء فطري - ابتهج من هذا. «صحيح، نسيبُ ذلك. على أي حال، هناك مكيف هواء، ليس بالشان الكبير، لكنه يُبقي المكان بارداً كفاية لكي تتمكن من النوم - استطاع فلويد أن ينام، على الأقل. هل يهَمُّك الأمر؟».

كان يهَمُّه، ورغم أن مكيف الهواء لم يكن ذا شأن كبير حقاً، إلا أن السرير وغرفة الجلوس مريحان، والدُّش لا يقطر ماءً. المطبخ مجرد مايكروويف ولوح تسخين، لكنه يتناول معظم وجباته في مطعم بثّ عليّ أي حال، لذا لا بأس بهذا. ولا يمكن قول شيء عن الإيجار: سبعون دولاراً في الأسبوع. وصف جورج أمه كأنها تينين، لكن تبين له أن للسيدة بوركيت روحاً مرحةً ولكنةً جنوبيةً ثقيلةً لا يمكنه فهم أكثر من نصف ما تقوله. تترك له أحياناً قطعة من خبز الذرة أو شرحة حلوى ملفوفة بورق مشمّع خارج بابه. كان ذلك أشبه بأن يكون أحد أقزام ديكسي هو صاحب بيتك.

كان نوربرت هولистер، مالك التُّرل ذو الوجه الشبيه بالجرذ، محقّقاً بشأن مخزن ومستودع دويراي، من حيث أن لديهم مشكلة مزمنة بقلّة عدد العاملين ويوظفون دائماً. خَمَّن تيم أنه في الأماكن التي تُجازي العمل اليدوي

بأقل أجر يسمح به القانون بالساعة (هذا يبلغ في كارولاينا الجنوبية سبعة دولارات وربع في الساعة)، السرعة المرتفعة لتغيّر العمّال أمر نموذجي. ذهب لرؤية مراقب العمّال، قال جاريت، الذي كان مستعداً أن يعطيه دواماً من ثلاث ساعات في اليوم، تبدأ عند الثامنة صباحاً. هذا أعطى تيم الوقت الكافي ليغتسل ويأكل وجبةً بعد انتهاء وردية القارع الليلي. لذا بالإضافة إلى واجباته الليلية، وجد نفسه مرة أخرى يحمّل ويفرغ.

هكذا يسير العالم، أخبر نفسه. هكذا يسير العالم. وفي الوقت الحاضر فقط.

11

مع مرور وقته في البلدة الجنوبية الصغيرة، وقّع تيم جايميسون في روتين لطيف. لم يكن ينوي البقاء في دوپراي بقية حياته، لكن يمكنه رؤية نفسه يُمضي احتفال الشتاء هنا (وربما يضع شجرة اصطناعية صغيرة جداً في شقته الصغيرة جداً التي تعلو المرأب)، ويبقى ربما حتى حلول الصيف القادم. لم تكن واحة ثقافية، وفهم لماذا يرغب أغلب الأولاد بالهرب من ضجرها الأحادي الألوان، لكن تيم تنعم فيها. كان متأكدًا أن هذا سيتغيّر مع الوقت، لكن الوضع على ما يرام الآن.

الاستيقاظ عند السادسة مساءً؛ العشاء في مطعم بّف، لوحده أحياناً، وأحياناً مع أحد المعاوينين؛ جولات القارع الليلي طوال الساعات السبعة التالية؛ الفطور في مطعم بّف؛ تشغيل رافعة شوكية في مخزن ومستودع دوپراي حتى الحادية عشرة؛ شطيرة وعبوة كولا أو شاي مثلج على الغداء في ظلال محطة القطارات؛ العودة إلى منزل السيدة بوركيت؛ النوم حتى السادسة. وفي أيام إجازته، ينام أحياناً حتى اثنتي عشرة ساعة متواصلة. قرأ روايات التشويق القانونية تأليف جون غريشام وكامل سلسلة أغنية الجليد والنار، وكان من كبار المعجبين بشخصية تيريون لانستر فيها. عرّف تيم أن هناك برنامجاً تلفزيونياً يستند على كتب مارتن، لكنه لم يشعر بالحاجة إلى مشاهدته؛ فخياله يوقر له كل التناين التي يحتاج إليها.

عندما كان شرطياً، أصبح معتاداً على الوجه الليلي لساراسوتا، الذي اختلف عن الأيام المشمسة لبلدة العطلات تلك تماماً مثلما اختلف السيد هايد عن الدكتور جيكل. كانت الوجه الليلي مثيراً للإشمئزاز في أغلب الأحيان وخطيراً أحياناً، ورغم أنه لم يحبّز أبداً استخدام ذلك التعبير العامي البغيض

لرجال الشرطة عند إشارتهم إلى المدمنين الميتين وبائعات الهوى المعنّفات - NHI (لا بشر ضالعون) - إلا أن عشر سنوات في الخدمة جعلته شخصاً ساخراً. فراح يعيد تلك المشاعر إلى المنزل أحياناً (أو بالأحرى غالباً، حسبما يُخبر نفسه عندما يكون مستعداً ليقول الصراحة)، وقد أصبحت جزءاً من الحمض الذي أذاب زواجه. افتراض أن تلك المشاعر كانت أيضاً أحد أسباب بقائه ممانعاً لفكرة إنجاب ولد. فهناك أمور سيئة كثيرة في الخارج. وهناك أمور كثيرة يمكن أن تسوء. التمساح في ملعب الغولف هو أخفّها حدّة.

عندما حصل على وظيفة القارع الليلي، ما كان ليصدّق أن بلدة تضم خمسة آلاف وأربعمئة نسمة (معظمهم في النواحي الريفية النائية) يمكن أن يكون لها وجه ليلي، لكن دويراي فاجأته بذلك، واكتشف تيم أن هذا يُعجبه. الأشخاص الذي يلتقي بهم في الوجه الليلي كانوا في الواقع أفضل شيء في الوظيفة.

هناك مثلاً السيدة غولسبي، التي يتبادل معها تحية هادئة في معظم الليالي عندما يبدأ جولته الأولى. تكون جالسة على أرجوحة شرفتها، تتأرجح بلطف ذهاباً وإياباً، وترشف من كوب ربما يحتوي على شراب اسكتلندي أو مياه غازية أو شاي بالبانونج. يجدها أحياناً لا تزال هناك على الأرجوحة في مروره الثاني. فرانك پوتر، أحد المعاوين الذين يتناول معهم العشاء في مطعم بّف أحياناً، هو الذي أخبره أن السيدة غ فقدت زوجها السنة الماضية، عندما انزلت عربة وندل غولسبي عن طريق ويسكنسن العام خلال عاصفة ثلجية.

«لم تبلغ الخمسين من عمرها بعد، لكن وّن وادي تزوجا منذ فترة طويلة جداً»، قال فرانك. «عقدا قرانهما عندما كانا لم يبلغا بعد السن القانوني للتصويت أو لشراء شراب قانوني. مثلما تقول أغنية تشاك بيرري، تلك التي تتحدث عن عرس مراهقين. ذلك النوع من الزيجات لا يصمد طويلاً عادة، لكن زواجهما صمد».

تعرف تيم أيضاً على آني اليتيمة، وهي امرأة مشرّدة غالباً ما تنام على فراش هوائي في الزقاق الممتد بين مكتب المأمور ودويراي للتجارة. لديها أيضاً خيمة صغيرة في حقل خلف محطة القطارات تنام فيها عندما تُمطر السماء.

«إسمها الحقيقي آني لودو»، قال بيل ويكلو عندما سأله تيم. بيل أقدم المعاوين في دويراي ويعمل بدوام جزئي، وبدأ أنه يعرف جميع سكان البلدة.

«بدأت تنام في ذلك الزقاق منذ سنوات. تفصّل على الخيمة».

«ماذا تفعل عندما يصبح الطقس بارداً؟»، سأل تيم.

«تذهب إلى ياماسي. تأخذها روني غيبسون معظم الأوقات. هناك قرابةً بينهما، نسيبتان من المستوى الثالث أو ما شابه. يوجد ملجأً للمشتردين هناك. تقول أنني لا تستخدمه إلا إذا اضطرت إلى ذلك، بحجة أنه مليء بأشخاص مجانيين. أجبها انظروا من يتكلم».

فحص تيم مخبأها في الزقاق ذات ليلة، وزار خيمتها بعد يوم واحد من وريدته في المستودع، بدافع الحشرية البسيطة فقط لا غير. رأى ثلاثة أعلام مغروسة في التربة أمام الخيمة على قضبان خيزران: نجوم وتقليمات، نجوم وأشربة، وعلم لم يعرفه تيم.

«هذا علم غويانا»، قالت عندما سألها. «وجدته في برميل النفايات خلف بقالة زوني. جميل، أليس كذلك؟».

كانت تجلس على كرسي مريح مغطى ببلاستيك شفاف وتحيك وشاحاً بدا طويلاً كفاية لأحد عمالقة جورج ر. ر. مارتن. كانت ودودة كفاية، ولم تُظهر أي أثر لما سمّاه أحد زملاء تيم في شرطة ساراسوتا «متلازمة جنون الارتياب لدى المشتردين»، لكنها كانت من محبّي الأحاديث الإذاعية في أواخر الليل على محطة WMDK، ومحادثتها تستطرد أحياناً إلى مواضيع غريبة عن الصحون الطائرة والأرواح البديلة والأرواح الشريرة.

ذات ليلة عندما وجدها مستلقية على فراشها الهوائي في الزقاق تستمع إلى راديوها الصغير، سألها لماذا تبقى هنا بينما لديها خيمة في حالة ممتازة. نظرت إليه أنني اليتيمة - ربما في الستين أو حتى الثمانين من عمرها - كما لو أنه مجنون. «هناك أكون قريبة من الشر-طة. هل تعرف ماذا يوجد خلف المحطة والمستودعات يا سيدج؟».

«أظن الغابة».

«الغابة والمستنقع. كيلومترات من الأراضي السبخة والقذارة والأفخاخ المهلكة التي تصل حتى جورجيا. يوجد مخلوقات هناك، وبعض الكائنات البشرية السيئة أيضاً. عندما تُمطر بغزارة وأضطر إلى البقاء في خيمتي، أخير نفسي أن لا شيء سيخرج على الأرجح في عاصفة مطيرة، لكنني لا أنام جيداً.

لديّ سكين وأبقياها بمتناول يدي، لكنني لا أعتقد أنها ستفيدني كثيراً ضد جرد مستنقع مخبول».

آني نحيلة إلى درجة الهزلة، واعتاد تيم أن يُحضر لها بعض الأطايب من مطعم بَنَف قبل أن يبدأ ورديته القصيرة بالتحميل والتفريغ في المستودع. يُحضر لها أحياناً كيس فول سوداني محمّص أو قشور لحم محمّرة، وأحياناً فطيرة قمر أو قطعة تارت بالكرز. أحضر لها ذات مرة مرطبان مخلل ويكلز احتضنته بين ثدييها الهزيلين وهي تضحك من السرور.

«مخلل ويكلز! لم أتناول منها منذ أن كان هيكتور جرواً! لماذا أنت طيب معي هكذا يا سيد ج؟».

«لا أعرف»، قال تيم. «أظن أنك تروقين لي فحسب يا آني. هل يمكنني تناول واحدة من هذه؟».

أعطته المرطبان. «بالتأكيد. عليك أن تفتحه علي أي حال، لأن يديّ متقرّحتان جداً من التهاب المفاصل». مدّتهما له ليرى أصابع مفتولة بشكل سيئ لدرجة أنها تشبه قطع خشب عائمة. «لا أزال قادرة على الحياكة والخياطة، لكن لا أعلم إلى متى سأبقى قادرة على ذلك».

فتّح المرطبان، وجعل قليلاً من رائحة الخل القوية، وأخرج إحدى رقائق المخلل. كانت تقطر شيئاً يمكن أن يكون فورمالديهايد على حدّ علمه.

«أعدّه لي، أعدّه لي!».

أعاد لها المرطبان وأكل قطعة المخلل. «يا للهول يا آني، قد لا يُشفى فمي أبداً».

ضحكت مُظهرةً بضعة أسنان متبقية. «إنها أفضل مع الخبز والزبدة ومشروب غازي بارد. أو شراب شعير، لكنني لم أعد أشرب هذا».

«ماذا تحيكن؟ هل هذا وشاح؟».

«لن يأتي المرء بشيابه»، قالت آني. «انصرف الآن يا سيدج وأدّ واجبك. احذر من الرجال في السيارات السوداء. جورج أولمان يتكلم عنهم على الراديو طوال الوقت. أنت تعرف من أين يأتون، أليس كذلك؟». رمقته بنظرة عليمة. ربما كانت تمزح. أو لا. من الصعب معرفة ذلك مع آني اليتيمة.

كوريبت دنتون قاطنٌ آخر للوجه الليلي لدويراي. إنه حلاق البلدة، ومعروف محلياً بالطبّال، بسبب مآثرة خلال فترة المراهقة بدا أن لا أحد يتذكّرها تماماً، فقط أنها أدّت إلى طرده من الثانوية الإقليمية لمدة شهر. ربما كان جامعاً في أيام طيش شبابه، لكن تلك الأيام ولّت إلى غير رجعة. الطبّال في أواخر خمسيناته أو أوائل ستيناته الآن، بدين جداً، أصلع، ومبتلّ بالأرق. عندما لا يستطيع أن ينام، يجلس على عتبة متجره ويراقب شارع دويراي الرئيسي الفارغ. الفارغ ما عدا من تيم، طبعاً. يتبادلان الدردشات العابرة عن المعلومات العامة - الطقس، البيسبول، معرض الصيف السنوي في البلدة - لكن ذات ليلة قال دنتون شيئاً أجفَلَ تيم.

«أتعلم يا جايميسون؟ هذه الحياة التي نعتقد أننا نعيشها غير حقيقية. إنها مجرد مسرحية ظلال، ومن جهتي سأكون مسروراً عندما تنطفئ الأضواء عليها. ففي الظلمة، كل الظلال تختفي».

جلّس تيم على العتبة تحت سارية الحلاق، وقد هدأ لولبها الذي لا ينتهي خلال الليل. خلّع نظاراته، ولمّعها على قميصه، وأعاد ارتداءها. «الإذن بالتكلم بحرية؟».

تَقّف الطبّال سيجارته في المزراب، حيث تطايرت شرارات صغيرة منها. «تفصّل. بين منتصف الليل والرابعة، يجب أن يحق للجميع أن يتكلموا بحرية. هذا رأيي، على الأقل».

«تبدو كأنك رجل يعاني من الكآبة».

ضحك الطبّال. «سأسمّيكَ شيرلوك هولمز».

«يجب أن تذهب لرؤية الطبيب روبر. هناك حبوب سترفع معنوياتك. كانت طليقتي تأخذها. رغم أن تخلصها مني رفع لها معنوياتها أكثر على الأرجح». ابتسم ليُظهِر أن هذه نكتة، لكن الطبّال لم يبادل الابتسام، بل وقف على قدميه فحسب.

«أعرف عن تلك الحبوب يا جايميسون. مفعولها كالشراب والمخدرات. على الأرجح مثل الحبوب التي يتعاطاها الأولاد هذه الأيام عندما ينتشون، أو مهما تكن الحالة التي يسمّونها. تجعلك تلك الأشياء تصدّق لبرهة أن كل هذا حقيقي. أنه مهمّ. لكنه ليس حقيقياً ولا مهماً».

«بالله عليك»، قال تيم بلطف. «لا يجب أن تكون على هذه الحالة».

«برأيي، إنها الحالة الوحيدة الممكنة»، قال الحلاق وسار نحو الدرجات التي تقود إلى شقته فوق صالون الحلاقة. كانت مشيته بطيئة ومتثاقلة.

بقي تيم يراقبه قلقاً. شَعَرَ أن الطَّبَّال من أولئك الأشخاص الذين قد يقرِّرون ذات ليلة ماطرة أن يقتلوا أنفسهم. وربما يأخذ كلبه معه، لو كان لديه كلب. مثل فرعون مصري قديم. فكر بأن يكلم المأمور جون عنه، ثم فكر بويندي غوليكسون، التي لا تزال لم تِلن كثيراً. فأخّر شيء يريده هو أن تظن هي أو أحد المعاونين الآخرين أنه يزهو بنفسه. لم يعد شرطياً يفرض القانون، بل مجرد قارع ليلى في البلدة. من الأفضل أن ينسى المسألة.

لكن الطَّبَّال لم يغادر باله أبداً.

12

في جولته ذات ليلة فُيِّل نهاية يونيو، لاحظ فتّين يسيران غرباً في الشارع الرئيسي ويحمل كل واحد منهما حقيبة على ظهره وصندوق غداء في يده. كان يمكن أن يكونا متوجّهين إلى المدرسة، لولا أنها الثانية فجراً. تبيّن له أن دَيْنك المتنرّهين الليليين هما توأما بيلسون. كانا حانقين من والديهما لأنهما رفضا أخذهما إلى معرض دانيغ الزراعي لأن تقرير علامتهما في المدرسة لم يكن مقبولاً.

«حصلنا على علامة مقبول في أغلب المواد ولم نحصل على أي علامة راسبة»، قال روبرت بيلسون، «وما السيئ في هذا؟».

«هذا ليس عدلاً»، أضاف رولاند بيلسون. «سنكون في المعرض في الصباح الباكر ونبحث عن وظيفة. سمعنا أنهم بحاجة دائماً إلى جمّالين».

فكّر تيم بإخبار الفتى أن الكلمة الصحيحة هي حمّالين، ثم قرّر أن هذا خارج الموضوع. «أيها الولدان، أكره أن أفرق لكما بالونكما، لكن كم سنكما؟ إحدى عشرة سنة؟».

«اثنتا عشرة سنة!»، أجاباً معاً.

«حسناً، اثنتا عشرة سنة. أبقيا صوتكما منخفضاً، هناك أشخاص نائمون. لا أحد سيوظفكما في ذلك المعرض. ما سيفعلونه هو رميكما في سجن الدولار بأي عذرٍ وُبقيانكما هناك إلى أن يحضّر والداكما. وإلى أن يحضّرنا،

سيأتي الناس ليحدّثوا بكما ببلاهة. وحتى إن البعض قد يرمي لكما بعض الفول السوداني أو قشور اللحم المحمّر».

حدّق به توأما بيلسون برعب (وربما ببعض الارتياح؟).

«إليكما ما تفعلانه»، قال تيم. «تعودان إلى المنزل الآن، وسأسير خلفكما، فقط لأتأكد أنكما لن تغيّرا رأيكما الجماعي».

«ما هو الرأي الجماعي؟»، سأل روبرت.

«هذا شيء مشهور أن التوائم يملكونه، على الأقل وفقاً للتراث الشعبي. هل استخدمتما الباب أم خرجتما من النافذة؟».

«النافذة»، قال رولاند.

«حسناً، هكذا ستعودان. إذا كنتما محظوظين، لن يعرف والداكما أبداً أنكما خرجتما».

روبرت: «لن تُخبرهما؟».

«لا، إلا إذا رأيكما تعيّدان الكرّة»، قال تيم. «عندها لن أخبرهما فحسب ماذا فعلتما، بل سأخبرهما أيضاً كيف كنتما وقحين معي عندما قبضتُ عليكما».

رولاند، مصدوم: «لم نفعل أي شيء من هذا القبيل!».

«سأكذب»، قال تيم. «أنا بارع في ذلك».

تبعهما، وراقب كيف صنع روبرت بيلسون درجةً بيديه ليساعد رولاند على صعود النافذة المفتوحة. ثم صنع تيم نفس الدرجة لروبرت. انتظر ليري إن كان ضوءٌ سيُضاء في مكان ما، كدليل على اكتشاف أمر الراغبين في الفرار، وعندما لم يحصل ذلك، استأنف جولاته.

13

ازداد عدد الأشخاص المتواجدين خارج منازلهم ليلتي الجمعة والسبت، على الأقل حتى منتصف الليل أو الواحدة فجراً. أغلبهم أزواج يتغازلون. بعد ذلك قد تحصل غزوة من الذين سمّاهم المأمور جون صواربخ الطريق، شباب في سيارات أو شاحنات محسّنة قوة محرّكاتهما يتسابقون جنباً إلى جنب في

شارع دويراي الرئيسي الفارغ بسرعة حوالي مئة كيلومتر في الساعة، ويوقظون الناس بالهدير المشاكس لعوادم مركباتهم. أحياناً يوقف معاونٌ من شرطة الولاية أحدهم ويحرّر ضبطاً بحقه (أو يسجنه إذا نفخ نسبةً هي 0.09)، لكن حتى مع وجود أربعة رجال من شرطة دويراي يناوبون خلال ليالي عطلة نهاية الأسبوع، كان الاعتقال نادراً نسبياً. يفلتون من عواقب أفعالهم في أغلب الأحيان.

ذهب تيم لرؤية آني اليتيمة. وجدها جالسةً خارج خيمتها تحيك خُفّاً. سواء كانت مصابة بالتهاب المفاصل أم لا فإن أصابعها تتحرّك كالبرق. سألتها إن أرادت أن تجني عشرين دولاراً. قالت آني إن بعض المال مفيد دائماً، لكن الأمر يعتمد على طبيعة العمل. أخبرها، وقوات.

«يسرّني فعل ذلك يا سيد ج. إذا أضفت مرطباتي مخلّل وبكلز».

آني، التي بدا أن شعارها هو «كن مقدماً أو إلزم منزلك»، صنعت له راية طولها عشرة أمتار وعرضها متران. ربطها تيم ببكرة فولاذية صنعها بنفسه عبر تلحيم بعض الأنابيب ببعضها في متجر فرومي لبيع وإصلاح المحرّكات الصغيرة. وبعد أن شرح للمأمور جون ماذا أراد أن يفعل ونيله الإذن بالمحاولة، علق تيم وتاغ فاراداي البكرة على سلك فوق التقاطع الثلاثي الاتجاه للشارع الرئيسي، وثبت السلك بالواجهة الكاذبة لصيدلية أوبرغ من جهة وبصالة السينما الميتة من الجهة الأخرى.

في ليالي الجمعة والسبت، وقُبيل إغلاق المقاصف أبوابها، يشدّ تيم حبلًا ينشر الراية مثل ستارة نافذة. رسمت آني كاميرا قديمة الطراز على جهتي الراية. والرسالة المكتوبة تحتها تقول **أبطئ السرعة أيها الأحمق! نحن نصوّر لوحة رقم سيارتك!**

لم يكونوا يفعلون هكذا شيء طبعاً (رغم أن تيم دوّن أرقام السيارات عندما تسنى له أن يلحظها)، لكن بدا أن راية آني نجحت في الواقع. لم تكن مثالية، لكن هل هناك أي شيء في الحياة مثالي؟

في أوائل يوليو، استدعى المأمور جون تيم إلى مكتبه. سأل تيم إن كان في ورطة.

«على العكس تماماً»، قال المأمور جون. «أنت تؤدّي عملاً جيداً. تلك الراية بدت لي ضرباً من الجنون، لكن عليّ أن أقرّ أنني كنتُ مخطئاً وكنتُ محقّاً. لم أكن أنزعج أبداً من سباقات منتصف الليل، على أي حال، أو من

الأشخاص الذين يشتكون أننا كسولون جداً لنضع حداً لها. علماً أنهم نفس الأشخاص الذين يصوّتون بعدم زيادة رواتب رجال فرض القانون سنة تلو الأخرى. ما يزعجني هي الفوضى التي علينا إزالتها عندما يرتطم أحد أولئك الحمقى بشجرة أو عمود هاتف. الموت سيئ، لكن أولئك الذين لا يعودون أبداً إلى سابق طبيعتهم بعد إحدى تلك الليالي الغيبة... أعتقد أحياناً أنهم أسوأ. لكن يونيو كان مقبولاً هذه السنة. أفضل من مقبول. ربما كان مجرد استثناء للقاعدة العامة، لكنني لا أعتقد ذلك. أعتقد أنها الراجح. أخيراً أتينا ربما أنقذت بعض الأرواح برايتها تلك، ويمكنها أن تنام في إحدى الزنازين الخلفية في أي ليلة بعدما يصبح الطقس بارداً».

«سأفعل ذلك»، قال تيم. «طالما أن لديك مخزوناً من مخلل ويكلز، ستأتي كثيراً».

مال المأمور جون إلى الورا. تأوه كرسيه بيأس أكثر من أي وقت مضى. «عندما قلتُ إن مؤهلاتك أفضل بكثير من المؤهلات المطلوبة لوظيفة القارع الليلي، لم أكن أعرف نصفها. سنفتقدك عندما تنتقل إلى نيويورك».

«لستُ على عجلة من أمري»، قال تيم.

14

المتجر الوحيد في البلدة الذي يبقى فاتحاً أبوابه على مدار الساعة هو بقالة زوني قرب مجمّع المستودعات. بالإضافة إلى شراب الشعير والمياه الغازية ورقائق البطاطس، يبيع زوني بنزينا سيئ النوعية يدعى عصير زوني. يعمل أخوان صوماليان وسيمان، أبسيميل وغوتالي دوبيرا، بالتناوب خلال الليل من منتصف الليل حتى الثامنة صباحاً. في ليلة حارة في منتصف يوليو، وبينما كان تيم يعلم بالطبشورة ويقرع خلال جولته في الطرف الغربي للشارع الرئيسي، سمع دويّاً من جوار بقالة زوني. لم يكن دويّاً صاحباً جداً، لكن تيم يعرف الطلقة النارية عندما يسمع واحدة. تلتها صيحة ألم أو غضب، ثم صوت تحطم زجاج.

بدأ تيم يركض، وساعة الدوام تتخبط على فخذه، ويده تتلمس تلقائياً بحثاً عن عَقَب مسدّس لم يعد هناك. رأى سيارة مركونة عند المضخّات، وبينما اقترب من متجر البقالة، اندفع شابان من داخله، ويد أحدهما تقبض على شيء كان مالاً على الأرجح. ركع تيم على ركبته، وراقبهما يركبان السيارة وينطلقان بسرعة جعلت العجلات تنفث دخاناً أزرق من الزفت الملتصق بالوقود والزيوت.

سحب جهازه اللاسلكي من حزامه. «المركز، هنا تيم. من معي، أجنبي».

كانت ويندي غوليكسون، التي بدت نعسانة ومنزعجة. «ماذا تريد يا تيم؟».

«حصل سلبٌ في بقالة زوني. وأطلقت طلقة نارية».

هذا أيقظها. «يا للهول، سلب؟ سأتي فو-»

«لا، فقط اسمعيني. مجرمان، ذكران، أبيضان، مراهقان أو في العشرينات من عمرهما. سيارة صغيرة. ربما هي شيفروليه كروز، لا مجال لتحديد اللون في تلك الأضواء الفلورية لمحطة الوقود، لكن الطراز حديث، لوحتها من كارولينا الشمالية، تبدأ بـ WTB-9، لم أستطع رؤية الأعداد الثلاثة الأخيرة. انشري الخبر لكل شخص يقوم بدورية ولشرطة الولاية قبل أن يفعلوا أي شيء آخر!».

«ما -»

نقر جهازه اللاسلكي لإطفائه، وأعادته إلى قرابه، ثم ركض بسرعة نحو بقالة زوني. وجد الزجاج الأمامي لصندوق الدفع محطماً والصندوق مفتوحاً، وأحد الأخوين دوبرا ملقى على جنبه في حوض دم يكبر تدريجياً. كان يلهث ليلتقط أنفاسه، وكل شهيق ينتهي بصفرة في صدره. ركع تيم بجانبه. «عليّ أن أديرك على ظهرك يا سيد دوبرا».

«لا رجاء... يؤلم...»

كان تيم متأكداً أنه يتألم، لكنه يحتاج إلى رؤية الضرر. لقد اخترقت الرصاصة عالياً عند الجهة اليمنى لثوب دوبرا الفضيض الأزرق الخاص ببقالة زوني، الذي أصبح أرجوانياً موجلاً من الدم. هناك المزيد من الدم يسيل من فمه، ويبلل لحيته. عندما سعل، رشّ وجه تيم ونظاراته بقطرات دقيقة.

أمسك تيم جهازه اللاسلكي مرة أخرى، وارتاح عند اكتشافه أن غوليكسون لم تغادر مركزها. «أحتاج إلى إسعاف يا ويندي. وبأسرع ما يمكن من دانيغ. أحد الأخوين دوبرا مُصاب برصاصة يبدو أنها اخترقت رثته».

أكدت استلامها المعلومة، ثم بدأت تطرح سؤالاً. قاطعها تيم مرة أخرى، وألقى جهازه اللاسلكي على الأرض، وخلع القميص التائي الذي يرتديه.

ضَعَطَه عَلَى الفجوة فِي صدر دوبيرا. «هل يمكنك ضغط هذه لبضع ثوانٍ يا سيد دوبيرا؟».

«التنفس... صعب».

«أنا أكيد من ذلك. اضغطه. سيساعدك».

ضَعَطَ دوبيرا القميص المَجْعَد على صدره. شَعَرَ تيم أنه لن يكون قادراً على ضغطه لفترة طويلة، ولا يمكنه توقع وصول الإسعاف قبل عشرين دقيقة على الأقل. حتى وصولها بهذه المدة سيكون أعجوبة.

متاجر البقالة التي تباع وقوداً تعجّ بالوجبات الخفيفة وتفتقر لأطقم الإسعافات الأولية. لكنه عثر على بعض الفازلين. أمسك تيم مرطباناً، وعلبة حفاظات أطفال من الرواق التالي. مزّق العلبة بينما عاد مسرعاً إلى الرجل الممدّد على الأرض. نزع القميص التائي، المَبْتَل بالدم بالكامل الآن، ورفع بلطف الثوب الفضفاض الأزرق المَبْتَل بشكل مماثل، وبدأ يفكُّ أزرار القميص الذي يرتديه دوبيرا تحته.

«لا، لا، لا»، أنّ دوبيرا. «هذا مؤلم، لا تلمسني، رجاءً».

«عليّ ذلك». سمع تيم محرّكاً يقترب. بدأت أضواء زرقاء تلمع وترقص على شظايا الزجاج المحطم. لم يلتفت. «اصمد يا سيد دوبيرا».

غرفَ كمية من الفازلين من المرطبان ووضعها على الجرح. صرّخ دوبيرا من الألم، ثم نظّر إلى تيم بعينين محمليّتين. «يمكنني أن أتنفس... قليلاً أفضل».

«هذا مجرد إصلاح مؤقت، لكن إذا أصبح تنفّسك أفضل فهذا يعني أن رئتيك لن تتوقفا عن العمل على الأرجح». على الأقل ليس كلياً، فكّر تيم في سرّه.

دخّل المأمور جون وركع بجانب تيم. كان يرتدي قميص بيجامة بحجم شرع رئيسي فوق بنطلون زيّه الرسمي، وشعره منفوش في كل اتجاه.

«وصلت إلى هنا بسرعة»، قال تيم.

«كنتُ مستيقظاً. لم أستطع النوم، لذا أعددتُ شطيرة لنفسي عندما اتصلت ويندي. سيدي، هل أنت غوتالي أو أبسيميل؟».

«أبسيميل، سيدي». كان لا يزال تنفّسه يصفر، لكن بشكل أقوى. أخذ تيم أحد حفاضات الأطفال التي تُستخدم لمرة واحدة، وضغطه على الجرح وهو لا يزال مطويًا. «آه، هذا مؤلم».

«هل خرجت الرصاصة منه، أم لا تزال في الداخل؟»، سأل المأمور جون.

«لا أعرف، ولا أريد أن أديره مرة أخرى لكي أعرف. حالته مستقرة نسبيًا، لذا علينا انتظار الإسعاف فحسب».

فرّق لاسلكي تيم. رفعه المأمور جون بحذر شديد من كومة الزجاج المحطّم. كانت ويندي. «تيم؟ لمخّ بيل ويكلو ذينك الشابين على طريق المرح العميق وأطلق عليهما النار».

«أنا جون يا ويندي. أخيري بيل أن يحذر لأنهما مسلّحان».

«لقد قُضي عليهما». ربما كانت ويندي نعيّانة سابقًا، لكنها مستيقظة بالكامل الآن، وتبدو راضيةً. «حاوّلوا الفرار فحطما سيارتهما. كسرت ذراع أحدهما، والآخر مكبّل اليدين بقضيب مخفّف الصدمات في سيارة بيل. شرطة الولاية في طريقها إليهم. أخير تيم أنه كان محقًا بأنها كُرُوز. كيف حال دوبرا؟».

«سيكون بخير» قال المأمور جون. لم يكن تيم متأكدًا كليًا من ذلك، لكنه فهم أن المأمور يكلم الرجل الجريح مثلما يكلم المعاونة غوليكسون.

«أعطيتهم المال الموجود في صندوق الدفع»، قال دوبرا. «هذا ما يُقال لنا إننا علينا فعله». بدا خجلًا. خجلًا جدًا.

«فعلت الصواب»، قال تيم.

«الذي كان يحمل المسدّس أطلق النار عليّ رغم ذلك. ثم الآخر حطّم صندوق الدفع. ليأخذ...». مزيد من السعال.

«أسكت، الآن»، قال المأمور جون.

«ليأخذ تذاكر القرعة»، قال أبسيميل دوبرا. «تلك ذات النوع الذي يُحكّ. يجب أن تُعاد. فالى أن تُباع، تبقى مُلك...». سعلَ بضعف. «ولاية كارولينا الجنوبية».

قال المأمور جون، «إلزم الصمت يا سيد دوبيرا. توقف عن القلق بشأن تلك التذاكر اللعينة ووقّر قوتك».

أغمض السيد دوبيرا عينيه.

15

في اليوم التالي، وبينما كان تيم يتناول غداءه على شرفة محطة القطارات، توقف المأمور جون في مركبته الشخصية. صعد الخطوات ونظر إلى المقعد المرتخي للكرسي الشاغر الآخر. «هل تعتقد أنه سيتحمّلني؟».

«هناك طريقة واحدة فقط لمعرفة ذلك»، قال تيم.

جلس المأمور جون بحذر شديد. «يقول المستشفى إن دوبيرا سيكون بخير. أخوه معه - غوتالي - ويقول إنه رأى ذينك الحقييرين من قبل. مرتين».

«كانا يستطلعان المكان»، قال تيم.

«لا شك. أرسلتُ تاغ فاراداي ليأخذ إفادة الأخوين. تاغ أفضل من لديّ، وأعتقد أنني لم أكن بحاجة لأخبرك ذلك».

«غيبسون وبوركيت ليسا سيئين».

تنهّد المأمور جون. «لا، لكن أياً منهما ما كان ليتحرّك بنفس السرعة أو الحسم مثلما فعلت ليلة أمس. وويندي المسكينة كانت على الأرجح لتقف هناك تحدّق ببلاهة، هذا إذا لم تفقد وعيها فوراً».

«إنها جيدة على المورّع»، قال تيم. «مناسبة تماماً للوظيفة. هذا رأيي فقط».

«نعم، نعم، وبارعة في الأعمال المكتبية - أعادت تنظيم كل ملفاتنا العام الماضي، كما خزّنت كل شيء على محرّكات أقراص وامضة - لكن على الطريق، تكاد تكون عديمة الجدوى. علماً أنها مسرورة أنها عضو في الفريق. ما رأيك أن تصبح عضواً في الفريق يا تيم؟».

«لم أعتقد أنه يمكنك تحمّل راتب شرطي آخر. هل حصلتكم كلكم فجأة على زيادة في الراتب؟».

«أتمنى. لكن بيل ويكلو سيسلم شارته في نهاية السنة. وكنت أفكر أنه يمكنكما ربما مقايضة وظيفتيكما. هو يسير ويقرع، وأنت ترتدي زيّاً رسمياً وتحمل مسدساً مرة أخرى. سألتُ فرانك. يقول إن القرع الليلي يناسبه، لبعض الوقت على الأقل.»

«هل يمكنني أن أفكر بالمسألة؟»

«لا مانع». نهض المأمور جون. «لا تزال هناك خمسة أشهر تفصلنا عن نهاية السنة. لكن سيسرنا أن تكون معنا.»

«هل هذا يشمل المعاونة غوليکسون؟»

ابتسم المأمور جون. «ويندي صعبة الاستمالة، لكنك قطعت مسافةً طويلةً على ذلك الدرب ليلة أمس.»

«حقاً؟ وإذا دعوتها إلى العشاء، ما رأيك ستقول؟»

«أعتقد أنها ستقبل، طالما أنك لم تكن تفكر بأخذها إلى مطعم بّف. فتاة جميلةٌ مثلها ستتوقع راوندأپ في دانينغ، بالحد الأدنى. وربما ذلك المطعم المكسيكي في هارديفيل.»

«شكراً على النصيحة.»

«لا مشكلة. وفكر بتلك الوظيفة.»

«سأفعل.»

فكر بها. وكان لا يزال يفكر بها عندما فُتحت كل أبواب الجحيم ذات ليلة حارة في وقت لاحق من ذلك الصيف.

الولد الذكي

1

صباح يوم جميل من أبريل تلك السنة في مينيابوليس - بعد أشهر على وصول تيم جايميسون إلى دويراي - كان هيربرت وأيلين إليس يدخلان مكتب جيم غرير، أحد مستشاري الإرشاد الثلاثة في مدرسة برودريك للأولاد الاستثنائيين.

«لوك ليس في ورطة، أليس كذلك؟»، سألت آيلين بينما جلسا. «إذا كان فهو لم يقل أي شيء».

«على الإطلاق»، قال غرير. كان في ثلاثيناته وذا شعر بني خفيف ووجه جاد، ويرتدي قميصاً رياضياً مفتوحاً عند الياقة وسروال جينز مكويماً. «اسمعا، أنتما تعرفان كيف تسير الأمور هنا، صح؟ كيف يجب أن تسير الأمور، نظراً للقدرة الذهنية لطلابنا. يتم تقييمهم لكن ليس بعلامات. لا يمكن فعل ذلك. لدينا أولاد في العشرة من أعمارهم مصابون بتوحد طفيف يُنجزون رياضيات المدرسة الثانوية لكنهم لا يزالون غير قادرين على قراءة كتب الصف الثالث. لدينا أولاد فصيحون في ما يصل إلى أربع لغات لكنهم يجدون صعوبة في ضرب الكسور. نعلمهم كل المواد، ونكون مدرسةً داخليةً لتسعين بالمئة منهم - نحن مضطرون إلى ذلك، لأنهم يأتون من كل أنحاء الولايات المتحدة وحوالي عشرة منهم من خارج البلاد - لكننا نركز انتباهنا على مواهبهم الخاصة، مهما يصدق أن تكون. هذا يجعل النظام التقليدي حيث يتقدم الأولاد من روضة الأطفال إلى الصف الثاني عشر عديم جدوى لنا بالكامل».

«نفهم هذا»، قال هيرب، «ونعرف أن لوك ولد ذكي. لهذا السبب هو هنا». ما لم يُكمل ويقول (بالطبع عرفه غرير) هو أنها لما استطاعا أبداً تحمّل الرسوم الفلكية للمدرسة. فهيرب مراقب العمّال في مصنع صناديق، وأيلين أستاذة في مدرسة النحو. كان لوك أحد الطلاب النهاريين القلة في برود، وأحد طلاب المدرسة القليلين جداً الذين يتلقون منحة تعليمية.

«ذكي؟ ليس تماماً».

أخض عُريِر نظره إلى مجلد مفتوح على مكتبه النقي لولا ذلك، وانتاب آيلين هاجس مفاجئ: إما سيُطلب منهما سحب إيهما، أو أن منحه التعليمية سألغى - وهذا يجعل سحبه ضرورةً. فالرسوم التعليمية السنوية في برود تبلغ أربعين ألف دولار، أي نفس رسوم هارفرد تقريباً. سيُخبرهما عُريِر أن كل شيء كان خطأ، أن لوك لم يكن ذكياً مثلما ظنَّ الجميع. أنه مجرد ولد عادي يقرأ أعلى من مستواه بكثير ويبدو أنه يتذكره كله. عرفت آيلين من قراءاتها الذاتية أن الذاكرة الصورية ليست شيئاً غير مألوف تماماً لدى الأولاد اليافين؛ فما بين عشرة وخمسة عشرة بالمئة من كل الأولاد العاديين يملكون القدرة على تذكر كل شيء تقريباً. المشكلة هي اختفاء الموهبة عادة عندما يصبح الأولاد مراهقين، ولوك يقترب من تلك المرحلة العمرية.

ابتسم عُريِر. «سأطلعكما علي الأمر بلا موارد. نحن نفتخر أننا نعلم أولاداً استثنائيين، لكننا لم نحظ أبداً بطالب في برودريك مثل لوك. أحد أساتذتنا المتقاعدين - السيد فلينت، في ثمانيناته الآن - أخذ على عاتقه تدريس لوك تاريخ البلقان، وهذا موضوع معقد، لكنه موضوع يلقي ضوءاً كبيراً على الوضع الجيوسياسي الحالي. هكذا يقول فلينت، على أي حال. أتى إلي بعد الأسبوع الأول وقال إن خيرته مع إبنكما لا شك تشبه خبرة القدامى مع الحكيم العظيم عندما لم يكن يعلمهم فحسب بل يوبّخهم قائلاً إن ما يدخل أفواههم ليس هو الذي يجعلهم غير أنقياء، بل ما يخرج منها».

«لم أفهم بالضبط»، قال هيرب.

«وكذلك بيلي فلينت. هذا مقصدي».

مال عُريِر إلى الأمام.

«افهماني الآن. امتصّ لوك ما مقداره فصلين دراسيين من الدراسات العليا الصعبة جداً في أسبوع واحد، وتوصّل إلى العديد من الاستنتاجات التي كان فلينت ينوي عرضها عليه بعدما ينتهي من بسط الأرضية التاريخية الملائمة. وقد جادل لوك، وبشكل مُقنع جداً، أن بعض تلك الاستنتاجات عبارة عن «حكمة متلقاة وليست فكرة أصلية». رغم أنه، أضاف فلينت، فعل ذلك بتهذيب كبير. بنبرة اعتذارية تقريباً».

«لست متأكداً كيف أردّ على هذا»، قال هيرب. «لوك لا يتكلم كثيراً عن عمله في المدرسة، لأنه يقول إننا لن نفهم».

«وهذا حقيقي جداً»، قالت آيلين. «ربما كنتُ أعرف شيئاً عن النظرية الثنائية الحدود ذات يوم، لكن هذا كان منذ زمن طويل.»

قال هيرب، «عندما يأتي لوك إلى المنزل، يكون مثل أي ولد آخر. بعدما يُنهي واجباته المدرسية وأعماله المنزلية، يشغل الأكس بوكس أو يلعب كرة السلة في الممر الخاص مع صديقه رولف. لا يزال يشاهد سبونج بوب سكوير بانتس». فكر قليلاً ثم أضاف، «رغم أنه يفعل ذلك عادة وهو يضع كتاباً على حُصنه.»

نعم، فكّرت آيلين في سرّها. كان مؤخراً كتاب مبادئ علم الاجتماع. وقبله، ويليام جايمس. وقبل ذلك، الكتاب الكبير لمنظمة مدمني الشراب المجهولين، وقبله، الأعمال الكاملة لكورماك مكارثي. يقرأ مثلما ترعى الأبقار الطليقة في المراعي، فينتقل إلى حيثما العشب أكثر اخضراراً. هذا شيءٌ اختار زوجها أن يتجاهله، لأن غرابته أخافته. أخافتها أيضاً، وهذا كان على الأرجح أحد الأسباب الذي جعلها لا تعرف شيئاً عن تعلم لوك تاريخ البلقان. لم يُخبرها لأنها لم تسأله.

«لدينا أعاجيب هنا»، قال عُرير. «في الواقع، أكثر من خمسين بالمئة من الهيئة الطلابية في برود يُصنّفون كأعاجيب. لكنهم محدودون. لوك مختلف، لأنه عالمي. ليس في شيء واحد؛ في كل شيء. لا أعتقد أنه سيحترف البيسبول أو كرة السلة يوماً ما -»

«إذا ورث صفات عائلتي، سيكون قصيراً جداً لكرة السلة المحترفة». كان هيرب يتنسم. «إلا إذا تبين أنه سيّد ويب آخر.»

«اسكت»، قالت آيلين.

«لكنه يلعب بحماسة»، تابع عُرير. «يستمتع بها ولا يعتبرها مضيعة للوقت. ليس أخرق في المجال الرياضي. ينسجم جيداً مع زملائه. ليس انطوائياً أو مختلاً عاطفياً بأي طريقة. لوك ولد أميركي نموذجي رصين قليلاً يرتدي قمصاناً تائيةً لفرق روك ويدير قبعته عكسياً على رأسه. قد لا يكون بهذه الرصانة في مدرسة عادية - الوتيرة اليومية المرهقة قد تُفقدّه أعصابه - لكنني أعتقد أنه سيكون بخير حتى هناك؛ سيتابع دراسته من تلقاء نفسه فحسب». ثم أضاف بسرعة: «لا أقصد أنكما ستريدان اختبار ذلك.»

«لا، نحن سعداء بوجوده هنا»، قالت آيلين. «كثيراً. ونعرف أنه ولد جيد. نحبه إلى حد الجنون.»

«وهو يحبُّكما. أجريْتُ عدةَ محادثات معه وهو يوضح ذلك تمام الوضوح. من النادر جداً العثور على ولد لامع إلى هذا الحدِّ. ومن النادر أكثر العثور على ولد حسن التكيُّف وراسخ الأساس أيضاً - يرى العالم الخارجي وكذلك العالم الذي داخل رأسه».

«إذا لم يكن هناك أي خلل، لماذا نحن هنا؟»، سأل هيرب. «لا أقصد أنني أمانع سماع إطراءاتك عن إبني. وبالمناسبة، لا أزال أستطيع أن أهزمه شرَّ هزيمة في كرة السلة، رغم أن لديه بعض الرميات الممتازة».

مال عُربير على كرسيه إلى الوراء واختفت الابتسامة. «أنتما هنا لأننا نكاد نصل إلى أقصى ما يمكننا أن نفعله للوك، وهو يعرف ذلك. لقد عبَّر عن اهتمامه ببعض أعمال الكلية الفريدة. يرغب أن يدرس الهندسة في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا في كامبريدج، والأدب الإنكليزي في إمرسون، على الضفة الأخرى للنهر في بوسطن».

«ماذا؟»، سألت آيلين. «في الوقت نفسه؟».

«نعم».

«ماذا بشأن اختبارات السات؟». هذا كان كل ما تستطيع آيلين التفكير فيه.

«سيخضع لها الشهر القادم، في مايو. في ثانوية نورث كوميونيتي. وسيحقق نتائج باهرة فيها».

عليَّ أن أوصِّب له علبة غداء، فكَّرت في سرِّها. سمِعْتُ أن طعام الكافيتيريا في نورث كوميونيتي مربع.

بعد لحظة من الصمت المذهول، قال هيرب، «سيد عُربير، إننا في الثانية عشرة من عمره. في الواقع، أتمُّ الثانية عشرة الشهر الماضي فقط. قد يكون مولعاً بصربيا، لكن شاربه لن يبدأ بالظهور قبل ثلاث سنوات أخرى. أنت... هذا...»

«أفهم شعورك، وما كنا لُنْجري هذه المحادثة لو لم يكن الأساتذة المرشدون له وبقية أفراد هيئة التعليم مقتنعين أنه قادر على النجاح في ذلك أكاديمياً واجتماعياً وعاطفياً. ونعم، في الاختصاصين معاً».

قالت آيلين، «لن أرسل ولداً في الثانية عشرة من عمره إلى الطرف الآخر للبلاد لكي يعيش بين طلاب كبار في السنِّ كفاية لكي يحق لهم تناول

الشراب والذهاب إلى النوادي. لو كان لديه أنسباء يمكنه الإقامة عندهم،
لاختلف الأمر، لكن...»

راح عُربير يومئ برأسه بينما تكلمت. «أفهم، وأوافقك الرأي تماماً،
ولوك يعرف أنه غير جاهز ليكون لوحده، حتى في بيئة مُشرف عليها. ذهنه
صافي جداً بهذا الشأن. ومع ذلك بدأ يصبح مُحبطاً وحزيناً من حالته الحالية، لأنه
جائع ليتعلم. يكاد يموت جوعاً، في الواقع. لا أعرف ما هي الأداة المذهلة التي
في رأسه - لا أحد منا يعرف، ربما أكثر شخص اقترب منها كان فلينت العجوز
عندما تكلم عن تعليم الحكيم العظيم للقدامى - لكن عندما أحاول أن أتخيلها،
تترأى لي آلة ضخمة تلمع تعمل فقط بقوة اثنين بالمئة من طاقتها. خمسة
بالمئة بالحد الأقصى. لكن لأنها آلة بشرية، فهو يشعر... بالجوع».

«مُحبط وحزين؟»، قال هيرب. «غريب. نحن لا نرى هذا الجانب منه».

أنا بلى، فكّرت آيلين في سرّها. ليس طوال الوقت، لكن أحياناً. نعم.
هذا عندما تقرقع الأطباق أو تُغلق الأبواب من تلقاء نفسها.

فكّرت بآلة عُربير الضخمة اللامعة، شيء كبير كفاية ليملاً ثلاثة أو حتى
أربعة مستودعات، وتعمل لإنتاج ماذا بالضبط؟ مجرد صنع أكواب ورقية أو
صواني ألومنيوم للوجبات السريعة. إنهما يدينان له بأكثر من ذلك، لكن هل
يديناه له بهذا المقدار؟

«ماذا بشأن جامعة مينيسوتا؟»، سألت. «أو كونكورديا، في سانت پول؟
إذا ذهب إلى أحد هذين المكانين، يمكنه العيش في المنزل».

تنهّد عُربير. «وقد تفكّرنا أيضاً بإخراجه من برود ووضع في ثانوية
عادية. نحن نتكلم عن فتى يُعتبر مقياس حاصل الذكاء عديم الجدوى معه. إنه
يعرف إلى أين يريد أن يذهب. ويعرف إلى ماذا يحتاج».

«لا أعرف ماذا يمكننا أن نفعل بشأن ذلك»، قالت آيلين. «قد يكون
قادراً على الحصول على منح تعليمية في تلك الأماكن، لكننا نعمل هنا. ولسنا
أغنياء أبداً».

«حسناً، دعونا نتكلم عن هذا»، قال عُربير.

عندما عاد هيرب وآيلين إلى المدرسة بعد ظهر ذلك اليوم، كان لوك يرقص في ممر انتظار الأهل مع أربعة أولاد آخرين، فتبين وفتاتين. كانوا يضحكون ويتكلمون بحماسة. بدوا لآيلين مثل بقية الأولاد في أي مكان، الفتاتان ترتديان تنورتين وأقمطة للساقين، وتدياهما بدأ ينموان للتو، ولوك وصديقه رولف يرتديان سروالين فضفاضين - الموضة لشباب هذه السنة - وقميصين تائيين. مكتوب على قميص رولف الثاني «شراب الشعير هو للمبتدئين». كانت آلة التشيلو معه في حقيبتها المبطنة وبدا أنه يرقص حولها رقصةً بدت كأنها رقصة الربيع أو النظرية الفيتاغورية.

رأى لوك والديه فتوقف عن الرقص مدة طويلة كفاية لبيتعد عن رولف، ثم أمسك حقيبته ظهره وارتمى على المقعد الخلفي لفوزرر آيلين. «كلاكما معاً»، قال. «ممتاز. إلى ماذا آدين بهذا الشرف العظيم؟».

«هل تريد حقاً الذهاب إلى المدرسة في بوسطن؟»، سأل هيرب.

لم يرتبك لوك، بل ضحك ولكم قبضتيه في الهواء. «نعم! هل يمكنني؟».

كما لو أنه يسأل إن كان يمكنه تمضية ليلة الجمعة في منزل رولف، تعجبت آيلين. تذكرت كيف عبّر غرير عن موهبة إبنهما. وصفها أنها عالمية، وهذه هي الكلمة المثالية. لوك عبقرى لم يتشوّه بطريقة أو بأخرى بفكره الأكبر من المألوف؛ لا يشعر بأي ندم على الإطلاق من ركوب لوح تزلجه وتدحرجه بدماعه الذي لا يتكرّر إلا كل مليار مرة نزولاً على الرصيف الشاهق الانحدار، عازماً على تحقيق رغباته.

«دعونا نتناول العشاء باكراً وناقش المسألة»، قالت.

«بيتزا روكيت!»، صاح لوك. «ما رأيكما؟ بافتراض أنك أخذت حبة البرايلوزيك يا بابا. هل أخذتها؟».

«آه، صدّقني، بعد اجتماع اليوم، أنا جاهز كلياً لهذا».

3

طلبوا بيتزا كبيرة بالببيروني وقضى لوك على نصفها لوحده، إلى جانب ثلاثة أكواب كولا من الحجم الكبير، تاركاً والدّيه متعجّبين من جهازه الهضمي ومثانته بالإضافة إلى فكره. شرّح لوك أنه تكلم مع السيد غرير أولاً لأنه «لم أرغب أن أفرعكما. كانت مجرد محادثة استكشافية».

«ترميه على الأرض لترى إن كانت القطة ستنقضّ عليه»، قال هيرب.

«صحيح. ترفعه على سارية العَلَم لترى مَن يؤدّي له التحية. تضعه على حافلة المساء لترى إن كان سينزل في إدينا. ترميه على الجدار لترى كم -»

«كفى. لقد شرّح كيف قد تتمكن من مرافقتك».

«عليكما مرافقتي»، قال لُوكُ بجد. «أنا يافع جداً لأكون من دون أُمي وأبي المغتبطين والموقرّين. كما أنه...»، نظَرَ إليهما عبر أطلال البيتزا. «لا يمكنني أن أعمل. سأفتقد لكما كثيراً».

أمّرت آيلين عينيها ألا تغرورقان، لكنهما لم تُطيعاها بالطبع. أعطاهما هيرب منديلاً. قالت، «سيد عُرب... عرض علينا سيناريوها، أظن أنه يمكنك القول... يمكننا بناءً عليه على الأرجح... حسناً...»

«تغيير مكان سكنكما»، قال لُوكُ. «مَن يريد هذه القطعة الأخيرة؟».

«كلها لك»، قال هيرب. «عسى ألا تموت قبل أن تحصل على فرصة لتحقّق ضرب الجنون هذا بالخضوع لامتحان القبول بالجامعة».

«الأخوية في الكلية»، قال لُوكُ وضجّك. «كلّمك عن الخريجين الأغنياء، أليس كذلك؟».

وَصَعَت آيلين المنديل من يدها. «يا للهول يا لُوكي، ناقشت الوضع المالي لوالديك مع مستشارك المدرسي؟ مَن الراشدون في هذه المحادثة؟ لقد بدأتُ أشكّ في هذا».

«اهدأي يا ماما، هذا أمرٌ يديهي. رغم أن فكرتي الأولى كانت صندوق الهبات. تملك برود صندوقاً ضخماً، ويمكنهم أن يدفعوا لكما لكي تغيّرا مكان سكنكما ولن تعانيا من أي ضائقة مادية أبداً، لكن الأوصياء لم يوافقوا على ذلك أبداً، رغم أنه أمر منطقي».

«منطقي حقاً؟»، سأل هيرب.

«أجل». مضغ لُوكُ بحماسة، ابتلع، وشرب الكولا مُحدثاً صوتاً ماصّاً. «أنا استثمرتُ. سهم بورصة ذو نمو محتمل جيد. استثمرا سنتاتٍ واجنيا دولاراتٍ، صح؟ هكذا تسير أميركا. يستطيع الأوصياء رؤية حتى هذه المسافة البعيدة، لا مشكلة، لكن لا يمكنهم الخروج من الصندوق الإدراكيّ الذي يتواجدون فيه».

«الصندوق الإدراكي»، قال أبوه.

«نعم، أنت تعرف. صندوق مبني نتيجة الجدلية الموروثة من الأسلاف. وحتى قد يكون قبلياً، رغم أنه من المضحك نوعاً ما تخيل قبيلة أوصياء. يقولون، «إذا فعلنا هذا له، فقد نضطر إلى فعله لولد آخر». هذا هو الصندوق. كما لو أنهم يتوارثونه».

«حكمة متلقاة»، قالت آيلين.

«بالضبط يا ماما. سيركله الأوصياء إلى الخريجين الأغنياء، أولئك الذين يجنون أموالاً طائلةً من التفكير خارج الصندوق لكنهم لا يزالون يحبون الأزرق والأبيض القديمين لبرودريك. سيكون السيد غريب الرجل في مقدمة الدورة. على الأقل أمل أن يكون هكذا. الاتفاق هو أنهم يساعدونني الآن وأنا أساعد المدرسة لاحقاً، عندما أصبح غنياً ومشهوراً. لا يهمني في الواقع أن أصبح غنياً أو مشهوراً، أنا من الطبقة الوسطى حتى العظم، لكنني قد أصبح غنياً على أي حال، كتأثير جانبي للمسألة. دائماً بافتراض أنني لن أصاب بمرض خطير أو أقتل في هجوم إرهابي أو شيء من هذا القبيل».

«لا تقل أشياء تدعو إلى الحزن»، قالت آيلين، ورسمت علامة التخشع فوق الطاولة المليئة بالفضلات.

«معتقد خرافي يا ماما»، قال لوك بتساهل.

«جاريني في هذا. وامسح فمك. صلصة البيتزا. تبدو كأن لثتك تنزف».

مسح لوك فمه.

قال هيرب، «وفقاً للسيد غريب، بعض الجهات المهمة قد تموّل بالفعل تغيير مكان السكن، وتموّلنا نحن أيضاً لما يصل إلى ستة عشر شهراً».

«هل أخبرك أن نفس الأشخاص قد يتمكنون من مساعدتك على إيجاد وظيفة جديدة؟». تلالأت عينا لوك. «وظيفة أفضل؟ لأن أحد خريجي المدرسة هو دوغلاس فينكل. ويصدق أنه يملك منتجات الورق الأميركية، وهذا المصنع قريب من بقعتك الحلوة. منطقتك الساخنة. حيث يلتقي المطاط ب-»

«طرح إسم فينكل في الواقع»، قال هيرب. «بطريقة تخمينية فقط».

«أيضاً...»، استدار لوك نحو أمه بعينين ساطعتين. «بوسطن سوق واعدة الآن للأساتذة. المعدل الوسطي للراتب الأولي لشخص بخبرتك يقارب

خمسة وستين ألفاً».

«يا بُنَيَّ، كيف تعرف هذه الأشياء؟»، سأل هيرب.

هَرَّ لُوكُ كَتْفِيهِ. «ويكيبيديا، كبداية. ثم أتتبع المصادر الرئيسية المذكورة في مقالات ويكيبيديا. يقتصر السر مبدئياً على مواكبة أحدث المستجدات في البيئة. وبيئتي هي مدرسة برودريك. أعرف كل الأوصياء؛ الخريجون أصحاب الأموال الطائلة الذين كان عليّ البحث عنهم».

مدّت آيلين يدها فوق الطاولة، وأخذت ما بقي من شرحة البيتزا الأخيرة من يد إنهما، وأعادتها إلى صينية الصفيح المليئة بالقشور والفضلات. «لوكي، حتى ولو كان ممكناً أن يحصل هذا، ألن تفتقد لأصدقائك؟».

اغرورقت عيناه. «بلى. بالأخص رولف. مايا أيضاً. رغم أنه لا يمكننا دعوة الفتيات رسمياً إلى حفلة الربيع، إلا أن بيننا موعداً غير رسمي. لذا بلى. لكن».

انتظرا. بدا إنهما، الشفهي دائماً والمُطتّب في أغلب الأحيان، يكافح الآن. بدأ، توقف، بدأ مرة أخرى، وتوقف مرة أخرى. «لا أعرف كيف أقول هذا. لا أعرف إن كان يمكنني قوله».

«حاول»، قال هيرب. «سُجّري الكثير من المناقشات المهمة في المستقبل، لكن هذه المناقشة هي الأهم حتى هذا اليوم. لذا حاول».

في المطعم، ارتدى ريتشي روكيت زيّه الخاص الذي يرتديه كل ساعة وبدأ يرقص على أنغام «مامبو الرقم 5». راقبت آيلين رجل الفضاء ذي الزيّ الفضّي يومئ إلى الطاولات القريبة منه بيديه المكسوتين بقفازين. انضم إليه عدة أولاد صغار يتراقصون على أنغام الموسيقى ويضحكون بينما يراقبهم أهاليهم، ويلتقطون الصور لهم، ويصفقون لهم. منذ وقتٍ غير بعيد - خمس سنوات قصيرة - كان لوكي أحد أولئك الأولاد. أما الآن فيتكلمون عن تغييرات مستحيلة. لم تعرف كيف أن ولداً مثل لوك وُلد من شخصين مثلهما، شخصين عاديين بطموحاتٍ عادية، وتمتت أحياناً لو يكون الوضع مختلفاً. كرهت أحياناً بقوة الدور الذي أسند إليها، لكنها لم تكره لوكي أبداً، ولن تكرهه أبداً. كان طفلها، الواحد والوحيد.

«لوك؟»، قال هيرب بهدوء كبير. «بُنَيَّ؟».

«إنه فقط ما يأتي بعد ذلك»، قال لوك. رفع رأسه ونظر إليهما مباشرة بعينه اللامعتين بتألق نادراً ما رأياه والداه. لقد أخفى عنهما ذلك التألق لأنه عرّف أنه أخافهما بطريقة لا تقدر عليها أبداً بضعة أطباق مُحشِخِشة. «ألا تريا؟ إنه ما يأتي بعد ذلك. أريد أن أذهب إلى هناك... وأتعلم... ثم أمضي قدماً. تلك المدارس مماثلة لبرود. ليست الهدف، فقط نقاط انطلاق إلى الهدف».

«ما هو الهدف يا عزيزي؟»، سألت آيلين.

«لا أعرف. هناك أمور كثيرة أريد أن أتعلّمها واكتشفها. لديّ هذا الشيء داخل رأسي... يصل إلى... وأحياناً يكتفي، لكن ليس في أغلب الأحيان. أشعر أحياناً أنني صغير جداً... أنني غبي جداً...»

«لا يا عزيزي. الغباء هو آخر شيء لديك». مدّت يدها لئتمسك يده، لكنه أبعَدَ يده وهو يهزُّ رأسه. ارتعشت صينية البيتزا على الطاولة. وارتعشت بقايا الأكل فيها.

«هناك هاوية، أتعلّمان؟ أحلم بها أحياناً. لا قعر لها أبداً، وهي مليئة بكل الأشياء التي لا أعرفها. لا أعرف كيف يمكن أن تكون الهاوية مليئة - هذا اجتماع لكلمتين متناقضتين - لكنها هكذا. تُشعرني أنني صغير وغبي. لكن هناك جسر فوقها، وأريد أن أسير عليه. أريد أن أقف في وسطه، وأرفع يديّ...»

راقباه، مفتونان وخائفان قليلاً، يرفع يديه على جانبي وجهه الضيق الحاد. لم تعد صينية البيتزا ترتعش الآن فحسب بل تُخشِخِش أيضاً. مثلما تفعل الأطباق أحياناً في الخزائن.

«... وستعوم كل تلك الأشياء في الظلمة إلى فوق. أعرف هذا».

انزلقت صينية البيتزا على الطاولة وسقطت أرضاً. بالكاد لاحظ هيرب وآيلين ذلك. فهكذا أمور تحصل قرب لوك عندما يكون منزعجاً. ليس دائماً، لكن أحياناً. أصبحا معتادين على ذلك.

«أفهم»، قال هيرب.

«تياً لي إن كنت تفهم»، قالت آيلين. «كلانا لا يفهم. لكن يجب أن تباشر بتحضير الوثائق. اخضع لاختبارات السات. يمكنك أن تفعل تلك الأشياء وسيظل بمقدورك أن تغيّر رأيك. إذا لم تغيّره، إذا بقيت مصمّماً...». نظّرت إلى هيرب الذي أوما برأسه. «سنحاول جعله يتحقّق».

ابتسم لوك، ثم رفع صينية البيتزا. نظَرَ إلى ريتشي روكيت. «كنت أرقص معه هكذا عندما كنتُ صغيراً».

«نعم»، قالت آيلين. احتاجت إلى استخدام المنديل مرة أخرى. «كنت تفعل ذلك بالتأكيد».

«هل تعرف ماذا يقولون عن الهاوية، أليس كذلك؟»، سأل هيرب.

هَزَّ لوك رأسه، إما لأنه الشيء النادر الذي لم يعرفه، أو لأنه لم يرغب إفساد وقع جملة أبيه.

«عندما تحدِّق بها، تحدِّق بك بدورها».

«تفعل ذلك طبعاً»، قال لوك. «آه، هل يمكننا تناول بعض الحلوى؟».

4

بما في ذلك المقال المطلوب، دام اختبار السات أربع ساعات، لكن تخلَّته استراحة رحومة. جلس لوك على مقعد في ردهة الثانوية يمضغ الشطائر التي أعدَّتها له أمه وتمنَّى لو أن معه كتاباً. كان قد أحضر معه رواية الغداء العاري، لكن أحد المراقبين صادرها منه (إلى جانب هاتفه وكل هواتف الآخرين)، قائلاً إنه سيعيدها له لاحقاً. كما تصفَّح الصفحات أيضاً، إما بحثاً عن صور خلّاعية أو ورقة غشٍّ ما.

بينما كان يأكل حبوبه التي على شكل حيوانات، انتبه إلى وقوف عدة طلاب يخضعون للاختبار حوله. فتيان وفتيات كبار في السنّ، في الصف الثانوي الأخير وما قبل الأخير.

«يا ولد»، سأله أحدهم، «ماذا تفعل هنا أيها اللعين؟».

«أخضع للاختبار»، قال لوك. «مثلكم تماماً».

فكَّروا بهذا. ثم قالت إحدى الفتيات، «هل أنت عبقرى؟ كما في الأفلام؟».

«لا»، قال لوك مبتسماً، «لكنني مكثتُ في هوليداي إن اكسبرس ليلة أمس».

ضحكوا، وهذا جيد. رفع أحد الفتيان يده وصَفَع لوك. «إلى أين ستذهب؟ أي كلية؟».

«معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، إذا قُبلت هناك»، قال لوك. هذا كلام مُراوِغ، لأنه تلقى من قبل قبولاً مؤقتاً إلى الكليتين اللتين اختارهما، على شرط أن ينال علامة جيدة اليوم. وهذه لن تكون بمشكلة. فالاختبار سهل جداً حتى الآن. الأولاد الذين يحيطون به هم المرعبون بالنسبة له. سيصبح في الخريف في صفوف تعليمية مليئة بأولاد مثلهم، أولاد أكبر منه سنّاً بكثير وضعف حجمه، وبالطبع سينظرون إليه كلهم. لقد ناقش هذا مع السيد غرير قائلاً إنه سيبدو على الأرجح مخلوقاً عجبياً لهم.

«ما تشعر به هو المهم»، قال السيد غرير. «حاول أن تتذكّر هذا. وإذا احتجت إلى مشورة - إلى شخص لتكلمه عن مشاعرك - بالله عليك، افعل ذلك. ويمكنك أن تراسلني في أي وقت.»

إحدى الفتيات - حمراء الشعر - سألته إن أجاب على سؤال الفندق في قسم الرياضيات.

«السؤال عن هارون؟»، سأل لوك. «نعم، بالتأكيد أجبتُ عليه.»
«ماذا قلت إنه الخيار الصحيح، هل يمكنك أن تتذكّر؟».

كان السؤال عن كيفية معرفة كم يجب أن يدفع شابٌ يدعى هارون لتُزلِّ لقاء مكوثه س عددٍ من الليالي إذا كانت التعرفة \$99.95 لكل ليلة، زائد 8% ضريبة زائد رسم إضافي يُدفع لمرّة واحدة قدره خمسة دولارات، وبالطبع تذكر لوك لأنه كان سؤالاً بغيضاً قليلاً. لم يكن الجواب رقماً، كان معادلةً.

«كان الجواب ب. انظري». أخرج قلمه وكتب على كيس غدائه:
 $1.08(99.95 + 0.08) + 0.5$.

«هل أنت متأكد؟»، سألت. «أنا أجبتُ أ». انحنى وأخذت كيس لوك - التقط نفحةً من عطرها، زهرة الليلك، الشهي - وكتبت: $(99.95 + 0.08) + 0.5$.

«معادلة ممتازة»، قال لوك، «لكن هذه هي الطريقة التي يغشك بها الأشخاص الذين يضعون هذه الاختبارات في متاجر الشراء من داخل السيارة». نقرّ معادلتها. «معادلتك هي للإقامة ليلة واحدة فقط. كما لا تأخذ بعين الاعتبار ضريبة الغرفة.»

تأوهت.

«لا بأس»، قال لوك. «على الأرجح أجبت بشكل صحيح على بقية الأسئلة».

«ربما أنت مخطئ وهي محقّة»، قال الفتى الذي صفّع لوك.

هزّت رأسها. «الولد محقّ». لقد نسيثُ كيفية احتساب الضريبة اللعينة. أنا غبية».

راقبها لوك تتعدّ مُخفضةً رأسها. لحقها أحد الفتيان ووضع ذراعه حول خصرها. حسده لوك.

أحد الآخرين، وهو شاب طويل القامة يرتدي نظّارات تحمل شعار مصمّم مشهور، جلس بجانب لوك. «هل هو غريب؟»، سأل. «أقصد أن تكون أنت؟».

فكّر لوك بهذا. «أحياناً»، قال. «لكنها مجرد حياة عادية بقية الوقت».

أطلّ أحد المراقبين ورّناً جرساً يدويّاً. «هيا يا أولاد».

نهض لوك ببعض الارتياح ورمى كيس غدائه في برميل نفايات قرب باب النادي الرياضي. نظرَ إلى الحمراء الشعر الجميلة للمرة الأخيرة، وتمايل البرميل ثمانية سنتيمترات إلى اليسار بينما دخل.

5

كان النصف الثاني من الاختبار سهلاً مثل النصف الأول، وشعّر أنه كتب مقالاً مقبولاً. أبقاه مختصراً، على أي حال. عندما غادر المدرسة، رأى الحمراء الشعر الجميلة تجلس على مقعد لوحدها وتبكي. تساءل لوك إن أساءت في الاختبار، وإذا كان الأمر كذلك، ما مدى ذلك السوء - هل هو سوء من النوع لن أجيب بشكل صحيح على خيارك الأول فحسب أو من النوع سأعلق بكلية الحيّ. تساءل ما هو الشعور أن يكون لديك دماغ لا يبدو أنه يعرف كل الأجوبة. تساءل إن كان عليه أن يذهب إليها ويحاول أن يواسيها. تساءل إن كانت ستقبل مواساة من ولد لا يزال شخصاً تافهاً بالنسبة لها. ستقول له على الأرجح أن يتركها وشأنها. حتى تساءل عن الطريقة التي مالت بها سلة المهملات - هذه الأمور غريبة مُوحِشة. أدرك (وبقوة الإفشاء) أن الحياة مبدئياً عبارة عن اختبار سات واحد طويل، وبدلاً من وجود أربعة أو خمسة خيارات،

تحصل على عشرات الخيارات. بما في ذلك خيارات قبiche مثل بعض الوقت و ربما وربما لا.

كانت أمه تلوّح له. لوّح لها بدوره وركّض إلى السيارة. عندما ركبها وشدّ حزام الأمان، سألته كيف يعتقّد أنه أدّى في الاختبار.

«أبرعتُ فيه تماماً»، قال لوك. أعطاهما أكبر ابتسامة لديه، لكنه لم يستطع أن يتوقف عن التفكير بحمراء الشعر. كان بكاؤها مريراً، لكن الطريقة التي تهدّل بها رأسها عندما أشار إلى الخطأ في معادلتها - مثل زهرة في موجة جفاف - كانت أسوأ نوعاً ما.

أخبر نفسه ألا يفكر بالمسألة، لكنك بالطبع لا تستطيع فعل ذلك. حاول ألا تفكر بدب قطبي، قال فيودور دوستويفسكي ذات مرة، وسترى الشيء اللعين يتبادر إلى ذهنك كل دقيقة.

«ماما؟».

«ماذا؟».

«هل تعتقدان أن الذاكرة نعمة أم نقمة؟».

لم تضطر أن تفكر بالمسألة؛ الله وحده يعلم بماذا كانت تتذكّر. «الاثنتان معاً يا عزيزي».

6

عند الثانية فجر أحد أيام يونيو، وبينما كان تيم جايميسون يمضي ليلته يقرع في شارع دوپراي الرئيسي، انعطفت سيارة رباعية الدفع سوداء إلى وايلدرسموت درايف في إحدى الضواحي الشمالية لمينيابوليس. كان إسماً مجنوناً لشارع؛ يسمّيه لوك وصديقه رولف وايلدرسموش درايف لأن هذا يجعل الاسم مجنوناً أكثر ولأنهما يتوقان إلى تبادل قبل جامحة مع فتاة.

دخل السيارة الرباعية الدفع يوجد رجل وامرأتان. كان دينيه؛ وكانت ميشيل وروبن. دينيه هو الذي يقود. في منتصف الشارع الصامت، أطفأ الأضواء، وركن عند حافة الرصيف، وأطفأ المحرّك. «أنت متأكدة أن هذا ليس تخ، صح؟ لأنني لم أحضر معي قبعة ورق الألومنيوم».

«هاها»، قالت روبن ببرودة تامة. كانت تجلس على المقعد الخلفي.

«إنه مجرد تع عادي»، قالت ميشيل. «لا شيء يدعو إلى الاستياء. هيا نباشر هذا الشيء».

فَتَحَ دينيه الصندوق الذي بين المقعدين الأماميين وأخرج هاتفاً خلويّاً بدأ كأنه لاجئ من حقبة التسعينات: جسم مستطيل مكتنز وهوائي قصير. أعطاه إلى ميشيل. بينما ضغطت أزرار أحد الأرقام الهاتفية، فَتَحَ القعر الزائف للصندوق وأخرج قفازات لاتكس رفيعة، ومسدّسي غلوك طراز 37s، وعلبة بخاخ تحوي، وفقاً للمُلصَق، على معطر للجو. أعطى أحد المسدّسين إلى روبن واحتفظ بالآخر، ومَرَّرَ علبة البخاخ إلى ميشيل.

«هنا بنا أبها الفريق الكبير، هنا بنا»، قال ثم أنشد بينما ارتدى قفّازيه، «ياقوت أحمر، ياقوت أحمر، أنا هو الذي أمر».

«توقف عن سخافات المدرسة الثانوية»، قالت ميشيل. ثم قالت في الهاتف المُسَدَّد على كتفها لكي تستطيع ارتداء قفّازيها: «سيموندر، هل تسمعني؟».

«اسمك»، قال سيموندر.

«معك الياقوت الأحمر. نحن هنا. هيا عطّل النظام».

انتظرت وهي تستمع إلى جيرى سيموندر على الطرف الآخر من المكالمة. في منزل عائلة إليس، حيث ينام لوك ووالداه، أصبحت وحدتا تحكم الإنذار ماركة ديوالت في الرواق الأمامي والمطبخ داكنتين. تلقت ميشيل الإذن بإمكانية بدء العمل ورفعت إبهامها لزميلها في الفريق علامة الرضى والقبول. «حسناً. كل شيء جاهز».

علّقت روبن حقيبة الطوارئ، التي بدت كجزدان نسائي متوسط الحجم، فوق كتفها. لم تُضأ أي أضواء داخلية عندما خرّجوا من السيارة الرباعية الدفع التي تحمل لوحة شرطة ولاية مينيسوتا. ساروا في صف واحد بين منزل عائلة إليس ومنزل عائلة دستن المجاور (حيث ينام رولف أيضاً، وربما يحلم بتقبيل فتاة قبله جامحة) ودخلوا عبر المطبخ، تتقدّمهم روبن لأن المفتاح معها.

توقفوا مؤقتاً قرب الموقد. من حقيبة الطوارئ، أخرجت روبن كاتمي صوت صغيري الحجم وثلاث نظارات واقية خفيفة الوزن ذات أربطة مرنة. النظارات الواقية جعلت وجوههم تبدو كوجوه حشرات، لكنها جعلت المطبخ

المظلم ساطعاً. ركب دينيه وروبن كاتمي الصوت. وقادت ميشيل الفريق عبر غرفة العائلة إلى الرواق الأمامي، ثم صعوداً على الدرجات.

ساروا ببطء لكن بمقدار معقول من الثقة في رواق الطابق العلوي. كانت هناك سجادة طويلة لتكتم أصوات خطواتهم. توقّف دينيه وروبن خارج الباب المغلق الأول. وأكملت ميشيل إلى الباب الثاني. التفتت إلى الوراء نحو شريكها وحشرت علبة البخاخ تحت ذراعها لكي تتمكن من رفع يديها باسطة أصابعها: أعطيتاني عشر ثوانٍ. أومأت روبن برأسها ورفعت لها إبهامها للتأكيد.

فتحت ميشيل الباب ودخلت غرفة نوم لوك. أصدرت المفصلات صريراً خفيفاً. الشكل الذي على السرير (لا شيء يظهر منه سوى خصلة شعر) تحرّك قليلاً ثم همد. في الثانية فجراً، يجب أن يكون الولد ميتاً بالنسبة للعالم، في أعرق مراحل نومه، لكن من الواضح أنه لم يكن كذلك. ربما لا ينام الأولاد العاقرة مثلما ينام الأولاد العاديون، من يدري؟ بالطبع ليس ميشيل روبيرتسون. رأت مُلصقين إعلانيين على الجدران، كلاهما مرثيان بسهولة عبر النظارات الواقية. أحدهما لمتزحلق على لوح يطير في الهواء وقد ثنى ركبتيه ومدّ ذراعيه في الهواء وأمال معصميه. والآخر لفرقة الرامونز الموسيقية التي كانت ميشيل تستمع إليها في المدرسة المتوسطة. طُنت أن كل أعضاء الفرقة ماتوا، ذهبوا إلى روكاواي بيتش الرائعة تلك التي في السماء.

اجتازت الغرفة وهي تعدّ في ذهنها: أربعة... خمسة...

عند ستة، ارتطم وركها بمكتب الولد. كان عليه كأس من نوع ما ووقع أرضاً. الضجة التي أحدثها لم تكن صاخبة، لكن الولد تشقلب إلى ظهره وفتح عينيه. «ماما؟».

«بالتأكيد»، قالت ميشيل. «أي شيء تريده».

رأت بدايات قلق في عيني الفتى، ورأته يفتح فمه ليقول شيئاً آخر. حبست أنفاسها ورشّت علبة البخاخ على بُعد خمسة سنتيمترات عن وجهه. فقدّ وعيه فوراً. هذا ما يفعلونه دائماً، ولا يشعرون أبداً بضداع ما بعد الثمالة عندما يستيقظون بعد ست أو ثماني ساعات. عيشة أفضل بفضل الكيمياء، فكرت ميشيل في سرّها، وأكملت العدّ سبعة... ثمانية... تسعة.

عند عشرة، دخل دينيه وروبن غرفة هيرب وآيلين. أول شيء رآياه كان مشكلة: المرأة ليست على السرير. باب الحمام مفتوح ويُلقي ضوءاً شبه منحرف على الأرض. الضوء ساطع جداً للنظارات الواقية. خلعاها ورمياها

أرضاً. الأرضية هنا عبارة عن ألواح خشبية مصقولة، وسُمعت الطقطقة
المزدوجة بوضوح في الغرفة الصامتة.

«هيرب؟»، قالت صوت منخفض من الحمام. «هل أوقعت كوب
مائك؟».

تقدّمت روبن إلى السرير وهي تُخرج الغلوك من حزام سروالها
الفضفاض عند أسفل ظهرها، بينما سار دينيه إلى باب الحمام دون أن يحاول
كتم وقع قدميه. فقد فات الأوان لفعل ذلك. وَقَف بجانبه رافعاً المسدّس إلى
مستوى وجهه.

كانت الوسادة على جهة المرأة لا تزال مائلة نزولاً من وزن رأسها.
وَصَعْتها روبن فوق وجه الرجل وأطلقت النار فيها. أصدر الغلوك صوت سعال
خافتاً، لا أكثر من ذلك، وأحدثَ لطحّةً بئِيّةً صغيرةً على الوسادة.

خَرَجَت آيلين من الحمام والقلق بادٍ عليها. «هيرب؟ هل أنت بخ-»

رأت دينيه. أمسكها من حنجرتها، ووضع الغلوك على صدغها، وضغط
الزناد. سُمع صوت سعال خافت آخر. انزلقت إلى الأرض.

في غضون ذلك، كانت قدما هيرب إليس تركلان بلا هدف، مما جعل
البطانية التي كان وزوجته المرحومة ينامان تحتها تنتفخ. أطلقت روبن النار
مرتين أخريين على الوسادة، وقد أحدثت الطلقة الثانية نباحاً بدلاً من سعال،
والطلقة الثالثة صوتاً صاخباً أكثر.

رفعت دينيه الوسادة. «ماذا، هل شاهدت فيلم العرّاب مرات عديدة؟ يا
لل هول يا روبن، لقد اختفى نصف رأسه. ماذا يُفترَض أن يفعل الحانوتيّ بهذا؟».

«لقد أنجزت المهمة، وهذا هو المهم». الحقيقة هي أنها لا تحبّ أن
تنظر إليهم عندما تُطلق النار عليهم، لا تحبّ أن ترى الضوء ينطفئ فيهم.

«عليك أن تكوني شجاعة يا فتاة. تلك الطلقة الثالثة كانت صاخبةً. هيا
بنا».

رَفَعَا النظّارتين الواقيتين عن الأرض وذهبا إلى غرفة الفتى. حملَ دينيه
لُوك على ذراعيه - لا مشكلة في ذلك، فوزن الولد لا يتعدّى أربعين كيلوغراماً -
وأمالَ ذقنه للفتاتين لكي تسبقاه. غادروا بنفس الطريقة التي دخلوا بها، عبر
المطبخ. لم يروا أي أضواء مضاءة في المنزل المجاور (حتى الطلقة الثالثة لم

تكن صاحبة إلى هذا الحدّ)، ولم يسمعوا أي أصوات ما عدا أصوات الجدادج وصوت صفارة إنذار بعيدة، ربما بعيداً في سانت پول.

قادت ميشيل الفريق بين المنزلين، ثم تفحّصت الشارع وأومات للآخرين بأن يتبعها. هذا هو الجزء الذي يكرهه دينيه ويليامز. فإذا أطلَّ رجلٌ يعاني من الأرق برأسه من النافذة ورأى ثلاثة أشخاص على مَرَجَة جاره عند الثانية فجراً، فهذا سيكون مشهداً مشبوهاً. وإذا كان أحدهم يحمل ما يبدو إنساناً، فهذا سيكون مشهداً مشبوهاً جداً.

لكن وايلدرسموت درايف - المسمى تيمناً بإسم أحد الأشخاص عظماء الشأن قديماً جداً في المدينتين التوأمين - كان مستغرقاً في نومه. فتحت روبن الباب الخلفي للسيارة الرباعية الدفع الذي من جهة الرصيف، وركبت، ومدّت ذراعها. سلمها دينيه الفتى فوضعت على حضنها، وتدلى رأسه على كتفها. بحثت عن حزام أمانها بارتباك.

«لعابه يسيل، هذا مقرف»، قالت.

«نعم، الأشخاص فاقدو الوعي يفعلون ذلك»، قالت ميشيل وأغلقت الباب الخلفي. ركبت على المقعد الأمامي بجانب السائق وانزلق دينيه خلف المقود. خبّأت ميشيل المسدّسين وعلبة البخاخ بينما قاد دينيه ببطء مبتعداً عن منزل عائلة إليس. عندما اقتربوا من التقاطع الأول، أعاد دينيه إضاءة الأضواء الأمامية.

«اتصلي هاتفياً»، قال.

طلبت ميشيل نفس الرقم الهاتفي. «هنا الياقوت الأحمر. الطرد معنا يا جيرى. الوقت المقدّر للوصول إلى المطار بعد خمس وعشرين دقيقة. شغل النظام».

في منزل عائلة إليس، عادت الإنذارات تعمل بشكل طبيعي. عندما يصل رجال الشرطة أخيراً، سيجدون جثتين وأن شخصاً اختفى، وسيكون الولد هو المشتبه به المنطقي. يُقال إنه نابغة، وهؤلاء هم الأشخاص الذين يميلون إلى أن يكونوا مضطربين قليلاً في النهاية، أليس كذلك؟ غير مستقرين قليلاً؟ سيسألونه عندما يعثرون عليه، والعثور عليه مجرد مسألة وقت. يستطيع الأولاد الفرار، لكن حتى النوابع منهم لا يستطيعون الاختباء.

ليس لفترة طويلة.

استيقظ لوك وهو يتذكر حلمًا رآه - ليس كابوساً بالضبط، لكن بالتأكيد ليس حلمًا من النوع الجميل جداً. امرأة غريبة في غرفته تنحني فوق سريره بشعرها الأشقر المتدلي على جانبي وجهها. بالتأكيد، أي شيء تريده، قالت. مثل فتاة جميلة في إحدى اللقطات الإباحية التي يشاهدها مع رولف أحياناً.

استوى جالساً، نظر حوله، ووطن في البدء أن هذا حلم آخر. هذه غرفته - نفس ورق الجدران الأزرق، نفس الملصقات الإعلانية، نفس المكتب وعليه كأس بطولته في الدوري الصغير - لكن أين النافذة؟ لقد اختفت نافذته التي تطل على منزل رولف.

أغمض عينيه بقوة، ثم فتحهما إلى أقصى حد. لا تغيير؛ الغرفة العديمة النافذة بقيت بلا نافذة. فكر بأن يقرص نفسه، لكن هذا تصرف مبتذل جداً. فرقع أصابعه على خده بدلاً من ذلك. بقي كل شيء على ما هو عليه.

نهض لوك عن السرير. وجد ملابس على الكرسي حيث وضعتها أمه في الليلة السابقة - ملابس داخلية وجوارب وقميص تائي على المقعد، وسروال جينز مطوي فوق ظهر الكرسي. ارتداها ببطء وهو ينظر إلى حيث يجب أن تكون النافذة، ثم جلس ليرتدي حذاءه الرياضي. كانت الأحرف الأولى من إسمه على الجانبين، لإ، وهذا صحيح، لكن الخط العمودي لحرف الألف طويل جداً، هو متأكد من ذلك.

قلبَ فردتي حذائه بحثاً عن أوساخ الشارع ولم يجدها. أصبح متأكداً كلياً الآن. هذا الحذاء الرياضي ليس حذاءه. كما أن أربطته خاطئة. كانت نظيفة جداً. ومع ذلك، فقياسه يناسبه تماماً.

ذهب إلى الجدار ووضع يديه عليه، وراح يضغط ليتلمس النافذة تحت ورق الجدران. ليست هناك.

سأل نفسه إن فقد عقله، إن أُصيب بالجنون، مثل ولدٍ في فيلم مخيف من تأليف وإخراج م. نايث شامالان. هل يُفترض بالأولاد الذين يملكون عقولاً عالية الأداء أن يكونوا عُرضة للإنهيارات العصبية؟ لكنه ليس مجنوناً. إنه عاقلٌ مثلما كان ليلة أمس عندما ذهب إلى النوم. في الأفلام، يظن الولد المجنون أنه عاقل - هذه هي حيلة شامالان - لكن وفقاً لكتب علم النفس التي قرأها لوك، معظم المجانين يفهمون أنهم مجانين. لم يكن مجنوناً.

عندما كان صغيراً (في الخامسة وليس في الثانية عشرة)، أصبح مهووساً بتجميع الأزرار السياسية. كان أبوه سعيداً في مساعدته على بناء تشكيلته، لأن معظم الأزرار رخيصة حقاً على eBay. كان لوك مفتوناً بشكل خاص (لأسباب لا يمكنه شرحها، حتى لنفسه) بأزرار المرشّحين الرئاسيين الذي خسروا. زال ذلك الهوس في نهاية المطاف، وُحِزَّت معظم الأزرار على الأرجح في العليّة أو القبو، لكنه احتفظ بواحدٍ منها كنوع من الطلاسم الجالبة للحظ السعيد. يُظهر ذلك الزر صورة طائرة زرقاء مُحاطة بالكلمتين أجنحة لويلكي. ترشّح وندل ويلكي للرئاسة ضد فرانكلين روزفلت عام 1940 لكنه خسر خسارة شنيعة، حيث فاز في عشر ولايات فقط حاصداً اثنين وثمانين صوتاً انتخابياً فقط.

وَصَعَ لوك الزر في كأس بطولته في الدوري الصغير. لذا بحث عنه الآن ولم يجده.

بعد ذلك، ذهب إلى المُلصق الإعلاني الذي يُظهر طوني هوك على ظهر مركبه بيردهاوس. بدا صحيحاً لكن ليس تماماً. فقد اختفى المِزق الصغير على جهته اليسرى.

ليس حذاءه الرياضي، ليس مُلصقه الإعلاني، وقد اختفى زر ويلكي. ليست غرفته.

بدأ قلبه يضطرب في صدره، وأخذ عدة أنفاس عميقة ليحاول تهدئته. ذهب إلى الباب وأمسك المسكة متأكداً أنه سيجد نفسه مسجوناً.

ليس مسجوناً، لكن الرواق الذي وراء الباب لا يشبه أبداً رواق الطابق العلوي في المنزل الذي عاش فيه سنواته التي تزيد عن اثنتي عشرة سنة. كان رواقاً من الطوب الخرساني وليس من الخشب، ومطلياً بأخضر صناعي شاحب. ومقابل الباب يوجد مُلصق إعلاني يُظهر ثلاثة أولاد بسنّ لوك تقريباً يركضون في مَرَج عشب مرتفع. أحدهم مجمّد في قفزته في الهواء. كانوا إما مجانيين أو في غاية السعادة. بدا له أن الرسالة في الأسفل تقترح الخيار الثاني، فهي تقول مجرد يوم آخر في النعيم.

خَرَج لوك. على يمينه، ينتهي الرواق بباب مزدوج مؤسّساتي، من النوع الذي له قضبان دفع. وعلى يساره، على بُعد حوالي ثلاثة أمتار أمام باب مؤسّساتي آخر من النوع نفسه، رأى فتاةً تجلس على الأرض وترتدي بنطلوناً

واسع الساقين وقميصاً ذا كَمَّيْنِ منتفخين. كانت سوداء البشرة. ورغم أنها بدت بنفس سنِّ لوك، تقريباً، إلا أنه بدا أنها تدخّن سيجارةً.

8

جلّست السيدة سيغسبي خلف مكتبها تنظر إلى كمبيوترها. كانت ترتدي بذلة مهنية من تصميم DVF لم تنجح في إخفاء بنيتها غير الهزيلة، وقد صَفَّفت شعرها الرمادي بشكل أنيق تماماً. وَقَفَ الطبيب هندريكس بجانبها. صباح الخير أيتها الفزّاعة، فكّر في سرّه، لكنه لن يقول ذلك أبداً.

«حسناً»، قالت السيدة سيغسبي، «ها هو. أحدث ضيوفنا. لوكاس ليس. سيقوم بنزهة على متن الغالفستريم للمرة الأولى والوحيدة ولا يعرف ذلك حتى. إنه أعجوبة بكل المقاييس».

«لن يبقى الوضع هكذا لفترة طويلة»، قال الطبيب هندريكس وضحك ضحكته الفارقة، حيث زفر أولاً ثم شهق، كما لو أنه ينهق. بالإضافة إلى أسنانه الأمامية الناتئة وطوله الفارع - متران تقريباً - كانت ضحكته تعلل اللقب الذي يطلقه عليه الفئّيون: دونكي كونغ.

استدارت ونظرت إليه نظرة صارمة. «هؤلاء مسؤوليتنا. النكات الرخيصة أمر لا نقدّره يا دان».

«آسف». شَعَرَ أنه يريد أن يضيف ويقول، لكن ممّن تسخرين يا سيغرز؟

من غير الحكمة قول شيء كهذا، والسؤال بلاغيّ في الواقع في أفضل أحواله. فهو يعرف أنها لا تسخر من أي شخص، بالأخص نفسها. كانت سيغرز مثل ذلك المهترّج النازيّ المجهول الذي فكّر أنها ستكون فكرة رائعة أن يضع عبارة *arbeit macht frei*، العمل يحزرك، فوق مدخل أوشفيتز.

رَفَعَت السيدة سيغسبي استمارة التحاق الفتى الجديد. كان هِنْدريكس قد وَصَع ورقة لاصقة زهرية دائرية في الزاوية اليمنى العليا. «هل تتعلمون أي شيء من الزهرين يا دان؟ أي شيء على الإطلاق؟».

«أنتِ تعرفين أننا نتعلّم. لقد رأيتِ النتائج».

«نعم، لكن أي شيء له قيمة مُثبّنة؟».

قبل أن يتمكن الطبيب الجيد من الرد، أطلت روزاليند برأسها. «لديّ بعض الأعمال الورقية لكِ يا سيّدة سيغسبي. هناك خمسة آخرون قادمون. أعرف أنهم مذكورون على جدول بياناتك، لكنهم سيصلون قبل الموعد».

بدت السيّدة سيغسبي مسرورة. «الخمسة كلهم اليوم؟ لا شك أنني أعيش بشكل مناسب».

فكّر هندريكس (الملقّب دونكي كونغ) في سرّه، لا يمكنكِ تحمّل قول إنك تعيشين بشكل صحيح، أليس كذلك؟ قد تمرّقين درزةً في مكان ما.

«فقط اثنان اليوم»، قالت روزاليند. «هذه الليلة، في الواقع. من فريق الرّمّود. ثلاثة غداً، من فريق الأويال. أربعة منهم تع. وواحد تخ، وهو صيد ثمين. الجين BDNF لديه قيمته ثلاثة وتسعون نانوغراماً».

«آيفيري ديكسون، صحيح؟»، قالت السيّدة سيغسبي. «من سولت ليك سيّتي».

«أورم»، صحّحت لها روزاليند.

«مورموني من أورم»، قال الطبيب هندريكس ونهق ضحكته.

إنه صيد ثمين، صحيح، فكّرت السيّدة سيغسبي في سرّها. لن تكون هناك ورقة لاصقة زهرية على استمارة ديكسون. فهو قيّم جداً لذلك. حُقن دنيا، لا مخاطرة بحصول نوبات، لا شعور بأنه على وشك الغرق. ليس بامتلاكه جيناً BDNF تفوق قيمته 90.

«أخبار ممتازة. ممتازة حقاً. أحضري لي الملفات وضعيها على مكّتي. هل أرسلتها بالبريد الإلكتروني أيضاً؟».

«بالطبع». ابتسمت روزاليند. البريد الإلكتروني هو وسيلة الاتصال الرائجة في العالم هذه الأيام، لكنهما يعرفان أن السيّدة سيغسبي تفضّل الورق على البكسلات؛ كانت غير مجارية للعصر في هذه النقطة. «سأحضرها في أسرع وقت ممكن».

«قهوة، رجاءً، وفي أسرع وقت ممكن أيضاً».

استدارت السيّدة سيغسبي إلى الطبيب هندريكس. كل هذا الطول ولا يزال يحمل شرفة أمامية، فكّرت في سرّها. بصفته طبيباً يجب أن يعرف مدى

خطورة هذا، خاصة لرجل بهذا الطول، حيث يضطر نظام الأوعية الدموية إلى العمل بجهد أكبر. لكن لا أحد بارع في تجاهل الوقائع الطبية مثل شخص يعمل في المجال الطبي.

لم تكن السيدة سيغسبي أو هندريكس تخ، لكنهما يتشاركان فكرة واحدة في تلك اللحظة: كم سيكون كل هذا أسهل لو كان بينهما استلطاف بدلاً من مَقَت.

بعدها عادا لوحدهما في الغرفة مرة أخرى، مالت السيدة سيغسبي إلى الوراء لتنظر إلى الطبيب الذي يلوح فوقها. «أوافق أن ذكاء الفتى ليس لا يهَمُّ بالنسبة لعمَلنا في المعهد. لا فرق حتى لو كان لديه حاصل ذكاء قيمته 75. لكنه السبب الذي جعلنا نأخذه باكراً قليلاً. لم يُقَبَل في كلية واحدة ممتازة بل كليتين - معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا وإمرسون».

رَمَسَ هندريكس. «في الثانية عشرة؟».

«بالفعل. خبر قتل والدَيه واختفائه بعد ذلك سيملاً نشرات الأخبار، لكن ليس نشرات الأخبار المهمة خارج المدينتين التوأمين، رغم أنه قد يملأ الانترنت لأسبوع تقريباً. كان ليصبح خبراً أهم بكثير لو أنه أحدث ضجةً أكاديميةً في بوسطن قبل اختفائه عن الأنظار. للأولاد أمثاله طريقةً في الظهور في نشرات الأخبار التلفزيونية، في أقسام العجائب عادة. وماذا أقول دائماً أيها الطبيب؟».

«أنه في مهنتنا، عدم وجود خبر هو خبر جيد».

«صحيح. في عالم مثالي، كنا سنترك هذا الفتى وشأنه. فلا تزال لدينا كمية لا بأس بها من الـ«تع». أشارت إلى الدائرة الزهرية على استمارة الالتحاق. «مثلما يحدّد هذا، الجين BDNF لديه ليس حتى مرتفعاً كثيراً. لولا أن...»

لم تكن بحاجة إلى إنهاء جملتها. فبعض السلع بدأت تصبح نادرة. أنياب الفيل. جلد النمر. قرن وحيد القرن. المعادن النادرة. حتى الزيت. يمكنك الآن إضافة أولئك الأولاد المميزين، الذين لا علاقة لمميزاتهم المذهلة بحاصل ذكائهم. خمسة آخرون قادمون هذا الأسبوع، بما في ذلك الفتى ديكسون. غنيمة جيدة جداً، لكن منذ سنتين كان العدد ليكون ثلاثين.

«آه، انظر»، قالت السيدة سيغسبي. على شاشة كمبيوترها، كان ضيفهم الجديد يقترب من أقدم المقيمين في النصف الأمامي. «سيلتقي

بنسون الذكية أكثر من اللازم لمصلحتها. ستعطيه المِغرفة، أو نسخة معدّلة منها».

«لا تزال في النصف الأمامي»، قال هندريكس. «تياً، علينا أن نجعلها المرّحة الرسمية».

ابتسمت السيدة سيغسبي أكثر ابتسامة جليدية لديها. «نجعلها هي أفضل من أن نجعلك أنت أيها الطبيب».

أخفّض هندريكس نظره وفكّر أن يقول، من هذا الموقع المتميّز، يمكنني رؤية السرعة الكبيرة التي يختفي بها شعرك يا سيغرز. هذا كله جزء من مرض فقدان الشهية الذي لديك منذ فترة طويلة. فروة رأسك زهرية مثل عين أرنب أمهق.

خطرت بباله أشياء كثيرة ليقولها لمديرة المعهد ذات قواعد النحو المثالية وذات الصدر الممسوح، لكنه لم يقلها أبداً. فمن غير الحكمة فعل ذلك.

9

الرواق ذو الطوب الخرساني مليء بالأبواب والمزيد من المُلصقات الإعلانية. كانت الفتاة تجلس تحت مُلصق يُظهر فتى أسود وفتاة بيضاء ألصقا جبهتيهما ببعضهما وبتسمان كمغفلين. والنص تحت الصورة يقول أختار أن أكون سعيداً!

«أعجبك هذا؟»، قالت الفتاة السوداء. بعد تمحيص دقيق، تبين أن السيجارة المتدلّية من فمها مصنوعة من حلوى. «سأغيّر النص إلى أختار أن أكون رديئاً، لكنهم قد يأخذون قلمي مني. يتغاضون عن الرذالة أحياناً، لكن ليس دائماً. المشكلة هي أنه لا يمكنك أن تعرف أبداً إلى أي جهة ستميل الأمور».

«أين أنا؟»، سأل لوك. «ما هذا المكان؟». شَعَرَ برغبة بالبكاء. خَمَّن أن الارتباك هو السبب الأرجح لهذا الشعور.

«أهلاً بك في المعهد»، قالت.

«هل لا تزال في مينيابوليس؟».

ضحكت. «على الإطلاق. ولم نعد في كنساس يا توتو. نحن في ماين. في مكانٍ ناءٍ. على الأقل وفقاً لمورين.»

«في ماين؟»، هزَّ رأسه كما لو أنه تلقى ضربةً على صدغه. «هل أنتِ متأكدة؟».

«أجل. تبدو أبيض جداً أيها الفتى الأبيض. أعتقد أنك يجب أن تجلس قبل أن تسقط.»

جلس وهو يسند نفسه بيده لأن رجليه لم تنتشياً تماماً. بدا جلوسه أشبه بانهار.

«كنتُ في المنزل»، قال. «كنتُ في المنزل، ثم استيقظتُ هنا. في غرفة تشبه غرفتي، لكنها ليست غرفتي.»

«أعرف»، قالت. «أمر صادم، أليس كذلك؟». حشرت يدها في جيب بنطلونها وأخرجت علبةً عليها صورة راعي بقر يدورُ أنشودة في الهواء ومكتوب عليها سجائر حلوى راوند أب. دحَّن مثل بابا تماماً! «هل تريد واحدة؟ بعض السكر قد يساعد حالتك الذهنية. هذا يساعدني دائماً.»

أخذ لوك العلبة وفتح غطاءها. وجد ست سجائر باقية داخلها، ولكل واحدة طرف أحمر خمّن أنه يُفترض به أن يكون المرشّح. أخذ واحدةً، حشرها بين شفّتيه، ثم قضم نصفها. فاضت الحلاوة في فمه.

«لا تفعل هذا مع سيجارة حقيقية»، قالت. «لن يعجبك المذاق أبداً.»

«لم أعرف أنهم لا يزالون يبيعون هذه الأشياء»، قال.

«لا يبيعون هذا النوع بالتأكيد»، قالت. «دحَّن مثل بابا تماماً؟ هل تسخر مني؟ لا شك أنه طراز قديم. لكن لديهم بعض الأشياء الغربية في المطعم. بما في ذلك سجائر حقيقية، إذا كنت تستطيع تصديق ذلك. سجائر من الصنف لافي وتشسترفيلد وكامل، مثل تلك الأفلام الكلاسيكية القديمة. أشعر برغبة قوية أن أجربها، لكن يا للهول، يأخذون الكثير من الفيش.»

«سجائر حقيقية؟ لا تقصدين أنها للأولاد؟».

«الأولاد هم السكان الوحيدون هنا. لكن لا يوجد الكثير منهم في النصف الأمامي الآن. تقول مورين إنه قد يأتي المزيد. لا أعرف من أين تأتي بمعلوماتها، لكنها صحيحة عادة.»

«سجائر للأولاد؟ ما هذا؟ جزيرة المتعة؟». رغم أنه لا يشعر بمتعة كبيرة الآن.

هذا أضحكها كثيراً. «مثل قصة بينوكيو! تشبيه جيد منك!». رَفَعَتْ له يدها عالياً فصَفَعَهَا لُوكَ وشَعَرَ بتَحَسُّنٍ طفيف. من الصعب تحديد السبب.

«ما اسمك؟ لا يمكنني مواصلة مناداتك الفتى الأبيض. هذا تمييز عنصري نوعاً ما».

«لُوكَ إليس. وما اسمك؟».

«كاليشا بنسون». رفعت إصبعاً. «الآن انتبه يا لُوك. يمكنك أن تناديني كاليشا أو شا. فقط لا تناديني يا حلوة».

«لما لا؟». كان لا يزال يحاول أن يتأقلم مع محيطه، دون أن ينجح. ولو قليلاً. أكل النصف الآخر من سيجارته، النصف الذي يتضمن المرشح المزيف على طرفه.

«لأن هذا ما يقوله لك هندريكس وزملاؤه الأغبياء عندما يحقنونك أو يجرون اختباراتهم عليك». سأعزز إبرة في ذراعك وستألمين، لكن لا تقلقي يا حلوة. سأخذ خزعة من حنجرتك، وهذا سيجعلك تختنقين مثل يرقة لعينة، لكن لا تقلقي يا حلوة. سنغطسك في الخزان، لكن فقط احبسي أنفاسك ولا تقلقي يا حلوة». لهذا السبب لا يمكنك أن تناديني يا حلوة».

بالكاد انتبه لُوك إلى مسألة الاختبارات، رغم أنه سيفكر فيها لاحقاً. فقد عاد ذهنه إلى كلمة لعينة. لقد سمعها من فتیان كثر (يقولها ورولف كثيراً عندما يخرجان)، وسمعها من حمراء الشعر التي ربما أخفقت في اختبارات السات، لكنه لم يسمعها من فتاة في سنّه أبداً. افترض أن هذا يعني أنه عاش حياة بعيدة عن الصخب.

وَصَعَتْ يدها على ركبته مما أشعره بارتعاشٍ خفيف، ونظرت إليه بجدّ. «لكن نصيحتي هي ألا تقلق مهما يكن الوضع مريعاً، مهما أقموا في حنجرتك أو عَقَبِكَ. لا أعرف بشأن الخزان حقاً، فلم أختبره بنفسي أبداً، بل سمعتُ عنه فقط، لكنني أعرف أنهم طالما بقوا يختبرونك، ستبقى في النصف الأمامي. لا أعرف ماذا يجري في النصف الخلفي، ولا أريد أن أعرف. كل ما أعرفه هو أن النصف الخلفي يشبه مصيدة الصراصير - يدخل الأولاد إليه، لكنهم لا يخرجون منه. لا يعودون إلى هنا، على أي حال».

التقت إلى الورا نحو الاتجاه الذي جاء منه. كان هناك الكثير من المُلصقات الإعلانية التحفيزية، وهناك الكثير من الأبواب أيضاً، حوالي ثمانية في كل جهة. «كم عدد الأولاد هنا؟».

«خمسة، بما فيهم أنا وأنت. النصف الأمامي غير مزدحم أبداً، لكنه أشبه ببلدة أشباح الآن. الأولاد يأتون ويذهبون».

«تتكلمين عن مايكل أنجلو»، تتمم لوك.

«ماذا قلت؟».

«لا شيء. ما -»

فُتح أحد الأبواب المزدوجة بالقرب من نهاية الرواق، وظهرت امرأة ترتدي فستاناً بئياً وتُدِير ظهرها لهما. كانت تُبقي الباب مفتوحاً بعقبها بينما تكافح مع شيء. نهضت كاليشا بلمح البصر. «مهلاً يا مورين، مهلاً يا فتاة، انتظري، دعينا نساعدك».

بما أنها قالت دعينا بدلاً من دعيني، نهض لوك ولحق كاليشا. عندما اقترب أكثر، رأى أن الفستان البني نوعٌ من الأزياء الموحّدة في الواقع، مثل الزي الذي قد ترتديه خادمة في فندق فاخر - شبه فاخر، على أي حال، فلم يكن مزوّقاً بكشكش أو أي شيء. كانت تحاول سحب سلة غسيل فوق الشريط المعدني الذي يفصل هذا الرواق عن الغرفة الكبيرة التي وراءه، والتي بدت غرفة استراحة - فهي تحتوي على طاولات وكراس ونوافذ تسمح بدخول ضوء الشمس الساطع. كما تحتوي على تلفزيون بدأ بحجم شاشة السينما. فتحت كاليشا الباب الآخر لتوفّر لها مساحة أكبر. أمسك لوك سلة الغسيل (رأى كلمة داندوكس مطبوعة على جانبها) وساعد المرأة على سحبها إلى ما بدأ يظنّه رواق غرف النوم. هناك ملاءات ومناشف داخلها.

«شكراً يا بُني»، قالت. كانت عجوزةً جداً، مع مقدار لا بأس به من الرمادي في شعرها، وبدت مُتعبّة. البطاقة التي فوق ثديها الأيسر المنحدر قالت إنها تدعى مورين. تفحصته. «أنت جديد. لوك، صح؟».

«لوك إليس. كيف عرفتي؟».

«إسمك على ورقة يومي». سحبت ورقة مطوية من جيب تنورتها جزئياً، ثم عادت ودفعتها إلى الداخل.

مدّ لها لوك يده، مثلما علّمه والداه. «سُررتُ بلبائك».

صافحته مورين. بدت لطيفة كفاية، لذا اعتبر أنه سُرَّ بلقائها. لكنه لم يكن مسروراً من التواجد هنا؛ كان خائفاً وقلقاً على والدَيه وعلى نفسه أيضاً. لا شك أنهما يفتقدانه الآن. لم يعتقد أنهما سيريدان تصديق أنه يمكن أن يهرب من المنزل، لكن عندما يجدان غرفة نومه فارغة، ماذا يمكنهما أن يستنتجا غير ذلك؟ سيبدأ رجال الشرطة البحث عنه قريباً، هذا إذا لم يبدأوا من قبل، لكن إذا كانت كاليشا محقّة، فإنهم يبحثون بعيداً جداً من هنا.

راحة يد مورين دافئة وجافة. «أنا مورين ألفورسون. مدبرة المنزل وفتاة مفيدة على جميع الأصعدة. سأبقي غرفتك لطيفة لك».

«ولا تقومي بالكثير من العمل الزائد لها»، قالت كاليشا وهي تنظر إليه بتجهم.

ابتسمت مورين. «أنتِ شخص محبوب يا كاليشا. هذا الفتى لا يبدو أنه سيكون غير مرتب، ليس مثل نيكي. إنه مثل الصبي الوسخ في القمص المصوّرة بيتتس. هل هو في غرفته الآن؟ لا أراه في الملعب مع جورج وأيريس».

«تعرفين نيكي»، قالت كاليشا. «إذا استيقظ قبل الواحدة بعد الظهر، يعتبر أنه استيقظ باكراً».

«إذا سأرتب بقية الغرف أولاً، لكن الأطباء يريدونه عند الواحدة. إذا لم يكن مستيقظاً، فسيوقظونه. سُررتُ بلقائك يا لوك». أكملت طريقها، وهي تدفع سلتها الآن بدلاً من سحبها.

«هيا بنا»، قالت كاليشا وهي تُمسك يد لوك. سواء كان قلقاً على والدَيه أم لا، فقد شَعَرَ بارتعاش آخر.

شدته إلى غرفة الاستراحة. أراد أن يفحص المكان، خاصة آلات البيع (سجائر حقيقية، هل هذا ممكن؟)، لكن حالما انغلق الباب خلفهما، وجد كاليشا تقف أمام وجهه مباشرة. بدت جدية، شرسة تقريباً.

«لا أعرف لكم من الوقت ستبقى هنا - لا أعرف لكم من الوقت بعد سأبقى هنا أيضاً - لكن بينما أنت هنا، كن لطيفاً مع مورين، مفهوم؟ هذا المكان مليء بعاملين أغبياء حقيرين، لكنها مختلفة عنهم. إنها لطيفة. ولديها مشاكل».

«أي نوع من المشاكل؟»، سأل من باب التهذيب لا أكثر. كان ينظر خارج النافذة، إلى ما لا شك أنه الملعب. هناك ولدان فيه، فتى وفتاة، ربما في

مثل سنّه، وربما أكثر سنّاً قليلاً.

«تعتقد أنها قد تكون مريضة، هذه إحداهما، لكنها لا تريد الذهاب إلى الطبيب لأنه لا يمكنها تحمّل كلفة أن تكون مريضة. لا تتقاضى أكثر من أربعين ألفاً في السنة، ولديها فواتير بضعف هذه القيمة تقريباً. وربما أكثر. حمّلتهم زوجها ديوناً، ثم هجرهم. وتستمر الديون بالتراكم، واضح؟ الفائدة».

«البواهظ»، قال لوك. «هكذا يسمّيها أبي. من الكلمة الأوكرانية التي تعني أرباحاً أو مكاسب. إنها من مصطلحات قاطعي الطرق، ويقول أبي إن شركات بطاقات الإئتمان عبارة عن قاطعات طرق مبدئياً. وبناءً على الفائدة المركّبة التي تتقاضاها، لديه...»

«لديه ماذا؟ وجهة نظر محقّة؟».

«أجل». توقّف عن النظر إلى الأولاد في الخارج - جورج وآيريس، افتراضياً - واستدار إلى كاليشا. «أخبرتِكِ كل ذلك؟ لوليد؟ لا شك أنك بارعة جداً بالعلاقات الشخصية».

بدت كاليشا متفاجئة، ثم ضحكت. كانت ضحكة كبيرة، وقد ضحكتها واضعةً يديها على وركيها ومُرّجةً رأسها إلى الخلف. هذا جعلها تبدو امرأةً بدلاً من ولد. «العلاقات الشخصية! لديك فم غريب يا لوكي!».

«صانية وليس صية»، قال. «إلا إذا كنت من محبّي اللقاء بمجموعة بأكملها. لتعطيهم مشورةً أو شيئاً من هذا القبيل». سكت قليلاً. «هذه... نكتة». ونكتة سخيفة. نكتة مدمن تعلم.

نظرت إليه نظرة تقييمية، إلى الأعلى والأسفل ثم إلى الأعلى مرة أخرى، مُسبّبةً له ارتعاشاً من تلك الارتعاشات غير المزعجة. «ما مدى ذكائك بالضبط؟».

هَرَّ كتفيه، مُحَرَجاً قليلاً. لا يتباهى بنفسه عادة - فهذه أسوأ طريقة في العالم لكسب الأصدقاء والتأثير على الناس - لكنه منزعج ومرتبك وقلق و(من الأجدر أن يُقَرَّ بذلك) مرتعب بالكامل. أصبح من الصعب عليه أكثر فأكثر عدم وسم هذه الخبرة بكلمة خطف. فهو مجرد ولد في النهاية، وكان يأخذ قيلولة، وإذا كانت كاليشا تقول الحقيقة، فقد استيقظ على بُعد آلاف الكيلومترات عن منزله. هل كان والداه ليدعاه يرحل من دون جدال، أو شجار فعلي؟ غير محتمل. مهما يكن الذي حصل له، يأمل أنهما بقيا نائمين أثناء حصوله.

«أظن أنك ذكي جداً. هل أنت تخ أو تع؟ أعتقد أنك تع.»

«لا أعرف عما تتكلمين.»

إلا أنه ربما كان يعرف. تذكّر الطريقة التي تخشخش بها الأطباق في الخزائن أحياناً، الطريقة التي يُفْتَح بها باب غرفة نومه أو ينفلق من تلقاء نفسه أحياناً، والطريقة التي ارتعشت بها الصينية في بيتزا روكيت. وكذلك الطريقة التي تحرّكت بها سلة المهملات لوحدها يوم اختبار السات.

«تخ هو تخاطر. تع هو -»

«تحريك عقلي.»

ابتسمت وأشارت بإصبعها إليه. «أنت حقاً ولد ذكي. تحريك عقلي، صح. أنت أحد النوعين، ومن المفترض أن لا أحد يكون النوعين معاً - هذا ما يقوله الفئّيون، على الأقل. أنا تخ.» قالت هذه الجملة الأخيرة ببعض الفخر.

«تقرأين الأفكار»، قال لوك. «بالتأكيد. كل يوم ومرتين أيام الأحد.»

«كيف تعتقد أنني أعرف عن مورين؟ هي لا تُخبر أبداً أي شخص هنا عن مشاكلها، فهي ليست من هذا الصنف من الناس. ولا أعرف أياً من التفاصيل، فقط الفكرة العامة.» فكرت قليلاً. «هناك شيء عن طفلٍ أيضاً. وهذا غريب. سألتها ذات مرة إن كان لديها أولاد، وأجابت بالنفي.»

هزّت كاليشا كتفيها.

«لطالما كنتُ قادرةً على فعل ذلك - بشكل متقطع وليس طوال الوقت - لكنه لا يعني أنني بطلة خارقة. فلو كنتُ كذلك لهربتُ من هنا.»

«أنتِ جدّية بشأن هذا؟»

«نعم، وإليك اختبارك الأول. الأول من اختبارات عديدة. إنني أفكّر برقم بين واحد وخمسين. ما هو رقمي؟»

«لا فكرة.»

«حقاً؟ أنت لا تكذب عليّ؟»

«لا أكذب أبداً.» سار إلى الباب على الجانب البعيد للغرفة. كان الفتى في الخارج يلعب كرة السلة والفتاة تقفز على ترامبولين - لا شيء مُبهّر، فقط

ترتطم بالترامبولين جالسةً ثم تقف على رجليها. لم يبدُ الاثنان وكأنهما يقضيان وقتاً ممتعاً؛ بل بدوا وكأنهما يمرّران الوقت فحسب. «هذان الولدان هما جورج وأيريس؟».

«أجل». انضمت إليه. «جورج آيلز وأيريس ستانهوپ. كلاهما تع. الصنف تخ أندّر. مهلاً أيها الولد الذكي، هل هذه الكلمة صحيحة أم نقول نادر أكثر؟».

«كلاهما صحيح، لكنني أفضل نادر أكثر. كلمة أندّر تبدو وكأنك تحاولين تشغيل محرّك خارجي لزورقي».

فكّرت بهذا لبضع ثوانٍ، ثم ضحكت وأشارت إليه بذلك الإصبع مرة أخرى. «نكتة جيدة».

«هل يمكننا الخروج؟».

«بالتأكيد. باب الملعب لا يُقفل أبداً. طبعاً لن تريد البقاء هناك طويلاً لأن الحشرات شرسة جداً هنا في المناطق الريفية الدغلية. ستجد طارداً للحشرات في خزانة الأدوية في حمّامك. يجب أن تستخدمه، وأعني بكمية وافرة حقاً. تقول مورين إن حالة الحشرات ستصبح أفضل بعدما تُفقس بيوض اليعاسيب، لكنني لم أر أياً منها بعد».

«هل هما ولدان لطيفان؟».

«جورج وأيريس؟ بالتأكيد، أظن ذلك. أعني، لسنا أعزّ الأصدقاء، أو أي شيء. لم أتعرف على جورج إلا منذ أسبوع فقط. أيريس وصلت إلى هنا... ممم... منذ عشرة أيام، أعتقد تقريباً، على أي حال. بعدي، نيك هو أقدم شخص هنا. نيك ويلهولم. لا تتطلع إلى علاقات ذات معنى في النصف الإمامي أيها الولد الذكي. مثلما قلت لك، يأتون ويذهبون. ولا أحد منهم يتكلم عن مايكل أنجلو».

«منذ متى وأنتِ هنا يا كاليشا؟».

«شهر تقريباً. أنا محنّكة».

«هل ستُخبريني إذاً ماذا يجري؟». أوما برأسه إلى الولدين في الخارج. «هل سيُخبرانتي؟».

«ستُخبرك بما نعرفه، وبما يُخبرنا به الممرضون والفنيون، لكن لديّ فكرة أن معظمه كذب. جورج يظن ذلك أيضاً. أما أيريس...». ضحكت كاليشا.

«فهي مثل المحقق مولدر في ذلك البرنامج التلفزيوني الملفات السرية. تريد أن تصدق».

«تصدق ماذا؟».

النظرة التي نظرتها إليه - حكيمة وحزينة في آن - جعلتها تبدو مرة أخرى راشدةً أكثر من وليدٍ. «أن هذه مجرد انعطافة صغيرة على الدرب العظيم للحياة، وكل شيء سيصبح على ما يرام في النهاية، مثلما حصل في سكوبي دُو».

«أين أهلك؟ كيف وصلتِ إلى هنا؟».

اختفت النظرة الراشدة. «لا أريد التكلّم عن هذا الأمر الآن».

«حسناً». ربما لم يرد أن يتكلّم عنه هو أيضاً. على الأقل ليس بعد.

«وعندما تلتقي نيكي، لا تقلق إذا انفجر صاحباً. هذه هي الطريقة التي ينفس بها عن غضبه، وبعض صخبه مجرد...». فكرت قليلاً ثم أضافت، «ترفيه».

«مفهوم. هلاً عملتِ لي معروفاً؟».

«بالتأكيد، إذا كان بمقدوري».

«توقفي عن مناداتي الولد الذكي. إسمي لوك. استخدميه، اتفقنا؟».

«يمكنني فعل ذلك».

مدّ يده ليفتح الباب، لكنها وصّعت يدها على معصمه.

«شيء آخر قبل أن نخرج. استدر يا لوك».

استدار. كانت أطول منه بحوالي سنتيمترين. لم يعرف أنها ستقبّله إلى أن فعلت ذلك، مُطبقةً شفيتها على شفتيه بالكامل. حتى إنها وضعت لسانها بين شفتيه لثانية أو ثانيتين، وهذا لم يسبّب له ارتعاشاً فحسب بل صدمة كاملة، كما لو أنه أقحم إصبعه في مقبس كهربائي. قبلته الحقيقية الأولى، وقبله جامحة بالتأكيد. رولف، فكر في سرّه (بقدر ما استطاع أن يفكر بعد القبلة)، سيغار مني كثيراً.

ابتعدت عنه وهي تبدو راضيةً. «لا تظنّ أن هذا حبّ حقيقيّ أو أي شيء مماثل. لسْتُ متأكدةً أنه حتى معروف، لكنه قد يكون كذلك. بقيتُ في الحجر

الصحي طوال أسبوعي الأول هنا. لا حُقن للنقاط».

أشارت إلى مُلصق إعلاني على الجدار بجانب آلة الحلوى يُظهر فتىً جالساً على كرسي ويشير بفرح إلى مجموعة نقاط ملوَّنة على جدار أبيض. هناك طبيبٌ مبتسمٌ (معطف أبيض وسمّاعة طبية حول عنقه) يقف واطعاً يده على كتف الفتى. ومكتوب فوق الصورة حُقن للنقاط! وتحتها كلما رأيتهَا بشكل أسرع، كلما عدت إلى المنزل بشكل أسرع!

«ماذا يعني هذا؟».

«لا تهتمّ الآن. كان والدَي مُعارضين للتلقيح بالكامل، وبعد يومين على وصولي إلى النصف الأمامي، أصبْتُ بجدري الماء. سعال، حمى مرتفعة، بُقع حمراء بشعة كبيرة، كل شيء. أظن أنني شُفيتُ الآن، بما أنني أسرح وأمرح وأنهم عاودوا إخضاعني للاختبارات مرةً أخرى، لكنني ربما لا أزال قادرة على نقل العدوى قليلاً. إذا كنتَ محظوظاً، سُنُصاب بالجدري وتُمضي أسبوعين تشرب العصير وتشاهد التلفزيون بدلاً من تلقي الإبر والخضوع لجلسات تصوير بالرنين المغنطيسي».

لاحظتُهما الفتاة ولوّحت لهما بيدها. لوّحت لها كاليشا بدورها، وقبل أن يتمكن لوك من قول أي شيء آخر، فتحت الباب. «هيا. امسح هذه النظرة الغبية عن وجهك وتعرّف على عائلة فوكر».

حُخْن للنقاط

1

خارج باب مطعم المعهد وغرفة التلفزيون، وَصَّعت كاليشا ذراعها حول كَتَفِي لُوكٍ وَشَدَّتْه صوبها. ظَنَّ - أَمَلَ في الواقع - أنها تنوي تقبيله مرةً أخرى، لكنها هَمَسَتْ في أذنه بدلاً من ذلك. دَغَدَغَتْ شفتها بشترته وَسَبَّتْ له القشعريرة. «تكلّم عن أي شيء تريده، فقط لا تقل شيئاً عن مورين، مفهوم؟ يُعتقد أنهم يتنصّتون علينا أحياناً فقط، لكن من الأفضل أن ننتبه. لا أريد أن أوقعها في ورطة».

مورين، مفهوم، مدبّرة المنزل، لكن مَنْ هم؟ لم يشعر لُوكٍ بهذا الضياع أبداً، حتى عندما كان في الرابعة من عمره وانفصل عن أمه لخمس عشرة دقيقة لا تنتهي في المركز التجاري.

في غضون ذلك، وتامماً مثلما توقّعت كاليشا، عثرت عليه الحشرات. حشرات سوداء صغيرة أحاطت رأسه في سُحُبٍ.

معظم الملعب مغطى بحصى صغيرة. منطقة كرة السلة، حيث تَابَع الولد الذي يدعى جورج تسديد الكرة، ذات سطح أملس، وأحيطت الترامبولين بمادة إسفنجية لتخفيف أثر السقوط في حال قفز أحدهم بشكل خاطئ وطار عنها. هناك منطقة للعبة دفع الأقراص، ومنطقة لكرة الريشة، ومضمار حبال، ومجموعة أسطوانات ملوّنة ألواناً زاهيةً يستطيع الأولاد الصغار تجميعها لتشكيل نفق - علماً أنه لا يوجد هنا أي أولاد صغار كفاية ليستخدموها. هناك أراجيح أيضاً، ونوّاسات، وزلاّقة. وهناك خزانة خضراء طويلة مطوّقة بطاولات نزهة ومزيّنة بلافتات تقول ألعاب ومعدّات و الرجاء إعادة ما تأخذه.

الملعب مُحاط بسياج مُشَبَّك ارتفاعه ثلاثة أمتار على الأقل، ورأى لُوكٍ كاميرات تحدّق من فوق عند زاويتين من الزوايا. كانتا مليئتين بالغبار، كما لو أنهما لم تُنظّفا منذ مدة طويلة. لا يوجد شيء وراء السور سوى غابة تضم في أغلبها أشجار صنوبر. وفقاً لسماكتها، حَمَّن لُوكٍ أن عمرها حوالي ثمانين سنة.

الصيغة - المذكورة في مجلة أشجار أميركا الشمالية التي قرأها بعد ظهر يوم سبت عندما كان في حوالي العاشرة من عمره - بسيطة جداً. لا داعي لتقرأ الحلقات، بل فقط تقدّر محيط إحدى الأشجار، ثم تقسم على الثابت پاي لتحصل على القطر، ثم تضرب بمعدل النمو الوسيطى لأشجار الصنوبر الأمريكية الشمالية، والذي هو 4.5. عملية سهلة جداً، وتقود إلى الاستنتاج التالي: هذه الأشجار لم تُقطع منذ فترة طويلة، ربما منذ جيلين كاملين. مهما يكن المعهد، فهو يقع وسط غابة قديمة، وهذا يعني أنه وسط مكانٍ ناءٍ مجهول. أما بالنسبة للملعب نفسه، ففكرته الأولى هي أنه إذا أقيمت ذات يوم ساحة تمرين في سجن للأولاد الذين تتراوح أعمارهم بين السادسة والسادسة عشرة فستشبه هذا الملعب تماماً.

رأتهما الفتاة - آيريس - ولوّحت لهما بيدها. قفزت عالياً على الترامبولين، مطيرةً ذيل حصانها في الهواء، ثم قامت بوثة أخيرة فوق الطرف وحطت على المادة الطرية باسطةً رجليها وثانيةً رُكبتيها. «شا! من معك هناك؟».

«هذا لوك إليس»، قالت كاليشا. «وصلَ هذا الصباح».

«أهلاً يا لوك». اقتربت آيريس منهما ومدّت يدها. كانت فتاة نحيلة، وأطول من كاليشا بخمسة سنتيمترات. وجهها جميل ولطيف، وخذّاتها وجبهتها تلمعان بما افترض لوك أنه مزيج من العرق وطارد الحشرات. «آيريس ستانهوب».

صافحها لوك وهو يُدرك أن الحشرات - الميجات حسبما يسمونها في مينيسوتا، ولم تكن لديه أي فكرة عما يسمونها هنا - بدأت تستطلععه. «لستُ سعيداً أن أكون هنا، لكنني أظن أنني سعيد بلقائك».

«أنا من أبيلين، تكساس. وأنت؟».

«مينيابوليس. إنها تقع في -»

«أعرف أين تقع»، قالت آيريس. «أرض المليار بحيرة، أو سخافة من هذا النوع».

«جورج!»، صرخت كاليشا. «أين أخلاقك يا فتى؟ تعال إلى هنا!».

«بالتأكيد، لكن مهلاً. هذا مهم». داس جورج على خط الرميات الحرة عند حافة الأسفلت مُمسكاً كرة السلة عند صدره، وبدأ يتكلم بصوت منخفض

مليء بالتوتر. «حسناً يا رفاق، بعد سبع مباريات صعبة، هذه هي اللحظة الحاسمة. لقد مُدِّد وقت المباراة مرتين، وفريق المشعوذين متأخر عن فريق السلتيين بنقطة واحدة، ولدى جورج آيلز، الذي دخل كبديل للتو، فرصة للفوز بهذه المباراة عن خط الرميات الحرّة. إذا سجّل سلّة، يتعادل المشعوذون مرة أخرى. وإذا سجّل السلتيين، سيدخل التاريخ، وستوضع صورته على الأرجح في قاعة مشاهير كرة السلة، وقد يفوز بسيارة تسلا ذات سقف قابل للطيّ.»

«يجب أن تُصنّع خصيصاً لك»، قال لوك. «لأن تسلا لا تصنع سيارات ذات سقف قابل للطيّ، على الأقل ليس بعد.»

لم يكثرث جورج. «لا أحد على الإطلاق توقّع أن يكون آيلز في هذا الوضع، بالأخص آيلز. ساد صمت موحش فوق حلبة الكابيتال وان...»

«ثم ضرط أحدهم!»، صرخت آيريس. وَصَّعت لسانها بين شفّتيها وصفّرت صفرة طويلة فقاعية. «نفخة بوق حقيقية! كريهة الرائحة أيضاً!».

«يأخذ آيلز نفساً عميقاً... يجعل الكرة ترتدّ عن الأرض مرتين، وهذه هي حركته المميّزة...»

«بالإضافة إلى فم ثرثار، لجورج حياة خيالية نشطة جداً»، قالت آيريس للوك. «اعتد على ذلك.»

ألقي جورج نظرة سريعة نحو ثلاثتهم. «آيلز يلقي نظرة غاضبة على أحد مشجّعي السلتيين الذي يسخر منه في الملعب المركزي... إنها فتاة تبدو غبية مثلما هي بشعة جداً...»

أطلقت آيريس صوت سخرية آخر.

«الآن يستدير آيلز نحو السلة... يسدّد آيلز...»

كرة هوائية.

«يا للهول يا جورج»، قالت كاليشا، «هذه تسديدة رهيبة. إما عادِل المباراة اللعينة أو اخسرّها، لكي نستطيع أن نتكلم. هذا الولد لا يعرف ما الذي حصل له.»

«كما لو أننا نعرف»، قالت آيريس.

ثنى جورج زُكْبَيْه وسَدَّد. تدحرجت الكُرّة حول الطّارة... فكّرت بالأمر...
ثم سقطت بعيداً.

«يفوز السلتيون، يفوز السلتيون!»، صاحت آيريس. قفزت قفزة تشجيع وهزّت سُرايات غير مرئية. «تعال الآن والقي التحية على الولد الجديد».

اقترب جورج وهو يلوّح بيده ليُبعد الحشرات عنه. كان قصيراً وممتلئ الجسم، وشَعْر لُوك أن مخيلته هي المكان الوحيد الذي سيلعب فيه كُرّة السلة المحترفة. عيناه الزرقاوان الشاحبتان ذكّرتا لُوك بأفلام پول نيومان وستيف ماكوين التي كان يحبّ أن يشاهدها مع رولف على محطة TCM وهما ممدّدان أمام التلفزيون ويأكلان الفُشار، وهذا جَعَله يشعر بالغيثان.

«يا ولد. ما اسمك؟».

«لُوك إليس».

«أنا جورج آيلز، لكنك عرّفت هذا على الأرجح من هاتين الفتاتين. إنهما متيمّتان بي».

أمسكت كاليشا رأسها، ومدّت له آيريس الإصبع الوسطى.

«معشوق الفتيات».

«لكن أدونيس وليس كيوييد»، قال لُوك مدلياً بدلوه هو أيضاً. محاولاً على أي حال. «أدونيس هو رمز الرغبة والجمال».

«مثلما تشاء. هل أعجبك المكان حتى الآن؟ مريع، أليس كذلك؟».

«ما هو هذا المكان؟ كاليشا تسمّيه المعهد، لكن ما معنى ذلك؟».

«الأجدر تسميته منزل السيدة سيغسبي للأولاد النفسانيين المتمرّدين»، قالت آيريس وبصقت.

هذا لا يشبه الدخول في منتصف فيلم؛ بل الدخول في منتصف الموسم الثالث لبرنامجٍ تلفزيونيّ. برنامجٍ يدور حول مؤامرة معقّدة.

«من هي السيدة سيغسبي؟».

«ملكة السافلات»، قال جورج. «ستلتقي بها، ونصحتي لك هي ألا تخاطبها بوقاحة. لا يروق لها أن يخاطبها الآخرون بوقاحة».

«هل أنت تخ أو تع؟»، سألت آيريس.

«أظن تع». في الواقع كان هذا أكثر بكثير من مجرد ظن. «الأشياء تتحرّك قربي أحياناً، وبما أنني لا أصدّق بوجود أرواح شريرة، فأنا على الأرجح الذي كنتُ أفعل ذلك. لكن هذا لا يمكن أن يكون كافياً لكي...». انخفت صوته. لا يمكن أن يكون كافياً لإحضاري إلى هنا هو ما كان يفكر فيه. لكنه أصبح هنا.

«تع-إيجابي؟»، سأل جورج. توجه إلى إحدى طاولات النزهة. تبعه لوك، وخلفهما الفتاتان. يمكنه احتساب العمر التقريبي للغابة التي تحيط بهم، ويعرف أسماء مئة جرثومة مختلفة، ويمكنه أن يستظهر لهؤلاء الأولاد مؤلفات همنغواي أو فوكنر أو فولتير، لكنه لم يشعر أبداً في حياته أنه متأخر عن اللحاق بالركب مثل الآن.

«ليست لديّ أي فكرة عن معنى هذا».

قالت كاليشا، «إيجابي هو ما يسمّون به الأولاد مثلي وجورج. الفيّون والممرّضون والأطباء. لا يُفترَض بنا معرفة ذلك -»

«لكننا نعرفه»، أكملت آيريس الجملة. «هذا ما تسمّيه سرّاً مكشوفاً. ال تع وال تخ الإيجابيون يستطيعون فعل ذلك عندما يشاؤون، أحياناً على الأقل. على عكس بقيتنا. بالنسبة لي، تتحرّك الأشياء فقط عندما أكون غاضبة جداً، أو سعيدة حقاً، أو عندما أجفل. عندها يحصل ذلك لا إرادياً، مثل العطس. لذا فأنا عادية فقط. يسمّون ال تع وال تخ العاديين زهرين».

«لماذا؟»، سأل لوك.

«لأنك إذا كنتَ عادياً فقط، يضعون نقطة زهرية صغيرة على الأوراق في مجلدك. لا يُفترَض بنا أيضاً رؤية ماذا يوجد في مجلداتنا، لكنني رأيتُ محتويات مجلدي ذات يوم. إنهم مُهمِلون أحياناً».

«عليك الحذر وإلا سيصبحون مُهمِلين على مؤخّرتك»، قالت كاليشا.

قالت آيريس، «يخضع الزهريون لمزيد من الاختبارات ويتلقون المزيد من الحُقن. خضعتُ لاختبار الخزّان. كان مربعاً، لكن ليس كثيراً».

«ما هو -»

لم يفسح جورج المجال لكي يُنهى لوك سؤاله. «أنا تع-إيجابي، لا نقطة زهرية في مجلدي. صفر زهري لهذا الولد».

«هل رأيت مجلدك؟»، سأل لوك.

«لا داعي. أنا رائع. راقب هذا».

لم يكن هناك تركيزٌ مثل تركيز النساك، بل اكتفى الولد بالوقوف هناك، لكن شيئاً مذهلاً حصل. (بدا مذهلاً للوك، على الأقل، رغم أن الفتاتين لم تبدوا منذهلتين كثيراً). سحابة الميحات التي تتطاير حول رأس جورج تراجعت إلى الخلف مشكّلةً ذيل مذئّب نوعاً ما، كما لو أن هبّة رياح قوية أصابتها. ما عدا أنه لم تكن هناك رياح.

«أرأيت؟»، قال. «تع-إيجابي أثناء عمله. لكن هذا لا يدوم طويلاً».

بالضبط. فقد عادت الميحات فوراً لتتحلّق حوله ولم تلتصق به إلا بفضل طارد الحشرات الذي كان قد رشّه على نفسه.

«تلك الرمية الثانية التي سدّتها نحو السلة»، قال لوك. «هل كان يمكنك أن تجعلها تدخل؟».

هزّ جورج رأسه وبدا نادماً.

«أتمنى لو يُحضرون تع-إيجابيين أقوىاء حقاً»، قالت آيريس وقد تلاشت إثارته من لقاء الولد الجديد. بدت مُتعبّة وخائفة وأكبر سناً من عمرها، الذي خمّنه لوك أنه حوالي الخامسة عشرة. «ولدٌ يستطيع نقلنا جسدياً من هذا المكان اللعين». جلّست على أحد مقاعد طاولة النزهة ووضعت يدها فوق عينيها.

جلّست كاليشا ووضعت ذراعاً حولها. «بالله عليك. سنكون بخير».

«لا»، قالت آيريس. «انظري إلى هذا، أنا وسادة دبابيس!». مدّت ذراعيها مُظهرةً ضمادتين لاصقتين على اليسرى وثلاث على اليمنى. ثم فركت عينيها بقوة وأظهرت ما افترض لوك أنه تعبيرها الجدّي. «إذاً أيها الولد الجديد - هل يمكنك تحريك الأشياء عن قصد؟».

لم يتكلّم لوك أبداً عن سيطرة العقل على المادة - المعروفة أيضاً بالتحريك العقلي - إلا مع والديه. فقد قالت أمه إن هذا سيُزعج الناس إذا عرفوا. وقال أبوه إنه أقل شيء مهم فيه. وافقهما لوك الرأي بشأن

المسألتين، لكن هؤلاء الأولاد لم يرتعبوا، وهذه القدرة مهمة في هذا المكان. هذا أمر واضح.

«لا. لا يمكنني حتى أن أهزّ أذنيّ».

ضحكوا، وزال توثر لوك. هذا المكان غريب ومخيف، لكنه على الأقل يضم أولاداً يبدون لطفاء.

«تتحرك الأشياء بين الحين والآخر، فقط لا غير. الأطباق، أو الأواني الفضية. أحياناً ينغلق بابٌ لوحده. مرة أو مرتين أضيء المصباح في مكتبي. لم يحدث أي شيء مهم أبداً. تبا، لم أكن متأكداً بالكامل أنني أنا من يفعل ذلك. اعتقدتُ أن هبةً ربح ربما... أو ارتجاجات عميقة في باطن الأرض...»

كانوا كلهم ينظرون إليه بعيون حكيمة.

«حسناً»، قال. «لقد عرّفْتُ. وعرّف والداي أيضاً. لكنه لم يكن أمراً ذا شأن كبير أبداً».

ربما كان ليكون أمراً ذا شأن كبير، فكّر في سرّه، لو لم يكن ذكياً بشكل غريب، فالولد لم يُقَيَل في كلية واحدة بل كليتين في سنّ الثانية عشرة. لنفترض أن لديك إبناً في السابعة من عمره يستطيع أن يعزف على البيانو مثل فان كلايبورن. هل سيكثر أي شخص إن كان ذلك الولد قادراً على فعل بعض الخدع البسيطة أيضاً؟ أو أن يهزّ أذنيه؟ لكن هذا شيء لا يمكنه أن يقوله لجورج وأيريس وكاليشا. فقد يبدو تبجحاً.

«أنت محقّ، هذا ليس أمراً ذا شأن كبير!»، قالت كاليشا بشدة. «هذه هي المشكلة في المسألة! لسنا فرقة العدالة أو رجال-أكس!».

«هل خُطفنا؟»، سأل وهو يتمنى أن يضحكوا. يتمنى أن يقول أحدهم بالطبع لا.

«أليس هذا واضحاً؟»، قال جورج.

«لأنه يمكنك جعل الحشرات تبتعد لثانية أو ثانيتين؟ لأنه...»، تذكر سقوط الصينية عن الطاولة في بيتزا روكيت. «لأنني بين الحين والآخر أدخل غرفةً وينغلق الباب خلفي؟».

«حسناً»، قال جورج، «لو كانوا يقبضون على الناس بسبب جمال مظهرهم، لما كانت أيريس وشا هنا».

«أحمق»، قالت كاليشا.

ابتسم جورج. «رُدّ حذق جداً. بنفس مستوى تباً لك».

«أحياناً يكاد ينفد صبري بانتظار أن تذهب إلى النصف الخلفي»، قالت آيريس. «قد أموت بسبب ذلك، لكن -»

«مهلاً»، قال لوك. «فقط مهلاً. ابدأي من البداية».

«هذه هي البداية يا صاح»، قال صوت من خلفهم. «لسوء الحظ أنها ربما النهاية أيضاً».

2

خَمَّن لوكُ عمر القادم الجديد في السادسة عشرة، لكنه عَرَفَ لاحقاً أنه أكبر من ذلك بسنتين. كان نيكي ويلهولم طويل القامة وذا عينين زرقاوين وشعر أشعث حالك السواد يصرخ مطالباً بجرعة مضاعفة من الشامبو. كان يرتدي قميصاً مُجَعِّداً مزَرَّراً فوق شورت مُجَعِّدٍ، وجواربه الرياضية البيضاء هابطةً على ساقيه، وحذاءؤه الرياضي قذراً. تذكر لوك قول مورين إنه مثل الصبي الوسخ في الرسوم الهزلية بيتس.

راح الآخرون ينظرون إليه باحترام حذرٍ، وفهم لوك فوراً. لم تكن كاليشا وآيريس وجورج سعداء بالتواجد هنا تماماً مثل لوك، لكنهم يحاولون المحافظة على نظرة إيجابية إلى الأمور؛ لكن عندما اضطربت آيريس، أبدوا جواً أبه قليلاً من التفاؤل. لكن الحال مختلفة مع هذا الشاب. لم يبذُ نيكي غاضباً الآن، لكن من الواضح أنه كان غاضباً في الماضي غير البعيد جداً. هناك جرح يتماثل إلى الشفاء على شفته السفلى المتورّمة، وبقايا ورم على عينه، ورضّة حديثة على خده.

مشاكسٌ إذاً. لقد رأى لوك بعض المشاكسين من قبل، حتى إن هناك مشاكسين في مدرسة برودريك. يتحاشاهما مع رولف، لكن إذا كان هذا المكان سجنًا مثلما بدأ لوك يشك، فلا إمكانية أبداً لتحاشي نيكي ويلهولم. لكن بدا له أن الثلاثة الآخرين غير خائفين منه، وهذه إشارة جيدة. قد يكون نيكي غاضباً من الهدف الذي يكمن وراء تسمية المعهد، لكنه بدا حاداً فحسب مع رفاقه. مركزاً. ومع ذلك فإن تلك العلامات على وجهه توحى باحتمالات بغيضة، خاصة إذا لم يكن مشاكساً بطبيعته. ماذا لو أن راشداً سببها له؟ المدرّس الذي

يفعل شيئاً كهذا، ليس في برود فقط بل في أي مكان تقريباً، سيُطرَد، ويُقاضى على الأرجح، وربما يُعتقل.

تذكّر كاليشا تقول لم نعد في كنساس يا توتو.

«أنا لُوك إليس». مدّ يده دون أن يكون متأكداً ماذا يتوقّع.

تجاهله نيكي وفتح خزانة المعدّات الخضراء. «هل تلعب الشطرنج يا إليس؟ هؤلاء الثلاثة مريعون بها. تستطيع دونا غيبسون إعطائي جولةً مقبولةً على الأقل، لكنها ذهبت إلى النصف الخلفي منذ ثلاثة أيام.»

«ولن نراها بعد اليوم»، قال جورج باكتئاب.

«ألعب»، قال لُوك، «لكنني لا أرغب الآن. أريد أن أعرف أين أنا وما الذي يجري هنا.»

أخرج نيك رقعة شطرنج وصندوقاً فيه الجيشان. وضع القطع في مكانها بسرعة وهو يحدّق عبر الشعر الذي سقط على عينيه بدلاً من أن يُرجعه إلى الخلف. «أنت في المعهد. في مكان ما في براري ماين. ليس حتى بلدة، بل مجرد إحدائيات خريطة. أثر-110. علمت شا هذا من مجموعة أشخاص. وكذلك دونا، وكذلك بيت ليتلجون. إنه تخ آخر ذهب إلى النصف الخلفي.»

«يبدو كما لو أن بيتي ذهب منذ فترة طويلة، رغم أن ذلك حصل الأسبوع الفائت فقط»، قالت كاليشا متأسفةً. «هل تتذكّر كل تلك البثور؟ وكيف تنزل نظاراته عن أنفه باستمرار؟»

لم يكثر لها نيكي. «لا يحاول حرّاس حديقة الحيوانات إخفاء ذلك أو إنكاره. ولماذا يفعلون ذلك عندما يعملون على أولاد تخ يوماً بعد يوم؟ ولا يقلقون بشأن الأمور التي يريدون إبقائها سراً، لأنه حتى شا لا تستطيع التعمّق كثيراً، وهي بارعة جداً.»

«يمكنني نيل مجموع تسعين بالمئة على بطاقات الراين معظم الأيام»، قالت كاليشا بعدم تبجّح، بل فقط بنبرة تسرد واقعةً حقيقيةً. «ويمكنني إخبارك إسم جدّتك إذا وصّته في مقدمة ذهنك، لكن المقدمة هي أقصى ما يمكنني اختراقه.»

جدّتي تدعى ربيكا، فكّر لُوك في سرّه.

«ريببكا»، قالت كاليشا، وعندما رأت التفاجؤ على وجه لوك، انفجرت في نوبة قهقهات جعلتها تشبه الولد الذي كانت عليه منذ وقت غير بعيد.

«ستحصل على القِطع البيضاء»، قال نيكي. «أنا ألعب بالقِطع السوداء دائماً».

«نيك هو الخارج عن القانون الفخري لدينا»، قال جورج.

«ولديه العلامات لبرهنة ذلك»، قالت كاليشا. «هذا لا يفيد به شيء، لكن يبدو أنه خارج عن إرادته. غرفته في حالة من الفوضى، وهذا تمرّد طفولي آخر لا ينفع إلا بزيادة العبء على مورين».

استدار نيكي إلى الفتاة السوداء مكشّراً. «لو كانت مورين حقاً التقيّة التي تعتقدونها، لكانت أخرجتنا من هنا. أو لكشفت أمرنا إلى أقرب مخفر شرطة».

هزّت كاليشا رأسها. «كن واقعياً. إذا كنت تعمل هنا، ستكون جزءاً من المكان. سواء كان جيداً أم سيئاً».

«بغضناً أو لطيفاً»، أضاف جورج. بدا وقوراً.

«كما أن أقرب مخفر عبارة على الأرجح عن مجموعة كلاب بوليسية وشرطي واحد على بُعد كيلومترات من هنا»، قالت إيريس. «بما أنه يبدو أنك نصّبت نفسك كبير الشارحين يا نيك، لماذا لا تُخبر الولد بالتفاصيل حقاً؟ يا للهول، ألا تتذكر مدى غرابة أن تستيقظ هنا في غرفة تشبه غرفتك بالضبط؟».

استراح نيك وشبّك ذراعيه ببعضهما. صدف أن رأى لوك كيف كانت كاليشا تنظر إليه، وفكر أنها إذا قبّلت نيكي ذات يوم فسيكون لمجرد نقل عدوى جذري الماء إليه.

«حسناً يا إيليس، سأخبرك بما نعرفه. أو بما نعتقد أننا نعرفه. لن يستغرق ذلك وقتاً طويلاً. أيتها السيدات، لا تتردّدن في مقاطعتي. جورج، ابقِ فمك مغلقاً إذا شعرت أن كلاماً فارغاً سيخرج منه».

«شكراً جزيلاً»، قال جورج. «وبعد أن أدعك تقود سيارتي الپورش».

«كاليشا أقدم شخص هنا»، قال نيكي. «بسبب جذري الماء. كم ولدأ رأيت خلال ذلك الوقت يا شا؟».

فكرت. «على الأرجح خمسة وعشرين. ربما أكثر قليلاً».

أوما نيكي برأسه. «هم - نحن - نأتي من كل مكان. شا من أوهايو، آيريس من تكساس، جورج من فجوة المجد، مونتانا -»

«أنا من بيلينغز»، قال جورج. «بلدة محترمة جداً».

«أولاً، يوسموننا كما لو أننا طيور مهاجرة أو جواميس لعينة». مسد نيكي شعره إلى الخلف وطوى شحمة أذنه إلى الأمام مُظهراً طوقاً معدنياً ساطعاً قطره 9 ملم. «يفحصوننا، يختبروننا، يعطوننا حُقناً للنقاط، ثم يفحصوننا مرة أخرى ويجرون المزيد من الاختبارات. يتلقى الزهريون المزيد من الحُقن ويخضعون للمزيد من الاختبارات».

«خضعتُ لاختبار الخزان»، قالت آيريس مرة أخرى.

«مبروك لك»، قال نيك. «إذا كنا إيجابيين، يجعلوننا نقوم بحركات سخيفة كأننا حيوانات أليفة. صدقَ أنني شخصياً تع-إيجابي، لكن جورج الثرثار أفضل مني بكثير في ذلك. وجاءنا ذات يوم ولدٌ، لا أستطيع تذكر اسمه، كان حتى أفضل من جورج».

«بوبي واشنطن»، قالت كاليشا. «ولد أسود صغير، ربما في التاسعة من عمره. يمكنه دفع طبقك حتى يقع عن الطاولة. ذهب... منذ متى يا نيكي؟ أسبوعين؟».

«أقل من ذلك بقليل»، قال نيكي. «لو ذهبَ منذ أسبوعين، لكان جرى ذلك قبل أن آتي».

«كان هنا ذات ليلة على العشاء»، قالت كاليشا، «وذهبَ إلي النصف الخلفي في اليوم التالي. اختفى فجأة. تراه الآن، ثم فجأة لا تراه. أنا التالية على الأرجح. أعتقد أنهم أوشكوا على الانتهاء من كل اختباراتهم».

«وأنا مثلك»، قال نيكي بحدة. «سيسرهم على الأرجح أن يتخلصوا مني».

«يحقنوننا»، قالت آيريس. «بعض الحُقن مؤلم وبعضها لا، وبعضها تؤثر عليك بطرق معينة وبعضها لا. أصبتُ بحمى بعد إحداها، ثم أصابني صداع مربع. ظننتُ أنني ربما التقطتُ جذري الماء من شا، لكن كل شيء زال بعد يوم واحد. يستمرون بحقنك إلى أن ترى النقاط وتسمع الهمهمة».

«نجوت من ذلك بسهولة»، أخبرتْها كاليشا. «بضعة أولاد... أحدهم يدعى مورتى... لا أستطيع تذكر كنيته...»

«منظَّف أنفه بإصبعه»، قالت آيريس. «الولد الذي اعتاد أن يتسكَّع مع بوبي واشنطن. لا يمكنني تذكر كنيته أيضاً. ذهب إلى النصف الخلفي بعد يومين على وصولي إلى هنا.»

«ما عدا أنه ربما لم يذهب إلى هناك»، قالت كاليشا. «لم يبقَ هنا طويلاً أبداً، وبرزت عليه البُقَع بعد إحدى تلك الحُقَن. أخبرتني بذلك في المطعم. قال إن قلبه لا يزال ينبض بسرعة جنونية أيضاً. أعتقد أنه ربما مريض حقاً». سكتت قليلاً. «وربما حتى مات.»

كان جورج ينظر إليها برعب مشدوه. «السخريّة والذعر المراهق أمران لا بأس بهما، لكن أخبريني أنك لا تصدِّقين هذا حقاً.»

«حسناً، لا أريد التصديق بالتأكيد»، قالت كاليشا.

«اصمتوا، كلكم»، قال نيكى. مال إلى الأمام فوق الرقعة وراح يحدِّق بلُوك. «يخطفوننا، نعم. لأن لدينا قدرات نفسانية، نعم. كيف يجدوننا؟ لا أعرف. لكن لا شك أنها عملية كبيرة، لأن هذا المكان كبير. إنه مجمَّع لعين. لديهم أطباء، تقنيون، أشخاص يسمُّون أنفسهم ممرّضين... هذا المكان كأنه مستشفى صغير مزروع في الغابة.»

«وحرّاس»، قالت كاليشا.

«نعم. الرجل المسؤول عن الأمن شخص ضخم أصلع لعين. يدعى ستاكهاوس.»

«هذا جنون»، قال لُوك. «في أميركا؟»

«هذه ليست أميركا، هذه مملكة المعهد. عندما نذهب إلى الكافيتيريا لتناول الغداء يا إيليس، انظر خارج النوافذ. سترى أشجاراً أكثر بكثير، لكن إذا نظرت جيداً، سترى أيضاً مبنىً آخر. من الطوب الخرساني الأخضر، مثل هذا تماماً. أظن أن هذا يجعله يندمج مع الأشجار. على أي حال، ذلك المبنى هو النصف الخلفي. حيث يذهب الأولاد عندما تنتهي كل الاختبارات والحُقَن.»

«ماذا يجري هناك؟»

كاليشا هي التي أجابته. «لا نعرف.»

أوشكَ لوك أن يسأل إن كانت مورين تعرف، ثم تذكر ما همست كاليشا في أذنه: يتنصتون علينا.

«تعرف ما يُخبروننا به»، قالت آيريس. «يقولون -»

«يقولون إن كل شيء سيكون على ما يرام!».

صرخ نيكي هذا بصخب كبير وبشكل فجائي لدرجة أن لوك ارتدَّ وكاد يسقط عن مقعد النزهة. نهض الفتى الأسود الشعر ووقف ينظر إلى فوق نحو العدسة المليئة بالغبار لإحدى الكاميرات. تذكر لوك شيئاً آخر قالته كاليشا: عندما تلتقي نيكي، لا تقلق إذا انفجر صاخباً. هذه هي الطريقة التي ينفس بها عن غضبه.

«إنهم مثل مبشرين يسوقون معتقداتهم إلى مجموعة هنود يمكن اعتبارهم...»

«سُدج؟»، قال لوك مغامراً.

«صحيح! سُدج!». كان نيكي لا يزال يحدق بالكاميرا. «مجموعة هنود سُدج لدرجة أنهم سيصدقون أي شيء، أنهم إذا تخلوا عن أراضيم لقاء حفنة خرزات وبطانيات لعينة مليئة بالبراغيث، سيذهبون إلى السماوات ويلتقون بكل أنسابهم الموتى ويعيشون بسعادة إلى الأبد! هذا نحن، مجموعة هنود سُدج كفاية لنصدق أي شيء يبدو جميلاً، يبدو كأنه نهاية... سعيدة... لعينة!».

استدار صوبهم فجأة يشعر يتطاير وعينين تحترقان ويدين مشدودتين إلى قبضتين. رأى لوك جروحاً تماثل إلى الشفاء على مفاصل أصابعه. شك أن يكون نيكي قد سبب أذى بنفس المقدار الذي تلقاه - فهو مجرد ولد في النهاية - لكن بدا أنه سبب شيئاً لأحدهم على الأقل.

«هل تعتقدون أنه كان لدى بوبي واشنطن أي شكوك أن تجاربه انتهت عندما أخذوه إلى النصف الخلفي؟ أو بيت ليتلجون؟ يا للهول، لو كانت الأدمغة باروداً، لما كان بمقدور ذاك الاثنان أن يمخطا».

استدار مرة أخرى إلى الكاميرا العليا القذرة. أنه لم يكن لديه أي شيء آخر لينفس غضبه عليه جعله يبدو سخيلاً قليلاً، لكن لوك أبدى إعجابه به في جميع الأحوال. فهو لم يتقبل الحالة.

«اسمعوا أنتم! يمكنكم ضربي ضرباً مبرحاً، ويمكنكم أخذني إلى النصف الخلفي، لكنني سأحاربكم في كل خطوة! نيك ويلهولم لا يتاجر لقاء خرزات

وبطانيات!».»

جَلَسَ وراح يَتَنَفَّسُ بصعوبة. ثم ابتسم مُظهراً غَمَازَتَيْنِ وأَسناناً بيضاء وعينين مَبْتَهَجَتَيْنِ. لقد زالت الشخصية المتجَهِّمة المَكْتئِبَةُ كما لو أنها لم تكن هناك أبداً. لُوَكُ لا ينجذب إلى الشباب، لكنه عندما رأى تلك الابتسامة، فهم لماذا كاليشا وأيريس تنظران إلى نيكي كما لو أنه المغني الرئيسي في فرقة فتيان موسيقية.

«يجب أن أكون في فريقهم على الأرجح بدلاً من التوقيع هنا مثل دجاجة في قفص. يمكنني تسويق هذا المكان بشكل أفضل من سيغسبي وهندريكس وبقية الأطباء. لديَّ القدرة على الإقناع.»

«بالطبع»، قال لُوَكُ، «لكنني لسْتُ متأكداً كلياً إلى ماذا تريد أن تصل.»

«أجل، خرجت إلى مسار جانبي نوعاً ما يا نيكي»، قال جورج.

شبك نيكي ذراعيه مرة أخرى. «قبل أن أهزمك في الشطرنج أيها الولد الجديد، دعني أراجع الحالة. يُحَضِرُوننا إلى هنا. يختبروننا. يحقنوننا بأشياء لا نعلم ما هي، ثم يختبروننا أكثر فأكثر. يخضع بعض الأولاد لاختبار الخُرَّان، ويخضع كل الأولاد لاختبار العين الغريب الذي يجعلك تشعر كأنك ستفقد الوعي. لدينا عُرف تشبه عُرفنا في المنزل، وهذا يُفْتَرَضُ به على الأرجح أن يعطينا، لا أعرف، بعض الهدوء في أحاسيسنا الطرية.»

«تأقلم نفسي»، قال لُوَكُ. «أظن أن هذا منطقي.»

«هناك طعام جيد في الكافيتيريا. نطلبه في الواقع من قائمة، رغم أنها محدودة. أبواب الغرف لا تُقفل، لذا إذا لم تستطع أن تنام، يمكنك أن تذهب إلى هناك وتتناول وجبة خفيفة لمنتصف الليل. يتركون لنا كعكات، مكسرات، تفاح، وما شابه. أو يمكنك الذهاب إلى المطعم. الآلات هناك تعمل بالفَيْش، والتي لا أملك أياً منها، لأن فقط الفتيات الصالحات والفتيان الصالحين يحصلون على فَيْش، وأنا لسْتُ فتى صالحاً. برأيي ما يجب فعله بالفتى الكشَّاف هو تركيعه على رُكبتَيْهِ الصغيرتين -»

«عُد»، قالت كاليشا بحدَّة. «أوقف هذا الهُراء.»

«فهمتُ». ابتسم لها نيك تلك الابتسامة القاتلة، ثم أعاد تركيز انتباهه على لُوَكُ. «هناك حوافز كثيرة لتكون صالحاً وتحصل على فَيْش. هناك وجبات خفيفة ومياه غازية في المطعم، تشكيلة عريضة جداً.»

«فُشار وفول سوداني بنكهات عديدة»، قال جورج بأسلوب حالم.
«لذيذة».

«هناك سجائر أيضاً، وبراءات شراب عنب، ومشروبات قوية».

آيريس: «هناك لافتة تقول اشرب بمسؤولية رجاءً. بوجود أولاد يافعين في العاشرة من أعمارهم يضغطون الأضرار للحصول على شراب عنب بنكهة التفاح وشراب شعير حادّ، ألا تجدون هذا مُضحكاً جداً؟».

«لا شك أنكم تمزحون»، قال لوك، لكن كاليشا وجورج أوماً برأسيهما.

«يمكنك أن تشمل لكن ليس إلى درجة مُبالغ بها»، قال نيكي. «لا أحد يحصل على فيّش كافية لذلك».

«صحيح»، قالت كاليشا، «لكن لدينا أولاد يبقون ثملين قدر ما يستطيعون».

«تقصدين شاربي الصيانة؟ شاربو الصيانة الذين في العاشرة والحادية عشرة من أعمارهم؟». لا يزال لوك لا يستطيع تصديق ذلك. «لستَ جدّياً».

«بلى. هناك أولاد يفعلون أي شيء يطلبونه منهم فقط لكي يتمكنوا من استخدام موزّع الشراب كل يوم. لستَ هنا منذ مدة طويلة كفاية لكي أجري دراسة حول ذلك، لكنك تسمع قصصاً من الأولاد الذين وصلوا إلى هنا قبلك».

«أيضاً»، قالت آيريس، «لدينا أولاد كُتّر بدأوا يعتادون على التدخين».

هذا سخيف، لكن لوك افتترض أنه أمر منطقي من النوع المجنون أيضاً. تذكر الشاعر الروماني الهجاء، جوقيتل، الذي قال إنك إذا أعطيت الناس خبزاً وسيركاً، فسيكونون سعداء ولن يسبّبوا لك أي متاعب. شَعَرَ أن الشيء نفسه قد يصحّ بشأن الشراب والسجائر، خاصة إذا قدّمتها إلى أولاد مسجونين خائفين وحزينين. «ألا تؤثر تلك الأمور على اختباراتهم؟».

«من الصعب القول بما أننا لا نعرف ما هي الاختبارات»، أخبره جورج.
«يبدو أنهم لا يريدون سوى أن ترى النقاط وتسمع المهمة».

«ما هي النقاط؟ وما هي المهمة؟».

«ستعرف بنفسك»، قال جورج. «هذا الجزء ليس سيئاً جداً. الوصول إلى هناك هو الجزء اللعين. أكره الحُقن».

قال نيكى، «حوالى ثلاثة أسابيع. هذه هي المدة التي يقضيها معظم الأولاد في النصف الأمامي. على الأقل هذا ما تعتقده شا، وهي أقدم شخص هنا. ثم نذهب إلى النصف الخلفي. بعد ذلك - وهذه هي القصة - يتم استنطاقنا وتُمحي ذاكرتنا عن هذا المكان بطريقة أو بأخرى». فتَح ذراعيه ورفع يديه إلى السماء مُباعدًا بين أصابعه. «وبعد ذلك أيها الأولاد، نذهب إلى السماوات! نظيفون تمامًا، ما عدا ربما من عادة تدخين علبة في اليوم! الحمد لله!».

«يقصد أننا نعود إلى منزل أهالينا»، قالت آيريس بهدوء.

«حيث سيُرَحَّب بكم أحسن ترحاب»، قال نيكى. «بدون طرح أسئلة، بل مجرد أهلاً بك في المنزل وهيا بنا إلى المطعم لنحتفل. هل يبدو لك هذا واقعياً يا إيليس؟»

لا.

«لكن أهالينا أحياء، صح؟». لم يعرف لوك كيف بدا للآخرين، لكن صوته بدا له ضعيفاً جداً.

لم يُجبه أيُّ واحد منهم، بل اكتفوا بالنظر إليه. وهذا كان جواباً كافياً له حقاً.

3

سمعت السيدة سيغسبي قرعاً على باب مكتبها. دعت الزائر إلى الدخول دون أن ترفع عينيها عن شاشة كمبيوترها. الرجل الذي دخل كان بطول الطبيب هندريكس تقريباً، لكنه أصغر سنًا بعشر سنوات وبحالة صحية أفضل بكثير - عريض الكتفين ومفتول العضلات. جمجمته ناعمة وحليقة ولامعة. يرتدي سروال جينز وقميص عمل أزرق، وقد رفع كُمَّيه ليُظهر عضلاته ذاتي الرأسين الجديرتين بالإعجاب. كما يضع قراباً على أحد وركيه تنتئ منه عصا معدنية قصيرة.

«مجموعة الياقوت الأحمر هنا، إذا كنتِ تريدين التكلم معهم بشأن عملية إيليس».

«هل هناك أي شيء عاجل أو غير مألوف فيها يا تريفور؟».

«لا يا سيدتي، ليس حقاً، وإذا كنتِ أتطلُّ، يمكنني العودة لاحقاً».

«لا، لا، فقط أعطني دقيقة. مقيمونا يقدمون ملخصاً سريعاً للفتى الجديد. تعال وشاهد معي. مزيج الخرافة والمراقبة مُضحك. كأنه مشهد من فيلم سيد الذباب».

استدار تريفور ستاكهاوس حول المكتب. رأى ويلهولم - ولد لعين مزعج - على أحد طرفي رقعة شطرنج مُعدّة وجاهزة لانطلاق الجولة، والملتحق الجديد يجلس على الطرف الآخر. الفتاتان تقفان قربهما، ومعظم انتباههما مركزاً، كالعادة، على ويلهولم - وسيم، متجهّم، ثائر، جايمس دين عصري. سيرحل قريباً؛ يكاد ينفذ صبر ستاكهاوس بانتظار أن يوقّع هندريكس على قسيمة تسليمه إليه.

«كم تعتقدون العدد الإجمالي للأشخاص الذين يعملون هنا؟»، كان الفتى الجديد يسأل.

نظرت آيريس وكاليشا (المعروفة أيضاً بفتاة جدي الماء) إلى بعضهما البعض. آيريس هي التي أجابته. «خمسون؟ أعتقد هذا العدد على الأقل. هناك أطباء... فتيون وممترضون... موظفو الكافيتيريا... ممم...»

«بوابان أو ثلاثة»، قال ويلهولم، «ومدبرات المنزل. فقط مورين الآن، لأن عددنا خمسة فقط، لكن عندما يأتي مزيد من الأولاد، يضيفون مدبرتي منزل آخرين. قد يأتين من النصف الخلفي، لست متأكداً من هذا».

«بوجود هذا العدد الكبير من الأشخاص، كيف يستطيعون المحافظة على سرية المكان؟»، سأل إليس. «بادئ ذي بدء، أين يركنون سياراتهم حتى؟».

«سؤال مثير للاهتمام»، قال ستاكهاوس. «لا أعتقد أن أي شخص سأله من قبل».

أومأت السيدة سيغسبي برأسها. «هذا الفتى ذكي جداً، ولا يبدو مجرد ذكي عادي. أسكت الآن. أريد سماع هذا».

«... يجب أن يبقى»، كان لوك يقول. «هل ترون المنطق؟ مثل وردية عمل. وهذا يعني أننا في الواقع في منشأة حكومية. مثل أحد تلك المواقع السوداء، حيث يأخذون الإرهابيين لاستجوابهم».

«زائد الأسلوب القديم بالعلاج بالماء عبر وضع كيس فوق الرأس»، قال ويلهولم. «لم أسمع أبداً أنهم فعلوا ذلك لأحد الأولاد هنا، لكنني لا أستبعد

لجوءهم إلى هذه الطريقة».

«لديهم الخزان»، قالت آيريس. «هذا هو علاجهم بالماء. يضعون قبعة عليك ويغطسونك ثم يدونون ملاحظات. إنه أفضل من الحُقن في الواقع». سكتت قليلاً. «بالنسبة لي على الأقل».

«يجب أن يستبدلوا الموظفين في مجموعات»، قال إيس. شعرت السيدة سيغسبي أنه يكلم نفسه أكثر مما يكلم الآخرين. أنا أكيدة أنه يفعل ذلك كثيراً، فكرت في سرّها. «إنها الطريقة الوحيدة لنجاح هذا».

كان ستاكهاوس يومئ برأسه. «استنتاجات جيدة. جيدة جداً. كم سنّه، اثنتا عشرة سنة؟».

«اقرأ تقريرك يا تريفور». ضغطت زراً على كمبيوترها وظهرت شاشة التوقف: صورة لإبنتيها التوأمين في عربتهما المزدوجة التُقطت قبل سنوات من نمو ثدييهما واكتسابهما فمين ذكيين وأحباباً سيئين. وكذلك العادة السيئة بتعاطي المخدرات، في حالة جودي. «هل تم استنطاق الياقوت الأحمر؟».

«مني شخصياً. وعندما تفحص الشرطة كمبيوتر الولد، سيجدون أنه كان ينظر إلى بعض القصص عن أولاد يقتلون والديهم. ليس كثيراً، مجرد قصتين أو ثلاث».

«بمعنى آخر، التدبير القياسي لعملنا».

«نعم، سيدتي. إذا لم يكن معطلاً، لا تُصلحه». ابتسم لها ستاكهاوس ابتساماً وجدتتها فاتنة تقريباً كابتسامه ويلهولم عندما يتسمها ملء شذقيه. لكن ليس تماماً. نيكي مغنطيسٌ حقيقيٌ للفتيات. في الوقت الحاضر، على الأقل. «هل تريدين رؤية الفريق أم فقط تقرير العملية؟ دينيه ويليامز يكتبه، لذا يجب أن يكون مقروءاً نوعاً ما».

«إذا سار كل شيء بسلاسة، فقط التقرير. سأطلب من روزاليند إحضاره لي».

«ممتاز. ماذا بشأن ألغورسون؟ أي أخبار منها مؤخراً؟».

«هل تقصد إن كان ويلهولم وكاليشا بدأ تبادل القُبَل؟»، رفعت سيغسبي حاجب عينيها. «هل هذا أمر وثيق الصلة بمهمتك الأمنية يا تريفور؟».

«لا أكثرث البتة إن تبادلنا القبل أم لا. في الواقع، أحبذ أن يفقدا عذريتهما، بافتراض أنها لا تزال لديهما، بينما الفرصة سانحة لذلك. لكن من وقت لآخر، تلتقط ألفورسون أشياء وثيقة الصلة بمهمتي. مثل محادثتها مع فتى واشنطن».

مورين ألفورسون، مديرة المنزل التي بدا في الواقع أنها تتعاطف مع مقيمي المعهد اليافيين، هي في الحقيقة حمامة مُغوية (نظراً للثرثرات الصغيرة التي تنقلها إليهم، شعرت السيدة سيغسبي أن مصطلح جاسوسة مبالغ به). كاليشا وكل الـ تخ الآخرين لم يتكهنوا بذلك، لأن مورين بارعة جداً في إبقاء طريقتهما في جني بعض المال الإضافي بعيدة تحت السطح.

ما جعلها قيّمة جداً هي الفكرة التي زرعتها بعناية أن بعض الأماكن في المعهد - الزاوية الجنوبية للكافيتيريا وناحية صغيرة بالقرب من آلات البيع في المطعم، على سبيل الذكر لا الحصر - غير مراقبة صوتياً. تلك هي الأماكن التي تكتشف فيها ألفورسون أسرار الأولاد. معظمها أشياء تافهة، لكن تكون هناك أحياناً شذرة ذهب في نفايات المعادن. فتى واشنطن، مثلاً، الذي اعترف لمورين بأنه يفكر بالانتحار.

«لا شيء مؤخراً»، قالت سيغسبي. «سأبلغك إن نقلت لنا شيئاً شعرت أنه سيكون مهماً لك يا تريفور».

«حسناً. كان مجرد سؤال».

«مفهوم. اذهب الآن رجاءً. لديّ عمل لأنجزه».

4

«تباً لهذا الهراء»، قال نيكي وهو يعاود الجلوس على المقعد. مسد الشعر عن عينيه أخيراً. «سيفرع الناكوس قريباً جداً، وعليّ الخضوع لفحص العينين وأنظر إلى الجدار الأبيض بعد الغداء. دعنا نرى ماذا لديك يا إليس. قم بحركة ما».

لم يشعر لوك أبداً بعدم رغبة بلعب الشطرنج مثل الآن. لديه ألف سؤال آخر - أغلبها عن الحُقن للنقاط - لكن ربما هذا ليس الوقت المناسب. هناك شيء في النهاية يسمّى جملاً زائداً في المعلومات. حرّك بيدق ملكه مربعين. قابله نيكي. ردّ لوك بتحريك فيل ملكه، مهدداً بيدق فيل ملك نيكي. بعد لحظة تردّد، حرّك نيكي ملكته أربعة مربعات قطرية، وهذا أنهى المسألة

إلى حد كبير. حرَّك لوك ملكته، وانتظر أن يقوم نيكي بحركة ما غير مهمة بطريقة أو بأخرى، ثم وضع ملكته بجانب ملك نيكي بحركة لطيفة ومريحة.

عبس نيكي بالرقعة. «مات الملك؟ بأربع نقلات؟ هل أنت جدِّي؟».

هرَّ لوك كتفيه. «هذه تسمَّى خطة نابليون، وتنجح فقط إذا كنت تلعب بالقطع البيضاء. سترأها آتية في المرة القادمة وتواجهها. أفضل طريقة هي بتحريك بيدق ملكتك مربعين إلى الأمام أو بيدق ملكك مربعاً واحداً إلى الأمام».

«إذا فعلت ذلك، هل ستظل قادراً على هزيمتي؟».

«ربما». الجواب الديلوماسي. الجواب الحقيقي هو بالطبع.

«يا إلهي». كان نيكي لا يزال يدرس الرقعة. «يا للهول. من علمك؟».

«قرأت بعض الكتب».

رفع نيكي نظره وبدا كما لو أنه رأى لوك للمرة الأولى حقاً، وسأل سؤال كاليشا. «كم أنت ذكي أيها الولد؟».

«ذكي كفاية ليهزمك»، قالت آيريس، وهذا أنقذ لوك من الاضطرار إلى الإجابة.

في تلك اللحظة، سُمع رنين ناعم ثنائي النغمات: الناقوس.

«هيا بنا إلى الغداء»، قالت كاليشا. «إنني أتضوّر جوعاً. بالله عليك يا لوك. الخاسر يعيد اللعبة إلى مكانها».

صوّب إليها نيكي مسدساً شكّله بأصابعه وقال بشفتيه دون صوت طاخ طاخ، لكنه كان يبتسم بينما فعل ذلك. نهض لوك وتبع الفتاتين. عند باب غرفة الاستراحة، لحق به جورج وأمسك ذراعه. يعرف لوك من كتب علم الاجتماع التي قرأها (وكذلك من خبرته الشخصية) أن الأولاد في أي مجموعة يميلون إلى أن يكونوا من أصناف يمكن تمييزها بسهولة. إذا كان نيكي ويلهولم متمرداً هذه المجموعة فإن جورج آيلز مهرّجها. إلا أنه بدأ الآن جدّياً مثل نوبة قلبية. تكلم بسرعة وبصوتٍ منخفضٍ.

«نيك شخص رائع، يروق لي والفتيات متيّمات به، سيروق لك أنت أيضاً على الأرجح، ولا بأس بهذا، لكن لا تجعله قُدوةً لك. لا يتقبّل أننا عالقون هنا،

لكننا عالقون، لذا اختر معاركك. النقاط، مثلاً. عندما تراها، قُل ذلك. وعندما لا تراها، قُل ذلك. لا تكذب. إنهم يعرفون».

لِحِق بهما نيكي. «عمّا تتكلّم يا جورجي؟».

«أراد معرفة من أين يأتي الأطفال»، قال لُوك. «قلْتُ له أن يسألك».

«يا إلهي، كوميدئي لعينٌ آخر. ما كان ينقص هذا المكان». أمسك نيكي عنق لُوك وتظاهر أنه يخنقه، وقد أمل لُوك أن تكون هذه دلالة إعجاب. وربما حتى احترام. «هيا، دعونا نأكل».

5

ما سمّاه أصدقاؤه الجدد المطعم كان جزءاً من غرفة الاستراحة، مقابل التلفزيون الكبير. أراد لُوك أن يلقي نظرة مقرّبة على آلات البيع، لكن الآخرين كانوا يسيرون برشاقة ولم تسنح له الفرصة. لكنه لاحظ اللافتة التي ذكرتها آيريس: اشرب بمسؤولية رجاءً. لذا ربما لم يكونوا يسخرون منه بشأن الشراب.

هذا المكان ليس كنساس وليس جزيرة المتعة، فكّر في سرّه. إنه بلاد العجائب. دخل شخصٌ غرفتي في منتصف الليل ودقّني إلى حفرة الأرنب.

لم تكن الكافيتيريا كبيرة مثل كافيتيريا مدرسة برودريك، لكن بحجمها تقريباً. وحقيقة أن خمستهم كانوا الزبائن الوحيدين جعلها تبدو أكبر حتى. معظم الطاولات تتسع لأربعة أشخاص، لكن هناك طاولتين كبيرتين في الوسط، وقد جُهِزت إحداهما بخمسة أماكن. اقتربت منهم امرأة ترتدي قميصاً فضفاضاً زهرياً وسروالاً زهرياً مطابقاً وملأت أكواب مائهم. على غرار مورين، كانت تضع بطاقة إسم مدوّن عليها نورما.

«كيف حالكم يا دجاجاتي؟»، سألت.

«آه، إننا ننقر هنا وهناك»، قال جورج بمرح. «وكيف حالك؟».

«بخير»، قالت نورما.

«ألا يصدف أن تكون معك بطاقة خروج من السجن؟».

ابتسمت له نورما ابتسامة روتينية وخرجت عبر الباب المتأرجح الذي يؤدي افتراضياً إلى المطبخ.

«لماذا أتكبّد العناء؟»، قال جورج. «أفضل تعابيري تُهدّر هنا. تُهدّر فعلاً».

مدّ يده إلى كدسة القوائم في وسط الطاولة ووّرّعها عليهم. كان تاريخ اليوم مدوّناً في أعلاها، وتحت ذلك المقبّلات (أجنحة دجاج مقلية أو حساء طماطم) والأطباق الرئيسية (برغر البيسون أو لحم بالبيض والخضار) والحلويات (فطيرة تفاح مع بوظة أو شيء يدعى كعكة الكاسترد العجيبة). كما مسرودة ستة أصناف مشروبات غازية.

«يمكنك الحصول على الحليب، لكنهم لا يتكبّدون عناء ذكره على القائمة»، قالت كاليشا. «معظم الأولاد لا يريدونه إلا إذا تناولوا حبوباً على الفطور».

«هل الطعام لذيذ حقاً؟»، سأل لوك. الطبيعة الركيكة للسؤال - كما لو أنهم ربما في منتجع سياحي يقدّم وجبات طعام - أعاد له الإحساس باللاواقعية والاضطراب.

«نعم»، قالت آيريس. «يزنوننا أحياناً. ازداد وزني كيلوغرامين».

«يسمّنوننا للذبح»، قال نيكي. «مثل هانسل وغريتل».

«هناك بوفيه كل ليلة جمعة وظهر أحد»، قالت كاليشا. «كل ما يمكنك أكله».

«مثل قصة هانسل وغريتل اللعينة»، كرّر نيكي. استدار نصف استدارة ورفع نظره إلى كاميرا في الزاوية. «عودي يا نورما. أعتقد أننا جاهزون».

عادت حالاً، وهذا زاد من إحساس لوك باللاواقعية. لكن عندما جاءت أجنحته وقطعة لحمه بالبيض والخضار، أكل بنهم. كان في مكان غريب، وكان خائفاً على نفسه ومرتبهاً مما ربما حصل لوالديه، لكنه في الثانية عشرة من عمره أيضاً.

فتى ينمو.

لا شك أنهم كانوا يراقبون، أياً كانوا، لأنه ما كاد لوك يتناول آخر لقمة من كعكة الكاسترد حتى ظهرت بجانبه امرأة أخرى ترتدي شبه زي رسمي زهرياً أيضاً. غلاديس، قالتشارة إسمها. «لوك؟ تعال معي من فضلك».

نظرت إلى الأربعة الآخرين. لم تبادله كاليشا وأيريس النظرات. كان نيكي ينظر إلى غلاديس، شابكاً ذراعيه على صدره مرة أخرى ومبتسماً ابتساماً باهتة. «لما لا تعودين لاحقاً يا عزيزتي؟ في فترة احتفال الشتاء. سأراك تحت الهدال».

لم تكثر له. «لوك؟ من فضلك؟».

كان جورج الوحيد الذي ينظر إليه مباشرة، وما رآه لوك على وجهه جعله يتذكر ما قاله قبل أن يدخلوا من الملعب: اختر معاركك. نهض. «أراكم لاحقاً. أظن».

قالت له كاليشا كلمات صامته بشفتيها: حُقن للنقاط.

غلاديس صغيرة الحجم وجميلة، لكنها بالنسبة للوك تحمل الحزام الأسود بالكاراتيه وتستطيع حمله على كتفها إذا سبب لها أي متاعب. حتى ولو لم تكن كذلك، فقد كانوا يراقبون، وليس لديه أي شك أن التعزيزات ستظهر على عجل. هناك شيء آخر أيضاً، وكان فعلاً. لقد رباه والداه ليكون مهذباً ويطيع الأكبر منه سناً. حتى في هذه الحالة، من الصعب عليه نسيان تلك العادات.

قادته غلاديس إلى ما بعد صف النوافذ التي ذكرها نيكي. نظرت لوك إلى الخارج ونعم، هناك مبنى آخر. بالكاد يمكنه رؤيته عبر الأشجار الحاجبة، لكنه هناك. النصف الخلفي.

نظرت خلفه قبل مغادرة الكافيتيريا على أمل حصوله على بعض الطمأنينة - تلويح باليد أو حتى ابتسامة من كاليشا ستفي بالغرض. لم يكن هناك تلويح باليد، ولا أحد كان يبتسم. كانوا ينظرون إليه مثلما نظروا إليه في الملعب عندما سألهم إن كان أهاليهم أحياء. ربما لم يعرفوا الجواب، ليس بشكل مؤكد، لكنهم يعرفون إلى أين يذهب الآن. مهما يكن ذلك المكان، فقد اختبروه قبله.

«يا للهول، ما هذا اليوم الجميل، أليس كذلك؟»، قالت غلاديس بينما قادتة في الرواق ذي الطوب الخرساني متجاوزين غرفته. استمر الرواق إلى جناح آخر - مزيد من الأبواب، ومزيد من العُرف - لكنهما استدارا يساراً نحو ملحقٍ بدا أنه ردهة مصعد عادية.

لُوك، البارِع عادة في المحادثات اللطيفة، لم يقل شيئاً. كان متأكداً تماماً أن هذا من سيفعله نيكي في هذه الحالة.

«لكن الحشرات... آه!». لَوَّحت عنها حشرات غير مرئية وضجكت. «ستريد رشّ الكثير من طارد الحشرات، على الأقل حتى يوليو».

«عندما تُفقس اليعاسيب».

«نعم! بالضبط!». وضجكت ضحكة مرتعشة.

«إلى أين نذهب؟».

«سترى». هزّت حاجبي عينيها كما لو أنها تقول لا تُفسد المفاجأة.

فُتحت أبواب المصعد وخرج منه رجلان يرتديان قمصين وبنطلونين أزرقين. أحدهما يدعى جو والآخر هداد. كل واحد منهما يحمل جهاز آي باد.

«مرحبا يا شباب»، قالت غلاديس بمرح.

«مرحبا يا فتاة»، قال هداد. «كيف الحال؟».

«بخير»، زقزقت غلاديس.

«وماذا عنك يا لُوك؟»، سأل جو. «تتأقلم جيداً؟».

لم يقل لُوك شيئاً.

«معاملة صامتة، أليس كذلك؟»، قال هداد مبتسماً. «لا بأس في الوقت الحاضر. لاحقاً، ربما ليس كثيراً. لعلمك يا لُوك - عاملنا جيداً وسنعاملك جيداً».

«تعاون لكي تفلح»، أضاف جو. «حكمة تذكّرها. نراك لاحقاً يا غلاديس؟».

«بالتأكيد. تدينان لي بكوب شراب».

«مثلما تشائين».

أكملَ الرجلان طريقهما، وراققت غلاديس لوك إلى المصعد. لم تكن هناك أرقام أو أزرار. قالت، «ب»، ثم أخرجت بطاقة من جيب بنطلونها ولوّحتها أمام مستشعر. انغلقت الأبواب. نزل المصعد، لكن ليس بعيداً.

«ب»، دندن صوت أنثى ناعم من فوقهما. «هذا ب».

لوّحت غلاديس بطاقتها مرة أخرى ففتحت الأبواب علي رواق عريض مُضاء بألواح سقف نصف شفافة. سمع لوك موسيقى ناعمة ذكرته بموسيقى السوبرماركت. ورأى عدداً قليلاً من الأشخاص يتنقلون، بعضهم يدفعون عربات عليها معدّات، وأحدهم يحمل سلة سلكية ربما احتوت على عيّات دم. الأبواب معلّمة بأرقام، وكل رقم منها يبدأ بالحرف ب.

عملية كبيرة، قال نيكي. مجّمع. لا شك بصحة ذلك، لأنه إذا كان هناك طابق ب تحت الأرض، من البديهي أن يكون هناك طابق ج. وربما حتى طابق د و ه. ستقول إنه يكاد يكون منشأة حكومية بكل تأكيد، فكر لوك في سرّه، لكن كيف يمكنهم إبقاء عملية بهذه الضخامة سرية؟ فهي ليست غير قانونية وغير دستورية فحسب، بل تنطوي على خطف أولاد.

مرّوا بباب مفتوح، ورأى لوك في الداخل ما بدا أنها غرفة استراحة، فهي تحتوي على طاولات وآلات بيع (لكن لا توجد لافتة تقول اشرب بمسؤولية رجاءً). كان هناك ثلاثة أشخاص يجلسون إلى إحدى الطاولات، رجل وامرأتان، يرتدون ملابس عادية، سراويل جينز وقمصاناً مزرّرة، ويشربون القهوة. بدت إحدى المرأتين، الشقراء منهما، مألوفة. لم يعرف السبب في البدء، ثم تذكر صوتاً يقول بالتأكيد، أي شيء تريده. كان هذا آخر شيء يتذكره قبل الاستيقاظ هنا.

«أنت»، قال وأشار إليها. «كانت أنت».

لم تقل المرأة شيئاً، ولم يقل وجهها شيئاً. لكنها نظرت إليه. كانت لا تزال تنظر إليه عندما أغلقت غلاديس الباب.

«كانت هي»، قال لوك. «أعرف هذا».

«قليلاً بعد»، قالت غلاديس. «لن يستغرق ذلك وقتاً طويلاً، ثم يمكنك العودة إلى غرفتك. سترغب بأن تستريح على الأرجح. الأيام الأولى يمكن أن تكون مُضنية».

«هل سمعتني؟ كانت هي التي دخلت غرفتي. رشّيت شيئاً على وجهي».

لا جواب، مجرد الابتسامة مرة أخرى. وجدها لوك مروّعة أكثر قليلاً كلما ابتسمتها غلاديس.

وَصَلَا إِلَى بَابِ مَعْلَمٍ ب-31. «أحسِن التصرّف وستحصل على خمس فيّش»، قالت. مدّت يدها إلى جيبتها الآخر وأخرجت حفنة دوائر معدنية بدت كأنها أرباع دولار، ما عدا أن لها مثلثاً ناتئاً على كلا الطرفين. «أترى؟ إنها معي هنا».

قرّعت بمفصل إصبعها على الباب. الرجل المرتدي الأزرق الذي فتح لهما يدعى طوني. كان طويلاً وأشقر، ووسيماً ما عدا أن لديه حولاً خفيفاً في إحدى عينيه. شَعَرَ لُوكُ أَنَّهُ يَبْدُو مِثْلَ وَغْدٍ فِي أَحَدِ أَفْلَامِ جَايْمِس بُونْد، رُبَّمَا مَدْرِّس التزلج الدميّ الذي تبين أنه قاتل.

«مرحباً أيتها السيدة الجميلة». قَبَّلَ غلاديس على خدّها. «ومعك لوك. مرحباً يا لوك». مدّ له يده. لوك، مقلداً نيكي ويلهولم، لم يصافحه. ضحك طوني كما لو أن هذه نكتة مضحكة جداً. «ادخل، ادخل».

الدعوة له فقط. دفعته غلاديس دفعةً خفيفةً على كتفه وأغلقت الباب. ما رآه لوك في وسط الغرفة كان مخيفاً. بدا كأنه كرسي طيبب أسنان. ما عدا أنه لم ير أبداً كرسيّاً توجد أربطة على ذراعيه.

«اجلس أيها البطل»، قال طوني. ليس يا حلو، فكّر لوك في سرّه، لكن مماثل تقريباً.

ذهب طوني إلى منضدة، وفتح جاروراً تحتها، وراح يفتّش فيه. كان يصفرّ. عندما استدار، كان يحمل شيئاً في يده بدا كأنه مسدّس تلحيم صغير. بدا متفاجئاً من رؤية لوك لا يزال واقفاً عند الباب. ابتسم طوني. «قلتُ اجلس».

«ماذا ستفعل بهذا؟ تعطيني وشماً؟». تخيل فيلماً تُوشم فيه أذرع المساجين بأرقامٍ عند دخولهم. لا شك أن هذه فكرة مضحكة كلياً، لكن...

بدا طوني متفاجئاً، ثم ضحك. «يا إلهي، لا. سأضع فقط رقاقة في شحمة أذنك. هذا يشبه ثقبها لارتداء قرط. لا تؤلم، وكل ضيوفنا حصلوا على واحدة».

«لستُ ضيفاً»، قال لوك وهو يتراجع إلى الورااء. «أنا سجين. ولن تضع أي شيء في أذني».

«لكنني سأضعها»، قال طوني وهو لا يزال يتنسم. وهو لا يزال يبدو مثل رجل سيساعد المتزلجين الصغار قبل أن يحاول قتل جايمس بوند بسهم قصير مريش سام. «اسمع، ستشعر بقرصة فقط لا أكثر. لذا سهّل الأمر على كلينا. اجلس على الكرسي وسينتهي كل شيء في سبع ثوانٍ. ستعطيك غلاديس مجموعة فيش عندما تخرج من هنا. صعب المسألة وستظل تحصل على الرقاقة، لكن لا فيش. ما رأيك؟».

«لن أجلس على هذا الكرسي». شَعَر لوك بارتعاش في كل أنحاء جسمه، لكن صوته بدا قوياً كفاية.

تنهَّد طوني. وضع أداة إدراج الرقاقة بعناية على المنضدة، وسار إلى حيث يقف لوك، ووضع يديه على وركيه. بدا وقوراً الآن، حزيناً تقريباً. «هل أنت متأكد؟».

«نعم».

راحت أذناه ترتبان من الصفعة حتى قبل أن يُدرك أن يد طوني اليمنى فارقت وركه. ترتجح لوك خطوة إلى الخلف وحدّق بالرجل الكبير بعينين محمليقتين مذهولتين. لقد ضربه أبوه ذات مرة (بلطف) عقاباً على لعبه بعيدان الثقاب عندما كان في الرابعة أو الخامسة، لكنه لم يصفعه أبداً على وجهه من قبل. كان خذّه يحترق، ولا يزال لا يستطيع تصديق أن هذا حصل.

«هذا يؤلم أكثر بكثير من قرصة شحمة الأذن»، قال طوني وقد زالت الابتسامة. «هل تريد صفقة أخرى؟ يسرّني أن ألبي طلبك. أنتم الأولاد تظنون أنكم تملكون العالم. يا للهول».

لأول مرة، لاحظ لوك وجود رصّة زرقاء صغيرة على ذقن طوني وجرح صغير على فكه الأيسر. تذكر الرصّة الحديثة على وجه نيكي ويلهولم. تمنّى لو أنه يملك الجرأة ليفعل الشيء نفسه، لكنه لا يملكها. الحقيقة هي أنه لا يعرف كيف يخوض شجاراً. إذا حاول فقد يصفعه طوني في كل أرجاء الغرفة.

«هل أنت جاهز للجلوس على الكرسي؟».

جلس لوك على الكرسي.

«هلي سئحسين التصرف أم سأحتاج إلى الأربطة؟».

«سأحسب التصرف».

فعلَ ذلك، وكان طونبي محقاً. لم تكن قرصة شحمة الأذن مؤلمة مثل الصفحة، ربما لأنه كان مستعداً لها، وربما لأنها بدت كإجراء طبي وليس اعتداءً. عندما انتهت القرصة، ذهب طونبي إلى جهاز تعقيم وأخرج منه إبرة حَقن. «الجولة الثانية أيها البطل».

«ماذا يوجد في هذه؟»، سأل لوك.

«هذا ليس من شأنك».

«إذا كان سيدخل جسمي، فهو من شأني».

تنهَّد طونبي. «أربطة أو لا أربطة؟ الخيار خيارك».

تذكَّر جورج يقول اختر معاركك. «لا أربطة».

«فتى جيد. مجرد لسعة صغيرة وينتهي الأمر».

كانت أكثر من لسعة. ليست عذاباً، لكن لسعةً كبيرةً جداً. أصبحت ذراع لوك ساخنة وصولاً إلى معصمه، كما لو أنه مُصاب بحمى في ذلك الجزء من جسمه، ثم زال كل شيء فجأة.

وَصَع له طونبي ضمادة لاصقة شفافة، ثم أدار الكرسي بحيث واجه جداراً أبيض. «أغمض عينيك الآن».

أغمضهما لوك.

«هل تسمع أي شيء؟».

«مثل ماذا؟».

«توقف عن طرح الأسئلة وأجب على أسئلتني. هل تسمع أي شيء؟».

«إلزم الصمت ودعني أنصت».

لزم طونبي الصمت، وأنصت لوك.

«مرَّ شخصٌ في الرواق. وضحك شخصٌ. أعتقد أنها غلاديس».

«لا شيء آخر؟».

«لا».

«حسناً، أنت تقوم بعمل جيد. أريدك الآن أن تعدّ إلى عشرين ثم تفتح عينيك».

عدّ لوك وفتح عينيه.

«ماذا ترى؟».

«الجدار».

«لا شيء آخر؟».

أدرك لوك أن طوني لا شك يتكلّم عن النقاط. عندما تراها، قُل ذلك، أخبره جورج. وعندما لا تراها، قُل ذلك. لا تكذب. إنهم يعرفون.

«لا شيء آخر».

«متأكد؟».

«نعم».

صفعه طوني على ظهره، مما أجفله. «حسناً أيها البطل، لقد انتهينا. سأعطيك بعض الثلج لهذه الأذن. أتمنى لك يوماً رائعاً».

8

وجدَ غلاديس تنتظره عندما أخرجه طوني من الغرفة ب-31. كانت تبسم ابتسامة المضيفة المحترفة المبتهجة. «كيف كان أداؤك يا لوك؟».

أجاب طوني عنه. «كان جيداً. إنه ولد جيد».

«هذا اختصاصنا»، غنّتها غلاديس تقريباً. «أتمنى لك يوماً جيداً يا طوني».

«وأنتِ أيضاً يا غلاد».

قادت لوك إلى المصعد مرة أخرى وهي تثرثر بمرح. لم تكن لديه أي فكرة عما تتكلم. ذراعه تؤلمه قليلاً فقط، لكنه يضع حزمة الثلج على أذنه التي لا تزال تنبض. كانت الصفحة أسوأ من ألم ذراعه وأذنه. لشئى الأسباب.

راقفته غلاديس إلى غرفته في الرواق الأخضر الصناعي، متجاوزين المُلصق الإعلاني الذي كانت كاليشا تجلس تحته، متجاوزين المُلصق الإعلاني الذي يقول مجرد يوم آخر في النعيم، ووصلا أخيراً إلى الغرفة التي تشبه غرفته لكنها ليست غرفته.

«وقت فراغ!»، صاحت كما لو أنها تمنحه جائزة قيّمة جداً. الآن إمكانية أن يبقى لوحده بدت حقاً كنوع من الجوائز. «لقد حقنك، صح؟».

«نعم».

«إذا بدأت ذراعك تؤلمك، أو شعرت بالإغماء، أخبرني أو أخبر أحد الممرّضين الآخرين، مفهوم؟».

«مفهوم».

فتح الباب، لكن قبل أن يتمكن من الدخول، أمسكته غلاديس بكتفه وأدارته. لا تزال تبتسم ابتسامة المضيفة، لكن أصابعها فولاذية وتضغط على لحمه. ليس بقوة كافية لإيذائه، لكن بقوة كافية لكي يعرف أنه يمكنهم إيذائه.

«أخشى أنك لن تحصل على فيّش»، قالت. «لم أحتج إلى مناقشة الأمر مع طوني. هذه العلامة على خدك تُخبرني بكل ما أحتاج إلى معرفته».

أراد لوك أن يقول لا أريد فيّشك اللعينة، لكنه إلترّم الصمت. لم يكن يخشى صفةً أخرى؛ بل يخشى أن يجعله صوته - الضعيف، غير المستقر، المرتبك، صوت ولدٍ في السادسة من عمره - ينهار أمامها.

«دعني أقدم لك نصيحة»، قالت دون أن تبتسم الآن. «عليك أن تُدرك أنك هنا لكي تخدم يا لوك. وهذا يعني أن عليك أن تكبر بسرعة. يعني أن تكون واقعياً. ستحصل لك بعض الأشياء هنا. بعضها لن يكون لطيفاً جداً. يمكنك أن تتعاون فيها يا حلو وتحصل على فيّش، أو يمكنك ألا تتعاون فيها يا حلو ولا تحصل على فيّش. ستحصل تلك الأشياء في الحاليتين، لذا ماذا ستختار؟ لا يجب أن يكون خياراً صعباً».

لم يردّ لوك بأي كلمة. عادت ابتسامتها رغم ذلك، ابتسامة المضيفة التي تقول أه نعم سيدي، سأقودك إلى طاولتك فوراً.

«ستعود إلى منزلك قبل نهاية الصيف، وسيكون الوضع كما لو أن كل هذا لم يحصل. وإذا تذكرته من الأصل، سيبدو أشبه بحلم. لكن بينما هو ليس حلماً، لماذا لا تجعل إقامتك إقامةً سعيدة؟». أرخت قبضتها ودفعته دفعةً

لطيفةً. «أعتقد أن عليك أن تستريح قليلاً. استلقِ على الفراش. هل رأيتَ النقاط؟».

«لا».

«ستراها».

أغلقت الباب بلطف كبير. سار لُوكُ نصف نائم إلى السرير الذي لم يكن سريره. استلقى عليه ووضع رأسه على الوسادة التي لم تكن ووسادته، وحدَّق بالجدار الفارغ حيث لا توجد نافذة. لا نقاط أيضاً - أياً كانت. فكر: أريد أمي. يا إلهي، أريد أمي من كل قلبي.

هذا حطّمه. أفلت حزمة الثلج، ووضع يديه على عينيه، وبدأ يبكي. هل يراقبونه؟ أو يستمعون إلى بكائه؟ لا يهمّ. لقد تخطى عتبة الاكتراث. كان لا يزال يبكي عندما غفا.

9

استيقظ وهو يشعر بتحسّن - باستنزافٍ نوعاً ما. رأى أنه أضيف شيئان إلى غرفته أثناء تناوله الغداء ثم لقائه صديقيه الجديدين الرائعين غلاديس وطوني. كان هناك كمبيوتر محمول على المكتب. كمبيوتر ماك، مثل كمبيوتره في المنزل، لكن طرازه أقدم. والإضافة الثانية هي تلفزيون صغير على منصة في الزاوية.

ذهب إلى الكمبيوتر أولاً وشغله، وشعر بعُصّة عميقة أخرى من الحنين إلى منزله عند سماعه نغمة الماكنتوش المألوفة. بدلاً من رؤية موجّه كلمة المرور، رأى شاشة زرقاء عليها الرسالة التالية: أر الكاميرا فيشّة واحدةً لفتحها. حَبَط لُوكُ مفتاح الإدخال بضع مرات وهو يعرف أن هذا لن يفيد بشيء.

«أيها الشيء اللعين».

ثم رغم فظاعة وسريالية كل هذا، لم يجد مفراً من الضحك. كانت ضحكةً فظةً ووجيزةً لكن حقيقيةً. هل سَعر بعض التشامخ - وربما حتى الازدراء - من فكرة استجداء الأولاد للفَيْش لكي يمكنهم شراء شِراب عنب أو سجائر؟ بالتأكيد سَعر به. هل فكر لن أفعل ذلك أبداً؟ بالتأكيد فكر فيه. عندما يتذكر لُوكُ الأولاد الذين يدخّنون ويتناولون الشراب (وهذا نادراً ما يحصل؛ فلديه أشياء أهم ليفكر فيها) فإن ما يتبادر إلى ذهنه هم التافهون الذين

يستمعون إلى موسيقى فرقة بانتيرا ويرسمون قرون شيطان غير متوازنة على ستراتهم الجينز، التافهون المغفلون لدرجة أنهم ظنّوا أن تقييد أنفسهم بسلاسل الإدمان هو عمل تمرد. لا يمكنه تخيل نفسه يفعل أحد هذين الأمرين، لكن ها هو يحدّق بشاشة كمبيوتر محمول زرقاء فارغة ويضرب مفتاح الإدخال مثل جرد في صندوق سكينر يخبّط الرافعة بغية الحصول على قطعة جريش أو بضعة حبوب كوكايين.

أغلق الكمبيوتر المحمول وأمسك جهاز التحكم عن بُعد الموضوع فوق التلفزيون. توقع رؤية شاشة زرقاء أخرى ورسالة أخرى تُخبره أنه يحتاج إلى فيشة أو فيش لكي يستخدمه، لكنه حصل بدلاً من ذلك على ستيف هارفي يجري مقابلة مع دايفد هاسلهوف ويسأله عن لائحة الأشياء التي يودّ إنجازها قبل موته. كان الجمهور يضحك من أجوبة هوف المضحكة.

أدّى ضغط زر الدليل على جهاز التحكم عن بُعد إلى ظهور قائمة تشبه تلك التي تظهر في المنزل، لكنها لم تكن مطابقة لها تماماً، على غرار الغرفة والكمبيوتر المحمول. ورغم وجود خيار كبير من الأفلام والبرامج الرياضية، لم تكن هناك قنوات شبكية أو إخبارية. أطفأ لوك التلفزيون، وأعاد وضع جهاز التحكم عن بُعد فوقه، ونظر حوله.

بالإضافة إلى الباب الذي يؤدي إلى الرواق، كان هناك بابان. أحدهما باب خزانة وجد فيها سراويل جينز وقمصاناً تائياً (لم يُبدّل أي جهد لنسخ الملابس الموجودة في المنزل بشكل دقيق، وهذا مريح نوعاً ما؟)، وقميصين مزرّرين، وحذاءين رياضيين، وخفّاً واحداً. لا توجد أي أحذية ذات كعب صلب.

الباب الآخر يؤدي إلى حمام صغير نظيف جداً وجد فيه فرشائي أسنان لا تزالان في علبيتهما على المغسلة بجانب أنبوب كرست جديد. في خزانة الأدوية المخزّنة بشكل جيد، وجد غسولاً للفم، وقارورة تايلينول للأطفال بداخلها أربع حبوب فقط، ومزبلاً للرائحة، ورذاذاً طارداً للحشرات، وضمادات لاصقة، وعدة بنود أخرى بعضها مفيد أكثر من غيره. الشيء الوحيد الذي يمكن اعتباره خطيراً ولو قليلاً جداً هو قصاصة الأظافر.

أغلق خزانة الأدوية ونظرَ إلى نفسه. شعره مخبول، وهناك دوائر داكنة (كان رولف ليسمّيها دوائر استمناء) تحت عينيه. بدا أكبر سناً وأصغر سناً في آن، وهذا أمر غريب. حدّق بشحمة أذنه اليمنى الطرية ورأى إحدى تلك الدوائر المعدنية الصغيرة جداً مضمّنة في البشرة المحمّرة قليلاً. لم يشك لحظة أنه في مكان ما في الطابق ب - أو ج، أو د - هناك فتى كمبيوتر يستطيع الآن تعقب كل تحرّكاته. وربما يتعقبه الآن. لوكاس دايفد إليس، الذي كان يخطط

أن يتسجّل في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا وإمرسون، اختزل إلى نقطة وامضة على شاشة كمبيوتر.

عاد لوك إلى غرفته (الغرفة، أخبر نفسه، إنها الغرفة وليست غرفتي)، نظر حوله، وأدرك شيئاً مُرعباً. لا كتب. ولا حتى كتاب واحد. هذا سيئ مثل عدم وجود كمبيوتر. وربما أسوأ. ذهب إلى خزانة الملابس وفتح الجوارير الواحد تلو الآخر متوقفاً أن يجد كتاب الحكيم القديمة أو كتاب المورموني على الأقل، مثلما يفعلون أحياناً في عُرف الفندق. اكتشف فقط كدسات أنيقة من الملابس الداخلية والجوارب.

ماذا ترك له هذا؟ مقابلة ستيڤ هارفي مع دايفد هاسلهوف؟ تكرار حلقات أطرف الفيديوهات المنزلية الأميركية؟

لا. على الإطلاق.

غادر الغرفة وهو يفكر أنه قد يجد كاليشا أو أحد الأولاد الآخرين. لكنه وجد مورين ألفورسون تدحرج سلة غسيلها داندوكس في الرواق ببطء. كانت مليئة بملاءات ومناشف مطوية. بدت مُتعبة أكثر من أي وقت مضى ومنقطعة الأنفاس.

«مرحبا يا سيدة ألفورسون. هل يمكنني أن أدفع هذه عنك؟».

«هذا سيكون لطيفاً»، قالت مع ابتسامة. «هناك خمسة جدد قادمون، اثنان هذه الليلة وثلاثة غداً، وعليّ تجهيز العُرف. إنها في ذلك الاتجاه». أشارت في الاتجاه المعاكس لغرفة الاستراحة والملعب.

دفع السلة ببطء لأنها كانت تسير ببطء. «لا أفترض أنك تعرفين كيف يمكنني أن أكسب فيشه يا سيدة ألفورسون؟ أحتاج إلى واحدة لأفك قفل الكمبيوتر في غرفتي».

«هل يمكنك أن ترتب سريراً، إذا وقفتُ قربك وأعطيتك التعليمات؟».

«بالتأكيد. أنا أرتب سرير في المنزل».

«مع زوايا المستشفى؟».

«حسناً... لا».

«لا تهتمّ، سأعلّمك. ربّب خمسة أسرّة لي وسأعطيك ثلاث فيّش. هذا كل ما لديّ في جيبى. يبقونها قليلة معى.»

«ثلاث فيّش ستكون رائعة.»

«حسناً، لكن توقف عن مناداتى سيّدة ألفورسون. نادنى مورين، أو فقط مو. مثل بقية الأولاد.»

«يمكننى فعل ذلك»، قال لوك.

مرّا بجانب ملحق المصعد ودخلا الرواق الذي بعده. كان مُزداناً بمُلصقات إعلانية مُلهمة أكثر. وتوجد أيضاً صانعة ثلج، على غرار الرواق فى أى بُرّل، ولم يبدُ أنها تتطلّب فيّشاً. بعدها تماماً، وصّعت مورين يدها على ذراع لوك. توقّف عن دفع السلة ونظرَ إليها مستسغراً.

عندما تكلمت، بالكاد كان صوتها أعلى من همس. «أرى أنك حصلت على رفاقك، لكنك لم تحصل على أى فيّش.»

«حسناً...»

«يمكنك أن تتكلم، على شرط أن تُبقي صوتك منخفضاً. هناك ستة أماكن فى النصف الأمامى لا تصل إليها ميكروفوناتهم اللعينة، مناطق ميتة، وأعرفها كلها. هذا أحدها، قرب صانعة الثلج هذه.»

«فهمت...»

«من أعطاك الرقاقة وترك هذه العلامة على وجهك؟ هل كان طونى؟»

بدأت عينا لوك تحرقانه، ولم يثق بنفسه تماماً أن يتكلم، سواء كان ذلك آمناً أم لا. فأوما برأسه فقط.

«إنه أحد الحقيرين»، قالت مورين. «زيكى حقير آخر. وكذلك غلاديس، رغم أنها تتنسم كثيراً. الكثير من الأشخاص الذين يعملون هنا يحبّون معاملة الأولاد بعنف، لكنهم أسوأ ثلاثة.»

«طونى صغنى»، همس لوك. «وبقوة.»

نفشت له شعره. هذا من الأشياء التي تفعلها السيدات للأطفال والأولاد الصغار، لكن لوك لم يمانع. كان يلمس بلطف، وهذا يعني له الكثير الآن. هذا يعني كل شيء الآن.

«افعل ما يقوله لك»، قالت مورين. «لا تجادله، هذه أفضل نصيحة عندي. هناك أشخاص يمكنك مجادلتهم هنا، حتى إنه يمكنك مجادلة السيدة سيغسبي، رغم أن ذلك لن يعود عليك بالنفع الكبير، لكن طوني وزيكى نحلطان شيررتان. غلاديس أيضاً. إنهم يلسعون».

عاودت السير في الرواق، لكن لوك أمسك كُمّ زيّها البني وشدّها إلى الناحية الآمنة. «أعتقد أن نيكى ضرب طوني»، همس. «لديه جرح وعين رمادية».

ابتسمت مورين مُظهرةً أسناناً بدت متأخرة جداً على زيارة طبيب الأسنان. «حسناً فعل نيك»، قالت. «الأرجح أن طوني ضربه بضعف الحدة، لكن ومع ذلك... حسناً فعل. هيا بنا الآن. بمساعدتك لي، يمكننا الانتهاء من ترتيب تلك العُرف بلمح البصر».

أول غرفة زارها احتوت على مُلصقات إعلانية لتومي بيكلز وُوكو - شخصيتين كرتونيتين على محطة نيكولوديون - على الجدران، وفصيلة دمي شخصيات مغامرة على المكتب. تعرّف لوك على العديد منها فوراً، بما أنه مرّ شخصياً في مرحلة تجميع دمي شخصيات مغامرة منذ وقت غير بعيد. ورق الجدران يُظهر مهزّجين سعداء يحملون بالونات.

«يا للهول»، قال لوك. «هذه غرفة ولد صغير».

نظرت إلى لوك نظرة استمتاع، كما لو أنها تقول لست كبيراً في السن كثيراً. «هذا صحيح. يدعى أيفيري ديكسون، ووفق اللائحة إلتي معي، يبلغ العاشرة فقط. هيا نبدأ العمل. أنا أكيدة أنني لن أضطر إلى أن أريك كيف تفعل زاوية المستشفى إلا مرة واحدة فقط. تبدو ولداً يفهم بسرعة».

10

عند عودته إلى غرفته، أمسك لوك إحدى فيّشه أمام كاميرا الكمبيوتر المحمول. شَعَر ببعض الغباء من فعل ذلك، لكن الكمبيوتر اشتغلَ حالاً وعرضَ شاشة زرقاء عليها رسالة مرحباً بعودتك يا دونا! عبسَ لوك، ثم ابتسم قليلاً. في مرحلة ما قبل وصوله، كان هذا الكمبيوتر مُلك فتاةٍ (أو مُعاراً إليها، على

أي حال) تدعى دونا. لم يتم تغيير شاشة الترحيب بعد. لقد نسي أحدهم فعل ذلك. مجرد سهولة بسيطة جداً، لكن عندما تكون هناك سهولة واحدة، قد تكون هناك سهوات أخرى.

اختفت رسالة الترحيب وظهرت صورة سطح المكتب القياسية: شاطئ مهجور تحت سماء الفجر. شريط المعلومات في أسفل الشاشة يشبه ذلك الموجود على كمبيوتره في المنزل، باستثناء فرق صارخ واحد (لكنه غير مدهش حالياً): لا طابع بريدي صغير للبريد الإلكتروني. لكنه رأى رمزي مزوودي انترنت. هذه مفاجأة، لكنها مفاجأة لطيفة. فتح فايرفوكس وكتب AOL log-in. عادت الشاشة الزرقاء وفي وسطها دائرة حمراء هذه المرة. وقال صوت كمبيوتري ناعم، «آسف يا دايف، أخشى أنه لا يمكنني فعل ذلك».

للحظة ظنّ لوك أنها سهولة أخرى - دونا أولاً، ثم دايف - قبل أن يدرك أنه صوت هال 9000 من فيلم 2001: ملحمة فضائية. ليست حماقة، بل مجرد مزحة إلكترونية، وفي هذه الظروف، غير مضحكة أبداً.

بحثت عن هيربرت إليس في غوغل وحصل على هال مرة أخرى. فكر لوك ثم بحثت عن مسرح أورفيوم في هينيبين، ليس لأنه ينوي مشاهدة عرض مسرحي هناك (أو في المستقبل القريب، بطبيعة الحال)، لكن لأنه أراد معرفة طبيعة المعلومات التي يمكنه الوصول إليها. لا بد أن هناك بعض الأمور على الأقل، وإلا فلماذا يعطونه الاتصال من الأصل؟

بدا الأورف، مثلما يسميه والداه، أحد المواقع المقبولة لـ «ضيوف» المعهد. أخبره الموقع أن مسرحية هاميلتون عائدة («بناءً على طلب الجماهير!»)، وسيأتي باتون أوزوالد إلى هناك الشهر القادم («ستنقسم أراؤكم!»). حاول أن يبحث عن مدرسة برودريك وحصل على موقعها الويب، بلا أي مشكلة. جرب السيد غرير، مستشاره المدرسي، وحصل على هال. لقد بدأ يفهم خيبة أمل الطبيب دايف بومان في الفيلم.

بدأ يُغلق الكمبيوتر، ثم تمهّل قليلاً وكتب شرطة ولاية ماين في حقل البحث. حام إصبعه فوق زر التنفيذ، وكاد يضغطه، ثم تراجع. سيحصل على اعتذار هال الذي بلا معنى، لكن لوك شك أن الأمور ستنتهي عند هذا الحد. الأرجح أن جرس إنذار سيرن في أحد المستويات السفلى. غير محتمل، بالتأكيد. ربما نسوا تغيير اسم الولد على شاشة ترحيب الكمبيوتر، لكنهم لن ينسوا برنامج التنبيه إذا حاول أحد أولاد المعهد الاتصال بالسلطات. ستكون

هناك عقوبة. على الأرجح أسوأ من مجرد صفة على الوجه. الكمبيوتر الذي خصّ فيما مضى فتاةً تدعى دونا عديم الجدوى.

استراح لوك وشبك ذراعيه على صدره الضيق. تذكر مورين والطريقة الودودة التي نفشت بها شعره. مجرد بادرة لطف شاردة الذهن قليلاً فقط، لكن ذلك (والفيش) خفف وطأة صفة طوني. هل قالت كاليشا إن المرأة مديونة بأربعين ألف دولار؟ لا، ضعف ذلك تقريباً.

بسبب الطريقة الودودة التي لمسته بها مورين وكذلك لمجرد تمرير الوقت، بحث لوك في غوغل عن الديون تخنقني رجاء ساعدوني. أعطاه الكمبيوتر فوراً وصولاً إلى كافة أصناف المعلومات حول هذا الموضوع، ومن بينها عدة شركات صرّحت أن التخلص من تلك الفواتير المزعجة سهل جداً؛ كل ما على المديون فعله هو إجراء مكالمة هاتفية واحدة. شك لوك بالأمر، لكنه افترض أن بعض الأشخاص لن يشكوا مثله؛ فهذه هي الطريقة التي يرزحون بها تحت ثقل الديون من الأصل.

لكن مورين ألفورسون لم تكن أحد أولئك الأشخاص، على الأقل وفقاً لكاليشا. فقد قالت إن زوج مورين راكم عليها الفواتير الكبيرة قبل أن يفتر. ربما كلامها صحيح وربما ليس صحيحاً، لكن في الحالتين، ستكون هناك حلول للمشكلة. لطالما هناك حلول للمشاكل؛ إيجادها هو الغاية من كل التعلم. ربما الكمبيوتر ليس عديم الجدوى في النهاية.

ذهب لوك إلى الروابط التي بدت أكثر ثقة، وسرعان ما غرق في مواضع الديون وتسديدها. عاد إليه الجوع القديم إلى المعرفة. إلى أن يتعلم شيئاً جديداً. إلى عزل المسائل المركزية وفهمها. كالعادة، كل معلومة تؤدي إلى ثلاث (أو ست، أو اثنتي عشرة) معلومات أكثر، وفي نهاية المطاف بدأت صورة متماسكة تتشكل. نوعٌ من خرائط التضاريس. المفهوم الأكثر إثارة للاهتمام - مسمار المحور الذي ترتبط به كل المفاهيم الأخرى - بسيط لكن مذهل (بالنسبة للوك، على الأقل). الدين سلعة. يُشترى ويُباع، وفي مرحلة ما أصبح محور ليس فقط الاقتصاد الأميركي بل الاقتصاد العالمي أيضاً. ومع ذلك فهو سلعة غير موجودة حقاً. ليس شيئاً ملموساً مثل الوقود أو الذهب أو الألماس؛ إنه مجرد فكرة. وعدٌ بالتسديد.

عندما سمع رثة المراسلة الفورية على كمبيوتره، هز رأسه مثل فتى يستيقظ من حلم واقعي. وفقاً لساعة الكمبيوتر، كانت الخامسة مساءً تقريباً. ضغط رمز البالون في أسفل الآلة وقرأ التالي: السيدة سيغسبي: مرحبا يا لوك، أنا مديرة هذا المكان، وأود رؤيتك.

فكّر بهذا، ثم كتب.

لُوك: هل لديّ أي خيار؟

أتاه الرد حالاً: **السيدة سيغسبي: لا. ☺**

«خذي ابتسامتك واقحميها في -»

كان هناك قرعٌ على الباب. ذهب إليه متوقفاً غلاديس، لكنه كان هَداد هذه المرة، أحد الشابين من المصعد.

«هل تريد أن تتمشّي أيها الفتى الكبير؟».

تنهّد لُوك. «أعطني ثانيةً. عليّ أن أرتدي حذائي الرياضي.».

«لا مشكلة.».

قاده هَداد إلى باب بعد المصعد واستخدم بطاقة مفتاح ليفتحة. سارا معاً المسافة القصيرة إلى مبنى الإدارة وهو يلوّح لإبعاد الحشرات عنه.

11

السيدة سيغسبي ذكّرت لُوك بكُبري نسيبات أبيه سنّاً. مثل العمّة رودا، هذه المرأة نحيلة، وبالكاد لديها أثر وركين أو ثديين. لكن هناك خطوط ابتسامة حول فم العمّة رودا، ودفء دائم في عينيها. كانت تحبّ المعانقة. شَعَرَ لُوك أنه لن يكون هناك عناق من المرأة الواقفة قرب مكتبها في بذلتها الخوخية اللون وحذائها ذي اللون المماثل. قد تكون هناك ابتسامات، لكنها ستكون المرادف الوجهي لورقة الثلاث دولارات. رأى تقيماً حذراً في عيني السيدة سيغسبي ولا شيء آخر. لا شيء على الإطلاق.

«شكراً يا هَداد، سأُكمل من هنا.».

أوما الممرّض - وهذا ما افترضه لُوك بالنسبة لوظيفة هَداد - إيماءة احترام وخرج من المكتب.

«دعنا نبدأ بشيء واضح»، قالت. «نحن لوحدنا. أنا أقضي حوالي عشر دقائق لوحدي مع كل ملتحق جديد بُعيد وصوله. وقد حاول بعضهم، بدافع تشويش الذهن والغضب، مهاجمتي. لا أكنّ لهم أي ضغينة لفعلهم ذلك. بالله

عليك، لماذا سأغضب عليهم؟ أكبر الملتحقين سنأ عندنا في السادسة عشرة، ومتوسط العمر هو الحادية عشرة وستة أشهر. أولاد، بمعنى آخر، والأولاد غير بارعين في السيطرة على اندفاعهم في أفضل الأوقات. أعتبر هكذا سلوك عدواني لحظة قابلة للتعليم... وأعلمهم. هل سأحتاج إلى تعليمك يا لوك؟».

«ليس عن هذا»، قال لوك. تساءل إن كان نيكي أحد أولئك الذين حاولوا أن يضعوا أيديهم على هذه المرأة الصغيرة الأنيقة. ربما سيسأل لاحقاً.
«جيد. تفضّل بالجلوس، رجاءً».

جلس لوك على الكرسي الموجود أمام مكتبها ثم مال إلى الأمام وشبك يديه بين رُكبتيه بشكل مُحكم. جلست السيدة سيغسبي مقابله بنظرات ناظرة مدرسة لن تحتل أي هُراء. ستعامل الهُراء بقسوة. لوك لم يلتق أبداً راشدةً عديمة الرحمة، لكنه شَعَرَ أنه ربما يواجه واحدةً الآن. الفكرة مخيفة، ورُدّة فعله الأولى هي أن يرفضها لسخافتها. أن يسحقها. من الأفضل له أن يصدّق أنه عاشَ فقط حياةً بعيدةً عن الصخب. من الأفضل - والأمن - له أن يصدّق أنها ما ظنَّ أنها عليه، إلا إذا وإلى أن تبرهن له العكس. الحالة سيئة؛ هذا أمر واضح ولا يدع مجالاً للشك. أن يخدع نفسه قد يكون أسوأ خطأً يمكن أن يرتكبه.

«لقد كوَّنت صداقات يا لوك. هذا جيد، هذه بداية جيدة. ستلتقي آخرين خلال إقامتك في النصف الأمامي. اثنان منهم، فتى يدعى آيفيري ديكسون وفتاة تدعى هيلين سيمز، وصلا للتو. إنهما نائمان الآن، لكنك ستتعرف عليهما قريباً، هيلين ربما قبل إطفاء الأضواء عند العاشرة. آيفيري قد ينام الليل كله. إنه يافع جداً، وسيكون منفعلاً بالتأكيد عندما يستيقظ. أمل أن تأخذه تحت جناحك، مثلما أنا متأكدة أن كاليشا وأيريس وجورج سيفعلون. وربما حتى نيك، رغم أن لا أحد يعرف أبداً كيف يمكن أن تكون رُدّة فعل نيك. أظن بما في ذلك نيك نفسه. مساعدة آيفيري على التأقلم مع حالته الجديدة ستُكسبك فيشاً، والتي مثلما تعرف من قبل هي العملة الرئيسية هنا في المعهد. الأمر متروك لك كلياً، لكننا سنواصل المراقبة».

أعرف أنكم ستواصلون المراقبة، فكّر لوك في سرّه. والتنصّت أيضاً. ما عدا في الأماكن القليلة حيث لا يمكنكم ذلك. بافتراض أن مورين محقّة بشأن ذلك.

«لقد أعطاك أصدقاؤك كميةً لا بأس بها من المعلومات، بعضها دقيق وبعضها غير دقيق أبداً. ما أخبرك به الآن دقيق بالكامل، لذا استمع جيداً».

مالت إلى الأمام باسطة يديها على مكتبها ومثبتة عينيها على عينيهِ. «هل أذاك مفتوحتان يا لوك؟ لأنني، على رأي المثل، لا أمضغ الملفوف مرتين».

«نعم».

«نعم ماذا؟»، قالت بحدّة، رغم أن وجهها بقي هادئاً.

«أذناي مفتوحتان. وذهني يقط».

«ممتاز. ستبقى فترةً زمنيةً في النصف الأمامي. قد تكون عشرة أيام؛ وقد تكون أسبوعين؛ وقد تكون شهراً كاملاً، رغم أن قلة جداً من مجتدينا يقفون هذه المدة الطويلة».

«المجتدون؟ هل تقصدين أنه تم تجنيدني؟».

أومأت إيماءة رشيقة. «إنني أقول هذا بالضبط. هناك حرب قائمة، وقد تم استدعاؤك لكي تخدم بلدك».

«لماذا؟ لأنه يمكنني أحياناً تحريك كوب أو كتاب دون لمسهِ؟ هذا غب -»

«إخرس!».

مصدوماً بهذا تقريباً مثلما صُدمَ بصفعة طونني، خرسَ لوك.

«عندما أتكلّم، تستمع ولا تقاطعني. مفهوم؟».

لم يثق لوك بصوته فأوماً برأسه فقط.

«هذا ليس سباق تسلّح بل سباق أدمغة، وإذا خسرتنا، ستكون العواقب أكثر من مريعة؛ ستكون غير معقولة. قد تكون في الثانية عشرة فقط، لكنك جندي في حرب غير مُعلنة. الشيء نفسه ينطبق على كاليشا والآخرين. هل يعجبك هذا؟ بالطبع لا. هذا لا يعجب المجتدين أبداً، ويجب تعليم المجتدين أحياناً أن هناك عواقب لعدم إطاعة الأوامر. أظن أنك تلقيتَ الدرس الأول فيما يخصّ هذا الأمر. إذا كنتَ ذكياً مثلما تقول سجلاتك، ربما لن تحتاج إلى درس آخر. لكن إذا احتجتَ إلى درس آخر فستحصل عليه. هذا ليس منزلك. هذه ليست مدرستك. لن تُعطى عملاً روتينياً إضافياً أو تُرسَل إلى مكتب مدير المدرسة أو تُحتجز لفترة؛ بل ستُعاقب. واضح؟».

«نعم». فَبَشَّ لِلْفَتِيَانِ الْمُؤَدَّبِينَ وَالْفَتِيَاتِ الْمُؤَدَّبَاتِ، وَصَفَعَاتٍ لغير المؤدَّبين. أو أسوأ. المفهوم مُرعبٌ لكن بسيط.

«ستلقى عدة حُقن. وستخضع لعدة اختبارات. ستراقب حالتك الجسدية والذهنية. ستتخرَّج في نهاية المطاف إلى ما نسمِّيه النصف الخلفي، وهناك سَتُعطى بعض الخدمات لتؤدِّبها. قد تطول إقامتك في النصف الخلفي حتى ستة أشهر، رغم أن متوسط مدة الخدمة الفعلية هو ستة أسابيع فقط. بعدها سَتُمحى ذاكرتك، وسُترسَل إلى والدَيْك في المنزل».

«هما أحياء؟ والداي أحياء؟».

ضحكت ضحكةً مَرِحَةً بشكلٍ مدهش. «بالطبع هما أحياء. لسنا قتلة يا لوك».

«أريد التكلّم معهما إذًا. دعيني أتكلّم معهما وسأفعل كل ما تريدينه».

نطقَ الكلمات قبل أن يُدرِك كم تسرَّع في وعده هذا.

«لا يا لوك. لا زلنا لم نتوصَّل إلى تفاهم واضح بيننا». استراحت على كرسيها، وبسطت يديها على مكتبها مرةً أخرى. «هذا ليس تفاوضاً. ستفعل كل ما نريده، بغض النظر عن كل شيءٍ آخر. صدَّقني، ووقر على نفسك الكثير من الألم. لن تتواصل أبداً مع العالم الخارجي خلال وجودك في المعهد، وهذا يتضمن والدَيْك. ستطيع كل الأوامر. ستمثّل مع كل البروتوكولات. لكنك لن تجد الأوامر أو البروتوكولات شاقّة إلا ربما في حالات استثنائية قليلة. سيمرّ وقتك بسرعة، وعندما تتركنا، عندما تستيقظ في غرفة نومك الحقيقية صباح يوم جميل، سيكون كل هذا لم يحصل لك. الجزء الحزين - برأيي على أي حال - هو أنك لن تعرف حتى أنك نلت الشرف الكبير بخدمة بلدك».

«لا أرى كيف يمكن ذلك»، قال لوك وهو يكلم نفسه أكثر مما يكلمها، وهي طريقته عندما يكون هناك شيء - مسألة فيزيائية، لوحة بريشة مانيه، المضامين القصيرة والطويلة الأجل لدين - قد شغَلَ انتباهه بالكامل. «هناك أشخاصٌ كثيرٌ يعرفونني. المدرسة... الأشخاص الذين يعمل والداي معهم... أصدقائي... لا يمكنكم محو كل ذاكرتهم».

لم تضحك، لكنها ابتسمت. «أعتقد أنك قد تتفاجأ كثيراً مما يمكننا فعله. انتهت المقابلة». وقَّفت، واستدارت حول مكتبها، ومدَّت يدها. «سُررْتُ جداً بلقائك».

لوك أيضاً وقَّف، لكنه لم يصافحها.

«صافِحني يا لوك».

جزء منه أراد ذلك، فمن الصعب التخلُّص من العادات القديمة، لكنه أبقى يده بجانبه.

«صافِحني وإلا ستندم كثيراً. لن أكثّر هذا مرة أخرى».

رأى أنها جدّية جداً، لذا صافَحها. أمسكت يده. رغم أنها لم تضغط عليها، إلا أنه استطاع أن يشعر أن يدها قوية جداً. راحت عينها تحدّقان بعينه. «قد أراك في الحرم التعليمي، على رأي مثل آخر، لكنني أمل أن تكون هذه زيارتك الوحيدة إلى مكتبي. فإذا استُدعيت إلى هنا مرة أخرى، ستكون محادثتنا أقل لطفاً. مفهوم؟».

«نعم».

«جيد. أعرف أن هذه فترة عصبية عليك، لكن إذا نَعَدت ما يُطلَب منك، ستخرج إلى أشعة الشمس. ثق بي في هذا. الآن اذهب».

خرج وهو يشعر مرة أخرى كما لو أنه فتى في حلم، أو أليس في حفرة الأرنب. كان هَداد يرددش مع سكرتيرة أو مساعِدة السيدة سيغسبي أو أياً تكن وظيفتها، وينتظره. «ساعِديك إلى غرفتك. بالقرب مني، صح؟ لا هروب نحو الأشجار».

خرَجاً، وبدأ يسيران نحو المبنى السكني، ثم توقّف لوك لإصابته بدوخة. «انتظر»، قال. «مهلاً».

انحنى واستندَ على رُكبتيه. للحظة تجمهرت أضواءً ملوّنة أمام عينيه.

«هل سيُغمى عليك؟»، سأل هَداد. «ما رأيك؟».

«لا»، قال لوك، «لكن أعطني بضع ثوانٍ».

«بالتأكيد. لقد تلقيت حُقنةً، صح؟».

«نعم».

أوماً هَداد برأسه. «تؤثر على بعض الأولاد بهذه الطريقة. ردّة فعل متأخرة».

توقّع لوك أن يُسأل إن رأى بُقعاً أو نقاطاً، لكن هَداد انتظر فحسب وهو يصفر ويلوّح يديه لإبعاد الحشرات المزعجة.

تذكّر لوك عيني السيدة سيغسي الرماديتين الباردتين، ورفضها التام إخباره كيف بإمكان مكان كهذا أن يتواجد من دون أحد أشكال... ما هو المصطلح الصحيح؟ التسليم المشدّد، ربما. كان كما لو أنها تتحدّاه أن يستنتج ذلك.

نقذ ما يُطلب منك وستخرج إلى أشعة الشمس. ثق بي في هذا.

إنه في الثانية عشرة فقط، ويفهم أن خبرته في الحياة محدودة، لكنه متأكد تماماً من شيء واحد: عندما يقول أحدهم ثق بي، يكون عادة يكذب كذباً مكشوفاً.

«هل تشعر بتحسّن؟ جاهز للذهاب يا بُني؟»

«نعم». قوّم لوك ظهره. «لكنني لستُ ابنك».

ابتسم هَداد، وومض سنُّ ذهبيّ. «أنتَ ابني في الوقت الحاضر. أنت ابن المعهد يا لوك. من الأفضل أن تهذا وتعتاد على ذلك».

12

بعدما أصبحا داخل المبنى السكني، طلبَ هَداد المصعد وقال «أراك لاحقاً»، ودخله. بدأ لوك يعود إلى غرفته ورأى نيكي ويلهولم جالساً على الأرض مقابل صانعة الثلج ويأكل قطعة حلوى بزبدة الفول السوداني، وفوقه مُلصق إعلاني يُظهر سنجابين كرتونيين مع بالوتي نص هزلي يخرجان من فميهما المبتسمين. كان السنجاب الأيسر يقول، «عش الحياة التي تحبّها!»، والسنجاب الأيمن يقول، «حبّ الحياة التي تعيشها!». حدّق لوك بهذا مرتبكاً.

«ماذا تسمّي مُلصقاً إعلانياً كهذا في مكان كهذا أيها الولد الذكي؟»، سأل نيكي. «سخرية أو تهكم أو كلام فارغ؟».

«كل الثلاثة»، قال لوك وجلس بجانبه.

عرض نيكي علبة ريس. «هل تريد القطعة الأخرى؟».

أرادها لوك. شكّره ونزع الورقة المُجعّدة التي تجلس فيها قطعة الحلوى، وأكلها بثلاث قضمات سريعة.

راقبه نيكي مستمتعاً. «تلقيت حُقتك الأولى، أليس كذلك؟ تجعلك تتوق إلى السكر. قد لا ترغب بتناول الكثير من الطعام على العشاء، لكنك ستأكل الحلوى. هذا مضمون. هل رأيت أي نقاط؟».

«لا». ثم تذكّر الانحناء والاستناد على رُكبتيه بينما انتظر زوال الدوخة. «ربما. ما هي؟».

«يسمّيها الفئّيون أضواء شتازي. إنها جزء من التحضير. لم أتلقَ إلا بضع حُقن واختبارات غير غريبة، لأنني تعيبي. جورج أيضاً، وشيا تخ-إيجابية. ستلقى أكثر لو كنت عادياً فقط». فكر قليلاً ثم أضاف، «حسناً، لا أحد منا عادي وإلا لما كنا هنا، لكنك تفهم قصدي».

«هل يحاولون تقوية قدرتنا؟».

هَرَّ نيكي كتفيه.

«ما الذي يحصروننا له؟».

«للأشياء التي تجري في النصف الخلفي. كيف سارت الأمور مع ملكة السافلات؟ هل ألقت عليك الخطاب عن خدمة بلدك؟».

«قالت إنني استُديتُ إلى التجنيد. أشعر كما لو أنني جُنُدت بالقوة على يد كتيبة تجنيد. لعلمك، في القرنين السابع عشر والثامن عشر، عندما كان القباطنة يحتاجون إلى رجال ليعملوا على سفنهم -»

«أعرف ما هي كتائب التجنيد يا لوكي. لقد ذهبتُ إلى المدرسة، مثلما تعرف. ولست مخطئاً». نهض. «هيا، دعنا نخرج إلى الملعب. يمكنك إعطائي درساً آخر في الشطرنج».

«أعتقد أنني أريد أن أستلقي فحسب»، قال لوك.

«تبدو شاحباً نوعاً ما. لكن الحلوى ساعدت، صح؟ اعترف بذلك».

«نعم ساعدتني»، وافق لوك. «ماذا فعلت لتحصل على فيشة؟».

«لا شيء. أعطتني مورين واحدةً قبل أن تُنهي نوبة عملها. كاليشا محقّة بشأنها». قال نيكي ذلك عن ضغينة تقريباً. «إذا كان هناك شخصٌ واحدٌ صالحٌ في هذا القصر اللعين، فهي مورين».

وَصَلَا إِلَى بَاب لُوك. رَفَعَ نِيكي قَبْضَةً، وَخَبَطَهَا لُوك بِقَبْضَتِهِ.

«أراك عندما يُقَرَع الناقوس أيها الولد الذكي. في هذه الأثناء، لا تياس».

مورين وآيفيري

1

انزلق لوك في قيلولة تعج بأحلام قصيرة بغیضة، ولم يستيقظ إلا عندما فرغ الناكوس للعشاء. سُر من سماعه. لقد أخطأ نيكي؛ فهو يريد أن يأكل، وكان جائعاً للضحبة والطعام على حد سواء. ومع ذلك توقف في المطعم ليتأكد أن الآخرين لم يكونوا يستهزئون به. لم يكونوا. فبجانب آلة الوجبات الخفيفة هناك موزعة سجاير عتيقة مليئة بالكامل، والمرعب المضاء في أعلاها يظهر رجلاً وامرأة ترتدي فستاناً فاخراً يدحّنان على شرفة ويضحكان. وبجانب ذلك يوجد موزعة تعمل بقطع النقود المعدنية لمشروبات راشدين في قوارير صغيرة - ما كان يسميه بعض الأولاد في برود الميالين إلى تناول الشراب «رشقات شركات الطيران». يمكنك الحصول على علبة سجاير بثماني فيش؛ وقارورة صغيرة من شراب توت العليق الأسود بخمس فيش. وفي الجهة الأخرى للغرفة، هناك براد كولا أحمر ساطع.

أمسكته يدان من الخلف ورفعته عن الأرض. صاح لوك متفاجئاً، وضحك نيكي في أذنه.

«إذا بلّلت بنظونك، يجب أن تجازف وترقص أيها المحنك!».

«أنزلي!».

لوحه نيكي ذهاباً وإياباً بدلاً من ذلك. «لوكي-تيدي-أوكي-ديل-لوكي! لوكي التائي الساقين، المتباعد الساقين، المتقوس الساقين!».

أنزل لوك ودوره، ثم رفع يديه وبدأ يرقص على أنغام الموزاك الخارجة من مكبرات الصوت العليا. خلفه كانت كالبشا وأيريس تنظران إليه بتعبير مماثل يقول الأولاد يظنون أولاداً. «هل تريد أن تصارع يا لوكي؟ لوكي التائي الساقين، المتباعد الساقين، المتقوس الساقين؟».

«أقِم أنفك في مؤخّرتي وصارع للهواء»، قال لوك وبدأ يضحك.
الكلمة الأنسب لنيكي، فكر في سرّه، سواء كان في مزاج جيد أو مزاج سيئ،
هي حيّ.

«رُدُّ جيّد»، قال جورج وهو يشقُّ طريقه بين الفتاتين. «سأحفظه
لأستخدمه لاحقاً».

«بشرط ألا تنسى أن تنسب الفضل لي»، قال لوك.

توقف نيكي عن الرقص. «أنا أتضوّر جوعاً ملعوناً. هيا نأكل».

رَفَع لوك غطاء موزّعة الكولا. «المشروبات الغازية مجانية، فهمتُ.
ندفع فقط ثمن الشراب والسجائر والوجبات الخفيفة».

«أصبت»، قالت كاليشا.

«و، ممم...»، أشار إلى آلة الوجبات الخفيفة. يمكن الحصول على
معظم الطيبات بفيشة واحدة، لكن التي كان يشير إليها ثمنها ست فيش. «هل
هذه...»

«هل تسأل إن كانت براونيز الفتى الكبير هي ما تظنّه؟»، سألت
أيريس. «لم أحصل على واحدة أبداً شخصياً، لكنني متأكدة أنها ما ظننّته
بالضبط».

«نعم»، قال جورج. «نجوْث، لكنني أصبْتُ بطفح جلدي أيضاً. لديّ
حساسية. هيا نأكل».

جلّسوا إلى الطاولة نفسها. شيري حلت محل نورما. طلب لوك فطراً
مقلياً بمسحوق الكعك، وشريحة لحم مع سلطة، وشيئاً مسمّى بروليه كريما
الفانيليا. قد يكون هناك أشخاص أذكيا في بلاد العجائب الشريرة هذه - لم تبدُ
السيدة سيغسبي غيبةً بالطبع - لكن أياً يكن من وضع القوائم ليس أحدهم
على الأرجح. أو ربما هذا بسبب بعض التكبر الفكري منه؟

قرّر لوك أنه لا يكثرث.

تكلّموا قليلاً عن مدارسهم قبل أن يُتزعوا من حياتهم العادية - مدارس
عادية، على حدّ علم لوك، وليست مدارس خاصة للأولاد الأذكيا - وعن
البرامج التلفزيونية والأفلام المفضّلة لديهم. سار كل شيء على ما يرام إلى

أن رفعت آبريس يدها إلى خدّها المنمّش، وأدرك لوك أنها تبكي. ليس بغزارة بل قليلاً فقط، لكن نعم، هذه دموعٌ.

«لا حُفن اليوم، لكنني خضعتُ لحرارة المؤخرة اللعينة تلك»، قالت. وعندما رأت الحيرة على وجه لوك، ابتسمت، وهذا سبّب نزول دمعة أخرى على خدّها. «يقيسون حرارتنا شرجياً».

كان الآخرون يومئذ برؤوسهم. «لا ندري لماذا»، قال جورج، «لكنه إذلال».

«إنه القرن التاسع عشر أيضاً»، قالت كاليشا. «لا شك أن لديهم سيباً ما، لكن...»، سكتت وهزّت كتفيها.

«مَن يريد قهوة؟»، سأل نيك. «سأحضرها إذا كنتم -»

«مرحباً».

من المدخل. استداروا ورأوا فتاةً في سروال جينز وبلوزة بلا أكمام. شعرها، القصير والشائك، أخضر في جهةٍ وأرجواني ضارب إلى الزرقة في الأخرى. رغم هذا الشعر السيئ، بدت طفلةً من قصة خرافية تائهة في الغابة. خمّن لوك أنها في مثل سنّه.

«أين أنا؟ هل يعرف أحدكم ما هذا المكان؟».

«اقتربي يا عزيزتي»، قال نيكى وابتسم ابتسامته المبهرة. «اسحبي كرسياً. عايني المطبخ».

«لستُ جائعةً»، قالت القادمة الجديدة. «فقط أخبروني شيئاً واحداً. مَن عليّ أن أهاجم لكي أخرج من هنا؟».

وهكذا تعرّفوا على هيلين سيمز.

2

بعد أن أكلوا، خرّجوا إلى الملعب (لم يُهمل لوك أن يدهن نفسه بطبقة كثيفة من طارد الحشرات) وأخبروا هيلين التفاصيل. تبين أنها تع، ومثل جورج ونيكي، كانت إيجابية. برهنت لهم ذلك بإيقاعها عدة قطع على رقعة الشطرنج عندما نصبها نيكى.

«ليست إيجابية فقط بل إيجابية رائعة»، قال جورج. «دعيني أحاول ذلك». تمكن من إيقاع بيدق، وجعل الملك الأسود يرتعش قليلاً على قاعدته، لكن هذا كل شيء. استرخى ونفخ خديبه. «حسناً، أنتِ الفائزة يا هيلين».

«أعتقد أننا كلنا خاسرون»، قالت. «هذا ما أعتقد».

سألها لوك إن كانت قلقة على والديها.

«ليس كثيراً. أبي مدمن شراب. وأمي طلقته عندما كنتُ في السادسة وتزوجت - مفاجأة! - مدمن شراب آخر. لا شك أنها قدّرت أنه إذا لم يكن بإمكانك أن تهزمهم فانضم إليهم، لأنها الآن مدمنة شراب أيضاً. لكنني أفتقد أخي. هل تعتقدون أنه بخير؟».

«بالتأكيد»، قالت آيريس من دون اقتناع كبير، ثم ذهبت إلي الترامبولين وبدأت تقفز عليها. فعل ذلك بُعيد تناول وجبة طعام كان يُشعر لوك بالغيثان، لكن آيريس لم تأكل كثيراً.

«دعوني أفهم هذا جيداً»، قالت هيلين. «لا تعرفون لماذا نحن هنا، ما عدا أن له علاقة محتملة بقدرتنا النفسانية التي لن تنجح حتى في مرحلة اختبارات الأداء في برنامج مواهب أميركا».

«لن تنجح حتى في برنامج مواهب الأطفال»، قال جورج.

«يختبروننا إلى أن نرى نقاطاً، لكنكم لا تعرفون السبب».

«صحيح»، قالت كاليشا.

«ثم ينقلوننا إلى ذلك المكان الآخر، النصف الخلفي، لكنكم لا تعرفون ماذا يجري هناك».

«نعم»، قال نيكى. «هل تلعبين الشطرنج، أم توقعين القطع فقط؟».

تجاهلته. «وعندما ينتهون منا، نخضع لعملية مسح ذاكرة من روايات الخيال العلمي ونعيش في تبات ونبات».

«هذه هي القصة»، قال لوك.

فكّرت قليلاً ثم قالت، «يبدو هذا مريعاً».

«حسناً»، قالت كاليشا، «أظن لهذا السبب أعطتنا السماوات بَرادات شراب العنب وبراونيز الفتى الكبير».

لم يعد لوك قادراً على التحمّل. كان على وشك أن يعاود البكاء قريباً جداً؛ يمكنه الشعور بالدموع تقترب مثل عاصفة رعدية. فَعَلَ ذلك أمام الآخرين قد يكون مقبولاً لآيريس، فهي فتاة، لكن لديه فكرة (قديمة بالتأكيد لكنها لم تفقد أياً من قوتها) كيف يُفترَض أن يتصرّف الفتيان. بكلمة واحدة، مثل نيكي.

عاد إلى غرفته وأغلق الباب، وتمدّد على سريره واضعاً ذراعه فوق عينيه. ثم، وبدون أي سبب، تذكر ريتشي روكيت في بذلته الفضائية الفضية وهو يرقص بحماسة مثلما فعل نيكي ويلهولم قبل العشاء، وكيف يرقص الأولاد الصغار معه وهم يضحكون من كل قلوبهم ويغنون على أنغام «مامبو الرقم 5». كما لو أن لا شيء يمكن أن يسوء، كما لو أن حياتهم ستكون مليئة بمتعة بريئة دائماً.

أتت الدموع، لأنه كان خائفاً وغازباً، لكن في الأغلب لأنه يشعر بحنين إلى منزله. لم يفهم أبداً معنى كلمة حنين قبل الآن. فهذا ليس مخيماً صيفياً، وليس رحلة ميدانية. هذا كابوس، وكل ما أراده هو أن يزول. أراد أن يستيقظ. ولأنه لا يستطيع فقد غفا وصدرة الضيق لا يزال يخفق ببضع شهقات أخيرة.

3

مزيج من الأحلام المزعجة.

استيقظ في بداية حلم يطارده فيه كلب أسود عديم الرأس في وايلدرسموت درايف. اعتقد للحظة مدهشة أن الأمر بأكمله مجرد حلم وأنه عاد إلى غرفته الحقيقية. ثم نظرت إلى البيجامات التي لم تكن بيجاماته وإلى الجدار حيث يجب أن تكون هناك نافذة. استخدم الحمام، ثم شغل الكمبيوتر المحمول لأنه لم يعد نعساناً. ظن أنه قد يحتاج إلى فيشة أخرى ليحمله يعمل، لكنه لم يحتج إلى واحدة. ربما تدوم كل فيشة أربعاً وعشرين ساعة، أو - إذا كان محظوظاً - ثمان وأربعين ساعة. وفقاً للشريط في الأعلى، كانت الساعة الثالثة والرابع بعد منتصف الليل. وقت طويل حتى الفجر إذاً، وهذا ثمن أخذه قيلولة أولاً ثم النوم باكراً جداً في المساء.

فكر بزيارة موقع يوتيوب ومشاهدة بعض الرسوم المتحركة العتيقة، أشياء مثل باي التي لطالما جعلته ورولف يتدحرجان على الأرض وهما يصيحان «أين سبانخي؟» و«ها-ها-ها!». لكنه شعر أن ذلك لن يفيد إلا بإعادة

حينه إلى منزله والهديان. لذا ماذا بقي لديه ليفعله؟ يعود إلى السرير حيث سيبقى مستيقظاً حتى شروق الشمس؟ يتجوّل في الأروقة الفارغة؟ يزور الملعب؟ يمكنه أن يفعل ذلك، فقد تذكّر قول كاليشا إن الملعب لا يُقفل أبداً، لكن ذلك سيكون مرعباً جداً.

«لماذا لا تفكّر إذاً أيها الحقيّر؟».

تكلّم بصوتٍ منخفض، لكنه جفَلَ من الصوت على أي حال، حتى إنه رفع يده جزئياً كما لو أنه يريد تغطية فمه. نهض وسار في الغرفة وهو يجرّ قدميه الحافيتين اللتين تخبّطان أسفل البيجامة. كان سؤالاً جيداً. لماذا لم يفكّر؟ أليس هذا ما يُفترض أنه بارع فيه؟ لو كاس إليس، الولد الذكي. الفتى العبقري. يحبّ باباي البحّار، ويحبّ لعبة نداء الواجب الإلكترونية، ويحبّ لعب كرة السلة في الفناء الخارجي، لكنه يملك أيضاً فهماً عملياً للفرنسية المكتوبة، رغم أنه لا يزال يحتاج إلى الترجمة عندما يشاهد الأفلام الفرنسية على نتفليكس، لأنهم كلهم يتكلمون بسرعة كبيرة والعبارات الاصطلاحية مجنونة. اشرب مثل حفرة، مثلاً. لماذا أشرب مثل حفرة بينما الشرب مثل سمكة منطقي أكثر بكثير؟ يمكنه أن يملأ سبورةً بمعادلات رياضية، يمكنه أن يعدّد بسرعة كل العناصر في الجدول الدوري، يمكنه أن يسرد كل نائب رئيس منذ أيام جورج واشنطن وحتى الآن، يمكنه أن يعطيك شرحاً معقولاً لسبب عدم إمكانية بلوغ سرعة الضوء أبداً إلا في الأفلام.

لماذا إذاً يكتفي بالجلوس هنا والإشفاق على نفسه؟

ماذا يمكنني أن أفعل خلاف ذلك؟

قرّر لوّك اعتبار هذا السؤال حقيقياً وليس مجرد تعبير عن يأسه. الهروب مستحيل على الأرجح، لكن ماذا بشأن التعلم؟

حاول البحث عن نيويورك تايمز في عُوغل، ولم يتفاجأ من حصوله على هال 9000؛ لا أخبار لأولاد المعهد. السؤال هو، هل يمكنه أن يجد وسيلة يحتال بها على الحظر؟ بابٌ خلفي؟ ربما.

لنرى، فكّر في سرّه. لنرى فحسب. فتح فايرفوكس وكتب
#!cloakofGriffin!# [معناها عباءة غريفين].

غريفين هو الرجل الخفي في رواية ه. ج. ويلز، وهذا الموقع، الذي علم به لوّك منذ حوالي سنة، هو وسيلة للالتفاف على الرقابة الأبوية - ليس الويب المظلمة بالضبط، بل باب مجاور لها. استخدّمه لوّك من قبل، ليس لأنه أراد

زيارة المواقع الإباحية عبر كمبيوترات برود (رغم أنه ورولف فعلا ذلك مرتين) أو مشاهدة الإرهابيين يقطعون الرؤوس، لكن فقط لأن المفهوم جميل وبسيط وأراد أن يختبر إن كان يمكن القيام به. تمكن من القيام به في المنزل وفي المدرسة، لكن هل سينجح به هنا؟ هناك طريقة واحدة فقط لمعرفة ذلك، لذا ضغط مفتاح الإدخال.

غصّ الاتصال اللاسلكي في المعهد لبرهة - كان بطيئاً - ثم فقط عندما بدأ لوك يظن أن القضية خاسرة، أخذه إلى غريفين. رأى رجل ويلز الخفي في أعلى الشاشة، برأسه الملفوف بضمادات والنظارات الواقية المخيفة التي تغطي عينيه. وتحت ذلك سؤال كان بمثابة دعوة أيضاً: أي لغة تريد أن تترجمها؟ اللائحة طويلة، من الآشورية إلى الرولو. جمال الموقع هو أنه لا يهم أي لغة تختار؛ المهم هو ما يُسجّل في محفوظات البحث. في يوم من الأيام، كان ممزّ سري تحت الرقابة الأبوية متوفراً على عُوجل، لكن حكماء ماوتنن قيو أغلقوه. وبالتالي، عباءة غريفين.

اختار لوك الألمانية بشكل عشوائي، وتلقى الموجّه اكتب كلمة المرور. مستعيناً بما كان أبوه يسميه أحياناً ذاكرته الغريبة، كَتَبَ لوك #49ger194GbL4x. غصّ الكمبيوتر قليلاً أيضاً، ثم أعلن قُبِلَت كلمة المرور.

كَتَبَ نيويورك تايمز وضغط مفتاح الإدخال. فكّر الكمبيوتر لفترة أطول بكثير هذه المرة، لكن صحيفة التايمز ظهرت في نهاية المطاف. عدد اليوم، وبالإنكليزية، لكن من الآن وصاعداً، لن تدوّن محفوظات البحث في الكمبيوتر شيئاً سوى سلسلة كلمات ألمانية وترجماتها الإنكليزية. ربما يكون هذا انتصاراً صغيراً وربما يكون انتصاراً كبيراً. لا يكثر لوك لحجم الانتصار في الوقت الحاضر. فهو انتصار، وهذا يكفي.

متى سيُدرك آسروه ماذا يفعل؟ لأن تمويهه محفوظات البحث في الكمبيوتر لن يعني شيئاً إذا كان بإمكانهم مراقبته بشكل مباشر. سيرون الصحيفة ويقطعون اتصاله. لا يجب أن يضيع وقته بالتايمز ورأسيتها عن ترامب وكوريا الشمالية؛ عليه أن يفحص صحيفة ستار تريبيون قبل حصول ذلك، ويرى إن كان هناك أي شيء عن والدیه. لكن قبل أن يتمكن من فعل ذلك، بدأ الصراخ في الرواق.

«ساعدوني! ساعدوني! ساعدوني! ليساعدني أحدًا! ليساعدني أحدًا، أنا

تائه!».

الصارخ فتى صغير يرتدي بيجامة حرب النجوم وبطرق على الأبواب يقبضتين صغيرتين راحتا تصعدان وتنزلان مثل مكابس السيارة. في العاشرة؟ أيفيري ديكسون بدا في السادسة، أو السابعة كحد أقصى. كان منفرج ساقيه وإحدى ساقي بنطلون بيجامته رطبين وملصقين به.

«ساعدوني، أريد إلى أذهب إلى المنزل!».

ألقي لوك نظرة سريعة حوله متوقفاً أن يري أحداً - ربما عدة آحاد - قادماً يركض، لكن الرواق بقي فارغاً. سيُدرِك لاحقاً أن ولداً يصرخ في المعهد طالباً العودة إلى منزله هو أمر طبيعي. في الوقت الحاضر، أراد لوك إسكات الولد فحسب. فهو فزع، وكان يجعل لوك فزعاً أيضاً.

ذهب إلى الفتى، وركع، وأمسكه بكتفيه. «مهلاً. مهلاً. هون عليك يا ولد».

حدّق به الولد بعينين مطوّقتين بالأبيض، لكن لوك لم يكن متأكداً كلياً أن الولد يراه. كان شعره مبللاً بالعرق وملصقاً برأسه، ووجهه رطباً من الدموع، وشفته العليا تلمّع بمخاط حديث.

«أين ماما؟ أين بابا؟».

غير أنه لم يقل بابا بل باااااااااا، مثل صفارة إنذار الغارة الجوية. بدأ الولد يخبط قدميه بالأرض. وأنزل قبضتيه على كتفي لوك. أفلته لوك، ونهض، وتراجع إلى الوراء، وراح يراقب بدهشة كيف سقط الولد أرضاً وبدأ يتلوّى.

مقابل المُلصق الإعلاني الذي يُعلن أن هذا مجرد يوم آخر في النعيم، فُتح بابٌ وخرجت كاليشا مرتديّة قميصاً تائياً مصبوغاً بطريقة القماش المربوط وشورت كُرة سلة هائلاً. سارت إلى لوك ووقفت تنظر إلى القادم الجديد واضعةً يديها على وركيها غير الموجودين في الأغلب. ثم نظرت إلى لوك. «لقد رأيتُ نوبات غضب من قبل، لكن هذه تستحق جائزة المرتبة الأولى».

فُتح بابٌ آخر وظهّرت هيلين سيمز مكسوّة - نوعاً ما - بما اعتقد لوك أنه يسمّى بيجامة البيبي دول. لديها وركان، زائد معدّات أخرى مثيرة للاهتمام.

«أعد عينيك إلى محجربهما يا لوكي»، قالت كاليشا، «وساعدني قليلاً. الولد يقرع رأسي كما لو أنه يريد أن يسبّب لي صداعاً نصفياً». ركعت وحاولت

إمساك الدرويش - الذي تردّت كلماته الآن إلى عواء صامت - وتراجعت عندما ضربت إحدى قبضتيه ساعدها. «يا للهول، ساعدني هنا. أمسيك يديه».

ركع لوك أيضاً وحاول إمساك يدي الولد الجديد، لكنه تراجع، ثم قرّر أنه لا يريد أن يبدو ضعيفاً أمام الواصلة متأخرة في لباسها الزهري. أمسك الفتى الصغير من مرفقيه وضغط ذراعيه على جانبي صدره. استطاع أن يشعر بقلب الولد الذي ينبض بثلاثة أضعاف المعدل العادي.

انحنت كاليشا فوقه، ووضعت يديها على جهتي وجهه، ونظرت في عينيه. توقف الولد عن الصياح، ولم يعد هناك الآن غير صوت تنفّسه السريع. نظرت إلى كاليشا مفتوناً، وفهم لوك فجأة ما قصدته عندما قالت إن الولد يقرع رأسها.

«إنه تخ، أليس كذلك؟ مثلك».

أومأت كاليشا برأسها. «ما عدا أنه أقوى مني بكثير، أو من كل الـ تخ الآخرين الذين أتوا خلال وجودي هنا. هيا نأخذه إلى غرفتي».

«هل يمكنني أن آتي معكم؟»، سألت هيلين.

«مثلما تشائين يا عزيزتي»، قالت كاليشا. «أنا متأكدة أن لوكي هنا يعجبه المنظر».

تورّدت هيلين. «ربما سأغيّر ثيابي أولاً».

«افعلي ما تريدينه»، أجابتها كاليشا، ثم قالت للولد: «ما اسمك؟».

«آيفيري». كان صوته أجش من البكاء والصياح. «آيفيري ديكسون».

«أنا كاليشا. يمكنك أن تنادينني شا إن شئت».

«فقط لا تناديه يا حلوة»، قال لوك.

5

بدأت غرفة كاليشا أنثوية أكثر مما توقّع لوك، بناءً على طريقة كلامها الحادّة. فهناك غطاء زهري على السرير، وكشكش مزخرف كثيراً على الوسادات. وحدّقت بهم صورة مؤطرة لمارتن لوثر كينغ على المكتب.

رأت لوك ينظر إليها وضحكت. «يحاولون جعل الأمور مماثلة لما هي عليه في المنزل، لكنني أظن أن شخصاً اعتبر أن الصورة التي كنتُ أضعها هناك مبالغٌ بها قليلاً، لذا غيَّروها».

«صورة مَن كنتِ تضعين هناك؟».

«إلدريدج كليفر. هل سمعت عنه؟».

«بالتأكيد. روح على الجليد. لم أقرأه، لكنني كنتُ أنوي فعل ذلك».

رفعت حاجبي عينيها. «آخ كم تُهدّر طاقاتك هنا».

بدأ آيفيري يصعد على سريرها وهو لا يزال ينخر، لكنها أمسكته وشدته إلى الخلف، بلطف لكن بإحكام.

«كلا-كلا، ليس في هذا البنطلون الرطب». تظاهرت بأنها ستخلعها عنه وتراجع آيفيري إلى الورا شاكاً يديه بشكل وقائي فوق منفرج ساقيه.

نظرت كاليشا إلى لوك وهزت كتفيها. هزّ كتفيه بدوره، ثم قرفص أمام آيفيري. «في أي غرفة أنت؟».

اكتفى آيفيري بهزّ رأسه.

«هل تركت الباب مفتوحاً؟».

هذه المرة أوماً الولد برأسه.

«سأحضر لك بعض الملابس الجافة»، قال لوك. «ابق هنا مع كاليشا، مفهوم؟».

لا هزّ أو إيماءة بالرأس هذه المرة. بل حدّق به الفتى فحسب، منهكاً ومرتبكاً، لكنه على الأقل لم يعد يقلد عملية شنّ غارة جوية.

«اذهب»، قالت كاليشا. «أعتقد أنه يمكنني تهدئة أعصابه».

ظهرت هيلين عند الباب مرتديةً الآن سروال جينز وتزرر كنزة. «هل أصبح أفضل؟».

«قليلاً»، قال لوك. رأى سلسلة نقاط في الاتجاه الذي ذهب فيه ومورين بينما كانا يغيران الملاءات.

«لا أتر لدَيْنِكَ الفَتَّينِ الآخَرين»، قالت هيلين. «يبدو أنهما ينامان نوماً عميقاً».

«هذا صحيح»، قالت كاليشا. «أذهبي مع لُوكِ أيتها الفتاة الجديدة. آيفيري وأنا نَعقد اجتماع أدمغة هنا».

6

«الولد يدعى آيفيري ديكسون»، قال لُوكِ بينما وقف مع هيلين سيمز عند باب مفتوح بعد صانعة الثلج بمسافة قصيرة، التي كانت تفرقع لنفسها. «إنه في العاشرة. لا يبدو عليه ذلك، أليس كذلك؟».

حدّثت به بعينين محمليقتين. «ما أنت، تخ في النهاية؟».

«لا»، قال وهو يتفحّص المُلصق الإعلاني لتومي بيكلز ودمى الشخصيات المغامرة على المكتب. «كنتُ هنا مع مورين. إنها إحدى مدبّرات المنزل. ساعدتها على تغيير ملاءة السرير. ما عدا ذلك كانت الغرفة جاهزة له».

ابتسمت هيلين بتكلّف. «هذا ما أنت عليه إذاً - قطة المدرّسة».

تذكّر لُوكِ صفع طوني له على وجهه، وتساءل إن كانت هيلين ستلقى نفس المعاملة قريباً. «لا، لكن مورين ليست مثل بعض الآخرين. عاملها جيداً وستعاملك جيداً».

«منذ متى وأنت هنا يا لُوكِ؟».

«أنا هنا قبلك مباشرة».

«إذاً كيف تعرف من اللطيف ومن الفظّ؟».

«مورين جيدة، هذا كل ما أقوله. ساعديني على أخذ بعض الملابس له».

أمسكت هيلين بنطلوناً وسروالاً داخلياً من خزانة الملابس (دون أن تنسى أن تتطلّع على بقية الجوارير)، وعادا إلى غرفة كاليشا. في طريق العودة، سألت هيلين إن خضع لُوكِ لأحد الاختبارات التي أخبرها عنها جورج. أجاب بالنفي، لكنه أظهر لها الرقاقة في أذنه.

«لا تقاومي ذلك. أنا قاومته، وُصِّفْتُ».

توقَّفت عن السير فجأة. «ماذا!».

أدار رأسه ليُريها خدّه، حيث خَلَّف إصبعان من أصابع طوني رضوضاً خفيفةً.

«لا أحد سيصفعني»، قالت هيلين.

«هذه نظرية لا تريدين اختبار صحتّها».

دفعت شعرها ذا اللونين إلى الوراء. «أذناي مثقوبتان من قبل، لذا لا مشكلة».

وجدا كاليشا جالسة على سريرها وآيفيري بجانبها وقد لفَّ مؤخرته بمنشفة. كانت تمسِّد له شعره المبلل بالعرق، وهو ينظر إليها نظرات حالمة كما لو أنها الأميرة تيانا. رمت هيلين الملابس إلى لوك. لم يكن يتوقع ذلك وأفلت السروال الداخلي المدموغ بصور سبايدرمان في وضعيات ديناميكية مختلفة.

«ليس لديّ أي اهتمام برؤية العضو الصغير جداً لهذا الولد. سأعود إلى سريرتي. وربما عندما أستيقظ سأجد نفسي في غرفتي، غرفتي الحقيقية، وكل هذا مجرد حلم».

«حظاً سعيداً في ذلك»، قالت كاليشا.

خرجت هيلين بخطوات واسعة. رَقَع لوك السروال الداخلي لآيفيري في الوقت المناسب ليلمح تمايل وركبها في سروال الجينز الباهت.

«لذيذة، أليس كذلك؟»، قالت كاليشا بنبرة باردة.

أحضر لها لوك الملابس وهو يشعر بالحرارة في خديّه. «أظن ذلك، لكنها تترك شيئاً سيكون مرغوباً في قسم الشخصية».

اعتقد أن هذا قد يُضحكها - تعجبه ضحكتها - لكنها بدت حزينة. «هذا المكان سيُفقد صداها. قريباً جداً ستبدأ بالهرولة والصراخ كلما رأت شاباً في قميص أزرق. مثلنا كلنا بالضبط. آيفيري، عليك أن ترتدي هذه الأشياء. سأدير ولوكي ظهرنا».

فعلا ذلك وراحا يحدّقان عبر باب كاليشا المفتوح بالملصق الإعلاني الذي يُعلن أن هذا هو النعيم. جاء صوت حفيف ملابس من خلفهما. قال آيفيري أخيراً، «انتهيث. يمكنكما أن تستديرا».

استدارا. قالت كاليشا، «الآن خذ بنطلون البيجامة الرطب هذا إلى الحمام وعلّقه فوق جهة المغطس».

ذهب دون جدال، ثم عاد يجزّ قدميه. «فعلتُ ذلك يا شا». لقد زال الحنق من صوته، وبدا الآن خجولاً ومُتعباً.

«حسناً فعلت. هيا عد إلى السرير. استلقِ عليه، لا بأس».

جلّست كاليشا، ووضعت قدمي آيفيري على حُصنها، ثم ربّنت على السرير بجانبها. جلّس لوك وسأل آيفيري إذا كان يشعر بتحسّن. «أظن ذلك».

«أنت تعرف ذلك»، قالت كاليشا وعادت تمسّد شعر الفتى الصغير من جديد. شَعْر لوك - وهذا ربما هُراء وربما لا - أن أموراً كثيرةً تجري بينهم. حركة مرور داخلية.

«هيا إذًا»، قالت كاليشا. «أخيره نكتتك إذا كان عليك ذلك، ثم اخلد إلى النوم اللعين».

«لقد قلت كلمةً بذيئة».

«أظن أنك محقّ. أخيره النكتة».

نظّر آيفيري إلى لوك. «حسناً. كان الغبي الكبير والغبي الصغير يقفان على جسر، اتفقنا؟ وسقط الغبي الكبير. لماذا لم يسقط الغبي الصغير؟».

فكّر لوك بأن يُخبر آيفيري أن الناس لم يعودوا يتكلّمون عن الأغبياء في المجتمع المهدّب، لكن بما أنه واضح أن المجتمع المهدّب غير موجود هنا، اكتفى بالقول، «أستسلم».

«لأنه لم يكن غيباً بنفس المدة كالغبي الكبير. هل فهمتها؟».

«بالتأكيد. لماذا اجتازت الدجاجة الطريق؟».

«لتصل إلى الجهة الأخرى؟».

«لا، لأنها قوفاة معقّلة. تم الآن».

بدأ آيفيري يقول شيئاً آخر - ربما تبادرت نكتة أخرى إلى ذهنه - لكن كاليشا أسكّته. أكملت تمسّد له شعره وهي تحرّك شفّتها. ثقلت عينا آيفيري. انخفض الجفنان، ارتفعا ببطء، ثم انخفضا مرة أخرى، وارتفعا بشكل أبطأ. ثم بقيا منخفضين.

«هل كنتِ تفعلين شيئاً للتو؟»، سأل لوك.

«أغنيّ له تهويدهً كانت أمي تغنيها لي». تكلمت بالكاد أعلى من همس، لكن لا مجال لعدم ملاحظة الدهشة والمتعة في صوتها. «لا أملك أي موهبة موسيقية، لكن عندما يكون الأمر من ذهن إلى آخر، لا أجد أي صعوبة في إصابة اللحن».

«أعتقد أنه ليس ذكياً جداً»، قال لوك.

نظرت إليه نظرة طويلة جعلت وجهه يتورّد، كما لو أنها قبضت عليه يحدّق بساقي هيلين. «بالنسبة لك، العالم كله لا يجب أن يبدو ذكياً جداً».

«لا، لسْتُ مثلما تقولين»، احتجّ لوك. «قصدتُ فقط -»

«اهداً. أعرف ما قصدته، لكنه لا يفتقر للذكاء. ليس تماماً. قوة ال تخ التي لديه قد لا تكون شيئاً جيداً. عندما لا تعرف بماذا يفكر الناس، عليك أن تبدأ باكراً عندما تتعلق المسألة ب... ممم...»

«التقاط الإشارات؟».

«بالتحديد. يحتاج الأشخاص العاديون إلى الصمود عبر النظر إلى الوجوه، والحكم على نبرة الصوت التي يسمعونها وكذلك على الكلمات. هذا يشبه نمو الأسنان، لكي تتمكن من مضغ شيءٍ قاسٍ. هذا اللعين الصغير يشبه ثامپر في تلك الرسوم المتحركة صنع ديزني. الأسنان التي لديه لا تنفع لأكثر من العشب. هل هذا منطقي لك؟».

قال لوك إنه منطقي.

تههّدت كاليشا. «المعهد مكان سيئ لثامپر، لكن ربما هذا لا يهمّ، بما أننا كلنا سنذهب إلى النصف الخلفي في نهاية المطاف».

«كم مقدار ال تخ الذي لديه - بالمقارنة معك مثلاً؟».

«طن أكثر. لديهم شيء يقيسونه به يسمونه الجين BDNF. رأيته على الكمبيوتر المحمول للطبيب هندريكس ذات مرة، وأعتقد أنه ذو شأن كبير، وربما أكبر شأن ممكن. أنت العبقرى، هل تعرف ما هو ذاك الشيء؟».

لم يعرفه لوك، لكنه قرّر أن يعرفه. طبعاً إذا لم يأخذوا منه كمبيوتره أولاً.

«مهما يكن، هذا الولد يجب أن يكون فوق القمر. لقد تكلمت معه! كان تخاطراً حقيقياً!».

«لكن لا شك أنك تواجدت قرب تخ آخرين، حتى ولو كانوا أندز من تع. ربما ليس في العالم الخارجي، لكن بالتأكيد هنا».

«لم تفهم. ربما لا يمكنك. إنه يشبه الاستماع إلى راديو بعد تخفيض الصوت كثيراً، أو الاستماع إلى أشخاص يتكلمون على الفناء بينما تكون في المطبخ وغسالة الأطباق مشغلة. أحياناً لا يوجد شيء أبداً. هكذا كان الأمر، كما هو الحال في أفلام الخيال العلمي. عليك أن تعتني به بعد أن أرحل يا لوك. إنه ثامير لعين، ولا عجب أنه لا يتصرّف بحسب عمره. لقد عاش حياة سهلة قبل وصوله إلى هنا».

ما رنّ في ذهن لوك هو بعد أن أرحل. «أنت... هل قال لك أحد أي شيء عن الذهاب إلى النصف الخلفي؟ مورين، ربما؟».

«لا داعي لكي يقول لي أحد شيئاً. لم أخضع البارحة لأي اختبار من اختباراتهم الغبية. لا حُقن أيضاً. هذه علامة أكيدة. نيك راحل أيضاً. جورج وأيريس قد يبقيان هنا لفترة أطول».

أمسكت الجهة الخلفية لعنق لوك بلطف مُحدثة له وخزة أخرى من تلك الوخزات.

«سأكون أختك لدقيقة يا لوك، أختك الروحية، لذا اسمعني جيداً. إذا كان الشيء الوحيد الذي يعجبك في فتاة الپانك روك هو الطريقة التي تتهزز بها عندما تسير، ابق الأمر عند هذا الحدّ. من السيئ التورّط كثيراً مع الأشخاص هنا. سنُصاب بيأس كبير عندما يرحلون، وكلهم يرحلون. لكن عليك أن تعتني بهذا الفتى طالما بقيت قادراً على فعل ذلك. عندما أتخيل طوني أو زيكي أو تلك السافلة وايونا يضربون أيفيري، يجعلني هذا أريد أن أبكي».

«سأفعل ما بوسعي»، قال لوك، «لكن آمل أن تبقين هنا طويلاً جداً. سأفتقدك».

«شكراً، لكن هذا ما أتكلّم عنه بالضبط».

جلّسا صامتين لبرهة. افترض لوك أن عليه أن يذهب قريباً، لكنه لم يرد ذلك بعد. لم يكن جاهزاً ليكون لوحده.

«أعتقد أنه يمكنني مساعدة مورين». تكلم بصوتٍ منخفضٍ وبالكاد حرّك شفّيته. «بفواتير بطاقة الإئتمان تلك. لكن عليّ التكلّم معها».

حملقت عيناها بسبب ذلك وابتسمت. «حقاً؟ هذا سيكون رائعاً». الآن وصّعت شفّيتها على أذنه مما سبّب له ارتعاشات جديدة. خاف أن ينظر إلى ذراعيه خشية أن يجدهما قد امتلأتا بالقشعريرة. «افعل ذلك قريباً. سيبدأ أسبوع إجازتها بعد يوم أو يومين». والآن وصّعت يدها، يا للهول، عالياً على رجليه، على منطقة حتى والدته لم تعد تزورها هذه الأيام. «بعد أن تعود، ستكون في مكان آخر لثلاثة أسابيع. قد تراها في الأروقة أو في غرفة الاستراحة، لكن هذا كل شيء. لن تتكلم عن الأمر حتى في الأماكن الآمنة للتكلم، لذا يجب أن يكون النصف الخلفي».

أزالت شفّيتها عن أذنه ويدها عن فخذها، تاركة إياه يتمنى من كل قلبه أن تكون لديها أسرار أخرى تريد أن تُفصح عنها.

«هيا عُدي إلى غرفتك»، قالت، وجعله البريق الصغير في عينيها يعتقد أنها لم تكن مُدركة للتأثير الذي أحدثته فيه للتو. «حاول أن تلتقط بعض الغمزات».

7

استيقظ من نوم عميق خالٍ من الأحلام على قرع صاحب على بابه. استوى جالساً، ونظر حوله بحدّة متسائلاً إن أطال في النوم وتأخر على المدرسة.

فُتح الباب، وحدّق به وجهٌ مبتسمٌ. كانت غلاديس، المرأة التي أخذته ليحصل على رفاقته. المرأة التي أخبرته أنه هنا ليعلم. «هأنذا!»، قالت مغرّدةً. «انهض وتنشّط! لقد فاتك الفطور، لكنني أحضرتُ لك عصير برتقال. يمكنك أن تشربه بينما نسير. إنه عصير طازج!».

رأى لوك ضوء الطاقة الأخضر على كمبيوتره المحمول الجديد. لقد انتقل إلى حالة السبات، لكن إذا دخلت غلاديس وضغطت أحد المفاتيح لتتفقد ماذا كان يتصفح (لن يندهش لو فعلت ذلك)، ستري رجل هـ. ج. ويلز الخفي برأسه الملفوف ونظاراته الداكنة. لن تعرف ما هو وقد تظن أنه مجرد موقع خيال علمي، لكنها ترفع تقارير على الأرجح. إذا كان الأمر كذلك، فتلك التقارير تذهب إلى شخص أعلى منها رتبة. شخص يُفترض به أن يكون فضولياً.

«هل يمكنك الانتظار دقيقة حتى أرتدي بنطلوني؟».

«ثلاثون ثانية. لا تدع عصير البرتقال هذا يسخن». غمزته غمزة خبيثة مُداعبةً وأغلقت الباب.

وثب لوك عن السرير، وارتدى سرواله الجينز، وأمسك قميصاً تائياً، وأيقظ الكمبيوتر المحمول ليتحقق من الوقت. اندهش من رؤية أنها الساعة التاسعة. لم ينم أبداً حتى هذه الساعة المتأخرة. تساءل للحظة إن وضعوا شيئاً في طعامه، لكن في تلك الحالة، لما كان استيقظ في منتصف الليل.

إنها صدمة، فكّر في سرّه. لا أزال أحاول معالجة هذا الشيء - أن أفهمه.

قَتَل الكمبيوتر وهو يعرف أن أي جهود قام بها ليخفي السيد غريفيين لن تعني شيئاً إذا كانوا يراقبون عمليات بحثه. وإذا كانوا يرون نسخة مرآوية عن كمبيوتره، فسيكونون قد عرفوا من قبل أنه وجد وسيلة ليصل إلى نيويورك تايمز. بالطبع إذا بدأت تفكر بهذه الطريقة فإن كل شيء عقيم. وهذا على الأرجح ما يريده أتباع سيغسبي أن يظنّه - هو وكل ولد آخر سجين هنا.

لو عرفوا، لكانوا أخذوا منه الكمبيوتر من قبل، أخبر نفسه. ولو كانوا يحصلون على نسخة مرآوية عن محتويات شاشتي، أما كانوا عرفوا أن الاسم الخطأ يظهر على شاشة الترحيب؟

بدا له هذا منطقياً، لكنهم ربما كانوا فقط يتركون له الحبل على الغارب. هذا جنون، لكن الحالة مجنونة.

عندما فتحت غلاديس الباب مرة أخرى، كان يجلس على السرير ويرتدي حذاءه الرياضي. «عمل جيد!»، صاحت كما لو أن لوك طفل في الثالثة من عمره نجح للتو في ارتداء ثيابه بمفرده لأول مرة. بدأت تروق له أقل وأقل، لكن عندما أعطته العصير، ابتلعه بسرعة.

عندما لَوَّحت بطاقتها هذه المرة، أَخْبَرَت المصعد أن يأخذهما إلى الطابق ج. «يا إلهي، ما هذا اليوم الجميل!»، صاحت عندما بدأ المصعد يهبط. بدا له أن هذه افتتاحيتها الاعتيادية لأي محادثة.

ألقى لُوك نظرة سريعة على يديها. «أرى أنك ترتدين خاتم زواج. هل عندك أولاد يا غلاديس؟».

أصبحت ابتسامتها حذرة. «هذا بيني وبين نفسي».

«كنتُ أتساءل فقط أنه إن كان عندك أولاد، كيف سيكون شعورك لو حُبسوا في مكان كهذا».

«ج»، قال الصوت الأنثوي الناعم. «هذا هو الطابق ج».

لا ابتساماة على وجه غلاديس بينما راقفته إلى الخارج وهي تُمسك ذراعه بقوة أكثر من اللازم بقليل.

«وكنتُ أتساءل أيضاً كيف تقدرين على الاحتفاظ باحترامك لذاتك. أظن أن هذا أمر شخصي قليلاً، أليس كذلك؟».

«كفى يا لُوك. لقد أَحْصَرْتُ لك العصير. لم أكن مضطرة أن أفعل ذلك».

«وماذا ستقولين لأولادك إذا عَرَفَ أي شخص ماذا يجري هنا؟ إذا انتشر في الأخبار مثلاً. كيف ستشرحين لهم؟».

سارت بخطى أسرع وهي تجرّه تقريباً، لكن لم يكن هناك غضب على وجهها؛ فلو كان هناك غضب، لشعر بالراحة المُرّية على الأقل من معرفة أنه أثر عليها بما يكفي. لكن لا. كان هناك فراغ فقط. كان وجهها وجه دمية.

توقّفا في الغرفة ج-17. وجد أن الرفوف محمّلة بمعدّات طبية وكمبيوترية، وأن هناك كرسيّاً مبطناً بدا كأنه مقعد في صالة سينما، وخلفه، مركباً على عمود فولاذي، رأى شيئاً يبدو كمسلاطٍ. على الأقل لا توجد أربطة على ذراعَي الكرسي.

هناك فنّي ينتظرهما - زيكي، وفقاً لبطاقة الإسم على أعلى رداؤه الأزرق. لوك يعرف هذا الإسم. فقد قالت مورين إنه أحد الحقيرين.

«مرحبا يا لوك»، قال زيكي. «هل تشعر بالهدوء؟».

غير متأكد كيف يردّ، هزّ لوك كتفيه.

«لن تسبّب أي متاعب؟ هذا ما أقصده يا حلو».

«لا. لا متاعب».

«يسرّني سماع هذا».

فتح زيكي قارورة مليئة بسائل أزرق، وانتشرت منها رائحة مطهر حادة. أخرج زيكي ميزان حرارة بدا طوله ثلاثين سنتيمتراً على الأقل. بالتأكيد لا، لكن -

«أنزل السروال وانحنِ فوق ذلك الكرسي يا لوك. السواعد على المقعد».

«ليس ب...»

ليس بوجود غلاديس هنا، قصّد أن يقول، لكن باب الغرفة ج-17 كان مغلقاً، وغلاديس اختفت. ربما احتراماً لاحتشامي، فكر لوك في سرّه، لكن على الأرجح لأنها اكتفت من هُرائي. وهذا كان ليُبهجه لولا القضيب الزجاجي الذي سيستكشف قريباً، بكل تأكيد، أماكن في جسمه لم يُسبّر غورها سابقاً. بدا مثل ميزان الحرارة الذي قد يستخدمه الطبيب البيطري ليقبس به حرارة حصان.

«ليس بماذا؟»، قال وهو يهزّ ميزان الحرارة ذهاباً وإياباً كأنه عصا راقصة في طليعة موكب استعراضني. «ليس بهذا؟ آسف يا حلو، يجب أن يكون هذا. أوامر المركز الرئيسي، مثلما تعرف».

«ألن يكون شريط الحمى أسهل؟»، قال لوك. «أنا أكيد أنه يمكنك شراء واحد من أي صيدلية بدولار ونصف. وحتى أقل إذا معك بطاقة حسومات».

«وقّر حكّمك لأصدقائك. أنزل السروال وانحنِ فوق الكرسي، وإلا سأفعله عنك. ولن يعجبك ذلك».

سار لوك ببطء إلى الكرسي، وفكّ أزرار بنطلونه، وأنزله، وانحنى.

«أوه نعم، ها هو البدر!». وَقَفَ زيكي أمامه ممسكاً ميزان الحرارة بيدي وعلبة فازلين باليد الأخرى. غَمَسَ ميزان الحرارة في العلبة وأخرجه وقد تدلت قطرة هلام من طرفه. بدا للوك كأنه الجملة التشويقية في نكتة قدرة. «أترى؟ الكثير من التشحيم. لن يؤلمك أبداً. فقط أرخ خديك، وذكر نفسك أنه طالما أنك لا تشعر بيديّ الاثنتين عليك فإن عذريتك الخلفية لا تزال سليمة».

استدار خلف لوك، الذي بقي منحنيّاً بساعديه على مقعد الكرسي ومؤخرته ناتئة في الهواء الطلق. يمكنه أن يشمّ رائحة عرقه القوية والكريهة. حاول تذكير نفسه أنه ليس أول ولد يلقي هذه المعاملة في المعهد. ساعده ذلك قليلاً... لكن ليس كثيراً حقاً. الغرفة مليئة بمعدّات عالية التقنية، وهذا الرجل يستعدّ ليقبس له حرارته بأقدم تقنية ممكن تخيلها. لماذا؟

ليحطمني، فكّر لوك في سرّه. ليضمن أنني أفهم أنني حقل تجارب، وعندما تكون لديك حقول تجارب، يمكنك الحصول على البيانات التي تريدها بأي وسيلة قديمة تريدها. وهم ربما حتى لا يريدون هذه البيانات بالذات. ربما هذه مجرد وسيلة للقول إذا كان يمكننا إقحام هذا في مؤخرتك، فماذا يمكننا أن نُقِم فيها أيضاً؟ الجواب: أي شيء نريده.

«التشويق يقتلك، أليس كذلك؟»، قال زيكي من خلفه، وكان السافل يضحك.

9

بعد مهانة ميزان الحرارة، التي بدا أنها ستستمر لوقت طويل، قاس زيكي ضغط دمه، ووضع جهاز مراقبة أكسجين على إصبعه، وقاس طوله ووزنه. ثم تفحص داخل حنجرة لوك وأنفه. دَوّن النتائج وهو يهتمهم. عندها عادت غلاديس إلى الغرفة وهي تشرب من كوب قهوة عليه زهور أقحوان وتبتسم ابتسامتها المزيفة.

«حان وقت الحقنة يا لوكي»، قال زيكي. «لن تسبّب لي أي متاعب، صح؟».

هزّ لوك رأسه. فالشيء الوحيد الذي يريده الآن هو أن يعود إلى غرفته ويمسح الفازلين عن مؤخرته. ليس هناك أي شيء ليخجل منه، لكنه شَعَرَ بالخجل على أي حال. شَعَرَ بأنه تم الخط من قدره.

حقنه زيكي حقنةً. لم يشعر بحرارة هذه المرة. لم يشعر إلا بألم طفيف هذه المرة، وزال بسرعة.

نظرَ زيكي إلى ساعته، وراح يحرك شفتيه بينما عدَّ الثواني. فعل لوك الشيء نفسه، لكن دون أن يحرك شفتيه. وصل إلى ثلاثين عندما أخفض زيكي ذراعه. «أي غثيان؟».

هزَّ لوك رأسه.

«هل تشعر بمذاق معدني في فمك؟».

المذاق الوحيد الذي باستطاعة لوك أن يشعر به هو بقايا عصير البرتقال. «لا».

«حسنًا، جيد. الآن انظر إلى الجدار. هل ترى أي نقاط؟ أو ربما تبدو أكبر، كأنها دوائر».

هزَّ لوك رأسه.

«أنت تقول الحقيقة يا حلو، صح؟».

«صح. لا نقاط. لا دوائر».

نظرَ زيكي إلى عينيه لعدة ثوانٍ (فكرَ لوك أن يسأله إن كان يرى أي نقاط هناك، لكنه أحجم عن ذلك). ثم قوّم ظهره، وتظاهر أنه ينفذ الغبار عن راحتي يديه، واستدار إلى غلاديس. «هيا أخرجيه من هنا. سيريده الطبيب إيفانز بعد ظهر اليوم لمسألة العينين». أوما نحو المسلاط. «الرابعة بعد الظهر».

فكرَ لوك أن يسأل ما هي مسألة العينين، لكنه لا يهتم لذلك حقاً. كان جائعاً، وبدا له أن هذا لا يتغير مهما فعلوا به (حتى الآن على الأقل)، لكن ما أراده أكثر من الطعام هو تنظيف نفسه. فقد شَعَرَ أن حُرْمته انْتَهكت.

«الآن، لم يكن هذا سيئاً جداً، أليس كذلك؟»، سألته غلاديس بينما استقلاً المصعد صعوداً. «الكثير من الهرج والمرج حول شيء تافه». فكرَ لوك أن يسألها إن كانت ستشعر أنه كثير من الهرج والمرج حول شيء تافه لو كانت مؤخرتها. نيكي كان ليقول ذلك، لكنه ليس نيكي.

ابتسمت له الابتسامة المزيفة التي بدأ يجدها بغیضةً أكثر فأكثر. «إنك تتعلم أن تحسن التصرف، وهذا رائع. إليك فيشة. في الواقع، خذ فيشتين. أشعر بالكرم اليوم».

أخذهما.

لاحقاً وأثناء وقوفه في الدُش مُحنياً رأسه والماء يسيل بين خُصل شعره، بكى أكثر. كان مثل هيلين في نقطة واحدة على الأقل؛ أراد أن يكون كل هذا حلماً. وكان مستعداً أن يعطي أي شيء، ربما روحه حتى، لو يمكنه أن يستيقظ وضوء الشمس يغطي سريره مثل بطانية ثانية وبشم رائحة اللحم المقدد المقلي في الطابق السفلي. جفت دموعه أخيراً، وبدأ يشعر بشيء آخر غير الحزن والخسارة - شيء صارم أكثر. نوعٌ من بلوغ القعر، وهو شعور مجهول بالنسبة له قبل الآن. شَعَرَ بالارتياح من معرفة أنه هناك.

هذا ليس حلماً بل يحصل حقاً، ولم يعد الخروج من هنا يبدو كافياً له. فذلك الشيء الصارم أراد المزيد. أراد أن يكشف كامل عصابة خطف الأولاد وتعذيبهم، من السيدة سيغسبي نزولاً حتى غلاديس وابتساماتها البلاستيكية وزيكى وميزان حرارته الشرجي المقرّر. أن يهدّ المعهد على رؤوسهم، مثلما هدّ شمشون معبد داجون على رؤوس الفلسطينيين. إنه يعرف أن هذا مجرد خيال ممتع عاجز لولدٍ في الثانية عشرة من عمره، لكنه أراد في جميع الأحوال، وإذا كانت هناك أي وسيلة ليفعله بها، فسيفعله.

مثلما كان أبوه يحب أن يقول، من الجيد أن تكون لديك أهداف. فبإمكانها أن تُنقذك في الأوقات العصيبة.

10

حين وَصَلَ إلى الكافيتيريا، وجدها فارغة ما عدا من بواب (فرد، قالت بطاقة إسمه) يمسح الأرض. لا يزال الوقت مُبكراً جداً للغداء، لكن هناك وعاء فاكهة - برتقال، تفاح، عنب، وموزتين - على طاولة في الأمام. أخذ لوك تفاحة، ثم خرَج إلى آلات البيع واستخدم إحدى فيشتيه ليحصل على كيس فُشار. فطور الأبطال، فكر في سرّه. أمه ستقلق.

أخذ طعامه إلى غرفة الاستراحة ونظر إلى الملعب. رأى جورج وآيريس جالسين إلى إحدى طاولات النزهة يلعبان الداما، وآيفيري يقفز بحذر على الترامبولين. لم يجد أي أثر لنيكي أو هيلين.

«أعتقد أن هذا أسوأ مزيج أطعمة رأيته في حياتي»، قالت كاليشا.
جفلَ وأوقع بعض حبوب الفُشار على الأرض. «يا للهول، لقد أخفتني».
«آسفة». قرفصت ولمت حبوب الفُشار القليلة الساقطة، وقذفتها في
فمها.

«عن الأرض؟»، سأل لوك. «لا أصدّق أنك فعلتِ هذا».

«قاعدة الثواني الخمسة».

«وفقاً لهيئة الخدمات الصحية الوطنية - هذه في إنكلترا - قاعدة
الثواني الخمسة هي خرافة. كلام فارغ بالكامل».

«هل أن تكون عبقرياً يعني أن مهمتك هي إفساد أوهام الجميع؟».

«لا، أنا فقط -»

ابتسمت ونهضت. «إنني أسخر منك يا لوك. فتاة جذري الماء تسخر
منك فحسب. هل أنت بخير؟».

«نعم».

«هل اختبرتِ الفحص الشرجي؟».

«نعم. دعينا لا نتكلّم عنه».

«حسناً. هل تريد أن تلعب الكريج حتى الغداء؟ إذا كنت لا تعرف كيف
تلعبها، يمكنني أن أعلمك».

«أعرف كيف، لكنني لا أريد. أظن أنني سأعود إلى غرفتي لبعض
الوقت».

«لتفكّر بحالتك؟».

«شيء من هذا القبيل. أراك على الغداء».

«عندما يُقرع الناقوس»، قالت. «هذا موعد بيننا. ابتهج أيها البطل
الصغير وضع كفاك في كفي».

رفعت يدها، ورأى لوك شيئاً محشوراً بين إبهامها وسبابتها. ضَعَطَ راحة يده البيضاء على راحة يدها البنية وانتقلت قصاصة الورق المطوية من يدها إلى يده.

«أراك لاحقاً يا فتى». توجَّهت إلى الملعب.

عند عودته إلى غرفته، تمدَّد لوك على سريره واستدار إلى جنبه ليواجه الجدار، وفتح قصاصة الورق. كان خط يد كاليشا صغيراً جداً وأنيقاً جداً.

أذهب لرؤية مورين عند صانعة الثلج بالقرب من غرفة آيفيري في أسرع وقت ممكن. اشطف هذا.

جَعَدَ الورقة، ودخَلَ الحمام، ورمى الرسالة في المرحاض بينما أنزل بنطلونه. شَعَرَ بالسخافة من فعل هذا، كما لو أنه ولدٌ يمثِّل دور جاسوس؛ وفي الوقت نفسه لم يشعر بالسخافة أبداً. فسُيروق له كثيراً أن يصدِّق عدم وجود مراقبة في لا ميزون دُو شي [بيت الخلاء] على الأقل، لكنه لم يصدِّق ذلك كثيراً.

صانعة الثلج. حيث كَلَّمته مورين البارحة. هذا أمر مثير للاهتمام نوعاً ما. فوقاً لكاليشا، هناك عدة أماكن في النصف الأمامي تعمل فيها المراقبة الصوتية بشكل سيئ أو لا تعمل على الإطلاق، لكن بدا أن مورين تفضِّل ذلك المكان بالذات. ربما لأنه لا توجد مراقبة فيديو هناك. وربما لأنها حيث تشعر بالأمان أكثر، وربما لأن صانعة الثلج كثيرة الضجة. وربما كان يحكُم بناءً على دليل صغير جداً.

فكَّرَ بزيارة موقع ستار تريبيون قبل اجتماعه بمورين، وجلسَ أمام كمبيوتره. حتى إنه ذهب بعيداً إلى حدِّ الاستعانة بالسيد غريفين، لكنه توقَّف هناك. هل أراد أن يعرف حقاً؟ أن يكتشف ربما أن هؤلاء الأوغاد، هؤلاء الوحوش، يكذبون، وأن والدَيْه ماتا؟ زيارة موقع ستار تريبيون للتحقق سيكون أشبه قليلاً بشابِّ يراهن بمدَّخرات عمره في جولة واحدة من عجلة الحظ.

ليس الآن، قرَّر. ربما بعد أن يتخطَّى إذلال ميزان الحرارة قليلاً، لكن ليس الآن. إذا كان هذا يجعله خسيساً، فليكن. أطفأ الكمبيوتر وتمشَّى إلى الجناح الآخر. لم تكن مورين قرب صانعة الثلج، لكنه وجد عربة غسيلها مركونة في منتصف ما بدأ لوك يسمِّيه الآن رواق آيفيري، وكان بإمكانه سماعها تغني شيئاً عن قطرات المطر. ذهب إلى صوتها وراها تضع ملاءات نظيفة في غرفة مزخرفة بمُلصقات إعلانية للاتحاد العالمي للمصارعة تُظهر صور مصارعين

ضخمين في شورتات لامعة. بدوا كلهم لؤماء كفاية ليمضغوا المسامير
ويبصقوا الرزّات.

«مرحبا يا مورين، كيف حالك؟».

«بخير»، قالت. «ظهري يؤلمني قليلاً، لكنني تناولتُ حبة المسكّن».

«هل تريدان بعض المساعدة؟».

«شكراً، لكن هذه آخر غرفة وأوشكتُ على الانتهاء. فتاتان وفتى. نتوقع
وصولهم قريباً. هذه غرفة الفتى». أومأت نحو المُلصقات الإعلانية وضحكت.
«كما لو أنك لم تعرف».

«حسناً، كنتُ أنوي أخذ بعض الثلج، لكن لا يوجد دلو في غرفتي».

«إنها مكدّسة في حُجيرة بجانب السلة». قوّمت ظهرها ووضعت يديها
أسفله، وابتسمت. سمع لوك طقطقة عمودها الفقري. «آه، هذا أفضل بكثير.
سأريك».

«فقط إذا لم تكن لديك مشكلة في ذلك».

«لا مشكلة أبداً. هيا. يمكنك أن تدفع عربتي إن أردت».

بينما سارا في الرواق، فكّر لوك بأبحاثه بشأن مشكلة مورين. وتذكّر
إحصائية مروّعة واحدة بالأخص: ديون الأميركيين تفوق اثني عشر تريليون
دولار. مال مُنقّق لكن لم يُجنّ، فقط موعودٌ. هذا تناقض فقط المحاسب
سيحبه. رغم أن معظم تلك الديون تتعلق برهون عقارية على المنازل
والشركات، إلا أن نسبة لا بأس بها منها مرتبطة بتلك المستطيلات البلاستيكية
الصغيرة التي تُوضع في الجزادين والمحافظ: أوكسيكودون المستهلكين
الأميركيين.

فتحت مورين خزانة صغيرة على يمين صانعة الثلج. «هل يمكنك
الوصول إلى واحد وإراحتي من الانحناء؟ يبدو أن شخصاً لا يُراعي شعور
الآخرين دفع كل دلو لعين إلى القعر».

مطّ لوك جسمه ليحاول الوصول إلى دلو. وتكلم بصوت منخفض بينما
فعل ذلك. «أخبرتني كاليشا عن مشكلتك مع بطاقات الإئتمان. أعتقد أنني
أعرف كيف أحلها لك، لكن الكثير يعتمد على مسكنك المصنّح».

«مسكني المصَّح -»

«في أي ولايةٍ تعيشين؟».

«أ...»، تلعثمت وهي تلقي نظرة سريعة مستترة حولها. «لا يُفترَض بنا إخبار أي شيءٍ شخصي للمقيمين. سأخسر وظيفتي إن عَرَف أحدهم. أكثر من وظيفتي. هل يمكنني أن أثق بك يا لوك؟».

«سأبقي فم مغلقاً».

«أعيش في فيرمونت. برلنغتون. سأذهب إلى هناك خلال أسبوع إجازتي». بدا أن إخباره هذا أراح شيئاً داخلها، ورغم أنها أبقت صوتها منخفضاً، إلا أن الكلمات خرجت منها بحذر. «أول شيءٍ عليّ أن أفعله عندما أنهى عملي هو حذف كل اتصالات الإنذار بالدفع من هاتفي. وعندما أصل إلى المنزل، من آلة الردّ على المكالمات الهاتفية على ذلك الهاتف. أنت تعرف، الخط الأرضي. وعندما تمتلئ آلة الردّ على المكالمات الهاتفية، يتركون رسائل - تحذيرات، تهديدات - في صندوق البريد أو تحت الباب يمكنهم أن يستردّوا حيازة سيارتي في أي وقت يريدون، هذا سيئ، لكنهم يتكلمون الآن عن منزلي! ثمّنه مُسدّد، وهذا ليس بفضله. أوفيتُ الرهن بمكافأتي عند التوقيع عندما أتيتُ للعمل هنا، لهذا السبب أتيتُ للعمل هنا، لكنهم سيأخذونه، وستزول تلك التي لا أعرف ماذا يسمّونها -»

«القيمة المالية»، قال لوك همساً.

«صح، هذه». توّرّد خدّاها الشاحبان، ولم يعرف لوك إن كان ذلك من الخزي أو من الغضب. «وبعدما يحصلون على المنزل، سيريدون ما قد ادّخرته، وذلك المال ليس لي! ليس لي، لكنهم سيأخذونه في جميع الأحوال. هكذا يقولون».

«حمّل هذا القدر من الديون؟»، قال لوك مندهشاً. لا شك أن الرجل كان آلة إنفاق.

«نعم!».

«إبقي صوتك منخفضاً». أمسك الدلو البلاستيكي في يدٍ وفتح صانعة الثلج باليد الأخرى. «فيرمونت جيدة. ليست ولايةٍ مُلكية مشتركة».

«ماذا يعني هذا؟».

شيءٌ لا يريدونك أن تعرفيه، فكّر لوك في سرّه. هناك أمور كثيرة لا يريدونك أن تعرفيها. بعدما تعلقين على الورقة المصمّعة صائدة الذباب، يريدونك أن تبقي هناك. أمسك المغرفة البلاستيكية الموجودة داخل باب صانعة الثلج وتظاهر أنه يكسّر قطعاً من الثلج. «البطاقات التي استخدمها، هل كانت بإسمه أو بإسمك؟».

«إسمه بالطبع، لكنهم لا يزالون يندرونني بالدفع لأننا لا نزال متزوجين قانونياً، وأرقام الحسابات هي نفسها!».

بدأ لوك يملأ دلو الثلج البلاستيكي... ببطء شديد. «يقولون إنه يمكنهم فعل ذلك، ويبدو كلامهم مُقنعاً، لكنه لا يمكنهم فعله. ليس قانونياً، ليس في فيرمونت. ليس في معظم الولايات. إذا كان يستخدم بطاقته وتوقيعه هو الموجود على القسائم، فإنه دَينه هو».

«يقولون إنه دَيننا معاً!».

«إنهم يكذبون»، قال لوك بتجهم. «أما بالنسبة للمكالمات التي ذكرتها - هل يأتي أيُّ منها بعد الثامنة ليلاً؟».

انخفض صوتها إلى همس شرس. «هل تمزح؟ يتصلون عند منتصف الليل أحياناً! سدّدي وإلا فإن المصرف سيستولي على منزلك الأسبوع القادم! ستعودين لتجدي الأقفال مغيّرة وأثاثك على المَرَجَة!؟».

لقد قرأ لوك عن هذا، وعن أسوأ منه. محصّلو الديون يهدّدون بطرد أهل العجزة من دُور المسنّين. يهدّدون بملاحقة الأولاد الشباب الذين لا يزالون يحاولون ترسيخ بعض الثبات المالي في حياتهم. يفعلون أي شيء ليحصلوا على عمولتهم. «من الجيد أنك خارج المنزل معظم الأوقات وأن تلك المكالمات تنتقل إلى البريد الصوتي. ألا يسمحون أن يبقى هاتفك الخلوي معك هنا؟».

«لا! يا للهول، لا! اتركه في سيارتي، في... حسناً، ليس هنا. لقد غيّرُ رقمي ذات مرة، واكتشفوا الرقم الجديد. كيف يمكنهم فعل ذلك؟».

بسهولة، فكّر لوك في سرّه. «لا تحذفي تلك المكالمات. احتفظي بها. ستكون مختومة بالوقت. من غير القانوني أن تتصل وكالات تحصيل الديون بالعملاء - هذا ما يطلقونه على الأشخاص مثلك، عملاء - بعد الثامنة ليلاً».

أفرغَ الدلو وبدأ يملأه مرة أخرى، بشكل أبطأ حتى. كانت مورين تنظر إليه بدهشة وأمل، لكن لوك بالكاد لاحظ ذلك. كان مستغرق التفكير في المشكلة ويتتبع الخيوط إلى نقطتها المركزية حيث يمكن قصّها.

«تحتاجين إلى محام. إياك أن تذهبي إلى إحدى شركات الربح السريع التي تروّج عن نفسها على التلفزيون، سيأخذون كل شيء يقدرّون عليه ثم يضعونك تحت الفصل السابع. لن تستعيدي تصنيفك الائتماني أبداً. تريدن محامياً شريفاً من فيرمونت متخصصاً بتخفيف أعباء الديون، وخبيراً بقانون الممارسات العادلة لتحصيل الديون، ويكره مصاصي الدماء أولئك. سأجري بعض الأبحاث وأعطيك اسماً».

«يمكنك فعل ذلك؟».

«أنا متأكد تماماً». طبعاً إذا لم يأخذوا منه كمبيوتره أولاً. «يحتاج المحامي إلى معرفة ما هي وكالات تحصيل الديون المسؤولة عن محاولة الحصول على المال. الوكالات التي تخيفك وتتصل بك عند منتصف الليل. لا تحبّ المصارف وشركات بطاقات الائتمان أن تكشف عن أسماء المهابيل الذين تستخدمهم، لكن إذا لم يكن قانون الممارسات العادلة قد ألغى - وهناك أشخاص نافذون في واشنطن يحاولون فعل ذلك - يستطيع المحامي البارع إجبارها على كشفها. الأشخاص الذين يهاتفونك يتجاوزون الحدود طوال الوقت. إنهم مجموعة حثالة يعملون في عُرف الغلايات».

لا يختلفون كثيراً عن الحثالة الذين يعملون هنا، فكّر لوك في سرّه.

«ما هي عُرف الغلايات -»

«لا تهتمّي». لقد طالبت هذه المحادثة كثيراً. «محامي تخفيف أعباء الديون البارع سيذهب إلى المصارف ومعه آلة ردّك على المكالمات الهاتفية ويخبرهم أن لديهم خيارين: العفو عن الديون أو الذهاب إلى المحكمة بتهمة اعتماد ممارسات مهنية غير قانونية. المصارف تكره الذهاب إلى المحكمة واكتشاف الناس أنها تستعين بأشخاص يتصرّفون كرجال العصابات في أحد أفلام سكورسيزي».

«لا تعتقد أن عليّ أن أدفع؟»، قالت مورين مذهولةً.

نظرت مباشرة إلى وجهها المتعب الشاحب جداً. «هل ارتكبت أي خطأ؟».

هَزَّتْ رَأْسَهَا. «لكن هذا كثير. كان يؤثت مكاناً خاصاً به في البني، ويشترى أجهزة ستيريو وكمبيوترات وتلفزيونات بشاشات مسطحة، ولديه حبيبة يشتري لها أشياء كثيرة، وبحب ألعاب الحظ، وهذا مستمر منذ سنوات. وأنا الغيبة الواثقة لم أعرف إلا بعد فوات الأوان».

«لم يفت الأوان، هذا ما -»

«مرحبا يا لوك».

جفل لوك واستدار ورأى آيفيري ديكسون. «مرحبا. كيف كانت الترامبولين؟».

«جيدة. ثم مضجرة. هل علمت؟ لقد تلقيتُ حقنة، ولم أبك حتى».

«حسناً فعلت».

«هل تريد مشاهدة التلفزيون في غرفة الاستراحة حتى الغداء؟ لديهم محطة نيكولوديون، هكذا قالت أيريس. سبونج بوب وراستي ريفتس ومنزل لاود».

«ليس الآن»، قال لوك، «لكن افعل ما يحلو لك».

أمعن آيفيري النظر بهما للحظة، ثم ابتعد في الرواق.

بعدها رحل، عاد لوك إلى مورين. «لم يفت الأوان، هذا ما أقوله. لكن عليك التصرف بسرعة. لاقيني هنا غداً. سيكون معي إسم لك. إسم شخص بارع. شخص لديه سجل جيد. أعدك».

«هذا... يا بُني، هذا جيد جداً ليكون صحيحاً».

أعجبه مناداتها له يا بُني. فقد أعطاه شعوراً بالدفء. شعور غبي، ربما، لكنه ومع ذلك شعور حقيقي.

«لا، على العكس. ما يحاولون فعله بك هو سيئ جداً ليكون حقيقياً. عليّ أن أذهب حقاً. حان وقت الغداء تقريباً».

«لن أنسى هذا»، قالت وشدّت على يده. «إذا كنت تستطيع -»

فُتحت الأبواب بقوة في النهاية البعيدة للرواق. تيقن لوك فجأة أنه سيرى ممرّضين، اثنين من الممرّضين الحقيرين - طوني وزيكي ربما - قادمين

صوبه. سيأخذانه إلى مكان ما ويستجوبانه عما كان يتكلم مع مورين، وإذا لم يُخبرهما فوراً، سيستخدمان «أساليب الاستجواب المعززة» إلى أن ييوح بكل شيء. سيكون في ورطة، لكن ورطة مورين قد تكون أسوأ حتى.

«هون عليك يا لوك»، قالت. «هذا فقط المقيمون الجدد».

دخل ثلاثة ممرّضين يرتدون أزياء زهرية ويجزّون قطاراً من النّقلات. على النّقلتين الأولين تستلقي فتاتان شقراوتان، وعلى الثالثة هيكل فتى أحمر الشعر. إنه افتراضياً المُعجب بالاتحاد العالمي للمصارعة. ثلاثتهم نائمون. عندما اقتربوا أكثر، قال لوك، «يا للهول، أعتقد أن هاتين الفتاتين توأمان متماثلان!».

«أنت محقّ. تدعيان غيردا وغريتا. الآن اذهب وكُل شيئاً. عليّ مساعدة هؤلاء الزملاء على وضع المقيمين الجدد في غرفهم».

11

كان آيفيري يجلس على أحد كراسي غرفة الاستراحة ملوّحاً قدميه ويأكل قطع لحم مقدّد بينما يشاهد مجريات بيكيني بوتوم. «حصلتُ على فيشتين لعدم بكائي عندما حُقتُ».

«جيد».

«يمكنك الحصول على الفيشة الأخرى إذا كنت تريدها».

«لا، شكراً. احتفظ بها لوقت لاحق».

«حسناً. سبونج بوب جيد، لكنني أتمنى لو يمكنني العودة إلى المنزل». لم يشهق آيفيري أو يصيح أو أي شيء، لكن الدموع بدأت تسيل من زوايا عينيه.

«نعم، وأنا أيضاً. تنحّ جانباً».

تنحّى آيفيري جانباً وجلس لوك بجانبه. الكرسي ضيق، لكن لا بأس. وَضَع لوك ذراعه حول كتفي آيفيري وعانقه عناقاً خفيفاً. استجاب آيفيري بأن وضع رأسه على كتف لوك الذي لمسّه بطريقة لا يمكنه تعريفها وجعلته يرغب بالبكاء قليلاً هو أيضاً.

«هل تعلم أن لمورين إبنآ؟»، قال آيفيري.

«حقاً؟ هل تعتقد؟».

«بالتأكيد. كان صغيراً لكنه كبير الآن. أكبر حتى من نيكي».

«ممم، حسناً».

«هذا سر». لم يرفع آيفيري عينيه عن الشاشة، حيث كان باتريك يتجادل مع السيد كرابز. «إنها توقّر المال له».

«حقاً؟ وكيف تعرف هذا؟».

نظّر إليه آيفيري. «أعرف وحسب. مثلما أعرف أن أعزّ أصدقائك يدعى رولف وأنت كنت تعيش في وايلدرسموشي درايف».

فَعَر فاه لوك. «يا للهول يا آيفيري».

«ألسْتُ بارعاً؟».

ورغم أنه كانت لا تزال هناك دموع على خديّه، إلا أن آيفيري قهقهه.

12

بعد الغداء، اقترح جورج مباراة ثلاثة ضد ثلاثة في كُرّة الريشة: هو ونيكي وهيلين ضد لوك وكاليشا وأيريس. قال جورج إن باستطاعة فريق نيكي أخذ آيفيري كإضافة.

«هو ليس إضافةً، إنه عائق»، قالت هيلين ولوّحت نحو سحابة مَيجات تحيط بها.

«ما هو العائق؟»، سأل آيفيري.

«إذا كنت تريد أن تعرف، اقرأ أفكارني»، قالت هيلين. «كما أن كُرّة الريشة هي للجناء الذين لا يستطيعون لعب كرة المضرب».

«آه كم أنتِ صُحبة مُفرحة»، قالت كاليشا.

مدّت هيلين إصبعها الوسطي فوق كتفها دون أن تلتفت إلى الورااء وهي تسير نحو طاولات النزهة وخزانة الألعاب. ثم راحت ترفعه وتُخفضه في الهواء. قالت أيريس إنه يمكنهم أن يلعبوا نيكي وجورج ضد لوك وكاليشا؛ وهي، أي أيريس، ستحكم عن الخط. قال آيفيري إنه سيساعد. بعد أن وجد الجميع هذا التدبير مقبولاً، بدأت المباراة. كان مجموع النقاط عشرة للفريقين عندما فُتح الباب إلى غرفة الاستراحة بقوة وخرج الفتى الجديد وتمكن من السير في خط مستقيم تقريباً. بدا مذهولاً من الدواء المجهول الذي دخل جسمه. كما بدا حانقاً. حَمَّن لوك طوله عند 183 سنتيمتراً وسنّه حوالي السادسة عشرة. كان ذا بطن كبير - بطن طعام قد يصبح بطن شراب شعير في سن البلوغ - لكن ذراعيه المحترقتين من الشمس مفتولتا العضلات، ولديه صدر مكتنز، ربما من رُفَع الأوزان. خدّاه ممتلئان بالتمش وحبّ الشباب. وبدت عيناه زهريتين وغاضبتين. كان شعره الأحمر ينهض في بُقع مهلهلة من النوم. توقفوا كلهم عما كانوا يفعلونه لكي يتفحصوه.

هامسةً دون أن تحرّك شفيتها، مثل مسجونةٍ في باحة سجنٍ، قالت كاليشا، «إنه هالك الخارق».

توقف الولد الجديد قرب الترامبولين وتفحص الآخرين. ثم تكلم ببطء، برشقات متباعدة، كما لو أنه يشك أن الذين يكلمهم مخلوقات بدائية لا تفهم الإنكليزية كثيراً. كانت لكنته جنوية. «ما... هذا... الشيء اللعين؟».

حبّ آيفيري صوبه. «إنه المعهد. مرحبا، أنا آيفيري. ما اسد -»

وضع الولد الجديد كعب يده على ذقن آيفيري ودفعه. لم تكن دفعةً قويةً جداً، فعلها بذهن شارذ تقريباً، لكن آيفيري سقط منبطحاً على إحدى الوسائد التي تحيط الترامبولين، وراح يحدّق بالولد الجديد بنظرات تفاجؤ مصدوم. لم يلحظه الولد الجديد أو يلحظ لاعبي كرة الريشة، أو أيريس، أو هيلين التي توقفت مؤقتاً عن توزيع الأوراق أثناء لعبها سوليتير مع نفسها. بدا أنه يكلم نفسه.

«ما... هذا... الشيء اللعين؟»، قال وهو يلوح بانزعاج ليُبعد الحشرات عنه. مثل لوك في زيارته الأولى إلى الملعب، لم يدهن الولد الجديد نفسه بأي منقّر للحشرات. لم تكن الميجات تحوم بأعداد هائلة فحسب؛ كانت تُضيء نفسها عليه وتأخذ عينات من عرقه.

«يا رجل»، قال نيكي. «ما كان يجب أن تُوقع أفسُتر هكذا. كان يحاول أن يكون لطيفاً معك».

أخيراً انتبه الولد الجديد لهم فاستدار إلى نيك. «مَن... أنت... أيها اللعين؟».

«نيك ويلهولم. ساعد آيفيري على النهوض».

«ماذا؟».

بدا نيك صبوراً. «لقد أوقعته، لذا ساعده على النهوض».

«أنا سأفعل ذلك»، قالت كاليشا وأسرعَت إلى الترامبولين. انحنت لُتمسك ذراع آيفيري، لكن الولد الجديد دَفَعَهَا. تخطت الوسائد الناعمة وسقطت منبطحةً على الحصة وكشطت ركبتيها.

أفلت نيك مضربه وسار إلى الولد الجديد. وَصَع يديه على وركيه وقال، «يمكنك الآن أن تساعد الاثنين معاً. أنا متأكد أن ذهنك مشوّش تماماً، لكن هذا ليس عذراً».

«وماذا لو رفضتُ؟».

ابتسم نيكي. «عندها سأشبعك ضرباً أيها الفتى البدين».

كانت هيلين سيمز تنظر باهتمام من طاولة النزهة. قرّر جورج على ما يبدو التوجّه إلى منطقة أمن، فمشى نحو باب غرفة الاستراحة مبتعداً قدر الإمكان عن الولد الجديد.

«لا تزعج نفسك به إذا أراد أن يكون حقيراً»، قالت كاليشا لنيكي. «نحن بخير يا آيفيري، أليس كذلك؟». ساعدته على النهوض وبدأت تتراجع.

«بالتأكيد نحن بخير»، قال آيفيري، لكن الدموع كانت تنهمر على خديه البدينين مرة أخرى.

«مَن تسمّيه حقيراً أيتها السافلة؟».

قال نيك، «أنت بلا شك، بما أنك الحقير الوحيد هنا». وخطا خطوةً نحو الولد الجديد. دُهل لوك من التباين. فالولد الجديد أشبه بمطرقة ونيكي بشفرة. «عليك أن تعتذر».

«تباً لك وتباً لاعتذارك»، قال الولد الجديد. «لا أعرف ما هذا المكان، لكنني أعرف أنني لن أبقى هنا. الآن اغرب عن وجهي».

«لن تذهب إلى أي مكان»، قال نيكي. «أنت هنا للمدى الطويل، تماماً مثل بقيتنا». ابتسم دون أن يُظهر أسنانه.

«توقفا كليكما»، قالت كاليشا ووضعت ذراعها حول كيتي آيفيري، ولم يحتج لوك إلى أن يكون قارئ أفكار ليعرف بماذا كانت تفكر، لأنه كان يفكر بالشيء نفسه: الولد الجديد يفوق نيكي بثلاثين كيلوغراماً على الأقل، أو بخمسة وثلاثين على الأرجح، ورغم أن الولد الجديد يحمل بطناً كبيراً، إلا أن ذراعيه أشبه بمطرقتين.

«التحذير الأخير»، قال الولد الجديد. «انصرف وإلا فسأشوّه لك وجهك».

بدأ أن جورج غيّر رأيه بشأن الذهاب إلى الداخل، فاستدار وراح يتنّزه عائداً نحو الولد الجديد، ليس إلى خلفه لكن إلى جانبه. هيلين هي التي كانت تقترب منه من الخلف، ليس بسرعة لكن بتمايل الخصر اللطيف ذاك الذي أعجب لوك. وكانت تبتسم ابتسامة خفيفة.

قَطَب وجه جورج في عبوس تركيز، زاماً شفثيه ومجعداً جبهته. الميجات التي كانت تحوم حول الفتيتين تجمهرت فجأة أمام وجه الولد الجديد كما لو أن ريحاً غير مرئية دفعتها. رفع يده إلى عينيه وراح يلوّح ليُبعدها. ركعت هيلين على رُكبتيها خلفه، ودفَع نيكي الولد الأحمر الشعر إلى الخلف. سقط الولد الجديد منبطحاً، نصفه على الحصة ونصفه على الأسفلت.

وَتَبَت هيلين إلى قدميها وابتعدت وهي تتبختر وتضحك وتشير بإصبعها. «أنت غبي أيها الفتى الكبير، غبي، غبي بالكامل!».

بدأ الولد الجديد ينهض وهو يزار زئير حنق. لكن قبل أن يمكنه فعل ذلك، تقدّم نيك وركله على فخذه. بقوة. صرّخ الولد الجديد ممسكاً رِجله، ورفع رُكبتيه إلى صدره.

«يا للهول، توقف!»، صاحت آيريس. «ألسنا في ورطة كبيرة من دون هذا؟».

كان لوك القديم ليوافقها الرأي؛ لكن ليس لوك الجديد - ليس لوك المعهد. «هو الذي بدأ. وربما احتاج إلى ذلك».

«سأقضي عليكم!»، شهق الولد الجديد. «سأقضي عليكم كلكم أيها المقاتلين القذرين!». أصبح وجهه أحمر أرجوانياً بشكل مخيف. وجد لوك نفسه

يتساءل إن كان بإمكان ولد بدين جداً في السادسة عشرة من عمره أن يُصاب بسكتة دماغية، ووجد - وهذا مرّوع لكن حقيقي - أنه لا يكثرث.

ركع نيكي على ركة واحدة. «لن تقدر على شيء»، قال. «عليك الآن أن تُنصت لي أيها البدين. نحن لسنا مشكلتك. هم مشكلتك.»

نظر لوك حوله ورأى ثلاثة ممرّضين يقفون كتفاً إلى كتف خارج باب غرفة الاستراحة: جو وهّداد وغلاديس. لم يعد هّداد يبدو ودوداً، واختفت ابتسامة غلاديس البلاستيكية. كان ثلاثهم يحملون أدوات سوداء تخرج منها أسلاك. لم يبدأوا التحرك بعد، لكنهم جاهزون لذلك. لأنك لا تدع حيوانات الاختبارات تؤذي بعضها البعض، فكر لوك في سرّه. هذا شيء لا تفعله. فحيوانات الاختبارات قيّمة.

قال نيكي، «ساعدني مع هذا الوغد يا لوك.»

أمسك لوك أحد ذراعَي الولد الجديد ولقّه حول عنقه. وفعل نيكي الشيء نفسه بالذراع الأخرى. كانت بشرة الولد حارة وزيتية من العرق، وكان يلهث بشدّة بأسنان مشدودة. رفعه لوك ونيكي إلى قدميه.

«نيكي؟»، نادى جو. «هل كل شيء على ما يرام؟ انتهت عاصفة الغضب؟»

«انتهت»، قال نيكي.

«هذا أفضل»، قال هّداد. عاد وغلاديس إلى الداخل. وقّف جو حيث كان، وهو لا يزال يحمل أدواته السوداء.

«نحن بخير»، قالت كاليشا. «لم تكن عاصفة غضب حقيقية، بل مجرد...»

«خلاف بسيط»، قالت هيلين. «اعتبرها مناوشة خفيفة.»

«لم يقصد أي سوء»، قالت آيريس، «كان منزعجاً فقط». كان هناك لطف أصيل في صوتها، وهذا جعل لوك خجلاً قليلاً من شعوره بالسعادة عندما وضع نيكي قدمه على رجل الولد الجديد.

«سأتقياً»، أعلن الولد الجديد.

«ليس على الترامبولين»، قال نيكى. «نحن نستخدم هذا الشيء. هيا يا لوك. ساعدني على نقله إلى السور».

بدأ الولد الجديد يُصدر أصوات تقيؤ وشيك، وراح بطنه الكبير يرتفع وينخفض. ساعده لوك ونيكى على السير نحو السور بين الملعب والغابة. وصلوا إلى هناك في الوقت المناسب. أسندَ الولد الجديد رأسه على ماسات السياج المُشَبَّك وتقيأ عبرها، مُخرجاً البقايا الأخيرة لما كان قد أكله في الخارج، عندما كان الولد الحر بدلاً من الولد الجديد.

«مُقرِف»، قالت هيلين. «أحدهم تناولَ حساء الذرة بالكريما، كم هذا مُقرِف».

«هل تشعر بتحسّن؟»، سأل نيكى.

أوما الولد الجديد برأسه.

«انتهيت؟».

هزَّ الولد الجديد رأسه وتقيأ مرة أخرى، لكن بقوة أقل هذه المرة. «أعتقد...»، تنحج مطرطشاً المزيد من المادة اللزجة.

«يا للهول»، قال نيكى وهو يمسح خدّه. «هل تقدّم مناشف مع حمّامك؟».

«أعتقد أنه سيُغمى عليّ».

«لا لن تفعل ذلك»، قال لوك. لم يكن متيقناً من ذلك، لكنه شَعر أنه من الأفضل أن يبقى إيجابياً. «تعال إلى الظل».

نقلاه إلى طاولة النزهة. جلّست كاليشا بجانبه وقالت له أن يُخفِض رأسه. فعَلَ ذلك دون جدال.

«ما اسمك؟»، سأل نيكى.

«هاري كروس». لقد هدأ الصراع الذي في داخله، وبدا مُتعباً ومهزوماً. «أنا من سيلما. هذه في ألاباما. لا أعرف كيف وصلتُ إلى هنا أو ماذا الذي يجري».

«يمكننا إخبارك بعض الأمور»، قال لوك، «لكن عليك التوقف عن الشغب. عليك أن تهدأ. هذا المكان سيئ كفاية من دون أن نتشاجر مع بعضنا البعض».

«وعليك أن تعتذر لآيفيري»، قال جورج. لم يعد فيه شيء من مهرج الصف. «هكذا يبدأ الوضع بالهدوء».

«لا بأس»، قال آيفيري. «لم يؤذني».

لم تعره كاليشا انتباهها. «اعتذر».

رفع هاري كروس نظره. مسح يده على وجهه المتورّد. «آسف أنني أوقعتك يا ولد». نظر حوله إلى الآخرين. «جيد؟».

«نصف جيد». أشار لوك إلى كاليشا. «هي أيضاً».

تنهّد هاري. «آسف مهما يكن إسمك».

«إسمي كاليشا. وإذا نشأت بيننا صداقة، وهذا لا يبدو مرجّحاً جداً اعتباراً من هذه اللحظة، يمكنك أن تناديني شا».

«فقط لا تناديتها يا حلوة»، قال لوك. ضحك جورج وربّت له على ظهره.

«لا يهم»، تمتم هاري ومسح شيئاً آخر عن ذقنه.

قال نيكي، «الآن وقد زالت الإثارة، لماذا لا تُنهي مباراة كرة الريشة اللعينة -»

«مرحبا يا فتيات»، قالت آيريس. «هل تريدون القدوم إلى هنا؟».

نظر لوك حوله. لقد اختفى جو، وهناك فتاتان شقراوان صغيرتان تقفان حيث كان يقف. كانتا تمسكان يدي بعضهما البعض وعلى وجههما نفس تعبير الرعب المذهول. كل شيء فيهما متماثل ما عدا قميصيهما التائين، فأحدهما أخضر والآخر أحمر. تذكر لوك الطبيب سُوس: الشيء واحد والشيء اثنان.

«هيا»، قالت كاليشا. «كل شيء على ما يرام. لقد زالت المتاعب».

فقط لو كان هذا صحيحاً، فكّر لوك في سرّه.

عند الرابعة إلا رُبْعاً بعد ظهر ذلك اليوم، كان لُوك في غرفته يقرأ المزيد عن المحامين في فيرمونت المتخصصين في قانون الممارسات العادلة لتحصيل الديون. حتى الآن، لم يسأله أحدٌ عن سبب اهتمامه بهذا الموضوع بالذات. ولم يسأله أحدٌ عن رجل هـ. ج. ويلز الخفي أيضاً. افتراض لُوك أنه يمكنه ابتكار اختبار ما ليكتشف إن كانوا يراقبونه أم لا - البحث في غُوغل عن وسائل الانتحار قد ينجح على الأرجح - ثم قرّر أنه من الجنون فعل ذلك. لماذا يركل كلباً نائماً؟ وبما أن ذلك لن يشكل فرقاً كبيراً في الحياة التي يعيشها الآن، فقد فضّل ألا يعرف.

سمع طرقاتاً رشيقاتاً على الباب، وفتّح قبل أن يمكنه أن يأذن بذلك. إنها ممرضةٌ. كانت طويلة القامة وذات شعر داكن، وبطاقة الإسم في أعلى زِيَّها الزهري تقول إنها تدعى باريسيل.

«مسألة العينين، صح؟»، سأل لُوك وهو يُطفئ كمبيوتره المحمول.

«صح. هيا بنا». لا ابتسامة، ولا ابتهاج مريح. بعد غلاديس، وجد لُوك هذا الوضع مريحاً.

عادا إلى المصعد، ثم نزلا إلى الطابق ج.

«ما عمق هذا المكان؟»، سأل لُوك.

ألقت باريسيل نظرة سريعة عليه. «هذا ليس من شأنك».

«كنتُ أحاول فقط الدردشة -»

«حسناً، لا تفعل ذلك. فقط إلزم الصمت».

صمت لُوك.

في الغرفة القديمة العزيزة ج-17، حل فنّي محل زيكي قالت بطاقة إسمه إنه يدعى براندون. كان هناك أيضاً رجلان يرتديان بذلتين، أحدهما يحمل جهاز أيباد والآخر لوحاً مشبكياً. لا بطاقات أسماء لهما، لذا خمن لُوك أنهما طبيبان. أحدهما طويل القامة جداً وله بطن يجعل بطن هاري كروس يخجل من نفسه. تقدّم ومدّ يده.

«مرحبا يا لوك. أنا الطبيب هندريكس، رئيس العمليات الطبية».

اكتفى لوك بالنظر إلى اليد الممدودة دون أن يشعر بحاجة ملحة أبداً إلى مصافحتها. لقد بدأ يتعلم كافة أصناف التصرفات الجديدة، وهذا أمرٌ مثيرٌ للاهتمام، بطريقة رهيبة نوعاً ما.

أطلق الطبيب هندريكس نوعاً غريباً من الضحك الممزوج بالنهيق، نصفه زفير ونصفه شهيق. «لا بأس، لا بأس تماماً. هذا الطبيب إيفانز، المسؤول عن عمليات العيون». أطلق نهيق الزفير/الشهيق مرة أخرى، لذا خمن لوك أن عمليات العيون هي من صنف فكاهة الأطباء.

لم يضحك الطبيب إيفانز، وهو رجل قصير ذو شارب يتطلب الكثير من العناية، من النكتة ولم يبتسم حتى. كما لم يعرض أن يصافحه. «إذا أنت أحد مجنديننا الجدد. مرحباً. تفضل بالجلوس، رجاءً».

فعل لوك ما طلب منه. فالجلوس على كرسي أفضل بالطبع من أن ينحني ومؤخرته العارية معروضة على الملأ. كما أنه كان متأكداً تماماً من هدف هذا. فقد فحصت عيناه من قبل. في الأفلام، الولد العبقري الكثير الدرس يرتدي دائماً نظارات سميكة، لكن بصر لوك 20/20، حتى الآن على الأقل. بقي يشعر بالاسترخاء تقريباً إلى أن اقترب منه هندريكس بحقنة أخرى. انقبض قلبه من ذلك المنظر.

«لا تقلق، مجرد وخزة سريعة أخرى». نهق هندريكس مرة أخرى مُظهراً أسناناً ناثئة. «كثير من الحُقن، تماماً كما في الجيش».

«بالتأكيد، لأنني مجنّد»، قال لوك.

«صحيح، صحيح تماماً. لا تتحرّك».

تلقى لوك الحقنة دون أن يحتج. لم يشعر بحرارة في موقع الحقنة، لكن عندها بدأ شيء آخر يحصل. شيء سيئ. فعندما انحنى برسبيل لتضع له إحدى تلك الضمادات اللاصقة الشفافة، بدأ يختنق. «لا يمكنني...» أن أبلع، هذا ما أراد أن يقوله، لكنه لم يستطع. فقد سُدَّت حنجرته.

«أنت بخير»، قال هندريكس. «سيزول هذا الشعور». بدا كلامه مطمئناً، لكن الطبيب الآخر كان يقترب منه حاملاً أنبوباً ينوي على ما يبدو أن يُقحمه في حنجرة لوك إذا لزم الأمر. وَصَع هندريكس يده على كتفه. «اصبر بضع ثوانٍ».

حدَّق بهما لوك بياس واللعب يسيل على ذقنه، وهو متأكد أنهما آخر وجهين سيراهما... ثم فُتحت حنجرته. شهق بقوة ليُدخل أكبر قدر ممكن من الهواء إلى رتثيه.

«أرأيت؟»، قال هندريكس. «كل شيء بخير. جيم، لا داعي للأنبوب».

«ماذا... ماذا فعلت بي؟».

«لا شيء على الإطلاق. أنت بخير».

سَلَّم الطيب إيفانز الأنبوب البلاستيكي إلى براندون وأخذ مكان هندريكس. سلط ضوءاً على عيني لوك، ثم أخذ مسطرةً صغيرةً وقاس المسافة بينهما. «لا عدسات تصحيحية؟».

«أريد أن أعرف ما كان ذلك! لم أستطع أن أتنفس! لم أستطع أن أبلع!».

«أنت بخير»، قال إيفانز. «تبلع كبطلٍ. لونك يعود إلى طبيعته. الآن هل ترتدي أو لا ترتدي عدسات تصحيحية؟».

«لا أرتديها»، قال لوك.

«جيد. هذا جيد لك. انظر إلى الأمام مباشرة، رجاءً».

نظَرَ لوك إلى الجدار. لقد زال الإحساس بنسيان كيف يتنفس. أنزل براندون شاشةً بيضاء، ثم خفف الأضواء.

«استمر بالنظر إلى الأمام مباشرة»، قال الطيب إيفانز. «إذا أشحت بنظرك مرةً، سيصفعك براندون. وإذا أشحت بنظرك مرةً ثانيةً، سيعطيك صدمةً كهربائيةً - فولطية منخفضة لكن مؤلمة جداً. مفهوم؟».

«نعم»، قال لوك. بلع ريقه. جرى البلع بشكل جيد، فقد شَعَرَ أن حنجرته طبيعية، لكن قلبه لا يزال يخفق بضعف معدله الطبيعي. «هل تعرف الجمعية الطبية الأميركية عن هذا؟».

«عليك أن تصمت»، قال براندون.

يبدو أن الصمت هو الخيار المفضَّل في هذا المكان، فكَّر لوك في سرّه. أخبر نفسه أن الأسوأ مرَّ والمسألة الآن مجرد فحص للعينين، وأن بقية

الأولاد خضعوا له وهم بخير، لكنه استمر يبلع ريقه ليتحقق من أنه يمكنه فعل ذلك. سيعرضون عليه مخطط العين، وسيقرأه وينتهي الأمر.

«إلى الأمام مباشرة»، قال إيفانز مدنيًا تقريبًا. «العينان على الشاشة وليس على أي مكان آخر».

بدأ يسمع موسيقى كلاسيكية تعزفها كماناتٍ. الغاية منها تهدئة الأعصاب، افترض لوك.

«پريس، شغلي المسلاط»، قال إيفانز.

بدلاً من ظهور مخطط العين، ظهرت بقعة زرقاء في وسط الشاشة، نابضة قليلاً، كما لو أنها نبضة قلب. وظهرت بقعة حمراء تحتها، مما ذكره بهال - «أسف يا دايف». ثم ظهرت بقعة خضراء. راحت البقعتان الحمراء والخضراء تنبضان بشكل متزامن مع البقعة الزرقاء، ثم بدأت كل البقع الثلاثة تومض بشكل متقطع. بدأت بقع أخرى تظهر، واحدة تلو الأخرى أولاً، ثم كل نقطتين معاً، ثم بالعشرات. ثم سرعان ما أصبحت الشاشة مزدحمة بمئات النقاط الملونة الواضحة.

«على الشاشة»، دندن إيفانز. «الشاشششششة. ليس على أي مكان آخر».

«لذا إذا لم أرها من تلقاء نفسي، تعرضونها عليّ؟ بهدف تحفيز العينين مثلاً، أو شيء مماثل؟ هذا لا -»

«اصمت». پريسلا هذه المرة.

الآن بدأت النقاط تدور. راحت تطارد بعضها البعض بجنون، وبدأ أن بعضها يتحرك لولبياً، وبعضها الآخر كما لو أنها في سرب، وبعضها في دوائر ترتفع وتنخفض وتتقاطع. راحت الكمانات تُسرع واللحن الكلاسيكي الخفيف يتحول إلى ما يشبه موسيقى رقصة شعبية. لم تعد النقاط تتحرك الآن، بل أصبحت تشبه لوحة الإعلانات الإلكترونية في ميدان تايمز سكوير وقد احترقت داراتها وأصبحت بانهييار عصبي. بدأ لوك يشعر كما لو أنه هو الذي أصيب بانهييار عصبي. تذكر هاري كروس يتقياً عبر السياج المشبّك وعرف أنه سيفعل الشيء نفسه إذا بقي ينظر إلى تلك النقاط الملونة المتسارعة بجنون، ولم يرغب أن يتقياً، لأنها ستسقط على حُضنه -

صَفَعَه براندون، بقوة. بدأ صوت الصفعة مثل مفرقة نارية صغيرة انفجرت عن قُرب وعن بُعد في آن. «انظر إلى الشاشة يا حلو».

هناك شيء دافئ يسيل على شفته العليا. السافل أصاب أنفي مع خدِّي، فكر لوك في سرّه، لكن لم يبدو ذلك مهماً. فتلك النقاط المتطايرة بدأت تخترق رأسه، تغزو دماغه مثل التهاب الدماغ أو التهاب السحايا. أحد أنواع الالتهابات، على أي حال.

«حسناً يا پريس، أطفئيه»، قال إيفانز، لكن يبدو أنها لم تسمعه لأن النقاط لم تخفّف. بل راحت تُزهِر وتذبل، وكل ازهرار أكبر من الذي سبقه: تنتفخ ثم تنقلص، تنتفخ ثم تنقلص. بدأت تصيح ثلاثية الأبعاد، تنفصل عن الشاشة، تُسرِع نحوه ثم تُسرِع مبتعدةً عنه، تُسرِع نحوه ثم تُسرِع مبتعدةً -

ظنّ أن براندون يقول شيئاً عن پريسلا، لكن لا شك أنه يتخيّل هذا، صح؟ وهل أحدهم يصرخ حقاً؟ إذا كان الأمر كذلك، هل يُعقل أنه هو؟

«فتى مؤدّب يا لوك، هذا جيد، أحسنت». صوت إيفانز يدنو منه من بعيد. من مسيرة تطير عالياً في الستراتوسفير. وربما من الجهة الأخرى للقمر.

مزيد من النقاط الملوّنة. لم تعد على الشاشة الآن، بل أصبحت على الجدران، تتطاير على السقف، حوله من كل مكان، داخله. خطرٌ ببال لوك، في الثواني القليلة الأخيرة قبل أن يُغمى عليه، أنهم يستبدلون دماغه. رأى يديه تطيران بين نقاط الضوء، رأهما تهتران وتتسابقان على بشرته، وأدرك أنه يتخبّط من جهة إلى أخرى على الكرسي.

حاول أن يقول إنني أصاب بنوبةٍ، أنتم تقتلونني، لكن كل ما خرّج من فمه كان مجرد صوت غرغرة بائس. ثم اختفت النقاط، وكان يسقط عن الكرسي، كان يقع في الظلمة، وهذا أمر مريح. آه، كم هو مريح.

14

بقي يُصَفَع حتى استعاد وعيه. لم تكن صفعات قوية، ليست مثل الصفعة التي جَعَلت أنفه ينزف (إن كان ذلك حصل فعلاً)، لكنها لم تكن نكزات حُب أيضاً. فتح عينيه ووجد نفسه على الأرض. إنها غرفة مختلفة، وپريسلا راكعة على ركة واحدة بجانبه. هي التي وجّهت له الصفعات. كان براندون والطيبان يقفان يراقبان. هندريكس لا يزال يحمل جهازه الآيباد، وإيفانز لوحه المشبكي.

«لقد استيقظ»، قالت باريسيللا. «هل يمكنك أن تنهض يا لوك؟».

لم يعرف لوك إن كان يستطيع ذلك أم لا. لقد أُصيب بالتهاب الحلق العقدي وحمي مرتفعة منذ أربع أو خمس سنوات. وشعر الآن مثلما شعر كرية، وموقع الحقنة يحكه كثيراً. لا يزال يشعر بتورم حنجرته وانسدادها. كم كان هذا رهيباً.

لم يعط براندون لوك فرصة ليختبر رجليه، بل أمسك ذراعه فحسب ورفع إلى قدميه. وقف لوك هناك يتمايل.

«ما اسمك؟»، سأل هندريكس.

«لوك... لوكاس... إليس». بدا له أن الكلمات لا تخرج من فمه بل من نصفه المنفصل عنه والعائم فوق رأسه. إنه مُتعب. وجهه ينبض من الصفعات المتكررة، وأنفه يؤلمه. رفع يده (انجرفت إلى الأعلى ببطء، كما لو أنها تتحرك في الماء)، وفرك البشرة فوق شفته، ونظر دون تفاجؤ إلى رقائق الدم الجاف على إصبعه. «لكم من الوقت غبتُ عن الوعي؟».

«أجلسه»، قال هندريكس.

أمسك براندون إحدى ذراعيه، وأمسكت باريسيللا الأخرى. قاداه إلى كرسي (كرسي مطبخ عادي دون أريطة، الحمد لله) موضوع أمام طاولة يجلس خلفها إيفانز على كرسي مطبخ آخر. هناك كدسة بطاقات أمامه كبيرة مثل كتب ورقية الغلاف، وجهتها الخلفية زرقاء عادية.

«أريد العودة إلى غرفتي»، قال لوك. لا يزال صوته يبدو غير قادم من فمه، بل من مكان أقرب قليلاً. ربما. «أريد أن أستلقي. أنا مريض».

«سيزول ارتباكك»، قال هندريكس، «رغم أنه من الحكمة أن تتخطى العشاء. أريدك أن تركز انتباهك على الطبيب إيفانز في الوقت الحاضر. لدينا اختبار صغير لك. بعدما ينتهي، يمكنك العودة إلى غرفتك و... تزيل الضغط».

رَفَع إيفانز البطاقة الأولى ونظرَ إليها. «ما هذا؟».

«بطاقة»، قال لوك.

«وقرّ النكات لصفحتك على يوتيوب»، قالت باريسيللا وصفّته. كانت صفة أقوى بكثير من الصفعات التي استخدمتها لتُعيد له وعيه.

بدأت أذن لوك ترنّ، لكنه شَعَرَ على الأقل أن رأسه أكثر صفاءً بقليل. نظَرَ إلى باريسياً ولم ير أي تردّد لديها. لا ندم. صفر تعاطف. لا شيء. أدرك لوك أنه لم يكن ولداً أبداً بالنسبة لها. لقد أجرت انفصلاً حاسماً في ذهنها. كان حقل تجارب. تجعله يفعل ما تريده منه، وإذا لم يفعل ذلك، تعطيه ما يسمّيه الأطباء النفسيون تعزيراً سلبياً. وعندما تنتهي الاختبارات؟ تذهب إلى غرفة الاستراحة لتتناول بعض القهوة وتتكلّم عن أولادها (الذين كانوا أولاداً حقيقيين) أو تتذمّر من السياسة أو الرياضة، أو أي شيء آخر.

لكن ألم يكن يعرف هذا من قبل؟ افترض ذلك، لكن أن تعرف شيئاً وأن تحمّر لك حقيقته يشترك أمران مختلفان. يستطيع لوك رؤية وقتٍ قادم - ولن يتأخر قدومه كثيراً - سيرتعد فيه خوفاً كلما رفع عليه أحدهم يداً مفتوحةً، حتى ولو كان بقصد أن يصافحه فقط أو يضرب له كفه عالياً.

وضع إيفانز البطاقة جانباً بعناية، وأخذ واحدة أخرى من الكدسة. «وماذا عن هذه يا لوك؟»

«أخبرْتُك، لا أعرف! كيف يمكنني أن أعرف ما -»

صفّته باريسياً مرة أخرى. الرنين أقوى الآن، وبدأ لوك يبكي. لم يكن قادراً على منع نفسه من فعل ذلك. اعتقد أن المعهد كابوسٌ، لكن هذا هو الكابوس الحقيقي، أن يكون نصف جسمه خارجه ويُطلب منه أن يقول ماذا يوجد على بطاقات لا يمكنه رؤية ما عليها ويُصقّع عندما يقول إنه لا يعرف.

«حاول يا لوك»، قال هندريكس في الأذن التي لم تكن ترنّ.

«أريد العودة إلى غرفتي. أنا مُتعب. وأشعر بالغثيان.»

وضع إيفانز البطاقة الثانية جانباً ورَفَع واحدة ثالثة. «ما هذا؟»

«لقد أخطأت»، قال لوك. «أنا تع وليسْتُ تخ. ربما كاليشا تستطيع أن تُخبرك ماذا يوجد على هذه البطاقات، وأنا أكيد أن أيفيري يستطيع أيضاً، لكنني لسْتُ تخ!»

رَفَع إيفانز بطاقةً رابعةً. «ما هذا؟ لا مزيد من الصفحات. أخبرني وإلا فإن براندون سيعطيك صدمةً كهربائيةً هذه المرة بعضاً صغقه، وستتألم. قد لا تُصاب بنوبة أخرى على الأرجح، لكنك قد تُصاب بواحدة، لذا أخبرني يا لوك، ما هذا؟»

«جسر بروكلين!»، صرّخ. «برج إيفل! براد بيت مرتدياً بذلة سهرة، كلبٌ يقضي حاجته، سباق الإيندي 500، لا أعرف!».

انتظر عصا الصعق - افترض أنها نوعٌ من المسدّسات الصاعقة. ربما قد تُحدث صوت فرقعةٍ أو صوت همهمةٍ. وربما لن تُحدث أي صوت أبداً وسيرتعش ويسقط أرضاً بكل بساطة واللعب يسيل من فمه. بدلاً من ذلك، وضع إيفانز البطاقة جانباً وأوماً لبراندون بأن يبتعد. لم يشعر لوك بالارتياح.

فكر في سرّه، أتمنى لو أنني ميث. ميثٌ وخارج كل هذا.

«بريسيلا»، قال هندريكس، «أعيدني لوك إلى غرفته».

«نعم أيها الطبيب. ساعدني عليه يا بران حتى المصعد».

حين وصلوا إلى هناك، شَعَرَ لوك بنفسه من جديد، وأن ذهنه عاد ليعمل بكامل طاقته. هل أطفأوا المسلاط حقاً؟ ولا يزال يرى النقاط؟

«لقد أخطأتم». كان فم لوك وحنجرته جافين جداً. «لستُ ما تسمّونه تخ. أنتم تعرفون هذا، صح؟».

«لا يهّم»، قالت بريسيللا بلا مبالاة. استدارت إلى براندون وابتسامة حقيقية أصبحت شخصاً جديداً. «سأراك لاحقاً، صح؟».

ابتسم براندون. «بالتأكيد». استدار إلى لوك، وكوّر يده في قبضة فجأة ووجّهها نحو وجه لوك. توقّف قبل سنتيمترٍ من أنف لوك، لكن لوك ارتعد خوفاً وصرّخ. ضحك براندون من صميم قلبه، وابتسمت له بريسيللا ابتسامة متسامحة تقول الأولاد يظنون أولاداً.

«لوّح بها بخفةٍ يا لوك»، قال براندون، وابتعد في رواق الطابق ج وهو يتمايل بتبجح، وعصا الصعق في قرايبها ترتطم بوركه.

عند وصوله إلى الرواق الرئيسي - الذي فهم لوك الآن أنه جناح المقيمين - وجد الفتاتين الصغيرتين، غيردا وغريتا، واقفتين تراقبان بعينين محمّلتين خائفتين. كانتا تمسكان يدي بعضهما وتحملان دميّتين متماثلتين مثلهما. ذكرتا لوك بتوأمين في فيلم رعب قديم.

راقفته بريسيللا إلى بابه وابتعدت دون أن تقول أي شيء. دخل لوك، ورأى أن لا أحد أتى ليأخذ كمبيوتره المحمول، وانهار على سريره دون حتى أن يخلع حذاءه. نام هناك للساعات الخمسة التالية.

كانت السيدة سيغسبي تنتظر جاثمةً على الأريكة الصغيرة عندما دخل الطبيب هندريكس، الملقَّب دونكي كونغ، الجناح الخاص المجاور لمكتبها. سلَّمها ملفاً. «أعرف أنك تعشقين النُسخ الورقية، لذا هذا لك. سيعود عليك بالنعف الكبير».

لم تفتحه. «لن يعود عليّ بالنعف الكبير أو بالضرر الكبير يا دان. هذه اختباراتك، اختباراتك الثانوية، ولا يبدو أنها تنجح».

أكفهرَّ وجهه. «أغنيس جوردن. ويليام غورتسن. فينا پاتل. بالإضافة إلى إسمين أو ثلاثة لا أتذكرها الآن. دونا كنيَّة ما. حقَّقنا نتائج إيجابية معهم كلهم».

تنهَّدت ومسَّدت شعرها الخفيف. شَعَر هندريكس أن لسيغرز وجه طائر: أنف حاد بدلاً من منقار، لكن نفس العينين الصغيرتين الشرهتين. وجه طائرٍ خلفه دماغ بيروقراطي. ميؤوس منه، حقاً. «وعشرات الزهرين الذين لم تحقِّق أي نتائج معهم».

«ربما هذا صحيح، لكن فكِّري بالمسألة»، قال لأن ما أراد أن يقوله - كيف يمكن أن تكوني بهذا الغباء؟ - يمكن أن يوقعه في متاعب جمَّة. «إذا كان التخاطر والتحرك العقلي مرتبطين، مثلما تقترح اختباراتي، فقد تكون هناك قدرات نفسانية أخرى أيضاً، مستترة فقط تنتظر أن تخرج إلى العلن. ما يستطيع هؤلاء الأولاد فعله، حتى الأكثر موهبةً منهم، قد يكون رأس جبل الجليد فقط. لنفترض أن المداواة النفسانية احتمالٌ حقيقيٌّ؟ لنفترض أن الورم الأرومي الدبقي مثل الذي قتل جون ماكاين يمكن مداواته بقوة الفكر فحسب؟ لنفترض أنه يمكن توجيه تلك القدرات لإطالة الحياة، ربما إلى مئة وخمسين سنة، وحتى أطول؟ ما نستخدمهم لأجله لا داعي لأن يكون النهاية؛ يمكن أن يكون البداية فقط!».

«لقد سمعتُ كل هذا من قبل»، قالت السيدة سيغسبي. «وقرأته في ما تحبُّ أن تسمِّيه بيان مهمتك».

لكنك لا تفهمين، فكَّر في سرِّه. وستاكهاوس لا يفهم أيضاً. إيفانز يفهم، إلى حد ما، لكن حتى هو لا يرى الاحتمالات الهائلة. «المسألة ليست كما لو أن الفتى إليس أو إيريس ستانهوب قيَّمان بشكل خاص. لا نسمِّيهم زهرين هباءً». أصدر صوت استخفاف، ولوَّح يده.

«هذا كان أكثر صدقاً منذ عشرين سنة مما هو عليه اليوم»، ردّت السيدة سيفغسبي. «وحتى عشر سنوات».

«لكن -»

«كفى يا دان. هل أظهرَ الفتى إلیس دلالات تخ أم لا؟».

«لا، لكنه يستمر برؤية الأضواء بعد إطفاء المسلاط، ونعتقد أن هذا مؤشرٌ. مؤشرٌ قويٌّ. لكنه أصيب بنوبة لسوء الحظ. هذا ليس أمراً غير مألوف، مثلما تعرفين».

تنهّدت. «لیس لديّ أي اعتراض على أن تتابع اختباراتك بأضواء شتازي يا دان، لكن عليك ألا تنسى الصورة الشاملة هنا. هدفنا الرئيسي هو تحضير المقيمين للنصف الخلفي. هذا هو الشيء المهم، الهدف الرئيسي. وكل تأثيرات جانبية ليست ذات أهمية كبيرة. الإدارة غير مهتمة بالمرادف النفساني لروغين».

ارتدّ هندريكس كما لو أنها ضربته. «دواء ارتفاع ضغط الدم الذي برهن أيضاً قدرته على إنبات الشعر على جماجم سكان الضواحي الصّلع بالكاد يمكن تشبيهه بإجراءٍ يمكنه تغيير مسار الوجود البشري!».

«ربما لا، وربما لو أحدثت اختباراتك المزيد من النتائج المتكرّرة، لكنك - والأشخاص الذين يدفعون رواتبنا - أكثر حماسةً على الأرجح. لكن كل ما لديك الآن هو نجاحات عشوائية قليلة».

فتح فمه ليحتجّ، ثم عاد وأغلقه عندما رمقته بأكثر نظرة متجهّمة لديها. «يمكنك أن تتابع اختباراتك في الوقت الحاضر، كُن راضياً بهذا. يجب أن تكون راضياً إذا ما تذكّرنا أنك فقدت عدة أولاد نتیجتها».

«زهريون»، قال وأصدر صوت الاستخفاف ذاك مرة أخرى.

«تتصرّف كما لو أنهم يتوفرون بكثرة»، قالت. «ربما كانوا هكذا فيما مضى، لكنهم لم يعودوا كذلك يا دان. في هذه الأثناء، إليك ملفاً».

كان ملفاً أحمر مختومة عليه كلمة الانتقال.

عندما دخلَ لوكَ غرفة الاستراحة ذلك المساء، وجدَ كاليشا جالسةً على الأرض وقد أسندت ظهرها على إحدى النوافذ الكبيرة التي تطلُّ على الملعب. كانت ترشف من إحدى قوارير الشراب الصغيرة المتوفرة للشراء في آلة الوجبات الخفيفة.

«أنتِ تشربين هذه الأمور؟»، سأل وهو يجلس بجانبها. كان آيفيري وهيلين على الترامبولين في الملعب. من الواضح أنها تعلمه كيف ينقذ لفةً إلى الأمام. سيحلُّ الظلام قريباً وسيضطران إلى الدخول. لأنه رغم أن الملعب لا يُغلق أبداً، إلا أنه لا توجد فيه أضواء، وهذا يُثني معظم الزيارات الليلية.

«أول مرة. استخدمتُ كل فيشي. طعمه رهيب جداً. هل تريد بعضاً منه؟»، قالت وهي تعرض عليه القارورة التي تحتوي على شراب شعير يدعى الشاي المفتول.

«لا شكراً. لماذا لم تخبريني يا شا أن اختبار الأضواء سيئ إلى هذا الحد؟».

«نادني كاليشا. أنت الوحيد الذي يناديني هكذا، وهذا يروق لي». بدأ لسانها ثقيلًا قليلاً بالكاد شربت بضع رشقات من شاي الشعير هذا، لكنه افترض أنها غير معتادة على ذلك.

«حسناً. كاليشا. لماذا لم تخبريني؟».

هزّت كتفيها. «يجعلونك تنظر إلى أضواء ملوثة متراقصة إلى أن تشعر ببعض الغثيان. ما السيئ في ذلك؟». ذلك خرجت من فمها ذلك.

«حقاً؟ هل هذا كل ما حصل لك؟».

«نعم. لماذا؟ ماذا حصل لك؟».

«أعطوني حقنةً أولاً، وانسدَّت حنجرتي. شعرتُ لدقيقةٍ أنني سأموت».

«آه. أعطوني حقنةً قبل الاختبار أيضاً، لكن لا شيء حصل. هذا يبدو سيئاً حقاً. آسفة يا لوكي».

«هذا كان الجزء السيئ الأول فقط. فقد أُغمي عليّ بينما كنتُ أنظر إلى الأضواء. أعتقد أنني أصبتُ بنوبةٍ». كما أنه بلل بنظونه قليلاً، لكن هذه معلومة سيحتفظ بها لنفسه. «عندما استيقظتُ...»، سكت قليلاً وهو يحاول السيطرة على أعصابه، فلم تكن لديه رغبة أن يبكي أمام هذه الفتاة الجميلة

بعينها البيّتين وشعرها الأسود المجعّد. «عندما استيقظتُ، صَفَعوني عدة مرات».

استوت جالساً. «ماذا قلت؟».

أوماً برأسه. «ثم أحد الأطباء... إيفانز، هل تعرفينه؟».

«صاحب كدسة الأوراق». جَعَدت أنفها وأخذت رشفة أخرى.

«أجل، هذا هو. عرض عليّ بعض البطاقات وحاول إجباري على قول ماذا يوجد عليها. كانت بطاقات إدراك فوق حسيّ. لا شك بذلك. لقد تكلمت عنها، هل تتذكرين؟».

«بالتأكيد. لقد اختبروها عليّ عشر مرات. عشرين مرة. لكنهم لم يفعلوا ذلك بعد الأضواء. بل فقط أعادوني إلى غرفتي». أخذت رشفة صغيرة أخرى. «لا شك أنهم أخطأوا في أوراقهم، فظنّوا أنك تخ بدلاً من تع».

«هذا ما ظننّته في البدء، وأخبرتهم بذلك، لكنهم استمروا بصفعي. كما لو أنهم ظنّوا أنني أكذب عليهم».

«هذا أكثر شيء مجنون سمعته في حياتي»، قالت. سِعته بدلاً من سِمعته.

«أعتقد أنه حصل لأنني لسْتُ ما تسمّونه إيجابياً. أنا عادي فقط. يسمّونا أولاداً عاديين زهرين».

«نعم. زهرين. هذا صحيح».

«ماذا بشأن الأولاد الآخرين؟ هل حصلَ أي شيء من هذا لهم؟».

«لم أسألهم أبداً. هل أنت متأكد أنك لا تريد بعضاً من هذا؟».

أمسك لُوك القارورة وأخذ رشفةً، في الأغلب لكي لا تشربها كلها. فهي في تقديره قد شربت ما يكفي. كان الطعم رهيباً مثلما توقع تماماً. أعادها لها.

«ألا تريد أن تعرف بماذا احتفل؟».

«بماذا؟».

«آيريس. ذكراها. إنها مثلك، لا شيء مميز، مجرد تع قليلاً. أتوا وأخذوها منذ ساعة. ومثلما يقول جورج، لن نراها بعد اليوم».

بدأت تبكي. وَصَع لُوك ذراعيه حولها. لم يستطع أن يفكّر بشيء آخر يفعلُه. وَصَعَت رأسها على كتفه.

17

في تلك الليلة ذَهَب إلى موقع السيد غريفيين مرة أخرى، وكتب عنوان موقع ستار تريبيون، وبقي يحدِّق به لثلاث دقائق تقريباً قبل أن يتراجع دون أن يضغط مفتاح الإدخال. جبان، فكر في سرّه. أنا جبان. إذا كانا ميّتين، يجب أن أعرف. ما عدا أنه لم يعرف كيف يمكنه أن يواجه هكذا خبر دون أن ينهار بالكامل. وما نفع ذلك؟

كتب محامي ديون في فيرمونت بدلاً من ذلك. لقد درسَ هذه المسألة من قبل، لكنه أخبر نفسه أن مراجعة عمله فكرةٌ جيدةٌ دائماً. وهذا سيمرُّ الوقت.

أطفاً الكمبيوتر بعد عشرين دقيقة وبدأ يناقش نفسه إن كان سيتمشّي ويرى من في الأرجاء (ستكون كاليشا خياره الأول، إذا لم تكن تتعافى من ثمالتها بالنوم)، عندما عادت البقع الملوّنة. راحت تدور أمام عينيه وبدأ العالم يزول... ينطلق، مثل قطار يغادر المحطة بينما يراقبه من المنصة.

أسندَ رأسه على الكمبيوتر المحمول المُغلق وبدأ يأخذ أنفاساً بطيئة عميقة وهو يُخبر نفسه أن يصمد، يصمد، يصمد فحسب. راح يُخبر نفسه أن الشعور سيمرُّ، دون أن يسمح لنفسه بأن يتساءل ماذا سيحصل إن لم يمرّ على الأقل يمكنه أن يبلغ ريقه. البلع سليمٌ، وفي نهاية المطاف مرّ فعلاً الشعور بالانجراف بعيداً عن نفسه - الانجراف إلى كونٍ من الأضواء المتطايرة. لم يعرف كم استغرق ذلك من وقت، ربما دقيقة أو دقيقتين فقط، لكنه بدا له أطول من ذلك بكثير.

دَحَل الحَمّام وراح ينظّف أسنانه وهو ينظر إلى نفسه في المرأة. يمكنهم أن يعرفوا عن النقاط، والأرجح أنهم يعرفون عن النقاط، لكن ليس عن الشيء الآخر. لم تكن لديه أي فكرة ماذا يوجد على البطاقة الأولى، أو البطاقة الثالثة، لكن على البطاقة الثانية كان يوجد فتى يركب درّاجة وعلى الرابعة كلبٌ صغيرٌ في فمه كُرّة. كلب أسود وكُرّة حمراء. بدا له أنه تخ في النهاية.

أو هو تخ الآن.

شطّف فمه، وأطفأ الأضواء، وتعرّى في الظلمة، وتمدّد على سريره. لقد غيرته تلك الأضواء. كانوا يعرفون أن هذا قد يحصل، لكنهم لم يكونوا متأكدين. لم يعرف كيف يمكنه أن يتأكد من ذلك، لكن -

إنه حقل تجارب، ربما كلهم هكذا، لكن ال تخ وال تع المنخفضي المستوى - الزهرين - يخضعون لاختبارات إضافية. لماذا؟ لأنهم أقل قيمة؟ يمكن الاستغناء عنهم بسهولة أكبر إذا ساءت الأمور؟ لم تكن هناك أي طريقة ليتأكد من ذلك، لكن لوك اعتقد أن هذا مرجح. ظنّ الأطباء أن اختبار البطاقات فشل. وهذا جيد. إنهم أشخاص أشرار، ولا شك أن إخفاء أسرار عن الأشخاص الأشرار أمر جيد، صح؟ لكن خطرت بباله فكرة أن للأضواء هدفاً آخر أبعد من تنمية مواهب الزهرين، لأن ال تخ وال تع الأقوى، مثل كاليشا وجورج، خضعوا لذلك الاختبار أيضاً. ماذا يمكن أن يكون ذلك الهدف الآخر؟

لم يعرف. يعرف فقط أن النقاط اختفت، وأن آيريس اختفت، وأن النقاط قد تعود لكن ليس آيريس. لقد رحلت آيريس إلى النصف الخلفي ولن نراها بعد اليوم.

18

كان هناك تسعة أولاد على الفطور في الصباح التالي، لكن مع رحيل آيريس، تكلموا قليلاً فقط ولم يضحك أحد. ولم يلق جورج آيلز أي نكتة. تناوّلت هيلين سيمز سجائر حلوى فقط، وتناوّلت هاري كروس جبل بيض مخفوق من البوفيه، وجرفها في فمه (إلى جانب لحم مقدّد وبطاطا مقلية) دون أن يرفع نظره عن طبقه، كما لو أنه يؤدي مهمة. لم تأكل الفتاتان الصغيرتان، غريتا وغيردا وبلكوكيس، شيئاً إلى أن ظهرت غلاديس، بابتسامتها المشرقة، وتملقت بضع لقمات فيهما. بدت التوأمان مبتهجتين من مجاملاتها، وحتى ضحكنا قليلاً. فكر لوك بأخذهما جانباً لاحقاً وإخبارهما ألا تثقا بتلك الابتسامة، لكن ذلك سيخيفهما، وما نفع ذلك؟

لقد أصبح ما نفع ذلك شعاراً آخر، وأدرك أن هذه طريقة تفكير سيئة، خطوة إضافية على مسار تقبل هذا المكان. لم يرغب أن يذهب إلى هناك، على الإطلاق، لكن المنطق منطوق. إذا كانت مجاملات ال غ الكبيرة تُفرح ال غ الصغيرتين، ربّ ضارة نافعة، لكن عندما تخيل تلك الفتاتين تختبران ميزان الحرارة الشرجي... والأضواء...

«ما بالك؟»، سأل نيكى. «تبدو كأنك عضضت ليمونة».

«لا شيء. أفكر بآيريس».

«لقد انتهى أمرها يا رجل».

نظرَ إليه لوك. «هذا غير لطيف».

هزَّ نيكى كتفيه. «الحقيقة غير لطيفة أغلب الأحيان. هل تريد أن نخرج ونلعب كرة السلة؟».

«لا».

«هيا. سأتساهل معك».

«لا شكرًا».

«جبان؟»، سأله نيكى من دون ضغينة.

هزَّ لوك رأسه. «هذا سيُحزنني فحسب. كنتُ ألعبها مع أبي». سمع كلمة كنتُ وكرهها كثيرًا.

«حسنًا، فهمتُ». نظرَ إلى لوك بتعبير بالكاد استطاع لوك تحمّله، خاصةً أنه قادم من نيكى ويلهولم. «اسمع يا رجل...»

«ماذا؟».

تنهَّد نيكى. «سأكون في الخارج إن غيّرت رأيك».

غادر لوك الكافيتيريا وراح يتجوّل في رواقها - رواق مجرد يوم آخر في النعيم - ثم في الرواق التالي، الذي يعتبره الآن رواق صانعة الثلج. لا أثر لمورين، لذا أكمل طريقه. مرَّ بجانب المزيد من المُلصقات الإعلانية التحفيزية والمزيد من العُرف، تسعة على كل جهة. كل الأبواب مفتوحة، وتُظهر أسرّة غير مرتّبة وجدران عارية من المُلصقات الإعلانية. هذا جعلها تبدو على حقيقتها: زنازين للأولاد. تجاوز ملحق المصعد وبقي يمرّ بجانب المزيد من العُرف. بدت له بعض الاستنتاجات محتومة. أحدها هو أنه في يوم من الأيام كان عدد «الضيوف» في المعهد أكثر بكثير. إلا إذا كان المسؤولون عن المعهد متفائلين أكثر مما ينبغي.

وصلَ لُوكُ في نهاية المطاف إلى غرفة استراحة أخرى، حيث رأى بُوَابًا يدعى فُرد يستخدم عجلة تلميع في دوائر كبيرة واهنة. توجد آلات وجبات خفيفة ومشروبات هنا، لكنها فارغة وغير موصولة بالكهرباء. لا يوجد ملعب خارجي، بل مجرد رقعة من الحصى، ومزيد من السياج المُشَبَّك خلفه بعض المقاعد (افتراضياً للموظفين الذين يريدون تمضية فترة استراحتهم في الخارج)، ومبنى الإدارة الأخضر المنخفض الذي يبُعد حوالي سبعين متراً. عربن السيدة سيفسبي، التي أخبرته أنه هنا لِيخدم.

«ماذا تفعل؟»، سأل البُوَاب فُرد.

«أتجوّل فحسب»، قال لُوك. «أتأمل المناظر».

«لا توجد مناظر. عُد من حيث أتيت. إلعب مع بقية الأولاد».

«ماذا لو كنتُ لا أريد ذلك؟». بدت جملته مثيرةً للشفقة وليست تحدياً، وتمنّى لُوك لم أنه أبقى فمه مغلقاً.

كان فُرد يضع جهازاً لاسلكياً على أحد وركيه وعصا صَعق على الورك الآخر. لمس العصا. «عُد. لن أكرّر هذا مرة أخرى».

«حسناً. أتمنى لك يوماً سعيداً يا فُرد».

«تباً ليومك السعيد». اشتغلت عجلة التلميع مرة أخرى.

انسحب لُوك متعجباً من السرعة التي تبددت بها كل افتراضاته المؤكدة دون أدنى شك عن الراشدين - أنهم لطفاء معك إن كنت لطيفاً معهم، على سبيل الذكر لا الحصر. حاول ألا ينظر إلى كل تلك العُرف الفارغة أثناء مروره بجانبها. كانت مُجفلة. كم عدد الأولاد الذين عاشوا فيها؟ ماذا حصل لهم عندما ذهبوا إلى النصف الخلفي؟ وأين هم الآن؟ في المنزل؟

«تباً لا»، همسَ وتمنّى لو أن أمه معه لتسمعه يستخدم هذه الكلمة وتؤبّه عليها. عدم وجود أبيه معه أمر سيئ. وعدم وجود أمه بدا مؤلماً مثل خلع ضرسٍ.

عندما وصلَ إلى رواقِ صانعة الثلج، رأى سلة داندوكس الخاصة بمورين مركونة خارج غرفة أيفيري. أطلَّ برأسه وابتسمت له بينما كانت تمسّد البطانية على سرير أقيستر. «هل كل شيء بخير يا لُوك؟».

سؤال غبي، لكنه عَرَفَ أن نيتها طيبة؛ كيف عَرَفَ ذلك بالضبط قد تكون له علاقة أو لا بعرض الأضواء البارحة. بدا وجه مورين شاحباً أكثر اليوم، والخطوط حول فمها أعمق. فكر لوك في سرّه، هذه المرأة ليست بخير.

«بالتأكيد. وماذا عنك؟».

«أنا بخير». كانت تكذب. لم يبذُ له هذا حدساً أو بصيرة؛ بل حقيقةً راسخةً. «ما عدا أن هذا الفتى - أيفيري - بلل سريره ليلة أمس». تنهّدت. «ليس الأول ولن يكون الأخير. لحسن الحظ أن البول لم يخترق الفراش. اعتن بنفسك الآن يا لوك. أتمنى لك يوماً سعيداً». قالت هذا وهي تنظر إليه مباشرة بعينين متفائلتين. ما عدا أن ما كان خلفهما هو الذي كان متفائلاً. فكر في سرّه مرة أخرى، لقد غيّرني. لا أعرف كيف ولا أعرف كم، لكن نعم، غيّرني. لقد أضيف شيءٌ جديدٌ. سرُّ أنه كذّب بشأن البطاقات. وسرُّ كثيراً أنهم صدّقوا كذبتّه. على الأقل في الوقت الحاضر.

تظاهر أنه يهّم بالمغادرة، ثم عاد. «أعتقد أنني سأحضر بعض الثلج. لقد صفعوني كثيراً البارحة، ووجهي يؤلمني».

«افعل ذلك يا بُنيّ. افعل ذلك».

مرة أخرى، كلمة بُنيّ أسعدته. جعلته يريد أن يتسم.

أخذ الدلو الذي كان لا يزال في غرفته، وأفرغ الماء الذائب في حوض الحمام، وأعادته إلى صانعة الثلج. وجد مورين هناك منحنيةً ومُسندةً مؤخرتها على جدار الطوب الخرساني وواضعةً يديها على ساقها نزولاً حتّى كاحلها تقريباً. أسرع لوك إليها، لكنها لوّحت له بأن يبقى بعيداً. «فقط أمطط ظهري. أفك التشجج».

فتح لوك باب صانعة الثلج وأمسك المغرفة. لا يمكنه أن يمرّر لها رسالة موجزة، مثلما مرّرت له كاليشا واحدةً، لأنه رغم أن لديه كمبيوتراً محمولاً، إلا أنه لا يملك ورقةً ولا قلماً. ولا حتى عقب قلمٍ. ربما هذا جيدٌ. فالرسائل الموجزة خطيرة هنا.

«ليئة فينك، في برلنغتون»، همسَ وهو يغرف الثلج. «رودلف دايفس، في مونبلييه. لكل واحد منهما خمسة نجوم في النسر القانوني. هذا موقعٌ للمستهلّكين. هل حفظت الإسمين؟».

«ليئة فينك، رودلف دايفس. بارك الله فيك يا لوك».

عَرَفَ لَوْكَ أَنْ عَلَيْهِ تَرَكَ الْأُمُورَ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ، لَكِنَّهُ كَانَ فَضُولِيًّا. لَطَالَمَا كَانَ فَضُولِيًّا. لِذَا بَدَلًا مِنَ الْإِبْتِعَادِ، ضَرَبَ الثَّلْجَ بِقُوَّةٍ كَمَا لَوْ أَنَّهُ يَرِيدُ كَسْرَهُ. لَمْ يَحْتِجِ الثَّلْجَ إِلَى أَيِّ كَسْرٍ، لَكِنَّهُ أَصْدَرَ صَوْتًا صَاحِبًا لَطِيفًا. «قَالَ آيْفِيرِي إِنْ الْمَالِ الَّذِي وَقَّرْتَهُ هُوَ لَوْلِدٍ. أَعْرِفُ أَنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِي -»

«الفتى ديكيسون الصغير قارئ أفكار، أليس كذلك؟ ولا شك أنه قارئ أفكار قوي، سواء بلل سريره أم لم يبلله. لا نقطة زهرية على استثمارته.»

«نعم، هو قارئ أفكار». تابع لوك يحرك بمغرفة الثلج.

«حسنًا، إنه محق. كان تبييًا عبر دار العبادة، مباشرة بعد ولادة إبنِي. أردت الاحتفاظ به، لكن الموقر وأمي أقنعاني عكس ذلك. الكلب الذي تزوجته لم يرغب بالإنجاب أبدًا، لذا كان الوحيد الذي تخلت عنه. هل يهملك هذا حقًا يا لوك؟»

«نعم». كان صادقًا، لكن التكلم لفترة طويلة قد يكون فكرة سيئة. ربما لا يمكنهم أن يسمعوا، لكن يمكنهم أن يروا.

«عندما بدأتُ أُصاب بآلام في الظهر، قررتُ أن عليّ أن أعرف ما الذي حلَّ به، وعرفتُ. تقول قوانين الولاية إنه لا يُفترض بهم كشف إلى أين ذهب الأطفال، لكن دار العبادة تحتفظ بسجلات تبني تعود إلى عام 1950، وحصلتُ على كلمة مرور الكمبيوتر. يُبقِيها الموقر تحت لوحة المفاتيح في بيته. فتاي يبعد مسافة بلديتين فقط عن المكان الذي أعيش فيه في فيرمونت. في السنة المدرسية الأخيرة. يريد دخول الكلية. اكتشفتُ ذلك أيضًا. يريد إبنِي الذهاب إلى الكلية. هذا هو الغرض من المال، وليس لتسديد فواتير ذلك الكلب القذر.»

مسحت عينيها بكُمها، وفعلت ذلك بحركة سريعة ومستترة تقريبًا.

أغلق صندوق الثلج وقوم ظهره. «اعتني بظهرك يا مورين.»

«سأفعل.»

لكن ماذا لو كان سرطانًا؟ هذا ما تظنه، يعرف ذلك.

لمست كتفه عندما استدار وانحنت لتقترب منه. كان نَفْسها سيئًا. كان نَفْس شخص مريض. «لا داعي لأن يعرف فتاي أبدًا من أين جاء المال. لكن يجب أن يحصل عليه. ولوك؟ افعل ما يقولونه لك، الآن. كل شيء يقولونه لك». ترددت. «وإذا أردت أن تتكلم مع أي شخص عن أي شيء... افعل ذلك هنا.»

«اعتقدت أن هناك أماكن أخرى حيث -»

«افعل ذلك هنا»، كتررت ودرجت سلتها في الاتجاه الذي جاءت منه.

19

عندما عاد إلى الملعب، تفاعاً لوك من رؤية نيكي يلعب كرة السلة مع هاري كروس. كانا يضحكان ويصدمان بعضهما البعض كما لو أنهما صديقان منذ السنة المدرسية الأولى. كانت هيلين تجلس إلى طاولة النزهة، وتلعب لعبة الحرب بمجموعتي أوراق لعب مع آيفيري. جلس لوك بجانبها وسأل من الذي يربح.

«من الصعب تحديد ذلك»، قالت هيلين. «هزمني آيفيري في المرة الأخيرة، لكن هذه الجولة محتمة».

«تعتقد أنها لعبة مُضجرة جداً، لكنها تحاول أن تكون لطيفة معي»، قال آيفيري. «أليس هذا صحيحاً يا هيلين؟».

«بالفعل يا كرسكين الصغير، بالفعل. وبعد هذا، سننتقل إلى لعبة اصفع الشب. لن تعجبك تلك اللعبة لأنني أصفع بقوة».

نظر لوك حوله، وشعر بقلق مفاجئ. فقد أزهّر سرب نقاط شبيحة أمام عينيه، ثم اختفت. «أين كاليشا؟ لم -»

«لا، لا، لم يأخذوها إلى أي مكان. إنها تأخذ دُشاً فحسب».

«تروق للوك»، أعلن آيفيري. «تروق له كثيراً».

«آيفيري؟».

«ماذا يا هيلين؟».

«من الأفضل عدم مناقشة بعض الأشياء».

«لماذا؟».

«لأن الياء حرف معقوف ولا يمكن جعله مستقيماً». أشاحت بنظرها فجأة ومترت يدها في شعرها ذي اللونين، ربما لتخفي فيها المرتعش. إذا كان الأمر كذلك فإنه لم ينجح.

«هل من سوء؟»، سأل لوك.

«لماذا لا تسأل كرسكين الصغير فحسب؟ فهو يرى كل شيء ويعرف كل شيء».

«أقجم ميزان حرارة في مؤخرتها»، قال آيفيري.
«آه»، قال لوك.

«صح»، قالت هيلين. «كم هذا مهين».
«يحطّ من قدر الإنسان»، قال لوك.

«لكنه مُفْرِح وشهي أيضاً»، قالت هيلين ثم راحا يضحكان. ضحكت هيلين بعينين مغرورقتين، لكن الضحك ضحك، والقدرة على فعله هنا كنزٌ ثمينٌ.

«لم أفهم»، قال آيفيري. «كيف يمكن أن يكون إقحام ميزان حرارة في مؤخرتك أمراً مُفْرِحاً وشهياً؟».

«إنه شهى إذا لعفته عندما يخرج»، قال لوك وانفجر ثلاثتهم في ضحكٍ صاخب.

راحت هيلين تخبط الطاولة مما جعل أوراق اللعب تتطاير. «آه إنني أبول على نفسي، هذا مُقرف، لا تنظرا!». ثم بدأت تركض، وكادت تُوقع جورج أرضاً عندما خرج وهو يأكل كوب زبدة فول سوداني.

«ما بالها؟»، سأل جورج.

«بولت على نفسها»، قال آيفيري بنبرة واقعية. «لقد بولت في سريري ليلة أمس، لذا أفهم حالتها».

«شكراً لمشاركتك هذه المعلومة»، قال لوك مبتسماً. «اذهب والعب كرة السلة مع نيكي والولد الجديد».

«هل أنت مجنون؟ إنهما ضخمان جداً، وهاري أوقعني مرةً من قبل».

«اذهب إذاً واقفز على الترامبولين».

«لقد سئمتُ منها».

«اذهب واقفز عليها في جميع الأحوال. أريد التكلم مع جورج».

«عن الأضواء؟ أي أضواء؟».

يا للولد اللعين، فكّر لوك في سرّه. «اذهب واقفز يا أفيستر. أرني بعضاً من لقاتك إلى الأمام».

«وحاول ألا تكسر عنقك»، قال جورج. «لكن إذا كسرته فسأعطي أنت جميل جداً في جنازتك».

حملك آيفيري بجورج للحظة أو لحظتين، ثم قال، «لكنك تكره هذه الأغنية».

«نعم»، قال جورج. «نعم، أكرهها. ما قلته يسمي تهكماً، أو سخريةً ربما. أنا أخلط دائماً بين هذين الأمرين. هيا اذهب الآن. ضع بيضةً في حذائك واحققها».

راقباه يمشي بتناقل إلى الترامبولين.

«هذا الولد في العاشرة ولولا الإدراك فوق الحسي لقلت إنه يتصرف كما لو أنه في السادسة»، قال جورج. «أه كم أن هذا لعين».

«لعينٌ جداً. كم عمرك يا جورج؟».

«ثلاثة عشرة»، قال جورج بنبرة متجهمة. «لكنني أشعر هذه الأيام أن عمري مئة سنة. اسمع يا لوك، يقولون إن أهلنا بخير. هل تصدّق ذلك؟».

إنه سؤال حسّاس. أخيراً قال لوك، «ليس... تماماً».

«إذا كان بإمكانك أن تعرف بشكل مؤكّد، هل ستفعل ذلك؟».

«لا أعرف».

«ليس أنا»، قال جورج. «على عاتقي ما يكفي من مسؤوليات من قبل. ومعرفة أنهما... فهمت قصدي... ستحطمني. لكنني أتساءل باستمرار. طوال الوقت».

يمكنني أن أعرف لك، فكّر لوك في سرّه. يمكنني أن أعرف لكلينا. كاد يميل إلى الأمام ويهمس ذلك في أذن جورج. ثم تذكر قول جورج إن على

عاتقه ما يكفي من مسؤوليات من قبل. «اسمع، مسألة العينين تلك - هل خضعت لها؟».

«بالتأكيد. الجميع خضعوا لها. تماماً مثلما اختبر الجميع ميزان الحرارة في المؤخرة، ومخططة الموجات الدماغية وتخطيط كهربائية القلب والتصوير بالرنين المغنطيسي وفحوص الدم واختبارات ردّ الفعل اللاإرادي وكل الأشياء المدهشة الأخرى التي يمكن أن تخطر ببالك يا لوكي».

فكّر لوك بأن يسأل جورج إن رأى النقاط بعد إطفاء المسلاط وقرّر عدم سؤاله ذلك. «هل أصبت بنوبة؟ لأنني أصبتُ بواحدة».

«لا. أجلسوني إلى طاولة، والطبيب الحقير ذو الشارب قام ببعض الخدع بواسطة بطاقات».

«تقصد أنه سألك ماذا يوجد عليها».

«نعم، هذا ما قصدته. ظننتُ أنها بطاقات راين، لا شك بذلك. لقد خضعتُ لذلك الاختبار قبل سنتين من وجودي في هذا الجحيم الفاتن. حصل ذلك بعد أن اكتشفت والداي أنه يمكنني حقاً تحريك الأشياء أحياناً إذا نظرتُ إليها. وعندما قرّرا أنني لم أكن أتظاهر بذلك لكي أخيفهما، أو لأخدعهما بإحدى نكاتي الصغيرة، أرادا معرفة ماذا يجري معي غير ذلك، لذا أخذاني إلى برينستون، حيث يوجد شيء يدعى مختبر الشواذات. أو كان موجوداً. أعتقد أنهم أغلقوه».

«الشواذات... هل أنت جدّي؟».

«نعم. أظنه يبدو علمياً أكثر من مختبر النفسانيات. كان في الواقع جزءاً من قسم الهندسة في برينستون، إذا كنت تستطيع تصديق ذلك. عرض طالباً دراسات عليا بطاقات الراين عليّ، لكنني نلتُ صفراً مكعباً. لم أتمكن حتى من تحريك الأشياء في ذلك اليوم. أحياناً يكون الوضع هكذا بكل بساطة». هزّ كتفيه. «ظنّاً على الأرجح أنني دجال، ولم أكرث لذلك. أقصد، في يوم جيّد، يمكنني أن أطرح كومة مكعبات أرضاً بمجرد التفكير بها، لكن ذلك لن يجعلني أجذب الفتيات أبداً. ألا توافق؟».

واقّق لوك بما أن أكبر خدعة لديه هي إسقاط صينية بيتزا عن طاولة المطعم دون لمسها. «لذا هل صفعوك؟».

«صفعة واحدة، وكانت مؤلمة حقاً»، قال جورج. «تلقيتها لأنني حاولت إلقاء نكتة. تلك السافلة التي تدعى پريسلا هي التي صفعتني».

«لقد التقيتها. إنها سافلة فعلاً».

هذه كلمة تكرها أمه حتى أكثر من تباً، واستخدامها جعل لوك يشعر بالشوق إليها من جديد.

«ولم تعرف ماذا يوجد على البطاقات».

نظر إليه جورج نظرة غريبة. «أنا تع ولسك تخ. مثلك. كيف يمكنني أن أعرف؟».

«أظن أنه لا يمكنك».

«بما أنني خضعتُ لاختبار بطاقات الراين في پرينستون فقد خمنتُ أنها تحتوي على علامة جمع، ثم نجمة، ثم خطوط متعرجة. طلبت مني پريسلا أن أتوقف عن الكذب، لذا عندما نظرتُ إيفانز إلى البطاقة التالية، أخبرته أنها صورة ثديي پريسلا. عندها صفعتني. ثم تركوني أعود إلى غرفتي. في الحقيقة، لم يبدو مهتمين كثيراً. بل بدوا كما لو أنهم يضعون النقاط على الحروف».

«ربما لم يتوقعوا أي شيء حقاً»، قال لوك. «ربما كنت مجرد حقل تجارب للمقارنة».

ضحك جورج. «يا رجل، لا يمكنني التحكم بأي شيء على الإطلاق هنا. عما تتكلم؟».

«لا شيء. لا تهتم. هل عادت؟ أقصد الأضواء؟ تلك النقاط الملوثة؟».

«لا». بدا جورج فضولياً الآن. «هل عادت معك؟».

«لا». سُرَّ لوك فجأة أن آيفيري ليس معهما، وأمل أن يكون هوائي دماغ الولد قصير المدى. «ما عدا... أنني أصبتُ بنوبة... أو ظننتُ ذلك... وكنتُ خائفاً أنها قد تعود».

«لا أفهم الغاية من هذا المكان»، قال جورج بنبرة متجهمة أكثر من أي وقت مضى. «يكاد يكون من المؤكد أنه منشأة حكومية، لكن... أمي اشترت كتاباً عنوانه القصص النفسانية والخدع قبل مدة قصيرة من أخذي إلى پرينستون. قرأته عندما انتهت منه. فيه فصل عن تجارب حكومية عن الأمور

التي يمكننا أن نفعلها. أجرت وكالة الاستخبارات المركزية بعض التجارب في خمسينات القرن العشرين على التخاطر، والتحرك العقلي، والاستبصار، وحتى الطفو والانتقال بالتخاطر. واستُخدمت عقاقير مهلوسة. حصلوا على بعض النتائج، لكن لا شيء يُذكر». مال إلى الأمام وركز عينيه الزرقاوين على عيني لوك الخضراوين. «وهذا ما نحن عليه يا رجل - لا شيء يُذكر. هل يُفترض بنا أن نحقق سيطرة الولايات المتحدة على العالم عبر تحريك صناديق رقائق بسكويت مملح - وفقط إن كانت فارغة - أو قلب صفحات كتاب؟».

«يمكنهم إرسال آيفيري إلى روسيا»، قال لوك. «يمكنه إخبارهم ماذا تناول بوتين على الفطور، وإن كان يرتدي شورت ملاكم أو كلسونا».

هذا جعل جورج يبتسم.

«بشأن أهالينا -»، بدأ لوك يقول، لكن عندها خرجت كاليشا تركض وهي تسأل من يريد أن يلعب كرة المراوغة.

تبيّن أن جميعهم أرادوا ذلك.

20

لم يخضع لوك لأي اختبارات في ذلك اليوم، ما عدا اختبار شجاعته الشخصية، وقد رسب فيه مرة أخرى. فقد ذهب مرتين أخريين إلى موقع ستار تريبيون، وتراجع مرتين أخريين، رغم أنه اختلس النظر إلى الرأسية في المرة الثانية، وكانت تتكلم عن شاب دهن مجموعة أشخاص بشاحنته ليرهن كم هو متخشع. هذا شيء فظيع، لكنه على الأقل شيء يجري خارج المعهد. العالم الخارجي لا يزال موجوداً، وشيء واحد على الأقل تغير هنا: شاشة ترحيب الكمبيوتر المحمول تُظهر إسمه الآن بدلاً من إسم الراحلة دونا.

سيكون عليه البحث عن معلومات عن والديه عاجلاً أم آجلاً. يعرف ذلك، وفهم الآن تماماً معنى ذلك القول القديم عن أن كل الأخبار ليست أخباراً جيدة.

أعيد في اليوم التالي إلى الطابق ج، حيث أخذ فتى يدعى كارلوس ثلاث أمبولات دم، وحقنه حقنة (لا ردة فعل)، ثم جعله يدخل حُجيرة مرحاض وبيول في كوب. بعد ذلك، رافقه كارلوس وممرضة متجهمة الوجه تدعى وايوناه إلى الطابق د. وايوناه مشهورة أنها أحد الحقيرين، ولم يقم لوك بأي

محاولة ليتكلم معها. أخذناه إلى غرفة كبيرة تحتوي على أنبوب تصوير بالرنين المغنطيسي لا شك أنه كلفهم ثروة.

يكاد يكون من المؤكّد أنه منشأة حكومية، قال جورج. إذا كان الأمر كذلك، ماذا سيقول المواطنون العاديون عن طريقة إنفاق أموال ضرائبهم؟ خمن لوك أنه في دولةٍ يعترض فيها الناس على الأخ الأكبر حتى ولو فرض عليهم مطلبٌ تافهٌ مثل الاضطرار إلى ارتداء خوذة عند قيادة دراجة نارية أو الحصول على ترخيص لحمل سلاح مخبأ، سيكون الجواب «ليس الكثير».

كان هناك فتى جديد ينتظرهم، لكن قبل أن يتمكن وكارلوس من إدخال لوك في الأنبوب، دخل الطبيب إيفانز مندفعاً وأمسك لوك قرب موقع أحدث حقنة تلقاها، وأعلن أنه «سليم». مهما يكن معنى ذلك. ثم سأل لوك إن أصيب بأي نوبات أخرى أو فقد وعيه.

«لا».

«ماذا بشأن الأضواء الملونة؟ هل عادت؟ ربما أثناء ممارسة الرياضة، ربما أثناء النظر إلى كمبيوترك المحمول، ربما أثناء إجهاد نفسك أثناء التبرّز؟ هذا يعني -»

«أعرف ماذا يعني. لا».

«لا تكذب عليّ يا لوك».

«لا أكذب». تساءل إن كان جهاز التصوير بالرنين المغنطيسي سيكتشف أي تغيير في نشاط دماغه ويبرهن أنه يكذب.

«حسناً، جيد». ليس جيداً، فكّر لوك في سرّه. لقد خاب أملك. وهذا يُسعدني.

خرّبش إيفانز شيئاً على لوحه المشبكي. «أكملوا أيها السيدة والسادة، أكملوا!». وثم خرج مندفعاً مرة أخرى، مثل أرنب أبيض تأخر عن موعد مهم جداً.

فتى التصوير بالرنين المغنطيسي - دايف، قالت بطاقة إسمه - سأل لوك إذا كان يعاني من زهاب الأماكن الضيقة. «على الأرجح تعرف معنى هذا أيضاً».

«لا أعاني منه»، قال لوك. «الشيء الوحيد الذي لديّ رُهاب منه هو أن أُسَجَن».

دايف شخص ذو مظهر جدّي، في منتصف عمره، يرتدي نظارات، وأصلع تقريباً. بدا كأنه محاسب. بالطبع، وهكذا بدا أدولف أيخمان. «فقط إن كنت... مُصاباً برُهاب الأماكن الضيقة، أعني... يمكنني إعطاءك حبة فاليوم. هذا مسموح».

«لا بأس».

«يجب أن تأخذ واحدةً، على أي حال»، قال كارلوس. «ستبقى هناك لوقت طويل، تدخل وتخرج، والحبة ستجعل العملية لطيفة أكثر. وقد تنام حتى، رغم أن الصوت صاحب جداً. طرطقة وقرقعة، مثلما تعرف».

عرّف لوك ذلك. لم يدخل في الواقع إلى أنبوب تصوير بالرنين المغنطيسي من قبل، لكنه شاهد الكثير من برامج الأطباء. «لا داعي».

لكن بعد الغداء (الذي أحضرته غلاديس)، أخذ حبة الفاليوم، بدافع الحشرية جزئياً، وبدافع الضجر في الأغلب. لقد خضع لثلاث جلسات في أنبوب التصوير بالرنين المغنطيسي، ووفقاً لدايف، لا تزال لديه ثلاث جلسات أخرى. لم يتكبّد لوك عناء سؤال لماذا يختبرونه، أو عما يبحثون، أو ماذا يأملون أن يجدوا. سيكون الجواب أحد أصناف هذا ليس من شأنك. لم يكن متأكداً أنهم يعرفون أنفسهم.

أعطته حبة الفاليوم شعوراً حالمًا عائماً، وخلال الجلسة الأخيرة في الأنبوب، غفا قليلاً رغم الطرطقة الصاخبة التي تُحدثها الآلة عندما تلتقط صورها. حين ظهرت وايونا لتعيده إلى طابق المساكن، كان مفعول الفاليوم قد زال وشعر فقط أنه ثمل.

مدّت يدها إلى جيبها وأخرجت حفنة فيّش. عندما سلّمته إياها، سقطت واحدة على الأرض وتدحرجت.

«ارفعها يا صاحب الأصابع الرخوة».

رَفَعَهَا.

«كان يومك طويلاً»، قالت وابتسمت فعلاً. «لما لا تذهب وتشرب شيئاً؟ تمدّد واسترخ قليلاً. أنصحك بكريما بريستول هارفيز».

إنها في منتصف عمرها، أي أنها كبيرة كفاية ليكون لديها ولد في سرِّ لوك. وربما ولدان. هل كانت لتقدِّم لهما نفس النصيحة؟ آه، كان يومك شاقاً في المدرسة، لما لا تتمدّد وتسترخي قليلاً وتتناول كوب شراب عنب قبل أن تبدأ بواجباتك المدرسية؟ فكر أن يقول لها ذلك، فأسوأ ما يمكنها أن تفعله هو صفعه على الأرجح، لكن...

«ما نفع ذلك؟».

«ماذا؟»، قالت عابسةً. «ما نفع ماذا؟».

«أي شيء»، قال. «أي شيء على الإطلاق يا ويني». لم يُرد كريما بريستول هارفيز، أو الشاي المفتول، أو حتى فِيزة الغروناش، وهذا إسمُ ربما كان جون كيتس يفكر فيه عندما قال إن شيئاً يُعتبر «عاطفياً مثل ذلك القمر المُنَّجَّه غرباً في شريط الليل المتضائل».

«عليك الانتباه للسانك الذكي يا لوك».

«سأعمل على ذلك».

وَصَع الفَيْش في جيبه. كانت تسعة. سيعطي آيفيري ثلاثة، وثلاثة لكل واحدة من توأمي ويلكوكس. هذا كافٍ لوجبات خفيفة، لكن غير كافٍ لأي أمر من الأمور الأخرى. كل ما أراده لنفسه في هذه اللحظة هو مقدار كبيرة من الكربوهيدرات والبروتين. لا يهّمه ماذا يوجد على قائمة عشاء هذه الليلة طالما أنه يوجد الكثير منه.

21

في الصباح التالي، أعاده جو وهُدَاد إلى الطابق ج، حيث طُلِب منه أن يشرب محلول باريوم. وَوَقَّف طوني قربه حاملاً عصا صَعَّقه، جاهزاً ليعطيه صدمةً كهربائيةً إذا أبدى لوك أي اعتراض. بعدما بلعه حتى آخر نقطة، قِيد إلى حُجيرة بحجم كشك حَمَام في استراحة على الطريق الرئيسي وِصُور بالأشعة السينية. سار ذلك الجزء بخير، لكن عندما خرج من الحُجيرة، أصيب بتشجج عضلي وانحنى.

«لا تتقيأ على هذه الأرضية»، قال طوني. «إذا كنت ستفعل ذلك، استخدم المغسلة في الزاوية».

فاتِ الأوان. خرجَ فطور لوك نصف المهضوم في هريس من الباريوم.

«تَباً. ستمسح هذا الآن، وعندما تنتهي، أريد أن تكون الأرضية نظيفة جداً بحيث يمكنني أن أكل ما يسقط عليها».

«سأفعل هذا بنفسِي»، قال هَدَاد.

«تَباً لك إن فعلت ذلك». لم ينظر إليه طوني أو يرفع صوته، لكن هَدَاد جفل في جميع الأحوال. «يمكنك إحضار الممسحة والدلو. الباقي مسؤولية لُوك».

أحصَرَ هَدَاد عِدَّة التنظيف. تمكَّن لُوك من ملء الدلو في المغسلة في زاوية الغرفة، لكن تشبُّجات المعدة لم تبارحه، وكانت ذراعاه ترتعشان بقوة بحيث لن يتمكن من إنزاله مرة أخرى دون أن يسكب الماء والصابون في كل مكان. فعَلَ جو ذلك عنه وهمسَ في أذنه، «تشجّع يا فتى».

«فقط أعطه الممسحة»، قال طوني، وفهم لُوك - بالطريقة الجديدة التي أصبح يفهم بها الأمور - أن طوني العجوز يستمتع بذلك.

مسحَ لُوك وشطفَ. فحصَ طوني عمله، وأعلن أنه غير مقبول، وأمره أن يعيد التنظيف من جديد. خفَّت حدَّة التشبُّجات، واستطاع أن يرفع الدلو ويخفضه بنفسه هذه المرة. كان هَدَاد وجو جالسَيْن يناقشان فرص فريقَي اليانكيز وبادريس سان دييغو، اللذين يبدوان أنهما فريقاهما المفضَّلان. في طريق العودة إلى المصعد، ربَّت له هَدَاد على ظهره وقال، «أحسنت يا لُوك. ألدك بعض الفَيْش له يا جوي؟ لقد نفدت مني».

أعطاه جو أربع فَيْش.

«لما هذه الاختبارات؟»، سأل لُوك.

«أشياء كثيرة»، قال هَدَاد. «لا تقلق بشأنها».

هذه على الأرجح، فكَّر لُوك في سرِّه، أغبى نصيحة تلقاها في حياته. «هل سأخرج من هنا يوماً ما؟».

«بالتأكيد»، قال جو. «لكنك لن تتذكَّر شيئاً عنه».

كان يكذب. مرة أخرى، لم تكن هذه قراءة أفكار، على الأقل حسبما تخيَّلها لُوك دائماً - حيث يسمع الكلمات في ذهنه (أو يراها مثل الشريط الإخباري في أسفل شاشة التلفزيون)؛ كانت مجرد معرفة، لا يمكن إنكارها مثل الجاذبية أو لاعقلانية الجذر التربيعي للرقم اثنين.

«كم عدد الاختبارات المتبقية لي؟».

«آه، سُنْبِقِك مشغولاً»، قال جو.

«فقط لا تتقياً على أرضيةٍ يحتاج طوني فيزالي إلى السير عليها»، قال هَدَاد وضِحِك من صميم قلبه.

22

وَجَدَ لُوكَ مَدْبِرَةَ مَنْزِلٍ جَدِيدَةٍ تَنْظَّفُ أَرْضِيَةَ غَرْفَتِهِ بِالمَكْنَسَةِ الكَهْرَبَائِيَةِ عِنْدَمَا وَصَلَ إِلَيْهَا. هَذِهِ الْمَرْأَةُ - جُولِين، وَفَقاً لِبَطَاقَةِ إِسْمِهَا - مَكْتَنَزَةٌ وَفِي الْعِشْرِينَاتِ مِنْ عَمْرُهَا.

«أَيْنَ مَورِين؟»، سَأَلَ لُوكَ رَغْمَ أَنَّهُ يَعْرِفُ الْجَوَابَ جَيِّدًا. فَهَذَا هُوَ أَسْبُوعُ إِجَازَةِ مَورِين، وَعِنْدَمَا تَعُودُ، قَدْ لَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَى جِزْئِهِ فِي الْمَعْهَدِ، عَلَى الْأَقْلِ لِفَتْرَةٍ غَيْرِ قَصِيرَةٍ. أَمَلَّ أَنَّهَا فِي فِيرْمُونْتِ تَحَلُّ هُرَاءَ زَوْجِهَا الْهَارِبِ، لَكِنَّهُ سَيَفْتَقِدُهَا... رَغْمَ أَنَّهُ افْتَرَضَ أَنَّهُ قَدْ يَرَاهَا فِي النِّصْفِ الْخَلْفِيِّ عِنْدَمَا يَحِينُ وَقْتُ ذَهَابِهِ إِلَى هُنَاكَ.

«ذَهَبْتَ مَورِين-مَورِين لِمَ تَمْتَلِّ فِيلْمًا مَعَ جُونِي دَبِّ؟»، قَالَتْ جُولِين. «أَحَدُ أَفْلَامِ الْقِرَاصِنَةِ الَّتِي يَحِبُّهَا كُلُّ الْأَوْلَادِ مِثْلِكَ. تُوَدِّي دُورَ حَامِلِ رَايَةِ الْقِرَاصِنَةِ». ضَحِكْتَ ثَمَّ قَالَتْ، «لَمَّا لَا تَخْرُجُ مِنْ هُنَا إِلَى أَنْ تُنْتَهِيَ؟».

«لَأَنَّي أُرِيدُ إِلَى اسْتَلْقِي. لَا أَشْعُرُ أَنِّي بِخَيْرٍ».

«آه، لا-لا-لا»، قَالَتْ جُولِين. «أَنْتُمْ أَوْلَادٌ مَدَلَّلُونَ جَدًّا. لَدَيْكُمْ مَن يَنْظِّفُ غَرْفَكُمْ وَيَطْبَخُ وَجِبَاتِ طَعَامِكُمْ، وَلَدَيْكُمْ تَلْفِزِيُونَاتٌ خَاصَةٌ بِكُمْ... هَلْ تَعْتَقِدُ أَنَّكَ كَانَتْ لَدَيْكَ تَلْفِزِيُونٌ فِي غَرْفَتِي عِنْدَمَا كُنْتُ طِفْلَةً؟ أَوْ حَمَّامِي الْخَاصِّ؟ عِنْدِي ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ وَأَخَوَانٍ وَكُنَّا نَتَحَارَبُ مِنْ أَجْلِ دُخُولِهِ».

«تُجَبَّرُ أَيْضًا عَلَى شُرْبِ مَحْلُولِ بَارِيَوْمٍ ثَمَّ نَتَقِيَاهُ. هَلْ تَعْتَقِدِينَ أَنَّكَ سَتُودِّينَ تَجْرِبَةً بَعْضٍ مِنْهُ؟».

أَنَا أَتَصَرَّفُ مِثْلَ نِيكِي أَكْثَرَ فَاكْثَرَ كُلِّ يَوْمٍ، فَكَّرْتُ لُوكَ فِي سِرِّهِ، وَمَا الْعَيْبُ فِي ذَلِكَ؟ مِنَ الْجَيِّدِ أَنْ يَكُونَ لَدَى الْمَرْءِ قُدُواتٌ إِجَابِيَّةٌ.

اسْتَدَارَتْ جُولِينُ إِلَيْهِ وَلَوَّحَتْ بِعَصَا الْمَكْنَسَةِ الكَهْرَبَائِيَةِ مَهْدَدَةً. «هَلْ تُرِيدُ أَنْ تَخْتَبِرَ شَعُورَ أَنْ تُضْرَبَ بِهَذَا عَلَى رَأْسِكَ؟».

خَرَجَ لُوكٌ. رَاحَ يَسِيرُ ببطءٍ في أروقة العُرفِ، وتوقف مرتين ليتكئ على الجدار عندما أصابته التشنجات. على الأقل بدأ عددها وحدتها يخفان. فُقبل وصوله إلى غرفة الاستراحة المهجورة التي تطل على مبنى الإدارة، دَخَلَ إحدى العُرفِ الفارغة، وتمدد على الفراش، ونام. استيقظ لأول مرة وهو لا يتوقع رؤية منزل رولف دستن خارج نافذة غرفة نومه.

برأي لوك، هذه خطوة في الاتجاه الخطأ تماماً.

23

حُخن في الصباح التالي، ثم تم وصله بجهاز لمراقبة القلب وضغط الدم، وطلب منه أن يركض على جهاز مشي تحت إشراف كارلوس ودايف. سرَّعا جهاز المشي إلى أن بدأ يلهث وأصبح في خطر السقوط عنه. كانت القراءات تُعرض على اللوحة الصغيرة للجهاز، وقبل أن يُبطئ كارلوس السرعة، رأى لوك أن معدل نبضاته بالدقيقة بلغ 170.

بينما كان يرشف كوب عصير برتقال ويلتقط أنفاسه، دَخَلَ رجل أصلع ضخم واتكأ على الجدار شابكاً ذراعيه. كان يرتدي بذلة بنية بدت غالية الثمن وقميصاً أبيض من دون ريبطة عنق. راحت عيناه الداكنتان تتفحصان لوك، من أعلى وجهه الأحمر والمبلل بالعرق نزولاً إلى حذائه الرياضي الجديد. قال، «قيل لي إنك تُظهر دلالات تأقلم بطيء أيها الشاب. ربما لنيك ويلهولم علاقة بهذا. إنه ليس شخصاً يجب أن تضاهيه. تعرف معنى هذه الكلمة، أليس كذلك؟ تضاهيه؟».

«نعم».

«إنه وقح وبغيض للرجال والنساء الذين يحاولون فقط تأدية وظيفتهم».

لم يقل لوك شيئاً. هذا أمن دائماً.

«لا تدع سلوكه يعديك، هذه نصيحتي لك. نصيحتي الشديدة. وابق تفاعلاتك مع موظفي الخدمة عند الحد الأدنى».

جفل لوك من ذلك، ثم أدرك أن الرجل الأصلع لم يكن يقصد مورين بل فَرَدَّ البواب. عَرَفَ لوك هذا جيداً، رغم أنه تكلم مع فَرَدَ لمرة واحدة فقط وتكلم مع مورين عدة مرات.

«ابق أيضاً بعيداً عن غرفة الاستراحة الغربية والعُرف الفارغة. إذا كنتَ تريد أن تنام، افعل ذلك في غرفتك. اجعل إقامتك هنا لطيفة قدر الإمكان».

«ليس هناك أي شيء لطيف في هذا المكان»، قال لوك.

«أنتَ حرٌّ في رأيك»، قال الرجل الأضلع. «مثلما أنا متأكد أنك سمعت، لكل شخص رأيه. لكنني أعتقد أنك ذكي كفاية لتعرف أن هناك فرقاً كبيراً بين لا شيء لطيف وبين شيء بغيض. تذكر هذا».

خرج.

«مَن كان هذا؟»، سأل لوك.

«ستاكهاوس»، قال كارلوس. «ضابط أمن المعهد. تريد أن تتجنبَّ وجهه السيئ».

اقترب منه دايف حاملاً إبرةً. «أحتاج إلى أخذ بعض الدم الإضافي. لن يستغرق هذا دقيقةً. لا تقلق بشأن هذا يا حلو، اتفقنا؟».

24

بعد جهاز المشي وأحدث عملية سحب للدم، مرَّ يومان من دون اختبارات، على الأقل بالنسبة للوك. تلقى حقتين - إحداهما جعلت ذراعه بأكملها تحكّه بشراسة لساعة - لكن هذا كل شيء. بدأت توأما ويلكوكس تتأقلمان، خاصة بعد أن صادقهما هاري كروس. كان تع، وتبجح أنه يمكنه تحريك الكثير من الأمور، لكن آيفيري قال إن هذا محض هُراء. «لديه حتى أقل منك يا لوك».

قَلب لوك عينيه. «لا تكن ديبلوماسياً جداً يا آيفيري، سُنْجهد نفسك».

«ما معنى ديبلوماسياً؟».

«أنفق فيشةً وابحث عنها على كمبيوترك».

«آسف يا دايف، لا يمكنني فعل ذلك»، قال آيفيري في تقليدٍ جيدٍ بشكل مدهش لصوت هال 9000 الشرير بلطف، وبدأ يقهقه.

لا يمكن إنكار أن معاملة هاري لغريتا وغيردا كانت جيدة. فكلما يراهما، ترتسم ابتسامة بلهاء كبيرة على وجهه. ثم يقرفص ويفتح ذراعيه، وتركضان إليه.

«لا تظن أنه يعبت معهما، أليس كذلك؟»، سأل نيكي في صباح أحد الأيام في الملعب وهو ينظر إلى هاري يراقب التوأمين على الترامبولين.

«هذا مُقْرِفٌ»، قالت هيلين. «لا شك أنك شاهدت الكثير من الأفلام النسائية.»

«لا»، قال آيفيري وهو يأكل بوظة بالشوكولا رسمت له شيارياً بئياً. «لا يريد أن...». وَصَعَ يديه الصغيرتين على مؤخرته ودفعَ وركبِهِ. ففكر لوك وهو يراقب هذا أنه مثال جيد عن مدى سوء التخاطر. يجعلك تعرف أموراً كثيرة، وفي توقيت مُبكر جداً.

«مُقْرِفٌ»، قالت هيلين مرة أخرى وغطت عينيها. «لا تجعلني أتمنى لو كنتُ عمياءَ يا أفسُتر.»

«لديه كلاب»، قال آيفيري. «في المنزل. هاتان الفتاتان... هناك كلمة لذلك.»

«بديلتان عنها»، قال لوك.

«صح، صح.»

«لا أعرف كيف كان هاري مع كلابه»، قال نيكي للوك عند الغداء في وقت لاحق من ذلك اليوم، «لكن هاتين الفتاتين الصغيرتين تسيّرانه إلى حد ما. كما لو أن أحداً أعطاهما دميةً جديدةً. دمية ذات شعر أحمر وبطن كبير. انظر إلى هذا.»

كانت التوأمان تجلسان على جهتي هاري وتُعطمانه لقمات من رغيف اللحم في طبقهما.

«أعتقد أن هذا لطيفٌ»، قالت كاليشا.

ابتسم لها نيكي - تلك الابتسامة التي تُضيء كل وجهه (الذي تضمّن اليوم عيناً سوداءً أهدها إياها أحد الموظفين).

ابتسمت له بدورها، وشَعَرَ لُوكُ بوخزة غيرة. شعور غبي جداً، بناءً للظروف... ومع ذلك شَعَرَ به.

25

في اليوم التالي، رافقت پريسلا وهداد لُوكُ إلى الطابق ه الذي لم يزره سابقاً. عُلق له مصلٌ قالت پريسلا إنه سيرجيه قليلاً. لكن ما فعله هو إشعاره بالبرد. عندما استيقظ، عارياً ويرتعش، وجد أنه تم تضميد بطنه ورجله اليمنى وجهته اليمنى. كانت طبيبةٌ أخرى - ريتشاردسون، وفقاً لبطاقة الاسم على معطفها الأبيض - منحنية فوقه. «كيف تشعر يا لُوكُ؟».

«ماذا فعلتم بي؟»، حاول أن يصرخ هذا لكنه لم يستطع سوى إصدار زمجرة مختنقة. لقد أدخلوا شيئاً في حنجرته أيضاً. على الأرجح نوعٌ من أنابيب التنفس. فكوّب يديه فوق منفرج ساقيه بعد فوات الأوان.

«أخذنا بضع عيّنات فقط». نزعَت الطبيبة ريتشاردسون قبعتها الجراحية مطلقاً فيضاناً من الشعر الداكن. «لم نستخرج إحدى كُليتيك لنبيعها في السوق السوداء، إذا كان هذا ما يُقلقك. ستشعر ببعض الألم، خاصة بين أضلاعك، لكنه سيزول. في هذه الأثناء، خذ هذه». سلمته قارورة بنية ليس عليها ملصق وفيها بضع حبوب.

خرجت. دَخَلَ زيكي حاملاً ملبسه. «ارتدِ عندما تشعر أنه يمكنك فعل ذلك دون أن تسقط». زيكي، المُراعِ لشعور الآخرين دائماً، رمى الملابس على الأرض.

تمكّن لُوكُ من رفعها وارتدائها في نهاية المطاف. رافقته پريسلا - مع غلاديس هذه المرة - إلى طابق المساكن. كانت الشمس مشرقة عندما أخذوه، لكن الجو مظلم الآن. ربما الوقت متأخر في الليل، لا يمكنه معرفة ذلك، فإحساسه بالوقت مشوّه كلياً.

«هل يمكنك أن تسير إلى غرفتك من تلقاء نفسك؟»، سألت غلاديس. لا ابتسامة كبيرة؛ ربما ابتسامتها لا تعمل في الليل.

«نعم».

«اذهب إذاً. خذ إحدى تلك الحبوب. إنها مسكّنات للألم، وستجعلك تشعر بتحسن أيضاً. هذا مكسبٌ. ستكون بخير في الصباح».

سار في الرواق، ومدَّ يده إلى مسكة باب غرفته، ثم توقف. هناك شخص يبكي. أتى الصوت من جوار ذلك المُلصق الإعلاني الغبي مجرد يوم آخر في النعيم، وهذا يعني أنه أت على الأرجح من غرفة كاليشا. ناقش المسألة مع نفسه للحظة لأنه لم يرغب أن يعرف سبب البكاء، ولا يشعر بالتأكد برغبة بمواساة أي شخص. ومع ذلك فهذه هي، لذا سار وقرع على الباب بلطف. لم يكن هناك جواب، لذا أدار المسكة وأطلَّ برأسه. «كاليشا؟».

رآها مستلقية على ظهرها واضعةً إحدى يديها على عينيها. «انصرف يا لوك. لا أريدك أن تراني هكذا».

كاد ينفذ طلبها، لكن هذا ليس ما تريده. بدلاً من المغادرة، دخل وجلس بجانبها. «ما الأمر؟».

لكنه عرّف ذلك أيضاً. تنقصه التفاصيل فحسب.

26

كان الأولاد في الملعب - كلهم ما عدا لوك الذي كان ممدداً فاقد الوعي في الطابق ه بينما أخذت الطبيبة ريتشاردسون عيَّنتها. خرج رجلان من غرفة الاستراحة يرتديان ثياباً بالية حمراء بدلاً من تلك الزهرية والزرقاء التي يرتديها الممرضون والفنيون في النصف الأمامي، ولم تكن هناك بطاقتا إسمين على قميصيهما. عرّف المحكَّون الثلاثة - كاليشا ونيكي وجورج - معنى هذا.

«كنت متأكدةً أنهما آتيان من أجلي»، أخبرت كاليشا لوك. «أنا أقدم شخص هنا، ولم أخضع لأي اختبار منذ عشرة أيام على الأقل، رغم أنني شُفيتُ من جذري الماء. حتى إنني لم أخضع لأي فحص للدم، وأنت تعرف كم يحبّ مصاصو الدماء اللعينون هؤلاء أخذ عيَّنت الدم. لكنهما أتيا من أجل نيكي.»

الانقطاع في صوتها بينما قالت هذا أحرَّز لوك، لأنه متيِّمٌ جداً بكاليشا، لكن هذا لم يفاجئه. فهيلين تستدير إليه مثل إبرة بوصلة تشير إلى الشمال المغنطيسي كلما لاح في الأفق؛ وأيريس فعلت الشيء نفسه؛ حتى الـ غ الصغيرتين تنظران إليه بغم مفتوح وعينين تبرقان عندما يمرّ. لكن كاليشا بقيت معه لأطول فترة. كانا محكَّي المعهد، وبنفس السن تقريباً. كانا أشبه بزوجين.

«قاومهما»، قالت كاليشا. «قاومهما بشدة». استوت جالسا فجأة بحيث كادت تُسقط لوك عن السرير. ارتدت شفتها إلى الخلف كاشفة عن أسنانها واشتدت قبضتها على صدرها فوق ثديها الصغيرين.

«كان عليّ أن أقاومهما! كان علينا كلنا أن نفعل ذلك!».

«لكن الأمر حصل بسرعة كبيرة، أليس كذلك؟».

«لكم أحدهما عالياً - على حنجرته - والآخر صعقه في وركه. لا شك أن ذلك خدّر رجله، لكنه تمسك بأحد الحبال على مضمار الحبال ليمنع نفسه من السقوط، وركل ذلك الآخر برجله الجيدة قبل أن يتمكن الوجد من استخدام عصا الصعق مجدداً».

«أسقط في يده»، قال لوك. يمكنه أن يرى ذلك، لكن من الخطأ قوله، فقد اقترح شيئاً لم يريد أن تعرفه، لكن لم يبد أن كاليشا لاحظت.

«هذا صحيح. لكن عندها الآخر، ذلك الذي لُكِمَ على حنجرته، صعق نيكي بخصره، ولا شك أن الشيء اللعين كان مضبوطاً عند حدّه الأقصى، لأنني استطعت سماع الفرقعة رغم أنني كنتُ بعيدة جداً في ملعب لعبة دفع الأقراص. سقط نيكي، وانحنى فوقه وصعقاه أكثر، وقرّر رغم أنه كان ممدداً هناك فاقد الوعي، وركضت هيلين نحوهم وهي تصرخ «إنكما تقتلانه، إنكما تقتلانه»، وركلها أحدهما عالياً في رجلها وهو يصرح ها كما لو أنه لاعب كاراتيه غير كفؤ، وضجك، وسقطت تبكي، ورّقا نيكي وحمله بعيداً. لكن قبل أن يعبرا به أبواب غرفة الاستراحة...»

توقفت عن الكلام. انتظر لوك. عرّف ماذا سيأتي بعد ذلك، فهذه إحدى مواهبه الجديدة التي كانت أكثر من حدس، لكن عليه أن يدعها تقوله. لأنه لا يمكنها أن تعرف ماذا يملك الآن، لا أحد منهم يستطيع أن يعرف.

«استدار قليلاً»، قالت والدموع تنهمر على خديها. «ما يكفي لكي يرانا. ابتسم ولوّح لنا. لوّح لنا. لهذه الدرجة كان شجاعاً».

«نعم»، قال لوك وقد سمع كان وليس هو. فكّر في سرّه: ولن نراه بعد اليوم.

أمسكت عنقه وأنزلت وجهه إلى وجهها بشكل غير متوقع وبقوة لدرجة أن جبهتيهما ارتطمتا ببعضهما. «لا تقل هذا!».

«آسف»، قال لوك وتساءل ماذا رأيت في أفكاره غير ذلك. أمل ألا تكون قد رأيت الكثير. أمل أنها منزعة جداً من أخذ الرجلين ذي القميصين الأحمرين نيكي إلى النصف الخلفي. ما قالته بعد ذلك خفف حدة قلقه من ذلك إلى حد بعيد.

«هل أخذوا عيّنات؟ أخذوا، أليس كذلك؟ لديك ضمادات.»

«نعم.»

«تلك السافلة ذات الشعر الأسود، صح؟ ريتشاردسون. كم عددها؟»

«ثلاثة. واحدة من رجلي، واحدة من معدتي، وواحدة بين أضلاعي. هذه الأخيرة هي أكثر واحدة تؤلمني.»

أومات برأسها. «أخذوا واحدةً من ثديي، مثل خزعةٍ. يؤلمني ذلك حقاً. فقط ماذا لو كانوا لا يأخذون؟ ماذا لو كانوا يضعون؟ يقولون إنهم يأخذون عيّنات، لكنهم يكذبون بشأن كل شيء!»

«تقصدين المزيد من المتعقّبات؟ لماذا عندما تكون لديهم هذه؟»، قال وأشار إلى الرقاقة التي في شحمة أذنه. لم تعد تؤلمه؛ وأصبحت الآن مجرد جزء منه.

«لا أعرف»، قالت ببؤس.

مدّ لوك يده إلى جيبه وأخرجَ قارورة حبوب. «أعطوني هذه. ربما يجب أن تأخذي واحدةً. أعتقد أنها ستهدّئ لك أعصابك. تساعدك على النوم.»

«مسكّن ألم؟»

أوما برأسه.

مدّت يدها إلى القارورة، ثم أرجعتها. «المشكلة هي أنني لا أريد واحدةً، ولا أريد اثنتين حتى. أريدها كلها. لكنني أعتقد أنه يجب أن أشعر بما أشعر به. أعتقد أن هذا هو الصواب، أليس كذلك؟»

«لا أعرف»، قال لوك بصدق. هذه مشكلة عسيرة، ومهما يكن ذكياً، فهو لا يزال في الثانية عشرة فقط.

«انصرف يا لوك. أحتاج إلى أن أكون حزينة لوحدي.»

«حسناً».

«سأكون أفضل غداً. وإذا كنتُ الشخص التالي الذي يأخذونه...»

«لن يفعلوا ذلك»، قال وهو يعرف أنه قول غبي، قمة التخلّف. فقد حان دورها. تأخّر دورها حقاً.

«إذا أخذوني، كن صديقاً لآيفيري. يحتاج إلى صديق». نظّرت إليه بثبات.
«ووأنت أيضاً».

«حسناً».

حاولت أن تبتسم. «أنت شخص محبوب. تعال إلى هنا». مالَ وقبّلتَه على خدّه أولاً، ثم على طرف فمه. شفتاها مالحتان. لم يمانع لوك.

قالت له وهو يفتح الباب، «كان يجب أن يأخذونني أنا. أو جورج. ليس نيكبي. هو الوحيد الذي لم يذعن أبداً لكلامهم الفارغ. الوحيد الذي لم يذعن أبداً». رفعت صوتها. «هل أنتم هناك؟ هل تسمعونني؟ أمل ذلك لأنني أكرهكم وأريدكم أن تعرفوا ذلك! أكرهكم!».

عادت وسقطت على سريرها وبدأ تشهق. فكّر لوك بأن يعود إليها، لكنه لم يفعل ذلك. لقد أعطاه كل المواساة التي يقدر عليها، وهو يؤذي نفسه، ليس فقط بسبب نيكبي بل في الأماكن حيث غرّزته الطيبة ريتشاردسون. لا يهمّ إن كانت المرأة ذات الشعر الداكن قد أخذت عيّبات أنسجة أو وضعت شيئاً في جسمه (بدا أمر المتعقّبات غير منطقي، لكنه افتراض أنه يمكن أن يكون أنزيماً أو لقاحاً اختبارياً)، لأن كل اختباراتهم وحُفْنهم لا تبدو منطقية. تذكر مرة أخرى معسكرات الاعتقال والاختبارات الرهيبة العديمة المعنى التي كانت تجري هناك. تجميد الأشخاص، حرق الأشخاص، إصابتهم بالأمراض.

عاد إلى غرفته، وفكّر بتناول حبة أو حتى حبتين من حبوب أوكسي، وعدلَ عن ذلك.

فكّر باستخدام السيد غريفيين لزيارة ستار تريبيون، وعدلَ عن ذلك أيضاً.

فكّر بنيكبي، معشوق كل الفتيات. نيكبي الذي وضع هاري كروس عند خدّه أولاً ثم أصبح صديقه، وهذا أكثر جرأة بكثير من ضربه. نيكبي الذي قاومَ

الاختبارات، وقاومَ رجال النصف الخلفي عندما أتوا لأخذه، والذي لم يدعن أبداً.

27

في اليوم التالي، أخذ جو وهَداد لُوك وجورج آيلز إلى الغرفة ج-11، حيث تُركا لوحدهما لبرهة. عندما عاد الممرّضان، مجهّزان الآن بكوّبي قهوة، كان زيكي معهما. بدا محمّرّ العينين ويعاني من صداع ما بعد الثمالة. ألّبسَ الفتين قبعتي إلكتروود مطاطيتين، وأوثقَ الأربطة تحت ذقنيهما بإحكام. بعدما تحقّق زيكي من الأرقام، تناوَبَ الفتّيان على مُحَاكي قيادة. دَخَلَ الطبيب إيفانز ووقّف مع لوحه المشبكي الموثوق، وراح يدوّن ملاحظات كلما صاح زيكي أرقاماً مختلفةً قد تكون (أو قد لا تكون) لها علاقة بوقت ردّة الفعل. قاد لوك عبر عدة إشارات مرور وسبّب بعض المجازر قبل أن يعتاد على الأمر، لكن بعد ذلك، أصبح الاختبار ممتعاً في الواقع - وهذه مسألة تحصل لأول مرة في المعهد.

عندما انتهى الاختبار، انضمت الطبيبة ريتشاردسون إلى الطبيب إيفانز. ترتدي اليوم بذلةً نسائيةً ثلاثية القطع بتنورةٍ وحذاءً بكعب عالٍ. بدت جاهزة لاجتماع مهني رفيع المستوى. «على مقياس واحد إلى عشرة، كم درجة ألمك هذا الصباح يا لوك؟».

«اثنان»، قال. «وعلى مقياس واحد إلى عشرة، رغبتني بالخروج من هذا الجحيم هي أحد عشر».

ضحكت ضحكة خافتة كما لو أنه قال نكتة خفيفة، وودّعت الطبيب إيفانز (نادته جيم)، ثم غادرت.

«إذاً مَنْ فاز؟»، سأل جورج الطبيب إيفانز.

ابتسم بتساهل. «هذا ليس واحداً من تلك الاختبارات يا جورج».

«بلى، لكن مَنْ فاز؟».

«كان كلاكما سريعين جداً، بعدما اعتدتما على المُحاكي، وهذا ما نتوقعه من الـتع. لا مزيد من الاختبارات اليوم أيها الفتّيان، أليس هذا لطيفاً؟ هَداد، جو، رجاءً خذا هذين الشايين إلى الطابق العلوي».

في طريقهم إلى المصعد، قال جورج، «أعتقد أنني دهستُ أكثر من ستة مشاة قبل أن أعتاد على المسألة. كم شخصاً دهستُ؟».

«فقط ثلاثة، لكنني أصبْتُ حافلة مدرسة. ربما وقع بعض الضحايا».

«أنت حقير. لقد تفاديتُ الحافلة كلياً». وصل المصعد، وركبه أربعتهم. «في الواقع، دهستُ سبعة مشاة. والأخير عن قصد. تخيلتُ أنه زيكي».

نظَرَ جو وهَدَاد إلى بعضهما البعض وضحكا. أعجبا لوك قليلاً بسبب ذلك. لم يرغب بذلك، لكنه شَعَرَ به.

عندما عاد الممرّضان إلى المصعد، لينزلا افتراضياً إلى غرفة الاستراحة، قال لوك، «بعد النقاط، جرّبوا البطاقات عليك. اختبار تخاطر».

«صح، لقد أخبرتُك ذلك».

«هل اختبروك مرةً إن كنتَ تع؟ هل طلبوا منك إضاءة مصباح أو ربما طرح سلسلة أحجار دومينو أرضاً؟».

حكَّ جورج رأسه. «الآن وقد ذكرتَ ذلك، لا. لكن لماذا سيفعلون ذلك عندما يعرفون مسبقاً أنه يمكنني فعل هكذا أمور؟ في يومٍ جيدٍ، على الأقل. ماذا عنك؟».

«لا. وأسمع ما تقوله، لكنه لا يزال مضحكاً أنهم لا يبدون مهتمين باختبار حدود ما لدينا».

«كل هذا لا يبدو منطقياً يا لوكي-لُو. بدءاً بوجودنا هنا. هيا نأكل».

معظم الأولاد يتناولون الغداء في الكافيتيريا، لكن كاليشا وآيفيري في الملعب. كانا يجلسان على الحصى مُسندين ظهريهما على السياج المُشَبَّك، وينظران إلى بعضهما البعض. أخبر لوك جورج أن يذهب لتناول الغداء وخرج إلى الملعب. لم تكن الفتاة السوداء الجميلة والفتى الأبيض الصغير يتكلمان... ومع ذلك كانا يتحادثان. لوك يعرف هذا القدر، ولكن ليس فحوى الحديث.

تذكَّر اختبارات السات والفتاة التي سألته عن المعادلة الرياضية المتعلقة بشابٍ يدعى هارون وكِم عليه أن يدفع لمكوته في فندق. بدا له أن هذا حصل في حياة أخرى، لكن لوك تذكَّر بوضوح عدم قدرته على فهم كيف أن مسألة بسيطة جداً له يمكن أن تكون صعبة جداً لها. لقد فهم الآن. مهما

يكن الشيء الذي يجري بين كاليشا وآيفيري هناك قرب السور فإنه يتجاوزه بأشواطٍ.

نظرت كاليشا حولها ولوّحت له لبيتعد. «سأتكلّم معك لاحقاً يا لوك. اذهب وكُل».

«حسناً»، قال لكنه لم يتكلّم معها على الغداء لأنها لم تتناوله. لاحقاً وبعد قيلولة ثقيلة (انهار أخيراً وأخذ إحدى حبوب الألم)، سار في الرواق نحو غرفة الاستراحة والملعب وتوقف عند بابها الذي كان مفتوحاً. لقد اختفت البطانية الزهرية والوسادات ذات الكشكش المزخرف كثيراً. كما اختفت الصورة المؤطرة لمارتن لوثر كينغ. وقّف لوك هناك واضعاً يده على فمه ومحملياً عينيه، وسمح لنفسه أن يستوعب الأمر.

لو أنها قاومت، مثلما فعل نيكي، اعتبر لوك أن الضجة كانت لتوقظه رغم الحبة. كان البديل الآخر، بأنها ذهبت معهم طوعياً، سائغاً أقل لكن - عليه أن يقّر بذلك - مرجّحاً أكثر. في الحاليتين، الفتاة التي قبّلتها مرتين رحلت.

عاد إلى غرفته ودفن وجهه في وسادته.

28

تلك الليلة، لوّح لوك إحدى فيّشه أمام كاميرا الكمبيوتر المحمول لكي يوقظه، ثم ذهب إلى السيد غريفين. حقيقة أنه لا يزال قادراً على الذهاب إلى هناك جعلته يتفائل. بالطبع أن الحقيرين الذين يديرون هذا المكان قد يعرفون كل شيء عن بابه الخلفي، لكن ما فائدة ذلك؟ قاده هذا إلى استنتاج بدا متيناً كفاية، بالنسبة له على الأقل: قد يقبض عليه أتباع سيغسبي يحدّق في العالم الخارجي في نهاية المطاف، وهذا مرجّح في الواقع، لكنهم لم يقبضوا عليه حتى الآن. فهم لا يراقبون ما يُعرّض على كمبيوتره. إنهم غير صارمين في بعض الأشياء، فكر في سرّه. ربما ليسوا صارمين في أشياء كثيرة، ولماذا سيكونون صارمين؟ فهم لا يتعاملون مع سجناء عسكريين، بل مجرد مجموعة أولاد خائفين مشوّشين.

انطلاقاً من موقع السيد غريفين، زار موقع ستار تريبيون. الرأسية لهذا اليوم تتعلق باستمرار الصراع على الرعاية الصحية، والذي بدأ منذ سنوات. حلّ عليه الرعب المألوف مما قد يجده بعد الصفحة الأولى، وكاد يخرج إلى سطح المكتب. ثم يمكنه محو محفوظاته الحديثة، ويوقف تشغيل الكمبيوتر،

ويذهب إلى السرير. وربما يأخذ حبة أخرى. ما لا تعرفه لن يؤذيك، هذا قول آخر، وألم يتأذى كفايةً اليوم؟

ثم تذكر نيك. هل كان نيك يلهولم ليتراجع لو أنه عرف بوجود باب خلفي مثل السيد غريفين؟ على الأرجح لا، بكل تأكيد لا، لكنه ليس شجاعاً مثل نيك.

تذكر إعطاء وايونا له مجموعة الفيش تلك وكيف سمته صاحب الأصابع الرخوة عندما أسقط واحدة منها وطلبت منه أن يرفعها. وقد فعل ذلك دون أي احتجاج. ما كان نيك ليفعل ذلك. يكاد لوك يسمعه يقول لها ارفعيها بنفسك يا ويني، ويتلقى الضربة التي ستلي ذلك. وربما حتى سيرد لها الضربة.

لكن لوك إليس لم يكن ذلك الشاب. لوك إليس فتى مؤدب، يفعل ما يُطلب منه، سواء تعلق ذلك بأعمال في المنزل أو بتمارين الفرقة الموسيقية في المدرسة. إنه يكره بوقه اللعين، فكل نوتة ثالثة مزعجة، لكنه واصل العزف عليه لأن السيد غرير قال إنه يحتاج إلى نشاط واحد على الأقل خارج المنهاج الدراسي ليس رياضة تُمارس ضمن الجسم الطلابي. لوك إليس شاب بذل جهداً خاصاً لكي يكون اجتماعياً لكي لا يظن الناس أنه غريب الأطوار وعقري في آن. نفذ كل التفاعلات الصحيحة ثم عاد إلى كتبه. لأن هناك هاوية، والكتب تحتوي على تعويذات عجيبة ترفع ما هو مخفي هناك: كل الأسرار الكبيرة.

بالنسبة له، تلك الأسرار مهمة. يوماً ما في المستقبل، قد يكتب كتاباً خاصةً به.

لكن هنا، المستقبل الوحيد هو النصف الخلفي. هنا، حقيقة الوجود هي مقولة ما نفع ذلك؟

«تباً لذلك»، همس وذهب إلى قسم المحليات في ستار تريبيون وصوت نبضات قلبه تطن في أذنيه وتنبض في الجروح الصغيرة التي بدأت تندمل من قبل تحت الضمادات.

لم يكن هناك داعٍ للتنقيب؛ فحالما رأى صورة مدرسته من العام الماضي، عرف كل شيء يمكن معرفته. الرأسية غير ضرورية، لكنه قرأها على أي حال: البحث مستمر عن الإبن المفقود

للزوجين المقتولين في فالكون هايتس

عادت الأضواء الملوّنة، تتطاير وتنبض. أحول لوك عينيه بها، وأطفأ الكمبيوتر المحمول، ونهض على رجلين لم يشعر أنهما رجلاه، وذهب إلى سريره في خطوتين مرتعشتين. قبع هناك في التوهج الخفيف للمصباح الموجود بجانب السرير وهو يحدّق بالسقف. أخيراً بدأت تلك النقاط الفنية البغيضة تتلاشى.

للزوجين المقتولين في فالكون هايتس.

شعر كما لو أن باباً أفقياً غير مشبوه سابقاً فُتح في ذهنه، وفكرة واحدة فقط - صافية وصعبة وقوية - منعتة من السقوط فيه: ربما يراقبونه. لا يظن أنهم عرفوا بشأن موقع السيد غريفيين وقدرته على استخدامه للوصول إلى العالم الخارجي. لا يظن أنهم عرفوا أيضاً أن الأضواء سببت بعض التغيير الأساسي في دماغه؛ اعتقدوا أن الاختبار فشل. حتى الآن، على الأقل. هذه هي الأشياء التي يملكها، وقد تكون قيّمة.

أتباع سيغسبي ليسوا أشخاصاً خارقين قادرين على كل شيء، ومواصلة قدرته على الوصول إلى موقع السيد غريفي برهنت ذلك. النوع الوحيد من التمرد الذي توقعوه من المقيمين هو النوع الذي يرونه بوضوح أمامهم. فبعدما يُنتزع منهم ذلك إما بالترهيب أو الترغيب، يمكنهم حتى تركهم لوحدهم لفترات قصيرة، على غرار ما فعله جو وهّداد عندما تركاه لوحده مع جورج في الغرفة ج-11 ليحضرا قهوتهما.

المقتولين.

هذه الكلمة هي الباب الأفقي، ومن السهل جداً الوقوع فيه. منذ البداية ولوك متأكد تقريباً أنهم يكذبون عليه، لكن الجزء تقريباً هو الذي أبقى الباب الأفقي مغلقاً. ووقر بعض الأمل الطفيف. لكن تلك الرأسية الفضة قضت على ذلك الأمل. وبما أنهما ميتان - مقتولان - من سيكون أكثر شخص مشتبه به؟ **الإبن المفقود**، بالطبع. سيكون رجال الشرطة الذين يحققون في الجريمة قد عرفوا الآن أنه ولد مميّز، عبقرى، وألا يُفترَض أن العباقرة سربعو العطب؟ عرضة للإصابة بالجنون؟

لقد صرّخت كاليشا تحديها، لكن لوك لن يفعل ذلك، مهما أراد أن يفعله. يمكنه أن يصرخ قدر ما يشاء في قلبه، لكن ليس علناً. لم يعرف إن كانت أسراره قادرة على إفادته، لكنه يعرف أن هناك تشققات في جدران ما سمّاه جورج أيلز عن حق حفرة الجحيم هذه. إذا استطاع استخدام أسراره - وذلكائه الذي يُفترَض أنه متفوق - كعتلةٍ، فقد يتمكن من توسيع أحد تلك

التشققَات. لم يعرف إن كان الهروب ممكناً أم لا، لكن إذا وجد وسيلةً ليهرب، فإن الهروب سيكون مجرد الخطوة الأولى نحو هدف أسمى.

أهدّمه عليهم، فكّر في سرّه. مثلما فعلَ شمشون بعدما تملّقتَه دليلاً لكي تقصّ شعره. أهدّمه عليهم وأسحقهم. أسحقهم كلهم.

سقطاً في نوم خفيف في لحظة من اللحظات. حلم أنه في المنزل، وأن أمه وأباه حيّان. هذا حلم سعيد. أخبره أبوه ألا ينسى أن يُخرج سلال المهملات. وأعدّت أمه فطائر وأشبعها لُوك بشراب توت العليق الأسود. أكل أبوه واحدةً مدهونةً بزبدة الفول السوداني أثناء مشاهدته نشرة أخبار الصباح على محطة CBS - غايل كينغ ونورا أودونيل، الجذّابة جداً - ثم ذهب إلى عمله بعد أن قبّل لُوك على خدّه وأيلين على فمها. حلم سعيد. والدة رولف هي التي ستوصل الفتيان إلى المدرسة، وعندما أطلقت بوق سيارتها أمام المنزل، أمسك لُوك حقيبة ظهره وركّض إلى الباب. «مهلاً، لا تنسَ مال غدائك!»، صاحت أمه وأعطته إياه، لكنه لم يكن مالاً بل فيّشاً، وعندها استيقظ وأدرك أن هناك شخصاً في غرفته.

29

لم يستطع لُوك رؤية مَنْ هو الشخص، لأنه بلا شكٍّ أطفأ المصباح الذي بجانب السرير في وقت ما، رغم أنه لم يستطع أن يتذكّر فعل ذلك. استطاع سماع جرجرة أقدام هادئة قرب مكتبه، وأول فكرة خطرت بباله هي أن أحد الممرّضين أتى ليأخذ كمبيوتره، لأنهم يراقبونه من البداية، ومن الغباء أن يظنّ عكس ذلك. قمة التخلف.

ملأه الغضب كالسم. لم ينهض عن السرير بقدر ما قفز عنه وهو ينوي أن يجابه أياً يكن الذي دخل في غرفته. فليصفعه المتطّفل، أو يلكمه، أو يستخدم عصا صغقه اللعينة. سيتمكن لُوك من تسديد بعض الضربات الجيدة على الأقل. قد لا يفهمون السبب الحقيقي لتسديده الضربات، لكن لا بأس بذلك؛ لُوك يعرف.

لكنه لم يكن راشداً. اصطدم بجسم صغير وأوقعه منبطحاً.

«آخ يا لُوكي، لا! لا تؤذني!».

آيفيري ديكسون. أفيستر.

تلمّس لوك محيطه، رفعه، وقاده إلى السرير، حيث أضاء المصباح. بدا آيفيري مرتعباً.

«يا للهول، ماذا تفعل هنا؟».

«استيقظتُ وكنْتُ خائفاً. لا يمكنني الذهاب إلى شا، لأنهم أخذوها. لذا أتيتُ إلى هنا. هل يمكنني أن أبقى هنا؟ رجاءً؟».

كل ذلك حقيقي، لكنه ليس كل الحقيقة. فهم لوك هذا بوضوح جعل كل الأشياء الأخرى التي «عرّفها» تبدو باهتة ومترددة. لأن آيفيري تخ قوي، أقوى بكثير من كاليشا، والآن آيفيري... حسناً... بيث.

«يمكنك أن تبقى هنا». لكن عندما بدأ آيفيري يتمدد على السرير: «كلا- كلا، عليك دخول الحمام أولاً. لن تبؤل على سريري».

لم يجادل آيفيري، وسرعان ما سمع لوك صوت بول يطرطش في المرحاض. الكثير منه. عندما عاد آيفيري، أطفأ لوك الضوء. اقترب آيفيري التماساً للدفع. إنه شعور جيد ألا يكون لوحده. شعور مدهش، في الواقع.

همس آيفيري في أذنه، «يؤسفني ما حصل لأمك وأبيك يا لوك».

بقي لوك غير قادر على الكلام للحظات قليلة. وعندما استطاع ذلك، همس له بدوره، «هل كنت وكاليشا تتكلمان عني البارحة في الملعب؟».

«نعم. طلبت مني أن آتي. قالت إنها سترسل لك رسائل، وسأكون ساعي البريد. يمكنك إخبار جورج وهيلين، إذا كنت تعتقد أن هذا آمن».

لكنه لن يُخبرهما، لأن لا شيء هنا آمن. حتى التفكير ليس آمناً. تذكر ما قاله عندما أخبرته كاليشا عن مقاومة نيكي الممرّضين الحمر من النصف الخلفي: أسقط في يده. وكان يقصد إحدى عُصي الصعق. لم تسأل لوك كيف عرّف ذلك، لأنها بكل تأكيد كانت تعرف ذلك من قبل. هل اعتقد أنه يمكنه إبقاء قدرته تخ الجديدة سراً عنها؟ ربما عن الآخرين، لكن ليس عن كاليشا. وليس عن آيفيري.

«انظر!»، همس آيفيري.

لم يستطع لوك رؤية شيء، فيما أن المصباح مطفأ ولا توجد نافذة لإدخال أي ضوء محيط من الخارج، كانت الغرفة مظلمة بالكامل، لكنه نظّر على أي حال، وظن أنه رأى كاليشا.

«هل هي بخير؟»، همس لوك.

«نعم. في الوقت الحاضر».

«هل نيكي هناك؟ هل هو بخير؟».

«نعم»، همس آيفيري. «آيريس أيضاً. إلا أنها تُصاب بضداعات. بقية الأولاد أيضاً. تعتقد شا أنها تُصاب بها من الأفلام. والنقاط».

«أي أفلام؟».

«لا أعرف، لم تشاهد شا أياً منها بعد، لكن نيكي شاهدها. آيريس أيضاً. تقول كاليشا إنها تعتقد أن هناك أولاداً آخرين - ربما في النصف الخلفي للنصف الخلفي - لكن قلة فقط في المكان حيث يتواجدون الآن. جيمي ولن. دونا أيضاً».

لقد حصلت على كمبيوتر دونا، فكّر لوك في سرّه. ورثته منها.

«كان بوبي واشنطن أول الواصلين إلى هناك، لكنه رحل الآن. آيريس أخبرت كاليشا أنها رآته».

«لا أعرف أولئك الأولاد».

«تقول كاليشا إن دونا ذهبت إلى النصف الخلفي قبل يومين فقط من وصولك. لهذا السبب حصلت على كمبيوترها».

«أنت مُخيف»، قال لوك.

آيفيري، الذي عرف على الأرجح أنه مُخيف، تجاهل ذلك. «يتلقون حُقناً مؤلمةً. حُقن ونقاط، نقاط وحُقن. تقول شا إنها تعتقد أن أشياء سيئة تحصل في النصف الخلفي. تقول ربما يمكنك أن تفعل شيئاً. تقول...»

لم يُنه كلامه، ولم يضطر أن يُنهيهِ. فقد تراءت للوك صورة موجزة لكن واضحة تماماً، مُرسلة بالتأكيد من كاليشا بنسون عبر آيفيري ديكسون: كنار في قفص. قُتح الباب وطار الكنار.

«تقول إنك الوحيد الذكي كفاية».

«سأفعل إن استطعت»، قال لوك. «ماذا أخبرتك أيضاً؟».

لم يكن هناك جواب لذلك. فقد نام آيفيري.

الهروب

1

مرّت ثلاثة أسابيع.

أكل لوك. نام، استيقظ، أكل مرة أخرى. سرعان ما حفظ القائمة عن ظهر قلب، وأصبح يشارك الأولاد الآخرين التصفيق الساخر عندما يتغيّر شيء فيها. جرت اختبارات في بعض الأيام. وجرت حُقن في بعض الأيام. وجرى الاثنان معاً في بعض الأيام. ولم يجر الاثنان في بعض الأيام. أمرضته بعض الحُقن. لكن معظمها لم يُمرضه. لم تنسُد حنجرته مرة أخرى أبداً، وكان ممنوناً من ذلك. تسكّع في الملعب. شاهد التلفزيون، وتصادق مع أوبرا وإلين والطبيب فيل والقاضية جودي. شاهد فيديوهات على يوتيوب لقطط تنظر إلى نفسها في مرايا وكلاب تلتقط صحنون فريسيبي. يشاهد لوحده أحياناً، وأحياناً مع بعض الأولاد الآخرين. عندما يدخل هاري غرفته، ترافقه التوأمان وتطالبان مشاهدة رسوم متحركة. وعندما يذهب لوك إلى غرفة هاري، يجد التوأمان هناك دائماً تقريباً. لا يهتم هاري بالرسوم المتحركة، بل يميل إلى المصارعة وفيديوهات الفنون القتالية المختلطة وحوادث سباقات ناسكار. تحيته الاعتيادية للوك هي «شاهد هذا». كانت التوأمان من عشاق التلوين، والممرّضون يزودون كميات لا تنتهي من كتب التلوين. تلوّنان داخل الخطوط عادة، لكنهما خرجتا عنها ذات يوم، وضجكتا كثيراً، واستنّج لوك أنهما إما ثملتين أو منتشيتين. عندما سأل هاري، أجابه أنهما أرادتا تجربة ذلك. كانت لديه الكياسة لبدو خجلاً، وعندما تقيأتا (الواحدة تلو الأخرى، مثلما تفعلان كل شيء)، كانت لديه الكياسة لبدو خجلاً أكثر. ونظف الفوضى. نفّذت هيلين لفة ثلاثية على الترامبولين ذات يوم، ضجكت، انحنى، ثم أجهشت بالبكاء ورفضت أن تُواسى. عندما حاول لوك، ضربته بقبضيتها الصغيرتين، طاخ-طاخ-طاخ. بقي لوك لفترة يهزم كل القادمين في الشطرنج، وعندما أصبح ذلك مُضجراً، وجد طريقاً ليخسر، وهذا كان صعباً عليه بشكل مدهش.

شَعَرَ أنه نائم حتى عندما يكون مستيقظاً. شَعَرَ أن حاصل ذكائه يتناقص، شَعَرَ ذلك بكل تأكيد، مثل مياه تسيل من بَرَد مياه لأن أحدهم ترك السدادة مفتوحة. راح يشطب أيام هذا الصيف الغريب بواسطة شريط التاريخ في كمبيوتره. ما عدا فيديوهات يوتيوب، استخدَم كمبيوتره المحمول فقط - باستثناء هام واحدٍ - لِيتراسل فورياً مع جورج أو هيلين في غرفتيهما. لم يبدأ تلك المحادثات أبداً، وأبقاها موجزة قدر ما يستطيع.

ما خطبُك اللعين؟ كتبت هيلين ذات مرة.

لا شيء، كتبَ رداً عليها.

لماذا لا تزال برأيك في النصف الأمامي؟ كتبَ جورج. أنا لا أشتكي طبعاً.

لا أعرف، كتبَ لوك وسجّل خروجه.

اكتشَف أنه من غير الصعب أن يخفي حزنه عن الممرّضين والفنيين والأطباء؛ فهُم معتادون على التعامل مع أولاد مكتئبين. لكن حتى في تعاسته العميقة، يفكر أحياناً بالصورة الساطعة التي عرضها أيفيري: كنار يطير من قفصه.

تخترق حزنه أحياناً ومضاتٌ ذكرياتٍ تأتيه دائماً بشكل غير متوقع: أبوه يرشُّه بخرطوم الحديقة؛ أبوه يسدّد الكرة عن خط الرميات الحرة مديراً ظهره للطارة ولوك ينقضُّ عليه عندما تدخل الكرة وكلاهما يسقطان على العشب وهما يضحكان؛ أمه تُحضر كعكة مكوَّبة عملاقة مغطاة بشموع مُضاءة إلى الطاولة في ذكرى ولادته الثانية عشرة؛ أمه تعانقه وتقول لقد أصبحت كبيراً؛ أمه وأبوه يرقصان كمجنونين في المطبخ بينما تغني ربهانا «بون دي ريبلاي». إنها ذكريات جميلة، وتلسع مثل نبتة القُرّاص.

عندما لا يفكرُّ بالزوجين المقتولين في فالكون هايتس - يحلم بهما - يفكرُّ لوك بالقفص الذي يتواجد فيه والطائر الحر الذي يطمح أن يكون عليه. تلك هي الأوقات الوحيدة التي يستعيد فيها ذهنه تركيزه الحاد السابق. لاحظ أشياء بدت أنها تؤكد اعتقاده بأن المعهد يعمل في انزلاق عَطالي، مثل صاروخ يُطفئ محرّكاته بعدما يبلغ سرعة الإفلات من جاذبية الأرض. لمبات المراقبة ذات الزجاج الأسود في سقوف الرواق، مثلاً. معظمها قذر، كما لو أنها لم تُنظف منذ وقت طويل. ينطبق هذا بشكل خاص على الجناح الغربي المهجور في طابق المساكن. لا تزال الكاميرات داخل اللمبات تعمل على الأرجح، لكن

المشاهد التي تنقلها ضبايئة في أفضل الأحوال. رغم ذلك، بدا أنه لم تصدر أي أوامر بأن ينظفها فرد والبوابون زملاؤه - مورت، كوني، ذو الفكين - وهذا يعني أن أياً يكن من يُفترض به مراقبة الأروقة لا يكثرث أبداً أن المشاهد أصبحت ضبايئة.

أمضى لوك أيامه مُطيعاً ينقذ ما يُطلب منه دون جدال، لكن عندما لا يكون شارد الذهن في غرفته، يصبح إبريقاً صغيراً ذا أذنين كبيرتين. معظم ما يسمعه عديم الجدوى، لكنه يمتص كل شيء على أي حال. يمتصه ويخزّنه. الثمرات على سبيل المثال. مثلاً، كيف أن الطبيب إيفانز يطارد الطيبة ريتشاردسون دائماً ويحاول فتح أحاديث معها، وأنه مشدوه بفزجها (هذه الجملة من الممرضة نورما) لدرجة أنه لا يدرك أن فيليشيا ريتشاردسون لن تلمسه حتى بعضاً طولها ثلاثة أمتار. كيف أن جو وممرضين آخرين، تشاد وغاري، يستخدمون أحياناً الفيش التي لا يؤزعونها ليحصلوا على شراب العنب وتلك القوارير الصغيرة من شراب الليموناضة من آلة البيع في غرفة الاستراحة الشرقية. يتكلمون عن عائلاتهم أحياناً، أو عن تناول الشراب في مقصف يدعى دولة الخارجين عن القانون، حيث تعزف فرقة موسيقية. «إذا كنت تريد تسمية ما يعزفونه موسيقى»، هذا ما سمعه لوك بالصدفة ذات مرة من ممرضة تدعى شيري تقوله لغلاديس ذات الابتسامة المزيفة. ذلك المقصف، المعروف في أوساط الفئيين والممرضين بـ الفرج، يقع في بلدة تدعى دينيسون ريفر بند. لم يستطع لوك أن يحصل على الموقع الدقيق لتلك البلدة، لكنه اعتبر أنها يجب أن تكون ضمن قطر أربعين كيلومتراً، أو خمسين بالحد الأقصى، لأنه يبدو أنهم كلهم يذهبون إلى هناك في أوقات فراغهم.

حفظ لوك الأسماء عندما سمعها. الطبيب إيفانز يدعى جايمس، والطبيب هندريكس يدعى دان، وطوني يدعى فيزالي، وغلاديس تدعى هيكسون، وزيكى يدعى أبونيديس. إذا خرج من هنا ذات يوم، إذا طار هذا الكنار من قفصه ذات يوم، أمل أن تكون معه لائحة طويلة عندما يشهد ضد أولئك الحقيرين في المحكمة. أدرك أن هذا قد يكون ضرباً من الخيال فحسب، لكنه أعطاه بعض الأمل.

الآن وقد أصبح يتصرّف كفتى مطيع، كان يُترك لوحده أحياناً في الطابق ج لفترات زمنية قصيرة، ودائماً بعد تحذيره بالبقاء مكانه دون حراك. فيومئ برأسه، ويعطي التقني وقتاً ليذهب للقيام بأمورته، ثم يخرج. هناك كاميرات كثيرة في الطوابق السفلى، وكلها نظيفة، لكن لا يرن أي جرس إنذار ولا يهرع أي ممرضين في الرواق حاملين عُصي صقهم. شوهد مرتين يتجول

وأعيد إلى مكانه، مرةً مع توبيخٍ ومرةً مع صفةٍ لا مباليةٍ على الجهة الخلفية لعنقه.

في أحد تلك الاستكشافات (حاول دائماً أن يبدو ضجراً وهائماً، مجرد ولد يمرر الوقت قبل الاختبار التالي أو قبل أن يُسمح له بالعودة إلى غرفته)، وجد لوك كنزاً. ففي غرفة التصوير بالرنين المغنطيسي، التي كانت فارغة في ذلك اليوم، لمح إحدى البطاقات التي يستخدمونها لتشغيل المصعد نصف مخفية تحت شاشة كمبيوتر. تجاوز الطاولة، أمسكها، وأخفاها في جيبه وهو يحدّق بأنبوب التصوير بالرنين المغنطيسي الفارغ. توقع تقريباً أن تبدأ البطاقة بالصياح «لص، لص؟» عندما غادر الغرفة (مثل القيثارة العجبية التي سرّقتها الفتى جاك حبة الفاصوليا من العملاق)، لكن لا شيء حصل، وقتها أو لاحقاً. ألا يتعقّبون تلك البطاقات؟ يبدو لا. أو ربما انتهت صلاحيتها وأصبحت عديمة الجدوى مثل بطاقة غرفة الفندق عندما يغادر الضيف التي تم ترميز البطاقة له.

لكن عندما جرّب لوك البطاقة في المصعد في اليوم التالي، ابتهج من أنها تعمل. عندما صادفته الطيبة ريتشاردسون بعد يوم يحدّق بالغرفة في الطابق د التي تحتوي على خزّان الغمر، توقع أن يُعاقب - ربما بصدمةٍ من عصا الصعق التي تُبقيها في قرابها تحت المعطف الأبيض الذي ترتديه عادة، أو ربما بصفةٍ من طوني أو زيكي. إلا أنها أعطته فيشة في الواقع، وقد شكّرها على ذلك.

«لم أخضع لهذا بعد»، قال لوك وهو يشير إلى الخزّان. «هل هو مربع؟».

«لا، إنه مسل»، قالت، وابتسم لها لوك ابتساماً كبيرةً، كما لو أنه صدّق حقاً كلامها الفارغ. «الآن ماذا تفعل هنا؟».

«قمّت بنزهة مع أحد الممرّضين. لا أعرفه. أظن أنه نسي بطاقة إسمه».

«هذا جيد»، قالت. «لو كنت تعرف إسمه، كنت بلّغْتُ عنه، وكان سيجد نفسه في ورطة. بعد ذلك؟ عمل مكتبي، عمل مكتبي، عمل مكتبي». قلبت عينيها ونظرت إليها لوك نظرة تعاطف. أعادته إلى المصعد، وسألته أين يُفترض به أن يكون، وأخبرها أنه الطابق ب. صعدت معه، وسألته عن ألمه، وأخبرها أنه زال كلياً.

أخذته البطاقة إلى الطابق ه أيضاً، حيث يوجد الكثير من التفاهة الميكانيكية، لكن عندما حاول أن ينزل أكثر - هناك طوابق سفلية أكثر، فقد

سمع محادثات عن الطابقين ووز - أخبره الصوت المسرور للآنسة مصعد أن الوصول إلى هناك ممنوع. لا بأس. فالمرء يتعلم بالمحاولة.

لا توجد اختبارات ورقية في النصف الأمامي، لكن هناك الكثير من مخططات الموجات الدماغية. يختبر الطبيب إيفانز الأولاد في مجموعات أحياناً، لكن ليس دائماً. ذات مرة وأثناء اختبار لوك لوحده، ابتسم الطبيب إيفانز فجأة، ووضع يده على معدته، وقال إنه سيعود بعد قليل. أخبر لوك ألا يلمس شيئاً وسارع في الخروج. لإسقاط حمولة، افترض لوك.

فحص شاشات الكمبيوتر، ومَرَّرَ أصابعه فوق لوحتي مفاتيح، وفكَّر بالعبث بها قليلاً، وقرَّر أنها فكرة سيئة، فذهب إلى الباب بدلاً من ذلك. نظر إلى الخارج لحظة فتح باب المصعد وخروج الرجل الأصلع الضخم مرتدياً نفس البذلة البنية الغالية. أو ربما هي بذلة أخرى. كل ما يعرفه لوك هو أن ستاكهاوس يملك خزانة كاملة مليئة ببذلات بنية غالية. كان يحمل حزمة أوراق في يده. بدأ يسير في الرواق وهو يبحث فيها، وتراجع لوك بسرعة. الغرفة ج-4 التي تضم مخططة الموجات الدماغية وآلة تخطيط كهربائية القلب تحتوي على مُختلى مظلل صغير للمعدّات مبطن برفوف مليئة بإمدادات مختلفة. دخل لوك إلى هناك دون أن يعرف إن كان الاختباء حذساً عادياً، أو إحدى موجاته تخ الدماغية الجديدة، أو مجرد جنون ارتياب قديم. على كل حال، وصل إلى هناك في الوقت المناسب، فقد أطل ستاكهاوس برأسه وألقى نظرة سريعة في الأرجاء، ثم غادر. انتظر لوك ليتأكد من أنه لن يعود، ثم استأنف جلوسه على المقعد بجانب آلة مخططة الموجات الدماغية.

بعد دقيقتين أو ثلاث دقائق، دخل إيفانز مُسرِعاً ومعطف مختبره الأبيض يتطاير خلفه، وخذاه متورّدان وعيناه محمقتان. أمسك لوك بقميصه. «ماذا قال ستاكهاوس عندما رآك هنا لوحداك؟ أخبرني!».

«لم يقل شيئاً لأنه لم يرني. كنت أنظر خارج الباب لك، وعندما خرج السيد ستاكهاوس من المصعد، دخلتُ إلى هناك». أشار إلى مُختلى المعدّات المظلل، ثم رفع نظره إلى إيفانز بعينين محمقتين بريئتين. «لم أرغب أن أسبب لك أي متاعب».

«فتى مؤدّب»، قال إيفانز وربّت له على ظهره. «كنتُ ألبي نداء الطبيعة، وأيقنتُ أنه يمكنني الوثوق بك. دعنا الآن نُنتهي هذا الاختبار، ثم يمكنك الصعود إلى الطابق العلوي واللعب مع أصدقائك».

قبل أن ينادي يولاندا، وهي ممريضة أخرى (كنيتها فريمان)، لترافقه في العودة إلى الطابق أ، أعطى إيفانز لوك دزينة فيش وتربيتاً آخر من صميم القلب على ظهره. «هذا سرنا الصغير، صح؟».

«صح»، قال لوك.

يظنُّ حقاً أنه يروق لي، قال لوك في سرّه متعجباً. انتظر حتى أُخبر جورج.

2

إلا أنه لم يُخبره أبداً. كان هناك ولدان جديان عليّ العشاء ذلك المساء، وولد قديم مفقود. لقد أخذ جورج، هذا كل ما يعرفه لوك بينما كان يختبئ من ستاكهاوس في مُختلى المعدّات المظلل.

«إنه مع الآخرين»، همس آيفيري للوك تلك الليلة وهما ممدّان على السرير. «تقول شا إنه يبكي لأنه خائف. أخبرتّه أن هذا طبيعي. أخبرتّه أنهم كلهم خائفون».

3

مرتان أو ثلاث مرات خلال استكشافاته، توقّف لوك خارج غرفة استراحة الطابق ب حيث المحادثات مثيرة للاهتمام ومنوّرة. الموظفون يستخدمون الغرفة، لكن تستخدمها أيضاً مجموعات أفراد خارجيين يصلون أحياناً وهم لا يزالون يحملون حقائب سفر لا توجد بطاقات طيران على مقابضها. عندما يرون لوك - ربما وهو يشرب من نافورة الماء القريبة، أو ربما وهو يتظاهر بقراءة مُلصق إعلاني عن النظافة - يتجاهله معظمهم كما لو أنه مجرد قطعة أثاث. الأشخاص الذين تتألف منهم تلك المجموعات يتميّزون بنظرة صارمة، وأصبح لوك متأكداً بشكل متزايد أنهم صيادو المعهد. هذا منطقي لأنه يوجد الكثير من الأولاد في الجناح الغربي الآن. ذات مرة سمع لوك بالصدفة جو يُخبر هداد - الاثنان صديقان عزيزان لبعضهما - أن المعهد أشبه بالبلدة الشاطئية في لونغ آيلند حيث ترعرع. «أحياناً يكون المدّ عالياً»، قال، «وأحياناً أخرى يكون منخفضاً».

«المدّ منخفض غالباً هذه الأيام»، ردّ هداد، وربما هذا صحيح، لكن مع انتهاء يوليو، كان المدّ يرتفع بالتأكيد.

تتألف بعض المجموعات الخارجية من ثلاثة أشخاص، وبعضها من أربعة. ربطهم لوك بالجيش، ربما فقط لأن شعر كل الرجال قصير وشعر النساء مربوط إلى الخلف بشكل مشدود. سَمِعَ مَمْرُضًا يَسْمِي إِحْدَى تَلَكُ المجموعات زُمْرُد. وَسَمِي فَنِيَّ مَجْمُوعَةً أُخْرَى الْيَاقُوتِ الْأَحْمَرِ. تَضَمَّتْ تَلَكُ المجموعة الثانية ثلاثة أشخاص، امرأتين ورجل. عَرَفَ أَنَّ الْيَاقُوتِ الْأَحْمَرَ هِيَ المجموعة التي أَتَتْ إِلَى مِينِيَابُوليسَ لِقَتْلِ وَالِدَيْهِ وَانْتِزَاعِهِ مِنْ حَضِيَّتَيْهِمَا. حَاوَلَ معرفة أسمائهم، مَسْتَمِعًا بِذَهْنِهِ وَأُذُنَيْهِ أَيْضًا، وَحَصَلَ عَلَى إِسْمٍ وَاحِدٍ فَقَطْ: الْمَرْأَةُ الَّتِي رَشَّتْ شَيْئًا عَلَى وَجْهِهِ فِي لَيْلَتِهِ الْأَخِيرَةِ فِي فَالْكُونِ هَايْتَسْ تَدْعَى مِيشِيل. عِنْدَمَا رَأَتْهُ فِي الرِّوَاقِ يَنْحِنِي لِيشْرَبَ مِنَ النَّافُورَةِ، تَجَاوَزَتْهُ عَيْنَاهَا... ثُمَّ عَادَتْ إِلَى الْلِحْظَةِ أَوْ لِحْظَتَيْنِ.

ميشيل.

إِسْمُ آخِرٍ لِيَتَذَكَّرَهُ.

لَمْ يَحْتِجْ لُوكُ إِلَى وَقْتٍ طَوِيلٍ لِكَيْ يَتَأَكَّدَ مِنْ صِحَّةِ نَظَرِيَّتِهِ بِأَنَّهُمْ الْأَشْخَاصُ الْمَكْلُفِينَ بِإِحْضَارِ أَوْلَادِ تِخْ وَتَعِ جَدِّ. كَانَتْ مَجْمُوعَةُ الزُّمْرُدِ فِي غُرْفَةِ الْإِسْتِرَاحَةِ، وَبَيْنَمَا وَقَّفَ لُوكُ خَارِجًا يَقْرَأُ ذَلِكَ الْمُلْصَقَ الْإِعْلَانِيَّ عَنِ النِّظَافَةِ لِلْمَرَّةِ الْعِشْرِينَ، سَمِعَ أَحَدَ رِجَالِ الزُّمْرُدِ يَقُولُ إِنَّهُمْ اضْطَرُّوا إِلَى الْعُودَةِ إِلَى مِيزُورِي مَرَّةً أُخْرَى لِإِحْضَارِ شَيْءٍ بِسُرْعَةٍ. فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ، انْضَمَّتْ فَتَاةٌ مَرْتَبِكَةٌ فِي الرَّابِعَةِ عَشْرَةَ مِنْ عَمْرِهَا تَدْعَى فَرِيدَا بَرَاوِنَ إِلَى مَجْمُوعَتِهِمْ الْمَتَزَايِدَةَ عِدْدًا فِي الْجَنَاحِ الْغَرْبِيِّ.

«أَنَا لَا أَتَمِي إِلَى هُنَا»، أَخْبَرَتْ لُوكُ. «لَقَدْ حَصَلَ خَطَأٌ».

«أَلَنْ يَكُونُ ذَلِكَ لَطِيفًا؟»، رَدَّ لُوكُ، ثُمَّ أَخْبَرَهَا كَيْفَ يُمْكِنُهَا أَنْ تَحْصَلَ عَلَى فَيْش. لَمْ يَكُنْ مَتَأَكِّدًا أَنَّهَا تَسْتَوْعَبُ مَا يَقُولُهُ لَهَا، لَكِنِهَا سَتَفْهَمُ فِي نَهَايَةِ الْمَطَافِ. هَذَا مَا حَصَلَ مَعَ الْجَمِيعِ.

4

لَمْ يَبْدُ أَنَّ أَحَدًا يَمَانَعُ نَوْمَ آيْفِيرِي فِي غُرْفَةِ لُوكُ كُلِّ لَيْلَةٍ تَقْرِيبًا. كَانَ سَاعِي الْبَرِيدِ، وَهُوَ بِالنِّسْبَةِ لِلُوكُ يُحْضِرُ رِسَائِلَ مِنْ كَالِيشَا فِي النِّصْفِ الْخَلْفِيِّ، خِطَابَاتٍ تَأْتِي عِبْرَ التَّخَاطُرِ وَلَيْسَ بِالْبَرِيدِ السَّرِيعِ. كَانَتْ حَقِيقَةُ قَتْلِ وَالِدَيْهِ لَا تَزَالُ حَدِيثَةً وَمَوْذِيَةً لِكَيْ تَتِمَّكَنَ تَلَكُ الرِّسَائِلُ مِنْ إِيقَاطِ لُوكُ مِنْ حَالَتِهِ نِصْفِ الْحَالِمَةِ، لَكِنِ الْأَخْبَارُ الَّتِي تَضَمَّنَتْهَا تَلَكُ الرِّسَائِلُ مَزْعُجَةٌ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ. كَانَتْ تَنْوِيرِيَّةً أَيْضًا، رَغْمَ أَنَّ لُوكُ بَغْنَى عَنِ التَّنْوِيرِ. فِي النِّصْفِ الْأَمَامِيِّ، يَخْضَعُ الْأَوْلَادُ

لاختباراتٍ ويُعاقَبون لسوءِ سلوكهم؛ أما في النصف الخلفي فيُستخدَمون لتنفيذ بعض الأعمال. يُستغلّون. وبدا أنهم يُدمِّرون شيئاً فشيئاً.

الأفلام تسبّب الصُّدَاعات، والصُّدَاعات تدوم أطول وتزداد سوءاً بعد كل فيلم. كان جورج بخير عندما وَصَلَ، خائفاً فقط، وفقاً لكاليشا، لكن بعد أربعة أو خمسة أيام من التعرّض للنقاط والأفلام والحُقن المؤلمة، أصبح يُصاب بصُّدَاعات هو أيضاً.

تُعَرَّض الأفلام في صالة عرض صغيرة ذات مقاعد مريحة فخمة. تبدأ برسوم متحركة قديمة - رود رانر أحياناً، باغز باني أحياناً، أو بندق وميكي أحياناً أخرى. ثم بعد التسخين، يأتي العرض الحقيقي. ظنَّت كاليشا أن الأفلام قصيرة، نصف ساعة كحد أقصى، لكن من الصعب تحديد ذلك لأنها تُصاب بالغثيان خلالها وبالصُّدَاع بعدها. هذا ما يحصل معهم كلهم.

خلال أول مرتين لها في صالة العرض، شاهد أولاد النصف الخلفي فيلمين. بطل الفيلم الأول رجلٌ ذو شعر أحمر خفيف يرتدي بذلة سوداء ويقود سيارة سوداء لامعة. حاوّل آيفيري إظهار تلك السيارة للوك، لكن لوك لم يحصل إلا على صورة غير واضحة، ربما لأن هذا كل ما استطاعت كاليشا إرساله. ومع ذلك اعتقد أنها بلا شك ليموزين أو سيارة فاخرة، لأن آيفيري قال إن ركاب الرجل الأحمر الشعر يجلسون على المقعد الخلفي دائماً. كما أن الرجل يفتح الأبواب للركاب عندما يركبون السيارة وينزلون منها. يُقلُّ نفس الأشخاص في معظم الأيام، أغلبهم عجائز بيض البشرة، لكن أحدهم شابٌ توجد ندبة على خده.

«تقولُ شا إن لديه زبائن دائمين»، همس آيفيري أثناء تمدّده على السرير مع لوك. «تقولُ إنها واشنطن العاصمة، لأن الرجل يقود قرب الكابيتول والبيت الأبيض وأحياناً ترى تلك الإبرة الحجرية الكبيرة».

«نصب واشنطن التذكاري».

«نعم، هذا».

قُبيل نهاية ذلك الفيلم، غيّر الأحمر الشعر بذلته السوداء إلى ملابس عادية. رأوه يركب حصاناً، ثم يدفع فتاة صغيرة على أرجوحة، ثم يأكل البوظة معها على مقعدٍ في منتزه. بعدها ظهرَ الطبيب هندريكس على الشاشة مُمسكاً مُشْرِرةً غير مُشعّلة للرابيع من يوليو.

كان الفيلم الثاني عن رجل يرتدي ما سمّته كاليشا غطاء رأس عربياً، وهذا يعني كوفيّة على الأرجح. كان في شارع، ثم في مقهى في الهواء الطلق يشرب الشاي أو القهوة من كوب، ثم يُلقى خطاباً، ثم يُورجح فتى صغيراً على يديه. ثم ظهر على التلفزيون. انتهى الفيلم بالطبيب هندريكس مُمسكاً المُشترّة غير المُشعّلة.

في الصباح التالي، شاهدت شا والآخرين حلقةً من الرسوم المتحركة سيلفستر وتويتي تلتها خمس عشرة أو عشرون دقيقة من فيلم سائق السيارة ذي الشعر الأحمر. ثم تناولوا الغداء في كافيتيريا النصف الخلفي، حيث السحائر مجانية. بعد ظهر ذلك اليوم، شاهدوا پوركي پيغ ثم فيلم الرجل العربي. كان كل فيلم ينتهي بالطبيب هندريكس والمُشترّة غير المُشعّلة. تلقوا تلك الليلة حُقناً مؤلمةً وجرعةً جديدةً من الأضواء الوامضة. ثم أُعيدوا إلى صالة العرض حيث شاهدوا عشرين دقيقة من أفلام حوادث سيارات. بعد كل حادث، يظهر الطبيب هندريكس على الشاشة مُمسكاً المُشترّة غير المُشعّلة.

بدأ لوك، الكئيب لكن ليس الغبي، يفهم. هذا جنونٌ، لكنه ليس جنوناً أكثر من القدرة على معرفة ما يدور في أذهان الآخرين من وقت لآخر. كما أنه يفسّر أموراً كثيرةً.

«تقول كاليشا إنها تعتقد أنها فقدت الوعي ورأت حلماً أثناء عرض حوادث السيارات»، همس آيفيري في أذن لوك. «إلا أنها ليست أكيدةً أنه كان حلماً. تقول إن الأولاد - هي، نيكي، أيريس، دونا، لن، وبعض الآخرين - كانوا يقفون في تلك النقاط محتضنين بعضهم البعض ومُسندين رؤوسهم على رؤوس بعضهم البعض. تقول إن الطبيب هندريكس كان هناك، وقد أشعل المُشترّة هذه المرة، وكان هذا مخيفاً. لكن طالما بقوا معاً، يحتضنون بعضهم البعض، لم تعد رؤوسهم تؤلمهم. لكنها تقول إنه ربما كان حلماً، لأنها استيقظت في غرفتها. العُرف في النصف الخلفي ليست مثل عُرفنا. تُقفل أبوابها في الليل». سكت آيفيري قليلاً. «لم أعد أريد التكلّم عن هذا هذه الليلة يا لوكي».

«لا بأس. تمّ إذاً».

نام آيفيري، لكن لوك بقي مستيقظاً لوقت طويل.

في اليوم التالي، استخدم كمبيوتره المحمول أخيراً لشيء أكثر من مجرد فحص التاريخ، أو التراسل فورياً مع هيلين، أو مشاهدة بوجاك

هورسمان. ذهب إلى السيد غريفين، ومن السيد غريفين إلى نيويورك تايمز التي أعلمته أنه يمكنه قراءة عشرة مقالات مجانية قبل أن يصطدم بجدار الدفع. لم يعرف لوك عما يبحث بالضبط، لكنه متأكد أنه سيرفقه عندما يراه. وقد عرفه. فقد رأى رأسية على الصفحة الأولى لعدد 15 يوليو تقول النائب بيركوفيتس يستسلم للإصابات.

بدلاً من قراءة المقال، ذهب لوك إلى اليوم الذي قبله. قالت تلك الرأسية تعرّض الطامح الرئاسي مارك بيركوفيتس لجروح خطيرة في حادث سيارة. وكانت هناك صورة. لبيركوفيتس، وهو نائب أميركي من أوهايو، شعر أسود وندبة على خده من جرح أصيب به في أفغانستان. قرأ لوك القصة بسرعة. قالت إن سيارة اللينكولن التي كان بيركوفيتس يركبها في طريقه إلى اجتماع مع كبار شخصيات غربيين من بولندا وبوغوسلافيا خرجت عن السيطرة واصطدمت بدعامة جسر أسمنتية. مات السائق فوراً؛ وصفت مصادر لم تُسمَّ من مستشفى مَدستار أن إصابات بيركوفيتس «خطيرة جداً». لم يقل المقال إن كان السائق أحمر الشعر، لكن لوك عرف أنه كذلك، وكان متأكدًا تمامًا أن رجلاً في إحدى الدول العربية سيموت قريباً، هذا إن لم يمت من قبل. أو ربما سيقتل شخصاً مهماً.

يقين لوك المتزايد بأنه وبقية الأولاد يُحصَّرون ليُستخدَموا كنحللات نفسانية - نعم، حتى أيفيري ديكسون المسالم والذي يخاف من ظله - بدأ يوقظه، لكن الأمر احتاج إلى العرض المُرعِب مع هاري كروس ليُخرجه بالكامل من سكون حزنه.

5

في المساء التالي، كان هناك أربعة عشر أو خمسة عشر ولداً في الكافيتيريا على العشاء، بعضهم يتكلم، بعضهم يضحك، وبعض الأولاد الجدد يكون أو يصرخون. التواجد في المعهد، فكر لوك في سرّه، يشبه بطريقة ما التواجد في مصحّة عقلية قديمة يُوضَع فيها الأشخاص المجانين دون أن يُعالجوا أبداً.

لم يكن هاري هناك في البداية، ولم يكن على الغداء. كان الأخرق الكبير مجرد نقطة على رادار لوك، لكن من الصعب عدم ملاحظته عند تناول الطعام لأن غيردا وغريتا تجلسان معه دائماً، واحدة على كلا طرفيه بملابسهما المتماثلة، تراقبانه بعينين لامعتين وهو يلغو عن ناسكار والمصارعة، برنامجه

المفضّلين، والحياة في سيلما. وإذا طلب منه أحدهم أن يصمت، توجّه إليه الـ
غ الصغيرتان نظراتٍ قاتلةٍ.

التوأمان تاكلان لوحدهما هذا المساء وتبدوان حزبتين من ذلك. لكنهما
حزتا مقعداً لهاري بينهما، وعندما دخلَ يسير ببطء وملوّحاً بطنه ومتوهجاً من
حرقة الشمس، سارعتا إليه وهما تصيحان بالتحية عليه. لمرّة بدأ أنه بالكاد
يلاحظهما. هناك نظرة فراغ في عينيه، ولم تبدوا أنهما تتعقبان معاً مثلما
يُفترض بالعينين أن تفعل. ذقنه تلمع من اللعاب، وهناك بقعة رطبة على منفرج
ساقَي بنطلونه. ماتت الأحاديث فجأة. بدأ الواصلون الجدد مُحترين
ومذعورين؛ وأولئك الذين تواجدوا في المعهد منذ وقت طويل كفاية ليخضعوا
لسلسلة اختبارات راحوا يتبادلون نظرات قلق.

تبادل لوك وهيلين نظرةً. «سيكون بخير»، قالت. «الأمر أسوأ فحسب
على بعض الأولاد مما هو على -»

آيفيري جالسٌ بجانبها. أمسك الآن إحدى يديها بيديه الاثنتين، وتكلّم
بهدوءٍ مُخيف. «ليس بخير. لن يكون بخير أبداً».

أطلق هاري صرخةً، وسقط على رُكبتيه، وارتطم وجهه بالأرض. تطاير
الدم من أنفه وشفتيه على مشمّع الأرضية. بدأ يرتعش أولاً ثم يتشجج رافعاً
رجليه عالياً بشكل متباعد عن بعضهما وملوّحاً ذراعيه في الهواء. بدأ يزمجر -
ليس كحيوانٍ بل كمحرّكٍ يدور بقوة كبيرة لكنه عالق عند ترس منخفض.
تشقلب إلى ظهره وهو لا يزال يزمجر ويرشّ رغوّة دمويّة من بين شفتيه
المثرتين. راحت أسنانه تصطك ببعضها.

بدأت الـ غ الصغيرتان تزعقان. بينما جاءت غلاديس تركض من الرواق
ونورما من خلف المائدة البخارية، ركّعت إحدى التوأمان وحاولت معانقة
هاري. ارتفعت يده اليمنى الكبيرة، وتلوّحت في الهواء، ونزلت بسرعة.
أصابتها على وجهها بقوة فظيعة جعلتها تطير من مكانها. ارتطم رأسها بالجدار
مُحدثاً صوت لطمة. ركّضت التوأم الأخرى إلى أختها وهي تصرخ.

ساد هرج ومرج في الكافيتيريا. بقي لوك وهيلين جالسين، وهيلين تضع
ذراعها على كتفي آيفيري (بدأ ذلك لتهدئة أعصابها أكثر مما هو لتهدئة أعصاب
الفتى الصغير الذي بقي دون حراك أبداً)، لكن العديد من الأولاد الآخرين راحوا
يتجمّعون حول الفتى المختطف. دقّعت غلاديس اثنتين منهم وتكلّمت بغضب
شديد، «ابتعدوا أيها الحمقى!». لا ابتسامة مزيفة كبيرة هذه الليلة من غ.
الكبيرة.

ظَهَرَ المزيد من موظفي المعهد: جو وهَدَاد، تشَاد، كارلوس، اثنان لم يعرفهما لُوكٌ وأحدهما لا يزال يرتدي ملابس المدينة لأنه بلا شك لم يتسنَّ له الوقت لتغييرها قبل بدء وِردِيته. كان جسم هاري يرتفع وينخفض في وثبات جلفانية، كما لو أن الأرض مكهربة. سَمَّر تشَاد وكارلوس ذراعيه وصعَّقه هَدَاد في الضفيرة البطنية، وعندما لم ينفَع ذلك في إيقاف النوبات، صعَّقه جو على عنقه وسُمِعَت فرقة عصا الصعق المضبوطة عند مستوى مرتفع حتى في ضجيج الأصوات المرتبكة. ارتخى جسم هاري، وانتَفَخت عيناه تحت جفَّين نصف مُغمضين. سألت رغوهُ من زوايا فمه، وتنا طرف لسانه.

«إنه بخير، الوضع تحت السيطرة!»، صاح هَدَاد. «عودوا إلى طاولاتكم! إنه بخير!».

ابتعد الأولاد، صامتون الآن ويراغبون. مال لُوكٌ إلى هيلين وقال بصوتٍ منخفضٍ، «لا أعتقد أنه يتنفس».

«ربما يتنفس وربما لا يتنفس»، قالت هيلين، «لكن انظر إلى تلك». أشارت إلى التوأم التي دُفعت إلى الجدار. رأى لُوكٌ أن عيني الفتاة الصغيرة متجمدتين وأن رأسها بدا معقوفاً على عنقها. كان الدم يسيل على أحد خديها ويلطخ كتف فستانها.

«استيقظي!»، كانت التوأم الأخرى تصرخ، وبدأت تهزها. راحت الأواني الفضية تتطاير عن الطاولات في عاصفة؛ انحنى الأولاد والممرضون ليختبئوا. «استيقظي، لم يقصد هاري إيذاءك، استيقظي، استيقظي!».

«أي واحدة هذه؟»، سأل لُوكٌ هيلين، لكن آيفيري هو الذي ردَّ عليه، وبنفس ذلك الصوت الهادئ بشكل مُوحش.

«التي تصرخ وترمي الأواني الفضية هي غيردا. والميثة هي غريتا».

«ليست ميثة»، قالت هيلين بصوت مصدوم. «لا يمكن أن تكون ميثة».

ارتفعت السيكاكين والشوك والملاعق إلى السقف (لا يمكنني فعل أي شيء كهذا أبداً، فكر لُوكٌ في سره) ثم سقطت بقرعةٍ مدويةٍ.

«لكنها ميثة»، قال آيفيري بنبرة واقعية. «وكذلك هاري». نهض وهو يُمسك إحدى يدي هيلين وإحدى يدي لُوكٌ. «أعجبنى هاري حتى ولو أوقعني أرضاً. لم أعد جائعاً». نظر من أحدهما إلى الآخر. «وأنتما أيضاً».

خرج ثلاثتهم دون أن يلحظهم أحد، مبتعدين مسافةً كافيةً عن التوأم الصارخة وأختها الميتة. دخل الطبيب إيفانز الرواق من المصعد مسرعاً والقلق والانزعاج باديان عليه. على الأرجح كان يتناول عشاءه، ففكر لوك في سرّه.

كان كارلوس ينادي خلفهم، «الجميع بخير أيها الشباب! اهدأوا وأنهوا عشاءكم، الجميع بخيراً!».

«النقاط قتلتها»، قال آيفيري. «لم يكن يجدر بالطبيب هندريكس والطبيب إيفانز أن يُرياه النقاط أبداً حتى ولو كان زهرياً. ربما الجين BDNF لديه كان لا يزال مرتفعاً جداً. أو ربما كان شيئاً آخر، حساسيةً مثلاً.»

«ما هو الجين BDNF؟»، سألت هيلين.

«لا أعرف. أعرف فقط أنه إذا كان مرتفعاً حقاً لدى أحد الأولاد، لا يجب أن يتلقى الحُقن الكبيرة إلى أن يذهب إلى النصف الخلفي.»

«ماذا عنك؟»، سألت هيلين وهي تنظر إلى لوك.

هزّ لوك رأسه. ذكرته كاليشا مرةً، وقد سمع هذه الأحرف الأولى تُلقظ في جولتين من جولاته الاستكشافية. ففكر أن يبحث عن الجين BDNF في عُوغل، لكنه قلق من أن ذلك قد يثير ريبة أحدهم.

«لم تتلقاها أبداً، أليس كذلك؟»، سأل لوك آيفيري. «الحُقن الكبيرة؟ الاختبارات الخاصة؟».

«لا. لكنني سأتلقاها. في النصف الخلفي». نظّر إلى لوك بوقار. «الطبيب إيفانز قد يقع في ورطة على ما فعله بهاري. أمل أن يحصل ذلك معه. أنا خائف جداً من الأضواء. والحُقن الكبيرة. الحُقن القوية.»

«أنا أيضاً»، قالت هيلين. «الحُقن التي تلقيتها من قبل سيئة كفاية.»

فكّر لوك بإخبار هيلين وآيفيري عن الحقنة التي سدّت حنجرته، أو الحقنتين اللتين جعلتاها يتقياً (ورؤية تلك النقاط اللعينة كلما انحنى)، لكن بدا له أنها مشكلة سخيفة بالمقارنة مع ما حصل لهاري للتو.

«ابتعدوا»، قال جو.

وَقَفُوا عِنْدَ الْجِدَارِ بِالْقَرَبِ مِنَ الْمُلْصِقِ الْإِعْلَانِي الَّذِي يَقُولُ أَخْتَارُ أَنْ أَكُونَ سَعِيداً. مَرَّ جُو وَهَدَادٌ حَامِلَيْنِ جِثَّةَ هَارِي كَرُوسٍ، وَكَارْلُوسٌ حَامِلاً الْفَتَاةَ الصَّغِيرَةَ ذَاتَ الْعُنُقِ الْمَكْسُورِ الَّذِي رَاحَ يَلُوحُ ذَهَاباً وَإِيَاباً فَوْقَ ذِرَاعِهِ، وَشَعْرُهَا مِتْدَلٌّ نَزولاً. رَاحَ لُوكٌ وَهَيْلِينُ وَأَيْفِيرِي يِرَاقِبُونَهُمْ إِلَى أَنْ رَكَبُوا الْمَصْعَدَ، وَوَجَدَ لُوكٌ نَفْسَهُ يَتَسَاءَلُ إِنْ كَانَتْ الْمَشْرَحَةُ فِي الطَّابِقِ هَ أَوْ ف.

«بَدَتْ كَدْمِيَّةٌ»، سَمِعَ لُوكٌ نَفْسَهُ يَقُولُ. «بَدَتْ مِثْلَ دَمِيئِهَا».

أَيْفِيرِي، الَّذِي كَانَ هَدُوَّهُ الْعَرَّافِي الْمُخِيفَ عِبَارَةً عَنِ صَدْمَةٍ فِي الْوَاقِعِ، بَدَأَ يَبْكِي.

«أَنَا ذَاهِبَةٌ إِلَى غَرَفَتِي»، قَالَتْ هَيْلِينُ. رَبَّتْ عَلَى كَتْفِ لُوكٍ وَقَبَّلَتْ خَدَّيْهِ. «أَرَاكَمَا غَدًا».

إِلَّا أَنَّهُمَا لَمْ تَرَهُمَا. فَقَدَ أَتَى الْمَمْرُضُونَ الزَّرْقَ وَأَخَذُوا لَيْلاً.

6

بَوَّلَ أَيْفِيرِي، نَطَّفَ أَسْنَانَهُ، ارْتَدَى الْبِجَامَةَ الَّتِي يَتْرُكُهَا الْآنَ فِي غَرَفَةِ لُوكٍ، وَاسْتَلْقَى عَلَى سَرِيرِ لُوكٍ. أَنهَى لُوكٌ عَمَلَهُ فِي الْحَمَّامِ، وَاسْتَلْقَى عَلَى السَّرِيرِ مَعَ أَقْسِئِرِ، وَأَطْفَأَ الضَّوْءَ. وَصَّعَ جِبْهَتَهُ عَلَى جِبْهَةِ أَيْفِيرِي وَهَمَسَ، «عَلَيَّ الْخُرُوجُ مِنْ هُنَا».

كَيْفَ؟

لَمْ تَكُنْ كَلِمَةٌ مَلْفُوظَةٌ بَلْ كَلِمَةٌ أَضَاءَتْ لِلْحِظَّةِ فِي ذَهْنِهِ ثَمَّ تَلَاشَتْ. بَدَأَ لُوكٌ يَصْبِحُ بَارِعاً قَلِيلاً الْآنَ فِي الْإِتْقَاطِ تِلْكَ الْأَفْكَارِ، لَكِنْ يُمْكِنُهُ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ فَقَطْ عِنْدَمَا يَكُونُ أَيْفِيرِي قَرِيباً مِنْهُ، وَمَعَ ذَلِكَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ أَبَدًا أَحْيَانًا. النِّقَاطُ - مَا قَالَهُ أَيْفِيرِي هُوَ أَضْوَاءُ شَتَايَ - أَعْطَتْهُ بَعْضَ الْتَخِ، لَكِنْ لَيْسَ الْكَثِيرَ. تَمَامًا مِثْلَمَا أَنْ قَدْرَتَهُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ قَوِيَّةً أَبَدًا. قَدْ يَكُونُ حَاصِلَ ذِكَايِهِ مَرْتَفِعًا جَدًّا، لَكِنْهُ مَجْرِدٌ مُبْتَدِئٌ مِنْ حَيْثُ الْقُدْرَةُ النَّفْسَانِيَّةُ. يُمْكِنُنِي الْاسْتِفَادَةُ مِنْ بَعْضِ الْمَزِيدِ، فَكَّرْتُ فِي سِرِّهِ، وَتَذَكَّرْتُ أَحَدَ أَقْوَالِ جَدِّهِ الْقَدِيمَةِ: الْفَارِقُ بَيْنَ الْمُسْتَحِيلِ وَالْمُمْكِنِ يَتَوَقَّفُ عَلَى عَزِيمَةِ الْمَرْءِ وَإِصْرَارِهِ.

«لَا أَعْرِفُ»، قَالَ لُوكٌ. مَا يَعْرِفُهُ هُوَ أَنَّهُ مَكَثَ هُنَا وَقْتًا طَوِيلًا - أَطْوَلَ مِنْ هَيْلِينِ، وَهِيَ رَحَلَتْ. سَيَأْتُونَ مِنْ أَجْلِهِ قَرِيبًا.

في منتصف الليل، هزَّ آيفيري لُوكَ موقظاً إياه من حلم عن غريتا ويلكوكس - غريتا ممدّدة عند الجدار ورأسها مائل بزاوية خطأ على عنقها. هذا لم يكن حلماً حزين على الخروج منه. كان أفسُتر مكوَّراً قريبه، بركبتيه ومرفقيه الحادّين، ويرتعش مثل كلب شاردر في عاصفة رعدية. أضاء لُوكَ المصباح الذي بجانب السرير، ورأى أن عيني آيفيري تسبحان بالدموع.

«هل من سوء؟»، سأل لُوكَ. «حلم مزعج؟».

«لا. لقد أيقظوني».

«مَن؟»، نظَرَ لُوكَ حوله، لكن الغرفة فارغة والباب مُغلق.

«شا. وأيريس».

«يمكنك سماع آيريس بالإضافة إلى كاليشا؟». هذه معلومة جديدة.

«لم أكن أستطيع سابقاً، لكن... لكنهم شاهدوا الأفلام، ثم النقاط، ثم المُشترّة، ثم قاموا بعناق جماعي مُسندين رؤوسهم على بعضهم، لقد أخبرتُك عن ذلك -»

«نعم».

«عادة أسمعهما أفضل بعد ذلك، فالصُداعات تزول لبرهة، لكن صُداع آيريس عاد حالما انتهى العناق وكان سيئاً لدرجة أنها بدأت تصرخ ولن تتوقف». ارتفع صوت آيفيري أعلى من مستواه المعتاد وتذبذب بطريقة جَعَلت القشعريرة تملأ لُوكَ بالكامل. «رأسي، رأسي سينفجر، أه رأسي المسكين، اجعلوه يتوقف، ليجعله أحدهم يت -»

هزَّ لُوكَ آيفيري بقوة. «أخفِض صوتك. ربما ينتصتون علينا».

أخذ آيفيري عدة أنفاس عميقة. «أتمنى لو يمكنك سماعي داخل رأسك، مثل شا. يمكنني عندها إخبارك كل شيء. لأن إخبارك بصوتي صعب عليّ».

«حاول».

«حاول نيكى وشا مواساتها، لكنهما فشلا. فقد حَدّشت شا وحاولت لكم نيكى. ثم أتى الطيب هندريكس - كان لا يزال مرتدياً بيجامته - ونادى الشباب الحمر. كانوا سيأخذون أيريس».

«إلى النصف الخلفى للنصف الخلفى؟».

«أعتقد ذلك. لكن عندها بدأت تتحسن».

«ربما أعطوها مُسكّن ألم. أو مهدئ أعصاب».

«لا أعتقد. أعتقد أنها أصبحت أفضل فحسب. ربما ساعدتها كاليشا؟».

«لا تسألني»، قال لوك. «كيف يمكنني أن أعرف؟».

لكن آيفيرى لم يكن يستمع إليه. «هناك وسيلة للمساعدة، ربما. وسيلة يمكنهم بها...»، انخفت صوته. ظنّ لوك أنه سيعود إلى النوم. ثم تحرّك آيفيرى وقال، «هناك شيء سيئ حقاً هناك».

«كل شيء سيئ هناك»، قال لوك. «الأفلام، الحُقن، النقاط... كلها سيئة».

«نعم، لكن هناك شيئاً آخر. شيء أسوأ. مثل... لا أعرف...»

وَصَع لوك جبهته على جبهة آيفيرى واستمع بأكبر تركيز يقدر عليه. ما سمعه كان صوت طائرة تمرّ فوقهما على علو شاهق. «صوت؟ صوت أزيز نوعاً ما؟».

«نعم! لكن ليس صوت طائرة. أشبه بقفير نحل. إنها المهمة. أعتقد أنها تأتي من النصف الخلفى للنصف الخلفى».

تململ آيفيرى على السرير. لم يعد يبدو ولداً في ضوء المصباح؛ بل بدا أشبه بعجوز قلق. «تزداد الصّداغات سوءاً أكثر فأكثر وتطول أكثر فأكثر، لأنهم لن يتوقفوا عن جعلهم ينظرون إلى النقاط... أنت تعرف، الأضواء... ولن يتوقفوا عن إعطائهم الحُقن وجعلهم يشاهدون الأفلام».

«والمُشترّة»، قال لوك. «عليهم النظر إليها، لأنها الزناد».

«ماذا تقصد؟».

«لا شيء. اخلد إلى النوم».

«لا أعتقد أنني أستطيع».

«حاول».

وَصَعَ لُوكُ ذِرَاعِيهِ حَوْلَ آيْفِيرِي، وَرَفَعَ نَظْرَهُ إِلَى السَّقْفِ. رَاحَ يَفَكِّرُ
بِأَغْنِيَةِ قَدِيمَةٍ كَانَتْ أُمُّهُ تَغْنِيهَا أَحْيَانًا: كُنْتُ لَكَ مِنَ الْبَدَايَةِ، أَخَذْتَ قَلْبِي. أَخَذْتَ
الْأَفْضَلَ، لِذَا مَا الْفَرَقُ، هَيَا يَا طِفْلَ، خُذِ الْبَاقِي.

بَدَأَ لُوكُ يَزِدَادُ قِنَاعَةً أَكْثَرَ فَاكْثَرَ أَنَّ هَذِهِ هِيَ الْغَايَةُ مِنْ وَجُودِهِمْ هُنَاكَ:
أَنَّ يُوَحِّدَ أَفْضَلَ مَا فِيهِمْ. يُحَوِّلُونَ إِلَى سِلَاحٍ هُنَا، وَيُسْتَخْدَمُونَ هُنَاكَ إِلَى أَنْ
يَفْرَغُوا. ثُمَّ يَذْهَبُونَ إِلَى النِّصْفِ الْخَلْفِيِّ لِلنِّصْفِ الْخَلْفِيِّ، حَيْثُ يَنْضَمُونَ إِلَى
الْأَزِيزِ... مَهْمَا يَكُنْ ذَلِكَ.

هَكَذَا أُمُورٌ لَا تَحْصِلُ، أَخْبَرَ نَفْسَهُ. مَا عَدَا أَنَّ النَّاسَ سَيَقُولُونَ إِنَّ أُمُورًا
مِثْلَ الْمَعْهَدِ لَا تَحْصِلُ أَيْضًا، وَبِالطَّبَعِ لَيْسَ فِي أَمِيرِكَا، وَإِذَا حَصَلَتْ، سَيَنْتَشِرُ
خَبَرُهَا لِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُكَ إِبْقَاءُ أَيِّ شَيْءٍ سِرًّا هَذِهِ الْأَيَّامُ؛ فَالْجَمِيعُ يَثْرَثُونَ. لَكِنْ هَا
هُوَ هُنَا. هَا هُمْ هُنَا. فِكْرَةٌ تَشْتَجَاتُ هَارِي كَرُوسَ وَفَمَهُ الْمُزِيدَ عَلَى أَرْضِيَةِ
الْكَافِيْتِيرِيَا كَانَتْ مَرِيْعَةً، وَمَنْظَرُ تِلْكَ الْفَتَاةِ الصَّغِيرَةِ الْمَسَالِمَةِ بِرَأْسِهَا
الْمَعْقُوفِ وَعَيْنَيْهَا الْمَتَجَمِّدَتَيْنِ اللَّتَيْنِ تَحَدِّقَانِ فِي الْفِرَاقِ كَانَ أَسْوَأَ، لَكِنْ لَا
شَيْءَ يُمْكِنُهُ التَّفَكِيرُ بِهِ كَانَ فَطِيعًا مِثْلَ تَعْرِيزِ الْعُقُولِ لِهَجُومِ مِتْوَاوِصِلِ إِلَى أَنْ
تَصْبِحَ آخِرًا جِزَاءً مِنْ أَزِيزِ قَفِيرٍ. وَفَقَاً لِأَقْسَرِ، هَذَا كَادَ يَحْصِلُ لِأَيْرِيسَ هَذِهِ
اللَّيْلَةَ، وَسَيَحْصِلُ قَرِيبًا لِنِيكِي، مَعْشُوقَ كُلِّ الْفَتِيَّاتِ، وَالسَّاخِرِ جُورِجِ.

وكاليشا.

نَامَ لُوكُ آخِرًا. عِنْدَمَا اسْتَيْقَظَ، كَانَ الْفَطُورُ قَدْ انْتَهَى مِنْذُ زَمَنِ طَوِيلٍ
وَكَانَ لَوْحَدِهِ عَلَى السَّرِيرِ. رَكَضَ لُوكُ فِي الرُّوَّاقِ وَاقْتَحَمَ غُرْفَةَ آيْفِيرِي مِتَّكَدًا
مِمَّا سَيَجِدُهُ، لَكِنْ مُلْصَقَاتِ أَفِيسْتَرِ الْإِعْلَانِيَةِ لَا تَزَالُ عَلَى الْجُدْرَانِ وَدُمَى
الشَّخْصِيَّاتِ الْمَغَامِرَةِ الْخَاصَّةِ بِهِ لَا تَزَالُ عَلَى الْمَكْتَبِ، مِتْمَرِكِزَةً فِي خَطِّ
مِنَاوِشَةَ هَذَا الصَّبَاحِ.

تَنَفَّسَ لُوكُ الصَّعْدَاءَ، ثُمَّ ارْتَعَدَ خَوْفًا عِنْدَمَا صُفِعَ عَلَى الْجَهَةِ الْخَلْفِيَّةِ
لِرَأْسِهِ. اسْتَدَارَ وَرَأَى وَايُونَا (الْكُنْيَةُ: بَرِيغِز). «ارْتَدِ بَعْضَ الْمَلَابِسِ أَيُّهَا الشَّابُّ.
لَسْتُ مَهْتَمَةً بِرُؤْيَةِ أَيِّ ذَكَرٍ فِي سِرْوَالِهِ الْدَاخِلِيِّ إِلَّا إِذَا كَانَ فِي الثَّانِيَةِ
وَالْعِشْرِينَ عَلَى الْأَقْلِ وَمَفْتُولِ الْعِضَلَاتِ. وَأَنْتَ لَسْتُ أَيِّ وَاحِدٍ مِنَ الْاِثْنَيْنِ».

انْتَبَظَتْهُ لَكِي يَتَحَرَّكُ. مَدَّ لَهَا لُوكُ إِصْبَعَهُ الْوَسْطِيَّ (حَسَنًا، مَدَّهُ مَخْفِيًا
عِنْدَ صَدْرِهِ وَلَيْسَ فِي وَجْهِهَا، لَكِنْ الشُّعُورُ جَيِّدٌ رَغْمَ ذَلِكَ) وَعَادَ إِلَى غُرْفَتِهِ

ليرتدي. بعيداً في الرواق، حيث يلتقي بالرواق التالي، رأى سلة غسيل داندوكس. ربما هي سلة جولين أو إحدى مدبّرات المنزل الأخريات اللواتي ظهرنَ للمساعدة في التعاطي مع السيل الحالي من «الضيوف»، لكنه عرّف أنها سلة مورين. يمكنه الشعور بذلك. لقد عادت.

8

عندما رآها بعد خمس عشرة دقيقة، قال لوك لنفسه إن هذه المرأة تبدو مريضة أكثر من أي وقت مضى.

كانت تنظّف غرفة التوأمين، وتنزع المُلصقات الإعلانية لأمرأة وأميرات ديزني وتضعها بعناية في صندوق كرتوني. لقد جُرد سيرا ال غ الصغيرتين من قبل، وُرْميت الملاءات في سلة مورين مع بقية الغسيل القذر الذي جمّعه.

«أين غيردا؟»، سأل لوك. تساءل أيضاً أين غريتا وهاري، ناهيك عن الأولاد الآخرين الذين ربما ماتوا نتيجة اختباراتهم الحقيرة. هل توجد ربما محرقة جثث في مكان ما في حفرة الجحيم هذه؟ ربما في الطابق و؟ إذا كان الأمر كذلك، لا شك أن لها أحدث المصافي، وإلا لكان شمّ رائحة احتراق جثث الأولاد.

«لا تسألني أي أسئلة ولن أكذب عليك. اخرج من هنا يا فتى، وانصرف إلى عملك». كان صوتها حاداً وجافاً، استخفافياً، لكن كل هذا مجرد تمثيل. فحتى التخاطر البسيط يمكن أن يكون مفيداً.

أخذ لوك تفاحة من وعاء الفاكهة في الكافيتيريا، وعلبة سجائر حلوى (دخن مثل بابا تماماً) من إحدى آلات البيع. جَعَلته علبة السجائر الحلوى يفتقد كاليشا، لكنها جَعَلته يشعر أيضاً أنه قريب منها. اختلّس النظر إلى الملعب، حيث رأى ثمانية أو عشرة أولاد يستخدمون المعدّات - مكان مزدحم، بالمقارنة عما كان عليه عندما أتى لوك نفسه. كان آيفيري يجلس على إحدى الوسادات التي تحيط الترامبولين، ورأسه على صدره، وعيناه مُغمضتين، ومستغرق في نومه. لم يتفاجأ لوك من ذلك، فقد أمضى الحقير الصغير ليلةً صعبةً.

رَبَّت شخصٌ على كتفه، بقوة لكن ليس بطريقة غير ودودة. استدار لوك ورأى ستيغي وِپِل - أحد الأولاد الجدد. «يا رجل، كانت ليلة أمس سيئة

جداً»، قال ستيقي. «ذلك الولد الضخم ذو الشعر الأحمر وتلك الفتاة الصغيرة».

«معك حق».

«ثم هذا الصباح جاء أولئك الرجال في البذلات الحمراء وأخذوا فتاة الپانك روك تلك إلى النصف الخلفي».

نظرَ لوك إلى ستيقي برعب صامت. «هيلين؟».

«نعم، هيلين. هذا المكان مربع»، قال ستيقي وهو يحدِّق بالملعب. «أتمنى لو معي حذاء نقات مثلاً. سأغادر هذا المكان بسرعة كبيرة لدرجة سئصيبك بدوار».

«حذاء نقات وقنبلة»، قال لوك.

«ماذا؟».

«تفجير هذا المكان اللعين، ثم الطيران بعيداً».

فكرَ ستيقي بهذا، وتراخى وجهه المستدير، ثم ضحك. «هذا جيد. نعم، تفجيرَه بالكامل ثم الطيران من هنا. بالمناسبة، هل معك فيشة زائدة؟ أنا أجوع في هذا الوقت من اليوم ولستُ من محبِّي التفاح. أفصِّل تويكس أو فونيونز. الفونيونز لذيذة».

لوك، الذي كان قد حصل على فيش كثيرةٍ أثناء تلميع صورته كفتى مؤدَّب، أعطى ستيقي وِپل ثلاث فيش وأخبره أن يدلل نفسه.

9

لأنه تذكَّر أول مرة وقعت فيها عيناه على كاليشا، وربما احتفالاً بهذه الذكرى، دخلَ لوك وجلس بجانب صانعة الثلج، ووضع إحدى السجائر الحلوى في فمه. كان قد وصل إلى سيجارته الحلوى الثانية عندما أتت مورين تدحرج سلتها، المليئة الآن بملاءات وأغطية وسائد نظيفة.

«كيف حال ظهرك؟»، سألها لوك.

«أسوأ من أي وقت مضى».

«هذا مؤسف. هذا مربع.»

«لديّ حبوبي، وهي تساعدني.» مالت واستندت على ساقها، وهذا جعل وجهها قرب وجه لوك.

همس، «أخذوا صديقتي كاليشا. نيكي وجورج. وهيلين اليوم.» معظم أصدقائه رحلوا. ومن أصبح أقدم ولد في المعهد؟ لوك إليس ولا أحد سواه.

«أعرف.» كانت تهمس أيضاً. «كنتُ في النصف الخلفي. لا يمكننا مواصلة الاجتماع والتكلم هنا يا لوك. سيشتبهون بالأمر.»

بدأ كلامها منطقياً، لكن هناك شيئاً غريباً فيه. فعلى غرار جو وهداد، مورين تتكلم مع الأولاد طوال الوقت، وتعطيهم فيشاً عندما يكون معها بعض منها. وألا توجد أماكن أخرى، مناطق ميتة، لا تصلها أجهزة المراقبة الصوتية؟ هذا بالطبع ما اعتقدته كاليشا.

نهضت مورين وتمطّطت مُسندةً يديها عند أسفل ظهرها. تكلمت بصوتٍ عاديٍّ الآن. «هل ستبقى جالسا هنا طوال اليوم؟»

امتصّ لوك السجارة الحلوى المتدلية حالياً من شفته السفلى، ومضغها، ووقف على قدميه.

«انتظر، إليك فيشة.» سحبها من جيب فستانها وسلمته إياها. «استخدمها لشيءٍ لذيذ المذاق.»

مشى لوك متمهلاً إلى غرفته وتمدّد على سريره. تكوّر وفتح الورقة الصغيرة المربعة المشدودة التي أعطته إياها مع الفيشة. خط مورين متزعزع وقديم الطراز، لكن هذا جزء فقط من سبب صعوبة قراءته. فالكلمات صغيرة الحجم. لقد ملأت الورقة بأكملها من جانب إلى آخر، ومن الأعلى إلى الأسفل، واستهلكت جهةً كاملةً منها ونصف الجهة الأخرى. هذا ذكر لوك بشيء قاله السيد سيروا في حصة الإنكليزية عن أفضل القصص القصيرة لإرنست همنغواي: إنها أعاجيب مضغوطة. هذا يصحّ على هذه المراسلة أيضاً. كم عدد المسودات التي احتاجت إليها لكي تختصر ما تريد قوله له إلى هذه الأساسيات المكتوبة على ورقة صغيرة واحدة؟ أعجبه إيجازها حتى عندما بدأ يفهم ما تحاول مورين فعله. ما كانت تحاول فعله.

لوك، عليك أن تتخلّص من هذه الورقة بعد أن تقرّأها. شعرتُ كما لو أن السماوات أرسلتك لي كفرصةٍ أخيرةٍ لأكفّر عن بعض الآثام التي ارتكبتها. لقد

تكلّمتُ مع ليئة فينك في برلنغتون. كل شيء قلته صحيحٌ وكل شيء سيكون بخير بشأن المال الذي أدين به. لكنني لستُ بخير، لأن ألم ظهري هو ما كنتُ أخشاه. لكن بما أن المال الذي ادّخرته آمنٌ الآن، فقد «سحبته». هناك وسيلة لإيصاله إلى إبني لكي يدخل الكلية. لن يعرف أبداً أنه مني وهذا ما أريده. أدين لك بالكثير!! لوك، عليك أن تخرج من هنا. ستذهب إلى النصف الخلفي قريباً. أنت «زهري» وعندما يتوقفون عن اختبارك، قد تكون لديك 3 أيام فقط. هناك شيء أريد إعطائك إياه وأشياء مهمة كثيرة أريد إخبارك إياها لكنني لا أعرف كيف، فقط صانعة الثلج آمنة وقد ذهبنا إليها كثيراً. لا أهتمُ لشأنني لكنني لا أريدك أن تخسر فرصتك الوحيدة. أتمنى لو أنني لم أفعل ما فعلته أو أنني لم أر هذا المكان أبداً. كنت أفكر بالولد الذي تخليت عنه لكن هذا ليس عذراً. فات الأوان الآن. أتمنى لو أننا لم نكن ملزمين أن نتكلم عند صانعة الثلج لكننا قد نضطر إلى المخاطرة. تخلص من هذه الورقة رجاءً يا لوك وكن حذراً، ليس من أجلي، فحياتي ستنتهي قريباً، لكن من أجلك. شكراً لمساعدتي. مورين أ.

إذاً مورين واشية، تنصّت على الأولاد في الأماكن التي يُفتَرَض أنها آمنة، ثم تهرع إلى سيغسبي (أو ستاهاوس) لتتقل المعلومات التي تُقال لها همساً. قد لا تكون الوحيدة أيضاً؛ قد يكون الممرّضان الودودان، جو وهداد، واشيين أيضاً. في يونيو، كان لوك ليكرها جزاءً ذلك، لكنه يوليو الآن، وهو أكبر سناً بكثير.

دخّل الحمّام ورمى رسالة مورين في المرحاض عندما أنزلَ بنطلونه، تماماً مثلما فعل مع ورقة كاليشا. بدا له أن ذلك حصل منذ مئة سنة.

10

بعد ظهر ذلك اليوم، أقام ستيفي وبيبل مباراة في كرة المراوغة شارك فيها معظم الأولاد، لكن لوك رقص. ذهب إلى خزانة الألعاب ليُحضِر رقعة الشطرنج (إحياءً لذكرى نيكي) وكرّر ما عدّه الكثيرون أفضل مباراة في التاريخ، ياكوف أسترين ضد هانس برلينر، كوبنهاغن، 1965. اثنتان وأربعون نقلة، مباراة كلاسيكية. راح يتنقّل جيئةً وذهاباً، أبيض-أسود، أبيض-أسود، أبيض-أسود، وذاكرته تُنجز العمل بينما بقي معظم ذهنه مركزاً على رسالة مورين.

كره فكرة أن مورين واشية، لكنه تفهّم أسبابها. يوجد أشخاص آخرون هنا لا تزال لديهم بعض بقايا الحشمة، لكن العمل في مكان كهذا يدمّر بوصلتك الأخلاقية. كانوا ملعونين، سواء عرّفوا ذلك أم لم يعرفوه. مورين قد تكون ملعونة أيضاً. الشيء الوحيد الذي يهّم الآن هو ما إذا كانت تعرف حقاً طريقةً

يستطيع بها الخروج من هنا. لفعل ذلك تحتاج إلى إعطائه المعلومات من دون أن تثير شكوك السيدة سيغسبي وذلك الرجل ستاكهاوس (إسمه الأول: تريفور). هناك أيضاً السؤال البديهي عما إذا كان يمكن الوثوق بها أم لا. شَعَرَ لوك أنه يمكن الوثوق بها. ليس فقط لأنه ساعدها في ضيقها، بل لأن الرسالة طابعاً يائساً، طابع امرأةٍ قَرَّرت أنها ستخاطر وتضع كل بيضها في سلة واحدة. بالإضافة إلى ذلك، هل لديه أي خيار آخر؟

كان آيفيري أحد المراوغين الذين يركضون داخل الدائرة، والآن أصابه أحدهم على وجهه بالكرة. جلس وبدأ يبكي. ساعده ستيقي وبيبل في النهوض وفحص أنفه. «لا دم، أنت بخير. لما لا تذهب إلى هناك وتجلس مع لوك؟».

«خرجتُ من اللعبة هذا ما تقصده»، قال آيفيري وهو لا يزال ينخر. «لا بأس. لا أزال أستطيع -»

«آيفيري!»، نادى لوك. رَفَع له فيشتين. «هل تريد بعض رقائق البسكويت الهشّ بزبدة الفول السوداني وعبوة كولا؟».

حَبَّ آيفيري صوبه وقد نسي الصفعة على وجهه. «بالتأكيد!».

دخلا المطعم. أدخل آيفيري فيشّة في فتحة آلة الوجبات الخفيفة، وعندما انحنى ليأخذ الحزمة من الدُرج، انحنى لوك معه وهمس في أذنه. «هل تريد مساعدتي على الخروج من هنا؟».

رَفَع آيفيري حزمة رقائق البسكويت الهشّ. «أتريد واحدة؟» وفي ذهن لوك، أضاءت المضاء وحَبَّت: كيف؟

«سأخذ واحدة فقط وأترك لك الباقي»، قال لوك وأرسل له ثلاث كلمات: أخبرك هذه الليلة.

محادثتان تجريان، واحدة بصوتٍ عالٍ وواحدة بين ذهنيهما. وهكذا سينجح الأمر مع مورين.

أمل ذلك.

11

بعد الفطور في اليوم التالي، أخذت غلاديس وهداد لوك إلى خزان الغمر. تركاه هناك مع زيكي ودايف.

قال زيكي أيونيديس، «نحن نُجري اختبارات هنا، لكنه أيضاً المكان الذي نغطس فيه الفتيان الأشقياء والفتيات الشقيات الذين لا يقولون الحقيقة. هل تقول الحقيقة يا لوك؟».

«نعم»، قال لوك.

«هل لديك التخاف؟».

«ماذا؟»، قال وهو يعرف جيداً ما قصده زيكي العجيب الخلق.

«التخاف. تخ. هل لديك منه؟».

«لا. أنا تخ، ألا تتذكّر؟ تحريك الملاعق وهكذا أمور؟»، حاول أن يتسم. «لكن لا يمكنني ليها. حاولتُ ذلك».

هزّ زيكي رأسه. «إذا كنتَ تخ ورأيتَ النقاط، يكون لديك التخاف. أنتَ تخ وترى النقاط، تحرّك الملاعق. هكذا يتم الأمر».

أنتَ لا تعرف كيف يتم الأمر، فكّر لوك في سرّه. لا أحد منكم يعرف. تذكر أن أحدهم - ربما كالپشا، ربما جورج - أخبره أنهم سيعرفون إن كذب بشأن رؤية النقاط. شَعَرَ أن ذلك صحيح، فربما قراءات مخططة الموجات الدماغية تُظهر لهم ذلك، لكن هل يعرفون هذا؟ لا. زيكي يخادع.

«لقد رأيتُ النقاط بضع مرات، لكن لا يمكنني قراءة الأفكار».

«يعتقد هندريكس وإيفانز أنه يمكنك ذلك»، قال دايف.

«لا يمكنني حقاً». نظّر إليهما بأكثر عينين صادقيتين لديه.

«سنرى إن كانت هذه هي الحقيقة»، قال دايف. «تعرّ يا حلو».

مع عدم وجود خيار آخر، خلع لوك ملابسه ونزلَ في الخزان. عمقه حوالي متر وربع وعرضه حوالي مترين ونصف. الماء بارد ومنعش؛ كل شيء جيد حتى الآن.

«إنني أفكّر بحيوان»، قال زيكي. «ما هو؟».

كان قطعة. لم يحصل لوك على أي صورة، بل مجرد كلمة، كبيرة وساطعة مثل لافتة لماركة شراب شعير في نافذة مقصف.

«لا أعرف».

«حسناً يا حلو، إذا كنت تريد التصرف هكذا. خذ نفساً عميقاً، انزل تحت سطح الماء وعدّ إلى خمسة عشر. ضع مرحبا بين كل رقم وآخر. واحد مرحبا، اثنان مرحبا، ثلاثة مرحبا، وهكذا دواليك».

فعلَ لُوكُ ذلك. عندما خَرَجَ، سأله دايف (الكنية مجهولة، حتى الآن على الأقل) عن الحيوان الذي يفكر به. الكلمة التي في ذهنه كانت كنغر.

«لا أعرف. لقد أخبرْتُك، أنا تع ولسْتُ تخ. ولسْتُ حتى تع-إيجابي».

«انزل»، قال زيكي. «ثلاثون ثانية، مع مرحبا بين كل رقم وآخر. سأقيس لك الوقت يا حلو».

دامت الغطسة الثالثة خمساً وأربعين ثانيةً، والرابعة دقيقة كاملة. وكان يُسأل بعد كل غطسة. بدلاً من حيواناتٍ إلى أسماء مختلف الممرّضين: غلاديس، نورما، بيت، پريسلا.

«لا أستطيع!»، صرّح لُوكُ وهو يمسح الماء عن عينيه. «ألا تفهم؟».

«ما أفهمه هو أننا سنجرّب دقيقةً وربع»، قال زيكي. «وبينما تعدّ، فكّر كم من الوقت تريد مواصلة هذا. المسألة بين يديك يا حلو».

حاول لُوكُ أن يخرج من الماء بعد أن عدّ إلى سبعة وستين. أمسك زيكي رأسه ودفعه نزولاً. خرج عند الدقيقة وخمس عشرة ثانية يلهث بقوة وقلبه يخفق بسرعة.

«أي فريق رياضي أفكّر به؟»، سأل دايف، وفي ذهنه رأى لُوكُ لافتة مقصف ساطعة تقول فايكنغ.

«لا أعرف!».

«كلام فارغ»، قال زيكي. «دعنا نصل إلى دقيقة ونصف».

«لا»، قال لُوكُ وهو يخوض نحو وسط الخزان. كان يحاول ألا يُصاب بالذعر. «لا أستطيع».

قلّب زيكي عينيه. «لا تكن جباناً. يستطيع صيادو أسماك أذن البحر الغطس لتسع دقائق. كل ما أريده مجرد تسعين ثانية. إلا إذا أخبرت عمك

دايف هنا ما هو فريقه الرياضي المفضل».

«ليس عمّي ولا أستطيع فعل ذلك. الآن دعني أخرج». ولأنه لم يكن قادراً على منع نفسه من قول ذلك: «رجاءً».

أخرج زيكي عصا الصعق من قِرابها وتقصد المبالغة في إظهار رفعه مستوى الصعق إلى الحد الأقصى. «هل تريدني أن ألمس هذا بالماء؟ إن فعلتُ هذا سترقص مثل مايكل جاكسون. تعال إلى هنا الآن».

مع عدم وجود خيار آخر، خاض لوك نحو حافة خزّان الغمر. هذا مسلٍ، قالت ريتشاردسون.

«فرصة واحدة أخرى»، قال زيكي. «بماذا يفكر؟».

الفايكنغ، مينيسوتا فايكنغ، فريق مسقط رأسي.

«لا أعرف».

«حسناً»، قال زيكي بنبرة أسف. «جندي البحرية لوك يغوص الآن».

«انتظر، أعطه بضع ثوانٍ لكي يستعدّ»، قال دايف. بدا قلقاً، وهذا أقلق لوك. «املاً رثيّك بالهواء يا لوك. وحاول أن تبقى هادئاً. عندما يكون جسمك في حالة تأهب قصوى، يستهلك المزيد من الأكسجين».

شهق لوك وزفر ست مرات ثم غطس. حطّت يد زيكي على رأسه وأمسكت له شعره. هدوء، هدوء، هدوء، فكر لوك في سرّه. أيضاً، زيكي أيها السافل، أيها السافل، أكرهك أيها الساديّ.

أنهى الثواني التسعين وخرج يلهث. جفّف له دايف وجهه بمنشفة. «توقف عن هذا»، همسَ في أذن لوك. «فقط أخبرني بماذا أفكر. إنه نجم سينمائي هذه المرة».

ماتّ دايمون، قالت الآن لافنة المقصف التي في ذهن دايف.

«لا أعرف». بدأ لوك يبكي، وسالت الدموع على وجهه الرطب.

قال زيكي، «حسناً. دعنا نصل إلى دقيقة وخمس وأربعين ثانية. مئة وخمس ثوانٍ كبيرة، ولا تنسَ أن تضع مرحبا بين كل رقم وآخر. سنحوّلك إلى صياد سمك أذن البحر».

تسارعت أنفاس لوك مرة أخرى، لكن حين وَصَلَ إلى مئة وهو يعدُّ في ذهنه، أيقن أنه سيفتح فمه ويمتصّ الماء. سيسحبونه، ويُعِشونَه، ويعيدون الكُرّة. سيستمرّون في فعل ذلك إلى أن يُخبرهم ما يريدون سماعه أو يغرق.

أخيراً اختفت اليد التي كانت على رأسه. اندقّع إلى أعلى وهو يلهث ويسعل. أعطوه وقتاً ليتعافى، ثم قال زيكي، «لا تهتمّ بالحيوانات والفرق الرياضية وكل ذلك. فقط اعترف. قلّ «أنا تخا، أنا تخ» وسيتوقف هذا».

«حسناً! حسناً، أنا تخا!».

«رائع!»، صاح زيكي. «هذا تقدّم! ما هو الرقم الذي أفكّر به؟».

قالت لافته المقصف الساطعة 17.

«سته»، قال لوك.

قلّد زيكي صوت صفّارة برنامج مسابقات. «آسف، كان سبعة عشر. دقيقتان هذه المرة».

«لا! لا أستطيع! رجاءً!».

تكلم دايف بهدوء. «آخر مرة يا لوك».

دفع زيكي زميله بكتفه بقوة كافية ليقعه أرضاً. «لا تُخبره ما قد لا يكون صحيحاً». أعاد انتباهه إلى لوك. «سأعطيك ثلاثين ثانية لتملأ رئتيك بأكبر كمية ممكنة من الهواء، ثم ستنزل. فريق الغطس الأولمبي يا عزيزي».

مع عدم وجود خيار آخر، شهق لوك وزفر بسرعة، لكن قبل وقت طويل من وصوله إلى ثلاثين في ذهنه، أطبقت يد زيكي على شعره ودقّته نزولاً.

فتح لوك عينيه وحدّق بالجهة البيضاء للخزان. الطلاء مخدوش في مكانين، ربما بأطافر الأولاد الآخرين الذين عانوا من هذا العذاب المخصّص حصراً للزهريين. ولماذا؟ هذا واضح تماماً. لأن هندريكس وإيفانز يعتقدان أنه يمكن توسيع نطاق المواهب النفسانية، وأنه يمكن الاستغناء عن الزهريين.

توسيع، استغناء، فكّر في سرّه. توسيع، استغناء. هدوء، هدوء، هدوء.

ورغم أنه بدّل فُصارى جهده ليدخل حالة صفاء تأمليّ، طالبت رثاه بمزيد من الهواء في نهاية المطاف. حالة صفائه التأمليّ، التي لم تكن صفاءً تأمليّاً جداً من الأصل، انهارت عندما انتبه إلى أنه إذا صمدَ هذه المرة فسيُجبر على الغطس لدقيقتين وخمس عشرة ثانية، ثم دقيقتين وثلاثين ثانية، ثم -

بدأ يتلوّى. ضغط عليه زيكي نزولاً. زرع قدميه أرضاً ودفعَ إلى أعلى، وكاد يصل إلى السطح، لكن زيكي أضاف يده الأخرى ودفعَه نزولاً مرة أخرى. عادت النقاط تومض أمام عينيه، أسرعَت نحوه، ثم تراجعَت عنه، ثم أسرعَت نحوه مرة أخرى. بدأت تدور حوله مثل دوّامة خيل أصابها الجنون. فكر لوك في سرّه، أضواء شتازي. سأغرق وأنا أنظر إلى -

يرفعه زيكي بشعره. غلالته البيضاء مشبّعة بالماء. جملق بلوك. «سأغطسك مرة أخرى يا لوك. مرةً تلو الأخرى تلو الأخرى. سأغطسك إلى أن تغرق ثم سنُعيشك ونغطسك مرة أخرى ونُعيشك مرة أخرى. آخر فرصة: ما هو الرقم الذي أفكر به؟».

«لا...»، تقياً لوك ماءً، «... أعرف!».

بقيت تلك النظرة المحدّقة الثابتة لخمس ثوانٍ على الأرجح. لاقاها لوك، رغم أن عينيه كانتا تدفقان دموعاً. ثم قال زيكي، «تباً لهذا وتباً لك يا حلو. دايف، جفّفه وأرسله إلى غرفته. لا أريد النظر إلى وجهه الحقير الصغير».

غادر وحَبط الباب خلفه.

خرج لوك من الحوض مترجّحاً وكاد يسقط. أمسكه دايف ثم سلّمه منشفةً. جفّف لوك نفسه وارتدى ملابسَه بأسرع ما يمكنه. لم يرغب أن يكون قرب هذا الرجل أو هذا المكان، لكن حشريته بقيت حتى وهو يشعر أنه نصف ميت. «لماذا الأمر مهم إلى هذا الحدّ؟ لماذا الأمر مهم إلى هذا الحدّ في حين أنه ليس حتى ما نحن هنا من أجله؟».

«كيف تعرف ما نحن هنا من أجله؟»، سأل دايف.

«لأنني لستُ غيباً، لهذا السبب».

«تريد إبقاء فمك مغلقاً يا لوك»، قال دايف. «أنا معجب بك، لكن هذا لا يعني أنني أريد سماعك تتكلم بعداوة».

«مهما تكن الغاية من النقاط فإن لا علاقة لها أبداً بمعرفة إن كنتُ أملك الميزتين، تخ و تع معاً. ماذا تفعلون؟ هل تعرفون حتى -»

صَفَعَهُ دَائِفٌ صَفْعَةً قَوِيَةً أَوْقَعَتْهُ أَرْضًا. الْمَاءُ الْمَتَجَمِّعُ عَلَى يِلَاطِ الْأَرْضِيَّةِ شَبَّعَ سُرُوَالَهُ الْجِينِزَ. «لَسْتُ هُنَا لِأَجِيبَ عَلَى أَسْئَلَتِكَ». انْحَنَى نَحْوَ لُوكٍ. «نَعْرِفُ مَا الَّذِي نَفَعَلَهُ أَيُّهَا الْمَتَذَاكِي! نَعْرِفُ تَمَامًا مَا الَّذِي نَفَعَلَهُ!». وَبَيْنَمَا رَفَعَ لُوكٌ عَنِ الْأَرْضِ: «كَانَ عِنْدَنَا وَلَدٌ الْعَامَ الْمَاضِي صَمَدًا ثَلَاثَ دَقَائِقٍ وَنِصْفٍ. كَانَ وَلَدًا مَزْعَجًا جَدًّا، لَكِنَّهُ كَانَ جَرِيئًا عَلَى الْأَقْلِ!».

12

أَتَى آيْفِيرِي إِلَى غُرْفَتِهِ قَلِقًا، وَطَلَبَ مِنْهُ لُوكٌ أَنْ يَنْصَرِفَ، فَهُوَ يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يَبْقَى لَوْحَدِهِ لِبَرَهَةٍ.

«كَانَ سَيِّئًا، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟»، سَأَلَ آيْفِيرِي. «الْخَزَّانُ. آسَفٌ يَا لُوكٌ».

«شُكْرًا. انْصَرِفِ الْآنَ. سَنَتَكَلَّمُ لَاحِقًا».

«حَسَنًا».

ذَهَبَ آيْفِيرِي مُغْلَقًا الْبَابَ خَلْفَهُ بِتَهْذِيبٍ. تَمَدَّدَ لُوكٌ عَلَى ظَهْرِهِ، وَحَاوَلَ عَدَمَ اسْتِرْجَاعِ تِلْكَ الدَّقَائِقِ الَّتِي لَا تَنْتَهِي وَهُوَ مَغْمُورٌ فِي الْخَزَّانِ. بَقِيَ يَنْتَظِرُ عَوْدَةَ الْأَضْوَاءِ، تَتَمَايَلُ وَتَتَسَابِقُ فِي مَجَالِ رُؤْيَتِهِ، وَتَرَسِمُ دَوَائِرَ وَدَوَّامَاتٍ تَسَبَّبَ دُورًا. عِنْدَمَا لَمْ تَعُدْ، بَدَأَتْ أَعْصَابُهُ تَهْدَأُ. فِكْرَةٌ وَاحِدَةٌ طَغَتْ عَلَى بَقِيَّةِ أَفْكَارِهِ، حَتَّى عَلَى خَوْفِهِ مِنْ عَوْدَةِ النِّقَاطِ... وَبَقِيَتْ هَذِهِ الْمَرَّةُ.

الْخُرُوجُ. عَلَيَّ الْخُرُوجُ. وَإِذَا لَمْ أَسْتَطِعْ فَعَلْ ذَلِكَ، عَلَيَّ أَنْ أَمُوتَ قَبْلَ أَنْ يَأْخُذُونِي إِلَى النِّصْفِ الْخَلْفِيِّ وَيَأْخُذُونَ مَا تَبَقِيَ مِنِّي.

13

أَسْوَأُ الْحَشْرَاتِ رَحَلَتْ مَعَ يُونِيُو، لِذَا التَّقَى الطَّبِيبُ هَنْدْرِيكْسُ مَعَ زِيكِي أَيُونِيدِيسِ أَمَامَ مَبْنَى الْإِدَارَةِ، حَيْثُ يَوْجَدُ مَقْعَدٌ تَحْتَ شَجَرَةٍ سَنْدِيَانٍ ظَلِيلَةٍ. وَعَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْهُمَا تَوْجَدُ سَارِيَّةٌ عَظِيمَةٌ تَرْفُرُ عَلَيْهَا النُّجُومُ وَالتَّقْلِيمَاتُ بِكَسَلٍ فِي نَسْمَةٍ صَيْفٍ خَفِيفَةٍ. كَانَ الطَّبِيبُ هَنْدْرِيكْسُ يَضَعُ مَجْلَدَ لُوكٍ عَلَى حُضْنِهِ.

«أَنْتِ مِتَّأَكِدٌ»، قَالَ لِزِيكِي.

«مِتَّيْقِنٌ. لَقَدْ غَطَّسْتُ الْوَعْدَ الصَّغِيرَ خَمْسَ أَوْ سِتِّ مَرَاتٍ، أَظُنُّ، وَكُلَّ مَرَّةً أَطُولُ بِخَمْسِ عَشْرَةَ ثَانِيَةً، مِثْلَمَا قَلْتِ بِالضَّبْطِ. لَوْ يُمْكِنُهُ قِرَاءَةُ الْأَفْكَارِ،

لفعل ذلك بكل تأكيد. جندي البحرية لا يستطيع تحمّل ذلك، ناهيك عن ولد لم تنبت أي شعرة من لحيته بعد».

بدأ هندريكس جاهزاً لمواصلة اختباره، ثم تنهّد وهزّ رأسه. «حسناً. يمكنني تقبّل ذلك. لدينا الكثير من الزهريين الآن، والمزيد قادم أيضاً. تُخمة من الخيرات. لكنها لا تزال خيبة أمل، فقد عقدتُ آمالاً كبيرة على ذلك الفتى».

فتح الملف ذا النقطة الزهرية الصغيرة في زاويته اليمنى العليا. أخذ قلماً من جيبه ورسم خطأً قطرياً على الصفحة الأولى. «صحته سليمة على الأقل. أعطاه إيفانز شهادة طبية بأن صحته جيدة. تلك الفتاة الحمقاء - بنسون - لم تنقل له عدوى جذري الماء».

«ألم يكن مُلقحاً ضدها؟»، سأل زيكي.

«بلى، لكنها بذلت جهداً كبيراً لتقايض اللعاب معه. وقد كانت حالتها خطيرة. لا يمكن المخاطرة بذلك. في التأثي السلامة وفي العجلة الندامة».

«لذا متى سيذهب إلى النصف الخلفي؟».

ابتسم هندريكس قليلاً. «تريد التخلّص منه بأسرع ما يمكن، أليس كذلك؟».

«في الواقع، لا»، قال زيكي. «ربما الفتاة بنسون لم تنقل له عدوى جذري الماء، لكن ويلهولم نقل له جرثومة إثارة المتاعب».

«سيذهب حالما أحصل على الضوء الأخضر من هكل وجكل».

تظاهر زيكي بالارتعاش. «ذائك الاثنان. مُقرّان. مروّعان».

لم يقدّم هندريكس رأياً عن أطباء النصف الخلفي. «هل أنت متأكد أنه فارغ تماماً من التخاطر؟».

رَبَّتْ له زيكي على كتفه. «تماماً أيها الطيب. بكل تأكيد».

14

بينما كان هندريكس وزيكي يناقشان مستقبله، كان لوك في طريقه لتناول الغداء. بالإضافة إلى ترهيبه، تركه خزّان الغمر جائعاً بشراهة. عندما

سأله ستيقي وبيل أين كان وما خطبه، هَرَّ لُوكُ رأسه فحسب. لم يرد التكلّم عن الخزان. ليس الآن، وليس لاحقاً أبداً. افترض أنه يشبه المشاركة في حربٍ. تُجنّد، تذهب، لكنك لا تريد التكلّم عما رأيته، أو ماذا حصل لك هناك.

بعد أن ملأ بطنه بنسخة الكافيتيريا لطبق فيتوتشيني ألفريدو، أخذ قيلولةً واستيقظ وهو يشعر بتحسّنٍ طفيف. ذهب يبحث عن مورين ولمحها في الجناح الشرقي المهجور سابقاً. يبدو أن المعهد قد يستضيف مزيداً من الضيوف قريباً. سار إليها وسألها إن تحتاج إلى مساعدة. «لأنني لن أمانع كسب بعض الفيش»، قال.

«لا، أنا بخير». بدت للوك أنها تشيخ أكثر فأكثر كل ساعة تقريباً. وجهها شاحبٌ تماماً. تساءل كم من الوقت سيمرّ قبل أن يلاحظ أحدهم حالتها ويجعلها تتوقف عن العمل. لم يعجبه التفكير بما قد يصيبها إذا حصل ذلك. هل هناك برنامج تقاعد لمديرات المنزل اللواتي كنّ وشاة المعهد أيضاً؟ لا يظن.

سلة غسيلها نصف ممتلئة بملاءات نظيفة، ورمى لُوكُ رسالته فيها. لقد كتبها على ورقة مذكرة سرقتها من مُختلى المعدّات المظلل في ج-4، مع قلم حبر جاف رخيص أخفاه تحت فراشه. محتوّمٌ على أنبوبة القلم عقار دينيسون ريفر بند. رأت مورين الرسالة المطوية فغطتها بغطاء وسادة، وأعطته إيماءة بسيطة. ذهب لُوكُ في حاله.

تلك الليلة على السرير، بقي يهمس لآيفيري لوقت طويل قبل أن يدع الولد ينام. هناك سيناريو هان، أخبر آيفيري، لا بد من ذلك. اعتقد أن أفسّتر فهم. أو ربما أمل هي الكلمة الصحيحة.

بقي لُوكُ مستيقظاً لوقت طويل، يستمع إلى شخير آيفيري الخفيف ويفكّر ملياً بالهروب. بدت الفكرة منافية للعقل وممكنة تماماً في الوقت نفسه. هناك مصابيح المراقبة المليئة بالغبار، وكل الأوقات التي تُرك فيها لوحده ليتجوّل ويجمع فتات المعلومات. هناك مناطق المراقبة الميتة المزيفة التي تعرف عنها سيغسبي وأتباعها، وتلك الحقيقية التي لا يعرفون عنها (أو أمل ذلك). في النهاية، المعادلة بسيطة جداً. عليه أن يحاول. فالبديل هو أضواء شتازي، الأفلام، الصّداعات، المُشترّة التي تسبّب ما تسببه. وفي نهاية كل ذلك، الأزيز.

عندما يتوقفون عن اختبارك، قد تكون لديك 3 أيام فقط.

بعد ظهر اليوم التالي، انضم تريفور ستاكهاوس إلى السيدة سيغسبي في مكتبها. وجدها منحنية فوق ملف مفتوح، تقرأه وتدوّن ملاحظات. رفعت إصبعاً واحداً دون أن تنظر إليه. ذهب إلى نافذتها التي تطلّ على الجناح الشرقي للمبنى الذي يسمّونه صرح المساكن، كما لو أن المعهد كليّة حقاً، كليّة يصدف أنها تقع في الغابة العميقة لماين الشمالية. يمكنه رؤية ولدّين أو ثلاثة يتجمعون عند آلات الوجبات الخفيفة والمياه الغازية التي أعيدت تعبئتها للتو. لم يعد هناك تبغ أو شراب متوفر في غرفة الاستراحة تلك منذ عام 2005. فالجناح الشرقي يستقبل عدداً قليلاً من المقيمين أو يكون فارغاً عادة، وعندما يتواجد فيه بعض المقيمين، يمكنهم الحصول على السجائر وشراب العنب من آلات البيع الموجودة في الطرف الآخر للمبنى. بعضهم يجرب تذوقها فقط، لكن عدداً مدهشاً - عادة أولئك الأكثر اكتئاباً والمرتعبون من التغيير المأساوي المفاجئ في حياتهم - يصبحون مدمنين بسرعة. أولئك هم الذين يسبّبون أقل المتاعب، لأنهم لا يريدون الفيش فحسب، بل يحتاجون إليها. اعتبر كارل ماركس أن الدين أفيون الشعوب، لكن ستاكهاوس يخالفه الرأي. فهو يجد أن سجائر لافي سترايك وشراب مزرعة بون (المفضّل كثيراً لدى ضيوفهم الإناث) يؤديان الوظيفة تماماً.

«حسناً»، قالت السيدة سيغسبي وهي تُغلق ملفها. «جاهزة لك يا تريفور».

«أربعة آخرون قادمون غداً من فريق الأويال»، قال ستاكهاوس وقد شبك يديه خلف ظهره وباعد قدميه عن بعضهما. مثل قبطان على مقدمة سفينته، فكرت السيدة سيغسبي في سرّها. كان يرتدي إحدى بذلاته البنيّة الفارقة، والتي كانت لتعتبرها خياراً فظيماً لمنتصف الصيف، لكنه يعتبرها بلا شك جزءاً من صورته. «لم نشهد هذا العدد منذ 2008».

استدار عن المنظر الذي لم يجده مثيراً للاهتمام كثيراً. أحياناً - أو بالأحرى، غالباً - يسأم من الأولاد كثيراً. لم يعرف كيف يفعل الأساتذة ذلك، خاصة من دون حرية ضرب الوقحين وكهربة الثائرين منهم، مثل نيكولاس ويلهولم الراحل الآن.

قالت السيدة سيغسبي، «مرّت فترة - قبلك وقبلي بزمن طويل - تواجد فيها أكثر من مئة ولد هنا. كانت هناك لائحة انتظار».

«حسناً، كانت هناك لائحة انتظار. من الجيد معرفة ذلك. الآن لماذا استدعيتني إلى هنا؟ فريق الأويال في مكانه، وإحدى عمليات الإحضار تلك

على الأقل ستكون دقيقة. أنا مسافر هذه الليلة. الفتاة في بيئة مُشرف عليها عن كتب».

«تقصد بيئة إعادة تأهيل».

«هذا صحيح». يبدو أن الـ تع العاليي الأداء ينسجمون جيداً نسبياً في المجتمع، لكن الـ تخ العاليي الأداء بشكل مماثل يعانون من مشاكل، ويلجأون إلى الشراب أو المخدرات في أغلب الأحيان. لقد أحبطوا سبيل الإدخال، افترض ستاكهاوس. «لكنها تستحق العناء. ليس فوق مع الفتى ديكسون - فهو شخص نشط - لكن تقريباً. لذا أخبريني ما الذي يُشغل بالك، ودعيني أنصرف إلى عملي».

«لا يُشغل بالي بل مجرد تحذير. ولا تحوم خلفي فهذا يسبب لي القشعريرة. اسحب كرسيًا».

بينما جلس على كرسي الزائر عند الجهة الأخرى لمكتبها، شغلت السيدة سيغسبي ملف فيديو على كمبيوترها المكتبي يُظهر آلات الوجبات الخفيفة خارج الكافيتيريا. الصورة غائمة، وترتعش كل عشر ثوانٍ تقريباً، ويقطعها تشويش ساكنٌ من وقت لآخر. أوقفت السيدة سيغسبي الفيديو مؤقتاً خلال أحدها.

«أول شيء أريدك أن تلاحظه»، قالت مستخدمةً نبرة قاعة المحاضرات الجافة التي أصبح يكرهها، «هو نوعية هذا الفيديو. إنها غير مقبولة أبداً. هذا ينطبق على نصف كاميرات المراقبة على الأقل. كاميرا المراقبة الموجودة في متجر البقالة الصغير الحقير ذاك في بند أفضل من معظم كاميرتنا». قصّدت دينيسون ريفر بند، وهذا صحيح.

«سأنقل المعلومة، لكن كلينا يعرف أن البنية التحتية لهذا المكان سيئة جداً. وآخر ترميم شامل جرى منذ أربعين سنة، عندما كانت الأمور في هذا البلد مختلفة. أكثر مرونة بكثير. حالياً، لدينا فقط متخصصان في تكنولوجيا المعلومات، وأحدهما في إجازة الآن. معدّات الكمبيوتر قديمة، وكذلك المولّدات. أنتِ تعرفين كل هذا».

السيدة سيغسبي تعرف ذلك تماماً. السبب ليس انعدام التمويل؛ بل عدم قدرتهم على الاستعانة بمساعدة خارجية. مفارقتك المستعصية الأساسية، بمعنى آخر. يجب أن يبقى المعهد معزولاً عن العالم الخارجي، وهذا أصبح أصعب بكثير في عصر الوسائط الاجتماعية والقرصنة. حتى همسة عما يفعلونه هنا ستكون بمثابة انتحار. للعمل المهم جداً الذي يؤدّونه، نعم، لكن

للموظفين أيضاً. هذا جعل التوظيف صعباً، وجعل التموين صعباً، والإصلاحات كابوساً.

«التشويش يأتي من معدّات المطبخ»، قال. «الخلّاطات، مطاحن النفايات، أجهزة المايكروويف. قد أتمكن من إيجاد حل لها».

«وربما قد تتمكن حتى من إيجاد حل للمصابيح الموضوعة فيها الكاميرات. حل منخفض التقنية. أظن أنه يسمّى «نفص الغبار». لدينا بوابون».

نظر ستاكهاوس إلى ساعته.

«حسناً يا تريفور. يمكنني أن أفهم التلميح». شغلت الفيديو مرة أخرى. ظهرت مورين ألفورسون مع سلة تنظيفها يرافقها مقيمان: لوك إليس وآيفيري ديكسون، تخ-الإيجابي الاستثنائي الذي يبيت الآن مع إليس في معظم الليالي. ربما الصورة دون المستوى القياسي، لكن الصوت جيد.

«يمكننا التكلّم هنا»، قالت مورين للفتيين. «هناك ميكروفون، لكنه لم يعمل منذ سنوات. فقط ابتسما كثيراً لكي يعتقد كل من ينظر إلى الفيديو أنكما تتملقاني لبعض الفيش. ماذا تريدان أن تقولاً لي؟ واختصراً».

كان هناك صمت قصير. حكّ الفتى الصغير ذراعيه، وقَرَص منخرّيه، ثم نظر إلى لوك. إذاً ديكسون موجود هنا كشاهد فقط. هذه قضية إليس. لم يتفاجأ ستاكهاوس لأن إليس هو الولد الذكي. لاعب الشطرنج.

«حسناً»، قال لوك، «إنه بشأن ما حصل في الكافيتيريا. لهاري وال غ الصغيرتين. هذا ما لدينا لنقوله».

تنهّدت مورين ووضعت سلتها أرضاً. «لقد سمعتُ عنه. هذا مؤسف جداً، لكن مما سمعتُ، هم بخير».

«حقاً؟ ثلاثتهم؟».

سكتت مورين قليلاً. راح آيفيري يحدّق بها بقلق وهو يحكّ ذراعيه ويقرص أنفه، وبدأ كما لو أنه بحاجة إلى أن يبوّل. قالت أخيراً، «ربما ليسوا بخير الآن، على الأقل ليس كلياً، سمعتُ الطيب إيفانز يقول إنهم أخذوهم إلى المشفى في النصف الخلفي. لديهم مشفى ممتاز هناك».

«ماذا لديهم أيضاً -»

«اسكت». رفعت يدها للوك ونظرت حولها. تشوّشت الصورة، لكن الصوت بقي واضحاً. «لا تسألني عن النصف الخلفي. لا يمكنني التكلم عنه، ما عدا قول إنه لطيف، ألطف من النصف الأمامي، وبعد أن يمضي الفتيان والفتيات بعض الوقت هناك، يعودون إلى منازلهم».

كانت تحتضنهما بذراعيها عندما أصبحت الصورة واضحة. تحتضنهما بقوة. «انظري إلى هذا»، قال ستاكهاوس بإعجاب. «شجاعة الأم. إنها بارعة».

«صه»، قالت السيدة سيغسبي.

سأل لوك مورين إن كانت واثقة أن هاري وغريتا حيّان. «لأنهما بدّوا... حسناً... ميّين».

«نعم، كل الأولاد يقولون ذلك»، وافق آيفيري وزمّر من أنفه بقوة. «هاري فقد السيطرة على نفسه وتوقف عن التنفس. وبدأ رأس غريتا معقوفاً وغريباً على عنقها».

لم تتسرّع مورين في الإجابة؛ استطاع ستاكهاوس رؤيتها تختار كلماتها. شَعَر أنها كانت لتشكّل عميلة استخبارات جيدة في مكان من المهم فيه جمع معلومات استخبارية. في غضون ذلك، كان الفتيان ينظران إليها وينتظران.

قالت أخيراً، «طبعاً لم أكن هناك، وأعرف أن المشهد كان مخيفاً بلا شك، لكنني أعتقد أنه بدا أسوأ بكثير مما كان في الواقع». سكتت مرة أخرى، لكن بعد أن عصر آيفيري أنفه لإراحته من جديد، أكملت تقول، «إذا كان الفتى كروس قد أصيب بنوبة - وأقول إذا - فسيكونون قد أعطوه الدواء الصحيح. أما بالنسبة لغريتا، فقد كنتُ أمرّ بجانب غرفة الاستراحة وسمعتُ الطبيب إيفانز يُخبر الطبيب هندريكس أنها تعاني من التواء في العنق. وصّعوا لها دعامة للعنق على الأرجح. لا شك أن أختها معها. لتسليها».

«حسناً»، قال لوك بنبرة ارتياح. «طالما أنك متأكدة».

«متأكدة تماماً، هذا كل ما يمكنني إخبارك يا لوك. هناك قدر كبير من الكذب في هذا المكان، لكنني تربيّت على ألا أكذب على الناس، خاصة الأولاد. لذا كل ما يمكنني قوله هو أنني متأكدة تماماً. الآن لماذا الأمر مهم إلى هذا الحد؟ فقط لأنكما قلقان على أصدقائكما، أم هناك شيء آخر؟».

نظرَ لوك إلى آيفيري الذي شدّ أنفه شدّة قوية، ثم أوماً برأسه.

قلّبت ستاكهاوس عينيه. «يا للهول يا ولد، إذا كان عليك نقره، انقره وانتِه من الأمر. المداعبة تُفقدني أعصابي».

أوقفت السيدة سيغسبي الفيديو مؤقتاً. «إنها حركة لإراحة النفس، وأفضل من أن يُمسك سلتته. لقد شهدتُ عدداً كبيراً من الممسكين بمنفرج ساقيهم، فتيات وفتيان على حد سواء. الآن إلزم الصمت. هذا هو الجزء المثير للاهتمام».

«إذا أخبرتك شيئاً، هل تعدين الاحتفاظ به لنفسك؟»، سأل لوك.

فكّرت بهذا بينما تابع آيفيري تعذيب أنفه المسكين. ثم أومأت برأسها.

أخفّض لوك صوته. رَفَعَت السيدة سيغسبي حجم الصوت.

«يتكلّم بعض الأولاد عن الإضراب عن الطعام إلى أن نستطيع التأكد أن الغ الصغيرتين وهاري بخير».

أخفّضت مورين صوتها. «أي أولاد؟».

«لا أعرف بالضبط»، قال لوك. «بعض الأولاد الجدد».

«أخبرهم أنها فكرة سيئة جداً. أنت ولد ذكي يا لوك، ذكي جداً، وأنا أكيدة أنك تعرف معنى كلمة انتقام. يمكنك شرحها لآيفيري لاحقاً». حملقت بالفتى الأصغر سناً، الذي انسحب من ذراعيها ووضع يداً وقائيةً على أنفه كما لو أنه خشي أنها قصّدت إمساكه بنفسها، وربما حتى نزرعه منه. «يجب أن أذهب الآن. لا أريدكما أن تقعا في ورطة، ولا أريد أن أقع في ورطة أيضاً. إذا سألكما أحدٌ عما كنا نتكلّم -»

«كنا نتملّقك لإنجاز أعمالٍ للحصول على فيّش أكثر»، قال آيفيري. «فهمتُ».

«جيد». ألقت نظرة سريعة على الكاميرا فوقهم، وهمت بالانصراف، ثم استدارت. «ستخرجان من هنا قريباً، وتعودان إلى منزليكما. حتى ذلك الوقت، كونا ذكيين. لا تهزّوا الزورق».

أمسكت خرقَةً لمسح الغبار ومسحت دُرج التسليم في آلة الشراب مسحةً سريعةً، ثم رفعت سلتها ورحلت. تلكاً لوك وآيفيري لحظةً أو لحظتين، ثم ذهبا أيضاً في حالهما. أغلقت السيدة سيغسبي الفيديو.

«إضراب عن الطعام»، قال ستاكهاوس مبتسماً. «هذه فكرة جديدة».

«نعم»، وافقته السيدة سيغسي.

«الفكرة بحدّ ذاتها تُرعبني». اتسعت ابتسامته إلى ملء شدقيه. قد لا تجاربه سيغرز، لكنه لم يكن قادراً على منع نفسه من فعل ذلك.

لدهشته، ضحكت في الواقع. متى كانت آخر مرة سمعها فيها تضحك؟ الجواب الصحيح قد يكون مطلقاً. «للفكرة جانبيها المضحك. الأولاد الذين ينمون يشكّلون أسوأ مُضربين عن الطعام. إنهم أكلُ نهمون. لكنك محقّ بأنها فكرة جديدة كلياً. أيّ من الأولاد الجدد تعتقد أنه طرّحها؟».

«آه، بالله عليك. لا أحد منهم. لدينا ولد واحد فقط ذكي كفاية ليعرف حتى ما هو الإضراب عن الطعام، وهو هنا منذ شهر تقريباً».

«نعم»، وافقته. «وسأبتهج عندما يغادر النصف الأمامي. كان ويلهولم مزعجاً، لكنه على الأقل صريح بغضبه. أما إليس... محتال. لا أحبّ الأولاد المحتالين».

«لكم من الوقت إلى أن يرحل؟».

«الأحد أو الاثنين، إذا وافق هالاس وجايمس في النصف الخلفي. وسيوافقان. هندريكس انتهى منه تقريباً».

«جيد. هل ستواجهين فكرة الإضراب عن الطعام، أم تدعينها تتلاشى؟ أقترح أن تتغاضين عنها. ستموت ميتةً طبيعيةً، هذا إن حصلت من الأصل».

«أظن أنني سأواجهها. مثلما قلت، لدينا الكثير من المقيمين حالياً، وقد يكون من الجيد التكلّم معهم بشكل جماعي لمرةٍ واحدةٍ على الأقل».

«إذا فعلت ذلك، سيعرف إليس على الأرجح أن ألفورسون واشية». لا شكّ في ذلك نظراً لدرجة ذكاء الولد.

«لا يهمّ. سيرحل بعد بضعة أيام، وصديقه الصغير اللاعب بأنفه سيتبعه قريباً. الآن بشأن كاميرات المراقبة تلك...»

«سأكتب مذكرةً إلى آندي فيلوز قبل أن أغادر هذه الليلة، وسنجعلها أولويةً حالماً أعود». مال إلى الأمام شابكاً يديه ومركزاً عينيه البتيتين عليّ عينيها الرماديتين الأرجوانيتين الداكنتين. «في هذه الأثناء، استرخي قليلاً.

ستسبني قرحةً لنفسك. ذكري نفسك مرةً في اليوم على الأقل أننا نتعامل مع أولاد وليس مع مجرمين محتكين».

لم تردّ السيدة سيغسبي بأي كلمة، لأنها عرفت أنه محقّ. حتى لوك ليس الذكي هو مجرد ولد، وبعد أن يمضي بعض الوقت في النصف الخلفي، سيظل ولداً لكنه لن يعود ذكياً أبداً.

16

عندما دخلت السيدة سيغسبي الكافيتيريا تلك الليلة، بجسمها النحيل والمستقيم في بذلة قرمزية وبلوزة رمادية وعقد من اللاكئ، لم تكن بحاجة أن تطرق ملعقةً على كوب زجاجي وتطلب انتباه الجميع، فقد توقفت كل الثرثرات حالاً. انجرف الفتيون والممرضون إلى المدخل الذي يؤدي إلى غرفة الاستراحة الغربية. حتى موظفو المطبخ ظهروا وتجمّعوا خلف منضدة السلطات.

«مثلما يعرف معظمكم»، قالت السيدة سيغسبي بصوت لطيفٍ مسموع، «فقد وقع حادث مشؤوم هنا في الكافيتيريا منذ ليلتين. هناك إشاعات بأن ولدين ماتا في ذلك الحادث. هذا غير صحيح على الإطلاق. نحن لا نقتل الأولاد هنا في المعهد».

جالت بنظرها عليهم وهم ينظرون إليها بعيون شاخصة وقد نسوا طعامهم.

«في حال كان بعضكم مركزاً على كوكتيل فاكهته ولم ينتبه لما قلته، دعوني أكرّر جملي الأخيرة: نحن لا نقتل الأولاد». سكتت قليلاً لتدع جملتها ترسخ في أذهانهم. «لم تطلبوا أن تكونوا هنا. كلنا نفهم هذا، لكننا لا نعتذر عنه. أنتم هنا لتخدموا ليس بلدكم فحسب، بل العالم بأكمله. عندما تنتهي خدمتكم، لن تنالوا ميداليات ولن تُقام استعراضات على شرفكم. لن تُدركوا شكرنا الصادر من القلب لأنه قبل أن تغادروا، سُمسح ذكرياتكم عن المعهد. تُمحي، للذين منكم لا يفهمون هذه الكلمة». وجدت عيناها عيني لوك للحظة وقالت له لكنك بالطبع تفهمها. «رغم ذلك افهموا رجاءً أن لديكم ذلك الشكر. ستخضعون لاختبارات خلال إقامتكم هنا، وبعض الاختبارات قد تكون صعبة، لكنكم ستحمّلونها وتعودون إلى عائلاتكم. لم نفقد ولداً أبداً من قبل».

سكتت قليلاً مرةً أخرى بانتظار أن يردّ أو يعترض أي شخص. ويلهولم كان ليفعل ذلك، لكنه رحل. إليس لم يفعل ذلك لأن الردّ المباشر ليس أسلوبه.

بصفته لاعب شطرنج، يفضّل المناورات المستترة ليشنّ هجومه. لن تعود عليه بالنفع الكبير.

«أُصيب هارولد كروس بنوبةٍ قصيرةٍ بعد خضوعه لاختبار الحقل البصري والحدّة البصرية الذي يسمّيه بعضكم، أولئك الذين خضعوا له، «النقاط» أو «الأضواء». ضَرَبَ عن غير قصد غريتا وِلكوكس التي كانت تحاول - بشكلٍ مثير للإعجاب، أنا متأكّدة أن هذا شعورنا كلنا - أن تواسيه. تعرّضت لالتواءٍ خطير في العنق، لكنها ستتعافى. أختها معها. سيُعاد توأما وِلكوكس وهارولد إلى منزليهما الأسبوع القادم، وأنا أكيدة أننا سنرسل أطيب أمنياتنا معهم».

بحثت عيناها مرة أخرى عن عينيّ لوك الجالس إلى طاولة عند الجدار البعيد. صديقه الصغير معه. كان فم ديكسون فاغراً، لكنه على الأقل ترك أنفه وشأنه في الوقت الحاضر.

«إذا ناقصَ أي شخص ما أخبرتكم إياه للتو، كونوا أكيدين أنه يكذب، ويجب التبليغ عن كذبه لأحد الممرّضين أو التقنيين فوراً. هل هذا مفهوم؟».

صمّت، من دون حتى سعال متوتر لكسره.

«إذا كان مفهوماً، أريدكم أن تقولوا «نعم، سيدة سيغسبي»؟».

«نعم، سيدة سيغسبي»، أجاب الأولاد.

ابتسمت ابتسامة خفيفة. «أعتقد أنه يمكنكم فعل أفضل من هذا».

«نعم، سيدة سيغسبي!».

«والآن باقتناع حقيقي».

«نعم، سيدة سيغسبي!». هذه المرة حتى موظفو المطبخ والفنيون والممرّضون شاركوا.

«جيد». ابتسمت السيدة سيغسبي. «ليس هناك شيء يضاها صرخةً إيجابيةً لتصفية الرئتين والدهن، صح؟ أكملوا الآن تناول طعامكم». استدارت إلى موظفي المطبخ ذوي الأردية البيضاء. «وحلويات إضافية قبل النوم، بافتراض أنه يمكنك تزويد قوالب حلوى وبوظة أيها الطباخ دوغ؟».

رسمَ الطَّبَّاحُ دَوْغَ دائِرَةً بِإِبْهَامِهِ وَسَبَابِئِهِ. بَدَأَ شَخْصٌ يَصْقُّ، وَانضَمَّ إِلَيْهِ آخَرُونَ. أَوَمَاتُ السَّيِّدَةِ سَيْغَسْبِي بِرَأْسِهَا يَمِينًا وَبِسَارًا لَتُظْهَرُ امْتِنَانُهَا لِلتَّصْفِيقِ وَهِيَ تَغَادِرُ الْغُرْفَةَ رَافِعَةً رَأْسَهَا وَمِلْوَحَةً فِي يَدَيْهَا فِي أَقْوَامٍ دَقِيقَةٍ صَغِيرَةٍ جَدًّا. ارْتَسَمَتْ ابْتِسَامَةٌ خَفِيفَةٌ، مَا وَجَدَ لُوكٌ أَنَّهَا تَشْبَهُ ابْتِسَامَةَ مُونَالِيْزَا، عِنْدَ زَوَايَا فَمِهَا. تَفَرَّقَ ذَوُو الْأُرْدِيَةِ الْبِيضَاءُ لِلْإِفْسَاحِ الْمَجَالِ لَهَا لَكِي تَمَرَّ.

انحنى آيفيري وهو لا يزال يصقُّ ليقترّب من لوك وهمس، «كذّبت بكل شيء».

أوماً له لوك إيماءة تكاد لا تُلحظ.

«السافلة اللعينة»، قال آيفيري.

أوماً لوك نفس الإيماءة الصغيرة جداً وأرسل له رسالة ذهنية قصيرة: تابع التصفيق.

17

ذلك المساء تمّدّد لوك وآيفيري جنباً إلى جنب على سرير لوك مع سكون المعهد لليلة أخرى.

روى آيفيري همساً كل شيء أخبرته إياه مورين كلما مدّ يده إلى أنفه كإشارة لها لكي ترسل له. كان لوك قلقاً أن مورين قد لا تفهم الرسالة التي رماها لها في سلتها (إجحافٌ لإرادتي صغيرٌ هناك، ربما بسبب زيّ مدبرة المنزل البني الذي ترتديه، عليه أن يعمل على معالجة ذلك)، لكنها فهمت تماماً، وزوّدت آيفيري بلائحة الخطوة خطوة. اعتقد لوك أن أفسّتر كان يمكن أن يكون حاذقاً أكثر قليلاً بشأن الإشارات، لكن بدا له أن الأمور سارت على ما يرام. عليه أن يأمل ذلك. على افتراض صحة ذلك، كان السؤال الحقيقي الوحيد لدى لوك هو ما إذا كانت الخطوة الأولى يمكن أن تنجح فعلاً أم لا. المسألة بسيطة إلى حدّ الفظاظة.

تمدّد الفتيان على ظهريهما يحدّقان بالظلمة. كان لوك يستعرض الخطوات للمرة العاشرة - أو ربما الخامسة عشرة - عندما غزا آيفيري ذهنه بثلاث كلمات ومصّت مثل لافتة نيون حمراء، ثم تلاشت تاركة صورةً تلوّيةً.

نعم، سيّدة سيغسبي.

نكزه لوك.

صَحَك آيفيري بفتور.

بعد بضع ثوانٍ، أتت الكلمات مرة أخرى، هذه المرة أكثر إشراقاً حتى.

نعم، سيدة سيغسبي!

نكّزه لُوك مرة أخرى لكن وهو يبتسم، وعَرَف آيفيري ذلك على الأرجح، سواء كانت هناك ظلمة أم لا. فالابتسامة في ذهنه مثلما هي على شفّتيه، وشَعَرَ لُوك أن لديه الحق ليبتسم. قد لا ينجح في الهروب من المعهد - عليه أن يقرّ أن الاحتمالات ضد ذلك - لكن اليوم كان يوماً جيداً. الأمل كلمة رائعة، شيءٌ ممتازٌ للشعور به.

نعم، سيدة سيغسبي، أيتها السافلة اللعينة!

«توقف وإلا سأدغدغك»، همسَ لُوك.

«نجح الأمر، صح؟»، همسَ آيفيري. «نجح حقاً. هل تعتقد أنه يمكنك حقاً...»

«لا أعرف، أعرف فقط أنني سأحاول. اصمت الآن واخلد إلى النوم.»

«أتمنى لو يمكنك أخذي معك. أتمنى ذلك من كل قلبي.»

«أنا أيضاً»، قال لُوك بكل جدّية. سيكون الأمر صعباً على آيفيري لوحده هنا. كان متأقلماً اجتماعياً أكثر من الـ غ الصغيرتين أو ستيشي وِپل، لكن لا أحد سيمنحه لقب صاحب أجمل شخصية.

«عندما تعود، أحضِر معك ألف شرطي»، همسَ آيفيري. «وافعل ذلك بسرعة قبل أن يأخذونني إلى النصف الخلفي. افعل ذلك بينما لا نزال قادرين على إنقاذ شا.»

«سأفعل ما بوسعي»، وعدّه لُوك. «توقف الآن عن الصياح في ذهني. تلك النكتة تصبح غير مضحكة بسرعة.»

«أتمنى لو لديك تخ أكثر. وأن الإرسال لا يؤلمك. يمكننا التكلّم بشكل أفضل.»

«لو كانت الأمانى أحصنةً لامتطاها المتسوّلون. للمرة الأخيرة، اخلد إلى النوم.»

نام آيفيري، وبدأ لوك يغفو أيضاً. كانت خطوة مورين الأولى مقعقة مثل صانعة الثلج حيث تكلموا أحياناً، لكن عليه أن يقر أنها تطابق كل الأشياء التي لاحظها من قبل: مصابيح كاميرات مليئة بالغبار، نعال جدران تشطى فيها الطلاب منذ سنوات ولم يرمم أبداً، بطاقة مصعد متروكة بإهمال. استغرق في التفكير مرة أخرى كيف أن هذا المكان يشبه صاروخاً أطفئت محرّكاته ولا يزال يتحرّك لكن في انزلاق عَطاليّ الآن.

18

في اليوم التالي، رافقته وايبونا نزولاً إلى الطابق ج حيث خضع لفحص سريع: ضغط الدم، معدل ضربات القلب، الحرارة، مستوى الأوكسجين. وعندما سأل لوك ما هو الاختبار التالي، فحص دايف لوحه المشبكي وابتسم له ابتسامة مشمسة - كما لو أنه لم يُوقعه أرضاً أبداً - وقال إن لا شيء مجدول له.

«لديك يوم إجازة يا لوك. استمتع به». رفع يده فاتحاً كفه.

ابتسم له لوك بدوره وخبطاً كفه بكفه، لكنه كان يفكر برسالة مورين: عندما يتوقفون عن اختبارك، قد تكون لديك 3 أيام فقط.

«ماذا بشأن الغد؟»، سأل أثناء عودتهما إلى المصعد.

«سندع الغد يهتم بنفسه»، قال دايف. «إنها الوسيلة الوحيدة للحياة».

ربما هذا يصحّ مع البعض، لكنه لم يعد يصحّ معه. تمنى لو يتسنى له وقت إضافي ليستعرض خطة مورين - أو ليماطل، نوعاً ما - لكنه خشي أن وقته انقضى تقريباً.

أصبحت كرة المراوغة عادةً يوميةً في ملعب المعهد، من الشعائر تقريباً، والجميع يشارك فيها لبعض الوقت على الأقل. دخل لوك الدائرة وراح يتدافع مع بقية المراوغين لحوالي عشر دقائق قبل أن يدع الكرة تصيبه. بدلاً من الانضمام إلى الرماة، اجتاز نصف الملعب المغطى بالأسفلت، وتجاوز فريدا براون التي كانت تقف لوحدها تسدّد رميات حرة. شَعَرَ لوك أنها لا تزال لا تملك فكرة حقيقية عن المكان الذي تتواجد فيه. جلس على الحصة مُسنداً ظهره على السياج المُشبك. على الأقل تحسّنت حالة الحشرات قليلاً الآن. أفلت يديه وراح يكنس بهما بخمول ذهاباً وإياباً على جانبيه، وعيناه مركّزتان على مباراة كرة المراوغة.

«هل تريد تسديد بعض الرميات؟»، سألت فريدا.

«ربما لاحقاً»، قال لوك. مدَّ يده خلفه بشكل عادي جداً وراح يتلمَّس أسفل السور، ووجدَ أن مورين محقَّة؛ هناك فجوة حيث تهبط الأرض قليلاً. قد يكون ذلك الهبوط ناتجاً عن ذوبان الثلج أوائل الربيع. هبوط لثلاثة أو خمسة سنتيمترات فقط، لكنه موجود فعلاً. لم يتكبَّد أحدٌ عناء سدّه. أراح لوك يده المقلوبة إلى أعلى على الجهة السفلى المكشوفة من السور، وراحت أشواك السلك تضغط على راحة يده. هزَّ رؤوس أصابعه في الهواء الحر خارج المعهد للحظة أو لحظتين، ثم نهض، ونفض الغبار عن مؤخرته، وسأل فريدا إن أرادت لعب كرة السلة. ابتسمت له ابتسامة متلهِّفة قالت نعم! بالطبع! كن صديقي!

شيءٌ يفطر القلب نوعاً ما.

19

لم يخضع لوك لأي اختبار في اليوم التالي أيضاً، ولم يتكبَّد أحدٌ حتى عناء أخذ قياساته الحيوية. ساعد كوني، أحد البوابين، على حمل فراشين من المصعد إلى غرفتين في الجناح الشرقي، وحصل على فيشة رديئة واحدة لكل هذا الجهد (كل البوابين بخلاء عندما يتعلق الأمر بتوزيع الفيش)، وفي طريق عودته إلى غرفته، وجدَ مورين واقفةً قرب صانعة الثلج تشرب من قارورة الماء التي تركها هناك دائماً لتبقى باردةً. سألها إن كانت بحاجة إلى أي مساعدة.

«لا، أنا بخير». ثم أضافت بصوتٍ خافتٍ: «كان هندريكس وزيكى يتكلَّمان في الخارج قرب سارية العَلَم. رأيتهما. هل خضعتَ لأي اختبارٍ؟».

«لا. ليس ليومين».

«هذا ما ظننته. إنه يوم الجمعة. قد يكون لديك وقت حتى السبت أو الأحد، لكن لا تجازف». مزيج القلق والشفقة الذي رآه على وجهها المنهك أزعجه.

هذه الليلة.

لم ينطق هاتين الكلمتين بصوتٍ عالٍ، بل قالهما فقط بشفتيه دون صوته واضعاً يده عند مستوى وجهه ليحكُّ تحت عينه. أومأت برأسها.

«مورين... هل يعرفون أن لديك...». لم يستطع إنهاء جملته، ولم يحتج إلى ذلك.

«يعتقدون أنه عرق النَّسا». بالكاد كان صوتها همساً. «قد تكون لدى هندريكس فكرة، لكنه لا يهتم. لا أحد منهم يهتم، طالما أنه يمكنني مواصلة العمل. اذهب الآن يا لوك. سأرتب غرفتك بينما تتناول الغداء. ابحث تحت فراشك عندما تأوي إلى السرير. حظاً سعيداً». ترددت. «أتمنى لو يمكنني معانقتك يا بُني».

شعر لوك أن عينيه تغرورقان فأسرع مبتعداً قبل أن يمكنها رؤية ذلك.

تناول غداءً كبيراً رغم أنه لم يكن جائعاً جداً. سيفعل الشيء نفسه على العشاء. شعر أنه إذا نجحت خطته، سيحتاج إلى كل طاقة يمكنه اكتسابها.

ذلك المساء على العشاء، انضمت فريدا إليه وآيفيري وقد بدا أنها دمغت لوك في ذهنها. خرجوا إلى الملعب بعد ذلك. رقص لوك أن يلعب كرة السلة مع الفتاة قائلاً إنه سيراقب آيفيري لبرهة على الترامبولين.

أزهرت إحدى كلمات النيون الحمراء تلك في ذهن لوك أثناء مراقبته أفستر يقفز إلى الأعلى والأسفل، ويرتطم جالساً على مؤخرته أو بطنه ثم يستقيم.

هذه الليلة؟

هزر لوك رأسه. «لكنني أحتاج منك أن تنام في غرفتك. أودّ الحصول على ثماني ساعات كاملة لمرّة واحدة».

انزلق آيفيري عن الترامبولين ونظر إلى لوك بوقار. «لا تُخبرني ما ليس صحيحاً لأنك تعتقد أن أحداً سيراني حزيناً ويتساءل عن السبب. لست مضطراً أن أبدو حزيناً». ومطّ شفتيه في ابتسامة زائفة بشكل ميووس.

حسناً. فقط لا تُفسد فرصتي يا أفستر.

عُد من أجلي إن استطعت. رجاءً.

سأفعل ذلك.

بدأت النقاط تعود مُحضرةً معها ذكرى قوية لخزان الغمر. اعتقد لوك أن السبب هو الجهد الذي أخذه ليرسل أفكاره عن وعي.

بقي آيفيري ينظر إليه لفترةٍ، ثم ركّض إلى ملعب كرة السلة. «هل تريدان لعب كرة السلة يا فريدا؟».

نظّرت إليه بازدراء وابتسمت له. «يا ولد، سأهزمك شرّ هزيمة».

«سنرى بشأن ذلك».

لعبا بينما بدأ ضوء اليوم يتلاشى. اجتاز لوك الملعب والتقت إلى الورا مرةً بينما آيفيري - الذي سمّاه هاري كروس ذات يوم «صديق لوك الصغير» - يحاول تسديد الكرة بشكل نصف دائري دون أن يصيب أي شيء. اعتقد أن آيفيري سيأتي إلى غرفته تلك الليلة لفترة طويلة كفاية ليسترّد فرشاة أسنانه على الأقل، لكنه لم يفعل.

20

لعب لوك بضعة ألعاب من سلاپ داش و100 كرة على كمبيوتره المحمول، ثم نظف أسنانه، تعرّى إلى سرواله الداخلي، وأوى إلى السرير. أطفأ المصباح ومدّ يده إلى تحت فراشه. كان ليقطع أصابعه بالسكين التي تركتها له مورين (خلافًا للسكاكين البلاستيكية الموجودة في الكافيتيريا، شعر أن هذه سكين تقشير ذات شفرة حقيقية) لو لم تلقها بمنشفة. هناك شيء آخر أيضاً، شيء يمكنه التعرف عليه باللمس. لقد استخدّم الكثير منه قبل أن يأتي إلى هنا. إنه محرّك أقراص وامض. مال في الظلمة وحشر الغرضين في جيب بنطلونه.

ثم جاء وقت الانتظار. بقي الأولاد يركضون ذهاباً وإياباً في الرواق لبعض الوقت، ربما يلعبون لعبة المطاردة وربما يلهون فحسب. هذا يحصل كل ليلة الآن بما أنه يوجد الكثير من الأولاد. كان هناك صياح وضحك، ويلي ذلك أصوات إسكات مُبالغ فيها، ثم المزيد من الضحك. كانوا ينقّسون عن غضبهم. ينقّسون عن خوفهم. أحد الصائحين الأكثر صخباً هذه الليلة كان ستيشي وپيل، واستنّج لوك أن ستيشي تناول بعض شراب العنب أو شراب الليموناضة. لم يكن هناك راشدون صارمون يطالبون بالتزام الصمت؛ والذين في سُدّة المسؤولية لا يهتمّون بفرض قواعد الحدّ من الضجيج أو حظر التجوّل.

هدأ جزء لوك من طابق المساكن أخيراً، ولم يعد هناك سوى صوت نبضات قلبه الثابتة وحركة أفكاره بينما استعرّض لائحة مورين للمرة الأخيرة.

عُد إلى الترامبولين بعدما تخرج، ذكّر نفسه. استخدم السكين إذا لزم الأمر. ثم استدارة بسيطة إلى اليمين.

إذا خرَج.

ارتاح من إيجاد نفسه مصمماً ثمانين بالمئة وخائفاً عشرين بالمئة فقط. حتى هذه النسبة الكبيرة من الخوف غير منطقية، لكن لوك افتراض أنها طبيعية. ما يحقّز العزم - ما يعرفه بشكل مُطلق - كان بسيطاً وصارماً: هذه فرصته الوحيدة، وبنوي الاستفادة منها إلى أقصى الحدود.

عندما أصبح الرواق في الخارج صامتاً لما ارتأى أنه نصف ساعة، نهض لوك عن السرير وأمسك دلو ثلج البلاستيكي من فوق تلفزيونه. لقد ألف قصةً للمُراقبين - هذا إذا كان هناك أي شخص يراقب الشاشات في الواقع في ساعة كهذه، وليس فقط يجلس في غرفة مراقبة في طابقٍ سفليٍ ويلعب سوليتير.

إنها قصة ولدٍ نامَ باكراً، ثم استيقظ لسبب من الأسباب، ربما لحاجته أن يبوّل، وربما بسبب كابوس. على أي حال، الولد لا يزال نائماً أكثر منه مستيقظاً، لذا يسير في الرواق بملابسه الداخلية. تراقبه الكاميرات في المصايح المليئة بالغبار وهو يذهب إلى صانعة الثلج ليعيد تعبئة دلوه. وعندما يعود ليس مع دلو ثلج فحسب بل والمِغرفة أيضاً، يفترضون أن الولد نعسان جداً فحسب ليُدرك أنه لا يزال يُمسكها في يده. سيراه في الصباح، موضوعةً على مكتبه أو في مغسلة الحمام، ويتساءل كيف وصلت إلى هناك.

عندما عاد إلى غرفته، وصّع لوك بعض الثلج في كوبٍ وملاه من حنفية الحمام، وشرب نصفه. هذا منعش فقد كان فمه وجنجرته جافين جداً. ترك المِغرفة على خزّان المرحاض وعاد إلى السرير. تقلب على الفراش أرقاً. تمت لنفسه. ربما الولد في القصة التي يؤلفها يفتقد لصديقه الصغير. ربما لهذا السبب لا يمكنه العودة إلى النوم. وربما لا أحد يراقبه أو يتنصّت عليه، لكن أحدهم ربما يفعل ذلك، وهذا ما يجب أن يفترضه.

أخيراً أضاء المصباح مرة أخرى وارتنى ملابسه. دخل الحمام حيث لا مراقبة (لا مراقبة على الأرجح) وحشّر المِغرفة في الجهة الأمامية لبنتلونه، مُسدلاً قميصه التائي توينز فوقه. إذا كانت توجد كاميرا هنا، وإذا كان أحدهم يراقبه، فسيكون قد قُضي عليه من قبل على الأرجح. لا يمكنه فعل شيء بشأن ذلك سوى المواصلة إلى الجزء التالي من قصته.

غادر الغرفة واجتاز الرواق إلى غرفة الاستراحة. وجد ستيقي وبيبل وولداً آخر، أحد الجدد، مستغرقين في النوم على الأرض وهناك ست قوارير شراب فايربول فارغة مبعثرة حولهما. هذه القوارير الصغيرة تمثل الكثير من الفَيْش. سيستيقظ ستيقي وصديقه الجديد بجيوب فارغة وصداع ما بعد الثمالة.

عَبَّر لُوكُ فوق ستيقي ودخل الكافيتيريا. بما أن الأضواء الفلورية لمنضدة السلطات هي الوحيدة المضاءة، بدا المكان كئيباً ومخيفاً قليلاً. أمسك تفاحة من وعاء الفاكهة الذي لا يكون فارغاً أبداً وأخذ قضمته أثناء عودته إلى غرفة الاستراحة، آملاً أن أحداً لا يراقبه، آملاً أنه إذا كان أحدهم يراقبه فعلاً، سيفهم المسرحية الإيمائية التي يؤدّيها ويصدّقها. الولد استيقظ. الولد أحصر ثلجاً من الآلة وشرب كوب ماء بارد منعش، لكنه أصبح بعد ذلك مستيقظاً أكثر من أي وقت مضى، لذا صعد إلى الكافيتيريا ليأكل شيئاً. ثم يقول الولد لنفسه، مهلاً، لما لا أخرج إلى الملعب لبرهة وأتنشق بعض الهواء المنعش. لن يكون أول ولد يفعل ذلك؛ قالت كاليشا إنها وأيريس خرجتا عدة مرات لتنظرا إلى النجوم - إنها ساطعة بشكل لا يُصدّق هنا بغياب تلوّث الضوء الذي يحجبها. وقالت إن الأولاد يستخدمون الملعب في الليل أحياناً لتبادل القُبَل. أمل فقط ألا يكون أحد هنا يحدّق إلى النجوم أو يقبّل هذه الليلة.

لم يجد أحداً، ومن دون القمر كان الملعب مظلماً نوعاً ما، ومختلف المعدّات مجرد ظلال مائلة. من دون صديق أو صديقين للصُحبة، يميل الأولاد الصغار إلى الخوف من الظلمة. الأولاد الأكبر سناً أيضاً، رغم أن معظمهم لن يقرّ بذلك.

راح لُوكُ يتننّره في الملعب بانتظار ظهور أحد الممرّضين الليليين المألوفين أقلّ وسؤاله عما يفعل هنا وتلك المِغرفة مخفية تحت قميصه. طبعاً لا يفكر بالهروب، أليس كذلك؟ لأن هذا سيكون تصرفاً أحمق جداً!

«أحمق»، همسَ لُوكُ، وجلس مُسنداً ظهره على السياج المُشبك.
«هذا أنا، مجنون فعلي».

انتظر ليري إن كان أحدهم سيأتي. لم يأت أحدٌ. هناك فقط أصوات الجدادج ونعيق بومة. وهناك كاميرا، لكن هل يراقبها شخصٌ ما حقاً؟ هناك أمن، هو يعرف ذلك، لكنه أمن غير متقن. يعرف ذلك أيضاً. سيعرف الآن مقدار عدم اتقانه.

رَفَعَ قميصه وأَخْرَجَ المِغْرَفَةَ. في تَخَيُّلاته لهذا الجزء، سيغرف إلى ما وراء ظهره بيده اليمنى، وربما يبدِّل إلى يده اليسرى عندما تتعب ذراعه. في الواقع، هذا لم ينجح كثيراً. فقد كَشَطَ المِغْرَفَةَ عند أسفل السياج المُشَبَّكَ بشكل متكرر مُحدثاً ضجةً بدت صاخبةً جداً في السكون، ولم يستطع أن يرى إن كان يُحرز أي تقدّم أم لا.

هذا جنون، فكّر في سرّه.

متجاهلاً قلقه بشأن الكاميرا، ركَّع لُوكَ على رُكْبَتَيْهِ وبدأ يحفر تحت السور قاذفاً الحصى إلى يمينه ويساره. بدا له أن الوقت طال وأن ساعاتٍ قد مرّت. هل بدأ شخصٌ في غرفة المراقبة تلك لم يره أبداً من قبل (لكن يمكنه تخيُّله بشكل واضح) يتساءل لماذا لم يُعَدِّ الولد الأرق من الملعب؟ هل سيرسل أحداً لِيَتَفَقَّده؟ وماذا لو أن لتلك الكاميرا قدرة على الرؤية الليلية يا لوكي؟ ماذا بشأن ذلك؟

أَكْمَلَ الحفر. يمكنه الشعور بالعرق يزيّت وجهه، وكانت الحشرات التي تعمل في الوردية الليلية تستهدفه. أكْمَلَ الحفر. يمكنه أن يشمّ رائحة إبطيه. تسارع قلبه إلى عدو. شَعَرَ أن شخصاً يقف خلفه، لكن عندما نظر إلى الورااء لم ير سوى عمود كُرَّة السلة منتصباً في النجوم.

لديه الآن خندقٌ تحت أسفل السور. ضجِلُّ، لكنه أتى إلى المعهد نحيلاً ووفَّقد المزيد من وزنه منذ ذلك الوقت. ربما -

لكن عندما استلقى وحاوَل أن ينزلق تحته، أوقفه السور. لا يزال الطريق طويلاً.

عُدَّ إلى الداخل. عُدَّ إلى الداخل وَوَمَّ على السرير قبل أن يجدوك ويفعلوا شيئاً رهيباً لك لمحاولتك الخروج من هنا.

لكن هذا ليس خياراً، مجرد جَبانة. سيفعلون شيئاً رهيباً له فعلاً: الأفلام، الصُّداعات، أضواء شتازي... وأخيراً، الأزيز.

أَكْمَلَ الحفر ذهاباً وإياباً، يميناً ويساراً، وهو يلهث الآن. الفجوة بين أسفل السور والأرض تعمّقت ببطء. كم هم أغبياء لتركهم السطح غير مرصوف على طرفي السور. أغبياء جداً لعدم تمريرهم شحنة كهربائية، ولو طفيفةً، في السلك. لكنهم لم يفعلوا ذلك، وها هو هنا.

استلقى مرة أخرى وكثر محاولة المرور تحت السور، وأوقفه أسفله مرة أخرى. لكن النجاح وشيك. ركع لوك على ركبتيه مرة أخرى وحفر أكثر، حفر أسرع، يمينا ويسارا، ذهاباً وإياباً. سمع صوت تهشم عندما انكسر مقبض المغرفة أخيراً. رمى لوك المقبض جانباً وأكمل الحفر وهو يشعر بحافة المغرفة تنهش راحتي يديه. عندما توقف مؤقتاً لينظر إليهما، رأى أنهما تنزفان.

سأنجح هذه المرة. سأنجح.

لكنه بقي غير قادر على... تمرير... نفسه.

فعاد إلى العمل بالمغرفة. يمينا ويسارا، ميمنة وميسرة. استمر الدم ينزف من أصابعه والتصق شعره بجبهته، وراح البعوض يغني في أذنيه. وصع المغرفة جانباً، تمدد، وحاول الانزلاق تحت السور مرة أخرى. مزقت الأشواك الناتئة قميصه، ثم خدشت بشرته مسيلة المزيد من الدم من لوحي كتفيه. أكمل الانزلاق.

في منتصف الطريق تحت السور، علق جسمه. حدق بالحصى ورأى كيف يتطاير الغبار في دوامات صغيرة جداً تحت منخريه من لهائه. عليه أن يعود، أن يحفر أعمق أكثر - ربما قليلاً فقط. لكن عندما حاول أن يعود إلى الملعب، اكتشف أنه لا يمكنه التحرك في ذلك الاتجاه أيضاً. لم يعلق فحسب، بل حوصر. سيكون لا يزال هنا، عالقاً تحت هذا السور اللعين مثل أرنب في فخ، عندما تشرق الشمس صباح الغد.

بدأت النقاط تعود، حمراء وخضراء وأرجوانية، تخرج من أسفل الأرض المحفورة التي تبعد ثلاثة أو خمسة سنتيمترات فقط عن عينيه. سارعت نحوه، تتهشم، تلتصق ببعضها، تدور وتضيء. رهاب الأماكن الضيقة ضغط على قلبه، ضغط على رأسه. راحت يدها تنبضان وتغنيان.

مد لوك يديه، غرز أصابعه في التربة، وشد بكل ما لديه من قوة. للحظة، لم تملأ النقاط مجال رؤيته فحسب بل دماغه بأكمله؛ ضاع في ضوئها. ثم بدا له أن أسفل السور ارتفع قليلاً. ربما هذا محض خيال، لكنه لا يعتقد ذلك. سمعه يُصدر صريراً.

ربما بفضل الحُقن والخُرَّان، أنا تع-إيجابي الآن، فكّر في سرّه. تماماً مثل جورج.

قَرَّرَ أن هذا غير مهم. الشيء الوحيد المهم هو أنه بدأ يتحرَّك مرة أخرى.

هَمَدت النقاط. لو كان أسفل السور ارتفع حقاً، فقد عاد وانخفض. لم تخدم الأسنان المعدنية لوحَي كتفیه فحسب بل ردقيه وفخديه. مرَّت لحظة عذاب عندما توقَّف مرة أخرى والسور يقبض عليه بشراهة ولا يريد إفلاته، لكن عندما أدار رأسه وألقى خده على الأرض المغطاة بالحصى، استطاع رؤية أجمة. قد تكون بمتناول اليد. مطط نفسه لكنه لم يصل إليها، فمطط نفسه أكثر وأمسكها. راح يشدُّ. بدأت الأجمة تتمرَّق، لكن قبل أن تُقتلَع من الأرض كلياً، كان يتحرَّك مرة أخرى، فراح يدفع بوركيه وقدميه. قبَّلتَه شوكة ناتئة في السور قبلة وداع راسمة خطأ ساخناً على ربلته، ثم راح يتلوَّى إلى الجهة البعيدة للسور.

لقد خرج.

وقفَ لوك على رُكبتيه مترجاً وألقى نظرة جامحة إلى الورااء متأكداً أنه سيرى كل الأضواء مضاءةً - ليس في غرفة الاستراحة فحسب، بل في الأروقة والكافيتيريا، وفي وهجها سيرى أشكالاً تركض: ممرضون يحملون عُصي صَعَق رُفعت قوتها إلى الحد الأقصى.

لم يكن هناك أحد.

وقف على قدميه وبدأ يركض لا يعرف إلى أين، فقد نسي الخطوة التالية الحيوية - الاتجاه - في ذعره. كان يمكن أن يهرب إلى الغابة وبتوه هناك قبل أن يعاود المنطق فرض نفسه لولا الألم اللاذع المفاجئ في كعبه الأيسر عندما داسَ على صخرة حادة وأدرك أنه فقدَ فردة حذائه الرياضي في تلك الاندفاعة اليائسة الأخيرة.

عاد لوك إلى السور، انحنى، استعادها، وارتداها. شَعَرَ بحريق خفيف في ظهره وردقيه، لكن ذلك الجرح الأخير في ربلته كان أعمق وراح يحرقه مثل سلك ساخن. تباطأت نبضات قلبه وصفا تفكيره من جديد. بعدما تخرج، قف على نفس مستوى الترامبولين، قال آيفيري وهو ينقل له الخطوة الثانية من خطوات مورين. أدرَ ظهره لها، ثم استدرَ إلى اليمين مقدار خطوة واحدة متوسطة الحجم. هذا هو اتجاهك. لن تضطر إلى السير أكثر من كيلومترين تقريباً، ولا داعي لأن تسير في خط مستقيم تماماً، فما تصبو إليه كبيرٌ جداً، لكن ابذل قُصارى جهدك. لاحقاً وأثناء الاستلقاء على السرير تلك الليلة، قال

آيفيري إن لوك قد يستطيع استخدام النجوم لترشده. لم يعرف شخصياً كيف يتم ذلك.

حسناً إذاً. حان وقت الرحيل. لكن هناك شيء آخر عليه أن يفعله أولاً.

مدَّ يده إلى أذنه اليمنى وتلمَّس الدائرة الصغيرة المثبَّته هناك. تذكَّر أن إحداهن - ربما آيريس، وربما هيلين - قالت إن غرسها لم يؤلمها لأن أذنيها مثقوبتان من قبل. لكن الأقراط تُنزع، فقد رأى لوك أمه تفعل ذلك. أما هذه فثابتة مكانها.

يا إلهي، رجاءً، لا تدعني أضطر إلى استخدام السكين.

استجمع لوك عزمته، وحشر أظافره تحت الحافة العليا المنحنية للمتعبِّب، وشدَّ. تمطَّطت شحمة أذنيه وألمته، ألمته كثيراً، لكن المتعبِّب بقي ثابتاً. أفلته، أخذ تفسين عميقين (وتذكَّر خزان الغمر أثناء فعله ذلك)، وشدَّ مرة أخرى. بقوة أكبر. الألم أسوأ هذه المرة، لكن المتعبِّب بقي مكانه والوقت يمرُّ. لا يزال جناح المساكن الغربي، الذي يبدو غريباً من هذه الزاوية غير المألوفة، داكناً وهادئاً، لكن لكم من الوقت؟

فكَّر بأن يشدَّ مرة أخرى، لكن هذا سيكون فقط تأجيلاً للمحتوم. مورين عرَّفت ذلك؛ لهذا السبب تركت له سكين التقشير. أخرجها من جيبه (مع الانتباه إلى عدم إخراج محرِّك الأقراص الإبهامي أيضاً) ورفعها أمام عينيه في ضوء النجوم الخافت. تلمَّس حافتها الحادَّة بإبهامه، ثم أمسك شحمة أذنه بيده اليسرى وشدَّها نزولاً ليمططها بأقصى ما يستطيع، والتي لم تكن مسافةً كبيرةً.

تردَّد، أخذ لحظةً ليسمح لنفسه أن يستوعب حقاً أنه على الجهة الحرة للسور. نعقت البومة مرة أخرى بصوتٍ نعيان. يمكنه رؤية اليراعات تخطط الظلمة، وأدرك أنها جميلة حتى في لحظة الشدَّة هذه.

افعل ذلك بسرعة، أخير نفسه. ادَّع أنك تقصُّ قطعةً من شريحة لحم. ولا تصرخ مهما كان ذلك مؤلماً. لا يمكنك أن تصرخ.

وَصَّع لوك أعلى الشفرة عند أعلى شحمة أذنه من الجهة الخارجية ووَقَّف بهذه الطريقة لبضع ثوانٍ شَعَرَ أنها الأزل. ثم أخَفَص السكين.

لا أستطيع.

عليك أن تفعل ذلك.

لا أستطيع.

آه، عليّ أن أفعل ذلك.

أعاد وضع حافة السكين عند ذلك اللحم الطري غير المصفّح وشدّ حالاً قبل أن يتسنى له الوقت ليفعل أكثر من الصلاة أن تكون الحافة حادّة كفاية لتُنجز العمل في ضربة واحدة.

الشفرة حادّة فعلاً، لكن قوته خذلته قليلاً في اللحظة الأخيرة، وبدلاً من أن تنفصل، تدلت شحمة أذنه بخيطٍ من الغضروف. لم يشعر بالألم في البدء، بل بمجرد دَفء الدم الذي ينساب على عنقه. ثم حلّ الألم. كان كما لو أن دُبوراً عملاقاً لسعه وحقن سمّه فيه. شهق لوك هسهسة صافرة طويلة، وأمسك شحمة أذنه المتدلّية، ونزعها مثلما ينزع الجلد عن كاحل دجاجة. انحنى فوقها، وهو يعرف أنه اقتلع ذلك الشيء اللعين لكنه أراد أن يراه على أي حال. أراد أن يكون متيقناً. كان هناك.

تأكد لوك أنه يقف على نفس مستوى الترامبولين. أدار ظهره لها، ثم استدار خطوةً - أملّ أن تكون متوسطة الحجم - إلى اليمين. توجد أمامه الكتلة المظلمة لغابات ماين الشمالية التي تمتدّ لكيلومترات يجهل عددها. رفع نظره ورأى الدب الأكبر وإحدى نجماته الزاوية أمامه مباشرة. استمر بالسير في ذلك الاتجاه، أخبر نفسه. هذا كل ما عليك فعله. لن يكون الدرب مستقيماً حتى الصباح أيضاً، أخبرت آيفيري أن المسافة حوالي كيلومترين فقط، ثم تبدأ الخطوة التالية. تجاهلّ الألم في لوحّي كتفك، والألم السيئ في ربتك، وأسوأ ألم في أذنك المشوّهة مثل أذن فان غوخ. تجاهلّ الطريقة التي ترتعش بها ذراعاك ورجلاك. انطلق. لكن أولاً...

أرجع قبضته اليمنى إلى كتفه وقدّف قصاصة اللحم التي لا يزال المتعقّب مثبتاً فيها فوق السور. سمع (أو تخيل أنه سمع) الطرقة الخافتة التي أحدثتها عندما ارتطم بالأسفلت المحيط بالملعب المسمّى زوراً ملعب كرة سلة. دعهم يجدونه هناك.

بدأ يسير وعيناه مرفوعتان ومركّزتان على تلك النجمة الواحدة.

21

استطاعت إرشاد لوك لأقل من ثلاثين ثانية، فقد اختفت حالما دخل الغابة. توقّف فوراً والمعهد لا يزال مرئياً جزئياً خلفه عبر الأغصان المتشابكة

الأولى للغابة.

كيلومتر ونصف فقط، أخبر نفسه، ويجب أن تجده حتى ولو خرجت عن المسار قليلاً، لأنها أخبرت أيفيري أنه كبير. كبير نوعاً ما، على أي حال. لذا سير ببطء. أنت أيمن، مما يعني أن جهتك اليمنى هي المهيمنة، لذا حاول التعويض عن ذلك، لكن ليس كثيراً وإلا ستخرج عن المسار إلى اليسار. ولا تنس أن تعدّ. يجب أن يكون الكيلومتر ونصف ما بين ألفين وألفين وخمسمئة خطوة. تقدير أولي، بالطبع، بناءً على التضاريس. وانتبه ألا تفقأ عينك بغصن. لديك ما يكفي من فجوات من قبل.

بدأ لوك يسير. على الأقل لا توجد أي أجسام لكي يخترقها؛ بل هذه أشجار قديمة أنشأت الكثير من الظل فوقه وطبقة سميكة من نثار الصنوبر المحيط على الأرض. كلما اضطر أن ينعطف حول إحدى الأشجار المسننة (إنها أشجار صنوبر على الأرجح، لكن من يدري حقاً في هذه الظلمة)، يحاول تغيير اتجاه نفسه ومواصلة السير في خط مستقيم أصبح الآن - عليه أن يقرّ بذلك - فرضياً إلى حد كبير. بدا ذلك أشبه بمحاولة إيجاد طريقك في غرفة ضخمة مليئة بأغراض بالكاد يمكن رؤيتها.

شيءٌ على يساره أصدر صوت نخير مفاجئاً ثم ركض كاسراً غصناً ومُخشخشاً بقية الأغصان. لوك فتى المدينة جمّد أرضاً. هل كان غزالاً؟ يا إلهي، ماذا لو كان دبا؟ الغزال سيهرب، لكن الدب قد يكون جائعاً ويريد تناول وجبة خفيفة عند منتصف الليل. ربما هو قادم صوبه الآن، منجذباً إلى رائحة الدم. يا للهول، عنق لوك والكتف اليمنى لقميصه مبللان بالدم تماماً.

ثم اختفى الصوت، ولا يمكنه سماع سوى الجدادج والنعيق العرّضي لتلك البومة. كان قد سار ثمانمئة خطوة عندما سمع ذلك الصوت. استأنف السير الآن ماداً يديه أمامه كأنه رجل أعمى يحتسب دعساته في ذهنه. ألف... ألف ومئتان... هذه شجرة، وحشٌ حقيقي، أغصانها الأولى عالية فوق رأسي، عالية جداً لكي أراها، استدر حولها... ألف وأربعمئة... ألف وخمسمئة -

تعثر بجذع ساقطٍ وسقط منبطحاً. انغرز شيءٌ، بقية غصن، عالياً في ساقه اليسرى ونحر من الألم. تمدد على النثار للحظة، لكي يستعيد أنفاسه وحنّ - وهذه قمة السخافة المميّنة - إلى غرفته في المعهد. غرفةٌ فيها مكانٌ لكل شيءٍ وكل شيءٍ فيها في مكانه ولا توجد فيها حيوانات ذات حجم غير محدّد تحطم الأشجار. مكانٌ آمنٌ.

«نعم، إلى أن لا تعود آمنة»، همس، ووقف على قدميه وهو يفرك المزق الجديد في سرواله الجينز والمزق الجديد في جلده تحته. على الأقل ليس لديهم كلاب، فكر في سرّه وهو يتذكر فيلماً قديماً بالأسود والأبيض يحاول فيه سجينان مقيّدان ببعضهما الفرار وهناك مجموعة كلاب بوليسية تنبح خلفهما. كما أن ذينك السجينين كانا في مستنقع. حيث توجد تماسيح.

أترى يا لوكي؟ سميع كاليشا تقول. كل شيء جيد. فقط أكمل طريقك. خط مستقيم. مستقيم قدر ما تستطيع، على أي حال.

عند الخطوة ألقين، بدأ لوك يبحث عن أضواء أمامه تلمع بين الأشجار. هناك دائماً بعض منها، قالت مورين لآيفيري، لكن الضوء الأصفر هو الأسطع. عند ألفين وخمسمئة، بدأ يشعر بالقلق. عند ثلاثة آلاف وخمسمئة، بدأ يتأكد أنه خرج عن المسار، وليس قليلاً فقط.

إنها تلك الشجرة التي وَقَعْتُ فوقها، فكر في سرّه. تلك الشجرة اللعينة. عندما نهضتُ، لا شك أنني أخطأتُ. كل ما أعرفه هو أنني متوجّه إلى كندا. إذا لم تجدني جماعة المعهد، سأموت في هذه الغابات.

لكن لأن العودة لم تكن خياراً (لا يمكنه أن يتقّى خطواته حتى لو أراد ذلك)، استمر لوك يسير وهو يلوّح يديه أمامه لإبعاد الأغصان التي قد تحاول أن تجرحه في أماكن جديدة. نبضت أذنه.

توقف عن عدّ خطواته، لكنه كان بلا شك عند خمسة آلاف تقريباً - أكثر من ثلاثة كيلومترات بكثير - عندما رأى بريقاً برتقالياً مصفراً باهتاً بين الأشجار. ظنّ لوك في البدء أنه إما هلوسة أو إحدى النقاط التي ستضم إليها قريباً حشود من النقاط الأخرى. عشر خطوات أخرى وضعت حدّاً لذلك القلق. أصبح الضوء البرتقالي الأصفر أوضح، وقد انضم إليه ضوءان آخران باهتان أكثر بكثير. لا شك أن هذه أضواء كهربائية. ظنّ أن الضوء الأسطع من النوع بخار الصوديوم، وهو النوع الذي يستخدمونه في مرائب السيارات الكبيرة. لقد أخبرهما والد رولف ذات ليلة عندما أخذ لوك ورولف لمشاهدة فيلم في ساوثدايل أنه يُفترَض بهذه الأنواع من الأضواء إيقاف عمليات سرقة السيارات واقتحامها.

شعر لوك برغبة كبيرة بالركض إلى الأمام لكنه امتنع عن ذلك. فأخر شيء يريدّه هو أن يتعثّر بشجرة ساقطة أخرى أو يدوس على حفرة ويكسر رجله. ظهر المزيد من الأضواء الآن، لكنه أبقى عينيه مركّزتين بإحكام على الضوء الأول. لم يدُم الدب الأكبر طويلاً، لكن هناك نجمة مُرشّدة جديدة،

واحدة أفضل. بعد عشر دقائق على رؤيتها لأول مرة، وصل لوك إلى حافة الأشجار. على بُعد خمسين متراً تقريباً من الأرض المكشوفة، رأى سياجاً مُشَبَّكاً آخر. هذا السياج المُشَبَّك تعلوه أسلاك شائكة، وهناك أعمدة إنارة على طوله يبعد كل واحد منها عن الآخر حوالي متر. تُضيئها الحركة، قالت مورين لايفيري. أخير لوك أن يبقى بعيداً عنها. هذه نصيحة بالكاد احتاج إليها.

رأى منازل صغيرة وراء السور. صغيرة جداً. ضيقة بحيث لا مجال فيها للتحرك، هذا ما كان والد لوك ليقوله. يمكنها أن تضم ثلاث عُرف بالحد الأقصى، وغرفتين فقط على الأرجح. كلها متشابهة. قال لايفيري إن مورين سمّت هذا المكان القرية، لكنها بدت للوك كأنها ثكنات جيش. المنازل مرتبة في كتل من أربعة، وهناك رقعة عشب في وسط كل كتلة. رأى أضواءً تلمع في بعض المنازل، هي على الأرجح من النوع الذي يتركه الأشخاص في الحمام لكي لا يتعثروا بشيء إذا اضطروا إلى النهوض واستخدام المراض.

هناك شارع واحد وينتهي عند مبنى كبير. على جانبي ذلك المبنى يوجد مرآب سيارات صغير مليء بسيارات وشاحنات مركونة متلاصقة ببعضها. ثلاثون أو أربعون بالإجمال، قدّر لوك. تذكر تساؤله أين يُبقي موظفو المعهد مركباتهم. الآن يعرف، رغم أن طريقة تزويد الطعام لا تزال سراً. كان ضوء بخار الصوديوم على عمود أمام هذا المبنى الكبير، ويشعّ على مضخّتي وقود. شَعَرَ لوك أن المكان يكاد يكون نوعاً من المخازن، نسخة المعهد لإحدى محطات وقود شركة براكسير.

أصبح يفهم قليلاً أكثر الآن. ينال الموظفون إجازات - نالت مورين أسبوعاً لتعود إلى فيرمونت - لكنهم يقضونها هنا في الأغلب، وعندما تنتهي وريدياتهم، يعيشون في تلك المنازل الصغيرة المبتدلة. قد تكون مواعيد العمل مجدولة بحيث يمكنهم مشاركة أماكن الإقامة. وعندما يحتاجون إلى الاستحمام، يركبون مركباتهم الشخصية ويذهبون إلى أقرب بلدة، والتي يصدف أنها دينيسون ريفر بند.

لا شك أن السكان المحليين فضوليون ليعرفوا ماذا يفعل أولئك الرجال والنساء في الغابات هناك، فيطرحون أسئلة، وبالطبع هناك قصة للتغطية على ما يفعلونه. لا يملك لوك أي فكرة ماذا يمكن أن تكون تلك القصة (وهي لا تهّمه أبداً في هذه اللحظة)، لكنها بلا شك قصة مُحَبَّكة جداً لكي تدوم سنوات عديدة.

سر مع السور. ابحث عن وشاح.

بدأ لوك يسير واضعاً السور والقربة على يساره وطرف الغابة على يمينه. اضطر مرة أخرى إلى كبح رغبته بالإسراع، خاصة الآن وقد أصبح قادراً على الرؤية بشكل أفضل قليلاً. كان وقتها مع مورين قصيراً بداعي الضرورة، جزئياً لأن لغوهم قد يثير الريبة إذا طال كثيراً، وجزئياً لأن لوك كان خائفاً جداً من أن إكثار أيغيري لإمساكه أنه قد يفصح لعينهم. بالنتيجة، لم تكن لديه أي فكرة أين يمكنه أن يجد ذلك الوشاح، وكان خائفاً أن يفوته.

تبين أن هذه ليست بمشكلة. فقد ربطته مورين بغصن منخفض لشجرة صنوبر طويلة فُبل المكان الذي ينعطف فيه السور الأمني إلى اليسار بعيداً عن الغابة. أنزله لوك وعقدّه حول خصره لأنه لم يرغب أن يترك علامة واضحة إلى هذا الحد لأولئك الذين سيطاردونه قريباً. هذا جعله يتساءل كم من الوقت سيمرّ قبل أن تعلم السيدة سيغسبي وستاهاوس بهربه، ويُدركان من ساعده على الهرب. وقت ليس طويلاً أبداً، على الأرجح.

أخبرهم كل شيء يا مورين، فكر في سرّه. لا تجعلهم يعدّبونك. لأنهم سيفعلون ذلك إن حاولت أن تخفي عنهم، وأنت كبيرة في السن كثيراً ومريضة جداً للخزان.

أصبح الضوء الساطع في المبنى الذي قد يكون متجر المعهد خلفه الآن بمسافة كبيرة، واضطر لوك إلى أن يبحث بعناية قبل أن يجد الطريق القديم الذي يعيد إلى الغابة، الطريق الذي ربما استخدمه الحطابون منذ جيل كامل. بدايته محجوبة بأجمات أويسة كثيفة، ورغم الحاجة التي شَعَر بها بضرورة الإسراع، توقّف طويلاً كفاية ليقطف ملء يديه منها ويرميها في فمه. كانت حلوة وشهية. مذاقها مذاق الخارج.

بعدها وجد المسار القديم، كان من السهل اتباعه، حتى في الظلمة. لقد نما الكثير من الخميلة على تاجه المتآكل، وهناك خط مزدوج من الأعشاب الضارة يغطي ما كان فيما مضى أخاديد عجلات. هناك أغصان ساقطة ليعبر فوقها (أو يتعثر بها)، لكن من المستحيل أن يهيم عائداً إلى الغابة.

حاول أن يعدّ الخطوات مرة أخرى، وتمكّن من أن يحافظ على عدّ دقيق نوعاً ما حتى أربعة آلاف، ثم استسلم. راح المسار يرتفع من وقت لآخر، لكنه بقي يميل نزولاً في الأغلب. وصل مرتين إلى طريق مسدود، ومرة إلى تشابك أجمات كثيف لدرجة أنه خشي أن الطريق القديم ينتهي هناك ببساطة، لكن عندما اندقّع عبرها، وجدته مرة أخرى وأكمل طريقه. لم يكن لديه أي إدراك للمدة الزمنية التي مرّت. ربما ساعة؛ ساعتان على الأرجح. كل ما يعرفه بالتأكيد هو أن الوقت لا يزال ليلاً، ورغم أن التواجد هنا في الظلمة أمر

مخيف، خاصة لولد ترعرع في المدينة، أمل أن تبقى الظلمة لوقت طويل جداً. ما عدا أن هذا لن يحصل. ففي هذا الوقت من السنة، يبدأ الضوء بالتسلل إلى السماء عند الساعة الرابعة.

وَصَلَ إِلَى أَعْلَى تَلَّةٍ أُخْرَى وَتَوَقَّفَ لِلْحِظَّةِ لِيَسْتَرِيحَ. فَعَلَّ ذَلِكَ وَاقِفًا. لَمْ يَصَدِّقْ حَقًّا أَنَّهُ سَيَغْفُو إِذَا جَلَسَ، لَكِنِ الْفِكْرَةَ أَخَافَتْهُ، وَالْأَدْرِينَالِينَ الَّذِي جَعَلَهُ يَخْدِشُ وَيَخْرِبِشُ تَحْتَ السُّورِ، ثُمَّ عَبَرَ الْغَابَةَ إِلَى الْقَرْيَةِ، زَالَ كَلِيًّا الْآنَ. تَوَقَّفَ النَّزِيفُ مِنَ الْجُرُوحِ عَلَى ظَهْرِهِ وَرِجْلِهِ وَشَحْمَةُ أُذُنِهِ، لَكِنِ كُلُّ تَلَّةٍ الْأَمَاكِنِ تَنْبُضُ بِقُوَّةٍ وَتَلْسَعُهُ. الْجَرْحُ فِي أُذُنِهِ هُوَ أَسْوَأُهَا إِلَى حَدِّ بَعِيدٍ. لَمَسَهُ مَتَرَدِّدًا، ثُمَّ أَبْعَدَ أَصَابِعَهُ وَهُوَ يَكْرُزُ عَلَى أَسْنَانِهِ مِنَ الْأَلْمِ، لَكِنِ لَيْسَ قَبْلَ أَنْ يَشْعُرَ بِكَتْلَةٍ غَرِيبَةٍ مِنَ الدَّمِ وَقَشْرَةٍ جَرَحَ هُنَاكَ.

لَقَدْ شَوَّهَتْ نَفْسِي، فَكَّرَ فِي سِرِّهِ. لَنْ تَعُودَ شَحْمَةُ الْأُذُنِ أَبَدًا.

«السفلة جَعَلُونِي أَفْعَلْ ذَلِكَ»، هَمَسَ. «جَعَلُونِي أَفْعَلُهُ».

بِمَا أَنَّهُ لَمْ يَجْرُؤْ عَلَى الْجُلُوسِ، انْحَنَى وَأَمْسَكَ رُكْبَتَيْهِ، وَهَذِهِ وَضْعِيَّةٌ رَأَى مُورِينَ تَفْعَلُهَا عِدَّةَ مَرَّاتٍ. لَمْ تُفْعَلْ بِشَيْءٍ لِشَطَبَاتِ السُّورِ الَّتِي عَلَى ظَهْرِهِ، أَوْ لِمُؤَخَّرَتِهِ الْمُتَقَرِّحَةِ، أَوْ لِشَحْمَةِ أُذُنِهِ الْمَشْوَّهَةِ، لَكِنِهَا لَيَنْتَ عَضَلَاتُهُ الْمُتَعَبَةَ قَلِيلًا. قَوِّمَ ظَهْرَهُ لِيَسْتَأْنِفَ مَسِيرَتَهُ، ثُمَّ تَوَقَّفَ فَجَاءَ. يُمْكِنُهُ سَمَاعُ صَوْتِ خَافَتِ أَمَامِهِ. كَمَا لَوْ أَنَّ شَيْئًا يَنْدَفِعُ صَوْبَهُ، مِثْلَ الرِّيحِ فِي أَشْجَارِ الصَّنُوبِرِ، لَكِنِ لَا يَوْجَدُ حَتَّى نَسِيمٍ خَفِيفٍ حَيْثُ يَقِفُ عَلَى هَذِهِ التَّلَّةِ الصَّغِيرَةِ.

لَا تَدْعَاهَا تَكُونُ هَلُوسَةً، فَكَّرَ فِي سِرِّهِ. دَعَاهَا تَكُونُ حَقِيقَةً.

خَمْسَمِئَةٌ خَطْوَةٌ أُخْرَى - هَذِهِ عَدَّهَا - وَعَرَفَ لُوكَ أَنَّ الصَّوْتِ فَعْلِيًّا هُوَ صَوْتُ مِيَاهٍ جَارِيَةٍ. أَصْبَحَ الْمَسَارُ أَعْرَضَ وَأَكْثَرَ انْحِدَارًا، ثُمَّ أَصْبَحَ شَدِيدَ الْانْحِدَارِ لِدَرَجَةٍ أَنَّهُ اضْطُرَّ إِلَى السَّيْرِ جَانِبِيًّا وَهُوَ يَتَمَسَّكُ بِأَغْصَانِ شَجَرَةٍ لِيَمْنَعُ نَفْسَهُ مِنَ السَّقُوطِ عَلَى مُؤَخَّرَتِهِ. تَوَقَّفَ عِنْدَمَا اخْتَفَتِ الْأَشْجَارُ عَلَى الْجِهَتَيْنِ. الْأَشْجَارُ هُنَا لَمْ تُقَصِّ فَحَسَبَ، بَلْ قُصِّتْ إِلَى جَذْعِهَا أَيْضًا، مِمَّا أَنْشَأَ مَسَاحَةً خَالِيَةً بَدَأَتْ الْأَجْمَاتُ تَمَلُّأُهَا الْآنَ. مَا وَرَاءَ تِلْكَ الْمَسَاحَةِ الْخَالِيَةِ وَتَحْتِهَا يَوْجَدُ حَزَامَ عَرِيضٍ مِنَ الْحَرِيرِ الْأَسْوَدِ، يَتَدَفَّقُ بِسَلَاسَةٍ كَافِيَةٍ لِيَعْكِسَ تَمُوجَاتِ ضَوْءِ النُّجُومِ فَوْقَهُ. يُمْكِنُهُ تَخْيُّلُ أَوْلَئِكَ الْحَطَّابِينَ الْقَدَامَى - رَجَالٌ رُبَّمَا عَمِلُوا فِي هَذِهِ الْغَابَاتِ الشَّمَالِيَّةِ قَبْلَ الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الثَّانِيَةِ - يَسْتَعْمِدُونَ شَاحِنَاتِ فُورْدٍ أَوْ إِنْتِرَاشُونَالِ هَارْفِسْتَرِ قَدِيمَةٍ لِيَجْرُوا قِطْعَ أَخْشَابِهِمْ إِلَى هَذِهِ الْمَسَافَةِ الْبَعِيدَةِ، وَرُبَّمَا حَتَّى فِرْقٍ مِنَ الْأَحْصَنَةِ. كَانَتْ هَذِهِ الْمَسَاحَةُ الْخَالِيَةُ نَقْطَةً دُورَانِهِمْ

فيفرغون فيها أحشابهم ويرسلونها لتنزلق إلى دينيسون ريفر، حيث تبدأ رحلتها إلى مختلف بلدات المطاحن في الجزء الجنوبي من الولاية.

شقُّ لُوك طريقه نزولاً على هذا المنحدر الأخير علي رجلين ترتعشان وتؤلمانه. كانت الأمتار الستون الأخيرة هي الأشدُّ انحداراً، والمسار يفرق وصولاً إلى القعر مروراً بتلك الجذوع القديمة. جلس وترك نفسه ينزلق، وراح يتمسك بالأجمات ليبطئ تقدّمه قليلاً وتوقف أخيراً توقفاً مُجفلاً عند ضفة صخرية فوق الماء بـمتر أو مترين. وهنا، تماماً مثلما وعدت مورين، لاحت مقدمة زورق تجذيف قديم مشقق تحت ملاءة خضراء واقية للماء مليئة بإبر صنوبر. كان مربوطاً بجذعٍ متعرّج.

كيف تعرف مورين هذا المكان؟ هل أخبرها أحدهم عنه؟ لم يبذ هذا أكيداً بما فيه الكفاية، ليس عندما قد تعتمد حياة فتى على ذلك الزورق القديم المتخلع. ربما وجدته أثناء تجوّلها بمفردها قبل أن تمرض. أو نزلت إلى هنا مع بضع أخريات - ربما اثنتين من نساء الكافيتيريا اللواتي بدت على ضحبة معهن - من القرية شبه العسكرية للتنزّه: شطائر وكولا أو قارورة شراب عنب. لا يهمّ. الزورق هنا.

دخل لُوك الماء الذي وصل إلى أعلى ساقيه. انحنى وشرب ملء يده مرتين. ماء النهر بارد ومذاقه حتى أحلى من الأويسة. بعدما روى عطشه، حاول أن يفكّ الحبل الذي يربط الزورق بالجذع، لكن العُقد معقدة والوقت يمرّ. استخدّم سكين التفشير في النهاية ليقطع الحبل، وهذا جعل راحة يده اليمنى تنزف من جديد. والأمر السيئ هو أن الزورق بدأ ينحرف بعيداً فوراً.

اندفع نحوه، وأمسك مقدمته، وأعاد جرّه إليه. راحتا يديه تنزفان الآن. حاول نزع الملاءة الواقية للماء، لكن حالما أفلت مقدمة الزورق، بدأ التيار يسحبه بعيداً مرة أخرى. شتم نفسه لعدم نزعه القماش المشمّع أولاً. لم تكن هناك أرض كافية لسحب الزورق، وفي النهاية فعل الشيء الوحيد الذي يقدر عليه: وضع نصفه العلوي فوق جهة الزورق وتحت الملاءة الواقية للماء برائحتها الكريهة نوعاً ما، ثم تمسك بالمقعد المشقق في وسط الزورق وشدّ نفسه إلى الداخل بالكامل. حط في بركة ماء وعلى شيء طويل وحادّ. كان التيار اللطيف يدفع الزورق الآن نحو المصبّ، بمؤخرته أولاً.

يا لها من مغامرة، فكّر لُوك في سرّه. نعم بالفعل، يا لها من مغامرة لي.

وَصَعَّ يده فوق جانب س.س.س. بوكي، وباعَدَ أصابعه، وراقب أربعة ظلال صغيرة جداً تُسرع خلفه في الظلمة. لقد فعل هذا عدة مرات من قبل في زورق الألومنيوم البخاري الصغير لصيد السمك الخاص بجَدِّه، لكنه لم يندهش أبداً - ولا حتى في الرابعة من عمره عندما كان كل شيء جديداً ومدهشاً بالنسبة له - يَمنظر تلك الأخاديد الوجيهة جداً. أدرك فجأة أن المرء يجب أن يكون مسجوناً لكي يفهم المعنى الكامل للحرية.

«سأَموت قبل أن أدعهم يعيدونني إلى هناك».

فهم أن هذا حقيقيٌّ، وأنه قد يصل إلى تلك النقطة، لكنه فهم أيضاً أنه لم يصل إليها الآن. رفعَ لوكُ إليس يديه المجروحتين والنازفتين في الليل، وشَعَرَ بالهواء الحر يرتطم بهما، وبدأ يبكي.

22

كبا أثناء جلوسه على المقعد في وسط الزورق، ذقنه على صدره، ويداه متدلّيتان بين رجليه، وقدماه عاريتان في بركة الماء الصغيرة التي في أسفل الزورق، وربما كان سيبقى نائماً بينما ينقله بوكي إلى ما بعد المحطة التالية في رحلة حجّه غير المحتملة لولا صوت بوق قطار آخر أتى ليس من ضفة النهر بل من فوقه إلى الأمام. كان الصوت صاخباً أكثر بكثير أيضاً - ليس مجرد صفرة وحيدة بل زعقة أمرّة أيقظت لوكُ جافلاً مرتعشاً لدرجة أنه كاد يسقط منبطحاً إلى مؤخرة الزورق. رفعَ يديه في إيماة احتماء غريزية، مُدركاً أنها إيماة مثيرة للشفقة حتى وهو يفعلها. سكت البوق وأعقبته زعقات معدنية ولعلعات مجوّفة ضخمة. أمسك لوكُ جانبي الزورق حيث يضيق نحو المقدمة، ونظرَ إلى الأمام بعينين جامحتين، متأكداً أنه على وشك أن يُدهَس.

لم يحلّ الفجر بعد، لكن السماء بدأت تسطع ملقياً بريقاً على النهر الذي أصبح أعرض بكثير الآن. على بُعد خمسمئة متر نحو المصبّ، كان هناك قطار شحن يجتاز جسراً منصّبياً ومُبطئاً سرعته. أثناء مراقبته إياه، رأى لوكُ عربات نقل مدوّن عليها نيو إنغلاند لاند اكسبرس، ماساتشوستس رِد، عربتين لنقل السيارات، عدة حاويات نפט مدوّن على إحداها كاناديان كلينغاز وعلى أخرى فيرجينيا يوتيل-أكس. مرّ تحت الجسر المنصّبِي ورفَع يده نحو السُخام الذي هبط صوبه. حطت بعض رواسب احتراق الفحم الحجري في الماء على طرفي زورقه.

أَمَسَّكَ لُوكَ الْمَجْذَافَ وَبَدَأَ يَنْعَطِفُ بِالزُّورِقِ نَحْوَ السَّاحِلِ الْأَيْمَنِ حَيْثُ يُمْكِنُهُ الْآنَ رُؤْيَا بَضْعَةَ أُنْبِيَةِ حَزِينَةِ الْمَظْهَرِ ذَاتِ نَوَافِذٍ مَغْلُوقَةٍ وَرَافِعَةٍ بَدَتْ صَدِيئَةً وَلَمْ تُسْتَخْدَمْ مِنْذُ زَمَنِ طَوِيلٍ. الصَّفَّةُ مَلِيئَةٌ بِنَفَايَاتِ وَرَقِيَّةٍ وَعَجَلَاتٍ قَدِيمَةٍ وَعَلَبٍ مَرْمِيَّةٍ. الْقَطَارُ الَّذِي كَانَ قَدْ مَرَّ تَحْتَهُ أَصْبَحَ الْآنَ فِي تِلْكَ الْجَهَةِ، وَلَا يَزَالُ يُبْطِئُ سُرْعَتَهُ وَيَزْعَقُ وَيَتَخَبَّطُ. قَالَ فَيْكُ دَسْتَنُ، وَالِدُ صَدِيقِهِ رُولْفُ، إِنَّهُ لَمْ تَوْجَدْ أَبَدًا وَسِيلَةَ نَقْلِ قَذْرَةٍ وَكَثِيرَةٍ الصُّجَّةِ مِثْلَ الْقَطَارِ. قَالَ ذَلِكَ بَرَضِي وَلَيْسَ بِقَرْفٍ، وَهَذَا لَمْ يَفَاجِئِ الْفَتَيَيْنِ لِأَنَّ السَّيِّدَ دَسْتَنَ مِنْ كِبَارِ عَشَّاقِ الْقَطَارَاتِ.

يَكَادُ لُوكُ يَصِلُ إِلَى نَهَايَةِ خَطَوَاتِ مُورِينِ، وَالْخَطَوَاتُ الْحَقِيقِيَّةُ هِيَ مَا يَبْحَثُ عَنْهُ الْآنَ. سَلَامٌ حَمْرَاءَ. لَكِنهَا لَيْسَتْ حَمْرَاءَ حَقًّا، أُخْبِرُهُ أَيْفِيرِي. لَمْ تَعُدْ كَذَلِكَ. تَقُولُ إِنَّهَا أَشْبَهُ بَزْهَرِيَّةٍ هَذِهِ الْأَيَّامَ. وَعِنْدَمَا لَمَحَهَا لُوكُ بَعْدَ خَمْسِ دَقَائِقٍ فَقَطْ مِنْ مَرُورِهِ تَحْتَ الْجِسْرِ الْمُنْصَبِيِّ، بِالكَادِ كَانَتْ زَهْرِيَّةً حَتَّى. رَغْمَ بَقَاءِ بَعْضِ اللَّوْنِ الزَّهْرِيِّ الْأَحْمَرَ عَلَى الْأَجْزَاءِ الْعَمُودِيَّةِ مِنَ السَّلَامِ، إِلَّا أَنَّ الْخَطَوَاتِ نَفْسَهَا رَمَادِيَّةٌ فِي الْأَغْلَبِ. تَرْتَفِعُ مِنْ حَافَةِ الْمَاءِ إِلَى أَعْلَى السَّاتِرِ التَّرَابِيِّ بَارْتِفَاعٍ يَصِلُ إِلَى حَوَالِي خَمْسِينَ مِتْرًا. جَدَّفَ نَحْوَهَا، وَاصْطَدَمَتْ رَافِدَةُ زُورِقِهِ الصَّغِيرِ بِأَحْدَاهَا الْمَوْجُودَةِ تَحْتَ سَطْحِ الْمَاءِ مَبَاشَرَةً.

خَرَجَ لُوكُ مِنَ الزُّورِقِ بِبَطَاءٍ وَهُوَ يَشْعُرُ بِصَرِيرٍ فِي جِسْمِهِ كَأَنَّهُ عَجُوزٌ. فَكَّرَ بِرِبْطِ س.س.س. بِوَكِيِّ السَّلَامِ - هُنَاكَ صَدَأٌ كَافٍ قَشَّرَ الْأَعْمَدَةَ عَلَى جِهَتِي الْخَطَوَاتِ لَكِي يَعْلَمُ أَنَّ آخَرِينَ فَعَلُوا ذَلِكَ، صِيَادِي أَسْمَاكَ عَلَى الْأَرْجَحِ - لَكِنِ مَا تَبَقَّى مِنَ الْحَبْلِ الْمُرْبُوطِ بِمَقْدَمَةِ الزُّورِقِ بَدَأَ قَصِيرًا جَدًّا.

أَفَلَّتْ الزُّورِقُ وَرَاحَ يِرَاقِبُهُ يَنْجَرِفُ بَعِيدًا بَعْدَمَا قَبِضَ عَلَيْهِ التِّيَّارُ الْخَفِيفُ، ثُمَّ رَأَى حِذَاءَهُ، بِجَارِبِيهِ الْمَثْنِينِ فِيهِ، لَا يَزَالُ جَالِسًا عَلَى الْمَقْعَدِ الْخَلْفِيِّ. رَكَعَ عَلَى الْخَطْوَةِ الْمَغْمُورَةِ وَتَمَكَّنَ مِنْ إِمْسَاكِ الزُّورِقِ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ. شَدَّهُ صُوبَهُ يَدًا تَلُو الْأُخْرَى إِلَى أَنْ اسْتَطَاعَ إِمْسَاكَ حِذَائِهِ الرِّيَاضِيِّ. ثُمَّ هَمَسَ «شُكْرًا يَا بِوَكِي» وَأَفْلَتَهُ.

تَسَلَّقَ خَطَوَتَيْنِ وَجَلَسَ لِيَرْتَدِي حِذَاءَهُ الَّذِي جَفَّ جِدًّا، لَكِنِ بَقِيَّةُ جِسْمِهِ الْآنَ مَبْلَلٌ. ظَهَرَهُ الْمَكْشُوطُ يُؤَلِّمُهُ عِنْدَمَا يَضْحَكُ، لَكِنَهُ ضِحْكٌ عَلَى أَيِّ حَالٍ. تَسَلَّقَ الدَّرَجَاتِ الَّتِي كَانَتْ حَمْرَاءَ فِيمَا مَضَى، مَتَوَقِّفًا بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْآخِرِ لِيَرِيحَ رِجْلَيْهِ. انْفَكَّ وَشَاحَ مُورِينِ - الَّذِي اسْتَطَاعَ أَنْ يَرَى فِي ضَوْءِ الصَّبَاحِ أَنَّهُ أَرْجَوَانِي - عَنْ خَصْرِهِ. فَكَّرَ بِتَرْكِهِ، ثُمَّ عَادَ وَأَوْثَقَ شَدَّهُ بِأَحْكَامٍ. لَمْ يَرِ كَيْفَ يُمْكِنُهُمْ مَلَاحِقَتَهُ إِلَى هَذِهِ الْمَسَافَةِ الْبَعِيدَةِ، لَكِنِ الْبَلَدَةَ وَجْهَةً مَنْطَقِيَّةً، وَلَمْ يَرِدْ تَرْكُ عَلَامَةٍ قَدْ يَجِدُونَهَا وَلَوْ بِالصُّدْفَةِ. بِالإِضَافَةِ إِلَى ذَلِكَ، شَعَرَ الْآنَ أَنَّ الْوَشَاحَ

مهم. أنه... راح يبحث عن كلمة قريبة على الأقل. غير محظوظ؛ طلسمي. لأنه منها، وهي منقذته.

حين وَصَلَ إليّ أعلى الخطوات، كانت الشمس فوق الأفق، كبيرة وحمراء، وتُلقي توهُّجاً ساطعاً على تشابك سلك حديدية. قطار الشحن الذي مرّ تحته متوقف الآن في ساحة تبديل دينيسون ريفر بند. وبينما راح المحرّك الذي كان يجرّه يدور ببطء، توقفت قاطرة تبديل صفراء ساطعة خلف القطار الذي سيعاود سيره قريباً، ودفعته إلى ساحة السنام حيث تُفكك القطارات ويُعاد تجميعها.

لم تُدرّس بواطن وسائل الشحن وظواهرها في مدرسة برودريك، حيث تهتمّ هيئة التعليم بمواضيع متخصصة أكثر مثل الرياضيات المتقدمة وعلم المناخ والشعراء الإنكليز اللاحقين؛ أما دروس القطار فقدّمها لهم فيك دستن، عاشق القطارات والمالك الفخور لقطار ليونيل ضخم مركب في قبوه الذي يشبه الكهف. أمضى لوك ورولف الكثير من الساعات هناك كمساعدين متطوّعين. يحبّ رولف تشغيل مجسّمات القطارات، ولا يكثر للمعلومات عن القطارات الفعلية سلباً أو إيجاباً. أما لوك فيحبّ الاثنين معاً. لو كان فيك دستن من هواة جمع الطوايع، لكان لوك فحص غزواته في عالم الطوايع بنفس الاهتمام. فهذه هي تركيبته. افترض أن ذلك جَعَلَهُ يُصنّف قليلاً من فئة الغريبي الأطوار (بالطبع كان يلمح أليسيا دستن تنظر إليه بطريقة تقترح ذلك من وقت لآخر)، لكنه شكّر الآن محاضرات السيد دستن المتحمّسة.

مورين، من جهة أخرى، لا تعرف شيئاً تقريباً عن القطارات، فقط أن هناك محطة قطارات في دينيسون ريفر بند، واعتقدت أن القطارات التي تأتي إليها تذهب إلى كافة الأماكن. لكنها لم تعرف ما هي تلك الأماكن.

«تعتقد أنك إذا نجحت في الوصول إلى هناك، يمكنك ربما أن تستقلّ قطار شحن سراً»، قال أيفيري.

حسناً، لقد نجح في الوصول إلى هنا. أما أن يكون قادراً على أن يستقلّ قطار شحن سراً فهي مسألة أخرى. لقد رأى ذلك يحصل في الأفلام، وبسهولة، لكن معظم الأفلام مليئة بالأكاذيب. قد يكون من الأفضل له أن يذهب إلى المكان الذي يُعتبر وسط المدينة في هذه البلدة الشمالية. يجد المخفر إذا كان هناك واحداً، ويتصل بشرطة الولاية إذا لم يكن هناك واحداً. لكن كيف سيتصل تحديداً؟ فهو لا يملك هاتفاً خلويّاً، والهواتف العمومية معرّضة للانقراض. وإذا وجد واحداً، ماذا يُفترض به أن يرمي في فتحة العملة

المعدنية؟ إحدى فيش المعهد؟ افترض أنه يمكنه الاتصال بالرقم 911 مجاناً، لكن هل هذه هي الخطوة الصحيحة؟ شيء ما قال له لا.

بقي واقفاً مكانه في يوم يزداد سطوعاً بسرعة كبيرة لم تعجبه، وراح يشدّ بعصية الوشاح المربوط حول خصره. هناك عوائق للاتصال برجال الشرطة أو اللجوء إليهم في مكان قريب من المعهد إلى هذا الحد؛ يمكنه رؤيتهم حتى في حالة خوفه وإرهاقه الحالية. سيكتشف رجال الشرطة سريعاً أن والديه ميتان، مقتولان، وأنه المشبوه الأكثر احتمالاً. دينيسون ريفر بند بد ذاتها عائق آخر. فالبلدات تتواجد فقط إذا كان هناك مال يأتي إليها لأن المال عصب حياتها، ومن أين يأتي المال إلى دينيسون ريفر بند؟ ليس من ساحة القطارات هذه التي ستكون مؤتمتة إلى حد كبير. وليس من تلك الأبنية الحزينة المظهر التي رآها. ربما كانت مصانع فيما مضى، لكنها لم تعد كذلك. من جهة أخرى، هناك منشأة من نوع ما في إحدى البلدات غير المندمجة بأي بلدية («أمور حكومية»، هكذا سيقول السكان المحليون وهم يومئون بحكمة لبعضهم البعض في صالون الحلاقة أو ساحة البلدة)، والأشخاص الذين يعملون هناك معهم مال. رجالٌ ونساءٌ يأتون إلى البلدة، وليس فقط ليناصروا ذلك المكان المدعو دولة الخارجين عن القانون في الليالي التي تعزف فيها فرقة موسيقيةً باليةً ما. إنهم يُحضرون دولارات معهم. وربما المعهد يساهم في إنعاش البلدة. ربما مؤلوا إقامة مركز اجتماعي أو ملعب رياضي، أو تبرعوا بكلفة صيانة الطرقات. أي شيء يعرض تدفق تلك الدولارات للخطر سينظر إليه بريبة واستياء. كل ما يعرفه لوك هو أن مسؤولي البلدة ربما يتقاضون مكافآت دورية لضمان عدم لفت المعهد انتباه الأشخاص الخطأ. هل هذا تفكير شخصٍ مُصابٍ بجنون الارتياب؟ ربما. وربما لا.

لوك لا يطيق صبراً ليفضح السيدة سيغسبي وأتباعها، لكنه شَعَر أن أفضل وأمن شيء يمكن أن يفعله الآن هو أن يتعد قدر الإمكان عن المعهد وبأسرع ما يمكن.

كانت قاطرة التبدیل تدفع المجموعة الحالية من عربات الشحن صعوداً على التلة التي يسميها العاملون في ساحة القطارات السنام. وهناك كرسيان هزازان على شرفة مبنى المكاتب الصغير المرّيب للساحة، وعلى أحدهما يجلس رجلٌ يرتدي سروال جينز وحذاءً مطاطياً أحمر ساطعاً ويقرأ صحيفةً ويشرب القهوة. عندما أطلق سائق القاطرة البوق، وضع الرجل صحيفته جانباً ونزل الخطوات مُسرِعاً، وتوقف ليلوّح لكشكٍ مزجج على ركائز فولاذية. لَوَّح له الرجل الذي في الداخل بدوره. هذا عامل برج السنام، والرجل ذو الحذاء الأحمر هو صاحب المسامير.

كان والد رولف معتاداً على تَدَبُّبِ الحالة الآيلة للزوال لقطارات الشحن الأمريكية، وفهم لوك وجهة نظره الآن. هناك مسارات تذهب في كل اتجاه، لكن بدا له أن أربعة أو خمسة منها فقط تعمل حالياً، فبقية المسارات مرفقة بالصدأ وقد نمت أعشاب ضارة بين الوصلات. هناك عربات نقل وعربات مسطحة مكشوفة مهجورة على بعضها، واستخدمها لوك ليختبئ وهو يتوجه نحو المكتب. يمكنه رؤية لوح مشبكي معلق على مسمار على أحد أعمدة دعم الشرفة. إذا كان يتضمن مواعيد النقل لهذا اليوم، فهو يريد قراءتها.

قرفص خلف عربة نقل مهجورة قرب الجهة الخلفية للبرج، وراح يراقب من تحتها ذهاب صاحب المسامير إلى سكة السنام. الشحنة الواصلة حديثاً موجودة عند أعلى السنام الآن، وسيكون كل انتباه العامل مركزاً عليها. إذا شوهد لوك، سيُصَرَفُ النظر عنه على الأرجح على اعتبار أنه مجرد ولد يعشق القطارات، على غرار السيد دستن. لكن معظم الأولاد بالطبع لا يأتون عند الخامسة والنصف صباحاً لينظروا إلى القطارات مهما يكن عشقهم لها كبيراً. خاصة الأولاد المبللين بماء النهر بالكامل وأذانهم مشوّهة كثيراً.

لا خيار لديه. عليه أن يرى ماذا يوجد على ذلك اللوح المشبكي.

تقدّم صاحب الحذاء الأحمر عندما تدرجت أول عربة على الخط متجاوزة إياه، وسحب المسمار الذي يربطها بالعربة التي تليها. تدرجت المقصورة - المدموغ منتجات ولاية ماين علي جانبها بالأحمر والأبيض والأزرق - نزولاً على التلة بفعل الجاذبية، مع التحكم بسرعتها عبر مُبطّات تُشغّل لاسلكياً. شدّ عامل برج السنام رافعة فتحوّلت منتجات ولاية ماين إلى السكة 4.

سار لوك حول عربة النقل ومشى متمهلاً نحو مكتب المحطة حاشراً يديه في جيبه. لم يتنفس الصعداء إلى أن أصبح تحت البرج وخارج خط بصر العامل. بالإضافة إلى ذلك، فكر لوك في سرّه، إذا كان يؤدي عمله بشكل صحيح فستكون عيناه على مهمته الحالية وليس على أي مكان آخر.

أرسلت العربة التالية، حاوية نפט، إلى السكة 3. ذهبت عربتنا نقل سيارات إلى السكة 3 أيضاً. اصطدمتا ببعضهما وأصدرتا قعقةً وتدرجتا. قطارات فيك دستن ماركة ليونيل هادئة جداً، لكن هذا المكان مصحّة عقلية للأصوات. قدّر لوك أن أذان قاطني المنازل الأقرب من كيلومتر ونصف تُصمّ ثلاث أو أربع مرات في اليوم. ربها يعتادون على الأمر، فكر في سرّه. وجد صعوبة في تصديق ذلك إلى أن تذكر مواصلة الأولاد حياتهم كل يوم في المعهد - تناول وجبات طعام كبيرة، شرب رشقات من الشراب، تدخين سيجارة

عَرَضِيَّة، التسلِّي في الملعب، والركض ليلاً مع الصياح بأعلى أصواتهم. قدَّر لوك أن المرء قادر على الاعتياد على أي شيء. إنها فكرة رهيبة.

وَصَلَ إلى شرفة المكتب وهو لا يزال متوارياً عن أنظار عامل البرج، وكان صاحب المسامير مُدبراً له ظهره. لا يعتقد لوك أنه سيستدير نحوه. «افقد تركيزك في عمل كهذا وقد تخسر يدك»، أخبر السيد دَستَن الفتيين ذات مرة.

ورقة الكمبيوتر في أعلى كدسة أوراق اللوح المشبكي لم تحتو على الكثير؛ واحتوى عمودا السكتين 2 و5 على ثلاث كلمات فقط: لا شيء مجدول. السكة 1 ستنقل شحنة إلى نيوبرانزويك، كندا عند الساعة 5 بعد الظهر - لا شيء مفيد هنا. السكة 4 ستتوجه إلى برلنغتون ومونتريال عند الساعة 2:30 بعد الظهر. هذا أفضل، لكنه لا يزال غير كافي؛ إذا لم يكن قد رحل عند الساعة 2:30 فسيكون في ورطة كبيرة بكل تأكيد. السكة 3، حيث يقف صاحب المسامير الآن ليرسل مقصورة نيو إنغلاند لاند اكسبرس التي رآها لوك تعبر الجسر المُنصَّب، بدت جيدة. الموعد النهائي للقطار 4297 - وهو الوقت الذي لن يقبل مدير المحطة (نظرياً على الأقل) أي شحنات أخرى بعده - هو 9 صباحاً، وسيطلق القطار عند 10 صباحاً من دينيسون ريفر بند نحو پورتلاند/ماين وپورتسموث/نيو هامبشاير وستُبريدج/ماساتشوستس. لا بد أن تلك البلدة الأخيرة تبعد خمسمئة كيلومتر على الأقل، وربما أكثر بكثير.

انسحب لوك إلى عربة النقل المهجورة وراقب استمرار تدحرج العربات من السنام إلى مختلف السكك، بعضها للقطارات التي ستغادر هذا اليوم، وبعضها الآخر لقطارات ستبقى قابعة على سكك جانبية مختلفة إلى أن تصبح هناك حاجة إليها.

أنهى صاحب المسامير عمله وصعد على درجة قاطرة التبديل ليتكلم مع السائق. ظهر عامل المحطة وانضم إليهما. علت بعض الضحكات. وصل صداها إلى لوك بوضوح على نسيم الصباح، وأعجبه صوتها. لقد سمع الكثير من ضحكات الراشدين في غرفة استراحة الطابق ج، لكنها بدت له شريرة دائماً، مثل ضحكات المسوخ في إحدى روايات تولكين. أما هذه الضحكات فتأتي من رجال لم يسجنوا أبداً مجموعة أولادٍ أو يغطسوهم في خزانٍ عمر. ضحكات رجالٍ لا يحملون مسدسات صاعقة خاصة تسمى عُصي صَعَق.

أخرج سائق القاطرة كيساً أخذه صاحب المسامير ونزل الدرجة. مع بدء نزول القاطرة على السنام ببطء، أخذ كلُّ من صاحب المسامير وعامل

المحطة كعكة دونات من الكيس. إنها كعكات دونات كبيرة مغطاة بطبقة من السكر ومحشوة بهلام على الأرجح. قرقر بطن لوك.

جلس الرجلان على الكرسيين الهزازين على الشرفة ومضغاً كعكتهما الدونات. في غضون ذلك، ركز لوك انتباهه على العربات المنتظرة على السكة 3. مجموعها اثنتا عشرة عربة، ونصفها عربات نقل. عددها غير كافٍ على الأرجح لتشكيل قطار سيذهب إلى ماساتشوستس، لكن قد تُرسَل عربات أخرى من ساحة النقل حيث توجد خمسون عربة أو أكثر تنتظر دورها.

في غضون ذلك، دخلت شاحنة ذات ست عشرة عجلة إلى ساحة القطارات وسارت على عدة مجموعات من السكك نحو عربة النقل الموسومة منتجات ولاية ماين. تلتها شاحنة صغيرة خرج منها عدة رجال وبدأوا تحميل براميل من عربة النقل. سميعهم لوك يتكلمون بالإسبانية، واستطاع أن يفهم بضع كلمات. انقلب أحد البراميل وسقطت منه حبات بطاطا. علا الكثير من الضحكات الطبيعية، واندلع صراع قصير بالبطاطا. راقبهم لوك بلهفة حين.

راح عامل المحطة وساحب المسامير يراقبان صراع البطاطا من على كرسيهما الهزازين على الشرفة، ثم دخلا. رحلت الشاحنة الكبيرة محملة الآن ببطاطا طازجة لماكدونالد أو برغر كينغ، ولحقتها الشاحنة الصغيرة. أصبحت الساحة مهجورة، لكنها لن تبقى هكذا طويلاً؛ يمكن أن يحصل المزيد من التحميل والتفريغ، وقد ينشغل سائق قاطرة التبدیل بإضافة المزيد من العربات إلى الشحنة المجدولة أن تغادر عند 10 صباحاً.

قرّر لوك أن يجازف. خرج من خلف عربة النقل المهجورة، ثم تراجع فوراً عندما رأى سائق قاطرة التبدیل يصعد السنام وهو يضع هاتفاً على أذنه. توقف للحظة، وخشي لوك أن يكون قد رآه، لكن الرجل على ما يبدو ينهي المكالمة فحسب. وّصع هاتفه في جيب رداءه السروالي ومرّ بجانب الصندوق الذي يختبئ لوك خلفه دون أن يلقي ولو نظرة سريعة نحوه. صعد خطوات الشرفة ودخل المكتب.

لم ينتظر لوك، ولم يمش متمهلاً هذه المرة. بل نزل السنام راکضاً، متجاهلاً الألم في ظهره ورجليه المتعبتين، قافزاً فوق السكك وأوتاد فرملة المبطئات، ومتفادياً أعمدة مستشعرات السرعة. العربات المنتظرة رحلة پورتلاند-پورتسموث-سٹربريدج تضمّنت مقصورة حمراء مطبوعاً عليها ساوثواي اكسبرس بشكل بالكاد مقروء تحت كل الغرافيتي التي أضيفت إليها خلال سنوات خدمتها. كانت مقصورة وسيخة، رتيبة، منفعية حصرًا، لكن لديها

عنصر جذب واحداً لا يمكن إنكاره: بابها الجانبي المتحرّك ليس مغلقاً كلياً. فجوة تكفي ربما ليتسلل من خلالها فتى نحيل يائس.

أمسك لوك مقبضاً صديئاً ورفع نفسه. الفجوة عريضة كفاية حقاً. أعرض، في الواقع، من تلك التي حفرها تحت السياج المُشَبَّك في المعهد. بدا له أن ذلك حصل منذ وقت طويل جداً، في حياة أخرى تقريباً. كشط جانب الباب ظهره ومؤخرته المتألمين من قبل، مما سبّب سيلاً جديداً من الدم، لكنه أصبح في الداخل وقتها. ثلاثة أرباع العربة ممتلئة، ورغم أنها بدت خرقاء من الخارج إلا أن رائحتها زكية جداً في الداخل: خشب، طلاء، زيوت للأثاث والمحركات.

خليط المحتويات هذا ذكّر لوك بعليّة عمته لايسي، رغم أن كل الأشياء التي تخزّنها قديمة وكل هذه الأشياء جديدة. على اليسار هناك جرّازات عشب، منافخ أوراق، مناشير جنزيرية، وكراتين تحتوي على قطع سيارات ومحركات خارجية للزوارق. وعلى اليمين يوجد أثاث، بعضه في صناديق لكن معظمه محطّط في أمتار من البلاستيك الوقائي. هناك هرم مصابيح أرضية مائلة على جوانبها، ملفوفة بفقايع هوائية وملصقة كل ثلاثة منها ببعضها. هناك كراسي فردية ومزدوجة، طاوولات، وحتى أرائك. ذهب لوك إلى أريكة قريبة من الباب المفتوح جزئياً وقرأ الفاتورة الملصقة بالفقايع الهوائية. سيتم توصيلها (وافترضياً بقية الأثاث) إلى بندر وبوين للأثاث الفاخر، في ستربريدج، ماساتشوستس.

ابتسم لوك. قد يفقد القطار 4297 بعض عرباته في ساحات پورتلاند وپورتسموث، لكن هذه العربة ذاهبة إلى نهاية الخط. لم ينفذ حظه بعد.

«أحدهم فوق يحبّني»، همّس. ثم تذكّر أن أمه وأباه ميتان، وقال لنفسه، لكن ليس كثيراً.

دفع بعض كراتين بندر وبوين قليلاً عن الجدار الجانبي البعيد لعربة النقل وابتهج لرؤية كومة وسادات أثاث خلفها. رائحتها بالية لكنها ليست متعفّنة. زحف إلى داخل الفجوة وأعاد سحب الصناديق بقدر ما يستطيع.

لقد أصبح أخيراً في مكان آمن نسبياً، فلديه كومة وسادات ناعمة ليستلقي عليها، وهو منهك - ليس فقط من فراره الليلي، بل من أيام الراحة المتقطعة وتنامي الخوف الذي أدّى إلى هروبه. لكنه لم يجرؤ على أن ينام بعد. كبا مرةً في الواقع، لكنه سمع عندها صوت اقتراب قاطرة التبديل، وارتعشت عربة نقل ساوثواي اكسبرس وبدأت تتحرّك. نهض لوك وحدّق عبر الباب

المفتوح جزئياً. رأى ساحة القطارات تمرّ به. ثم اهتزت العربّة عند توقفها، وكاد يسقط أرضاً. سَمِعَ قرعَةً معدنيّةً افتَرَضَ أنها ناتجة عن ربط عربته بعربة أخرى.

طوال الساعة التالية تقريباً، كان هناك المزيد من الدويّ والاهتزاز جرّاء إضافة المزيد من العربات إلى ما سيصبح قريباً القطار رقم 4297 المتوجّه إلى جنوبي نيو إنغلاند وبعيداً عن المعهد.

بعيداً، فكَرَّ لُوكُ في سرّه. بعيداً، بعيداً، بعيداً.

مرتان سَمِعَ رجالاً يتكلّمون، مرّةً منهما على مسافة قريبة جداً، لكن الضجة كانت صاحبة لدرجة أنه لم يستطع فهم ما كانوا يقولونه. راح لُوكُ يُنصت وهو يقضم أطافر مقضومةً من قبل. ماذا لو كانوا يتكلّمون عنه؟ تذكر سائق قاطرة التبدّل يثرثر على هاتفه الخليوي. ماذا لو تكلمت مورين؟ ماذا لو اكتشَفَ غيابَه؟ ماذا لو أن أحد أتباع السيدة سيغسي - بدا ستاكهاوس الأكثر احتمالاً - اتصل بساحة القطارات وطلب من عامل المحطة أن يبحث في كل العربات الصادرة؟ إذا حصل هذا، هل سيبدأ الرجل البحث في عربات النقل المفتوحة أبوابها الجانبية قليلاً؟ الجواب بديهي.

ثم خفتت الأصوات واختفت. استمر الدويّ والاهتزاز مع تلقي القطار 4297 المزيد من الشحنات. أتت مركباتٌ وذهبت. وأحياناً يُطلق بوق إحداها. بقي لُوكُ يجفل كل مرة. تمّنى لو أنه يعرف كم الوقت الآن، لكنه لا يعرفه. لا يمكنه سوى الانتظار.

بعد مدة بدت لا تنتهي، توقّف الدويّ والاهتزاز. لا شيء حصل. بدأ لُوكُ يتّجه إلى كَبوّة أخرى وكاد يبلغها عندما صدرَ أكبر دويّ حتى الآن قذفه جانبياً. ساد الصمت لبرهة ثم بدأ القطار يتحرّك مرة أخرى.

خرج لُوكُ من مخبئه وذهب إلى الباب المفتوح جزئياً. نظَرَ إلى الخارج في الوقت المناسب ليرى مبنى المكاتب المطلي بالأخضر يمرّ أمامه. لقد عاد العامل وساحب المسامير إلى كرسيهما الهزازين، وكل واحد منهما يقرأ جزءاً من صحيفة. قعقَعَ القطار 4297 فوق نقطة وصل أخيرة، ثم اجتاز مجموعة أبنية مهجورة أخرى. ثم مرّ بجانب ملعب بيسبول مليء بالأعشاب الضارة، ومكبّ نفايات، وقطعتي أرض فارغتين، ثم باحة مقطورات يلعب فيها بعض الأولاد.

بعد دقائق، وجَدَ لُوكُ نفسه ينظر إلى وسط بلدة دينيسون ريفر بند. استطاع رؤية متاجر، أعمدة إنارة، مرآب سيارات، أرصفة، محطة وقود.

واستطاع رؤية شاحنة بيضاء قذرة تنتظر مرور القطار. كانت هذه الأشياء مدهشة له تماماً مثل منظر النجوم فوق النهر. لقد خرج. لم يعد هناك فييون، أو ممروضون، أو آلات تعمل بالفيش تسمح للأولاد بشراء شراب وسجائر. مع تمايل العربة عند دخولها منعطفاً خفيفاً، وضع لوك يديه على الجدران الجانبية لعربة النقل وراح يجرجر قدميه. كان مُتعباً جداً ليرفعهما عن الأرض، وجاءت رقصة نصرٍ سيئة جداً، لكن هذا ما كانت عليه في الواقع.

23

بعدها اختفت البلدة، حلت محلها غابات عميقة صدمت كثافتها لوك. شَعَرَ كما لو أنه يُدَقَّن تحت انهيار ثلجي. زحف إلى خلف الكراتين مرة أخرى، واستلقى على ظهره أولاً، وهي وضعية نومه المفضلة، ثم استدار ليستلقي على معدته عندما احتجت التمرقات على لوحه كتحية وردفيه. غفا حالاً. بقي نائماً في محطة پورتلاند وفي محطة پورتسموث، رغم أن القطار راح يهتز كلما أزيلت بضع عربات قديمة منه وأضيفت عربات جديدة إليه. كان لا يزال نائماً عندما توقف القطار في ستربريدج، ولم يكافح ليستعيد وعيه إلا عندما فُتح باب عربته بقوة وفاصت بنور بعد ظهر يوليو الحار.

دخل رجلان وبدأ يحمّلان الأثاث إلى شاحنة ركنت مؤخرتها عند باب عربة النقل المفتوح - الأرائك أولاً، ثم ثلاثيات المصاييح، ثم الكراسي. سيدان بالكراتين قريباً، وسيكتشفان وجود لوك. هناك كل تلك المحركات وجرّازات العشب، ومساحة كبيرة للاختباء خلفها في الزاوية البعيدة، لكن وجوده سيكتشف أيضاً إذا تحرك.

اقترب أحد رجلي التحميل بما فيه الكفاية لكي يشم لوك غسول بعد الحلاقة عندما صاح أحدهم من الخارج. «يا رجال، سيتأخر نقل المحرك قليلاً. لا يجب أن تكون المدة طويلة، لكن لديكما وقتاً لتناول القهوة، إذا كنتما تريدان ذلك.»

«ما رأيك بشراب الشعير؟»، سأل الرجل الذي كان سيرى لوك على سريره المؤلف من وسادات الأثاث بعد ثلاث ثوانٍ أخرى.

قوبل هذا الاقتراح بالضحك، وغادر الرجال. خرج لوك من مخبئه وراح يعرج إلى الباب على رجلين متيبستين ومتألمتين. أطل برأسه حول طرف الشاحنة التي كان يجري تحميلها ورأى ثلاثة رجال يتجولون نحو المحطة. هذه المحطة مطلية بالأحمر وليس بالأخضر، وأكبر حجماً بأربعة أضعاف من

المحطة التي في دينيسون ريفر بند. اللافتة على الواجهة الأمامية للمبنى قالت ستربريدج ماساتشوستس.

فَكَرُّ لُوكُ بِالْعَبُورِ خَلْسَةً عِبْرَ الْفَجْوَةِ الَّتِي بَيْنَ عَرَبَةِ النُّقْلِ وَالشَّاحِنَةِ، لَكِنْ سَاحَةُ الْقَطَارَاتِ هَذِهِ مَزْدَحْمَةٌ جَدًّا، وَهَنَّاكَ الْكَثِيرُ مِنَ الْعَمَّالِ (وَبَضْعِ عَامَلَاتٍ) يَتَجَوَّلُونَ هُنَا وَهَنَّاكَ سِيراً عَلَى الْأَقْدَامِ وَفِي مَرْكَبَاتٍ. سِيرُونَهُ وَيَسْتَجُوبُونَهُ، وَعَرَفَ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَرْوِي قِصَّتَهُ بِشَكْلِ مَتَمَاسِكٍ فِي حَالَتِهِ الرَّاهِنَةِ. بِالكَادِ يُدْرِكُ أَنَّهُ جَائِعٌ، وَيُدْرِكُ أَكْثَرَ قَلِيلاً أَنَّ أُذُنَهُ تَنْبُضُ مِنَ الْأَلَمِ، لَكِنْ هَذِهِ الْأُمُورُ تَسْخَفُ أَمَامَ حَاجَتِهِ لِمَزِيدٍ مِنَ النَّوْمِ. رُبَّمَا سَتُدْفَعُ عَرَبَةُ النُّقْلِ هَذِهِ إِلَى مَسَارِ جَانِبِي بَعْدَمَا يَفْرَغُ الْأَثَاثُ مِنْهَا، وَيُمْكِنُهُ إِجَادَةُ اقْتِرَابٍ مَخْفِرٍ بَعْدَمَا يَحُلُّ الظَّلَامُ. قَدْ يَكُونُ قَادِراً وَقْتَهَا عَلَى التَّكَلُّمِ دُونَ أَنْ يَبْدُوَ مَجْنُوناً. أَوْ دُونَ أَنْ يَبْدُوَ مَجْنُوناً كَلِيلاً. قَدْ لَا يَصَدِّقُونَهُ، لَكِنَّهُ مَتَأَكَّدُ أَنَّهُمْ سَيُعْطُونَهُ شَيْئاً لِيَأْكُلَهُ، وَرُبَّمَا بَعْضُ التَّايْلِينُولِ لِأُذُنِهِ النَّابِضَةِ. إِخْبَارُهُمْ عَنِ وَالِدِيهِ هِيَ وَرَقَتُهُ الرَّابِحَةُ. هَذَا شَيْءٌ يُمْكِنُهُمُ التَّحَقُّقُ مِنْهُ. سَيُعَادُ إِلَى مِينِيَابُولِيْسٍ. هَذَا جَيِّدٌ، حَتَّى وَلَوْ عَنَى الذَّهَابَ إِلَى مَرْفِقِ الْأَطْفَالِ الصَّغَارِ. سَتَكُونُ هَنَّاكَ أَقْفَالٌ عَلَى الْأَبْوَابِ، لَكِنْ لَا خَزَانَ عَمْرٍ.

ماساتشوستس بداية ممتازة، وقد كان محظوظاً بالوصول إلى هذه المسافة، لكنه لا يزال قريباً جداً من المعهد. مينيابوليس، من جهة أخرى، هي منزله. يعرف أشخاصاً هناك. السيد دستن قد يصدِّقه. أو السيد غرير في مدرسة برودريك. أو...

لَكِنْ لَا يُمْكِنُهُ التَّفَكِيرُ بِأَيِّ شَيْخٍ آخَرَ. إِنَّهُ مُتَعَبٌ جَدًّا. وَمَحَاوَلَةُ التَّفَكِيرِ أَشْبَهَ بِمَحَاوَلَةِ النَّظَرِ عِبْرَ نَافِذَةِ مَلَطَخَةٍ بِالشَّحُومِ. رَكَعَ عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَزَحَفَ إِلَى زَاوِيَةِ أَقْصَى الْيَمِينِ لِمَقْصُورَةِ سَاوْتُوَايِ اِكْسِبِرْسِ وَرَاحَ يَحْدِّقُ إِلَى الْخَارِجِ بَيْنَ مَحْرَاثَيْنِ دُورَانِيَيْنِ بَانْتِظَارِ أَنْ يَعُودَ رِجَالُ الشَّاحِنَةِ وَيُنْهَوْا تَحْمِيلَ الْأَثَاثِ الْمُنْتَجِهِ إِلَى بَنْدَرِ وَبُوَيْنِ لِلْأَثَاثِ الْفَاخِرِ. عَرَفَ أَنَّهُمْ قَدْ لَا يَزَالُونَ يَجِدُونَهُ. إِنَّهُمْ رِجَالٌ، وَالرِّجَالُ يَحْبُونَ فَحْصَ أَيِّ شَيْءٍ فِيهِ مَحْرُّكَ. قَدْ يَرِيدُونَ النَّظَرَ إِلَى جَرَّازَاتِ الْعِشْبِ. قَدْ يَرِيدُونَ فَحْصَ الْقُدْرَةِ الْحِصَانِيَّةِ لِسَيَّارَةِ أَفْنُرُودِ الْجَدِيدَةِ - صَحِيحٌ أَنَّهَا مَوْصِيَّةٌ فِي أَقْفَاصٍ إِلَّا أَنْ كُلَّ الْمَعْلُومَاتِ مَوْجُودَةٌ عَلَى الْفَوَاتِيرِ. سَيَنْتَظِرُ، سَيَجْعَلُ نَفْسَهُ صَغِيرًا، سَيَأْمَلُ أَنْ حِظَّهُ - الْمَتَنَاقِصِ مِنْ قَبْلِ - سَيَدُومُ لِفَتْرَةٍ أَطْوَلَ قَلِيلاً بَعْدَ. وَإِذَا لَمْ يَجِدُوهُ، سَيَغْرُقُ فِي النَّوْمِ مِنْ جَدِيدٍ.

إِلَّا أَنْ لُوكُ لَمْ يَنْتَظِرْ أَوْ يَرِاقِبِ. فَقَدْ اسْتَلْقَى عَلَى ذِرَاعِهِ وَغَفَا مِنْ جَدِيدٍ فِي غَضُونِ دَقَائِقٍ. بَقِيَ نَائِماً عِنْدَمَا عَادَ الرَّجُلَانِ وَأَنْهَيَا التَّحْمِيلَ. بَقِيَ نَائِماً عِنْدَمَا انْحَنَى أَحَدُهُمَا لِيَتَفَحَّصَ جَرَّارَ حَدِيقَةِ مَارِكَةَ جُونِ دِيرِ عَلَى بُعْدِ مِثْرٍ تَقْرِيْباً مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي تَكْوَّرُ فِيهِ لُوكُ مِيتاً بِالنَّسْبَةِ لِلْعَالَمِ. بَقِيَ نَائِماً عِنْدَمَا رَحَلَ

وأغلق أحد عمّال الساحة باب الساوئواي، بالكامل هذه المرة. بقي نائماً خلال دويّ العربات الجديدة التي أضيفت، وتحرك قليلاً فقط عندما وُضعت مقصورة محرّك جديد للقطار 4297. ثم نام مرة أخرى، هاربُ في الثانية عشرة من عمره تعرّض للمضايقة والأذى والرعب.

للقطار 4297 حدّ أقصى للجرّ يبلغ أربعين عربةً. وكان فيك دسّتن ليتعرّف على القاطرة الجديدة بأنها جنرال إلكتريك AC6000CW، حيث أن الرقم 6000 يشير إلى القدرة الحصانية القادرة على توليدها. إنها إحدى أقوى قاطرات الديزل العاملة في أميركا، ويمكنها أن تجرّ قطاراً يفوق طوله كيلومتراً ونصف. عند خروجه من ستربريدج، متوجّهاً إلى الجنوب الشرقي أولاً ثم إلى الجنوب، كان هذا القطار السريع، الـ 9956، يجرّ سبعين عربةً.

مقصورة لوك فارغة تقريباً الآن، وستبقى هكذا إلى أن يتوقف القطار 9956 في ريتشموند، فيرجينيا، حيث ستُضاف دزيتا مولّدات كوهلر منزلية إلى حمولته. معظم تلك المولّدات متوجّهة إلى ويلمنغتون، لكن اثنين منها - وكامل تشكيلة الأدوات المنزلية ذات المحرّك الصغير التي ينام لوك خلفها الآن - ذاهبان إلى فرومي لبيع وإصلاح المحرّكات الصغيرة، في بلدة دويراي الصغيرة في كارولاينا الجنوبية. القطار 9956 يتوقف هناك ثلاث مرات في الأسبوع.

الأحداث العظيمة تبدأ بأحداث صغيرة.

الجحيم ينتظر

1

أثناء مغادرة القطار 4297 پورتسموث، نيو هامبشاير متوجّهاً إلى سٲربريدج، كانت السيدة سيغسبي تدرس ملقي ولدين سيصلان المعهد قريباً ومستوى الجين BDNF لديهما. أحدهما ذكر والآخر أنثى. سيُحضرهما فريق الياقوت الأحمر في وقت لاحق من ذلك المساء. الفتى في العاشر من عمره من سٲو ساينت ماري وله جين BDNF قيمته 80 فقط، والفتاة في الرابعة عشرة من عمرها من شيكاغو ولها جين BDNF قيمته 86. يقول ملفها إنها مصابة بالتوحد. هذا سيجعلها صعبة، سواء للموظفين أو لبقية المقيمين. لو كان جينها دون الـ 80، لكانوا تجاهلوا إحضارها. لكن 86 مستوى باهر.

الأحرف BDNF اختصار عامل التغذية العصبية المستمد من الدماغ. لا تفهم السيدة سيغسبي الكثير عن تركيبته الكيميائية، هذا اختصاص الطبيب هندريكس، لكنها تفهم الأساسيات. فعلى غرار BMR، معدل الأيض الأساسي، الجين BDNF مقياسٌ. وما يقيسه هو معدل نمو العصبونات وصمودها في كل أنحاء الجسم، خاصة في الدماغ.

القلّة الذين يملكون قيمة جين BDNF عالية، ونسبتهم أقل من نصف بالمئة من السكان، هم أكثر الأشخاص خطأً في العالم؛ قال هندريكس إنهم الغاية التي نشدتها السماوات عند إنشاء الكائنات البشرية. نادراً ما يُصابون بفقدان الذاكرة أو الكآبة أو ألم الاعتلال العصبي. ونادراً ما يعانون من البدانة أو سوء التغذية الشديد الذي يتلى به فاقدو الشهية أو الشَّرهين مَرَضياً. علاقاتهم الاجتماعية جيدة (الفتاة القادمة استثناءً نادراً)، ويميلون إلى إيقاف المتاعب بدلاً من إثارتها (نيك ويلهولم استثناءً نادراً آخر)، ولديهم قابلية متدنية للإصابة باضطرابات عصبية مثل اضطراب الوسواس القهري، ولديهم مهارات شفهية مرتفعة. يُصابون بضداعات قليلة ولا يعانون من ضداعات نصفية تقريباً

أبداً. يبقى مستوى الكوليسترول لديهم منخفضاً مهما أكلوا. يميلون إلى أن تكون لديهم دورات نوم سيئة أو تحت المعدل الوسطي، لكنهم يعوّضون عن ذلك بأخذ قيلولة بدلاً من تناول أدوية تساعد على النوم.

رغم أن الجين BDNF ليس سريع العطب، إلا أنه يمكن أن يتشوّه، وبشكل مأساوي أحياناً. السبب الأكثر شيوعاً لذلك هو ما يسمّيه هندريكس الاعتلال الدماغى الرضحي المزمن، أو CTE اختصاراً. على حدّ علم السيدة سيغسبي، يتلخّص هذا بارتجاج الدماغ المألوف الناتج عن ضرب الرأس. يتراوح متوسط الجين BDNF عند 60 وحدة في الميليلتر؛ لكنه يتراوح عادة عند الثلاثينات، وأحياناً العشرينات، لدى لاعبي كرة القدم الأميركية الذين بدأوا ممارسة هذه الرياضة منذ عشر سنوات أو أكثر. تنخفض قيمة الجين BDNF ببطء مع التقدّم الطبيعي في السنّ، وتنخفض بسرعة أكبر بكثير لدى المصابين بالألزهايمر. كل هذا لا يهّم السيدة سيغسبي المكلفة فقط بتحقيق نتائج، والتي كانت جيدة خلال سنواتها في المعهد.

ما يهّمها، ما يهّم المعهد، وما يهّم أولئك الذين مَوّلوا المعهد وأبقوه سرّاً منذ عام 1955، هو أن الأولاد الذين لديهم مستويات عالية من الجين BDNF يملكون بعض القدرات النفسانية: تع أو تخ أو (في حالات نادرة) الاثنين معاً. الأولاد أنفسهم لا يعرفون أحياناً امتلاكهم تلك القدرات، لأن المواهب تكون مستترة عادة. أما الذين يعرفون امتلاكهم لها - عادة الـ تخ العاليو الأداء أمثال آيفيري ديكسون - فقادرون أحياناً على استخدامها عندما يبدو لهم ذلك مفيداً، لكنهم يتجاهلون ما بقية الوقت.

تُقاس قيمة الجين BDNF لدى كل المولودين حديثاً تقريباً. الأولاد أمثال الولدين اللذين تقرأ السيدة سيغسبي ملفيهما الآن تم تعليمهما وتتبعهما، وأخذاً في نهاية المطاف. لقد انصقلت قدراتهما النفسانية المنخفضة المستوى وتحسّنت. وفقاً للطبيب هندريكس، يمكن تعزيز تلك المواهب أيضاً، فنُضاف الـ تع إلى تخ والعكس بالعكس، رغم أن هكذا تعزيز لا يؤثر على مهمة المعهد - على مبرّر وجوده - ولو قليلاً. والنجاح العرّضي الذي يحقّقه مع الزهرين الذين يحصل عليهم كحقول تجارب لا يلقي أي ثناء أبداً. إنها متأكدة أن دونكي كونغ حزين لذلك، رغم معرفته أن النشر في أي مجلة طبية سيُلقيه في سجن ذي حراسة مشدّدة بدلاً من الفوز بجائزة نوبل.

سُئِمَ طرق روتيني على الباب، ثم أَطَلَّت روزاليند برأسها ونظرات
الاعتذار بادية عليها. «أسفة لإزعاجك يا سيدتي، لكن فُرد كلارك يطلب رؤيتك.
يبدو -»

«أنعشي ذاكرتي. مَنْ هو فُرد كلارك؟». خلعت السيدة سيغسبي
نظرات القراءة الخاصة بها وفركت طرفي أنفها.
«أحد البوابين».

«اعرفي ماذا يريد وأخبريني لاحقاً. إذا كانت لدينا فئران تمضغ الأسلاك
مرة أخرى، بإمكان ذلك أن ينتظر. أنا مشغولة».
«يقول إن الأمر مهم، ويبدو منزعجاً جداً».
تنهّدت السيدة سيغسبي، وأغلقت المجلد، ووضعت في جارور. «حسناً،
دعيه يدخل. لكن من الأفضل أن يكون الأمر جيداً».
لم يكن جيداً. كان سيئاً. سيئاً جداً.

2

تذكّرت السيدة سيغسبي كلارك فهي رأتَه في الأروقة عدة مرّات يدفع
مكنسةً أو ينظف بممسحةٍ، لكنها لم تره هكذا أبداً. لونه شاحب تماماً، وشعره
الرمادي شعث كما لو أنه كان يفركه أو يشدّ به، وفمه يرتعش بوهن.
«ما المشكلة يا كلارك؟ تبدو كما لو أنك رأيت شبحاً».
«عليك أن تأتي يا سيدة سيغسبي. عليك أن تري».
«أرى ماذا؟».

هزّ رأسه وكثّر كلامه، «عليك أن تأتي».

ذهبت معه في الممشى بين مبنى الإدارة والجناح الغربي للمبنى
السكني. سألت كلارك مرتين ما المشكلة، لكنه اكتفى بهزّ رأسه وتكرار أن
عليها أن ترى بنفسها. غضبُ السيدة سيغسبي بأنه جرت مقاطعتها بدأ يُضاف
إليه شعور بالقلق. أحد الأولاد؟ اختبارٌ ساء، على غرار ما جرى مع الفتى

كروس؟ طبعاً لا. لو حصلت مشكلة مع أحدهم، لكان من المرجح أكثر أن يكتشف ممرضٌ أو فنيٌّ أو أحد الأطباء ذلك وليس بواباً.

في منتصف رواق الجناح الغربي المهجور أغلبه، وقف فتى ذو بطن كبير تحت قميصه غير المثني باتقان يحدّق في ورقة معلقة على مسكة باب مُغلق. رأى السيدة سيغسبي قادمة واعتراه القلق فوراً. هكذا يجب أن يبدو برأي السيدة سيغسبي.

«وييل، أليس كذلك؟».

«نعم».

«ماذا قلتَ لي؟».

مصّع ستيشي شفته السفلى وهو يفكّر بهذا. «نعم، سيدة سيغسبي».

«هذا أفضل. ابتعد الآن. إذا لم تكن ستخضع لاختبار، جد شيئاً لتفعله».

«حسناً. أقصد نعم، سيدة سيغسبي».

ابتعد ستيشي وألقى نظرة سريعة إلى الخلف. لم تره السيدة سيغسبي يفعل ذلك فقد كانت تنظر إلى الورقة التي علّقت على مسكة الباب. كُتب عليها لا تدخل، على الأرجح بالقلم المُشبك بأحد جيوب قميص كلارك.

«كنتُ لأقفله لو كان معي مفتاح»، قال فرد.

يحمل البوابون مفاتيح لمختلف خزائن المؤن في الطابق أ، وكذلك آلات البيع لكي يستطيعوا إعادة تعبئتها، لكن ليس لغرف الاختبارات أو غرف المساكن. نادراً ما تُقفل غرف المساكن، على أي حال، ما عدا عندما يشاغب أحد المشاكسين وعليهم سجنه في غرفته ليوم كامل كعقوبة له. كما لا يملك البوابون بطاقات مفاتيح للمصعد. لذا إذا احتاجوا إلى النزول إلى أحد الطوابق السفلى، عليهم إيجاد ممرض أو فني والنزول معه.

قال كلارك، «لو دخلَ ذلك الولد البدين إلى هناك لتلقى أكبر صدمة في حياته اليافعة».

فتحت السيدة سيغسبي الباب دون أن تردّ عليه وشاهدت غرفة فارغة - لا صور أو مُلصقات إعلانية على الجدار، ولا شيء على السرير سوى فراشٍ عارٍ. غرفة لا تختلف عن بقية الغرف في جناح المساكن في آخر عشر سنوات

تقريباً عندما شحّ التدفق الذي كان قوياً ذات يوم للأولاد ذوي الجين BDNF العالي. للطبيب هندريكس نظرية تقول إن الجين BDNF العالي يُقضى عليه من الجينوم البشري، على غرار بعض المميزات البشرية الأخرى، مثل البصر الحادّ والسمع القوي، أو حتى قدرة المرء على أن يهزّ أذنيه. ربما هذه نكتة وربما لا. فمع دونكي كونغ، لا يمكنك أن تكون متأكداً أبداً.

استدارت لتنظر إلى فرد.

«في الحمام. لقد أغلقتُ الباب، على سبيل الاحتياط فقط.»

ففتحته السيدة سيغسبي وجمدت أرضها لعدة ثوانٍ. لقد رأت الكثير خلال توليها رئاسة المعهد، بما في ذلك انتحار أحد المقيمين ومحاولة انتحار اثنين آخرين، لكنها لم تر أبداً انتحار موظف.

مدبرة المنزل (هذا جليّ من زبّها البنيّ) شنقت نفسها من رأس الدُش الذي كان لينكسر تحت وزن شخص أثقل - الفتى وبيبل الذي صرفته للتو، مثلاً. كان الوجه الميت المحملق بوجه السيدة سيغسبي أسود ومتورّماً. وتنا لسانها من بين شفّتها، كما لو أنها تهزأ منهم. رأت رسالة أخيرة مكتوبة على بلاط الجدار بأحرف متطوّحة.

«إنها مورين»، قال فرد بصوتٍ منخفضٍ. أخذ رزمة مناديل من الجيب الخلفي لينظفون عمله ومسح بها شفّته. «مورين ألفورسون. إنها -»

كسرت السيدة سيغسبي جليد الصدمة ونظرت خلفها. لا يزال الباب إلى الرواق مفتوحاً. «أغلق هذا.»

«إنها -»

«أغلق هذا الباب!».

فعلّ البوّاب ما طُلب منه. بحثت السيدة سيغسبي في الجيب الأيمن لسترة بذلتها، لكنها وجدته مسطحاً. تبا، فكرت في سرّها. تبا، تبا، تبا. إهمالٍ منها أن تنسى إحضار جهاز اللاسلكي، لكن من كان يعرف أن شيئاً كهذا ينتظرها؟

«عد إلى مكّتي. أخير روزاليند أن تعطيك جهازٍ اللاسلكي. أحضره

لي.»

«أنتِ -»

«اصمت». استدارت إليه. فمها الذي زَمَّ إلى مجرد شق وطريقة انتفاخ عينيها في وجهها الضيق جَعَلَا فَرَدَ يتراجع خطوةً إلى الوراء. بدت مجنونة. «نَقِّذْ هذا، نَقِّذْه بسرعة، ولا تنطق بكلمة واحدة لأي شخص عن هذا».

«حسناً، بالتأكيد».

خَرَجَ مُغْلَقاً الباب خلفه. جلست السيدة سيغسبي على الفراش العاري ونظَّرت إلى المرأة المتدلّية من رأس الدُّش. وإليّ الرسالة التي كتبتها بأحمر الشفاه الذي لاحظته السيدة سيغسبي الآن جالسا أمام المرحاض.

الجحيم ينتظر. سأكون هنا لملاقاتك.

3

ستاكهاوس في قرية المعهد، وبدا ثملاً عندما رَدَّ على اتصالها. افترضت أنه كان يروِّح عن نفسه في دولة الخارجين عن القانون ليلة أمس، وربما مرتدياً بذلته البنيّة، لكنها لم تتكَبَّدَ عناء سؤاله. طلبت منه فقط أن يأتي إلى الجناح الغربي حالاً. سيعرف أي غرفة؛ فسيجد بواباً يقف خارج الباب.

هندريكس وإيفانز في الطابق ج، يُجريان اختبارات. طلبت منهما السيدة سيغسبي ترك ما يفعلانه وإعادة الولد الذي معهما إلى مسكنه. فالطيبان مطلوبان في الجناح الغربي. هندريكس، الذي يمكن أن يكون مثيراً للغضب جداً حتى في أفضل الأوقات، أراد معرفة السبب. أخبرتة السيدة سيغسبي أن يصمت ويأتي.

وَصَلَ ستاكهاوس أولاً. وتبعه الطيبان.

«جيم»، قال ستاكهاوس لإيفانز بعد أن قيّم الوضع. «ارفعها. أعطني بعض الارتخاء في هذا الحبل».

وَصَعَ إيفانز ذراعيه حول خصر المرأة الميتة - يدّوا للحظة كما لو أنهما يرقصان - ورفعها. بدأ ستاكهاوس يفك العقدة تحت فكها.

«أسرع»، قال إيفانز. «رائحتها كريهة».

«أنا متأكد أنك شمتت روائح أسوأ»، قال ستاكهاوس. «أكاد أنتهي... مهلاً... حسناً، انتهى الأمر».

رَفَعَ حبل المشنقة فوق رأس المرأة الميتة (شتمَ همساً عندما خبطت إحدى ذراعيها بخفة على قفا عنقه) ونقلها إلى الفراش. لقد خلف حبل المشنقة دمعاً أرجوانيةً مُسْوَدَّةً على عنقها. راح أربعتهم ينظرون إليها دون أن ينطقوا بأي كلمة. بطول يبلغ 190 سنتيمتراً، يُعدُّ تريفور ستاكهاوس طويلاً، لكن هندريكس يزيد طوله بعشرة سنتيمترات على الأقل. لذا بدت السيدة سيغسبي قزماً وهي تقف بينهما.

نظَرَ ستاكهاوس إلى السيدة سيغسبي ورفع لها حاجبي عينيه. إلتفتت إلى الوراء دون أن تنطق بكلمة.

على الطاولة بجانب السرير توجد قارورة حبوب بيضاء. رَفَعَهَا الطبيب هندريكس وخشخشها. «أوكسي. أربعون ميلليغراماً. ليست أكبر جرعة ممكنة، لكنها كبيرة جداً على أي حال. الوصفة الطبية لتسعين حبة، ولم يبقَ إلا ثلاث حبوب فقط. أفترض أننا لن نُجري تشريحاً للجثة -»

أصبت في ذلك، فكَّر ستاكهاوس في سرّه.

«- لكن إن كنا سُنْجِري تشريحاً، أعتقد أننا سنجد أنها أخذت معظمها قبل أن تلفَّ الحبل حول عنقها».

«والتي كانت لتكون كافيةً لقتلها على كل حال»، قال إيفانز. «وزن هذه المرأة خمسة وأربعون كيلوغراماً كحد أقصى. من الواضح أن عرق النسا لم يكن مشكلتها الرئيسية، مهما كانت قد ادّعت. لم يكن بإمكانها مواصلة تأدية واجباتها مهما حصل، لذا قرَّرت...»

«قرَّرت ببساطة إنهاء حياتها»، قال هندريكس مُنهيماً الجملة.

نظر ستاكهاوس إلى الرسالة على الجدار. «الجحيم ينتظر»، قال متأملاً. «بأخذ ما نفعه هنا بعين الاعتبار، قد يقول البعض إن هذا افتراضٌ معقولٌ».

بسبب مناعتها ضد السوقية كقاعدة عامة، قالت السيدة سيغسبي، «كلام فارغ».

هَزَّ ستاكهاوس كتفيه. لمَعَ رأسه الأصلع تحت فتحة الضوء كما لو أنه سلحفاة مشمَّعة. «قصدتُ الدخلاء، الأشخاص الذين لا يعرفون الوضع. لا يهم».

ما نراه هنا بسيطٌ كفاية. امرأة مصابة بمرض عُضال قَرَّرت أن تسحب القابس». أشار إلى الجدار. «بعد اعترافها بذنبها. وذنبنا».

هذا منطقي، لكنه لم يُعجب السيدة سيغسبي. التواصل الأخير لألفورسون مع العالم ربما يعبر عن شعورها بالذنب، لكنه يتضمن حساً بالانتصار أيضاً.

«أخذت أسبوع إجازة منذ فترة غير طويلة جداً»، تطوَّع فَرَد البوّاب قائلاً. لم تُدرِك السيدة سيغسبي أنه لا يزال في الغرفة. كان على أحدهم أن يصرفه. كان عليها أن تصرفه. «عادت إلى منزلها في فيرمونت. الأرجح أنها أحضرت الحبوب من هناك».

«شكراً»، قال ستاكهاوس. «هذا تحليل شيرلوكيٍّ جداً. الآن، أليست لديك أراضيات لتلمّعها؟».

«ونظّف علب الكاميرات تلك»، قالت السيدة سيغسبي بحدّة. «طلّبتُ تنفيذ ذلك الأسبوع الفائت. لن أطلبه مرة أخرى».

«نعم، سيدتي».

«لا تنطق أي كلمة عن هذا يا سيد كلارك».

«لا، سيدتي. بالطبع لا».

«نحرق الجثة؟»، سأل ستاكهاوس بعدما رحل البوّاب.

«نعم. سأطلب من ممرّضين أن يأخذاها إلى المصعد بينما يتناول المقيمون الغداء. وهذا سيحصل» - فحّصت السيدة سيغسبي ساعتها - «بعد أقل من ساعة».

«هل هناك مشكلة؟»، سأل ستاكهاوس. «أقصد غير إخفاء هذا عن المقيمين؟ أسأل لأنك تبدين كما لو أن هناك مشكلة».

نقلت السيدة سيغسبي نظرها من الكلمات المطبوعة على بلاط الحّمّام إلى الوجه الأسود للمرأة الميتة ولسانها الناتئ. ثم نقلت نظرها إلى الطبييين. «أريدكما أن تخرجا. أحتاج إلى التكلّم مع السيد ستاكهاوس على انفراد».

تبادل هندريكس وإيفانز نظرةً، ثم خرجا.

«كانت واشيتك. هل هذه مشكلتك؟».

«واشيتنا يا تريفور، لكن نعم، هذه هي المشكلة. أو قد تكون مشكلة».

منذ حوالي سنة - لا، منذ ستة عشر شهراً تقريباً، فقد كان لا يزال هناك ثلج على الأرض - طلّبت مورين ألفورسون موعداً لرؤية السيدة سيغسبي وسألت إن كان هناك أي عمل قد يوفّر لها مدخولاً إضافياً. السيدة سيغسبي التي بقيت لديها فكرة في ذهنها لسنة تقريباً لكنها لم تملك أي تصوّر واضح كيف ستطبّقها، سألت إن كانت لدى ألفورسون أي مشكلة في إبلاغها بأي معلومات تكتشفها من الأولاد. وافقت ألفورسون، وحتى أظهرت امتلاكها بعض المكر الخسيس باقتراحها كذبة وجود عدة مناطق ميتة الميكروفونات فيها سيئة أو لا تعمل على الإطلاق.

هَرَّ ستاكهاوس كتفيه. «ما أحصّرته لنا نادراً ما تخطى مستوى الثثرات. أي فتى يُمضي الليل مع أي فتاة، مَن كَتَب طوني حقير على طاولة في الكافيتيريا، هذا الصنف من الأمور». سكت قليلاً. «أظن أن الوشاية زادت من شعورها بالذنب».

«كانت متزوجة»، قالت السيدة سيغسبي، «لكنك ستلاحظ أنها لم تعد تضع خاتم زواجها. كم نعرف عن حياتها في فيرمونت؟».

«لا أتذكّر عفويّاً، لكنه سيكون مدوّناً في ملفها، ويسرّني أن أبحث فيه».

فكّرت السيدة سيغسبي بهذا، وأدركت كم أنها هي أيضاً تعرف القليل فقط عن مورين ألفورسون. نعم، تعرف أن ألفورسون متزوجة، لأنها رأت الخاتم. نعم، كانت عسكرية متقاعدّة، على غرار الكثير من موظفي المعهد. نعم، تعرف أنها تسكن في فيرمونت. لكنها لا تعرف الكثير غير ذلك، وكيف يُعقّل هذا وهي التي وظفت المرأة لتتجسّس على المقيمين؟ هذا قد لا يهمّ الآن، ليس بعد وفاة ألفورسون، لكنه جَعَلَ السيدة سيغسبي تفكّر كيف نسيبت إحضار جهازها اللاسلكي مفترضةً أن البوّاب مستاء من شيء تافه. جَعَلَهَا تفكّر أيضاً بعلب الكاميرات المليئة بالغبار، بالكمبيوترات البطيئة والموظفين القليلي العدد وغير الكفوئين الذين يشغّلونها، بالفساد المتكرر للطعام في الكافيتيريا، بالأسلاك التي تقضمها الفئران، وبتقارير المراقبة المبتذلة، خاصة خلال الوردية الليلية التي تمتد من 11 مساءً إلى 7 صباحاً أثناء نوم المقيمين.

هذا جعلها تفكر بالإهمال.

«جوليا؟ قلتُ إنني سد -»

«سمعتُك. لسْتُ صمّاء. من على المراقبة الآن؟».

نظرتُ ستاهاوس إلى ساعته. «على الأرجح لا أحد. إنها الظهيرة. الأولاد إما في عُرفهم أو يفعلون الأشياء الاعتيادية التي يفعلها الأولاد».

هذا ما تفترضه، فكّرت في سرّها، وهل هناك شيء يمكن اعتباره أم الإهمال أكثر من الافتراض؟ لقد بدأ المعهد عمله منذ أكثر من ستين سنة، أكثر بكثير، ولم يتسرّب منه أي خبر أبداً. لم يطرأ أي سبب أبداً (ليس خلال فترة رئاستها له، على أي حال) لاستخدام الهاتف الخاص، الهاتف الذي يسمّونه الهاتف الصفري، لأي شيء آخر غير التحديثات الروتينية. لا شيء، باختصار، لم يقدرُوا على معالجته داخلياً.

هناك إشاعات في بند طبعاً. أكثرها شيوعاً بين المواطنين هي أن المجمعّ الواقع في الغابة عبارة عن قاعدة صواريخ نووية من نوع ما. أو أن له علاقة بالحرب الجرثومية أو الكيميائية. هناك إشاعة أخرى، وهذه أقرب إلى الحقيقة، تقول إن المجمعّ محطة تجارب حكومية. الإشاعات أمر لا بأس به، فهي تضليلٌ ذاتيٌّ.

كل شيء على ما يرام، أخبرت نفسها. كل شيء مثلما يجب أن يكون. انتحار مدبّرة منزل نخرها المرض هو مجرد اهتزاز على الطريق، واهتزاز خفيف أيضاً. ومع ذلك فإن هذا نذير شيء أكبر... حسناً، ليس مشاكل، من المبالغة اعتباره هكذا، بل قلقاً بالتأكيد. وبعضه ذنبها. ففي الأيام الأولى لرئاسة السيدة سيغسبي، لما كانت علب الكاميرات ستصبح مليئة بالغبار أبداً، ولما غادرت مكتبها أبداً من دون جهازها اللاسلكي. كانت في تلك الأيام لتعرف أكثر بكثير عن المرأة التي تدفع لها ثمن الوشاية على المقيمين.

فكّرت بالقصور الحراري. بالميل إلى التراخي عندما تسير الأمور على ما يرام.

بالافتراض.

«سيدة سيغسبي؟ جوليا؟ هل لديك أوامر لي؟».

عادت إلى اللحظة الراهنة. «نعم. أريد معرفة كل شيء عنها، وإذا كان لا يوجد أحد في غرفة المراقبة، أريد شخصاً هناك في أسرع وقت ممكن».

جيري، أعتقد». كان جيري سيموندر أحد فنيي الكمبيوتر لديهم، وأفضل موظف لديهم عندما يتعلق الأمر بالاعتناء بالمعدات القديمة.

«جيري في إجازة»، قال ستاكهاوس. «يصطاد السمك في ناساو». «أندي إذاً».

هَرَّ ستاكهاوس رأسه. «فيلوز في القرية. رأيته يخرج من مخزن المؤمن».

«تَبَّأً، كان يجب أن يكون هنا. زيكي إذاً. زيكي اليوناني. لقد عمل على المراقبة من قبل، أليس كذلك؟».

«أعتقد ذلك»، قال ستاكهاوس، وها هو مرة أخرى. الغموض. الاعتقاد. الافتراض.

علب الكاميرات المليئة بالغبار. نعال الجدران القذرة. الأحاديث اللامبالية في الطابق ب. فراغ غرفة المراقبة.

قررت السيدة سيغسبي ارتجالياً أن بعض التغييرات الكبيرة ستجري، وقبل أن تبدأ الأوراق بتغيير ألوانها والسقوط عن الأشجار. إذا كان انتحار المرأة الفورسون لا يفي بأي غرض آخر، فهو بمثابة جرس إنذار. لا تحبّ التكلم مع الرجل على الطرف الآخر للهاتف الصفري، وتشعر دائماً ببعض القشعريرة عندما تسمع اللثغة الخفيفة في تحيته (لا يقول سيغسبي أبداً، بل ثيغبي دائماً)، لكن عليها فعل ذلك. فالتقرير الخطي لن يفيد. لديهم مندوبون في كل أنحاء البلاد. لديهم طائفة نقّاة خاصة جاهزة للتخليق في أي لحظة. الموظفون يتقاضون رواتب جيدة، وتأتي وظائفهم المختلفة بكل الفوائد والميزات. ومع ذلك فإن هذا المرفق أصبح أكثر وأكثر يشبه متجر دولار في شارع متاجر على شفير الهجر. الحالة مجنونة. يجب أن يتغير الوضع. سيتغير الوضع.

قالت، «أخبر زيكي أن يتفقد أضرار محدّدات المواقع. دعنا نتأكد أن كل ضيوفنا موجودون وبخير. أنا مهتمة بشكل خاص بلوك إليس وآيفيري ديكسون. كانت تتكلم معهما كثيراً».

«نعرف عما كانوا يتكلمون، وليس بالشيء المهم».

«افعل ذلك فحسب».

«يسرني ذلك. في هذه الأثناء، عليك أن تسترخي». أشار إلى الجثة ذات الوجه المُسَوَّد واللسان الناتئ بوقاحة. «وتقدري أهمية الوضع. هذه امرأة مريضة جداً رأت النهاية قريبة وأخذت الأمور بيدها».

«تفقد المقيمين يا تريفور. إذا كانوا كلهم في أماكنهم - الوجوه المشرقة اللامعة اختيارية - عندها سأسترخي».

إلا أنها لن تسترخي. فقد حصل الكثير من الاسترخاء سابقاً.

5

عند عودتها إلى مكتبها، أخبرت روزاليند أنها لا تريد أن يزعجها أحد إلا إذا كان ستاكهاوس أو زيكي أيونيديس، الذي يتفحص حالياً المراقبة في الطابق د. جلست خلف مكتبها وراحت تنظر إلى شاشة التوقف على كمبيوترها التي تبين شاطئاً رملياً أبيض في سيبستا كيه، حيث تنوي التقاعد حسبما تُخبر الآخرين. توقفت عن إخبار نفسها ذلك، فهي تتوقع بالكامل أن تموت هنا في الغابة، وربما في منزلها الصغير في القرية، والمرجح أكثر خلف هذا المكتب بالذات. اثنان من كتابها المفصلين، توماس هاردي وروديارد كبلينغ، ماتا خلف مكتيهما؛ ولماذا هذا لن يحصل معها أيضاً؟ لقد أصبح المعهد حياتها، وهي لا تمانع ذلك.

معظم الموظفين مثلها. كانوا جنوداً فيما مضى، أو موظفين أميين في شركات متخصصة مثل بلاكووتر وتوماهوك غلوبال، أو عاملين في وكالات فرض القانون. دينيه وويليامز وميشيل روبرتسون من فريق الياقوت الأحمر أتيا من مكتب التحقيقات الفدرالي. إذا لم يكن المعهد حياتهم عندما جُتدوا للعمل فيه، فقد أصبح حياتهم. السبب ليس الراتب أو الفوائد أو خيارات التقاعد، بل له علاقة جزئياً بأسلوب العيش الذي كان مألوفاً جداً لهم بحيث أصبح نوعاً من الهوس. كان المعهد أشبه بقاعدة عسكرية صغيرة؛ حتى إن القرية المجاورة تتضمن سلسلة محطات وقود براكسير حيث يمكنهم شراء نطاق واسع من البضائع بأسعار رخيصة وملء سياراتهم وشاحناتهم بالوقود بكلفة تسعين سنتاً لغالون الصنف العادي ودولار وخمسة سنتات لغالون الصنف العالي الأوكتان. أمضت السيدة سيغسبي بعض الوقت في قاعدة رامشتاين الجوية في ألمانيا، وتذكرها بلدة دينيسون ريفر بند - علي مقياس أصغر بكثير طبعاً - بكايزر سلاوترن حيث كانت تذهب وأصدقائها أحياناً ليرؤوا عن أنفسهم. كانت رامشتاين تتضمن كل شيء، حتى مسرحاً ومطعم جوني روكيتس، لكنك تريد أحياناً الابتعاد فحسب. الشيء نفسه ينطبق هنا.

لكنهم يعودون دائماً، فكّرت في سرّها وهي تنظر إلى شاطئ رملي تزوره أحياناً لكنها لن تعيش فيه أبداً. يعودون دائماً، ولا يتكلمون مهما أصبحت بعض الأمور غامضة هنا. هذا شيءٌ لن يصبح غامضاً لهم أبداً. لأنه إذا عرف الناس ما الذي فعله ومئات الأولاد الذين دمّرناهم، سنُحاكم ونُعَدّم بالعشرات. سنُعطي الحقنة مثل تيموثي ماكفاي.

هذه هي الجهة المظلمة للعملة المعدنية. أما الجهة المشرقة فبسيطة: كل الموظفين، من الطبيب المزعج في أغلب الأحيان لكن الكفوء بلا شك دان «دونكي كونغ» هندريكس والطبيين هكل وجكل في النصف الخلفي، نزولاً إلى البوابين، يفهمون أن مصير العالم على أقل تقدير يكمن بين أيديهم، مثلما كان بين أيدي الذين سبقوهم. ليس فقط نجاة الجنس البشري، بل نجاة الكوكب. يفهمون أنه لا حدود لما يمكنهم فعله وما سيفعلونه لتحقيق تلك الغايات. لا أحد يستوعب عمل المعهد بالكامل يمكنه أن يعتبره شنيعاً.

الحياة هنا جيدة - جيدة كفايةً، على أي حال، خاصة للرجال والنساء الذين أكلوا الرمل في الشرق الأوسط ورأوا رفاقهم الجنود ممدّدين في قُرى وضيقة وقد نُسقت أرجلهم أو تدّلت أحشاؤهم من بطونهم. تنال إجازةً عَرَضيةً؛ يمكنك العودة إلى منزلك وتمضية بعض الوقت مع عائلتك، بافتراض أن لديك واحدة (العديد من موظفي المعهد لا يملكون عائلة). بالطبع لا يمكنك التكلّم معهم عما فعلته، وسيُدرّكون - الزوجات، الأزواج، الأولاد - بعد حين أن الوظيفة هي المهمة وليسوا هم. لأنها أخذتك منهم. أصبحت الأولوية في حياتك، في ترتيب تنازلي، هي المعهد، والقرية، وبلدة دينيسون ريفر بند بمقاصفها الثلاثة، وأحدها يقدّم موسيقى ريف حيّة. وعندما يحلّ ذلك الإدراك فيهم، سيزول خاتم الزواج في أغلب الأحيان، مثلما فعلت القورسون.

فَتحت السيدة سيغسبي أسفل جارور في مكتبها وأخرجت هاتفاً بدا شبيهاً للهواتف التي تحملها فرق الاستخراج: كبير ومكثّر، مثل لاجئ من الزمن الذي بدأت فيه أشرطة الكاسيت تُفسح المجال للأقراص المضغوطة والهواتف المحمولة تظهر على رفوف متاجر الإلكترونيات. يسمّى أحياناً الهاتف الأخضر، بسبب لونه، وفي أغلب الأحيان الهاتف الصفري، لأنه لا توجد فيه شاشة أو أرقام بل مجرد ثلاث دوائر بيضاء صغيرة.

سأتصل، فكّرت في سرّها. ربما سيصفقون لتفكيري التقدّمي ويهتئوني على مبادرتي. ربما سيقرّرون أنني أجفل من ظلال وحن الوقت للتفكير باستبدالي. يجب أن يحصل هذا في الحاليتين. الواجب ينادي، وكان يجب أن ينادي عاجلاً.

«لكن ليس اليوم»، همست.

لا، ليس اليوم، ليس بينما هناك ألفورسون للاهتمام بها (والتخلص منها؟). ربما ليس غداً أو حتى هذا الأسبوع. فما تفكر بفعله ليس بالشيء البسيط. ستريد تدوين ملاحظات، لكي يمكنك أن تكون أدق ما يمكن عندما تتصل فعلاً. إذا كانت تنوي استخدام الهاتف الصفري حقاً، من الإلزامي أن تكون جاهزة لتردّ باختصار عندما تسمع الرجل على الطرف الآخر يقول مرحباً شدةً تيغبي، كيف يمكنكني متاعذك؟

هذه ليست ملاحظة، أختبرت نفسها. على الإطلاق. ولا أريد بالضرورة إيقاع أي شخص في ورطة، لكن -

أصدر نظام اتصالها الداخلي نغمةً ناعمةً. «معي زيكي على الهاتف يا سيده سيغسبي. الخط الثالث».

رفعت السيدة سيغسبي السماعة. «ماذا عندك يا أيونيديس؟».

«حضور مثالي»، قال. «ثمانية وعشرون محدّد موقع تومض في النصف الخلفي. وفي النصف الأمامي، هناك ولدان في غرفة الاستراحة، ستة في الملعب، خمسة في عُرفهم».

«جيد جداً. شكراً».

«على الرحب والسعة يا سيدتي».

نهضت السيدة سيغسبي وهي تشعر بتحسّن طفيف، رغم أنها لم تقدر أن تحدّد السبب بدقة. بالطبع كل المقيمين موجودين. بماذا كانت تفكر، أن بعضهم ذهب إلى عالم ديزني؟

في غضون ذلك، هيا إلى المهمة الروتينية التالية.

6

بعدها جلس كل المقيمين لتناول الغداء، دقّ البوّاب فُرد عربةً استعارها من مطبخ الكافيتيريا إلى باب الغرفة التي أنهت فيها مورين ألفورسون حياتها. لُقها فُرد وستاكهاوس برقعة قماشية خضراء ودحرجها في الرواق، بخُطى سريعة. من بعيد جاء صوت الحيوانات وهي تأكل، لكن المكان

هنا مهجور، رغم أن شخصاً ترك ديدوباً جالساً على الأرض أمام ملحق المصعد. كان يحدّق بالسقف بعينه الزجاجيتين. ركله فُرد ركلة انزعاج.

نظَرَ إليه ستاكهاوس نظرة عتب. «حظ سيئ يا صديقي. هذه لعبة تعزية لأحد الأولاد».

«لا يهمني»، قال فُرد. «يتركون أغراضهم هنا وهناك دائماً لكي نلّمها لهم».

عندما فُتِحَ باب المصعد، بدأ فُرد يدفع العربة إلى داخله. شدّها ستاكهاوس إلى الخلف، وليس بلطف. «خدماتك غير مطلوبة بعد هذه النقطة. التقط ذلك الديدوب وضعه في غرفة الاستراحة أو في المطعم، حيث سيراه مالكة عندما يأتي. ثم ابدأ مسح الغبار عن تلك المصايح اللعينة». أشار إلى الأعلى نحو إحدى علب الكاميرات العليا، ودحرج العربة إلى داخل المصعد، ورفع بطاقته إلى القارئة.

انتظر فُرد كلارك انغلاق الباب قبل أن يمدّ إصبعه. لكن الأوامر أوامر، وسينظف العلب. في نهاية المطاف.

7

كانت السيدة سيغسبي تنتظر ستاكهاوس في الطابق و. الجو بارد هنا، لذا ارتدت كنزة فوق سترة بذلتها. أومات له برأسها. أوما لها ستاكهاوس برأسه أيضاً ودحرج العربة إلى النفق الواقع بين النصف الأمامي والنصف الخلفي. هذا النفق مثال قوي للمنفعية، بأرضيته الأسمنتية، وجدرانه المنحنية المبلطة، والأضواء الفلورية على سقفه. بعض تلك الأضواء يرتجف، مما يُشعر المرء بأنه موجود في فيلم رعب، وبعضها الآخر منطفئ كلياً. لقد ألصق أحدهم مُلصق مخفّف صدمات لفريق نيو إنغلاند باتريوتس الرياضي على أحد الجدران.

مزيد من الإهمال، فكّرت في سرّها. مزيد من الانجراف.

يحمل الباب عند جهة النصف الخلفي في الرواق لافتة تقول للموظفين المصحّح لهم فقط. استخدمت السيدة سيغسبي بطاقتها وفتحته فظهرت ردهة مصعد آخر. أخذتهما رحلة قصيرة صعوداً إلى غرفة استراحة أقل منفعية قليلاً من نفق الخدمة الذي سلكاه للوصول إلى النصف الخلفي. كان هكل - إسمه الحقيقي الطبيب إيفيرت هالاس - ينتظرهما مبتسماً ابتساماً كبيرةً

ويلمس طرف فمه باستمرار. ذكّر السيدة سيغسبي بهّوس الفتى ديكسون بشدّ أنفه. ما عدا أن ديكسون مجرد ولد وهالاس في خمسيناته. للعمل في النصف الخلفي تأثيره السلبي، على غرار العمل في بيئة ملوّثة بإشعاعات منخفضة المستوى.

«أهلاً سيّدة سيغسبي! أهلاً مدير الأمن ستاكهاوس! كم تسرّني رؤيتكما! يجب أن نلتقي أكثر! لكن تؤسفني الظروف التي أحصرتكما إلى هنا اليوم!». انحنى وربّت على الحزمة القماشية التي تحتوي على مورين ألفورسون. ثم لمس طرف فمه، كما لو أنه يرّبّت على تقرّح بارد لا أحد سواه يمكنه أن يراه أو يشعر به. «في وسط الحياة، الخ-الخ».

«علينا الإسراع في هذا»، قال ستاكهاوس. افترضت السيدة سيغسبي أنه يقصد أن عليهما الخروج من هنا. وافقته تماماً. هذا هو المكان الذي يجري فيه العمل الحقيقي، والطيبان هكل وجكل (إسمها الحقيقي جوان جايمس) بطلان لفعلهما ذلك، لكن هذا لم يسهّل التواجد هنا. يمكنها الشعور بجو المكان من قبل. التواجد هنا يشبه الوقوف في حقل كهربائي منخفض المستوى.

«نعم، بالطبع عليكما ذلك، فالعمل لا ينتهي أبداً، عجلات ضمن عجلات، براغيث كبيرة لتلتهم براغيث صغيرة، لا أعرف، تفضّلاً من هنا».

من غرفة الاستراحة، بكراسيها البشعة، وأريكتها البشعة أيضاً، وشاشتها المسطحة القديمة، دخلوا رواقاً ذا سجادة زرقاء سميقة على الأرض - في النصف الخلفي، يسقط الأولاد أحياناً ويصدمون رؤوسهم الصغيرة القيّمة. خلفت عجلات العربة مسارات في الزغب. بدا هذا مشابهاً إلى حد بعيد للرواق في طابق المساكن في النصف الأمامي، ما عدا أن هناك أقفالاً على الأبواب وكلها مغلقة. من خلف أحدها، سمعت السيدة سيغسبي طرّقاً وصرخات مكتومة تقول «دعوني أخرج!» و«على الأقل أعطوني حبة أسبرين لعينة!».

«آيريس ستانهوب»، قال هكل. «أخشى أنها ليست بخير اليوم. في الجانب الإيجابي، العديد من بقية الواصلين حديثاً صامدون بشكل ملحوظ. سنعرض فيلماً هذا المساء، لعلمكما. وغداً ألعاباً نارية». قهقهه ولمس طرف فمه، مذكراً السيدة سيغسبي - بشكل منقّر - بالممثلة شيرلي تمبل.

مسّدت شعرها لتتأكد أنه لا يزال مكانه. كان هناك، بالطبع. ما تشعر به - ذلك الأزيز المنخفض على بشرتها المكشوفة، الإحساس بأن مُقلّتي عينيها تهترّان في محجريهما - لم يكن كهرباءً.

مَرَّوا بصالة العرض بمقاعدھا الفخمة الاثنتي عشرة تقريباً. رأوا كاليشا بنسون ونيك ويلهولم وجورج آيلز جالسين في الصف الأمامي مرتدين قمصانهم الحمراء والزرقاء التي بلا أكمام. الفتاة بنسون تمصّ سيجارة حلوى، وويلهولم يدخن سيجارة حقيقية جعلت الهواء حول رأسه يعبق بدخان رمادي، وآيلز يفرك صدغيه بخفة. استدارت بنسون وآيلز لينظرا إليهم يجتازونهم مدحرجين عربتهم الملفوفة بقماش؛ أكمل ويلهولم التحديث في شاشة السينما الفارغة. لقد أخرج الكثير من البخار من هذه النفاق، فكرت السيدة سيغسبي في سرّها مسرورةً.

تقع الكافيتيريا بعد صالة العرض، على الجهة الأخرى من الرواق. إنها أصغر بكثير من كافيتيريا النصف الأمامي. الأولاد الموجودون هنا أكثر عدداً دائماً، لكن كلما طالّت مدة بقائهم في النصف الخلفي، كلما أكلوا أقل. افترضت السيدة سيغسبي أن طالب أدب إنكليزي قد يسمّي هذه الحالة سخريةً. هناك ثلاثة أولاد حالياً، اثنان منهم يشربان مُحدثان صوتاً ماصّاً ما بدا أنه دقيق شوفان، والآخر - فتاة في حوالي الثانية عشرة - يجلس فقط مع وعاء ممتلئ أمامه. لكن عندما رأتهم يمرّون بالعربة، أشرق وجهها.

«مرحباً! ما هذا الذي معكم؟ هل هو شخص ميت؟ إنه شخص ميت، أليس كذلك؟ هل تدعى موريس؟ هذا إسم مضحك لفتاةٍ. ربما إسمها مورين. هل يمكنني رؤيتها؟ هل عيناها مفتوحتان؟».

«هذه دونا»، قال هكل. «تجاهلها. ستشاهد الفيلم هذه الليلة، لكنني أتوقعها أن تمضي قدماً قريباً جداً. ربما لاحقاً هذا الأسبوع. المراعي أكثر إخضراراً، الخ-الخ. مثلما تعرفان.».

السيدة سيغسبي تعرف. فهناك النصف الأمامي والنصف الخلفي... وهناك النصف الخلفي للنصف الخلفي. نهاية الخط. وَصَّعت يدها على شعرها مرة أخرى. لا يزال مكانه. بالطبع. تذكرت درّاجة ثلاثية العجلات كانت لديها في صغرها، ورذاذ البول الدافئ في بنطلونها أثناء ركوبها صعوداً ونزولاً على الممر الخاص. تذكرت أربطة حذائها المقطوعة. تذكرت سيارتها الأولى -

«كانت سيارة فاليوم!»، صرّخت الفتاة المدعوة دونا. وَثَّبتت عن كرسيها موقعةً إياها على الأرض. نظرت إليها الولدان الآخراّن برتابة، وأحدهما يتقطر دقيق الشوفان من ذقنه. «فاليوم بليموث، أعرفها! يا إلهي، أريد أن أعود إلى المنزل! يا إلهي، أوقفوا رأسي!».

ظهر ممّرّضان يرتديان ثياباً حمراء باليةً من... من حيث لا تدري السيدة سيغسبي. ولا يهّمها أن تدري. أمسكا الفتاة بذراعيها.

«نعم، أعيدها إلى غرفتها»، قال هَكل. «لكن لا حبوب. نحتاج إليها هذه الليلة.»

دونا غيسون، التي شاركت أسرارها ذات يوم مع كاليشا عندما كانتا لا تزالان في النصف الأمامي، بدأت تصرخ وتكافح. قادها الممّرّضان بعيداً وهي تجرّ مقدمة حذائها الرياضي على السجادة. حبل الأفكار المنقطع في ذهن السيدة سيغسبي خفّ أولاً، ثم تلاشى. لكن الأزيز بقي على بشرتها، وحتى في حشوات أسنانها. إنه متواصل هنا، مثل أزيز الأضواء الفلورية في الرواق.

«كل شيء بخير؟»، سأل ستاكهاوس السيدة سيغسبي.

«نعم». فقط أخرجوني من هنا.

«أشعر بهذا أنا أيضاً. إذا كان لهذا أي عزاء.»

لم يكن له. «تريفور، هل يمكنك أن تشرح لي لماذا الجثث الذاهبة إلى محرقة الجثث يجب أن تمرّ عبر مساكن الأولاد؟»

«هناك أطنان من الفول في مدينة الفول»، ردّ ستاكهاوس.

«ماذا؟»، سألت السيدة سيغسبي. «ماذا قلت؟»

هزّ ستاكهاوس رأسه كما لو أنه يريد أن يصقّي ذهنه. «آسف. خطر هذا بيالي -»

«نعم، نعم»، قال هالاس. «هناك الكثير من... آه، هلاً قلنا البث الطليق في الهواء اليوم.»

«أعرف ما كان»، قال ستاكهاوس. «كان عليّ إخراجهم من فمي، فقط لا غير. شَعَرْتُ كما لو أنني...»

«كما لو أنك تختنق بالطعام»، قال الطبيب هالاس بنبرة واقعية. «الجواب على سؤالك يا سيّدة سيغسبي هو... لا أحد يعرف». صَحَك بفتور ولمس طرف فمه.

فقط أخرجوني من هنا، فكّرت في سرّها مرة أخرى. «أين الطبيبة جايمس أيها الطبيب هالاس؟».

«في مسكنها. أخشى أنها متوتّعة قليلاً اليوم. لكنها ترسل تحياتها. تأمل أنكم بخير، أن صحتكم جيدة، الخ-الخ». ابتسم وقام بحركة شيرلي تمبل مرة أخرى - ألسْتُ لطيفاً؟

8

في صالة العرض، انتزعت كاليشا السيجارة من أصابع نيكي، وأخذت مجّة أخيرة من طرفها الذي بلا مرشح، ورمتها أرضاً، وداست عليها. ثم وَصَّعت ذراعها حول كتفيه. «بخير؟».

«مررتُ بما هو أسوأ».

«سيجعله الفيلم أفضل».

«نعم. لكن هناك غداً دائماً. أعرف الآن لماذا كان أبي بشعاً جداً عندما كان يعاني من صداع ما بعد الثمالة. ماذا عنك يا شا؟».

«بخير». وكانت بخير فعلاً. مجرد خفقان خفيف فوق عينها اليسرى. سيزول هذه الليلة. سيعود غداً، وليس خفيفاً. سيكون غداً ألماً يجعل الصداع ما بعد الثمالة التي عانى منها والد نيكي (ووالداه، من وقت لآخر) تبدو سخيطة؛ لطم متواصل كما لو أن قزماً شريراً مسجوناً في رأسها يطرق على جمجمتها بقصد الخروج. لكنها تعرف أن حتى هذا ليس سيئاً بالقدر الذي يمكن أن يكون عليه. فصداعات نيكي أسوأ، وصداعات آيريس أسوأ أكثر، ويحتاج ألمها إلى وقت أطول بكثير لكي يزول.

جورج هو المحظوظ بينهم؛ فرغم ال تع القوية لديه، لم يشعر حتى الآن بأي ألم تقريباً. وجع في صدغيه، قال، وفي الجهة الخلفية لجمجمته. لكنه سيزداد سوءاً. هذا ما يحصل دائماً، على الأقل إلى أن ينتهي أخيراً. ثم؟ الجناح أ. الأزيز. المهمة. النصف الخلفي للنصف الخلفي. لا تتطلع إليه كاليشا بعد، ففكرة أن يجري محوها كإنسانة لا تزال تصيبها بالذعر، لكن هذا سيتغيّر. لقد تغيّر من قبل لآيريس؛ فهي تبدو معظم الأوقات كأنها زومبي في فيلم الميت السائر. هيلين سيمز عبّرت عن مشاعر كاليشا بشأن الجناح أ بوضوح تام عندما قالت إن أي شيء أفضل من أضواء شتازي والصداع الصارخ الذي لا يتوقف أبداً.

مال جورج إليّ الأمام ونظر إليها عبر نيك بعينين لامعتين لا تزالان خاليتين من الألم نسبياً. «لقد خرَج»، همَس. «ركّزاً على هذه الفكرة. وتمسّكاً بها».

«سنفعل»، قالت كاليشا. «أليس كذلك يا نيك؟».

«سنحاول»، قال نيك وتمكّن من أن يتسم ابتسامة خفيفة. «رغم أن فكرة أن فتى رهيباً في كُرة السلة مثل لوكي إليس يُحصِر الخيالة بعيدة الاحتمال جداً».

«قد يكون سيئاً في كُرة السلة لكنه بارع في الشطرنج»، قال جورج. «لا تُسقطه من حسابك».

ظهر أحد الممرّضين الحمر عند الأبواب المفتوحة لصالة العرض. الممرّضون في النصف الأمامي يضعون بطاقات أسماء، لكن لا أحد هنا يضع واحدة. فالممرّضون هنا قابلون للتبادل. لا يوجد فتيون أيضاً، فقط طبيبا النصف الخلفي والطبيب هندريكس أحياناً: هَكل، جَكل، ودونكي كونغ. الثلاثي الفظيع. «وقت الفراغ انتهى. إذا كنتم لن تأكلوا، عودوا إلى عُرفكم».

كان نيكي القديم يُخبر هذا المفتول العضلات بشكل مُفرط والضئيل الثقافة أن يذهب إلى الجحيم على الأرجح. أما نيك الجديد فوقف على قدميه مترجّحاً وأمسك ظهر مقعدٍ ليحافظ على توازنه. انفطر قلب كاليشا لرؤيته على هذا الحال. ما أخذ من نيكي كان إلى حد ما أسوأ من القتل. إلى حد كبير.

«هيا»، قالت. «سنذهب كلنا. صح يا جورج؟».

«حسناً»، قال جورج، «كنت أنوي حضور عرض صباحي لفيلم فتیان جيرسي بعد ظهر اليوم، لكن بما أنكِ تصرّين».

ها نحن، الفرسان الثلاثة الفاشلون، فكّرت كاليشا في سرّها.

الأزيز في الرواق أقوى بكثير. نعم، عرّفت أن لوك هرب، فقد أخبرها آيفيري، وهذا جيد. الحقيرون الراضون عن أنفسهم لم يعرفوا ذلك بعد، وهذا أفضل. لكن الصّداعات جعلت الأمل يبدو أقلّ بعثاً للتفاؤل. حتى عندما تخفّ حدّتها، تنتظر عودتها، وهذا يجعلها صنفاً خاصاً من الجحيم. والأزيز القادم من الجناح أ جعل الأمل يبدو غير ذي صلة، وهذا مريع. لم تشعر بهذه الوحدة، بهذا الضيق، أبداً من قبل.

لكن عليّ أن أصمد لأطول مدة ممكنة، فكّرت في سرّها. مهما فعلوا بنا بتلك الأضواء وتلك الأفلام اللعينة، عليّ أن أصمد. عليّ أن أحافظ على صفاء ذهني.

ساروا ببطء في الرواق تحت أنظار الممرّض، ليس كأولاد بل كعاجزين. أو كعجائز يمضون أسابيعهم الأخيرة في مأوى بغيض للعجزة.

9

بإرشاد من الطبيب إيفيرت هالاس، مرّت السيدة سيغسبي وستاكهاوس بالأبواب المغلقة المعلمة الجناح أ، وستاكهاوس يدحرج العربة. لا صراخ أو عويل أتى من خلف تلك الأبواب المغلقة، لكن ذلك الإحساس بالتواجد في حقل كهربائي كان أقوى حتى؛ أصاب كل بشرتها بالقشعريرة مثل أقدام فأرة غير مرئية. ستاكهاوس شَعَرَ بذلك أيضاً. راحت يده غير المشغولة بدفع نعش مورين ألفورسون المؤقت تفرك قبّته الصلعاء الناعمة.

«بالنسبة لي يُشعرنني هذا بيوت العناكب دائماً»، قال. ثم قال لهكل، «ألا تشعر بذلك؟».

«لقد اعتدْتُ عليه»، قال ولمس طرف فمه. «إنها مسألة استيعاب». توقّف. «لا، هذه ليست الكلمة الصحيحة. تأقلم، أعتقد. أم هي أقلمة؟ يمكن أن تكون إحداهما».

أصيبت السيدة سيغسبي بحشرية غريبة تقريباً. «أيها الطبيب هالاس، متى ذكرى ولادتك؟ هل تذكر؟».

«9 سبتمبر. وأعرف بماذا تفكّرين». التفت إلى الورا نحو الأبواب المدوّن عليها الجناح أ بالأحمر، ثم نحو السيدة سيغسبي. «لكنني بخير».

«9 سبتمبر»، قالت. «هذا يجعلك... ماذا؟ من برج الميزان؟».

«برج الدلو»، قال هكل وهو ينظر إليها نظرة خبيثة مُداعبة بدت أنها تقول أنتِ لا تخدعيني بهذه السهولة يا سيدتي. «عندما يكون القمر في المنزل السايح ويتحاذى عطارد مع المريخ. الخ-الخ. انحنِ يا سيد ستاكهاوس. يوجد جسر منخفض هنا».

مّروا في رواق قصير معتم، ونزلوا مجموعة درجات وستاكهاوس يفرمل العربة من الأمام والسيدة سيغسبي تشدّها من الخلف، ووصلوا إلى

باب مُغلق آخر. استخدَم هَكل بطاقة مفتاحه ودخلوا غرفة دائرية دافئة إلى حد مزعج. لا يوجد أثاث، لكن هناك لافتة مؤطرة على أحد الجدران، تذكر أن هؤلاء كانوا أبطالاً، تحت زجاج ملطخ قذر يحتاج حاجة ماسَّة إلى جرعة ويندكس. على الجانب البعيد للغرفة، في منتصف جدار أسمنتِي خشن، فتحة فولاذية كما لو أنها لبرَّاد صناعي. على يسارها شاشة صغيرة فارغة حالياً، وعلى يمينها زران، أحدهما أحمر والآخر أخضر.

هنا، توقَّف حبل الأفكار المتقطَّع وومضات الذاكرة التي ازعجت السيدة سيغسبي، والصُّداع القصير الأجل الذي كان يحوم حول صدغَيْها اشتدَّ قليلاً. هذا جيد، لكنها لا تطيق صبراً لكي تخرج. نادراً ما تزور النصف الخلفي، لأن حضورها غير ضروري؛ فقائد الجيش نادراً ما يضطر إلى زيارة الخطوط الأمامية طالما أن الحرب تسير بشكل جيد. ورغم أنها شَعرت بتحسُّن، إلا أن التواجد في هذه الغرفة المستديرة العارية لا يزال رهيباً.

بدا هالاس أفضل أيضاً، فلم يعد هَكل بل الرجل الذي عمل طبيباً في الجيش لخمس وعشرين سنة وفاز بنجمة برونزية. قوِّم جسمه وتوقَّف عن لمس جانب فمه. كانت عيناه صافيتين، وأسئلته مختصرة.

«هل تضع مجوهرات؟».

«لا»، قالت السيدة سيغسبي وهي تفكِّر بخاتم زواج ألْقورسون المفقود.

«هل أفترض أنها مرتدية ملابسها؟».

«بالطبع». شَعرت السيدة سيغسبي ببعض الاستياء من السؤال.

«هل فحصت ما جيوها؟».

نظَّرت إلى ستاهاوس. هَزَّ رأسه.

«هل تريدان فعل ذلك؟ هذه فرصتكما الوحيدة إن أردتما فحصها».

فكَّرت السيدة سيغسبي بالفكرة وصرَّفت النظر عنها. لقد تركت المرأة رسالة انتحارها على جدار الحَمَّام، وسيكون جزدانها في خزانها. يجب فحص ذلك، كتدبير روتيني فقط، لكنها لن تكشف جثة مدبَّرة المنزل وترى ذلك اللسان الناتئ الوقح مرة أخرى فقط لتجد مرهم شفاه ولقَّة حبوب مضادة للحموضة وبضع محارم مجعَّدة.

«ليس أنا. ماذا عنك يا تريفور؟».

هَرَّ ستاكهاوس رأسه مرة أخرى. لديه سمار بشرة على مدار السنة، لكنه بدا شاحباً اليوم. لقد أثار عليه المشوار في النصف الخلفي سلباً هو أيضاً. ربما علينا القيام بهذا المشوار مرات أكثر، فكّرت في سرّها. أن نبقى على اتصال بالعملية. ثم تذكّرت الطبيب هالاس يُعلن أنه من برج الدلو وستاكهاوس يقول إن هناك أطناناً من الفول في مدينة الفول. قرّرت أن البقاء على اتصال بالعملية فكرة سيئة حقاً. وبالمناسبة، هل التاسع من سبتمبر يجعل هالاس من برج الميزان حقاً؟ لم يبدو هذا صحيحاً جداً. ألا يجعله هذا من برج العذراء؟

«هيا نفعل ذلك»، قالت.

«حسناً إذاً»، قال الطبيب هالاس، ورسم ابتسامة عريضة من الأذن إلى الأذن نموذجية لهكل. جذب مقبض باب الفولاذ الذي لا يصدأ وفتحه على سوادٍ، ورائحة لحم مطبوخ، وحزام ناقل سُخامي يهبط نزولاً إلى الظلمة.

يجب تنظيف تلك اللافتة، فكّرت السيدة سيغسبي في سرّها. ويجب قرّك هذا الحزام قبل أن يعلق ويتمرّق. مزيد من الإهمال.

«آمل أنك لست بحاجة إلى مساعدة في رفعها»، قال هكل وهو لا يزال يتتسم ابتسامة مضيف برنامج مسابقات. «أخشى أنني أشعر بضعف اليوم. لم أكل حبوب إفطاري هذا الصباح».

رَفَع ستاكهاوس الجثة الملفوفة ووضعها على الحزام. انفتح أسفل الطيّة القماشية كاشفاً عن فردة حذاء. شَعَرَت السيدة سيغسبي برغبة ملحّة بأن تشيح نظرها عن ذلك النعل البالي وقمّعتها.

«أي كلمات أخيرة؟»، سأل هالاس. «إشادة ووداع؟ جيني بالكاد عَرَفناكِ؟».

«لا تكن أحمق»، قالت السيدة سيغسبي.

أغلق الطبيب هالاس الباب وضغط الزر الأخضر. سمعت السيدة سيغسبي دحرجةً وصريراً عندما بدأ الحزام الناقل القذر يتحرّك. عندما توقف ذلك، ضغط هالاس الزر الأحمر. دبّت الحياة في الشاشة وقفز الرقم بسرعة من 200 إلى 400 إلى 800 إلى 1600 وأخيراً إلى 3200.

«أسخن بكثير من محرقة الجثث العادية»، قال هالاس. «أسرع بكثير أيضاً، لكن العملية لا تزال تستغرق بعض الوقت. على الرحب والسعة إن

أردتما الانتظار؛ يمكنني إعطاءكما جولة كاملة». لا يزال يتسم ابتسامته الكبيرة.

«ليس اليوم»، قالت السيدة سيفسبي. «مشغولة جداً».

«هذا ما ظننته. وقت آخر، ربما. نادراً ما نراك، والأعمال جارية هنا دائماً».

10

بينما بدأت مورين ألفورسون انزلاقها الأخير، كان ستيفي وِپيل يأكل الهمبرغر في كافيتيريا النصف الأمامي. أمسكه آيفيري ديكسون بإحدى ذراعيه المنمّشتين المكتنزتين. «أخرج معي إلى الملعب».

«لم أنه طعامي يا آيفيري».

«لا يهمني»، ثم أخفض صوته وقال، «الأمر مهم».

أخذ ستيفي قزمة هائلة أخيرة، ومسح فمه بالجهة الخلفية ليدته، وتبع آيفيري. كان الملعب مهجوراً ما عدا من فريدا براون التي كانت تجلس على الأسفلت الذي يحيط ملعب كرة السلة وترسم شخصيات كرتونية بالطباشير. شخصيات مرسومة بشكل جيد. كلها تتسم. لم ترفع نظرها عند مرور الفتّيين.

عندما وصّلا إلى السياج المُشبَّك، أشار آيفيري إلى خندق في التربة والحصى. حدّق به ستيفي بعينين جاحظتين. «ما الذي فعل هذا؟ مرموط أم شيء ما؟». نظر حوله كما لو أنه يتوقّع رؤية مرموط - ربما مسعور - يختبئ تحت الترامبولين أو يربض تحت طاولة النزهة.

«لم يكن مرموطاً، لا»، قال آيفيري.

«أنا أكيد أنه يمكنك أن تتلوّى عبر الخندق يا آيفز. وأن تهزب».

لا تظن أن الفكرة لم تختطر ببالي، فكّر آيفيري في سرّه، لكنني سأضع في الغابة. حتى ولو لم أضع، سيكون الزورق قد رحل. «لا تهتمّ. عليك مساعدتي في سدّه».

«لماذا؟».

«لا تسأل. ولا تقل تهزب، تبدو جاهلاً. تهرب يا ستيفي. تهررب». وهذا ما فعله صديقه، ليكن الله في عونته. أين هو الآن؟ لم تكن لدى آيفيري أي فكرة. لقد قَدَّ التواصل معه.

«تهررب»، قال ستيفي. «فهمث».

«رائع. ساعدني الآن».

ركع الفتيان على رُكبتيهما وبدأ ملء الخندق تحت السور، وهما يغرفان بيديهما ويثيران سحابة غبار. إنها مهمة متعبة، وسرعان ما بدأ العرق يتصبَّب منهما. أصبح وجه ستيفي أحمر ساطعاً.

«ماذا تفعلان؟».

نظرا حولهما. إنها غلاديس وقد اختفت ابتسامتها الكبيرة الاعتيادية.

«لا شيء»، قال آيفيري.

«لا شيء»، واقفه ستيفي. «نلهو في التربة فحسب».

«دعاني أرى. ابتعدا». وعندما لم يتحرَّك أيُّ منهما، ركَّلت آيفيري على خصره.

«آخ!»، صاح وتكوَّر على نفسه. «آخ، هذا مؤلم!».

قال ستيفي، «ما بالك، هل جاءك الحيض أم ماذ -»، ثم تلقى ركلةً هو أيضاً، عاليةً على كتفه.

نظرت غلاديس إلى الخندق الممتلئ جزئياً فقط، ثم إلى فريدا التي لا تزال مأخوذة بعملها الفني. «هل فعلتِ هذا؟».

هزَّت فريدا رأسها دون أن ترفع نظرها.

سحبت غلاديس جهازها اللاسلكي من جيب بنطلونها الأبيض وضغطت زرّه. «سيد ستاكهاوس؟ غلاديس تنادي السيد ستاكهاوس».

بقي الجهاز صامتاً لبرهة، ثم: «هنا ستاكهاوس، تكلمي».

«أعتقد أنك تحتاج إلى الخروج إلى الملعب في أسرع وقت ممكن. هناك شيء عليك رؤيته. ربما هو لا شيء، لكنه لا يعجبني».

بعد إبلاغ رئيس الأمن، اتصلت غلاديس بوايونا لتُعيد الفتّين إلى غرفتهما. عليهما البقاء هناك إلى أجل غير مسمى.

«لا أعرف شيئاً عن هذه الفجوة»، قال ستيقي بحَرَد. «ظننْتُ أن مرموطاً أحدثها».

أخبرته وايونا أن يصمت وقادت الفتّين إلى الداخل.

وَصَلَ ستاكهاوس مع السيدة سيغسبي. انحنت وقرفت، ونظرت أولاً إلى الفجوة تحت السياج المُشَبَّك، ثم إلى السور نفسه.

«لا أحد يستطيع أن يزحف تحت هذا»، قالت السيدة سيغسبي. «حسناً، ربما ديكسون، فهو ليس أكبر بكثير من توأمي ويلكوكس، لكن لا أحد غيره».

عَرَفَ ستاكهاوس بعيداً المزيج الرخو من الصخور والأتربة التي أعادها الفتّيان إلى الفجوة معمّماً إياها إلى خندق. «هل أنت متأكدة من هذا؟».

أدركت السيدة سيغسبي أنها تعضُّ شفتها، وجَعَلت نفسها تتوقف. الفكرة سخيفة، فكرت في سرّها. لدينا كاميرات، لدينا ميكروفونات، لدينا ممرّضين وبوّابين ومدبّرات منزل، لدينا رجال أمن. كلهم للاهتمام بمجموعة أولاد مرتعبين لدرجة أنهم يخافون من ظلّهم.

بالطبع هناك ويلهولم، الذي لن يخاف من ظلّه بالتأكيد، وجاءنا بضعة آخرين مثله على مرّ السنوات. لكن ومع ذلك...

«جوليا». صوت منخفض جداً.

«ماذا؟».

«انزلي معي إلى هنا».

بدأت تفعل ذلك، ثم رأت الفتاة براون تحدّق بها. «ادخلي»، قالت بحدّة. «فوراً».

ابتعدت فريدا على عجل وهي تنفض الطباشير عن يديها، وتركت الشخصيات الكرتونية المبتسمة خلفها. بينما دخلت الفتاة غرفة الاستراحة، رأت السيدة سيغسبي مجموعة صغيرة من الأولاد يحدّقون بالخارج ببلاهة. أين

الممرّضون عند الحاجة إليهم؟ في غرفة الاستراحة يتبادلون القصص مع أحد
فِرَق الاستخراج؟ يروون نكاتاً قذرة -

«جوليا!»

ركعت على ركبتيّ واحدة، وجفلت عندما عصّتها حصاة حادّة.

«يوجد دم على هذا السور. أترينه؟».

لم ترد أن تراه، لكنها رآته. نعم، هذا دم. لقد جفّ إلى لون كستنائي،
لكنه دم بالتأكيد.

«الآن انظري هناك».

مدّت إصبعاً عبر إحدى ماسات السياج المُشبَّك، وأشارت إلى أجمة
مقتلعة جزئياً. يوجد دم على تلك أيضاً. بينما نظرت السيدة سيغسبي إلى تلك
البُقعة القليلة، بُقع موجودة في الخارج، انقبضت معدتها وظنّت للحظة مخيفة
أنها ستبلل بنطلونها، مثلما فعلت على تلك الدراجة الثلاثية العجلات القديمة.
تذكرت الهاتف الصفري ورأت حياتها كمديرة المعهد - لأن هذا ما هو عليه،
ليس عملها بل حياتها - تختفي فيه. ماذا سيقول الرجل الأثغ على الطرف
الآخر إن اتصلت وأخبرته أن ولدأ، في ما يُفترض أنه أكثر مرفق سري وآمن
في الدولة - ناهيك عن أكثر مرفق حيوي في الدولة - هرب بعد أن حفر تحت
السور؟

سيقولون إن أمرها انتهى، بالطبع. انتهى وذهب أدراج الرياح.

«كل المقيمين هنا»، قالت بهمس أجش. أمسكت معصم ستاكهاوس
غارزةً أظافرها في بشرته. بدا أنه لم يلاحظ ذلك. كان لا يزال يحدّق في
الأجمة المقتلعة جزئياً كما لو أنه منوّم مغنطيسياً. هذا سيئ له مثلما هو سيئ
لها. ليس أسوأ، لا يوجد شيء أسوأ من هذا، لكنه سيئ بشكل مماثل تماماً.
«تريفور، كلهم هنا. لقد تحقّقت».

«أعتقد أن عليك إعادة التحقّق بشكل أفضل. أليس كذلك؟».

جهازها اللاسلكي معها هذه المرة (خطرت ببالها فكرة قفل باب
الخطيرة بعد أن سُرقت الماشية)، وضغطت زرّه. «زيكي. السيدة سيغسبي
تنادي زيكي». من الأفضل لك أن تكون على السمع يا أيونيديس. من الأفضل
لك.

كان على السمع. «هنا زيكي يا سيده سيغسبي. كنت أتتق من ألفورسون، أخبرني السيد ستاكهاوس أن أفعل ذلك بما أن جيرى فى إجازة وأندي ليس هنا، ووصلت إلى باب جارها الملاصق -»

«لا تهتم بهذا الآن. انظر إلى ومضات محدد الموقع مرة أخرى لي.»

«حسناً». بدا حذراً فجأة. لا شك أنه سمع التوتّر فى صوتي، فكّرت فى سرّها. «انتظري لحظة، كل شيء يعمل ببطء هذا الصباح... ثانيتين أخريين...»

شعرت كما لو أنها ستصرخ. كان ستاكهاوس لا يزال يحدّق عبر السور كما لو أنه يتوقع أن يظهر هوبيت لعين عجيب ويشرح الأمر بأكمله.

«حسناً»، قال زيكي. «واحد وأربعون مقيماً، لا يزال الحضور مثالياً.»

الارتياح برّد وجهها كنسمة. «حسناً، هذا جيد. هذا جيد جد -»

أخذ ستاكهاوس جهاز اللاسلكي منها. «أين هم حالياً؟»

«آه... لا يزال ثمانية وعشرون فى النصف الخلفي، والآن أربعة فى غرفة استراحة الجناح الشرقي... ثلاثة فى الكافيتيريا... اثنان فى غرفتهما... ثلاثة فى الرواق...»

أولئك الثلاثة هم ديكسون وويبل والفتاة الفنانة، فكّرت السيدة سيغسبي فى سرّها.

«زائد واحد فى الملعب»، أنهى زيكي إحصاءه. «واحد وأربعون. مثلما قلت.»

«لحظة يا زيكي». نظّر ستاكهاوس إلى السيدة سيغسبي. «هل ترين ولداً فى الملعب؟»

لم تُجبه. لم تكن بحاجة إلى أن تفعل ذلك.

رفع ستاكهاوس جهاز اللاسلكي مرة أخرى. «زيكي؟»

«اسمعك يا سيد ستاكهاوس.»

«هل يمكنك أن تحدّد المكان الدقيق للولد الذي فى الملعب؟»

«آه... دعني أحاول... هناك زر لذلك...»

«لا داعي»، قالت السيدة سيغسبي وقد لاحظت شيئاً يلمع في شمس بعد الظهر. سارت إلى ملعب كرة السلة، ووقفت على خط الرميات الحرة، ورفعته عن الأرض. عادت إلى رئيس أمنها ومدّت يدها. في راحة يدها القسم الأكبر من شحمة أذن لا يزال زر المتعقب مضمناً فيها.

12

طلب من مقيمي النصف الأمامي أن يعودوا إلى عُرفهم وابقوا فيها. وإذا قبض على أحدهم في الرواق، سيُعاقب عقوبة شديدة. إجمالي عديد قوة أمن المعهد أربعة فقط، بما في ذلك ستاكهاوس نفسه. كان اثنان من أولئك الرجال في قرية المعهد وأتوا بسرعة مستخدمين مسار عربات الغولف الذي توقعت مورين أن يجده لوك والذي أخطأه بأقل من ثلاثين متراً. العضوة الثالثة في فريق ستاكهاوس كانت في دينيسون ريفر بند. لم تكن لدى ستاكهاوس نيّة أن ينتظر وصولها. لكن دينيه ويليامز وروبن لكس من فريق الياقوت الأحمر كانا في موقع العمل ينتظران تعيين مهمتهما التالية ومستعدّين تماماً للتجنيد. انضم إليهما شخصان عريضا البنية الجسدية - جو برينكس وتشاد غرينلي.

«فتى مينيسوتا»، قال دينيه بعدما تجمّع فريق البحث المؤقت هذا ورويت الحكاية. «الذي أحصرناه الشهر الماضي».

«هذا صحيح»، وافقه ستاكهاوس، «فتى مينيسوتا».

«وتقول إنه مَرَّق أذنه والمتعقب فيها؟»، سألت روبن.

«الشقّ أنعم قليلاً من ذلك. أعتقد أنه استخدم سكيناً».

«هذا يتطلّب جرأة في الحالتين»، قال دينيه.

«سنرى كم هي جرأته عندما نلحق به»، قال جو. «لا يقاتل مثل ويلهولم، لكن لديه نظرة إثارة متاعب في عينيه».

«سيتجول في الغابة تائهاً لدرجة أنه سيُعانقنا على الأرجح عندما نجده»، قال تشاد. سكت قليلاً. «هذا إذا وجدناه. الأشجار كثيرة هناك».

«أذنه تنزف وعلى الأرجح كل ظهره جرّاء المرور تحت السور»، قال ستاكهاوس. «لا شك أن الدم يسيل من يديه أيضاً. سنتبع الدم إلى أبعد مسافة ممكنة».

«من الجيد لو كان معنا كلب»، قال دينيه ويليامز. «كلب بوليسي أو من فصيلة بلوتيك الجيدة».

«من الجيد لو أنه لم يهرب من الأصل»، قالت روبن. «تحت السور، صح؟». كادت تضحك لكنها رأت وجه ستاكهاوس المرهق وعينيه الحانقتين. وصل رافي پولمان وجون وولش، رجلا الأمن من القرية، في تلك اللحظة.

قال ستاكهاوس، «لن نقتله، افهموا هذا، لكننا سنصعق روحه من جسمه السافل الصغير عندما نجده».

«إذا وجدناه»، كرّر الممرّض تشاد.

«سنجده»، قال ستاكهاوس. لأننا إذا لم نجده، فكّر في سرّه، سيُقضى عليّ. هذا المكان بأكمله قد يُقضى عليه.

«أنا عائدة إلى مكّتي»، قالت السيدة سيغسبي.

أمسكها ستاكهاوس بمرفقها. «لتفعلين ماذا؟».

«لأفكّر».

«جيد. فكّر في قدر ما تشائين، لكن لا اتصالات. هل نحن متفقين على هذا؟».

نظّرت إليه السيدة سيغسبي بازدراء، لكن الطريقة التي تعضّ بها شفّتها توحي أنها ربما خائفة أيضاً. إذا كان الأمر كذلك، فقد أصبح عدد الخائفين اثنين. «بالطبع».

لكن عندما وصلت إلى مكّتها - إلى الصمت المريح لمكّتها المكّيّف - وجدت أن التفكير صعب. بقيت عيناها تشردان إلى الجارور المُقفل في مكّتها. كما لو أنه لا يوجد هاتف داخله، بل قنبلة يدوية.

لا أخبار من الرجال الذين يتصيدون لوك إليس في الغابة. اتصالات كثيرة، نعم، لكن لا أخبار. أبلغ كل موظفي المعهد بواقعة الهروب؛ فالمسألة تتطلب تصافر جهود الجميع. انضم بعضهم إلى فريق البحث، وراح آخرون يمشطون قرية المعهد بحثاً عن الفتى أو على الأقل عن أي دلالة بأنه مرّ من هناك. تم التحقّق من وجود كل المركبات الشخصية، وعربات الغولف التي يستخدمها الموظفون للتجول أحياناً كلها موجودة في أماكنها. تُبّه المندوبون في دينيسون ريفر بند - بما في ذلك اثنان من قوات الشرطة الصغيرة في البلدة - ووُزعت أوصاف إليس، لكن أحداً لم يشاهده.

أما بشأن ألفورسون فهناك أخبار.

لقد أظهر أيونيديس حسناً بالمبادرة ومكراً ما كان جيرى سيموندر وأندي فيلور، فنياً تكنولوجيا المعلومات في المعهد، ليقدرا عليهما. فباستخدام غوغل إيرث أولاً ثم باستخدام تطبيق يحدّد موقع أي هاتف، استطاع زيكي أن يتواصل مع جارة ألفورسون الملاصقة في بلدة فيرمونت الصغيرة حيث لا تزال ألفورسون تحتفظ بمسكن. قدّم نفسه لها على أنه وكيل دائرة الإيرادات الداخلية، وصدّقته دون أن تطرح سؤالاً واحداً. ودون أن تُظهر الجارة أي دلالات تكتم التي يُشاع أن الأميركيين الشماليين يشتهرون بها، أخبرته أن مورين طلبت منها أن تكون شاهدة على عدة مستندات في المرة الأخيرة التي عادت بها مو إلى منزلها. بحضور محامية. كانت المستندات موجهة إلى عدة وكالات لتحصيل الديون. أشارت المحامية إلى المستندات بإسم ت-ك، وقد فهمت الجارة عن حق أنها تعني التوقف والكف.

«كل تلك الرسائل هي بشأن بطاقات إئتمان زوجها»، أخبرت الجارة زيكي. «لم تشرح لي مو، لكن لا حاجة لذلك. لسْتُ بهذا القدر من السذاجة. فتسديد تلك الفواتير المُنهكة هو ما كانت تفعله. وإذا كان باستطاعة دائرة الإيرادات الداخلية أن تقاضيها على ذلك، فالأجدر بكم أن تفعلوا ذلك بسرعة. لقد بدت مريضة جداً».

شعرت السيدة سيغسبي أن الجارة في فيرمونت محقّة. والسؤال هو لماذا لجأت ألفورسون إلى هذه الطريقة؛ هذا أشبه ببيع الماء في حي السُّقاة. فكل موظفي المعهد يعرفون أنهم إذا وقعوا في أي ضائقة مادية (القمار أكثرها شيوعاً)، يمكنهم الاتكال على قروض بدون أي فوائد تقريباً. لقد سُرح هذا الجزء من حزمة الفوائد لكل موظف جديد. المعهد لا يفعل ذلك من باب المساعدة حقاً، بل من باب الحماية. لأن الشخص المديون سيجد إغراءً كبيراً في بيعه الأسرار.

التفسير البسيط وهكذا سلوك هو الكرامة، وربما يُضاف إليها الخزي من أن زوجها الهارب استغلها، لكن السيدة سيغسبي لم يُعجبها ذلك. كانت المرأة تقترب من نهاية حياتها ولا شك أنها عرفت ذلك منذ بعض الوقت. لذا قرّرت أن تنظف يديها، وأخذ المال من المنظمة التي وسّختها ليس الوسيلة المناسبة للبدء بذلك. بدا هذا صحيحاً - أو قريباً من الصحة، على أي حال. يتلاءم مع إشارة ألفورسون إلى الجحيم.

السافلة ساعدته على الهروب، فكّرت السيدة سيغسبي في سرّها. بالطبع ساعدته، فهذه فكرتها للتكفير عن ذنوبها. لكن لا يمكنني أن أستجوبها بشأن ذلك، لقد تأكّدت من عدم قدرتي على استجوابها. بالطبع فعلت ذلك - فهي تعرف طرقنا. لذا ماذا أفعل؟ ماذا عساي أن أفعل إن لم يعد ذلك الفتى الذكي أكثر من اللازم لمصلحته إلى هنا قبل حلول الظلام؟

تعرف الجواب، وتريفور بالتأكيد يعرفه أيضاً. سيكون عليها أن تُخرج الهاتف الصفري من جاوره المُقفّل وتضغط كل الأزرار البيضاء الثلاثة. سيُجيبها الرجل الأثغ. عندما تُخبره أن مقيماً هرب لأول مرة في تاريخ المعهد - حفر طريقه تحت السور في منتصف الليل - ماذا سيقول ذلك الشخص؟ يا للهول، هذا مؤثف؟ هذا ثيئ جداً؟ لا تقلقي بشأنه؟

قطعاً لا.

فكّري، أخبرت نفسها. فكّري، فكّري، فكّري. من يمكن أن تكون مدبرة المنزل المزعجة قد أخبرت؟ فيما يتعلق بذلك، من يمكن أن يكون إليس قد -
«تياً. تياً!».

كان أمامها مباشرة، وهكذا كان منذ اكتشاف الفجوة تحت السور. استوت جالسة على كرسيها بعينين محمقتين، وقد نسيت أمر الهاتف الصفري لأول مرة منذ أن اتصل ستاكهاوس ليلبغها أن آثار الدم اختفت بعد خمسين متراً فقط في الغابة.

شغلت كمبيوترها ووجدت الملف الذي أرادته. ضغطته وبدأت تشاهد الفيديو. ألفورسون وإليس وديكسون واقفون قرب آلات الوجبات الخفيفة.

يمكننا التكلم هنا. هناك ميكروفون، لكنه لم يعمل منذ سنوات.

لوك إليس تكلم معظم الوقت. عبّر عن قلقه بشأن تلك التوأمين والفتى كروس. هدأت له ألفورسون أعصابه. وقّف ديكسون بجانبهما، لا يقول

الكثير، بل فقط يحكُّ ذراعيه ويقرص أنفه.

يا للهول، قال ستاكهاوس. إذا كان عليك نقره، انقره وائته من الأمر. لكن بما أنها تشاهد هذا الفيديو بعينين جديدتين الآن، رأت السيدة سيغسبي ما كان يجري بينهما حقاً.

أغلقت الكمبيوتر المحمول وضغطت زر نظام اتصالها الداخلي. «روزاليند، أريد رؤية الفتى ديكسون. اطلبي من طوني ووايونا أن يحضراه فوراً».

14

وقف آيفيري ديكسون، مرتدياً قميصاً تائياً عليه صورة باتمان وشورتاً قذراً يُظهر رُكبتيه الممتلئتين بقشور جروح، أمام مكتب السيدة سيغسبي وهو ينظر إليها بعينين خائفتين. صغيراً أصلاً ومطوّقُ الآن بوايونا وطوني، لم يبدو في العاشرة؛ بل بالكاد بدا كبيراً كفاية للصف المدرسي الأول.

ابتسمت له السيدة سيغسبي ابتسامة خفيفة. «كان عليّ أن أصل إليك باكراً أكثر يا سيد ديكسون. لا شك أنني أفقد مهاراتي».

«نعم، سيدتي»، همس آيفيري.

«توافقني الرأي إذاً؟ تعتقد أنني أفقد مهاراتي».

«لا، سيدتي!». نقت آيفيري لسانه ورطب شفثيه. لكن لا قرص للأنف اليوم.

مالت السيدة سيغسبي إلى الأمام وشبكت يديها. «إذا كنتُ أفقد مهاراتي، فإن ذلك توقّف الآن. ستحصل تغييرات. لكن من المهم... من الإلزامي... أولاً أن تُعيد لوك إلى منزله».

«نعم، سيدتي».

أومات برأسها. «نحن متفقان، وهذا جيد. بداية جيدة. لذا إلى أين ذهب؟».

«لا أعرف، سيدتي».

«أعتقد أنك تعرف. كنت وستيفن وبيبل تملأان الفجوة التي هرب عبرها. هذا تصرف غبي. كان عليك أن تتركها وشأنها».

«ظننا أن مرموطاً حفرها، سيدتي».

«هراء. تعرف تماماً من الذي حفرها. صديقك لوك. الآن». بسطت يديها على مكتبها وانتسمت له. «إنه ولد ذكي والفتيان الأذكىاء لا يندفعون نحو الغابة بكل بساطة. ربما يكون المرور تحت السور فكرته، لكنه احتاج إلى أن تعطيه ألفورسون صورة عن الأرض الواقعة على جهته الأخرى. أعطتك الإرشادات تدريجياً، كلما قرصت أنفك. بثتها مباشرة إلى رأسك الصغير الموهوب، أليس كذلك؟ ومزرتها إلى إليس لاحقاً. لا جدوى من الإنكار يا سيد ديكسون، لقد رأيت فيديو محادثتكم. إنها - إذا لم يكن لديك مانع من أن تقول سيده عجوزة ساذجة نكتة - عادية مثل الأنف الذي على وجهك. كان عليّ أن أدرك ذلك عاجلاً».

وتريفور أيضاً، فكّرت في سرّها. فقد رآه معي، وكان عليه أيضاً أن يدرك ما الذي يجري. إذا جرى استنطاق شامل عندما ينتهي كل هذا، كم سنبدو عمياناً.

«أخبرني الآن إلى أين ذهب».

«لا أعرف حقاً».

«أنت تنقل عينيك يا سيد ديكسون. هذا ما يفعله الكذّابون. انظر إلى عينيّ مباشرة. وإلا فإن طوني سيفتل ذراعك خلف ظهرك، وهذا مؤلم جداً».

أومات برأسها لطوني فأمسك أحد معصمي آيفيري النحيلين.

نظر إليها آيفيري مباشرة. هذا صعب لأن وجهها رفيع ومخيف، وجه أستاذ لئيم يقول أخبرني كل شيء، لكنه فعله. بدأت الدموع تتجمّع وتسيل على خديّيه. لطالما كان بكاءً؛ وقد سمّته أختاه الأكبر منه سنّاً الطفل البكاء، كما كان كيس الملاكمة لأي شخص في فناء المدرسة في فترة الاستراحة. الملعب هنا أفضل. يفتقد أمه وأباه، يفتقدهما كثيراً، لكن لديه أصدقاء على الأقل. دقعه هاري أرضاً، لكنه أصبح صديقه بعدها. على الأقل إلى أن مات. إلى أن قتّله في أحد اختباراتهم الغبية. شا وهيلين رحلتا، لكن الفتاة الجديدة، فريدا، لطيفة معه وتدعه يفوز في كرة السلة. لكن مرةً واحدةً فقط. ولوك هو الأفضل بين الجميع. أفضل صديق حظي به آيفيري في حياته.

«إلى أين أخبرته ألفورسون أن يذهب يا سيد ديكسون؟ ما كانت الخطة؟».

«لا أعرف».

أومأت السيدة سيغسبي برأسها لطوني الذي قتل ذراع آيفيري خلف ظهره ورفع له معصمه إلى لوح كتفه تقريباً. الألم رهيب. صرّخ آيفيري.

«إلى أين ذهب؟ ما كانت الخطة؟».

«لا أعرف!».

«أفليته يا طوني».

أفليته طوني، وانهار آيفيري على رُكبتيه وهو يبكي. «هذا مؤلم حقاً، توقفي عن إيلامي رجاءً». فكر بأن يضيف هذا ليس عدلاً، لكن هل يهتم هؤلاء الأشخاص بما هو عدلٌ؟ لا، حقاً لا.

«لا أريد إيلامك»، قالت السيدة سيغسبي. قولها هذا شبه حقيقة، في أفضل الأحوال. الحقيقة الكاملة هي أن السنوات التي أمضتها في هذا المكتب عوّدتها على إيلام الأولاد. ورغم أن الالفة في محرقة الجثث صحيحة - إنهم أبطال، مهما تكن بطولتهم نافرة - إلا أن بإمكان بعضهم أن يُجهد لهم صبرهم. وأحياناً إلى أن ينفد صبرهم.

«لا أعرف إلى أين ذهب، صدقاً».

«عندما يضطر الناس إلى قول إنهم صادقون فهذا يعني أنهم ليسوا صادقين. لديّ خبرة كبيرة في هذا. لذا أخبرني: إلى أين ذهب، وما كانت الخطة؟».

«لا أعرف!».

«طوني، ارفع له قميصه. وايونا، مسدّسك الصاعق. طاقة متوسطة».

«لا!»، صرّخ آيفيري محاولاً الإفلات من قبضته. «لا لعصا الصعق! رجاءً، لا لعصا الصعق!».

أمسكه طوني من خصره ورفع له قميصه. وصّعت وايونا عصا صعقها فوق سُرّة بطن آيفيري وقدحته. زعق آيفيري. ارتعشت رجلاه وروى بوله

السجادة.

«إلى أين ذهب يا سيد ديكسون؟». أصبح وجه الفتى ملطخاً ومخاطبياً، وظهرت دوائر داكنة تحت عينيه، وبلل بنطلونه، ومع ذلك بقي القزم الصغير صامداً. بالكاد تستطيع السيدة سيغسبي تصديق ذلك. «إلى أين ذهب وما كانت الخطة؟».

«لا أعرف!».

«وايونا؟ مرة أخرى. طاقة متوسطة».

«سيدتي، هل أنت متأ -»

«أعلى قليلاً هذه المرة، لو سمحت. تحت الضفيرة البطنية تماماً».

تزيّنت ذراعاً آيفيري بالعرق وتملّص من قبضة طوني، وكاد يجعل حالة عَفْنَةً أسوأ حتى - كان ليركض في مكتبها مثل طائر علق في مراب موقعاً الأشياء ومرتداً عن الجدران - لكن وايونا جعلته يتعثّر ورفعته من ذراعيه عن الأرض. لذا طوني هو الذي استخدم المسدّس الصاعق. صرّخ آيفيري وتراخى.

«هل فقد وعيه؟»، سألت السيدة سيغسبي. «إذا فقد وعيه، نادِ الطبيب إيفانز ليعطيه حقنة. نحتاج إلى أجوبة سريعة».

أمسك طوني أحد خدّي آيفيري (الممتلئين عندما أتى إلى هنا؛ أنحل بكثير الآن) وقصره. فتح آيفيري عينيه فوراً. «لم يفقد وعيه».

قالت السيدة سيغسبي، «سيد ديكسون، هذا الألم غبي وغير ضروري. أخبرني ما أريد معرفته وسيتوقف. إلى أين ذهب؟ ما كانت الخطة؟».

«لا أعرف»، همس آيفيري. «لا أعرف حقاً حقاً -»

«وايونا؟ رجاءً أخفضي بنطلون السيد آيفيري وضعي مسدّسك الصاعق على خصيتيه. طاقة قصوى».

رغم أن وايونا ميّالة إلى صفع مقيم وقح مثله، إلا أن الحزن بدا واضحاً على وجهها من هذا الأمر. ومع ذلك، مدّت يدها إلى زنار بنطلونه. عندها انهار آيفيري.

«حسناً! حسناً! سأقول! فقط توقفي عن إبلامي!».

«هذا مريح لكلينا».

«أخبرته مورين أن يذهب عبر الغابة. قالت إنه قد يجد مساراً لعربات الغولف لكن عليه أن يواصل السير بشكل مستقيم حتى ولو لم يجده. قالت إنه سيرى أضواءً، خاصة ضوءاً أصفر ساطعاً. قالت إنه عندما يصل إلى الميازل، عليه أن يتبع السور إلي أن يرى وشاحاً مربوطاً بأجمة أو شجرة، لا أتذكر أيهما. قالت إن هناك مساراً... أو طريقاً... خلفه، لا أتذكر أيهما أيضاً. لكنها قالت إنه سيأخذه إلى النهر. قالت إن هناك زورقاً».

توقّف. أو مأت له السيدة سيغسبي وابتسمت ابتسامة لطيفة، لكن قلبها كان ينبض ثلاثة أضعاف معدله الطبيعي. هذه أخبار جيدة وسيئة في آن. بإمكان فريق بحث ستاكهاوس أن يتوقف عن التخبّط في الغابة، لكن زورقاً؟ لقد وصل إليس إلى النهر؟ ويسبقهم بساعات.

«ثم ماذا يا سيد ديكسون؟ أين أخبرته أن يخرج من النهر؟ بند، هل أنا على حق؟ دينيسون ريفر بند؟».

هزّ آيفيري رأسه وأجبر نفسه على أن ينظر إليها مباشرة، بعينين محمقتين وصدق مرتعب. «لا، قالت إن هذا قريب جداً، قالت إن عليه البقاء في النهر وصولاً إلى برسك آيل».

«جيد جداً يا سيد ديكسون، يمكنك العودة إلى غرفتك. لكن إذا اكتشفتُ أنك كذبت عليّ...»

«سأكون في ورطة»، قال آيفيري وهو يمسح الدموع عن خديه بيدين مرتعشتين.

ضحكت السيدة سيغسبي في الواقع. «لقد قرأت أفكارى»، قالت.

15

الساعة الخامسة بعد الظهر.

رحل إليس منذ ثماني عشرة ساعة على الأقل، وربما أطول. لم تصوّره كاميرات الملعب، لذا من المستحيل تحديد المدة بدقة. ستاكهاوس مع السيدة سيغسبي في مكتبها يراقبان التطوّرات ويترقّبان التقارير من المندوبين الذين أرسلوهم إلى كل أنحاء البلاد. في أغلب الأحيان، لا يقوم

مندوبو المعهد بأكثر من أعمال تحضيرية: يراقبون الأولاد ذوي الجين BDNF العالي ويجمعون معلومات عن أصدقائهم، عائلاتهم، أحيائهم، أوضاعهم في المدرسة. ومنازلهم طبعاً. كل شيء عن منازلهم، بالأخص أنظمة الإنذار فيها. كل تلك الخلفية مفيدة لفرق الاستخراج عندما يحين الوقت. كما يترقبون الأولاد المميزين الذين ليسوا على رادار المعهد من قبل. فأولئك يظهرون من وقت لآخر. صحيح أن اختبار الجين BDNF، إلى جانب وخر الكعب لمرض الفيئيل كيتونوريا وحرز أېغار، أمر روتيني للرُّضُع المولودين في المستشفيات الأميركية، لكن بالطبع لا يُولد كل الأطفال في المستشفيات، والكثير من الأهل، مع ارتفاع أصوات المُعارضين للتلقيح المشروط، يمتنعون عن إجراء الاختبارات.

لا يملك أولئك المندوبون أي فكرة لمن يرسلون تقاريرهم أو ما الغاية منها؛ يفترض الكثير منهم (وعن غير حق) أنها وكالة حكومية أميركية ما من صنف الأخ الأكبر. يودع معظمهم المدخول الإضافي البالغ خمسمئة دولار في الشهر في المصرف بكل بساطة، ويرفعون تقاريرهم عندما يجب رفعها، ولا يطرحون أي أسئلة. بالطبع يسأل أحدهم سؤالاً بين الحين والآخر، وسيكتشف أن الحشرية بالإضافة إلى قتلها القطة قتلت حصته الشهرية.

يتجمّع أكبر حشد من المندوبين، حوالي خمسين تقريباً، في المناطق المحيطة بالمعهد، ودورهم الرئيسي ليس تعقب الأولاد الموهوبين، بل مراقبة الأشخاص الذي يسألون الأسئلة الخطأ. كانوا أسلاك أفخاخ، نظام تحذير مُبكر.

تنبّه ستاكهاوس إلى ضرورة تنبيه ستة منهم في دينيسون ريفر بند، فقط في حال كان الفتى ديكسون مُخطئاً أو يكذب («لم يكن يكذب وإلا لكانتُ عرفتُ»، أصرت السيدة سيغسبي)، لكنه أرسل معظمهم إلى منطقة پيرسك آيل. وكلف أحد أولئك أن يتصل بالشرطة ويُخبرهم أنه متأكد تماماً أنه رأى فتى ظهرت صورته في الأخبار على CNN. ذلك الفتى، وفقاً لنشرة الأخبار، مطلوب للتحقيق في جريمة قتل والديه. إسمه لوك إليس. أخبر المندوب الشرطة أنه لم يكن متيقناً أنه ذلك الولد، لكنه يشبهه بالتأكيد، وقد طلب منه المال بطريقة تهديدية مفككة. عرفت السيدة سيغسبي وستاكهاوس أن قبض الشرطة على فتاهم المتجول ليس الحل المثالي لمشاكلهم، لكن يمكن تولي أمر الشرطة. بالإضافة إلى ذلك، أي شيء يُخبرهم به إليس سيُصرف النظر عنه على اعتباره هذيان ولد غير متوازن.

الهواتف الخلوية لا تعمل في المعهد أو في القرية - بالفعل، ليس ضمن شعاع ثلاثة كيلومترات - لذا استخدم الباحثون أجهزة لاسلكي. وهناك الخطوط الأرضية. رن الآن الخط الأرضي الذي على مكتب السيدة سيغسبي. أمسكه ستاكهاوس. «ماذا؟ مع من أتكلم؟».

إنها الطبيبة فيليشيا ريتشاردسون، التي حلت محل زيكي في غرفة الاتصالات. كانت متلهفة لتفعل ذلك. مصيرها على المحك أيضاً، وهذه حقيقة تستوعبها بالكامل. «معي أحد المندوبين على الخط. رجل يدعى جان لوفسك. يقول إنه وجد الزورق الذي استخدمه إليس. هل تريدني أن أحوله لك؟».

«فوراً!».

وقفت السيدة سيغسبي أمام ستاكهاوس الآن رافعةً يديها وشفاتها تشكّلان كلمة ماذا؟

تجاهلها ستاكهاوس. سمع تكة وأصبح لوفسك على الخط. لديه لكنة وادي سانت جون الثقيلة كفاية لتقصّ لبّ الخشب. لم يره ستاكهاوس أبداً، لكنه تخيّل عجوزاً مسمراً تحت قبعة معلقة بحافتها مجموعة طعوم لصيد السمك.

«وجدت ذلك الزورق، أنا».

«هكذا قيل لي. أين؟».

«اصطدم بضفة على بُعد حوالي ثمانية كيلومترات من برسك آيل. فاض الزورق بكمية لا بأس بها من الماء، لكن مقبض المجذاف - مجذاف واحد فقط - كان ملقياً على المقعد. تركته في مكانه. لم أتصل بأحد. هناك دم على المجذاف. كما هناك بعض الدم على منحدر النهر إلى الأعلى قليلاً. لو لم يكن الفتى الذين تبحثون عنه معتاداً على الزوارق، خاصةً زورقاً صغيراً مثل هذا -»

«لكان يصقه»، قال ستاكهاوس مُنهياً الجملة. «ابق مكانك، سأرسل لك رجلين. وشكراً».

«هذا ما تدفعون لي من أجله»، قال لوفسك. «لا تظن أنه يمكنك إخباري ما الذي فعله».

قَتَل ستاكهاوس المكالمة، وهذه هي الإجابة على ذلك السؤال الأحمق بالذات، ثم أخبر السيدة سيغسبي. «إذا كنا محظوظين فإن الوغد الصغير غرق وسيجد أحدهم جثته هذه الليلة أو غداً، لكن لا يمكننا الانتكال على هذا القدر

الكبير من الحظ. أريد إرسال رافي وجون - كل ما لديّ من أمن، وهذا سيتغيّر عندما ينتهي كل هذا - إلى برسك آيل في أسرع وقت ممكن. إذا كان إليس يسير على قدميه، فسيذهب إلى هناك أولاً. وإذا سافر مجاناً مع أحدهم فسيقبض عليه أحد رجال شرطة الولاية أو شرطة البلدة. إنه الولد المجنون الذي قتل والدَيه، في النهاية، ثم فرّ وصولاً إلى ماين».

«هل أنت متفائل مثلما تبدو؟». كانت فضولية بحق.

«لا».

16

سُمح للمقيمين بالخروج من عُرفهم لتناول العشاء. كانت وجبة الطعام صامتة ظاهرياً على العموم وقد حضرها عدة ممرّضين وفنيّين راحوا يحومون حولهم كأنهم أسماك قرش. هن الواضح أنهم متوترون، وأكثر من جاهزين لضرب أو صعق أي شخص يكلمهم بوقاحة. لكن خلف ذلك الهدوء كان هناك زهُو متوتّر قويّ لدرجة أنه جَعَلَ فريدا براون تشعر أنها ثملة قليلاً. لقد حصل هروبٌ. كان كل الأولاد مسرورين ولم يرغب أحدٌ منهم أن يُظهر ذلك. هل هي مسرورة؟ لم تكن فريدا متأكدةً جداً. جزء منها كان مسروراً، لكن...

آيفيري يجلس بجانبها، وراح يطمر حَبَّتي نقانقه في طبق فاصوليا مطهوه ثم ينبشهما منه. يطمرهما وينبشهما. فريدا ليست ذكية مثل لوك إليس، لكنها ذكية جداً وعَرَفَت معنى كل ذلك الطمر والنبش. ما لم تعرفه هو ماذا سيحصل إذا أَخْبَرَ لوك شخصاً صدّقه عما يجري هنا. وتحديدًا، ماذا سيحصل لهم. هل سيُحرّرون؟ هل سيُعادون إلى منازلهم ووالديهم؟ كانت متأكدةً أن هذا ما أراد هؤلاء الأولاد تصديقه - وهذا يفسّر الجو الحالي - لكن لدى فريدا شكوكها. صحيح أنها في الرابعة عشرة فقط، لكنها ساخرة متهمّمة من قبل. شخصياتها الكرتونية تبتسم؛ لكنها نادراً ما تبتسم بنفسها. كما أنها تعرف شيئاً لا يعرفه الباكون. فقد أخذ آيفيري إلى مكتب السيدة سيغسبي، ولا شك أنه أفشى هناك بكل شيء يعرفه.

وهذا يعني أن لوك لن يتعد كثيراً.

«هل ستأكل هذا الطعام اللعين أم ستلعب به فحسب؟».

دفع آيفيري الطبق بعيداً ونهض. منذ أن عاد من مكتب السيدة سيغسبي وهو يبدو كما لو أنه رأى شبحاً.

«هناك فطيرة تفاح بالبوظة وبودينغ بالشوكولا على قائمة الحلوى»،
قالت فريدا. «والأمر ليس مثلما يجري في المنزل - منزلي، على أي حال -
حيث عليك أن تأكل كل شيء على طبقك لكي تحصل عليها».

«لستُ جائعاً»، قال آيفيري وغادر الكافيتيريا.

لكن بعد ساعتين، وكان قد أُعيد الأُولاد إلى عُرفهم (أُعلن أن غرفة
الاستراحة والمطعم مكانان محظوران هذا المساء، وأُقفل باب الملعب)، دخل
غرفة فريدا بخطى خافتة مرتدياً بيجامته وقال إنه جائع، وسألها إن كانت معها
أي فيش.

«هل تمزح؟»، سألت فريدا. «بالكاد وصلتُ إلى هنا». معها ثلاث فيش
في الواقع، لكنها لن تعطِها لآيفيري. يروق لها الفتى، لكن ليس إلى هذا الحد.
«آه. حسناً».

«أذهب وتم. لن تشعر بالجوع وأنت نائم، وعندما تستيقظ سيحلُّ
الفتور».

«هل يمكنني أن أنام معك يا فريدا؟ بما أن لوك رحل؟».

«يجب أن تكون في غرفتك. يمكنك أن تسبب لنا المتاعب».

«لا أريد أن أنام لوحدي. لقد أذوني. أعطوني صدمات كهربائية. ماذا لو
عادوا وأذوني أكثر؟ قد يفعلون ذلك إذا عرّفوا -»

«ماذا؟».

«لا شيء».

فكّرت بالمسألة. فكّرت بعدة أشياء، في الواقع. فريدا براون من
سبرينغفيلد، ميزوري مُراعية كبيرة لشعور الآخرين. «حسناً... اصعد على
السريّر. سأبقى مستيقظة لبرهة أطول. هناك برنامج على التلفزيون عن
الحيوانات البرية أريد مشاهدته. هل تعرف أن بعض الحيوانات البرية تأكل
أطفالها؟».

«حقاً؟»، بدا آيفيري مصدوماً. «هذا مريع جداً».

رَبَّتت على كتفه. «أغلبها لا تفعل ذلك».

«آه، آه، جيد».

«نعم. تمَدَّد على السرير الآن ولا تتكلم. أكره الذين يتكلمون عندما أحاول مشاهدة التلفزيون».

تمَدَّد آيفيري على السرير. شاهدت فريدا برنامج الحيوانات البرية. تعارك قاطورٌ مع أسد. أو ربما كان تمساحاً. الأمر مثيرٌ للاهتمام في الحالتين. وآيفيري مثيرٌ للاهتمام. لأن لدى آيفيري سرّاً. لو كانت تخ قوة مثله، لعرفت السر من قبل. لكنها عرّفت فقط أن هناك سرّاً.

عندما تأكدت أنه غفا (راح يشخر - الفتى الصغير المهذب يشخر)، أطفأت الأضواء، وتمدّدت على السرير معه، وهزّته. «آيفيري».

نَحَرَ وحاول أن يستدير عنها. لم تدعه.

«آيفيري، إلى أين ذهب لوك؟».

«پريكاييل»، تمتم.

لم تكن لديها أي فكرة ما هي پريكاييل، ولا يهتمّها، لأنها ليست الحقيقة.

«بالله عليك، إلى أين ذهب؟ لن أخبر أحداً».

«صعوداً على الخطوات الحمراء»، قال آيفيري. كان لا يزال نائماً تقريباً. ظنَّ على الأرجح أنه يحلم هذا.

«ما هي الخطوات الحمراء؟»، همست في أذنه.

لم يُجبها، وعندما حاول أن يستدير عنها هذه المرة، تركته فريداً. لأنها حصلت على ما احتاجت إليه. فخلافاً لآيفيري (وكاليشا، على الأقل في الأيام الجيدة)، لا يمكنها قراءة الأفكار تماماً. ما لديها حدسٌ يركز على الأفكار على الأرجح، وأحياناً، إذا كان الشخص الآخر منفتحاً كثيراً (مثل فتى صغير نائم تقريباً)، تحصل على صور موجزة رائعة.

استلقت على ظهرها، وراحت تنظر إلى سقف غرفتها وتفكّر.

جلست صوفي تيرنر، إحدى الممرّضات الليليات، إلى طاولة النزهة في الملعب تدخن سيجارة غير مشروعة وتنفض رمادها في سُدّة قارورة مياه معدنية منكّهة. كان الطبيب إيفانز بجانبها ويده على فخذها. مالَ وقبّل عنقها.

«لا تفعل هذا يا جيمي»، قالت. «ليس الليلة والمكان بأكمله في حالة تأهب قصوى. لا نعرف من يراقب».

«أنتِ موظفة في المعهد تدخن سيجارة بينما المكان بأكمله في حالة تأهب قصوى»، قال. «إذا كنتِ ستكونين فتاةً شقيةً، فلماذا لا تكونين فتاةً شقيةً؟».

مرّر يده إلى الأعلى قليلاً، وكانت تناقش نفسها إن كانت ستتركها هناك أم لا عندما نظرت حولها ورأت فتاة صغيرة - إحدى الأولاد الجدد - تقف عند أبواب غرفة الاستراحة واطعةً راحتي يديها على الزجاج وتنظر إليهما.

«تبا!»، قالت صوفي. أزالته يد إيفانز وهرست السيارة لتطفئها. خطت خطوات كبيرة إلى الباب وفتحته بقوة وأمسكت توماسينا المتخلّسة النظر بعنقها. «ماذا تفعلين مستيقظة في هذا الوقت المتأخر؟ ممنوع التجوّل هذه الليلة، ألم تصلك الرسالة؟ غرفة الاستراحة والمطعم محظوران! لذا إذا كنتِ لا تريدين أن تُصعّ مؤخّرتك بقوة، عودي إلى -»

«أريد التكلّم مع السيدة سيغسبي»، قالت فريدا. «فوراً».

«هل فقدتِ عقلك؟ للمرة الأخيرة، عودي -»

شقّ الطبيب إيفانز طريقه أمام صوفي من دون اعتذار. لن يكون هناك المزيد من المداعبة له هذه الليلة، قرّرت صوفي.

«فريدا؟ أنتِ فريدا، صح؟».

«نعم».

«لما لا تُخبريني ما الذي يُشغِلُ بالك؟».

«يمكنني التكلّم معها فقط. لأنها هي المديرة».

«هذا صحيح، وكان يوم المديرة مرهقاً. لما لا تُخبريني، وسأقرّر إن كان الأمر مهماً كفاية لإخبارها».

«آه، رجاءً»، قالت صوفي. «ألا يمكنك أن ترى عندما يحتال عليك أحد هؤلاء الأشقياء؟».

«أعرف إلى أين ذهب لوك»، قالت فريدا. «لن أخبرك، لكنني سأخبرها».

«إنها تكذب»، قالت صوفي.

لم تنظر إليها فريدا أبداً، بل أبقت عينيها على الطبيب إيفانز. «لا».

لم يذم النقاش الداخلي لإيفانز طويلاً. قريباً سيصبح لوك ليس قد فرّ منذ أربع وعشرين ساعة كاملة، ويمكن أن يكون في أي مكان ويُخبر أي شيء لأي شخص - شرطي، أو يا للهول، مراسل صحفي. وظيفة إيفانز ليست الحكم على إدعاء الفتاة، على الإطلاق. هذه وظيفة السيدة سيغسبي. وظيفته هي عدم ارتكاب خطأ سيجعله في حيص بيص في نهاية المطاف.

«من الأفضل لك أن تكوني تقولين الحقيقة يا فريدا، وإلا ستجدين نفسك في عالم من الألم. أنت تعرفين هذا، أليس كذلك؟».

نظرت إليه فحسب.

18

العاشرة والثلاث.

كانت مقصورة ساوثواي اكسبرس، التي نام فيها لوك خلف المحارث الدورانية وجزارات المرحّة وصناديق المحرّكات الخارجية للزوارق، تغادر ولاية نيويورك الآن متوجّهة نحو بنسلفانيا وتدخل رواق سرعة محسّنة ستسافر فيه طوال الساعات الثلاثة القادمة. ارتفعت سرعتها إلى 130 كيلومتراً في الساعة، والويل لأي شخص يماطل على المعبر أو ينام على السكة.

وكانت فريدا براون تقف أمام مكتب السيدة سيغسبي مرتدية بيجامة بريطانية زهرية أجمل من كل بيجاماتها البريطانية التي لديها في منزلها. شعرها في صفائر نهارية وقد شبكت يديها خلف ظهرها.

ستاكهاوس يأخذ قيلولة على الأريكة في الغرفة الخاصة الصغيرة المجاورة لمكتبها. لم تجد السيدة سيغسبي أي سبب لإيقاظه. على الأقل ليس

بعد. فحّصت الفتاة ولم تر شيئاً باهراً. لونها بُنيّ مثل إسمها: عيان بُنيّتان، شعر بُنيّ شاحب، بشرة سمارها يشبه لون القهوة بالحليب. وفقاً لملفها، الجين BDNF الخاص بها غير باهر بشكل مماثل، على الأقل حسب معايير المعهد؛ مفيد لكن بالكاد مدهش. ومع ذلك هناك شيء في تلك العينين البنيّتين، شيء. يمكنه أن يكون نظرات لاعب بريدج أو هويست كل الأوراق التي في يده أوراق رابحة.

«يقول الطبيب إيفانز إنك تعتقدين أنك تعرفين أين يتواجد ولدنا المفقود»، قالت السيدة سيغسبي. «ربما توّدين إخباري من أين جاءت هذه الموجة الدماغية».

«آيفيري»، قالت فريدا. «جاء إلى غرفتي. إنه نائم هناك».

ابتسمت السيدة سيغسبي. «أخشى أنك تأخرت قليلاً يا عزيزتي. لقد أخبرنا السيد ديكسون كل شيء يعرفه من قبل».

«لقد كذّب عليكم»، قالت وهي لا تزال تشبك يديها خلف ظهرها ولا تزال تحافظ على هدوء خارجي، لكن السيدة سيغسبي تعاملت مع عدد كبير جداً من الأولاد وتعرف أن هذه الفتاة خائفة من التواجد هنا. فهي تفهم الخطر. لكن اليقين بقي في تلك العينين البنيّتين. كان فاتناً.

دخل ستاكهاوس الغرفة وهو يحشر قميصه تحت سرواله. «مَن هذه؟».

«فريدا براون. فتاة صغيرة تسامرني. أنا أكيدة أنك لا تعرفين معنى هذه الكلمة يا عزيزتي».

«بلى أعرف معناها»، قالت فريدا. «تعني أنني أكذب، وأنا لا أكذب».

«وآيفيري ديكسون لم يكن يكذب. لقد أخبرتُ السيد ستاكهاوس، والآن أخبركِ: أعرف عندما يكذب أي ولد».

«آه، لقد أخبركِ معظم الحقيقة على الأرجح. لهذا السبب صدّفته. لكنه لم يقل الحقيقة بشأن پريكاييل».

غطى عبوسٌ حاجبها. «ما -»

«پرسك آيل؟». اقترب ستاكهاوس وأمسكها بذراعها. «هل هذا ما تقولينه؟».

«هذا ما قاله آيفيري. لكنه كذبة».

«كيف عَرَفْتِ -»، بدأت السيدة سيغسبي، لكن ستاكهاوس رَفَع يده لإيقافها.

«إذا كَذَّب بشأن پَرَسِك آيل، ما هي الحقيقة؟».

ابتسمت له ابتسامة ماكرة. «على ماذا أحصل إن أخبرْتُكما؟».

«ما لن تحصلين عليه هو الكهرباء»، قالت السيدة سيغسبي. «قاب قوسين أو أدنى من موتك».

«إذا صعقتني، سأُخِيرِك شيئاً، لكنه قد لا يكون الحقيقة. مثلما أن آيفيري لم يُخِيرِك الحقيقة عندما صعقته».

حَبَطَت السيدة سيغسبي يدها على مكتبها. «لا تجرّبي هذا معي يا أنسة! إذا كان لديك شيء لتقوليه -»

رفع ستاكهاوس يده مرة أخرى. ركع أمام فريدا. طوله جَعَلَ عينيه لا تصلان بعد إلى مستوى عينيها، لكنهما كانتا قريبتين منهما. «ماذا تريدان يا فريدا؟ أن تعودني إلى منزلك؟ سأكون صريحاً جداً معك، هذا لا يمكن أن يحصل».

كادت فريدا تضحك. أن تعود إلى منزلها؟ إلى أمها المدمنة، وسلسلة أحبائها المدمنين؟ أراد آخرهم أن تُريه ثديها، لكي يمكنه أن يرى «مدى سرعة نموها».

«لا أريد ذلك».

«حسناً، ماذا إذا؟».

«أريد أن أبقى هنا».

«هذا طلب غريب نوعاً ما».

«لكنني لا أريد الحُقن، ولا أريد أي اختبارات أخرى، ولا أريد الذهاب إلى النصف الخلفي. أبداً. أريد أن أبقى هنا وأكبر لكي أصبح ممرّضة مثل غلاديس أو وايلونا. أو فنية مثل طوني وإيفان. أو يمكنني حتى أن أتعلّم الطبخ وأصبح طبّاخة مثل دوغ».

نظر ستاكهاوس فوق كتف الفتاة ليرى إن كانت السيدة سيغسبي مندهشة مثله. بدت له مندهشة.

«لنفترض أنه... يمكن تدبير مسألة الإقامة الدائمة»، قال. «لنفترض أنه سيتم تدبيرها، إذا كانت معلوماتك صحيحة وقبضنا عليه».

«القبض عليه لا يمكن أن يكون جزءاً من الصفقة، لأنه غير عادل. القبض عليه مسؤوليتكم. فقط إن كانت معلوماتي صحيحة. وهي كذلك».

نظر فوق كتف فريدا مرة أخرى إلى السيدة سيغسبي التي أومأت برأسها قليلاً.

«حسناً»، قال. «اتفقنا. أخبريني الآن».

ابتسمت له ابتسامة خبيثة، وفكر أن يصفعها بقوة فيوقعها أرضاً. للحظة فقط، لكنها كانت فكرة جدية. «وأريد خمسين فيشة».

«لا».

«أربعين، إذاً».

«عشرين»، قالت السيدة سيغسبي من خلفها. «و فقط إن صحَّت معلوماتك».

فكرت فريدا بالأمر. «حسناً. لكن كيف أضمن أنكم ستفون بوعدكم؟».

«سيكون عليك أن تثقي بنا»، قالت السيدة سيغسبي.

تنهدت فريدا. «أظن ذلك».

ستاكهاوس: «انتهت المساومة. إذا كان لديك شيء لتقولي، قوليه إذاً».

«نزل من النهر قبل پريكاييل. نزل عند خطوات حمراء». ترددت ثم باحت بالباقي. بالجزء المهم. «هناك محطة قطارات عند أعلى الخطوات. ذهب إلى هناك. إلى محطة القطارات».

بعدها أرسلت فريدا إلى غرفتها مع فيثها (ومع تهديد أن كل الوعود ستُلغى إذا نطقت ولو كلمة واحدة عما حصل في مكتب السيدة سيغسبي لأي شخص)، اتصل ستاكهاوس بغرفة الكمبيوتر. لقد عاد آندي فيلوز من القرية وحلّ محل فيليشيا ريتشاردسون. أخبر ستاكهاوس فيلوز ماذا يريد وسأله إن كان بمقدوره الحصول عليه دون إثارة انتباه أي شخص. قال فيلوز إنه قادر، لكنه يحتاج إلى بضع دقائق.

«اجعلها دقائق معدودة»، قال ستاكهاوس. أغلق السماعة واستخدم هاتف مقصورته ليتصل برافي پولمان وجون وولش، رجلي أمنه اللذين ينتظران التعليمات.

«ألا يجب أن ترسل أحد رجال الشرطة المتعاونين معنا إلى ساحة القطارات بدلاً من ذلك؟»، سألت السيدة سيغسبي عندما أنهى المكالمة. فاثان من شرطة دينيسون ريفر بند مندوبون للمعهد، وهذا يشكل عشرين بالمئة من كامل عديد القوة. «ألن يكون ذلك أسرع؟».

«أسرع لكن ربما ليس أامن. لا أريد أن ينتشر خبر هذه المهزلة أبعد مما انتشر من قبل إلا إذا وإلى أن يصبح ذلك ضرورياً بشكل مطلق».

«لكن إذا استقلّ قطاراً، يمكنه أن يكون في أي مكان!».

«لا نعرف أنه وصل إلى هناك حتى. ربما الفتاة تخدعنا».

«لا أعتقد أنها تخدعنا».

«لم تعتقدني أن ديكسون يخدعنا».

هذا صحيح - ومُحرج - لكنها لم ترغب أن تحيد عن الموضوع الأساسي. فالحالة خطيرة جداً لتفعل أي شيء آخر. «وصلت الفكرة يا تريفور. لكن لو بقي في بلدة صغيرة كتلك البلدة، لكان سُوهده منذ ساعات!».

«ربما لا. إنه ولد ذكي. ربما اختبأ في مكان ما».

«لكن القطار هو الخيار الأكثر احتمالاً، وأنت تعرف ذلك».

رنّ الهاتف مرة أخرى. مدّا يديهما نحوه. فاز ستاكهاوس.

«نعم يا آندي. فعلت ذلك؟ جيد، أعطني إياه». أمسك مفكرة ودوّن عليها بسرعة. مالت فوق كتفه لتقرأ.

4297 عند 10 صباحاً.

16 عند 2:30 مساءً.

77 عند 5 مساءً.

أحاط 4297 عند 10 صباحاً بدائرة، وسأل عن وجهته، ثم دَوَّن الميناء، الموانئ، سُر. «متى موعد وصول ذلك القطار إلى سُربريدج؟».

دَوَّن 4-5 مساءً على المفكرة. نظرت إليه السيدة سيغسبي نظرة رعب. عرفت بماذا يفكر تريفور: سيرغب الفتى أن يتعد قدر الإمكان قبل نزوله من القطار - بافتراض أنه استقله. ذلك المكان سيكون سُربريدج، وحتى لو تأخر القطار في الوصول إلى هناك فسيكون قد وصل منذ خمس ساعات على الأقل.

«شكراً يا آندي»، قال ستاكهاوس. «سُربريدج في غربي ماساتشوستس، صح؟».

أنصت وهو يومئ برأسه.

«حسناً، إنها على الطريق الرئيسي، لكنها لا تزال بلا شك ميناءً وسيطاً صغيراً جداً. ربما نقطة تبديل. هل يمكنك أن تعرف إن يواصل القطار، أو أي جزء منه، طريقه من هناك؟ ربما بمحرّك مختلف، أو شيء من هذا القبيل؟».

أنصت.

«لا، مجرد حدس. إذا كان قد اختبأ في ذلك القطار فإن سُربريدج قد لا تكون بعيدة كفاية له ليشعر بالارتياح. قد يريد مواصلة الهروب. هذا ما كنت لأفعله لو كنت مكانه. تحقّق من الأمر وأبلغني في أسرع وقت ممكن».

أغلق السمّاعة. «حصل آندي على المعلومات من موقع المحطة على الويب»، قال. «لا مشكلة. أليس هذا مدهشاً؟ كل شيء على الانترنت هذه الأيام».

«نحن لا»، قالت.

«ليس بعد»، ردّ عليها.

«ماذا الآن؟».

«نتنظر رافي وجون».

فعلا ذلك. عند الثانية عشرة والنصف بعد منتصف الليل، رنَّ هاتف مكتبها. هزمت السيدة سيغسي إليه هذه المرة، ونطقت إسمها بصوت عالٍ، ثم أنصت وهي تؤمئ برأسها.

«حسناً. كله مفهوم. اذهب الآن إلى محطة القطارات... المستودع... الساحة... مهما يكن إسمها... وتحقق إن كان أي شخص لا يزال... آه. حسناً. شكراً».

أغلقت السماعة واستدارت إلى ستاكهاوس.

«هذه كانت قوتك الأمنية». قالت هذا ببعض السخرية، بما أن قوة ستاكهاوس الأمنية هذه الليلة تتألف من مجرد رجلين في الخمسينات من عمرهما ولياقتها البدنية غير مدهشة أبداً. «الفتاة براون محقة. لقد وجدوا الدرجات، ووجدوا آثار حذاء، وحتى وجدوا أثري أصابع دموية، في منتصف الدرجات تقريباً. يعتقد رافي أن ليس توقف هناك إما ليستريح أو ربما ليعيد ربط حذائه. يستخدمون مشاعل كهربائية، لكن جون يقول إنه يمكنهما إيجاد المزيد من الآثار على الأرجح بعدما يطلع ضوء النهار». سكتت قليلاً. «وفحصوا المحطة. لا أحد هناك، ولا حتى حارس ليلي».

رغم أن هواء الغرفة مكيفٌ إلى اثنين وعشرين درجة لطيفة إلا أن العرق ملاً جبهة ستاكهاوس. «هذا سيئ يا جوليا، لكننا قد لا نزال قادرين على احتواء المسألة دون استخدام ذلك». أشار إلى أسفل جارور في مكتبها حيث ينتظر الهاتف الصفري. «بالطبع إذا ذهب إلى الشرطة في ستربريدج، سيصبح وضعنا أسوأ بكثير. وكانت لديه خمس ساعات ليفعل ذلك».

«حتى ولو نزل هناك ربما ما كان ليفعل ذلك»، قالت.

«لما لا؟ لا يعرف أنه مطلوب بتهمة قتل والدیه. كيف يمكنه معرفة ذلك عندما لا يعرف أنهما ماتا؟».

«حتى ولو كان لا يعرف، سيشكُّ. إنه ذكي جداً يا تريفور، لا يجب أن تنسى ذلك. لو كنتُ مكانه، هل تعرف ما هو أول شيء سأفعله إذا نزلتُ من قطار في ستربريدج، ماساتشوستس، عند...»، نظرت إلى المفكرة، «... الرابعة أو الخامسة بعد الظهر؟ سأهرع إلى المكتبة وأتصفح الانترنت لأستطلع المستجدات في مدينتي».

هذه المرة نظراً كلاهما إلى الجارور المُقفل.

قال ستاكهاوس، «حسناً، نحتاج إلى أخذ هذا على نطاق أوسع. لا أحبّذ هذا، لكن ليس هناك أي خيار آخر حقاً. هيا نعرف من لدينا في جوار ستربريدج. لنرى إن ظهر هناك.»

جلّست السيدة سيغسبي وراء مكتبها لتحرّك عجلة الأمور، لكن الهاتف رنّ حتى وهي تمدّ يدها إليه. أنصتت قليلاً ثم سلّمت السّماعة إلى ستاكهاوس.

إنه آندي فيلوز. لديه أخبار جديدة. يبدو أنه كان هناك طاقم ليلي في ستربريدج، وعندما قدّم فيلوز نفسه كمدير المخزون لشركة داونايسْت للشحن يتفكّد شحنه كركند حيّ ربما ضلّت طريقها، كان ناظر المحطة سعيداً بمساعدته. لا، لم يتم إنزال كركند حيّ في ستربريدج. ونعم، أكملت معظم عربات القطار 4297 من هناك، لكن بمحرّك أقوى بكثير. لقد أصبح القطار 9956 ويّتجه جنوباً إلى ريتشموند، ويلمنغتون، دويراي، برانزويك، تامبا، وأخيراً ميامي.

دوّن ستاكهاوس كل هذا، ثم سأل عن البلدتين اللتين لم يعرفهما.

«دويراي في كارولينا الجنوبية»، أخبره فيلوز. «مجرد محطة مؤقتة - تعرف، محطة لا يتوقف فيها القطار إلا إذا طلب منه ذلك - لكنها نقطة وصل للقطارات القادمة من الغرب. لديهم مجموعة مستودعات هناك. على الأرجح هذا سبب وجود البلدة من الأصل. برانزويك تقع في جورجيا. إنها أكبر بكثير. أظن أنهم يحملون كمية لا بأس بها من المحاصيل والمأكولات البحرية هناك.»

أغلّق ستاكهاوس السّماعة ونظرَ إلى السيدة سيغسبي. «لنفترض -»

«لنفترض»، قالت السيدة سيغسبي. «هذه كلمة تجعلك موضع سخرية

و-»

«الزمي الصمت.»

لا أحد غيره يمكنه أن يخاطب السيدة سيغسبي بهكذا طريقة حادّة (ناهيك عن طريقة فظة)، لكن لا أحد غيره أيضاً يُسمَح له أن يناديها بإسمها الأول. بدأ ستاكهاوس يسير بخطوات ثابتة ورأسه الأصلع يلمع تحت الأضواء. تساءلت أحياناً إن كان يشمّعه حقاً.

«ماذا لدينا في هذا المرفق؟»، سيأل. «سأخبرك. أربعون موظفاً تقريباً في النصف الأمامي وأربعة وعشرون آخرون في النصف الخلفي، دون أن

نحتسب هَكل وَجَكل. لأننا نُبقي عرباتنا في دائرة مشدودة. علينا فَعَل ذلك، لكن هذا لا يساعدا هذه الليلة. هناك هاتف في ذلك الجارور سيوقر لنا كل أنواع المساعدة العالية السلطة، لكن إذا استخدمناه، ستتغير حياتنا، وليس للأفضل».

«إذا اضطررنا إلى استخدام ذلك الهاتف، قد لا تكون لدينا حياة»، قالت السيدة سيغسبي.

تجاهل هذا. «لدينا مندوبون في كل أنحاء البلاد، شبكة معلومات جيدة تتضمن شرطيين وأشخاصاً طبيين منخفضي المستوى، موظفي فنادق، مراسلين صحفيين في الصحف الأسبوعية للبلدات الصغيرة، ومتقاعدين لديهم الكثير من الوقت لتصفح مواقع الانترنت. لدينا أيضاً فريقاً استخراج تحت تصرّفنا وطائرة تشالينجر يمكنها نقلهما عملياً إلى أي مكان بسرعة. ولدينا ذكاؤنا يا جوليا، ذكاؤنا. إنه لاعب شطرنج، فقد رآه الممرضون يلعب هناك مع ويلهولم طوال الوقت، لكن مباراة الشطرنج هذه حقيقية، وهي مباراة لم يلعبها أبداً من قبل. لذا دعينا نفترض».

«حسناً».

«سنجعل مندوباً يتحقق مع الشرطة في ستربريدج. نفس القصة التي اعتمدها في برسك أيل - يقول رجلنا إنه يعتقد أنه رأى ولداً قد يكون إيس. يجدر بنا أن نُجري نفس التحقق في يورتلاند ويورتسموث، رغم أنني لا أظن لدقيقة أنه نزل من القطار بهذه السرعة. ستربريدج مرجحة أكثر بكثير، لكنني أعتقد أن رجلنا لن يصل إلى أي نتيجة هناك أيضاً».

«هل أنت متأكد أن هذا ليس مجرد تفكير بالتمني؟».

«آه، إنني أتمنى بقوة. لكن إذا كان يفكر بقدر ما هو يهرب فإن هذا منطقي».

«عندما أصبح القطار 4297 القطار 9956، بقي على متنه. هذا افتراضك».

«نعم. يتوقف 9956 في ريتشموند عند حوالي 2 فجراً. نحتاج إلى شخص، من المفصل عدة أشخاص، يراقب ذلك القطار. الشيء نفسه في ويلمنغتون، حيث يتوقف بين 5 و6 صباحاً. لكن هل تعرفين؟ لا أعتقد أنه سينزل في المكانين».

«تعتقد أنه سيبقى فيه حتى نهاية الخط». تريفور، فكّرت في سرّها، تواصل التسلّق إلى الأعلى أكثر فأكثر على شجرة الافتراض، وكل غصن أرفع من الذي سبقه.

لكن ماذا يوجد غير ذلك بعد أن فرّ الولد الآن؟ إذا اضطرت إلى استخدام الهاتف الصفري، سيُقال لها إنه كان يجدر بهم التحصّر لشيء مماثل. من السهل قول ذلك، لكن كيف يمكن لأي شخص أن يتوقع أن يكون ولدٌ في الثانية عشرة من عمره يائساً كفاية ليقطع شحمة أذنه لكي يتخلص من المتعقّب؟ أو أن تكون إحدى مدبّرات المنزل مستعدةً لمساعدته وتحريضه؟ ثم سيُقال لها إن موظفي المعهد أصبحوا كسولين ومطمئنين... وبماذا ستردّ على ذلك؟

«- الخط».

عادت إلى اللحظة الراهنة، وطلبت منه أن يعيد كلامه.

«قلتُ إنه لن يركب بالضرورة حتى نهاية الخط. فولدٌ ذكيٌّ مثله سيعرف أننا سنضع أشخاصاً هناك، إذا اكتشفنا جزء القطار. لا أعتقد أنه سيريد النزول في أي مدينة كبيرة أيضاً. خاصة ليس في ريتشموند، وهي مدينة غريبة له، في منتصف الليل. ويلمنغتون محتملة - فهي أصغر، وسيكون ضوء النهار قد طلع عندما يصل 9956 إلى هناك - لكنني أميل نحو إحدى المحطات المؤقتة. أعتقد إما دويراي، كارولاينا الجنوبية، أو برانزويك، جورجيا. بافتراض أنه على متن ذلك القطار من الأصل».

«ربما لا يعرف حتى إلى أين سيذهب القطار بعدما يغادر ستربريدج. في تلك الحالة قد يبقى على متنه حتى النهاية».

«إذا كان مع مجموعة صناديق شحن موسومة، سيعرف».

أدرّكت السيدة سيغسبي أنها لم تشعر بهذا القدر من الخوف منذ سنوات. ربما لم تشعر بهذا القدر من الخوف أبداً. هل يفترض أن أم يتكهّنان فحسب؟ وإذا كانا يتكهّنان، هل يُعقل أنه يمكنهما الإصابة في هذا العدد الكبير من التكهّانات المتتالية؟ لكن هذا كل ما يملكانه، لذا أومأت برأسها. «إذا نزل في إحدى المحطات الأصغر، يمكننا إرسال فريق استخراج لنعيدّه. يا للهول يا تريفور، هذا سيكون مثالياً».

«فريقين. الأويال والياقوت الأحمر. الياقوت هو نفس الفريق الذي أحصّره. هذه ستكون مصادفة لطيفة، ألا تعتقدين؟».

تَهَّدت السيدة سيغسبي. «أتمنى لو يمكننا أن نتيقن من أنه استقل ذلك القطار».

«لست متيقناً، لكنني متأكد تماماً، وهذا يكفي». ابتسم لها ستاكهاوس. «استخدمي الهاتف. أيقظي بعض الأشخاص. ابدأي بريتشموند. لا شك أننا ندفع لكل أولئك الرجال والنساء في كل أنحاء البلاد حوالي مليون دولار في السنة، صح؟ دعينا نجعل بعضهم يستحقون مالهم».

بعد ثلاثين دقيقة، أعادت السيدة سيغسبي سماعه الهاتف إلى حمالتها. «إذا كان في ستربريدج، لا شك أنه يختبئ في بربخ أو منزل مهجور أو شيء مماثل - لم تقبض عليه الشرطة وإلا لظهر شيء عنه على راداراتهم. سنجعل أشخاصاً في ريتشموند وويلمنغتون يراقبون ذلك القطار عندما يصل إلى هناك، ولديهم قصة جيدة للتغطية».

«لقد سمعتُ. عمل مُتقن يا جوليا».

رَفَعَت يدها لتعبّر عن شكرها لهذا. «رؤيته تستحق مكافأة كبيرة، وستكون المكافأة أكبر بكثير - أشبه بمكسب مفاجئ - إذا تمكن رجالنا من القبض عليه وأخذه إلى منزل آمن لاستلامه. هذا غير محتمل في ريتشموند، لأن رجلينا هناك مجرد مواطنين عاديين، لكن أحد الشباب في ويلمنغتون شرطي. لنأمل حصول ذلك هناك».

«ماذا بشأن دويراي وبرانزويك؟».

«سنرسل شخصين للمراقبة في برانزويك، موقر دار عبادة ميثودية قريبة وزوجته. لدينا شخص واحد فقط في دويراي، لكن الرجل يعيش هناك في الواقع. يملك التزل الوحيد في البلدة».

20

كان لوك في خزان الغمر مرة أخرى وزيكي يُبقيه داخله، وأضواء شتازي تتطاير أمامه. كانت داخل رأسه أيضاً، وهذا أسوأ بعشرة أضعاف. سيغرق وهو ينظر إليها.

اعتقد في البدء أن الصراخ الذي سمعه عندما استعاد وعيه بالقوة آت منه، وتساءل كيف يمكنه أن يُصدر هكذا جلبة مزعجة جداً تحت الماء. ثم تذكر

أنه في عربة نقل، وعربة النقل جزءٌ من قطار يتحرّك بدأ يُبطئ سرعته بقوة. الزعيق ناتج عن احتكاك العجلات الفولاذية بالسكة الفولاذية.

بقيت النقاط الملونة للحظة أو لحظتين ثم تلاشت. الظلام حالك في عربة النقل. حاول أن يمطط عضلاته المتشنجة واكتشف أنه محاصر. فقد سقطت ثلاث أو أربع من كراتين المحركات الخارجية للزوارق. أراد أن يصدّق أنه سبب ذلك التقلب في كابوسه، لكنه شعر أنه ربما فعله ذهنياً، بينما كان تحت قبضة تلك الأضواء اللعينة. في يوم من الأيام كانت حدود قوته الذهنية تقتصر على دفع صينية بيتزا عن طاولة المطعم أو قلب صفحات كتاب، لكن الزمن تغيّر. هو تغيّر. لم يعرف مقدار تغيّره، ولم يرد أن يعرف.

تباطأ القطار أكثر فأكثر وبدأ يلعلع فوق نقاط التبديل. أدرك لوك أنه في محنة. لم يكن جسمه في حالة تأهب قصوى، ليس بعد، لكنه وصل إلى المرحلة الصفراء بالتأكيد. إنه جائع، وهذا سيئ، لكن عطشه جعل بطنه الفارغ يبدو غير مهم بالمقارنة. تذكر التزحلق نزولاً على ضفة النهر إلى حيث كان س.س. بوكي مربوطاً، وكيف طرطش الماء البارد على وجهه وعرفه إلى فمه. سيعطي الآن أي شيء لقاء كوب من ماء ذلك النهر. مرّر لسانه على شفّيته، لكن هذا لم يساعد كثيراً؛ لسانه جاف جداً أيضاً.

توقف القطار، وكدّس لوك الصناديق مرة أخرى مستعيناً بحاسة اللمس لديه. كانت ثقيلة لكنه تمكن من إنجاز المهمة. لم تكن لديه أي فكرة أين هو، لأن باب مقصورة ساوثواي اكسبرس أغلق بالكامل في ستربريدج. عاد إلى مخبئه خلف الصناديق ومعدّات المحركات الصغيرة وانتظر وهو يشعر بالبوّس.

بدأ يكبو مرة أخرى رغم جوعه وعطشه ومثانته الممتلئة وأذنه النابضة عندما فُتح باب عربة النقل سامحاً لضوء القمر أن يفيض إلى الداخل. على الأقل بدا له كفيضان بعد الظلمة الدامسة التي وجد نفسه فيها عندما استيقظ. هناك شاحنة تسير عكسياً نحو الباب، ورجلٌ يصيح.

«هيا... قليلاً بعد... بروية... قليلاً بعد... توقف!».

انطلقاً محرّك الشاحنة، وسُمع صوت رفع باب حمولتها، ثم قفز رجلٌ إلى عربة النقل. استطاع لوك أن يشم رائحة قهوة، وقرقر بطنه بصوتٍ صاخبٍ كفاية بالتأكيد لكي يسمعه الرجل. لكنه لم يسمعه - عندما اختلس النظر بين جرّار مَرجة وجرّازة عشب، رأى الرجل الذي يرتدي بزة العمل يضع سماعات أذن.

انضم إليه رجل آخر وسلط ضوء بطارية نحو الباب - لحسن الحظ - وليس في اتجاه لوك. ركبا منحدرًا فولاذيًا وبدأا يدحرجان أقفاصًا ذات عجلات من الشاحنة إلى عربة النقل. كل قفص منها مدون عليه كوهلر، هذه الجهة إلى الأعلى، وتوحي الحذر. لذا مهما يكن هذا المكان فإنه ليس نهاية الخط.

توقف الرجلان مؤقتًا بعد تحميل عشرة أقفاص أو اثني عشر قفصًا وأكلا كعكات دونات من كيس ورقي. احتاج لوك إلى كل شيء لديه - ذكرى زيكي يدفعه نزولاً في الخزان، ذكرى توأمي ويلكوكس، ذكرى كاليشا ونيكي وكل الأولاد الآخرين الكثيري العدد الذين يتكلمون عليه - ليمنع نفسه من الخروج من مخبئه وتوسل الرجلين أن يعطياه قضمًا، قضمًا واحدة فقط. كان ربما ليفعل ذلك على أي حال لو لم يقل أحدهما شيئًا جمده في مكانه.

«مهلاً، لم ترَ ولدًا يركض، أليس كذلك؟».

«ماذا؟»، أجاب بغم مليء بالدونات.

«ولد، ولد. عندما صعدت لتأخذ ذلك الإبريق العازل للحرارة إلى المهندس».

«ماذا سيفعل ولدٌ هنا؟ إنها الثانية والنصف فجرًا».

«آه، سألني رجلٌ عندما ذهبْتُ لإحضار كعكات الدونات. قال إن أخ زوجته اتصل به من ماساتشوستس وأيقظه من نوم عميق وطلب منه أن يتفحص محطة القطارات. لقد فرَّ ابن الرجل الذي في ماساتشوستس. قال إنه كان يتكلم دائماً عن القفز إلى داخل قطار شحن إلى كاليفورنيا».

«إنها في الجهة الأخرى من البلاد».

«أنا أعرف هذا. أنت تعرف هذا. لكن هل سيعرف ولدٌ هذا؟».

«إذا كان شاطراً ولو قليلاً في المدرسة، سيعرف أن ريتشموند بعيدة جداً عن لوس أنجلوس».

«نعم، لكنها نقطة وصل أيضاً. قال الرجل إنه قد يكون على متن هذا القطار، ثم ينزل ويحاول أن يستقل واحداً آخر متجهاً غرباً».

«حسناً، لم أر أي ولد».

«قال الرجل إن أخ زوجته سيدفع مكافأة».

«يمكنها أن تكون مليون دولار يا بيلي، وسأظل لم أر أي ولد إلا إذا كان يوجد ولد هنا لرؤيته».

إذا لعلّ بطني مرة أخرى، سيُقضى عليّ، فكّر لوك في سرّه. يُقضى عليّ تماماً.

صرخ شخصٌ من الخارج: «بيلي! دُوبن! عشرون دقيقة يا رجال، أنهيها العمل!».

حمّل بيلي ودُوبن بضعة أقفاص كوهلر إضافية في عربة النقل، ثم أعادا دحرجة منحدّرها إلى الشاحنة وقادها مبتعدين. تسوّى للوك أن يلقي نظرة خاطفة على أفق المدينة - لم يعرف أي مدينة - ثم اقترب رجلٌ يرتدي رداءً سروالياً وقبعة سكب حديدية وأغلق باب الساوثواي... لكن ليس بالكامل هذه المرة. افترض لوك أن هناك بقعة لزجة في سكة الباب. مرّت خمس دقائق أخرى قبل أن يبدأ القطار بالتحرك مرة أخرى، ببطء أولاً، مُحدثاً طقطقة فوق النقاط والمعابر، ثم متسارعا.

رجلٌ يدّعي أنه صهر رجل آخر.

قال إنه كان يتكلّم دائماً عن القفز إلى داخل قطار شحن.

لقد عرّفوا أنه هرب، وحتى لو وجدوا الزورق قرب المصبّ من دينيسون ريفر بند، فلم يندعوا. لا شكّ أنهم جعلوا مورين تتكلّم. أو آيفيري. فكرة استخراج المعلومات من أفستّر بالتعذيب بدت رهيبة جداً له، وطردها لوك من ذهنه. إذا أرسلوا أشخاصاً ليراقبوا نزوله هنا، فسيكون هناك أشخاصٌ ينتظرونه في المحطة التالية أيضاً، ووقتها قد يكون ضوء النهار قد طلع. ربما لا يريدون إثارة أي مشاكل، ربما يراقبون فقط ويرفعون تقريراً، لكن من الممكن أنهم سيحاولون القبض عليه. بناءً على عدد الأشخاص في الأرجاء، بالطبع. وبناءً على درجة يأسهم أيضاً.

قد أكون فقط نفسي دهاءً بركوب القطار، فكّر لوك في سرّه، لكن ماذا كان يمكنني أن أفعل خلاف ذلك؟ لم يكن يُفترض بهم أن يعرفوا بهذه السرعة.

في هذه الأثناء، هناك انزعاجٌ يمكنه أن يريح نفسه منه. متمسكاً بمقعد جرّازة عشب ليحافظ على توازنه، فكّ غطاء الوقود لمحراث دوراني ماركة جون دير، وفتح سخّابه، وبوّل ما بدا له ثمانية ليترات في خزّان الوقود الفارغ. ليس شيئاً لطيفاً ليفعله، عمل شرير جداً للشخص الذي سيستلم هذا المحراث

الدوراني، لكن الظروف قاهرة. أعاد وَضع غطاء الوقود وأحْكَمَ إغلاقه. ثم جلس على مقعد جَزَاة العشب، وَضع يديه فوق بطنه الفارغ، وأغْمَضَ عينيه.

فكَّرَ بأذُنك، أَخْبَرَ نفسه. فكَّرَ بالخدوش على ظهركَ أيضاً. فكَّرَ كم تؤلم هذه الأمور وستنسى جوعك وعطشك.

نجحَ هذا إلى أن لم ينجح. فما تسلَّلَ إلى ذهنه هو صور أولاد يغادرون عُرفهم ويذهبون إلى الكافيتيريا لتناول الفطور بعد بضع ساعات من الآن. عَجَزَ لوك عن تبيد صور الأباريق المليئة بعصير البرتقال، ونافورة الشرب المعبأة بشراب هاواي الأحمر. تمَّيَّ لو كان هناك الآن. سيشرب كوباً من كل واحد، ثم يملأ طبقه ببيض مخفوق ولحم مقدَّد من المائدة البخارية.

أنت لا تتمَّيَّ لو كنت هناك. لأن تمَّيَّ ذلك ضربٌ من الجنون.

ومع ذلك، جزء منه تمَّاه.

فَتَحَ عينيه ليتخلَّص من الصور. لكن صورة أباريق عصير البرتقال كانت عنيدة، فلم ترغب أن ترحل... ثم رأى شيئاً في الفراغ بين الأقفاص الجديدة والمحركات الصغيرة. اعتقد في البدء أنها خدعة من ضوء القمر القادم عبر باب عربة النقل المفتوح جزئياً، أو هلوسة صريحة، لكن عندما وَمَضَ عينيه مرتين وبقي هناك، نَزَلَ عن مقعد الجَزَاة وزَحَفَ إليه. على يمينه، ومضت حقول مغمورة بضوء القمر عبر باب عربة النقل. مغادراً دينيسون ريفر بند، تشرَّبَ لوك كل ما رآه بدهشة وافتتان، لكنه لا يستهوي النظر إلى العالم الخارجي الآن. يمكنه فقط النظر إلى ما كان على أرضية عربة النقل: فتات كعكات الدونات.

وقطعة واحدة أكبر من مجرد فتات.

التقط تلك القطعة أولاً. للحصول على القطع الأصغر، رطَّبَ إبهامه ورفعها بهذه الطريقة. وبسبب خشبته من فقدان القطع الأصغر عبر تشققات أرضية عربة النقل، انحنى، مدَّ لسانه، ولعَّقها.

21

جاء دور السيدة سيغسبي لتنام قليلاً على الأريكة في الغرفة الداخلية، وقد أغلق ستاكهاوس الباب لكي لا يزعجها الهاتف - الخط الأرضي أو هاتف مقصوره. اتصل فيلوز من غرفة الكمبيوتر عند الثالثة إلا عشرة.

«9956 غادر ريتشموند»، قال. «لا أثر للفتى».

تنهّد ستاكهاوس وفركَ ذقنه متحسّساً شُعيرات ذقنه هناك. «حسناً».

«مؤسف أنه لا يمكننا إجبار القطار على التوقف جانباً والبحث فيه بدقة. هذا يُجيب على سؤال ما إذا كان على متنه أم لا لمرة واحدة وإلى الأبد».

«مؤسف أن جميع سكان العالم ليسوا في دائرة كبيرة يغتّبون، أعطوا السلام فرصة. متى يصل إلى ويلمنغتون؟».

«يجب أن يكون هناك عند السادسة. وقبل ذلك إذا عوّضوا بعض الوقت».

«كم رجل لدينا هناك؟».

«اثنان الآن، وآخر في طريقه من غولدسبورو».

«هم أعقل من التصرّف بانفعال، صح؟ الأشخاص المنفعلون يلفتون الأنظار».

«أعتقد أنهم سيُحسنون التصرّف. القصة جيدة. فتى هارب، ووالداه قلقان عليه».

«من الأفضل أن تأمل أنهم سيُحسنون التصرّف. أخيرني كيف تسير الأمور».

دخلَ الطبيب هندريكس المكتب دون عناء أن يقرع الباب. هناك دوائر تحت عينيه، وملابسه مجعّدة، وشعره واقف على شكل طوق رقبة مكشكش رمادي أرجواني داكن. «أي أخبار؟».

«ليس بعد».

«أين السيدة سيغسبي؟».

«تحصل على بعض الراحة التي هي بحاجة ماسّة لها». مال ستاكهاوس إلى الوراء على كرسيها وتمطط. «لم يخضع الفتى ديكسون للخزان، أليس كذلك؟».

«بالطبع لا». بدا دونكي كونغ مستاءً من الفكرة بحدّ ذاتها. «ليس زهرياً. أبعد ما يمكن أن يكون عنه. والمخاطرة بإيذاء جين BDNF مرتفعٍ مثله سيكون

جنوناً. أو المخاطرة بتوسيع قدراته. والذي سيكُون غير محتمل لكن ليس مستحيلاً. ستطير لي سيغسبي رأسي».

«لن تفعل ذلك وسيدخله اليوم»، قال ستاكهاوس. «غطس ذلك السافل الصغير إلى أن يعتقد أنه مات، ثم غطسه أكثر».

«هل أنت جدِّي؟ إنه مُلكية قيِّمة! أحد أعلى التخ-الإيجابيين الذين حصلنا عليهم منذ سنوات!».

«لا يهمني إن كان قادراً على السير على الماء أو إطلاق صواعق كهربائية من مؤخرته عندما يُخرج ربحاً. لقد ساعدت إيليس على الهروب. اجعل اليوناني ينقذ هذا حالما تبدأ ورديته. يحب وضعهم في الخزان. أخير زيكي ألا يقتله، فأنا أدرك قيمته، لكنني أريده أن يختبر شيئاً سيتذكره طالما بقي قادراً على أن يتذكر. ثم خذه إلى النصف الخلفي».

«لكن السيدة سيغسبي -»

«السيدة سيغسبي موافقة بالكامل».

استدار الرجلان. كانت تقف عند الباب بين مكتبها ومقصورتها الخاصة. كان الانطباع الأول لدى ستاكهاوس هو أنها بدت كما لو أنها رأت شبحاً، لكن ذلك لم يكن صحيحاً تماماً. بدت كما لو أنها هي الشبح.

«افعل مثلما قال لك بالضبط يا دان. إذا تضرَّر جينه BDNF، فليكن عليه أن يدفع الثمن».

22

عاود القطار الانطلاق مرة أخرى، وتبادرت إلى ذهن لوك أغنية أخرى كانت جدته تغنيها. هل هي الأغنية عن قطار منتصف الليل الخاص؟ لا يمكنه أن يتذكر. لم تنفع فتات كعكات الدونات بشيء سوى زيادة حدة جوعه وعطشه. فمه صحراء، ولسانه كثيب رملي. كبا، لكنه لم يستطع أن ينام. مرَّ الوقت، لم تكن لديه فكرة كم، لكن الضوء ما قبل الفجر بدأ يدخل العربة في نهاية المطاف.

زحف لوك فوق الأرضية المتمايلة إلى باب عربة النقل المفتوح جزئياً وراح يحدق بالخارج. هناك أشجار، أغلبها أشجار صنوبر متشعّثة من النمو

الثاني، بلدات صغيرة، حقول، ثم مزيد من الأشجار. مرّ القطار على جسر منصبيّ، وأخضّ نظره إلى النهر تحته بعينين يملأهما الحنين. لم تتبادر إلى ذهنه أغنية هذه المرة بل كوليرج. الماء، الماء في كل مكان، فكر لوك في سرّه، وقد انكشمت ألواح عربة النقل. الماء، الماء، في كل مكان ولا نقطة واحدة ليشرّبها.

ملوّث على الأرجح، أخبر نفسه، وعرف أنه سيشرّب منه حتى لو كان ملوّثاً. سيشرّب إلى أن ينتفخ بطنه. وتقيؤه سيكون متعةً لأنه يمكنه عندها أن يشرب المزيد.

قُبيل شروق الشمس، الحمراء والساخنة، بدأ يشمّ رائحة ملح في الهواء. بدلاً من مزارع، كانت أغلب الأبنية التي تمرّ به الآن عبارة عن مستودعات ومصانع طوب قديمة نوافذها مغلقة بالألواح خشبية. هناك رافعات شامخة الرأس نحو السماء التي تزداد سطوعاً، وطائرات تُقلع من مكان ليس بعيداً. لبرهة مرّ القطار بجانب طريق زباعي الممرات. رأى لوك أشخاصاً في سيارات لا شيء يُقلق بالهم سوى عمل اليوم. يمكنه الآن أن يشمّ رائحة شواطئ طينية أو أسماك ميتة، أو الاثنين معاً.

سأكل سمكة ميتة إذا لم تكن مليئة باليرقات، فكر في سرّه. ربما حتى لو كانت كذلك. وفقاً لناشونال جيوغرافيك، اليرقات مصدر جيد للبروتين العضوي.

بدأ القطار يُبطئ سرعته، وانسحب لوك إلى مخبئه. شَعَرَ بمزيد من الدويّ والصدمات بينما سارت عربته فوق النقاط والمعابر. توقف القطار أخيراً.

الوقت مُبكر، لكن هذا المكان مزدحم رغم ذلك. سمع لوك أصوات شاحناتٍ. وسمع رجالاً يضحكون ويتكلمون. هناك مشغّل موسيقى أو راديو شاحنة يبثّ إحدى أغاني كانبيه، بصوتٍ جهيرٍ مثل نبضات القلب يتضخّم أولاً ثم يتضاءل. مرّ قطار آخر على سكة أخرى وخلف وراءه رائحة ديزل كريهة. ارتجت عربته عدة مرات وبعنف كلما أضيفت عربات إلى قطار لوك أو أزيلت منه. صرخ الرجال بالإسبانية، وفهم لوك بعض الشتائم: بوتا مييرديه، هيجو دي بوتا، شوبابولاس.

مرّ المزيد من الوقت. شَعَرَ أنها ساعة، لكنها ربما مجرد خمس عشرة دقيقة. أخيراً تراجعت شاحنة أخرى إلى مقصورة ساوثواي اكسبرس. دحرج رجلٌ يرتدي رداءً سروالياً الباب ليفتحه بالكامل. حدّق لوك بالخارج بين

محراث دوراني وجزار مَرَجَة. قفز الرجل إلى داخل عربة النقل، ووُضع منحدَر فولاذي آخر بين الشاحنة والمقصورة. تألف الطاقم هذه المرة من أربعة رجال، أسودين وأبيضين، كلهم ضخمين وموشومين. كانوا يضحكون ويتكلمون بلكنات جنوبية عميقة، وهذا جعلهم بالنسبة للوك يشبهون مغربي الريف على إذاعة بازن 102 هناك في منزله في مينيابوليس.

قال أحد الرجلين الأبيضين إنه ذهب للرقص ليلة أمس مع زوجة أحد الأسودين. تظاهر الأسود أنه يلكمه، وتظاهر الأبيض أنه يترجح إلى الخلف وجلس على كومة كراتين المحرّكات الخارجية للزوارق التي أعاد لوك تكديسها مؤخراً.

«هيا، هيا»، قال الأبيض الآخر. «أريد فطوري».

وأنا أيضاً، فكّر لوك في سرّه. آه يا رجل، وأنا أيضاً.

عندما بدأوا تحميل أقفاص كوهلر في الشاحنة، اعتقد لوك أنه مثل فيلم للمحطة الأخيرة، لكن فقط يُعرض بالاتجاه العكسي. هذا ذكره بالأفلام التي قال آيفيري إن الأولاد يُجبرون على مشاهدتها في النصف الخلفي، وهذا جعل النقاط تبدأ بالعودة مرة أخرى - نقاط كبيرة كثيرة العصاره. ارتعش باب عربة النقل على سكتته، كما لو أنه قصّد أن يُغلق نفسه.

«تياً!»، قال الأسود الثاني. «من في الخارج؟». نظر. «غريب. لا أحد».

«البُعيع»، قال الأسود الذي تظاهر أنه يلكم زميله الأبيض. «هيا، هيا، دعونا نُتهي هذا. يقول ناظر المحطة إن هذا السافل متأخر عن مواعده».

لا يزال لم يصل إلى نهاية الخط، فكّر لوك في سرّه. لن أبقى هنا إلى أن أموت جوعاً، لكن فقط لأنني سأموت من العطش أولاً. عرّف من قراءاته أن الإنسان يستطيع أن يصمد ثلاثة أيام على الأقل دون ماء قبل أن يدخل حالة فقدان الوعي التي تسبق الموت، لكن الأمر لم يبدو له بهذه الطريقة الآن.

حمل الرجال الأربعة كل الأقفاص تقريباً ما عدا اثنين من الأقفاص الكبيرة في شاحنتهم. انتظرهم لوك أن يبدأوا العمل على المحرّكات الصغيرة وعندها سيكتشفونه، لكن بدلاً من أن يفعلوا ذلك، أعادوا منحدَرهم إلى الشاحنة وأغلقوا بابه المنسدل.

«اذهبوا أتم»، قال أحد الأبيضين. كان الرجل الذي مزح بشأن الرقص مع زوجة الرجل الأسود. «عليّ زيارة مرحاض العربة المذبذب. لأقابل رجلاً

بشأن كلبٍ».

«بالله عليك يا ماتي، اضغط على نفسك قليلاً».

«لا أستطيع»، قال الأبيض. «الكمية ضخمة لدرجة أنني سأحتاج إلى سلم للنزول عنها».

ابتعدت الشاحنة. مرّت بضع لحظات هدوء، ثم أعاد الرجل الأبيض، ماتي، صعود عربة النقل وعضلته ذات الرأسين تنتفخ في قميصه الذي بلا أكمام. كان أعزُّ أصدقاء لوك في يوم من الأيام رولف دستن ليقول المسدّسات محشوة بالكامل.

«حسناً أيها الخارج عن القانون. لقد رأيْتُك عندما جلستُ على تلك الصناديق. يمكنك الخروج الآن».

23

بقي لوك مكانه للحظة، وراح يفكّر أنه إذا بقي جامداً تماماً وصامتاً تماماً، سيقرّر الرجل أنه مُخطئ ويرحل. لكن هذا التفكير طفولي، وهو لم يعد ولداً. ولا حتى قليلاً. لذا زحف من مخبئه وحاول أن يقف، لكن رجليه كانتا مشدودتين ورأسه خفيفاً. كان سيسقط أرضاً لو لم يمسكه الرجل الأبيض.

«تباً أيها الولد، من الذي مرّق أذنك؟».

حاول لوك أن يتكلّم. لم يخرج منه شيء في البدء سوى نقيق. تنحنح وحاول مرة أخرى. «واجهتني بعض المتاعب. سيدي، هل معك أي شيء يؤكل؟ أو يُشرب؟ أنا جائع وعطشان جداً».

مواصلاً عدم رفع عينيه عن أذن لوك المشوّهة، مدّ الرجل الأبيض - ماتي - يده إلى جيبه وأخرج نصف لفة سكاكر. أمسكها لوك، مرّق الورقة، وقذف أربع حبات في فمه. كان ليقول إن كل لعبه اختفى، أعاد جسمه العطشان امتصاصه، لكن بُحّ المزيد منه، كما لو أن هناك نوافير غير مرئية، وأصاب السكر رأسه مثل قنبلة. ظهرت النقاط فجأة وراحت تتسابق على وجه الرجل الأبيض. نظرَ ماتي حوله كما لو أنه شَعَرَ بقدم شخص من خلفه، ثم أعاد تركيز انتباهه على لوك.

«متى أكلت لآخر مرة؟».

«لا أعرف»، قال لوك. «لا أستطيع أن أتذكر بالضبط».

«منذ متى وأنت على متن القطار؟».

«منذ يوم تقريباً». لا شك بصحة ذلك، لكن المدة بدت أطول بكثير.

«أتيت من بلاد اليابانكي، صح؟».

«نعم». ماين من أكثر المناطق التي تُعتبر بلاد اليابانكي، فكّر لوك في

سرّه.

أشار ماتي إلى أذن لوك. «مَن الذي فعل هذا؟ هل هو أبوك؟ زوج أمك؟».

حدّق به لوك قلقاً. «مَن... كيف خطرت ببالك هكذا فكرة؟». لكن حتى في حالته الحالية، كان الجواب واضحاً. «هناك شخص يبحث عني. الأمر مماثل لما جرى في آخر محطة توقف فيها القطار. كم عددهم؟ ماذا قالوا؟ أنني هربت من المنزل؟».

«نعم. عمك. أحصر صديقين، وأحدهما شرطي من رايتسفيل بيتش. لم يقولوا لماذا، لكن بلى، قالوا إنك هربت من ماساتشوستس. وإذا فعل أحدهم ذلك، فإنني أفهمك».

حقيقة أن أحد الرجال الذين ينتظرونه شرطي أخافت لوك كثيراً. «استقلّيت القطار في ماين وليس ماساتشوستس. أبي مات. أمي أيضاً. كل ما يقولونه كذب».

فكّر الرجل الأبيض بهذا. «إذاً مَن الذي فعلَ هذا لأذّنك أيها الخارج عن القانون؟ حقيّر في دار الأيتام؟».

هذا ليس بعيداً جداً عن الحقيقة، فكّر لوك في سرّه. نعم، كان في نوع من دُور الأيتام، ونعم، يديره حقيرون. «المسألة معقّدة. فقط... سيدي... إذا رأني أولئك الرجال، سيأخذونني بعيداً. ربما لا يمكنهم فعل ذلك إذا لم يكن معهم شرطي، لكنهم سيفعلون ذلك. سيعيدونني إلى حيث حصل هذا». أشار إلى أذنه. «لا تُخبر أحداً رجاءً. رجاءً دعني فقط أبقى على متن القطار».

حكّ ماتي رأسه. «لست أكيداً من هذا. أنت ولد، وحالتك سيئة جداً».

«ستصبح حالتي أسوأ بكثير إذا أخذني أولئك الرجال».

صدّق هذا، فكّر بكل قوته. صدّق هذا، صدّق هذا.

«حسناً، لا أعرف»، كرّر ماتي. «رغم أنه لم يعجبني مظهر أولئك الثلاثة في الحقيقة. بدوا متوترين نوعاً ما، حتى الشرطي. كما أنك تنظر إلى رجل هرب من المنزل ثلاث مرات قبل أن أنجح أخيراً. أول مرة كنت في عمرك تقريباً».

لم يقل لوك شيئاً. ماتي يسير في الاتجاه الصحيح، على الأقل.

«إلى أين أنت ذاهب؟ هل تعرف حتى؟».

«مكان ما يمكنني فيه الحصول على بعض الطعام وبعض الماء وأفكر»، قال لوك. «أحتاج إلى أن أفكر، لأن لا أحد سيريد أن يصدّق القصة التي عندي. خاصة عندما يرونها ولدٌ».

«ماتي!»، صرخ شخصٌ. «بالله عليك يا رجل! إلا إذا كنت تريد رحلة مجانية إلى كارولاينا الجنوبية!».

«هل خُطفتَ يا ولد؟».

«نعم»، قال لوك وبدأ يبكي. «وأولئك الرجال... الذي يقول إنه عمّي، والشرطي...»

«ماتي! امسح مؤخرتك وتعال!».

«إنني أخير الحقيقة»، قال لوك ببساطة. «إذا كنت تريد مساعدتي، دعني أذهب».

«حسناً، تباً». بصق ماتي فوق جانب عربة النقل. «هذا يبدو خطأً، لكن أذنك تلك... أولئك الرجال، هل أنت متأكد أنهم أشرار؟».

«الأسوأ»، قال لوك. كانوا في الواقع يتفوّقون على الأسوأ، لكن نجاحه في المحافظة على تقدمه عليهم يعتمد على ما سيقرّر هذا الرجل أن يفعله.

«هل تعرف حتى أين أنت الآن؟».

هزّ لوك رأسه.

«هذه ويلمنغتون. سيتوقف القطار في جورجيا، ثم تامبا، ويُنتهي رحلته في ميامي. إذا كان هناك أشخاص يبحثون عنك، APB أو منبّة أمبر أو مهما تكن

التسمية التي يطلقونها على نظام التنبيه، فإنهم سيبحثون في كل تلك الأماكن. لكن المكان التالي الذي يتوقف فيه هو مجرد لطة على الخريطة. قد تقوم -»

«ماتي، أين أنت أيها اللعين؟». الصوت أقرب بكثير الآن. «توقف عن العبث وإضاعة الوقت. علينا الانطلاق.»

رمق ماتي لوك بنظرة ارتياب أخرى.

«رجاءً»، قال لوك. «لقد وضعوني في خزّان. كادوا يُغرقونني. أعرف أنه من الصعب تصديق هذا، لكنه الحقيقة.»

أصوات حُطى على الحصى، وتقترب. قفز ماتي عن حافة عربة النقل ودحرج بابها مغلقاً إياه إلى ثلاثة أرباع المسافة. عاد لوك وزحف إلى وكره خلف المحرّك الصغير.

«ظننتك قلت إنك ذاهب لتقضي حاجتك. ماذا كنت تفعل هناك؟».

انتظر لوك أن يقول ماتي هناك ولم يختبئ في تلك المقصورة، وروى لي قصة مجنونة عن أنه حُطف في ماين وأنزل في خزّان مياه لذا لا يجب أن يذهب مع عمّه.

«قضيتُ حاجتي ثم أردتُ إلقاء نظرة على جرّارات كوبوتا تلك»، قال ماتي. «جرّازة عشبي على وشك أن تموت.»

«حسناً، بالله عليك، لا يستطيع القطار أن ينتظر. مهلاً، لم تر أي ولد يركض في الأرجاء، صح؟ ربما وتب إلى القطار شمالاً وقرّر أن وبمينغتون مكانٌ لطيفٌ للزيارة؟».

ساد صمت قصير، ثم قال ماتي، «لا.»

كان لوك يجلس متأهباً. عند سماعه تلك الكلمة الواحدة، أرجع رأسه وأسنده على جدار عربة النقل وأغمض عينيه.

بعد حوالي عشر دقائق، اهتزّ القطار 9956 اهتزازاً عنيفاً امتدّ عبر كل العربات - عددها مئة. بدأت ساحة القطارات تتدحرج إلى خلف القطار، ببطء أولاً، ثم بسرعة متزايدة. خيم ظل برج إشارة على أرضية عربة النقل، ثم ظهر ظل آخر. ظل رجل. طار كيس ورقي مبقّع بالشحوم إلى داخل العربة وحط على أرضيتها.

لم ير ماتي بل سَمِعَهُ فقط: «حظاً سعيداً أيها الخارج عن القانون». ثم اختفى الظل.

زَحَفَ لُوكُ إلى خارج مخبئه بسرعة كبيرة لدرجة أنه طرَقَ جانب رأسه ذا الأذن السليمة بصندوق جَزَاةٍ عشب. لم يلاحظ حتى. فطوق النجاة في ذلك الكيس. يمكنه أن يشمِّ رائحته.

تَبَيَّنَ أن طوق النجاة عبارة عن بسكويت بالجبن والنقانق، وفطيرة فاكهة، وقارورة مياه معدنية. اضطر لُوكُ إلى استخدام كل قوة إرادته ليمنع نفسه من شرب كامل قارورة المياه سعة نصف لتر دفعة واحدة. تَرَكَ رُبْعَهَا، وضعها أرضاً، ثم رفعها مرة أخرى بسرعة وأحْكَمَ إغلاق السدادة. فقد شَعَرَ أنه إذا انعطفت القطار انعطافة مفاجئة وانسكَبَ الماء، سيفقد عقله. إزدرد بسكويت النقانق بخمس قضمات كبيرة وطاردها بجرعة ماء كبيرة أخرى. لَعَقَ الشحم عن راحة يده، ثم أخذ الماء والفطيرة وتسَلَّلَ عائداً إلى وكره. لأول مرة منذ أن ركب النهر في س.س.س. بوكي ورفع نظره ليتأمل النجوم، شَعَرَ أن حياته ربما تستحق العيش. ورغم أنه لم يكن ملتزماً دينياً، إلا أنه صلى، لكن ليس لأجل نفسه. صلى لأجل الرجل الذي دعاه خارجاً عن القانون ورمى له ذلك الكيس البتّي إلى عربة النقل.

24

بيطنه الممتلئ، شَعَرَ بالنعس مرة أخرى، لكنه أجبر نفسه على أن يبقى مستيقظاً.

سيتوقف القطار في جورجيا، ثم تامبا، ويُنتهي رحلته في ميامي، قال ماتي. إذا كان هناك أشخاص يبحثون عنك، فإنهم سيبحثون في كل تلك الأماكن. لكن المكان التالي الذي يتوقف فيه هو مجرد لطفة على الخريطة.

قد يكون هناك أشخاص يترقبونه حتى في بلدة صغيرة، لكن لم تكن لدى لُوكُ نيّة الذهاب إلى تامبا وميامي. للتوهان في مدينة كبيرة مغرباته، لكن المدن الكبيرة تضم الكثير من رجال الشرطة أيضاً، وكلهم الآن على الأرجح معهم صورة الفتى المشبوه بقتل والديه. بالإضافة إلى ذلك، أخبره المنطق أنه لا يمكنه الفرار إلى ما لا نهاية. عدم تسليم ماتي له كان ضربة حظ رائعة؛ ومن الغباء الاتكال على واحدة أخرى.

فكَّرَ لُوكُ أنه ربما لا تزال معه بطاقة رابحة في يده. سكين التقشير التي تَرَكَتها له مورين تحت فراشه اختفت في مكان ما على الطريق، لكن لا

يزال معه محرّك الأقراص الوامض. لم تكن لديه أي فكرة عن محتوياته، وكل ما يتوقعه هو ربما مجرد اعتراف غير مترابط بدافع الشعور بالذنب سيبدو هُراءً عن الطفل الذي تخلّت عنه. من جهة أخرى، قد يكون برهاناً. مستندات.

أخيراً بدأ القطار يتباطأ مرة أخرى. ذهب لوك إلى الباب، تمسّك به ليحافظ على توازنه، ومالَ إلى الخارج. رأى الكثير من الأشجار، ثم طريقاً أسفلتياً ذا ممرين، ثم الجهات الخلفية لمنازل وأبنية. مرّ القطار بإشارة: صفراء. هذا قد يكون الاقتراب من اللطخة التي أخّره عنها ماتي؛ وقد يكون مجرد تباطؤ بينما ينتظر قطاره أن يُخلي قطاراً آخر السكّة في مكان ما أمامهم. قد يكون هذا أفضل له في الواقع، لأنه إذا كان هناك عمُّ قلقٌ ينتظره في المحطة التالية، فسيكون في المستودع. يمكنه أن يرى على مسافة أمام القطار مستودعات ذات سقوف معدنية متألّقة. وما وراء المستودعات هناك الطريق ذو الممرين، وما وراءه المزيد من الأشجار.

مهمتك، أخّبر نفسه، هي النزول من هذا القطار والذهاب نحو تلك الأشجار بأسرع ما يمكنك. وتذكر أن تقفز إلى الأرض وأنت تركض لكي لا تقع على وجهك في الرماد.

بدأ يتمايل ذهاباً وإياباً وهو لا يزال يتمسّك بالباب ويبرّم شفّيته في إيماءة تركيز. إنها المحطة التي أخّره عنها ماتي، لأنه يمكنه الآن رؤية غرفتها أمامه. لقد طلي على سقفها دوپراي الجنوبية والغربية على لوح خشبي أخضر باهت.

عليّ النزول الآن، فكّر لوك في سرّه. لا أريد على الإطلاق لقاء أي أعمام.

«واحد...»

تمايل إلى الأمام.

«اثنان...»

تمايل إلى الخلف.

«ثلاثة!»

قفز لوك. بدأ يركض في الهواء، لكنه ارتطم بالرماد الذي بجانب السكّة وجسمه يسير بسرعة القطار، والتي كانت لا تزال أسرع قليلاً مما تستطيع رجلاه حمله. مالَ النصف العلوي لجسمه إلى الأمام، ومع مدّه ذراعيه خلفه

فَفي محاولة منه ليحافظ على توازنه، بدأ مثل متزلّج سباقات سرعة يقترب من خط النهاية.

اللحظة التي بدأ يظنّ فيها أنه قد يتمالك نفسه قبل أن يسقط منبطحاً، صرخ أحدهم، «احترس!».

رفع رأسه ورأى رجلاً على رافعة شوكية في منتصف الطريق بين المستودعات والمحطة. كان هناك رجل آخر ينهض عن كرسي هزاز في ظل سقف المحطة والمجلة التي يقرأها لا تزال في يده. صرخ هذا الرجل، «انتبه من العمود!».

رأى لوك عمود الإشارة الثاني، وكان هذا يومض بالأحمر، بشكل متأخر جداً ليتمكن من إبطاء سرعته. أدار رأسه غريزياً وحاول أن يرفع ذراعه، لكنه ارتطم بالعمود الفولاذي بسرعة الركض القصوى قبل أن يتمكن من رفعها إلى حدّها الأقصى. اصطدمت الجهة اليمنى لوجهه بالعمود، وتلقت أذنه السيئة الوطأة الكبرى من اللطمة. ارتدّ إلى الخلف، وسقط على الرماد، وتدحرج بعيداً عن السكة. لم يُغمى عليه، لكنه فقد فورية الوعي بينما لاحت السماء بعيداً، لاحت إلى الخلف، ثم لاحت إلى الأمام مرة أخرى. شَعَرَ بالدفء يسيل على خده وعرف أن جرح أذنه فُتح مرة أخرى - أذنه المسكينة المظلومة. راح صوت داخلي يصرخ به لكي ينهض، لكي يركض نحو الغابة، لكن السمع والإصغاء أمران مختلفان. عندما حاول الوقوف على قدميه، لم ينجح في ذلك.

فشلت خطتي، فكّر في سرّه. تباً. يا لي من فاشل.

ثم أصبح الرجل من الرافعة الشوكية يقف فوقه. من حيث كان لوك ممدّداً، بدأ طوله حوالي خمسة أمتار. التقطت عدسات نظاراته الشمس، مما جعل من المستحيل رؤية عينيه. «يا للهول يا ولد، ماذا كنت تحاول أن تفعل؟».

«أحاول الهرب». لم يكن لوك متأكداً أنه يتكلّم في الواقع، لكنه ظنّ أنه تكلم على الأرجح. «لا أستطيع تركهم يقبضون عليّ، رجاءً لا تدعهم يقبضون عليّ».

انحنى الرجل. «توقف عن محاولة التكلّم، لا يمكنني فهمك على أي حال. لقد تلقيت ضربة عنيفة من ذلك العمود، وأنت تنزف مثل خروف مذبوح. حرّك لي رجلك».

فعل لوك ذلك.

«الآن حرّك ذراعيك».

رفعهما لوك.

انضم رَجُل الكرسى الهزاز إلى رَجُل الرافعة الشوكية. حاول لوك استخدام قدرته تخ المكتسبة حديثاً ليقراً أفكار أحدهما أو كليهما، ليعرف ما الذي يعرفانه. لم يحصل على شيء؛ عندما وصل الأمر إلى قراءة الأفكار، كان المدّ قد زال حالياً. كل ما يعرفه هو أن الضربة العنيفة التي تلقاها طيّرت ال تخ من رأسه.

«هل هو بخير يا تيم؟».

«أعتقد ذلك. آمل ذلك. يقول بروتوكول الإسعافات الأولية عدم تحريك المصاب برأسه، لكنني سأجازف».

«مَن منكما يُفترض به أن يكون عمّي؟»، سأل لوك. «أو كلاهما معاً؟».

عبّس رجل الكرسى الهزاز. «هل يمكنك أن تفهم ما الذي يقوله؟».

«لا. سأضعه في غرفة السيد جاكسون الخلفية».

«سأمسكه برجليه».

بدا لوك يستعيد وعيه الآن. كانت أذنه تساعد في هذا الأمر في الواقع. شَعَرَ كما لو أنها أرادت أن تحفر في رأسه وربما تختبئ هناك.

«لا، يمكنني حمله»، قال رجل الرافعة الشوكية. «ليس ثقيلًا. أريدك أن تتصل بالطبيب روير وتطلب منه أن يقوم بزيارة منزلية».

«أو بالأحرى زيارة مستودعية»، قال رَجُل الكرسى الهزاز وضحك كاشفاً الأوتاد المصقّرة لأسنانه.

«أيّاً يكن. اذهب وافعل ذلك. استخدم هاتف المحطة».

«حاضر سيدي». قدّم رَجُل الكرسى الهزاز تحيةً اعتباطيةً لرجل الرافعة الشوكية وابتعد. رفع رَجُل الرافعة الشوكية لوك.

«أنزِلني»، قال لوك. «يمكنني أن أسير».

«حقاً؟ دعنا نراك تفعل ذلك».

تمايل لوك على قدميه للحظة، ثم استعاد توازنه.

«ما اسمك يا بُني؟».

فكّر لوك قليلاً غير متأكد أنه أراد الكشف عن اسمه عندما لم يعرف إن كان هذا الرجل عمّاً أم لا. بدا موثقاً... لكن كذلك بدا زيكي في المعهد، عندما كان في أحد مزاجياته الجيدة النادرة.

«ما إسمك؟»، ردّ سائلاً.

«تيم جايميسون. هيا دعنا نُبعدك عن الشمس على الأقل.».

25

نوربرت هولистер، مالك نُزُلٍ بالٍ بقي قادراً على مواصلة فتح أبوابه للزبائن بفضل راتبه الشهري كمندوبٍ للمعهد فحسب، استخدم هاتف المحطة ليتصل بالطبيب روپر، لكنه استخدم هاتفه الخلوي أولاً ليتصل بالرقم الذي تلقاه في ساعات الصباح الباكرة، وقد أغضبه لإيقاظه من نومه. لكنه شَعَرَ بالبهجة الآن.

«ذلك الولد»، قال. «إنه هنا.».

«لحظة»، قال آندي فيلوز. «سأحوّلك.».

ساد صمت موجز ثم قال صوت آخر، «هل أنت هولистер؟ في دوپراي، كارولينا الجنوبية؟».

«نعم. ذلك الولد الذي تبحثون عنه قفز للتو من قطار شحن. أذنه ممزّقة. هل لا تزال هناك مكافأة للعثور عليه؟».

«نعم. وستكون أكبر إذا تأكدت من بقائه في البلدة.».

ضحك نوربرت. «آه، أعتقد أنه سيبقى هنا. لقد ارتطم بعمود إشارة وهذا جعله ساذجاً.».

«لا تدعه يغيب عن ناظرك»، قال ستاكهاوس. «أريدك أن تتصل كل ساعة. مفهوم؟».

«مثل تحديثٍ بالمستجدات.».

«نعم، مثل هذا. سنهتم بالباقي».

الجحيم هنا

1

قاد تيم الولد المملَّح بالدم، الذي لا يزال مصاباً بدُّوار واضح لكنه قادر على السير لوحده، إلى مكتب كريغ جاكسون. يعيش مالك مخزن ومستودع دويراي في بلدة دانيغ القرية، لكنه مطلق منذ خمس سنوات، والغرفة الفسيحة المكيفة خلف المكتب تخدم كمسكن إضافي. جاكسون غير موجود هناك الآن، وهذا لم يفاجئ تيم؛ ففي الأيام التي يتوقف فيها القطار 9956 بدلاً من مواصلة سيره، يميل كريغ إلى جعل نفسه غير مرئي.

وراء المطبخ الصغير وجهازه المايكروويف ولوح تسخينه ومغسلته الصغيرة جداً، هناك حجرة جلوس تتألف من كرسي مريح مزروع أمام تلفزيون عالي الدقة. وما وراء ذلك، صور كبيرة قديمة من مجلتي بلايبوي وبتهاوس معلقة فوق سرير نقال مرتَّب بشكل أنيق. كانت فكرة تيم أن يجعل الولد يستلقي عليه إلى أن يأتي الطبيب روير، لكن الفتى هزَّ رأسه.

«الكرسي».

«هل أنت متأكد؟».

«نعم».

جلس الولد. أصدرت الوسادة صوت زفير مُتعب. ركع تيم على رُكبته.
«الآن ما رأيك بإعطائي إسماً؟».

نظرَ إليه الولد بارتياح. كان النزيف قد توقَّف، لكن خدَّه مغطى بدم متخثر، ومنظر أذنه اليمنى الممزَّقة مرعبٌ. «هل كنتَ تنتظرني؟».

«أنتظر القطار. أعمل هنا كل صباح. وتطول فترة عملي عندما يكون الـ 9956 آتياً. الآن ما اسمك؟».

«مَن كان الرجل الآخر؟».

«لا مزيد من الأسئلة إلى أن أحصل على إسم».

فكَّر الولد بالمسألة، ثم لَعَق شفتيه وقال، «أنا نيك. نيك ويلهولم».

«حسناً يا نيك». شكَّل تيم علامة سلام. «كم إصبعاً ترى؟».

«اثنان».

«الآن؟».

«ثلاثة. الرجل الآخر، هل قال إنه عمِّي؟».

عيسَ تيم. «إنه نوربرت هولистер. يملك التُّرل المحلي. إذا كان عمُّ أي شخص فأنا لا أعرف عن ذلك». رَفَع تيم إصبعاً واحداً. «اتبعه. دعني أراك تحرِّك عينيك».

تَبِعَت عينا نيكي إصبعه يميناً ويساراً، ثم إلى الأعلى والأسفل.

«أظن أنك لست متضرباً بشكل سيئ جداً»، قال تيم. «يمكننا أن نأمل ذلك على أي حال. مما تهرب يا نيك؟».

بدا الولد قلقاً وحاول النهوض عن الكرسي. «مَن أخبرك ذلك؟».

دَفَعَه تيم إلى الخلف بلطف. «لا أحد. الأمر ببساطة أنه كلما رأيتُ ولداً يرتدي ملابس قذرة ممزَّقة وأذن ممزَّقة يقفز من قطار، أقوم بالافتراض الجامح أنه هارب. الآن مَن -»

«عما كان كل ذلك الصراخ؟ لقد سمعتُ... يا إلهي، ماذا حصل لهذا الفتى؟».

استدار تيم ورأى آني لودو البتيمة. لا بدُّ أنها كانت في خيمتها خلف المستودع. غالباً ما تذهب إلى هناك لتأخذ قيلولته الظهيرة. رغم أن ميزان الحرارة خارج المحطة سجَّل ثلاثين درجة عند العاشرة ذلك الصباح، إلا أن آني ترتدي ما اعتقده تيم أنه طقمها المكسيكي الكامل: شال سيرابي، قبعة سومبريرو، أساور خردة، وجزمة راعي بقر مُنقَّدة مفتوحة درزاتها.

«هذا نيك ويلهولم»، قال تيم. «إنه يزور قريتنا الجميلة من مكان مجهول. قفز من آل 9956 وارتطم بكل قوته بعمود إشارة. نيك، هذه آني

لودُو».

«سُررْتُ جدًّا بِلِقائك»، قال لُوك.

«شكرًا يا بُنيّ، وأنا أيضًا. هل عمود الإشارة هو الذي مَرَّق نصف أذنه يا تيم؟».

«لا أظنُّ ذلك»، قال تيم. «كنتُ آمل سماع هذه القصة».

«هل كنتِ تنتظرين قدوم القطار؟»، سألتها الفتى. بدا مركزًا على هذه النقطة. ربما لأنه تلقى ضربة عنيفة، وربما لسبب آخر.

«لا أنتظر شيئًا سوى عودة الحكيم العظيم»، قالت آني. ألقت نظرة سريعة حولها. «لدى السيد جاكسون صور بذئبة على جداره. لا يمكنني القول إنني متفاجئة».

في تلك اللحظة دخلَ الغرفة رجلٌ زيتوني البشرة يرتدي رداءً سرواليًّا فوق قميص أبيض وربطة عنق داكنة، وهناك قبعة موظف سكك حديدية جاثمة على رأسه. «مرحبا هيكتور»، قال تيم.

«مرحبا»، قال هيكتور. ألقي نظرة سريعة على الفتى الدموي الجالس على كرسي كريغ جاكسون المريح دون أن يُبدي اهتمامًا كبيرًا، ثم أعاد انتباهه إلى تيم. «أخبرني مساعدي أن معي مولدين لك، ومجموعة جرّارات مَرجة وهكذا أمور، وحوالي طن من البضائع المعلّبة، وطن آخر من المحاصيل الطازجة. لقد تأخرتُ يا عزيزي تيمي، وإذا لم تفرِّغ حمولتي، يمكنك إرسال أسطول الشاحنات الذي لا تملكه هذه البلدة لتأخذ بضائعك من برانزويك».

نهض تيم. «آني، هل يمكنك أن تبقي بصحبة هذا الشابِّ إلى أن يصل الطبيب؟ يجب أن أذهب لأشغل الرافعة الشوكية لبعض الوقت».

«يمكنني تدبير هذا. إذا غضب، سأضع شيئًا في فمه».

«لن أغضب»، قال الفتى.

«هذا ما يقوله كلهم»، ردّت آني بنبرة حاسمة، بنبرة غامضة إلى حد ما.

«بُنيّ»، قال هيكتور، «هل كنتِ تختبئ في قطاري؟».

«نعم سيدي. آسف».

«حسناً، بما أنك نزلت منه الآن فلم يعد الشأن شأنِي. ستتعاطى الشرطة معك، أظن. تيم، أرى أن لديك قضية هنا، لكن البضائع لن تنتظر، لذا هيا ساعدني. أين طاقمك اللعين؟ لم أر سوى رجل واحد، وهو في المكتب يتكلم على الهاتف».

«إنه هوليبستر من الثُّرُل المحلي، ولا يمكنني رؤيته يفرِّغ أي شيء. ما عدا ربما محتوى أحشائه، في الصباح الباكر».

«هذا مُقرف»، قالت آني اليتيمة، رغم أنها ربما قصدت الصور المعلَّقة التي كانت لا تزال تدرسها.

«يُفترَض أن يكون فتياً ييمان هنا، لكن يبدو أن ذينك التافهين تأخرا. مثلك».

«يا للهول». خلع هيكتور قبعته ومَرَّ يده في شعره الأسود الكثيف. «أكره هذه الرحلات الكثيرة المحطات. جرى التفريغ ببطء في ويلمنغتون أيضاً. فقد علقت سيارة لكزس لعينة على إحدى الناقلات. حسناً، دعنا نرى ماذا يمكننا أن نفعل».

تبع تيم هيكتور إلى الباب، ثم عاد. «إسمك ليس نيك، أليس كذلك؟».

فكَّر الفتى ثم قال، «سيفي بالعرض في الوقت الحاضر».

«لا تدعيه يتحرَّك»، قال تيم لآني. «إذا حاول، اصرخي لي». ثم قال للفتى الدموي، الذي بدا صغيراً جداً ومُنهكاً جداً: «سنناقش هذا عندما أعود. هل هذا مقبول لك؟».

فكَّر الولد بالمسألة ثم أعطى إيماءة مُتعبة. «أظنه مقبول».

2

عندما ذهب الرجال، وجَدت آني اليتيمة خرقتين نظيفتين في سلة تحت المغسلة. بعد تبليهما بماء بارد، عَصَّرت إحداهما كثيراً والأخرى قليلاً. سلمته الخِرقة المعصورة كثيراً. «ضع هذه على أذنك».

فعل لوك ذلك. لسعته. استخدمت الأخرى لتنظف الدم عن وجهه، وهي تعمل بدمائه ذكرته بأمه. توقفت آني عما تفعله وسألته - بدمائه أيضاً - لماذا يبكي.

«أفتقد أمي».

«آه، أنا أكيدة أنها تفتقدك أيضاً».

«ليس إلا إذا كان الوعي يستمر بطريقة أو بأخرى بعد الموت. أرغب بتصديق ذلك، لكن الدليل المبني على التجارب يوحي عكس ذلك».

«يستمر؟ آه، بالتأكيد يستمر». ذهبت آني إلى المغسلة وبدأت تشطف الدم عن الخرقه التي كانت تستخدمها. «يقول البعض إن الأرواح الراحلة لا تهتم بما يجري على الكرة الأرضية، تماماً مثلما لا نهتم نحن بما يجري مع النمل في قري النمل، لكنني لم أعُد واحدة من أولئك الناس الآن. أظن أنهم يهتمون. يؤسفني أنها تُوقيت يا بُني».

«هل تعتقدين أن حبهم يستمر؟». يعرف أن الفكرة ساذجة، لكنها ساذجة جيدة.

«بالتأكيد. الحب لا يموت عند موت الجسم الأرضي يا بُني. إنها فكرة مضحكة بكل معنى الكلمة. منذ متى تُوقيت؟».

«ربما شهر، ربما ستة أسابيع. أنا متأكد أنني فقَدْتُ الإحساس بالوقت. لقد قُتلا، وخُطفْتُ. أعرف أنه من الصعب تصديق هذا -»

شرعت آني تعمل على بقية الدم. «ليس صعباً إذا كنتَ مطلعاً على معلومات سرية». طرقت على صدغها تحت حافة قبعتها السومبريرو. «هل جاءوا في سيارات سوداء؟».

«لا أعرف»، قال لوك، «لكنني لن أتفاجأ من ذلك».

«وهل كانوا يُجرون اختبارات عليك؟».

فغر فم لوك. «كيف عرفت ذلك؟».

«جورج أولمان»، قالت. «يتحدّث على إذاعة WMDK من منتصف الليل حتى الرابعة فجراً. يدور برنامجه حول الأرواح البديلة والصحون الطائرة والقدرات النفسانية».

«القدرات النفسانية؟ حقاً؟».

«نعم، والمؤامرة. هل تعرف عن المؤامرة يا بُني؟».

«نوعاً ما»، قال لوك.

«برنامج جورج أولمان يدعى الدخلاء. يتصل به الناس، لكنه هو المتكلم
أغلب مدة البرنامج. لا يقول إنهم كائنات فضائية أو الحكومة، أو أن الحكومة
تتعاون مع الكائنات الفضائية، إنه حذر لأنه لا يريد أن يختفي أو يتلقى طلقة
نارية مثل جاك وبوبي، لكنه يتكلم عن السيارات السوداء طوال الوقت،
والاختبارات. أشياء ستجعل شعرك يبيض. هل تعرف أن ابن سام كان ذا روح
بديلة؟ لا؟ حسناً، كان كذلك. ثم عادت الروح الشريرة التي كانت داخله
وخرجت منه ولم تترك خلفها إلا صدفة فارغة. ارفع رأسك يا بُني، هناك دم
على كل عنقك، وإذا جف قبل أن أصل إليه، سأصبح مضطرة إلى فركه.»

3

وصل فتياً بيّمان، وهما مراهقان ضخمان من باحة المقطورات جنوبي
البلدة، عند الثانية عشرة والرّبع ظهراً، وهي عادة ساعة غداء تيم. وقتها كان
معظم موظفي فرومي لبيع وإصلاح المحرّكات الصغيرة على الأسمنت
المكسور لمدّرج المحطة. لو كان الأمر متروكاً لتيم، لطرد فتّي بيّمان في
الحال، لكنهما من أنسباء السيد جاكسون بطريقة جنوبية معقّدة، لذا لم يكن
ذلك خياراً ممكناً. كما أنه بحاجة إليهما.

أرجع ديل بيّمان الشاحنة الكبيرة ذات الأوتاد الجانبية إلى باب عربة
نقل محاصيل كارولينا عند الثانية عشرة والنصف، وبدأ تحميل أقفاص الخس
والطماطم والخيار وقرع الصيف. هيكتور ومساعداه، غير المهتمّين بالخضار
الطازجة بل فقط بمغادرة كارولينا الجنوبية، ساعداهما. وقّف نورب هولистер
في ظل شرفة المستودع يراقب بعض المراقبة الحثيثة لكن لا شيء آخر. وجد
تيم أن استمرار حضور الرجل مسألة غريبة - لم يُد أي اهتمام بوصول
القطارات ورحيلها من قبل - لكنه كان مشغولاً جداً ليفكر بالأمر ملياً.

دخلت سيارة فورد ستايشن قديمة إلى مرأب السيارات الصغير
للمحطة عند الواحدة قبل عشر دقائق بينما كان تيم يحمّل بالرافعة الشوكية
أقفاص المحصول الأخيرة إلى الجهة الخلفية للشاحنة التي ستأخذها إلى بقالة
دويراي... بافتراض أن فيل بيّمان سيوصلها إلى هناك بخير. المسافة حوالي
كيلومتر، لكن لسان فيل ثقيل هذا الصباح وعيناه حمراوان مثل عيني حيوان
صغير يحاول الفرار من حريق في الغابة. لا يتطلب الأمر شيرلوك هولمز
لاستنتاج أنه كان منغمساً ببعض التدخين المشين. هو وأخوه.

خَرَجَ الطيب روبر من سيارته الستايشن. لَوَّحَ له تيم بيده وأشار إلى المستودع حيث يوجد مكتب/شقة السيد جاكسون. لَوَّحَ له روبر بدوره وتوجَّه في ذلك الاتجاه. كان غير مجارٍ للعصر، ويكاد يكون رسماً كاريكاتورياً؛ من صنف الأطباء الذي لا يزال صامداً في ألف منطقة ريفية رديئة حيث أقرب مستشفى يبُعد حوالي ستين أو ثمانين كيلومتراً، وحيث يُنظر إلى أوباماكير كما لو أنه تجديف شخص لبرالي غبي، وحيث الرحلة إلى وولمارت تُعتبر مناسبةً. روبر، البدين جداً وسنّه يفوق الستين سنة، متخسِّع متشدّد يحمل معه كتاب الحكمة القديمة دائماً إلى جانب السماعة الطبية في حقيبة سوداء بقي الأب يورثها إلى ابنه لثلاثة أجيال.

«ما بال هذا الولد؟» سأل مساعِد سائق القطار وهو يستخدم رباط رأس ليمسح جبهته.

«لا أعرف»، قال تيم، «لكنني أنوي أن أعرف. هيا يا شباب، أسرعاً واذهبا. إلا إذا كنت تريد أن تترك لي إحدى سيارات لكزس تلك يا هيكتور. يسرّني أن أنزلها عن العربة بنفسي في تلك الحالة».

«تشوبا مي بولاً»، قال هيكتور. ثم صاَح تيم وتوجَّه عائداً إلى محرّكه، على أمل تعويض الوقت بين دوپراي وبرانزويك.

4

كان ستاكهاوس ينوي مرافقة فريقَي الاستخراج على متن طائرة التشالينجر، لكن السيدة سيغسبي نقضت قراره. يمكنها أن تفعل ذلك لأنها المديرة. ومع ذلك فإن تعبير الضيق على وجه ستاكهاوس من هذه الفكرة لامس حدود الإهانة.

«امسح هذه النظرة عن وجهك»، قالت. «رأس من سيطير برأيك إذا فشلت هذه العملية؟».

«رأسانا معاً، ولن يقتصر الأمر على ذلك».

«نعم، لكن رأس من سيطير أولاً ويتدحرج إلى مسافة أبعد؟».

«جوليا، هذه عملية ميدانية، ولم تنزلي إلى الميدان أبداً من قبل».

«سيكون فريقا الياقوت والأوپال معي، أربعة رجال جيدون وثلاث نساء قويات. سيكون معنا أيضاً طوني فيزالي، وهو مارينز سابق، والطبيب إيفانز

ووايونا بريغز. إنها جنديّة سابقة في الجيش، ولديها بعض المهارات في فرز المصّابين. سيتولى دينيه وويليامز المسؤولية بعدما تبدأ العملية، لكنني أنوي أن أكون هناك، وأنوي كتابة تقريرٍ من منظور الميدان». سكتت قليلاً. «إذا كانت هناك حاجة إلى تقرير طبعاً، وقد بدأتُ أصدّق أنه لن يكون هناك مجال لتجنّبهِ». أَلقت نظرة سريعة على ساعتها. الثانية عشرة والنصف. «كفى مناقشة. نحتاج إلى بدء العملية. تولى إدارة هذا المكان، وإذا سار كل شيء على ما يرام، سأعود إلى هنا عند الثانية فجر الغد».

رافقها عبر الباب ونزولاً إلى الطريق الترابي المسوّر الذي يؤدّي في النهاية إلى الطريق الأسفلتي ذي الممرين الذي يبعد خمسة كيلومترات شرقاً. إنه يوم حار والجداجد تَغني في الغابة الكثيفة التي وجد الولد اللعين طريقه عبرها بشكل أو بآخر. هناك شاحنة فورد ويندستار تتكاسل أمام البوابة، وروبن لكس خلف مقودها وميشيل روبيرتسون تجلس بجانبها. المرأتان ترتديان سروال جينز وقميصاً تائياً أسود.

«من هنا إلى پَرسك آيل»، قالت السيدة سيغسبي. «تسعون دقيقة. ومن پَرسك آيل إلى إيرِي، بنسلفانيا، سبعون دقيقة أخرى. نأخذ معنا فريق الأوپال من هناك. ومن إيرِي إلى ألكولو، كارولينا الجنوبية، حوالي ساعتين. إذا سار كل شيء على ما يرام، سنصل دويراي عند الساعة هذا المساء».

«ابقى على اتصال، وتذكّر أن ويليامز هو المسؤول بعدما تبدأ العملية. وليس أنت».

«سأفعل».

«جوليا، أعتقد أن هذا خطأ حقاً. أنا من يجب أن يذهب».

واجهته. «قل هذا مرة أخرى، وسأبعدك عن الأحداث». سارت إلى الشاحنة. فتح لها دينيه وويليامز الباب الجانبي. بدأت السيدة سيغسبي تركب الشاحنة، ثم استدارت إلى ستاكهاوس. «وتأكد أن يُغطس آيفيري ديكسون جيداً وأن يُرسَل إلى النصف الخلفي قبل أن أعود».

«دونكي كونغ لا يحبّ هذه الفكرة».

ابتسمت له ابتسامة مُرعبة. «هل أبدو أنني أهتمّ لرأيه؟».

راقب تيم القطار ينطلق، ثم عاد إلى ظل شرفة المستودع وقميصه مبلل بالعرق تماماً. تفاجأ من رؤية نوربرت هولистер لا يزال واقفاً هناك. كان يرتدي كالعادة سترته اليازلي وسرواله الكاكي اللون القذر، والذي شدّه اليوم بحزام مَجْدول تحت عظمة قَصّه مباشرة. تساءل تيم (وليس لأول مرة) كيف يمكنه ارتداء البنطلون بهذا الارتفاع وعدم هرس خصيته.

«ماذا تفعل هنا حتى الآن يا نوربرت؟».

هَرَّ هولистер كتفيه وابتسم كاشفاً عن أسنان كان تيم بغنى عن رؤيتها قبل الغداء. «أمّر الوقت فحسب. فترات بعد الظهر غير مزدحمة تماماً في المزرعة القديمة».

كما لو أن فترات الصباح أو المساء مزدحمة، فكّر تيم في سرّه. «حسناً، لما لا تغرب عن وجهي؟».

سحب نوربرت كيبس تبغ للمضغ من جيبه الخلفي وحشا بعضه في فمه. هذا يفسّر لون أسنانه، فكر تيم في سرّه. «مَن مات ونصّبك المسؤول هنا؟».

«أظن أن ذلك بدا طلباً»، قال تيم. «لم يكن طلباً. اذهب».

«حسناً، حسناً، يمكنني أن أفهم التلميح. أتمنى لك يوماً جيداً أيها القارع الليلي».

ابتعد نوربرت متمهلاً. بقي تيم يراقبه عابساً. كان يرى هولистер في مطعم بَثْ أحياناً، أو في بقالة زوني، يشتري فولاً سودانياً محمّصاً أو بيضة مسلوقة من المرطبان الذي على المنضدة، لكنه نادراً ما يغادر مكتب نُزله، حيث يشاهد المباريات الرياضية والأفلام الإباحية على فضائيات تلفزيونه الذي يعمل خلافاً للتلفزيونات التي في عرّفه.

كانت أني اليتيمة تنتظر تيم في المكتب الخارجي للسيد جاكسون وهي تجلس خلف المكتب وتتصفح الأوراق في سلة واردات/صادرات جاكسون.

«لا شأن لك بهذا يا أني»، قال تيم بلطف. «وإذا أفسدتني هذه الأمور، أنا مَن سيكون في ورطة».

«لا شيء مثير للاهتمام، على أي حال»، قالت. «مجرد فواتير ومواعيد وما شابه. رغم أن لديه بطاقة مُثَقِّبة لوجبات الطعام في ذلك المقهى ذي الصدور العارية في هارديفيل. ثقبان إضافيان وسيحصل على غداء مجاني من المقصف. رغم أن تناول الغداء أثناء النظر إلى تديي امرأة... مُقرفي».

لم يفكر تيم بالمسألة بهذه الطريقة أبداً، والآن وقد فكر بها هكذا، تمنى لو أنه لم يفعل ذلك. «الطبيب في الداخل مع الولد؟».

«أجل. أوقفنا النزيف، لكن عليه إطالة شعره من الآن وصاعداً لأن تلك الأذن لن تبدو طبيعية أبداً. اسمعني الآن. لقد قُتل والدا الفتى ثم حُطف».

«جزء من المؤامرة؟». لقد أجرى واني عدة نقاشات عن المؤامرة خلال جولات قرعه الليلي.

«هذا صحيح. أتوا إليه في سيارات سوداء، صدق ذلك، وإذا تعقبوه إلى هنا، سيأتون إلى هنا من أجله».

«علم»، قال، «وسأؤكد من مناقشة الأمر مع المأمور جون. شكراً لتنظيفه ومراقبته، لكنني أعتقد أنه من الأفضل أن تذهبي الآن».

نهضت ونفصت شالها السيرابي. «نعم، أخير المأمور جون. يجب أن تكونوا متيقظين كلكم. الأرجح أنهم سيأتون مدججين بالأسلحة. هناك بلدة في ماين تدعى جيروزاليم لوت، ويمكنك أن تسأل الأشخاص الذين عاشوا فيها عن الرجال في السيارات السوداء. هذا إن كنت تستطيع إيجاد أحد أولئك الأشخاص. فقد اختفوا كلهم منذ أربعين سنة أو أكثر. يتكلم جورج أولمان عن تلك البلدة طوال الوقت».

«فهمت».

ذهبت إلى الباب وشالها السيرابي يحفّ عليها، ثم استدارت. «أنت لا تصدقني، ولست متفاجئة أبداً. لماذا ساكون متفاجئة؟ لقد بقيت مخبولة البلدة منذ سنوات قبل أن تأتي، وإذا لم تأخذني السماوات، سأبقى مخبولة البلدة لسنوات بعد أن ترحل».

«آني، أنا لم -»

«اسكت». حدّقت به بشراسة من تحت قبعتها السومبريرو. «لا بأس. لكن انتبه الآن. إنني أخيرك... لكنه أخبرني. ذلك الفتى. لذا أصبحنا اثنين، حسناً؟ وتذكر ما قلته لك. يأتون في سيارات سوداء».

كان الطبيب روبر يعيد أدوات الفحص القليلة التي استخدمها إلى حقيته، والفتى لا يزال جالساً على كرسي السيد جاكسون المريح. لقد نُظف الدم عن وجهه وتم تضميد أذنه. بدأت رضة جيدة تتشكل على الجهة اليمنى لوجهه جزاء جداله مع عمود الإشارة، لكن عينيه صافيتان ويقظتان. وجد الطبيب قارورة مشروب غازي بطعم الزنجبيل في البراد الصغير، وكان الفتى يقضي عليها سريعاً.

«استرح أيها الشاب»، قال روبر. أغلق حقيته وسار إلى تيم الذي كان يقف عند باب المكتب الخارجي.

«هل هو بخير؟»، سأل تيم بصوتٍ منخفضٍ.

«يعاني جسمه من الجفاف، وهو جائع، لم يأكل الكثير منذ بعض الوقت، لكن ما عدا ذلك يبدو لي بخير. الأولاد في عمره يتعافون من حالات أسوأ من هذه. يقول إنه في الثانية عشرة، وأنه يدعى نيك ويلهولم، وأنه ركب ذلك القطار من محطة انطلاقه في ماين الشمالية. سألتُه ماذا كان يفعل هناك، وقال إنه لا يمكنه إخبارني. سألتُه عن عنوانه، وقال إنه لا يتذكره. هذا معقول، بما أن ضربة قوية على الرأس يمكن أن تسبب ارتباكاً مؤقتاً وتشوش الذاكرة، لكن لديّ خبرة كبيرة في هذا، ويمكنني تمييز الفرق بين فقدان الذاكرة وبين التكم، خاصة لدى ولد. إنه يُخفي شيئاً. ربما الكثير.»

«حسناً.»

«نصحتني؟ عده أن تُطعمه وجبةً كبيرةً في المقهى، وستحصل على كل القصة.»

«شكراً أيها الطبيب. أرسل لي الفاتورة.»

لوّح له روبر بيده. «ادعني إلى وجبة طعام كبيرة في مكان ما أفخر من بّف، وسنعتبر أننا تعادلنا». ولكنها الطبيب الجنوبية الثقيلة، خرجت منه كلمة تعادلنا تعودلنا. «وعندما تحصل على قصته، أريد سماعها.»

بعدما رحل، أغلق تيم الباب لكي يبقى لوحده مع الفتى، وأخرج هاتفه الخلوي من جيبه. اتصل بالمعاون بيل ويكلو الذي يُفترض به أن يستلم وظيفة القارع الليلي بعد احتفال الشتاء. راقبه الفتى عن كثب وهو يُنهي آخر قطرات شرابه البارد.

«بيل؟ معك تيم. نعم، بخير. أتساءل فقط إن كنت تريد بروفة صغيرة على وظيفة القارع الليلي هذه الليلة. أنا أنام في هذا الوقت عادة، لكن حصل شيء في ساحة القطارات». أنصت. «ممتاز. أدين لك بخدمة. سأترك لك ساعة الدوام في المخفر. لا تنس أن عليك تعبئتها. وشكراً».

أنهى المكالمة ودّرس الفتى. الرضوض على وجهه سنّزهر، ثم تتلاشى بعد أسبوع أو أسبوعين. أما النظرة في عينيه فقد تستغرق وقتاً أطول. «هل تشعر بتحسّن؟ هل بدأ الصّداع يزول؟».

«نعم سيدي».

«لا داعي أن تنادينني سيدي، يمكنك أن تنادينني تيم. الآن ماذا أناديك؟ ما إسمك الحقيقي؟».

بعد ترّدّد قصير، أخبره لوك.

7

كان النفق المضاء بشكل سيئ بين النصف الأمامي والنصف الخلفي قارساً، وبدأ آيفيري يرتعش فوراً. لا يزال يرتدي نفس الملابس التي كان يرتديها عندما جرّ زيكي وكارلوس جسمه الصغير الفاقد الوعي إلى خارج خيّان الغمر، وكانت مبللة بالكامل. بدأت أسنانه تصطك. ومع ذلك تمسّك بما تعلمه. هذا مهم. كل شيء مهم الآن.

«توقف عما تفعله بأسنانك»، قالت غلاديس. «الصوت مثير للإشمئزاز». كانت تدفعه على كرسي ذي عجلات وقد اختفت ابتسامتها بالكامل. لقد انتشر الآن في كل مكان خبر ما فعله هذا الحقير الصغير، ومثل كل موظفي المعهد الآخرين، كانت مرتعبة وستبقى هكذا إلى أن يُعاد لوك إليس بالقوة ويمكنهم جميعاً تنفّس الصعداء.

«لا يمكننني منننن نفسي»، قال آيفيري. «أشعر بالبرررد الشديد».

«هل تعتقد أنني أكثرث؟». ترّدّد صدى صوت غلاديس المرتفع عن الجدران المبلطة. «هل لديك أي فكرة ما الذي فعلته؟ هل لديك أي فكرة؟».

كانت لدى آيفيري فكرة. في الواقع، لديه عدة أفكار، بعضها أفكار غلاديس (خوفها يشبه جرذاً يركض على عجلة في وسط ذهنها)، وبعضها أفكاره هو.

بعدها اجتازا الباب المعلم الموظفين المرخصون فقط، أصبح الجو أكثر دفئاً قليلاً، وفي غرفة الاستراحة الرثة حيث تنتظرهما الطبيبة جايمس (معطف مختبرها الأبيض مزّور بشكل خاطئ، وشعرها منفوش، وهناك ابتسامة بلهاء كبيرة على وجهها)، الجو أكثر دفئاً أيضاً.

تباطأ ارتعاش آيفيري، ثم توقّف، لكن أضواء شتازي الملوّنة عادت. لا بأس بهذا، لأنه يمكنه جعلها تزول متى يشاء. كاد زيكي يقتله في ذلك الخزان، في الواقع اعتقد آيفيري قبل أن يُغمى عليه أنه مات، لكن الخزان فعل له شيئاً أيضاً. فهم أنه فعل بعض الأشياء لبعض الأولاد الآخرين الذين دخلوه، لكنه اعتقد أن هذا الشيء أكثر من مجرد ذلك. تع وكذلك تخ أيضاً هو أقل ما يمكن. كانت غلاديس مرتعبة مما قد يحصل بسبب لوك، لكن خطرت فكرة ببال آيفيري أنه هو، آيفيري، يستطيع جعلها مُرتعبة منه إن أراد ذلك.

لكن هذا ليس الوقت المناسب.

«مرحبا أيها الفتى!»، صاحت الطبيبة جايمس. بدا صوتها مثل سياسي في إعلان تلفزيوني، وكانت أفكارها تتطاير في الأجواء مثل قصاصات ورقية في رياح عاتية.

هناك خطبٌ حقيقيٌ فيها، فكّر آيفيري في سرّه. هذا يشبه التسمّم الإشعاعي، لكن في دماغها وليس في عظامها.

«مرحبا»، قال آيفيري.

ألقت الطبيبة جكل رأسها إلى الخلف وضجكت كما لو أن كلمة مرحبا هي الجملة التشويقية في أطرف نكته سمعتها في حياتها. «لم نكن نتوقعك بهذه السرعة، لكن أهلاً بك، أهلاً بك! بعض أصدقائك هنا!».

أعرف، فكّر آيفيري في سرّه، ويكاد ينفد صبري لرؤيتهم. وأعتقد أنهم سيفرحون برؤيتي.

«لكننا نحتاج أولاً إلى إخراجك من هذه الملابس الرطبة». رمقت غلاديس بنظرة عتاب، لكن غلاديس كانت مشغولة بحك ذراعها محاولة التخلص من الأزيز الممتد فوق بشرتها (أو تحتها مباشرة). حظاً سعيداً في ذلك، فكّر آيفيري في سرّه. «سأطلب من هنري أن يأخذك إلى غرفتك. لدينا ممّرضون لطيفون هنا. هل يمكنك أن تسير دون مساعدة؟».

«نعم».

ضحكت الطيبة جَكل مرة أخرى، مُلقيةً رأسها إلى الخلف ومُطلقةً العنان لحنجرتها. نهض آيفيري عن الكرسي ذي العجلات، ورمق غلاديس بنظرة فاحصة طويلة. توقفت عن الحك وأصبحت هي الآن من يرتعش. ليس لأن ملابسها رطبة، وليس لأنها تشعر بالبرد. بل بسببه هو. لقد شَعرت به، ولم يعجبها ذلك.

لكنه أعجب آيفيري. هذا جميلٌ نوعاً ما.

8

بسبب عدم وجود كرسي آخر في غرفة جلوس السيد جاكسون، أحصر تيم كرسيًا من المكتب الخارجي. فكر بوضعه أمام الفتى، ثم قرّر أن هذا سيُشعر الفتى كما لو أنه في غرفة استجواب الشرطة. وضعه بجانب الكرسي المريح الذي يجلس عليه الفتى، على غرار الطريقة التي يجلس بها الأصدقاء، ربما لمشاهدة برنامج تلفزيوني مفصّل. إلا أن شاشة السيد جاكسون المسطحة كانت فارغة.

«الآن يا لوك»، قال. «وفقاً لآني فقد حُطفت، لكن آني ليست دائماً... دعنا نقول على السكة الصحيحة بالكامل.»

«إنها على السكة الصحيحة بشأن ذلك»، قال لوك.

«حسناً. من أين حُطفت؟»

«مينيابوليس. أفقدوني وعيي. وقتلوا والدَيَّ». رَحَلق يده على عينيه.

«أخذك أولئك الخاطفون من مينيابوليس إلى ماين. كيف فعلوا ذلك؟»

«لا أعرف. كنتُ فاقِد الوعي. على الأرجح في طائرة. أنا من مينيابوليس حقاً. يمكنك التحقق من ذلك، كل ما عليك فعله هو الاتصال بمدرستي. إنها تدعى مدرسة برودريك للأولاد الاستثنائيين.»

«أفترض أن هذا سيجعلك ولدًا ذكياً.»

«آه، بالتأكيد»، قال لوك دون افتخار في صوته. «أنا ولد ذكي. والآن أنا ولد جائع جداً. لم أكل شيئاً منذ يومين سوى بسكويت بالنقانق وفطيرة فاكهة. أعتقد يومين. لقد فُقدتُ الإحساس بالوقت نوعاً ما. أعطاني إياها رجل يدعى ماتي.»

«لا شيء آخر؟».

«قطعة من كعكة دونات»، قال لوك. «لم تكن كبيرة جداً».

«يا للهول، دعنا نُحضر لك شيئاً لتأكله».

«نعم»، قال لوك ثم أضاف، «رجاءً».

أخرج تيم هاتفه الخلوي من جيبه. «ويندي؟ معك تيم. أتساءل إن كنت تستطيعين أن تعلمي لي معروفاً».

9

غرفة آيفيري في النصف الخلفي جرداء. السرير سرير نقال بدائي. ولا توجد مُلصقات إعلانية لمحطة نيكولوديون على الجدران، ولا دمي شخصيات مغامرة على المكتب ليلعب بها. لم يمانع آيفيري ذلك. صحيح أنه في العاشرة فقط، لكن عليه أن ينضج ويصبح راشداً الآن، والراشدون لا يلعبون بالجنود الألعاب.

ما عدا أنه لا يمكنني أن أفعل ذلك لوحدي، فكّر في سرّه.

تذكّر احتفال الشتاء في السنة الماضية. يؤلمه تذكّر ذلك، لكنه تذكّر على أي حال. لقد تلقى قلعة الليغو التي طلبها، لكن عندما نُشرت القطع أمامهم، لم يعرف كيف ينتقل من تلك البعثرة إلى القلعة الجميلة المعروضة على العلبة، بأبراجها وبواباتها وجسرها المتحرّك الذي يصعد وينزل. لذا بدأ يبكي. عندها ركع أبوه (الميت الآن، إنه متأكد من ذلك) بجانبه وقال، سننتج التعليمات ونُنجز هذا معاً. خطوة واحدة تلو الأخرى. وفعلاً ذلك. بقيت القلعة على مكتبه في غرفته ودمى الشخصيات المغامرة تحميها، والقلعة هي أحد الأشياء التي لم يتمكنوا من تكرارها عندما استيقظ في النصف الأمامي.

ها هو ممدّد الآن على السرير النقال في هذه الغرفة القاحلة، مرتدياً ملابس جافة، ويفكّر كم بدت القلعة جميلة عندما انتهيا من تركيبها. ويشعر بالهمهمة. إنها متواصلة هنا في النصف الخلفي. صاحبة في العُرف، صاحبة أكثر في الأروقة، وأكثر صحباً ما وراء الكافيتيريا، حيث يؤدي بابٌ ذو قفل مزدوج بعد غرفة استراحة الممرّضين إلى النصف الخلفي للنصف الخلفي. سمّى الممرّضون في أغلب الأحيان ذلك الجزء منتزه اللادماغيين، لأن الأولاد الذين يعيشون هناك (إذا كنت تستطيع تسمية ذلك عيشاً) موتى دماغياً.

مهمهمون. لكنهم مفيدون، افتراض آيفيري. على غرار فائدة المغلف الذي يأتي فيه لوح شوكولا هيرشي، إلى أن تنظفه بلسانك كليا. عندها يمكنك رميه.

للأبواب هنا أقفال. ركز آيفيري محاولاً فتح قفل بابه، رغم معرفته أنه لا يوجد أي مكان ليذهب إليه ما عدا الرواق بسجاده الزرقاء، لكنه اختار مثير للاهتمام. يمكنه الشعور بالقفل يحاول أن يفتح، لكنه لم يفلح في ذلك. تساءل إن كان جورج آيلز سيفلح في ذلك، لأن جورج كان تع-إيجابياً قوياً من البداية. شعر آيفيري أنه يستطيع فعل ذلك مع بعض المساعدة. تذكر مرة أخرى ما قاله أبوه: سنجز هذا معاً. خطوة واحدة تلو الأخرى.

عند الساعة الخامسة، فتح الباب وأطلّ الوجه المكشّر لممرض يرتدي الأحمر. لا يضعون بطاقات أسماء هنا، لكن آيفيري لم يحتج إلى بطاقة إسم. هذا جاكوب، المعروف بين زملائه بجايك الأفعى، جندي سابق في البحرية. حاولت أن تنضم إلى فرقة العمليات الخاصة في البحرية، فكر آيفيري في سرّه، لكنك لم تنجح. لقد طردوك. أعتقد ربما أنه راق لك إيذاء الناس كثيراً.

«العشاء»، قال جايك الأفعى. «إذا كنت تريد أن تأكل، هيا قُم. وإلا سأقفل عليك إلى أن يحين وقت الفيلم.»

«أريد.»

«حسناً. هل تحب الأفلام يا صغير؟»

«نعم»، قال آيفيري وفكر، لكنني لن أحب أفلامكم. فهي تقتل أشخاصاً.

«ستحب أفلامنا»، قال جايك. «هناك دائماً حلقة رسوم متحركة قبلها. الكافيتيريا هناك على يسارك. وتوقف عن التسكع». ضربه جايك ضربة عنيفة على مؤخرته ليجعله يتحرك.

في الكافيتيريا - وهي غرفة كئيبة مطلية بنفس الأخضر الداكن مثل رواق المساكن في النصف الأمامي - جلس حوالي اثني عشر ولداً يأكلون ما شمه آيفيري أنه يخنة لحم بقر دينتي مور. كانت أمه تُعدّ هذا الطبق مرتين في الأسبوع على الأقل، لأن أخته الصغيرة تحبه. إنها ميتة أيضاً على الأرجح. بدا معظم الأولاد أشبه بزومبيين، وهناك الكثير من سيلان اللعاب. رأى فتاة تدخن سيجارة وهي تأكل. بينما كان آيفيري يراقبها، نفضت الرماد في طبقها، ثم نظرت حولها بعينين فارغتين، وعادت تأكل منه مرة أخرى.

شَعَرَ بكاليشا حتى في النفق والآن رآها جالسة إلى طاولة بالقرب من
الجهة الخلفية. اضطر إلى كبح رغبته العارمة بأن يركض إليها ويرمي ذراعيه
حول عنقها. هذا سيلفت الانتباه، ولم يرد آيفيري ذلك. على العكس تماماً.
كانت هيلين سيمز تجلس بجانب شا، واضعةً يديها يترهل على طرفي طبقها،
ومركزةً عينيها على السقف. شعرها الذي كان ملوّنًا بجنون عندما ظهرت في
النصف الأمامي، أصبح باهتاً وشديد الرطوبة الآن، ويتدلّى حول وجهها - وجهها
النحيل أكثر بكثير - في كتّلات. كانت كاليشا تُطعمها، أو تحاول ذلك.

«ها يا هيل، ها». وضعت شا ملعقة يخنة في فم هيلين. عندما حاولت
كتلة بيّنة من اللحم السري الخروج فوق شفة هيلين السفلى، استخدمت شا
الملعقة لتعيد دفعها إلى الداخل. بلعت هيلين هذه المرة، وابتسمت شا. «هذا
صحيح، جيد».

شا، فكر آيفيري في سرّه. يا كاليشا.

نظرت حولها جافلةً، رأتها، وابتسمت ابتسامة عريضة.

أفِستِر!

سال لعاب من صلصة مرق اللحم البيّنة على ذقن هيلين. نيكي،
الجالس بجانبها عليّ الجهة الأخرى، استخدم منديلاً ورقياً ليمسحها عنها. ثم
رأى آيفيري هو أيضاً، ابتسم، ورفع له الإبهام علامة الرضى. جورج، الجالس
مقابل نيكي مباشرة، استدار.

«آه، انظروا إلى هذا، إنه أفِستِر»، قال جورج. «اعتقدت شا أنك قد
تأتي. مرحباً بك في منزلنا السعيد أيها البطل الصغير».

«إذا كنت ستأكل، أحضر طبقاً»، قالت عجوزة ذات وجه صارم. إسمها
كورين، عَرَفَ آيفيري، وتحبّ الصفع. الصفع يُشعرها بشعور جيد. «عليّ
التوقف باكراً، بما أنها ليلة فيلم».

أحضر آيفيري طبقاً وعَرَفَ بعض اليخنة. نعم، إنها يخنة دينتي مُور. وصّع
قطعة خبز أبيض إسفنجي فوقها، ثم أخذ وجبة طعامه إلى أصدقائه وجلس.
ابتسمت له شا. صداعها سيئ اليوم، لكنها ابتسمت على أي حال، وهذا جعله
يرغب بأن يضحك ويبكي في آن معاً.

«كُل يا صديقي»، قال نيكي، رغم أنه لم يكن يعمل بهذه النصيحة
شخصياً؛ فطبقه لا يزال ممتلئاً في أغلبه. عيناه مُحْتَقِنَتان بالدم، وكان يفرك

صدغه الأيسر. «أعرف أنه يشبه الإسهال، لكنك لا تريد الذهاب إلى السينما بمعدة فارغة».

هل قبضوا على لوك؟، أرسلت شا.

لا. كلهم مرتعبون بالكامل.

جيد. جيد!

هل ستلقى حُقناً مؤلمةً قبل الفيلم؟

لا أعتقد هذه الليلة، فهذا الفيلم لا يزال جديداً، لم نشاهده إلا مرة واحدة فقط.

كان جورج ينظر إليهما بعينين حكيمتين. لقد سمع. كان يا ما كان في قديم النصف الأمامي، كان جورج أيلز تع فقط، لكنه شيء أكثر الآن. هذا ما حصل معهم كلهم. فالنصف الخلفي يزيد المهارة التي لديك، لكن بفضل خزان الغمر، لا أحد منهم كان مثل آيفيري. فهو يعرف أموراً. الاختبارات في النصف الأمامي، مثلاً. الكثير منها مشاريع جانبية للطبيب هندريكس، لكن الحُقن مسائل عملانية. بعضها مُجَدَّات، ولم يتلقَ آيفيري منها. بل ذهب إلى خزان الغمر مباشرة، حيث أخذ إلى عتبة الموت أو ربما حتى اجتازها، وبالنتيجة أصبح قادراً على رؤية أضواء شتازي متى شاء تقريباً. لا يحتاج إلى الأفلام، ولا يحتاج إلى أن يكون جزءاً من التفكير الجماعي. توليد ذلك التفكير الجماعي هو المهمة الرئيسية للنصف الخلفي.

لكنه لا يزال في العاشرة فقط. وهذه مشكلة.

عندما بدأ يأكل، استطلع هيلين وسرَّ من اكتشاف أنها لا تزال هناك. هيلين تروق له. فهي ليست مثل تلك السافلة فريدا. لم يحتج إلى قراءة أفكار فريدا ليعرف أنها حَدَّته ليُخبرها بما يعرفه، ثم وشت به؛ ومَن غيرها فعل ذلك؟

هيلين؟

لا. لا تكلمني يا آيفيري. عليَّ أن...

اختفى الباقي، لكن آيفيري شَعَرَ أنه فهم. عليها أن تختبئ. هناك إسفنجة مليئة بالألم داخل رأسها، وهي تختبئ منها بقدر ما تستطيع. الاختباء من الألم حلٌ معقولٌ إلى حدِّ ما. المشكلة هي استمرار الإسفنجة بالانتفاخ.

ستواصل الانتفاخ إلى أن لا يعود هناك أي مكان للاختباء منها، وعندها ستهرسها على الجهة الخلفية لجمجمتها مثل ذبابة على جدار. وعندها ستنتهي. لن تكون هيلين، على الأقل.

سَبَرَ آيفيري ذهنها. هذا أسهل من محاولة فتح قفل باب غرفته، لأنه تخ قوي من البداية، ومسألة الـ تع جديدة عليه. إنه أخرق وعليه أن يكون حذراً. لا يمكنه إصلاحها، لكنه اعتقد أنه يمكنه تسكينها. حمايتها قليلاً. هذا سيكون جيداً لها، وجيداً لهم... لأنهم سيحتاجون إلى كل المساعدة التي يمكنهم الحصول عليها.

وجد إسفنجة الصداع في أعماق ذهن هيلين. أخبرها أن تتوقف عن الانتشار. أخبرها أن تزول. لم ترغب بذلك. دفعها. بدأت الأضواء الملوّنة تظهر أمامه، تتطاير ببطء مثل الكريما في القهوة. دفعها بقوة أكبر. الإسفنجة مرنة لكنها صارمة.

كاليشا. ساعديني.

بماذا؟ ماذا تفعل؟

أخبرها. دخلت، مترددة في البدء. دفعا معاً. تراخت إسفنجة الصداع قليلاً.

جورج، أرسل آيفيري. نيكي. ساعدانا.

كان نيكي قادراً على المساعدة قليلاً. بدا جورج مُحترراً في البدء، ثم انضم إليهم، لكنه تراجع مرة أخرى بعد لحظة. «لا أستطيع»، همس. «المكان مظلم».

لا تهتمّ بالظلمة! هذه كانت شا. أعتقد أنه يمكننا مساعدتها!

عاد جورج. بدا مُمانعاً، ولم يكن مفيداً كثيراً، لكنه معهم على الأقل.

إنها مجرد إسفنجة، أخبرهم آيفيري. لم يعد قادراً على رؤية طبق يخنته. فقد حلت محله نبضات دوامة أضواء شتازي. لا يمكنها أن تؤذيكم. ادفعوا! كلكم!

حاولوا، وحصل شيء. أخفضت هيلين نظرها عن السقف ونظرت إلى آيفيري.

«انظروا مَنْ هنا»، قالت بصوتٍ صديٍّ. «خَفَّ صُداعي قليلاً. الحمد لله». بدأت تأكل من تلقاء نفسها.

«يا للهول»، قال جورج. «هذا نتاجنا».

راح نيك يبتسم ورفع يده. «ضع كَفِّك في كَفِّي يا آيفيري».

جاراه آيفيري، لكن الشعور الجيد رحلَ مع النقاط. سيعود صُداع هيلين، وسيسوء كلما شاهدت الأفلام. ستشاهدها هيلين، وكذلك شا ونيكي. وسيشاهدها هو أيضاً. سينضموا كلهم في نهاية المطاف إلى المهمة المنبعثة من منتزه اللادماغيين.

لكن ربما... إذا كانوا كلهم معاً، في تفكير جماعي خاص بهم... وإذا كانت هناك طريقة لإقامة درع...

شا.

نظرت إليه. أنصتت. أنصتت نيكي وجورج أيضاً، على الأقل بأفضل ما يمكنهما. كان كما لو أنهما أصمّان جزئياً. لكن شا سمعت. أكلت لُقمة يخنة، ثم وضعت الملعقة من يدها وهزّت رأسها.

لا يمكننا الهروب يا آيفيري. إذا كان هذا ما تفكّر فيه، انسه.

أعرف ذلك. لكن علينا أن نفعل شيئاً. علينا أن نساعد لوك، وعلينا أن نساعد أنفسنا. أرى القِطع، لكنني لا أعرف كيفية تركيبها ببعضها. لا...

«لا تعرف كيفية بناء القلعة»، قال نيكي بصوتٍ منخفض متأمّلي. توقفت هيلين عن الأكل مرة أخرى، واستأثفت تفحص السقف. لقد عاودت إسفنجة الصُداع النمو فوراً، وراحت تتورّم مع التهامها ذهنها. ساعدها نيكي على أكل لُقمة أخرى.

«سجائر!»، صرّح أحد الممرّضين وهو يرفع علبة. يبدو أن السجائر مجانية هنا. وحتى يُشجّع عليها. «مَنْ يريد سيجارةً قبل العرض؟».

لا يمكننا الهروب، أرسل آيفيري، لذا ساعدوني على بناء قلعة. جدار. درع. قلعتنا. جدارنا. درعنا.

نقل نظره من شا إلى نيكي إلى جورج ثم إلى شا مرة أخرى، متضرّعاً لها أن تفهم. سطعت عيناها.

لقد فهمت، فكّر آيفيري في سرّه. الحمد لله، لقد فهمت.
بدأت تتكلّم، لكنها أغلقت فمها مرة أخرى عند مرور الممرّض - يدعى
كلينت - قريهم وهو يصيح «سجائر! من يريد سيجارةً قبل العرض؟».
بعدها رحل، قالت، «إذا كان لا يمكننا الهروب، علينا السيطرة على
المكان».

10

الموقف الجليدي الأصلي للمعاونة ويندي غوليکسون تجاه تيم تحسّن
بشكل كبير منذ موعدهما الأول في المطعم المكسيكي في هارديفيل. لقد
أصبحتا حبيبتين علنيتين الآن، وعندما دخلت غرفة السيد جاكسون الخلفية حاملةً
كيساً ورقياً كبيراً، قبّلتها على خدّه أولاً ثم بسرعة على فمه.

«هذه المعاونة غوليکسون»، قال تيم، «لكن يمكنك أن تناديها ويندي،
إذا كانت لا تمنع».

«لا أمانع»، قالت ويندي. «ما اسمك؟».

نظرت لوك إلى تيم، الذي أوماً له إيماءة بسيطة.

«لوك إليس».

«سُرت بلقائك يا لوك. لديك رصة قوبة على وجهك».

«نعم، سيدتي. ارتطمت بشيء».

«نعم، ويندي. والضمادة التي على أذنك؟ هل جرحت نفسك أيضاً؟».

هذا جعله يبتسم قليلاً، لأنها الحقيقة المرّة. «شيء من هذا القبيل».

«قال تيم إنك قد تكون جائعاً، لذا أحضرت لك بعض الطعام الجاهز من
المطعم في الشارع الرئيسي. معي كوكا كولا، دجاج، برغر، وبطاطا مقلية.
ماذا تريد؟».

«كله»، قال لوك، وهذا جعل ويندي وتيم يضحكان.

راقباه يأكل فخذَي دجاج، ثم همبرغر ومعظم البطاطا المقلية، وأخيراً كوباً كبيراً من الأرز بالحليب. وأكل تيم، الذي فاته غداؤه، بقية الدجاج وشرب عبوة كولا.

«بخير الآن؟»، سأله تيم بعدما اختفى الطعام.

بدلاً من أن يتكلّم، أجهش لُوك بالبكاء.

عانتقه ويندي ومسّدت له شعره، محرّرةً بعض التشابكات بأصابعها. عندما خفّت شهقات لُوك أخيراً، قرفص تيم بجانبه.

«آسف»، قال لُوك. «آسف، آسف، آسف».

«لا بأس. مسموح لك أن تبكي».

«بكيث لأنني شعرتُ أنني حيّ مرة أخرى. لا أعرف لماذا سيجعلني هذا أبكي، لكن هذا ما حصل».

«أعتقد أنه يسمّى ارتياحاً»، قالت ويندي.

«يدّعي لُوك أن والدَيه قُتلا ثم خُطف»، قال تيم. حملقت عينا ويندي.

«هذا ليس إدعاءً!»، قال لُوك وهو يجلس مقوّمًا ظهره على كرسي السيد جاكسون المريخ. «إنها الحقيقة!».

«خيار خاطئ للكلمة، ربما. دعنا نسمع قصتك يا لُوك».

فكّر لُوك بهذا ثم قال، «هلاً فعلت لي شيئاً أولاً؟».

«إذا كان بوسعي»، قال تيم.

«انظر إلى الخارج. شاهد إن كان ذلك الرجل الآخر لا يزال هناك».

«نوربرت هوليلستر؟»، ابتسم تيم. «أخبرته أن ينصرف حالاً. هو الآن في البقالة على الأرجح، يشتري تذاكر القرعة. إنه مُقتنع أنه سيصبح المليونير التالي في كارولينا الجنوبية».

«فقط تحقّق».

نظرَ تيم إلى ويندي، التي هزّت كتفها وقالت، «سأفعل ذلك».

عادت بعد دقيقة وهي عابسة. «في الواقع، إنه يجلس على كرسي هزاز هناك في المستودع. يقرأ مجلة».

«أعتقد أنه عمُّ»، قال لوك بصوتٍ منخفضٍ. «لديَّ أعمام في ريتشموند وويلمنغتون. وربما في ستربريدج أيضاً. لم أعرفَ أبداً أن لديَّ هذا العدد الكبير من الأعمام». ضحك. بدا صوته معدنياً.

نهض تيم وذهب إلى الباب في الوقت المناسب ليرى نوربرت هوليستر ينهض وابتعد متمهلاً في اتجاه نُزله البالي. لم يلتفت إلى الورااء. عاد تيم إلى لوك وويندي.

«لقد رحل يا بُني».

«ربما ليتصل بهم»، قال لوك. نكز عبوته الكولا الفارغة. «لن أدعهم يعيدون القبض عليّ. اعتقدتُ أنني سأموت هناك».

«أين؟»، سأل تيم.

«المعهد».

«أبدأ من البداية وأخبرنا كل شيء»، قالت ويندي.

فعل لوك ذلك.

11

عندما أنهى كلامه - استغرق حوالي نصف ساعة، واستهلك لوك عبوة كولا ثانية خلال ذلك - سادت لحظة صمت. ثم قال تيم بهدوء كبير، «هذا غير ممكن. أصلاً هذا العدد الكبير من عمليات الاختطاف كان ليلفت الأنظار».

هزت ويندي رأسها. «كنت شرطياً. يجب أن تكون أعقل من ذلك. أشارت دراسة صدرت منذ بضع سنوات إلى اختفاء أكثر من نصف مليون ولد كل سنة في الولايات المتحدة. رقم مذهل جداً، أليس كذلك؟».

«أعرف أن الأعداد مرتفعة، وقد تم التبليغ عن اختفاء حوالي خمسمئة ولد في مقاطعة ساراسوتا خلال آخر عام كنت فيه شرطياً هناك، لكن الأغلبية - الأغلبية الساحقة - أولادٌ يعودون من تلقاء أنفسهم». كان تيم يفكر بروبرت

ورولاند بيلسون، التوأمين اللذين رآهما في طريقهما إلى معرض دانيغ الزراعي في ساعات الصباح الأولى.

«هذا لا يزال يترك آلاف الأولاد»، قالت. «عشرات الآلاف».

«ووافق، لكن كم ولدًا منهم يختفي تاركًا وراءه والدين مقتولين؟».

«لا أدري. أشكُّ أن يكون أحدهم قد أجرى دراسةً على هذا». أعادت تركيز انتباهها على لوك، الذي كان يتابع محادثتهما بعينيه كما لو أنه يشاهد مباراة كرة مضرب، ويده في جيبه تلمس محرِّك الأقراص الإبهامي كما لو أنه تميمة جالبة للحظ.

«أحياناً»، قال، «يجعلون الأمر يبدو كأنه حادث».

ترأت لقيم صورة مفاجئة لهذا الفتى يعيش مع أني اليتيمة في خيمتها، وكلاهما يستمعان إلى ذلك المذيع المجنون في أواخر الليل على جهازها الراديو. يتكلم عن المؤامرة. يتكلم عن هم.

«تقول إنك قصصت شحمة أذنك لأنها كانت تتضمن جهاز تعقب»، قالت ويندي. «هل هذه الحقيقة فعلاً يا لوك؟».

«نعم».

بدت ويندي أنها لا تعرف كيف ستُكمل هذه المحادثة. والنظرة التي رمقت بها تيم قالت أكمل أنت.

رَفَع تيم عبوة كولا لُوك الفارغة ورمها في كيس الطعام الجاهز الذي لا يحتوي الآن إلا على المغلفات وعظام الدجاج. «إنك تتكلم عن منشأة سرية تدير برنامجاً سرياً بدأ على أرض الوطن منذ سنوات عديدة. أظن أن هذا ربما كان ممكناً في يوم من الأيام - نظرياً - لكن ليس في عصر الكمبيوتر. فأكبر أسرار الحكومة تُلقى على الانترنت من قبل تلك المؤسسة الضالة التي تدعى

«-

«ويكيليكس، أعرف عن ويكيليكس». بدا لوك قليل الصبر. «أعرف مدى صعوبة إخفاء الأسرار، وأعرف كم يبدو هذا ضرباً من الجنون. من جهة أخرى، كان لدى الألمان معسكرات اعتقال خلال الحرب العالمية الثانية تمكنوا فيها من قتل سبعة ملايين شخص».

«لكن الناس حول تلك المعسكرات كانوا يعرفون ما يحصل فيها»،
قالت ويندي. حاولت أن تمسك له يده.

أبعدَ لوك يده. «وأراهنك بمليون دولار أن الناس في دينيسون ريفر بند، وهي أقرب بلدة، يعرفون أن شيئاً ما يحصل هناك. شيء سيئ. ليس ماذا، لأنهم لا يريدون أن يعرفوا. ولماذا سيريدون؟ المنشأة تُبقي بلدتهم على قيد الحياة، كما أنه من سيصدّقهم على أي حال؟ لا يزال هناك أشخاص حتى يومنا هذا لا يصدّقون أن الألمان قتلوا كل أولئك الأشخاص. هذا يسمّى إنكاراً».

نعم، فكّر تيم في سرّه، الفتى ذكي. قصة تغطيته لما حصل له حقاً معتوهة، لكنه يملك طناً من الذكاء.

«أريد أن أتأكد من أنني فهمتُ هذا بشكل صحيح»، قالت ويندي بلطف. كلاهما يكلمانه بلطف. فهم لوك ذلك. لا يحتاج المرء إلى أن يكون أعجوبةً لعينيه لكي يعرف أن هذه هي الطريقة التي يكلم بها الناس شخصاً غير متوازن عقلياً. خاب أمله لكنه لم يتفاجأ. وماذا يمكن أن يتوقّع خلاف ذلك؟ «يجدون بطريقة أو بأخرى الأولاد المتخاطرين وما تسمّيه تحريك-لا أدري ماذا-»

«تحريك عقلي. تع. المواهب صغيرة عادة - حتى الأولاد الـتع-إيجابيون لا يملكون الكثير منها. لكن أطباء المعهد يجعلونهم أقوى. حُقن للنقاط، هذا ما يقولونه، ما نقوله كلنا، إلا أن النقاط هي في الواقع أضواء شتازي التي أخبرتكم عنها. الحُقن التي تُحضر الأضواء مُفترَض بها تعزيز ما لدينا. أعتقد أن بعض الحُقن الأخرى قد تكون لجعلنا ندوم لفترة أطول. أو...». هذا شيء خطر بياله للتو. «أو لمنعنا من الحصول على كمية كبيرة منه. والذي يمكن أن يجعلنا خطيرين عليهم».

«مثل التلقيحات؟»، سأل تيم.

«أظن أنه يمكنك قول ذلك، نعم».

«قبل أن تؤخّذ، كان يمكنك تحريك الأشياء بذهنك»، قال تيم بصوته اللطيف المخصّص للتكلم مع المجانين.

«أشياء صغيرة».

«ومنذ خبرة الاحتضار تلك في خزان الغمر، يمكنك قراءة الأفكار أيضاً».

«حتى قبلها. الخزان... عزّزها فحسب. لكنني لا أزال غير...»، ذلك الجهة الخلفية لعنقه. من الصعب عليه شرح ذلك، وصوتهما المنخفض والهادئ جداً يثير له أعصابه المتوترة من قبل. سيصبح قريباً مجنوناً مثلما اعتقدها. ومع ذلك، عليه أن يحاول. «لكنني لا أزال غير قوي جداً. لا أحد منا هكذا، ما عدا ربما أيفيري. إنه مدهش».

قال تيم، «دعني أتأكد أنني فهمتُ هذا بشكل صحيح. يخطفون الأولاد الذين لديهم قدرات نفسانية ضعيفة، يغدّونهم بمنشّطات ذهنية، ثم يجعلونهم يقتلون أشخاصاً. مثل ذلك السياسي الذي كان ينوي الترشّح للرئاسة. مارك بيركوفيتس».

«نعم».

«لماذا ليس بن لادن؟»، سألت ويندي. «كنتُ لأظن أنه سيكون هدفاً طبيعياً لهذا... لهذا الاغتيال الذهني».

«لا أعرف»، قال لوك. بدا منهكاً. وبدا أن الرصّة على خدّه تصبح ملوّنة أكثر كل دقيقة. «لا أدري كيف يختارون أهدافهم. تكلمتُ عن هذا ذات مرة مع صديقتي كاليشا. لم تكن لديها أي فكرة أيضاً».

«لماذا لا تستخدم هذه المنظمة السرية قتلةً مأجورين فحسب؟ ألن يكون ذلك أبسط؟».

«يبدو بسيطاً في الأفلام»، قال لوك. «أعتقد أن أغلبهم يفشلون في الحياة الحقيقية، أو يُقبَض عليهم. مثل الشباب الذين قتلوا بن لادن كاد يُقبَض عليهم».

«دعنا نُجري تجربة»، قال تيم. «إنني أفكّر برقم. أخبرني ما هو».

حاول لوك. ركّز وانتظر ظهور النقاط الملوّنة، لكنها لم تأتي. «لا أستطيع قراءته».

«حرّك شيئاً إذاً. أليست هذه موهبتك الأساسية، التي خطفوك من أجلها؟».

هزّت ويندي رأسها. تيم ليس متخاطراً، لكنه عَرَف بماذا كانت تفكّر: توقف عن مضايقته، إنه مضطرب ومشوّش وفي حالة فرار. لكن تيم شَعَرَ أنه إذا أمكنه اختراق قصة الولد السخيفة، ربما يمكنهم الوصول إلى شيء حقيقي واكتشاف إلى أين ينتقلون من هناك.

«ماذا عن كيس الطعام الجاهز؟ لا طعام فيه الآن، وزنه خفيف، يجب أن تكون قادراً على تحريكه».

نظرَ لوكٍ إليه مجعداً حاجبه بقوة أكبر. اعتقد تيم للحظة أنه شَعَرَ بشيء - همسة على بشرته، مثل نسيم خفيف - لكنه تلاشى ولم يتحرَّك الكيس. بالطبع لم يتحرَّك.

«حسناً»، قالت ويندي، «أعتقد أن هذا كافٍ لـ»

«أعرفك أنكما حبيبان»، قال لوك. «أعرف هذا القدر».

ابتسم تيم. «هذا ليس مؤثراً جداً يا صغيري. لقد رأيتها تقبِّلني عندما دخلت».

ركَّز لوك انتباهه على ويندي. «إنك ذاهبة في رحلة. لرؤية أختك، أليس كذلك؟».

حملت عيناها. «كيف -»

«لا تنخدعي بهذا»، قال تيم... لكن بليطف. «إنها خدعة الوسطاء القديمة - تكهن مبني على بعض المعلومات المؤكدة. رغم أنني سأقِرُّ أن الولد بارع فيها».

«ما هي المعلومات المؤكدة التي لديَّ عن أخت ويندي؟»، سأل لوك ولو دون أمل كبير. فقد لعب بطاقاته الواحدة تلو الأخرى، ولم تعد لديه الآن سوى بطاقة واحدة. وهو مُتعب جداً. كان النوم الذي حظي به على متن القطار خفيفاً ومسكوناً بأحلام مزعجة. أغلبها عن خزّان الغمر.

«عن إذنك دقيقة»، قال تيم. لم ينتظر رداً من لوك وأخذ ويندي إلى باب المكتب الخارجي. كلمها لفترة وجيزة. أومأت برأسها وغادرت الغرفة وهي تُخرج الهاتف من جيبها. عاد تيم. «أعتقد أنه من الأفضل أن نأخذك إلى المركز».

اعتقد لوك في البدء أنه يقصد محطة القطارات. لكي يضعه على متن قطار شحن آخر ولا يضطر هو وحبيبته إلى التعامل مع ولد هارب وقصته المجنونة. ثم أدرك أن تيم لم يكن يقصد ذلك النوع من المراكز.

آه، وما الضرر في ذلك؟ فكر لوك في سرّه. لطالما عرِفَتْ أن المطاف سينتهي بي في مخفرٍ في مكان ما. وربما المخفر الصغير أفضل من مخفر

كبير، حيث سيكون هناك مئة شخص مختلف - مُرتكبين - للتعامل معهم.

فقط اعتقدنا أنه مُصاب بجنون الارتياب فحسب بشأن ذلك الرجل هوليستر، وهذا ليس جيداً. عليه أن يأمل في الوقت الحاضر أنهما محققان، وأن هوليستر مجرد شخص عادي. إنهما محققان على الأرجح. ففي النهاية، لا يمكن أن يكون للمعهد رجالٌ في كل مكان، أليس كذلك؟

«حسناً، لكنني أحتاج أولاً إلى أن أُخبرك شيئاً وأريك شيئاً».

«تفضّل»، قال تيم. مال إلى الأمام ونظر إلى وجه لوك باهتمام. ربما كان فقط يساير الولد المجنون، لكنه على الأقل يستمع إليه، وافترض لوك أن هذا أفضل ما يمكنه أن يتوقعه في الوقت الحاضر.

«إذا عرّفوا أنني هنا، سيأتون من أجلي. ومعهم مسدّسات على الأرجح. لأنهم خائفون جداً من أن يصدّقني أحدهم».

«عُلم»، قال تيم، «لكن لدينا قوة شرطة صغيرة جيدة جداً هنا يا لوك. أعتقد أنك بأمان».

ليست لديك أي فكرة ماذا قد ينتظرك، فكّر لوك في سرّه، لكن لا يمكنه محاولة إقناع هذا الرجل الآن. فهو مُنهك جداً فحسب. عادت ويندي وأومات لتيم. كان لوك مُتعباً جداً لكي يهتم بذلك أيضاً.

«المرأة التي ساعدتني على الهروب من المعهد أعطتني غرضين. أحدهما سكين استخدمته لقطع جزء أذني الذي فيه المتعقب. والآخر هو هذا». أخرج محرّك الأقراص الوامض من جيبه. «لا أعرف ماذا فيه، لكنني أعتقد أن عليك النظر إليه قبل أن تفعل أي شيء آخر».

سلّمه إلى تيم.

12

نال مقيموا النصف الخلفي - أي النصف الأمامي للنصف الخلفي؛ الثمانية عشرة الباقون حالياً في منتزه اللدماغيين يهتمون خلف أبوابهم المُقفلة - عشرين دقيقة استراحة قبل أن يبدأ الفيلم. سار جيمي كولوم كالزومبي برأسه المتألم إلى غرفته؛ وجلس هال ودونا ولن في الكافيتيريا، وراح الفتيان يحدّقان بحلوياتهما نصف المأكولة (بودينغ الشوكولا هذه الليلة)،

وراحت دونا تنظر إلى سيجارة محترقة من غير لهب بدت أنها نسيت كيف تدخنها.

ذهبت كاليشا ونيك وجورج وآيفيري وهيلين إلى غرفة الاستراحة بأثاثها البشع المشتري من متجر توفير وشاشتها المسطحة القديمة التي تعرض فقط برامج كوميديا موقف ما قبل التاريخ مثل مفتون والأيام السعيدة. وجدوا كاي تي غيفنز هناك. لم تستدر لتنظر إليهم، بل استمرت تنظر إلى التلفزيون الفارغ حالياً. لدهشة كاليشا، انضمت إليهم آيريس التي بدت أفضل مما كانت عليه منذ أيام. أكثر إشراقاً.

كانت كاليشا تفكر ملياً، ويمكنها أن تفعل ذلك لأنها شَعرت بتحسّن مما كانت عليه منذ أيام. فما فعلوه لصداع هيلين - آيفيري، في الأغلب، لكنهم كلهم ساعدوه - أفادها. الشيء نفسه يصحّ على نيكي وجورج. يمكنها رؤية ذلك.

السيطرة على المكان.

فكرة جريئة وشهية، لكن برزت أسئلة فوراً. أوضحها هو كيف يُفترض بهم فعل ذلك، خاصة أنه يوجد اثنا عشر ممراضاً مناوباً على الأقل - ويكون عددهم أكبر دائماً في أيام الفيلم. والسؤال الثاني هو لماذا لم يفكروا بهذا أبداً من قبل.

أنا فكّرتُ فيه، أخبرها نيكي... وهل صوته الذهني أقوى؟ اعتقدت ذلك، وفكّرت أن آيفيري ربما يكون قد لعب جزءاً في ذلك أيضاً. لأنه أقوى الآن. فكّرتُ فيه عندما أحضروني إلى هنا.

هذا أقصى ما يستطيع نيكي إخبارها إياه ذهنياً، لذا وصّع فمه على أذنها وهمس الباقي. «كنتُ الوحيد الذي حارب دائماً، هل تتذكرين؟».

هذا صحيح. نيكي بعينه السوداوين. نيكي بغمه المرضوض.

«لسنا أقوياء كفاية»، همس. «حتى هنا، حتى بعد الأضواء، لدينا طاقات صغيرة فقط».

في غضون ذلك، كان آيفيري ينظر إلى كاليشا بأمل يائس. كان يفكر في ذهنها، لكنه بالكاد احتاج إلى فعل ذلك. فقد قالت عيناه كل شيء. إليك القطع يا شا. أنا متأكد تماماً أن كلها هنا. ساعدوني على تركيبها ببعضها. ساعدوني على بناء القلعة حيث يمكننا أن نكون بأمان، لبعض الوقت على الأقل.

تذكّرت شا الورقة اللاصقة القديمة الباهتة لهيلاري كلينتون على مخفّف الصدمات الخلفي لسيارة أمها السوبارو. كانت تقول سوباً أقوى، وبالطبع هكذا تنجح الأمور هنا في النصف الخلفي. لهذا السبب يشاهدون الأفلام معاً. لهذا السبب يمكنهم اجتياز آلاف الكيلومترات، وأحياناً حتى الاجتياز إلى النصف الآخر للعالم، إلى الأشخاص الذين يظهرون في الأفلام. إذا استطاع خمستهم (أو ستتهم، إذا تمكّنوا من العمل على صُداع إيريس مثلما عملوا على صُداع هيلين) إنشاء تلك القوة الذهنية المتحدة، نوعٌ من مزيج ذهن فولكان، ألا يجب أن يكون ذلك كافياً للتمرّد والسيطرة على النصف الخلفي؟

«إنها فكرة رائعة، لكنني لا أظن ذلك»، قال جورج. أمسك يدها ووضعت عليها قليلاً. «قد تتمكن من العبث بأذهانهم قليلاً، وربما إخافتهم كثيراً، لكن معهم عُصي الصعق تلك، وحالما يصعقون واحداً أو اثنين منا، سينتهي كل شيء».

لم ترغب كاليشا أن تُقرّ بذلك، لكنها أخبرته أنه محقّ على الأرجح.

آيفيري: خطوة واحدة تلو الأخرى.

قالت إيريس، «لا يمكنني سماع ما تفكّرون فيه. أعرف أنكم تفكّرون في شيء، لكن رأسي لا يزال يؤلمني كثيراً».

آيفيري: دعونا نرى ماذا يمكننا أن نفعل لها. كلنا معاً.

نظّرت كاليشا إلى نيك، الذي أوماً برأسه. وإلى جورج، الذي هزّ كتفيه وأوماً برأسه أيضاً.

قادهم آيفيري إلى ذهن إيريس ستانهوب مثل مستكشف يقود فريقه إلى داخل كهف. الإسفنجة التي في ذهنها كبيرة جداً. رآها آيفيري بلون الدم، لذا رآوها كلهم بهذه الطريقة. وزرّعوا أنفسهم حولها وبدأوا يدفعون. تراخت قليلاً... وقليلاً أيضاً... لكنها توقّفت عندها وراحت تقاوم جهودهم. تراجع جورج أولاً، ثم هيلين (التي لم تكن تساهم كثيراً على أي حال)، ثم نيك وكاليشا. تراجع آيفيري أخيراً، موجّهاً ركلةً ذهنيةً مشاكسةً إلى إسفنجة الصُداع.

«هل تشعرين بأي تحسّن يا إيريس؟»، سألت كاليشا دون أمل كبير.

«أي تحسّن؟»، قالت كايتي غيشنز وقد انضمت إليهم.

«صُداعي»، قالت إيريس. «نعم قليلاً، على أي حال». ابتسمت لكايتي، وللحظة عادت الفتاة التي فازت بمسابقة تهجئة أيلين لتكون في الغرفة.

أعادت كايتي تركيز انتباهها على التلفزيون. «أين ريتشي كاينغهام وفونز؟»، سألت وبدأت تفرك صدغيها. «أتمنى لو أن صداعي أفضل فهو يؤلمني كثيراً».

هل ترون المشكلة؟، فكر جورج للآخرين.

كاليشا تراها. كانوا أقوى سوياً، نعم، لكنهم لا يزالون غير أقوياء كفاية، على غرار هيلاري كلينتون عندما ترشّحت للرئاسة منذ بضع سنوات. لأن الرجل المرشّح ضدها، وداعموه، كان يملك المرادف السياسي لُعصي صَعق الممرّضين.

«لكنه أفادني»، قالت هيلين. «صداعي زال تقريباً. إنها أشبه بأعجوبة».

«لا تقلقي»، قال نيكي. نبرته المهزومة أخافت كاليشا. «سيعود».

كورين، الممرّضة التي تحبّ أن تصفع، دخلت الغرفة واضعةً يدها على عصا الصّعق التي في قرابها، كما لو أنها شَعرت بشيء. لقد شَعرت بشيء على الأرجح، فكرت كاليشا في سرّها، لكنها لا تعرف ما هو.

«وقت الفيلم»، قالت. «هيا يا صغار، تحرّكوا بسرعة».

13

هناك ممرّضان، جايك وفيل (المعروفان على التوالي بالأفعى والحبّة)، يقفان خارج الأبواب المفتوحة لصالة العرض، وكل واحد منهما يمسك سلة. مع دخول الأولاد، كل واحد معه سجائر وعيدان ثقاب (الولاعات غير مسموحة في النصف الخلفي) رماها في السلّتين. يمكنهم استعادتها عندما ينتهي الفيلم... إذا تذكروا أخذها، طبعاً. جلس هال ودونا وكن في الصف الخلفي، وراحوا يحدّق بالشاشة الفارغة بعينين فارغتين. جلّست كايتي غيغنز في صف وسطي بجانب جيمي كولوم، الذي كان ينظف أنفه بإصبعه يوهن.

وجلّست كاليشا ونيك وجورج وهيلين وآيريس وآيفيري في الأمام.

«أهلاً بكم في أمسية أخرى زاخرة بالمتعة»، قال نيكي بصوت مُذيع صاخب. «الفيلم الرئيسي لهذه السنة فاز بجائزة الأوسكار في فئة أحقر وثائقي -»

صَفَّه فيل الحَبَّة على مؤخرة رأسه. «اصمت أيها الحقير واستمتع بالعرض».

انسحب. أطفئت الأضواء، وظَهَرَ الطبيب هندريكس على الشاشة. مجرد رؤية المُشْرِّرة غير المُشْعَلَة في يده جَعَلَتْ فم كاليشا يجفُّ.

هناك شيء فاتها. قطعةٌ حيويةٌ في قلعة آيفيري. لكنها ليست مفقودة؛ لم تكن تراها فحسب.

سويًا أقوى، لكننا لسنا أقوياء كفاية. حتى ولو كان معنا أولئك المساكين الموتى دماغياً تقريباً أمثال جيمي وهال ودونا، لن نكون أقوياء كفاية. لكن يمكننا أن نكون كذلك. في الليالي عندما تكون المُشْرِّرة مُشْعَلَة، نكون أقوياء. عندما تكون المُشْرِّرة مُشْعَلَة، نكون مدمِّرين، لذا ما الذي يفوتني؟

«مرحباً أيها الفتيان والفتيات»، كان الطبيب هندريكس يقول، «وشكراً لمساعدتنا! دعونا نبدأ ببعض الضحكات، اتفقنا؟ وسأراكم لاحقاً». هزَّ المُشْرِّرة غير المُشْعَلَة وعمَرَ في الواقع. هذا جَعَلَ كاليشا ترغب أن تتقيأ.

إذا كان يمكننا بلوغ الطرف الآخر من العالم، لماذا لا يمكننا إذاً -

كادت تُدرك ذلك للحظة، لكن عندها صرخت كايبي صرخةً صاخبةً، ليس من الألم أو الحزن بل من الفرح. «رود رانر! إنه الأفضل!». بدأت تغني بصوتٍ عالي الطبقة بصورة مُصطنعة راح يحفر في دماغ كاليشا. «رود رانر، رود رانر، القيُّوط يطاردك! رود رانر، رود رانر، إذا قبضَ عليك سيُقضَى عليك!». «

«اصمتي يا كايبي»، قال جورج بغير قسوة، وعندما بدأ رود رانر يركض بسرعة فائقة على الطريق الصحراوي المهجور، وراح القيُّوط ينظر إليه ويرى عشاء احتفال الشُّكر، شَعَرَت كاليشا أن الشيء الذي كادت تدركه طار منها.

عندما انتهت حلقة الرسوم المتحركة وهُزِمَ القيُّوط مرة أخرى، ظهر رجل على الشاشة يرتدي بذلةً ويحمل ميكروفوناً في يده. اعتقدت كاليشا أنه رجل أعمال، وربما كان كذلك، نوعاً ما، لكن ذلك لم يكن السبب الرئيسي لشهرته. كان واعظاً في الواقع، لأنه عندما تراجعت عدسة الكاميرا استطاعت أن ترى نُصباً شعائرياً كبيراً خلفه مُحاطاً بأضواء نيون حمراء، وعندما بدأت الكاميرا تجول في الأرجاء استطاعت رؤية حلبة، أو ربما كان ملعباً رياضياً، مليئةً بالآلاف الأشخاص. نهضوا عن كراسيهم، وراح بعضهم يلوِّح بيديه يميناً ويساراً في الهواء، وبعضهم يلوِّح بكتاب الحكيم القديمة.

ألقى خطبةً اعتياديةً في البدء، قارئاً مقاطع وأبيات من كتاب الحكيم القديمة، لكنه انتقل بعدها إلى موضوع انهيار الدولة بسبب المواد الأفيونية والزنا. ثم انتقل إلى موضوع السياسة والقضاء، وكيف أن أميركا مدينةٌ لامعةٌ على تلة يربد الكفار تلويثها. بدأ يتحدث كيف أن الشعوذة سلبت عقول سكان السامرة (لم تكن علاقة هذا بأميركا واضحة لكاليشا)، لكن عندها أتت النقاط الملوّنة، وراحت تومض أمامها. ارتفعت المهمة وانخفضت. حتى إن كاليشا استطاعت أن تشعر بها في أنفها، تهزّ الشعيرات الصغيرة جداً التي هناك.

عندما زالت النقاط، رأوا الواعظ يستقلّ طائرةً مع امرأة هي زوجته على الأرجح. عادت النقاط. ارتفعت المهمة وانخفضت. سمعت كاليشا آيفيري في ذهنها، وبدا لها أنه يقول شيئاً مثل إنهم يرون هذا.

مَن يرى هذا؟

لم يردّ آيفيري، ربما لأنه بدأ يؤخّذ بالفيلم. فهذا ما تفعله أضواء شتازي؛ تجعلك تؤخّذ به عميقاً. عاد الواعظ مرةً أخرى بقوة، وهذه المرة من الجهة الخلفية لشاحنة مسطحة، مستخدماً بوقاً. كانت هناك لافتات تقول هيوستن تحبّك وشاهد علامة قوس قزح. ثم النقاط. والمهمة. بدأ العديد من مقاعد صالة السينما الفارغة ترتفع وتنخفض من تلقاء نفسها، مثل مصاريع غير مثبتة في رياح عاتية. وفتحت أبواب صالة العرض بعنف. أغلقها جايك الأفعى وفيل الحبة بقوة عبر وضع كتفيهما عليها.

الواعظ الآن في أحد ملاجئ المشرّدين، ويرتدي مئزر طبّاخ ويحرّك حوضاً ضخماً من صلصة المعكرونة. زوجته بجانبه، والاثنان بيتسمان، وجاء دور نيك هذه المرة ليكون في ذهنها: ابتسموا للكاميرا! بالكاد أدركت كاليشا أن شعرها يقف في الهواء، كما لو أنها في نوعٍ من الاختبارات الكهربائية.

النقاط. المهمة.

ثم ظهر الواعظ في نشرة أخبار التلفزيون مع أشخاص آخرين. اتّهمه أحد أولئك الآخرين بأنه... شيء ما... كلمات كبيرة، كلمات بالغين كانت متأكدة أن لوكي سيفهمها... وراح الواعظ يضحك كما لو أنها أكثر نكتةٍ مضحكة في العالم. لديه ضحكة رائعة. تجعلك تريد أن تضحك معها. طبعاً إذا لم تكن تُصاب بالجنون.

النقاط. المهمة.

كلما عادت أضواء شتازي، بدت أكثر إشراقاً، وبدت أنها تحفر عميقاً أكثر في ذهن كاليشا. في حالتها الحالية، كل اللقطات التي يتألف منها الفيلم فائنة. لديها رافعات. عندما يحين الوقت - ليلة الغد على الأرجح، وربما الليلة التالية - سيشدّها الأولاد في النصف الخلفي.

«أكره هذا»، قالت هيلين بصوتٍ مرتعِبٍ قليلاً. «متى سينتهي؟».

الواعظ يقف أمام قصر فاخر يبدو أن حفلةً تُقام فيه. الواعظ في موكب سيارات. الواعظ في مادية شواء في الهواء الطلق وهناك رايات حمراء وبيضاء وزرقاء على الأبنية خلفه. الناس يأكلون نقانق مغطاة بدقيق الذرة وشرحات بيتزا كبيرة. كان يعظ عن تشويه الترتيب الطبيعي لأمر الحياة، لكن صوته توقف فجأة وحلّ محله صوت الطبيب هندريكس.

«هذا پول وستن يا أولاد. يسكن في ديرفيلد، إنديانا. پول وستن. ديرفيلد، إنديانا. پول وستن، ديرفيلد، إنديانا. قولوا هذا معي أيها الفتیان والفتيات».

جزئياً لأنه لم يكن لديهم خيار آخر، وجزئياً لأنه سيضع خاتمةً رحومةً للنقاط الملوّنة وصعود المهمة وهبوطها، وفي الأغلب لأنهم مأخوذون به حقاً الآن، بدأ الأولاد العشرة في صالة العرض ينشدون. انضمت إليهم كاليشا. لم تعرف بشأن الآخرين، لكن بالنسبة لها، هذا أسوأ جزء من ليالي الأفلام على الإطلاق. كرهت أنها تشعر شعوراً جيداً. كرهت ذلك الشعور بالرافعات تنتظر فقط أن يتم شدّها. تتوسّل ذلك! شعرت كأنها مثل دمية المتكلم من بطنه على ركة ذلك الطبيب اللعين.

«پول وستن، ديرفيلد، إنديانا! پول وستن، ديرفيلد، إنديانا! پول وستن، ديرفيلد، إنديانا!».

ثم عاود الطبيب هندريكس الظهور على الشاشة، مبتسماً ويحمل المُشرّرة غير المُشعّلة. «هذا صحيح. پول وستن، ديرفيلد، إنديانا. شكراً يا أولاد، وتصبحون على خير. أراكم غداً!».

عادت أضواء شتازي للمرة الأخيرة، تومض وتتطاير وتدور. كرت كاليشا علي أسنانها وانتظرتها أن تختفي، وغمرها شعور بأنها كبسولة فضائية صغيرة جداً مندفة في عاصفة كويكبات عملاقة. المهمة صاخبة أكثر من أي وقت مضى، لكن عندما اختفت النقاط، توقفت المهمة فوراً، كما لو أن قابساً سُحب من مضخ صوت.

إنهم يرون هذا، قال آيفيري. هل هذه هي القطعة المفقودة؟ إذا كان الأمر كذلك، من هم؟

أُضِيئت أضواء صالة العرض. فُتِح البابان، وكان جايك الأفعى يقف عند أحدهما وفيل الحبة عند الآخر. خَرَج معظم الأولاد، لكن دونا ولَنُ وهال وجيمي بقوا جالسين في أماكنهم. قد يقون جالسين هناك مسترخين على مقاعدهم المريحة إلى أن يأتي الممرّضون لطردهم إلى عُرفهم، وقد يصبح واحدٌ أو اثنان منهم أو ربما حتى أربعتهم في منتزه اللادماغيين بعد عرض الغد. العرض الكبير. حيث سيفعلون ما يُفترَض بهم فعله للواعظ.

سُمِح لهم بالبقاء لنصف ساعة أخرى في غرفة الاستراحة قبل أن تُقفل عليهم أبواب عُرفهم طوال الليل. ذهبت كاليشا إلى هناك. تبعها جورج ونيكي وآيفيري. بعد بضع دقائق، دخلت هيلين تجرجر قدميها وجلست على الأرض وفي يدها سيجارة غير مُشعّلة وشعرها المُشرق فيما مضى يتدلى فوق وجهها. كانت آيريس وكايتي آخر الواصلين.

«خَفَّ الصُّدَاع»، أعلنت كايتي.

نعم، فكّرت كاليشا في سرّها، الصُّدَاعات تخفّ بعد الأفلام... لكن لبعض الوقت فقط. لوقتٍ أقصر قليلاً كل مرة.

«ليلة ممتعة أخرى في السينما»، تتمم جورج.

«حسناً يا أولاد، ماذا تعلّمنا؟»، سأل نيكي. «أن أحدهم في مكان ما لا يهتم كثيراً للموقر پول وستن من ديرفيلد، إنديانا».

ضغطت كاليشا إبهامها على شفيتها ونظّرت إلى السقف. أجهزة تنصّت، فكرت لنيكي. انتبه.

وَصَعَ نيك مسدّساً شكّله بأصابعه على رأسه وتظاهر أنه يُطلق النار على نفسه. هذا جَعَلَ الآخرين يتسّمون. عرّفت كاليشا أن الوضع سيكون مختلفاً غداً. لا ابتسامات وقتها. بعد عرض الغد، سيظهر الطبيب هندريكس ومُشترّته مُشعّلة، وسترتفع الهمهمة إلى زئير ضجة بيضاء. ستُنشَد الرافعات. وستمرّ فترة مجهولة مدّتها، متسامية ورهيبية في آن، ستزول فيها صُداعاتهم بالكامل. وبدلاً من خمس عشرة أو عشرين دقيقة صافية بعد ذلك، قد تمرّ ست أو ثماني ساعات من الارتياح المطلوب. وفي مكان ما، سيفعل پول وستن من ديرفيلد، إنديانا شيئاً سيغيّر حياته أو يُنهيها. أما بالنسبة للأولاد في النصف الخلفي، فستستمر الحياة... إذا كان يمكن تسمية ذلك حياةً. ستعود

الصُّدَاعَاتِ، وستسوء. تسوء كل مرة. إلى أن لا يعودون يشعرون بالهمهمة فحسب، بل يصبحون جزءاً منها. يصبحون فقط أحد -

الموتى دماغياً!

هذا آيفيري. لا أحد غيره يبتُّ بهكذا قوة صافية. كان كما لو أنه يعيش داخل رأسها. هكذا يتم الأمر يا شا! لأنهم -

«لأنهم يرون هذا»، همست كاليشا، وها هي، مبروك، القطعة المفقودة. وَصَّعت كعبي يديها على جبهتها، ليس لأن الصُّدَاع عاد، بل لأن المسألة واضحة جداً بشكل جميل. أمسكت كتف آيفيري الصغيرة النحيلة.

الموتى دماغياً يرون ما نراه. وإلا فلماذا يحتفظون بهم؟

وَصَّع نيكى ذراعه حول كاليشا وهمس في أذنها. لمسة شفثيه جعلتها ترتعش. «عما تتكلمين؟ لقد زالت عقولهم. مثلما سيحصل لعقولنا، قريباً».

آيفيري: هذا ما يجعلهم أقوى. كل شيء آخر زال. نُزع منهم. إنهم البطارية. وكل ما نحن عليه هو...

«المفتاح الكهربائي»، همست كاليشا. «مفتاح الإشعال».

أوما آيفيري برأسه. «نحتاج إلى استخدامهم».

متى؟ بدا صوت هيلين سيمز الذهني مثل صوت ولد صغير خائف. يجب أن يتم هذا قريباً، لأنني لا أستطيع أن أتحمّل المزيد من هذا.

«لا أحد منا يستطيع»، قال جورج. «كما أن تلك السافلة -»

هزّت كاليشا رأسها هزّة تحذير، وتابع جورج عقلياً. لم يكن بارعاً جداً في ذلك، على الأقل ليس بعد، لكن كاليشا فهمت زُبدة الموضوع. كلهم فهموها. تلك السافلة السيدة سيغسبي ستكون مركزة الآن على لوك. ستاوهاوس أيضاً. جميع من في المعهد سيكونون كذلك، لأنهم كلهم عرّفوا أنه هرب. هذه فرصتهم، بينما الجميع خائفون ومشتتو الذهن. لن يحصلوا أبداً على فرصة أخرى جيدة مثل هذه.

بدأ نيكى يتسم. لا وقت كالحاضر.

«كيف؟»، سألت آيريس. «كيف يمكننا فعل ذلك؟».

آيفيري: أعتقد أنني أعرف، لكننا نحتاج إلى هال ودونا ولن.
«هل أنت متأكد؟»، سألت كاليشا، ثم أضافت، لقد زالوا تقريباً.
«سأعيدهم»، قال نيكي. نهض وهو يتنسم. أفيستر محق. كل ذرة
تساعد.

أدرت كاليشا أن صوته الذهني أقوى. هل هذا عند الإرسال أم التلقي؟
الاثنين معاً، قال آيفيري. كان يتنسم أيضاً. لأننا نفعل هذا لأنفسنا الآن.

نعم، فكّرت كاليشا في سرّها. لأنهم يفعلون هذا لأنفسهم. ليسوا
مضطربين أن يكونوا مجموعة دمي مذهولة تجلس على ركة المتكلم من
بطنه. الأمر بسيط جداً، لكنه اكتشاف باهر: ما تفعله لنفسك هو ما يعطيك
الطاقة.

14

بينما كان آيفيري - المبلل بالكامل والمرتعش - يدقّ عبر نفق الوصول
بين النصف الأمامي والنصف الخلفي، كانت طائرة تشالينجر المعهد (مطبوع
940NF على ذيلها وصناعات ماين الورقية على هيكلها) تُقلع من إيري،
بنسلفانيا وكل أعضاء فريق الهجوم على متنها الآن. وعندما بلغت الطائرة
ارتفاع التحليق وتوجّهت نحو بلدة ألكولو الصغيرة، كان تيم جايميسون وويندي
غوليكسون يرافقان لوك إليس إلى مخفر مقاطعة فيرلي.

عجلات عديدة تتحرّك في نفس الآلة.

«هذا لوك إليس»، قال تيم. «لوك، أعرفك على المعاوينين فاراداي
وويكلو».

«سُررتُ بلقائكما»، قال لوك من دون حماسة كبيرة.

راح بيل ويكلو يدرس وجه لوك المرضوض وأذنه المضمّدة. «كيف حال
الشابّ الآخر؟».

«إنها قصة طويلة»، قالت ويندي قبل أن يستطيع لوك أن يردّ. «أين
المأمور جون؟».

«في دانيغ»، قال بيل. «أمه في منزل العائلة القديم هناك. لديها... تعرفين». ربّت على صدغه. «قال إنه سيعود حوالي الخامسة، إلا إذا كانت حالتها جيدة. عندها قد يبقى ويتناول العشاء معها». نظّر إلى لوك، إلى فتى مُشَبَّع ضرباً ويرتدي ملابس قذرة كان يمكن أن تحمل أيضاً لافتة تقول هارب. «هل الحالة طارئة؟».

«سؤال جيد»، قال تيم. «تاغ، هل حصلت على المعلومات التي طلبتها ويندي؟».

«أجل»، قال ذلك المدعو فاراداي. «إذا كنت تريد دخول مكتب المأمور جون، يمكنني إعطاءك إياها».

«لا داعي»، قال تيم. «لا أعتقد أنك ستُخبرني أي شيء لا يعرفه لوك من قبل».

«هل أنت متأكد؟».

ألقي تيم نظرة سريعة على ويندي التي أومأت برأسها، ثم على لوك الذي هزّ كتفيه. «نعم».

«حسناً. والدا هذا الفتى، هيربرت وآيلين إليس، قُتلا في منزلهما منذ حوالي سبعة أسابيع. أطلق عليهما النار في غرفة نومهما».

شَعَرَ لوك كما لو أنه يختبر حالة انفصال روحه عن جسده. لم تعد النقاط، لكن هذا هو شعوره عندما تعود. خطا خطوتين إلى الكرسي الدوّار الذي أمام مكتب المورّع وانهار عليه. تدحرج إلى الخلف وكاد يوقعه لو لم يخبط بالجدار أولاً.

«هل أنت بخير يا لوك؟»، سألت ويندي.

«لا. نعم. بقدر ما أقدر عليه. السفلة في المعهد - الطبيب هندريكس والسيدة سيغسبي والممّرّضون - أخبروني أنهما بخير، بخير تماماً، لكنني عرّفتُ أنهما ميتين حتى قبل أن أرى ذلك على جهاز الكمبيوتر. لقد عرّفته، لكنه ومع ذلك... خبر مربع».

«كان لديك كمبيوتر في ذلك المكان؟»، سألت ويندي.

«نعم. لألعب ألعاباً عليه، في الأغلب، أو لمشاهدة فيديوهات يوتيوب الموسيقية. أمور غير جوهرية كهذه. يُفترّض أن تكون مواقع الأخبار محظورة،

لكنني أعرف حيلة للالتفاف على ذلك. كان عليهم أن يراقبوا عمليات بحثي والقبض عليّ متلبساً، لكنهم... كسولون فحسب. راضون عن أنفسهم. وإلا لما استطعتُ الهروب».

«عما تتكلم؟»، سأل المعاون ويكلو.

هَرَّ تيم رأسه. كان لا يزال مركزاً على تاغ. «لم تعرف هذا من شرطة مينيابوليس، صح؟».

«لا، لكن ليس لأنك طلبت مني عدم فعل ذلك. سيقرر الأمور جون بمن سيتصل ومتى. هكذا تسير الأمور هنا. لكن في غضون ذلك، تضمّن عُوجل الكثير». رمق لوك بنظرة تقول قد تكون سما. «إنه مذكور في قاعدة بيانات المركز الوطني للأطفال المفقودين والمستغلين، وهناك أيضاً قصص كثيرة عنه في ستار تريبيون في مينيابوليس وياونير پرس في سانت پول. وفقاً للصحف، يُفترض أنه ذكي جداً. طفل معجزة».

«هكذا يبدو لي»، قال بيل. «يستخدم الكثير من الكلمات الكبيرة».

أنا هنا أسمع، فكّر لوك في سرّه. تكلم عني كما لو أنني هنا.

«لا تعتبره الشرطة شخصاً ذا أهمية»، قال تاغ، «على الأقل ليس في روايات الصحف، لكنهم يريدون استجوابه بالتأكيد».

تكلم لوك. «بالأكيد يريدون ذلك. وأول سؤال سيطرحونه على الأرجح هو «من أين حصلت على المسدّس يا ولد؟»».

«هل قتلتهما؟»، سأل بيل السؤال بشكل غير رسمي، كما لو أنه يمرّر الوقت فحسب. «قل الحقيقة الآن يا بُنيّ. هذا سيفيدك كثيراً».

«لا. أحبّ والديّ. الأشخاص الذين قتلوهما لصوئ، وأنا ما جاءوا لسرقته. لم يريدوني لأنني نلت علامة 1580 في اختبارات السات، أو لأنني أحلّ المعادلات المعقّدة في ذهني، أو لأنني أعرف أن هارت كراين انتحر بالقفز عن متن قارب في خليج المكسيك. قتلوا أمي وأبي وخطفوني لأنني أستطيع أحياناً إطفاء شمعة بمجرد النظر إليها، أو إسقاط صينية بيتزا عن الطاولة في بيتزا روكيت. صينية بيتزا فارغة. الصينية الممتلئة كانت لتبقى مكانها بكل بساطة». ألقى نظرة سريعة على تيم وويندي وضجك. «لا يمكنني حتى أن أحظى بوظيفة في كرنفال رديء بجانب الطريق».

«لا أرى أي شيء مضحك في كل هذا»، قال تاغ عابساً.

«وأنا أيضاً»، قال لوك، «لكنني أضحك أحياناً، على أي حال. ضحكك كثيراً مع صديقي كاليشا ونيك رغم كل شيء كنا نمر به. بالإضافة إلى ذلك، كان صيفاً طويلاً». لم يضحك هذه المرة، لكن ابتسم. «ليست لديك أي فكرة».

«أعتقد أنك بحاجة إلى بعض الراحة»، قال تيم. «تاغ، هل لديك أي شخص في الزنازين؟».

«لا».

«حسناً، هيا بنا -»

خطا لوك خطوة إلى الورا وإمارات الذعر على وجهه. «أبدأً. أبدأً».

رَفَع تيم يديه. «لن يسجنك أحدٌ. سنترك الباب مفتوحاً على مصراعيه».

«لا. رجاءً لا. رجاءً لا تجعلوني أدخل زنزانية». تحوّل الذعر إلى رعب، ولأول مرة بدأ تيم يصدّق جزءاً واحداً على الأقل من قصة الفتى. الأمور النفسانية كلام فارغ، لكنه رأى من قبل ما يراه الآن، أثناء خدمته في الشرطة - مظهر وسلوك ولد معنّف.

«حسناً، ما رأيك بالأريكة في حجرة الانتظار؟»، أشارت ويندي. «إنها وعرة، لكنها ليست سيئة جداً. لقد تمددتُ عليها بضع مرات».

لو أن هذا صحيح فإن تيم لم يرها تفعل ذلك أبداً، لكن من الواضح أن هذا أراح الولد. «حسناً، سأفعل ذلك. يا سيد جايميسون - تيم - لا يزال محرّك الأقراص الوامض معك، صح؟».

أخرجه تيم من جيب صدره وأراه إياه. «صح».

«جيد». مشي بتناقل إلى الأريكة. «أتمنى لو تتحقّق من ذلك السيد هولистер. أعتقد حقاً أنه قد يكون عمّاً».

نظّر تاغ وبيل إلى تيم نظرة حيرة متماثلة. هزّ تيم رأسه.

«الرجال الذين يترقّبونني»، قال لوك. «يدّعون أنهم عمّي. أو ربما أحد أنسابي أو مجرد صديق للعائلة». لمخ تاغ وبيل يقلبان عينيهما لبعضهما البعض، وابتسم مرة أخرى. كان مُتعباً وعذبا. «نعم، أعرف كيف يبدو كلامي هذا».

«ويندي، لما لا تأخذين هذين الضابطين إلى مكتب المأمور جون وتُطليعهما إطلاعاً كاملاً على ما أخبرنا به لوك؟ سألني هنا».

«هذا صحيح، ستبقى هنا»، قال تاغ. «لأنه إلى أن يعطيك المأمور جون شارةً، أنت مجرد القارع الليلي للبلدة».

«عُلم»، قال تيم.

«ماذا يوجد على محرّك الأقراص؟»، سأل بيل.

«لا أعرف. عندما يصل المأمور إلى هنا، سننظر إليه كلنا».

راققت ويندي المعاوين إلى مكتب المأمور آشورث وأغلقت الباب. سمع تيم همس أصواتهم. هذا وقته الاعتيادي لينام، لكنه شَعَرَ بيقظة أقوى مما شَعَرَ بها منذ وقت طويل. منذ مغادرة شرطة ساراسوتا ربما. أراد معرفة مَنْ هو الفتى الموجود خلف القصة الغربية حقاً، وأين كان، وماذا حصل له.

أحصر كوب قهوة من المقهى عند الناصية. مذاقها حادّ لكنها ليست غير صالحة للشرب، مثلما ستكون عند الساعة العاشرة، عندما يمرّ عادةً خلال جولاته كقارع ليلي. عاد به إلى كرسي المورّع. الفتى إما نائم نوماً عميقاً أو هو بارع جداً في التظاهر بذلك. عَنَّ في باله فأمسك الملف الذي يسرد كل الشركات في دويراي، واتصل بئزل دويراي. لم يردّ أحد على الهاتف. يبدو أن هوليبستر لم يُعد إلى نُزله العبارة عن فخ للجرذان في النهاية. وهذا لا يعني شيئاً بالطبع.

أغلق تيم السمّاعة، وأخرج محرّك الأقراص الوامض من جيبيه، ونظرَ إليه. هذا لا يعني شيئاً أيضاً على الأرجح، لكن القرار يعود للمأمور آشورث، مثلما أصرّ تاغ فاراداي على الإشارة. يمكنهم الانتظار.

في هذه الأثناء، سيدع الفتى ينام. وإذا كان قد أتى حقاً من ماين في عربة نقل، فسيكون بحاجة إلى النوم.

15

حطّت طائرة التشالينجر التي تحمل ركابها الأحد عشر - السيدة سيغسبي، طوني فيزالي، وايونا بريغز، الطيب إيفانز، وفريقي الياقوت الأحمر والأويال - في الكولو عند الخامسة والربع. وبهدف التواصل مع ستاكهاوس في المعهد، سُمّيت هذه الدزينة القصيرة من الأشخاص الفريق

الذهبي. كانت السيدة سيغسبي أول شخص نزل من الطائرة. وبقي دينيه وويليامز من الياقوت الأحمر ولويس غرانت من الأويال على متنها للاهتمام بالأمّعة المتخصصة للفريق الذهبي. وقّفت السيدة سيغسبي على المدرج رغم الحرارة المذهلة واستخدمت هاتفها الخليوي لتتصل بالخط الأرضي لمكتبها. أجابت روزاليند وحوّلتها إلى ستاكهاوس.

«هل -»، بدأت تقول ثم سكتت لتدع الطيّار ومساعدّه يمرّان، وقد فعلا ذلك دون النطق بأي كلمة. أحدهما طيّار سابق في سلاح الجو والآخر جندي سابق في الحرس الوطني الجوي، وكلاهما يشبهان الحراس النازيين في ذلك المسلسل الكوميدي القديم أبطال هوغان: لا يرون شيئاً ولا يسمعون شيئاً. يقتصر عملهم على الاستلام والتسليم.

بعدها ابتعدا، سألت ستاكهاوس إن سمع أي شيء من رَجَلهم في دويراي.

«بالفعل. تعرّض إليس لرصّة عندما قفز من القطار فقد ارتطم رأسه بعمود إشارة. كان موث فورتي من ورم دموي تحت الجافية ليحلّ لنا معظم مشاكلنا، لكن هولистер ذاك يقول إنه لم يفقد وعيه حتى. هناك رجل يشغل رافعة شوكية رأى إليس، وأخذه إلى داخل مستودع بالقرب من المحطة، واتصل بالجرّاح المحلي. أتى. بعد قليل ظهرت معاونة. المعاونة وعامل الرافعة الشوكية أخذنا فتانا إلى مكتب المأمور. تم تضميد الأذن التي كان المتعقب فيها.»

خرَج دينيه ولويس غرانت من الطائرة، وكل واحد منهما يحمل أحد طرفي صندوق فولاذي طويل. نزلا به على درج الطائرة ونقلاه إلى الداخل.

تبيّهت السيدة سيغسبي. «حسناً، ربما توقعنا هذا. توقعناه في الواقع. نحن نتكلم عن بلدة صغيرة، صح؟ وعن شرطة بلدة صغيرة؟»

«في برية نائية»، واقفها ستاكهاوس. «وهذا خبر جيد. قد يكون هناك المزيد. يقول رَجَلنا إن المأمور يقود شاحنة تايتن فضية قديمة ضخمة، ولم تكن مركونة أمام المحطة أو في مرأب موظفي البلدة الخلفي. لذا تمشّي هولистер إلى متجر البقالة المحلي وقال إن المُعمّمين اللذين يعملان هناك - هذا مصطلحه وليس مصطلحي - يعرفان كل شيء عن الجميع. أخبره الموظف المناوب أن المأمور زاره ليشتري حزمة سيجار منكّهة وقال إنه ذاهب لزيارة أمه التي تعيش في دار للمتقاعدين أو مأوى للعجزة أو شيء من

هذا القليل في البلدة المجاورة. لكن البلدة المجاورة تبعد حوالي خمسين كيلومتراً».

«وكيف هذا الخبر جيد لنا؟»، قالت السيدة سيغسبي وهي تلوح أعلى بلوزتها على عنقها لتحصل على بعض الهواء.

«لا يمكنني الجزم أن رجال الشرطة في بلدة ذات إشارة مرور واحدة مثل دويراي سيتقيّدون بالبروتوكول، لكن إذا فعلوا ذلك، فسيحتفظون بالولد إلى أن يعود الزعيم الكبير ويقرّر ما هي خطوتهم التالية. كم من الوقت تحتاجين للوصول إلى هناك؟».

«ساعتان. يمكننا الوصول في مدة أقصر، لكننا نحمل الكثير من المعدّات، ومن غير الحكمة تجاوز حدود السرعة القانونية».

«بالفعل»، قال ستاكهاوس. «اسمعي يا جوليا. يستطيع سُدج دويراي الاتصال بشرطة مينيابوليس في أي وقت. وربما اتصلوا بهم من قبل. لا فرق في الحاليتين. أنتِ تفهمين هذا، صح؟».

«بالطبع».

«سنقلق بشأن أي فوضى يجب تنظيفها لاحقاً. في الوقت الحاضر، فقط تعاملي مع فتانا المتجوّل».

القتل هو ما قصده ستاكهاوس، والقتل هو ما يجب القيام به على الأرجح. ليس وكل شخص حاول اعتراض طريقهم. ذلك النوع من الفوضى سيعني استخدام الهاتف الصفري، لكن إذا أمكنها التأكيد للصوت الألتغ الخفيف على الطرف الآخر للخط أن المشكلة المصيرية حُلّت، شَعرت أنها قد تنجو بحياتها. وربما حتى وظيفتها، لكنها ستكتفي بحياتها إن اضطرت إلى الاختيار.

«أعرف ما يجب القيام به يا تريفور. دعني أبدأ به».

أنهت المكالمة وذهبت إلى الداخل. تكييف الهواء في صالة الانتظار الصغيرة أصاب بشرتها المبللة بالعرق مثل صفة. كان دينيه ويليامز يقف منتظراً.

«هل نحن جاهزون؟»، سألت.

«نعم، سيدتي. جاهزون للمعركة. سأتولّى الأمر عندما تعطيني الإذن».

كانت السيدة سيغسبي مشغولة بجهازها الإيباد طوال الرحلة من إيري.
«سنقوم بتوقف قصير عند المخرج 181. سأسلمك أمر العملية هناك. هل
يناسبك هذا؟».

«ممتاز».

وجدوا الآخرين ينتظرون في الخارج. لم تكن هناك سيارات رُباعية الدفع
سوداء ذات نوافذ ملوَّنة، بل فقط ثلاث شاحنات عائلية ذات ألوان غير
متطّقة: أزرق وأخضر ورماذي. كان أمل آني اليتيمة ليخيب.

16

المخرج 181 أخرج قافلة الفريق الذهبي عن الطريق الرئيسي وأخذها
إلى البرية النموذجية. هناك محطة وقود ومتجر لكعكات الوافل، وهذا كل
شيء. تبعُد أقرب بلدة، لاتا، عشرين كيلومتراً. بعد خمس دقائق من متجر
كعكات الوافل، وجَّهت السيدة سيغسبي، الجالسة في الشاحنة الأمامية، دينيه
ليتوقف خلف مطعم بدا كما لو أنه أفلس في فترة انتخاب أوباما رئيساً. حتى
اللافتة التي تقول المالك سييني حسب الطلب بدت بائسة.

فُتح الصندوق الفولاذي الذي أنزله دينيه ولويس عن متن التشالينجر،
وتسلَّح الفريق الذهبي. أخذ الأعضاء السبعة لفريقي الياقوت الأحمر والأويال
مسدَّسات غلوك 37، وهو السلاح الذي يستخدمونه في مهام استخراجهم.
تلقى طوني فيزالي سلاحاً آخر، وسرَّ دينيه من رؤيته يتفحص الحُجيرة فوراً
ليتأكد أنها فارغة.

«القرباب سيكون لطيفاً»، قال طوني. «لا أريد حقاً حشره خلف ظهري
تحت الحزام كما لو أنني في عصابة».

«في الوقت الحاضر، خبئه تحت المقعد فحسب»، قال دينيه.

تلقت السيدة سيغسبي ووايونا بريغز مسدَّسي سيغ زاور P238S
صغيرين كفاية ليتسعا في جزدانیهما. عندما عرضَ دينيه واحداً على إيفانز، رَفَع
الطبيب يديه وخطا خطوة إلى الوراء. انحنى توم جونز من فريق الأويال إلى
الترسانة المحمولة وأخرج إحدى بندقيتين HK37. «ما رأيك بهذه أيها الطبيب؟
مشطُ بثلاثين طلقة تطير بقرةً إلى الجهة الأخرى للحظيرة. لدينا بعض القنابل
الصوتية أيضاً».

هَرَّ إيفانز رأسه. «أنا هنا مُكْرَهًا. إذا كنتم تنوون قتل الفتى، فلسن متأكدًا لماذا أنا هنا من الأصل».

«تباً لإكراهك»، قالت أليس غرين من فريق الأوبال أيضاً. نال كلامها نوع الضحك - الهش، المتلهف، المجنون قليلاً - الذي يسبق فقط عملية من المرجح أن يجري فيها إطلاق للنار.

«هذا يكفي»، قالت السيدة سيغسبي. «أيها الطبيب إيفانز، من الممكن أن ننجح في القبض على الفتى حياً. دينيه، هل معك خريطة لدويراي على جهازك؟».

«نعم، سيدتي».

«إذا هذه العملية بقيادتك الآن».

«جيد جداً. تجمّعوا يا قوم. أنت أيضاً أيها الطبيب، لا تكن خجولاً».

تجمّعوا حول دينيه وويليامز في الحرارة العالية لأواخر ما بعد الظهر. فحّصت السيدة سيغسبي ساعتها. السادسة والرّبع. ساعة عن وجهتهم، وربما أطول قليلاً. متأخرون قليلاً عن الموعد، لكن لا بأس نظراً للسرعة التي شكّل بها هذا الفريق.

«إليكم وسط بلدة دويراي، أو ما فيها فحسب»، قال دينيه وويليامز. «مجرد شارع رئيسي واحد. وفي منتصفه مخفر المقاطعة، مباشرة بين دار البلدية ومتجر دويراي التجاري».

«ما معنى متجر تجاري؟». قال جوش غوتفريد من فريق الأوبال.

«مثل مركز تسوّق»، قالت روبن لكس.

«أشبه بمحل لبيع سلع رخيصة قديمة»، قال طوني فيزالي. «لقد أمضيتُ حوالي عشر سنوات في ألاباما، معظمها في الشرطة العسكرية، ويمكنني إخبارك أنك تشعر في هذه البلدات الجنوبية الصغيرة كما لو أنك عدتَ خمسين سنة في الزمن. ما عدا لمتجر وولمارت. معظمها يحتوي على أحدها».

«كفى ثرثرة»، قالت السيدة سيغسبي وأومات برأسها لدينيه لكي يكمل.

«ليس بالأمر المعقّد»، قال دينيه. «نركن هنا، خلف سينما البلدة المغلقة. نتلقى التأكيد من مصدر السيدة سيغسبي أن الهدف لا يزال في المخفر. سأتظاهر وميشيل أننا زوجان في عطلة نزور فيها بلدات الجنوب الأميركي غير المشهورة سياحياً.»

«بمعنى آخر، مجنونان»، قال طوني وأحدت هذا المزيد من الضحك الهشّ.

«سنتسكّع في الشارع ونتفحّص المحيط -»

«ممسكين يدي بعضنا مثل حبيبين»، قالت ميشيل روبرتسون آخذة ابتسامة دينيه وإعطائه ابتسامة خجولة لكن موقّرة.

«ماذا بشأن جعل رجلكم المحلي يتفحّص الأجواء؟»، سأل لويس غرانت. «ألن يكون ذلك أأمن؟»

«لا أعرفه، لذا لا أثق بمعلوماته»، قال دينيه. «كما أنه مدني.»

نظّر إلى السيدة سيغسبي التي أومات برأسها لكي يكمل.

«ربما سندخل المحطة ونسأل عن الاتجاهات. وربما لا. سنتعامل مع الموقف حسب تطوّره. ما نريده هو فكرة عن عدد رجال الشرطة المتواجدين، وعن أماكنهم. ثم...»، هزّ كتفيه. «نهاجمهم. إذا وقع اشتباك، ولا أتوقع ذلك، تُنهي الفتى هناك. وإلا فسنسخرجه. ستكون الفوضى أقل للتنظيف إذا بدت كأنها عملية اختطاف.»

تركت السيدة سيغسبي دينيه يُطلعهم على المكان الذي ستنتظرهم فيه التشالينجر، واتصلت بستاكهاوس لتسأله عن المستجدات.

«أغلقتُ الخط للتو مع صديقنا هولистер»، قال. «ركنَ المأمور أمام المخفر منذ خمس دقائق تقريباً. سيكون قد جرى تعريفه الآن على فتانا المتمرّد. حان الوقت لكي نتحرّك.»

«نعم». شَعّرت بانقباض غير ممتع كلياً في معدتها وأربيتها. «سأتصل بك عندما ينتهي كل هذا.»

«أنهوا هذا يا جوليا. أخرجينا من هذه الفوضى اللعينة.»

أنهت المكالمة.

عاد المأمور جون آشورث إلى دوبراي حوالي السادسة والثلاث. وعلى بُعد ألفين ومئتين وخمسين كيلومتراً شمالاً، كان أولاد مذهبولون يرمون سجائر وعيدان ثقاب في سلال ويدخلون صالة عرض نجم فيلم الأمسية فيها موقر دار عبادة عملاقة في إنديانا لديه الكثير من الأصدقاء السياسيين النافذين.

توقف المأمور عند الباب تماماً وتفحص الغرفة الرئيسية الكبيرة للمخفر واضعاً يديه على وركيه المكتنزين وملاحظاً أن كل موظفيه هناك باستثناء روني غيبسون التي كانت تمضي إجازتها في شقة أمها المشتركة مع مالكين آخرين في سانت بطرسبرغ. كان تيم جايميسون هناك أيضاً.

«آه، يا للروعة»، قال. «لا يمكن أن تكون هذه حفلة مفاجئة، لأن ذكرى ولادتي ليست اليوم. ومن يمكن أن يكون هذا؟». أشار إلى الفتى الممدد على أريكة صالة الانتظار الصغيرة. كان لوك مكوراً في وضعية الجنين. استدار آشورث إلى تاغ فاراداي، المعاون المسؤول. «وبالمناسبة فقط، من الذي ضربه؟».

بدلاً من الإجابة، استدار تاغ إلى تيم وأوماً له إيماءة من بعدك يا عزيزي.

«إسمه لوك إليس، ولا أحد هنا ضربه»، قال تيم. «قفز من قطار شحن واصطدم بعمود إشارة. هذا سبب الرضوض. أما بالنسبة للضمادة، فيقول إنه خُطف وإن الخاطفين وضعوا جهاز تعقب في أذنه. يدّعي أنه قطع شحمة أذنه ليتخلص منه».

«بسكين تقشير»، أضافت ويندي.

«والداه متوفيان»، قال تاغ. «قتلا. هذا القدر من قصته صحيح. لقد تحققت من ذلك. الطريق إلى الجحيم في مينيسوتا».

«لكنه يقول إن المكان الذي هرب منه في ماين»، قال بيل ويكلو.

بقي آشورث صامتاً للحظة واستمر يسند يديه على وركيه، وراح ينظر من معاونه وقارعه الليلي إلى الفتى النائم على الأريكة. لم يبدُ أن المحادثة أيقظت لوك؛ كان ميتاً بالنسبة للعالم. إتقت المأمور جون أخيراً إلى الوراء نحو طاقم فريق عمله المجمعين. «بدأت أتمنى لو أنني بقيت لأتناول العشاء مع أمي».

«آه، هل كانت حالتها سيئة؟»، سأل بيل.

تجاهل المأمور جون هذا. «بافتراض أنكم كلكم لم تدخنوا الحشيشة، هل يمكن أن أحصل على قصة متماسكة هنا؟».

«اجلس»، قال تيم. «سأطلعك على كل التفاصيل، ثم أعتقد أن علينا أن نشاهد هذا». وَصَعَّ محرِّك الأقراص الوامض على مكتب المورِّع. «بعد ذلك، يمكنك أن تقرِّر ماذا علينا أن نفعل».

«قد تريد أيضاً الاتصال بشرطة مينيابوليس، أو شرطة الولاية في تشارلستون»، قال المعاون بوركيت. «وربما بالاثنين». أمال رأسه نحو لوك. «دعهم يقرِّرون ماذا نفعل به».

جلس آشورث. «بعد إعادة النظر في الأمر، أنا مسرور أنني عدتُ باكراً. هذا مثير للاهتمام نوعاً ما، أليس كذلك؟».

«كثيراً»، قالت ويندي.

«حسناً، لا بأس. الجو ليس مثيراً للاهتمام كثيراً هنا عادة، لكن يمكننا الاستفادة من التغيير. هل تظنُّ شرطة مينيابوليس أنه قَتَلَ والديه؟».

«هذا ما تقوله الصحف»، قال تاغ. «رغم أنها حذرة بما أنه قاصر».

«إنه ذكي جداً»، قالت ويندي، «لكن ما عدا ذلك يبدو ولداً لطيفاً كفاية».

«مممم، مدى لطافته أو شرِّه سيكون مسؤولية شخص آخر في النهاية، لكنه أثار حشرتي الآن. بيل، توقف عن العبث بساعة الدوام تلك قبل أن تعطلها، وأحضر لي عبوة كوكا كولا من مكتبي».

18

بينما كان تيم يروي للمأمور آشورث القصة التي رواها لوك له ولويندي، وبينما كان أعضاء الفريق الذهبي يقتربون من مخرِّج I-95 هارديفيل حيث يمكنهم دخول بلدة دوبراي الصغيرة، كان نيك ويلهولم يقود الأولاد الذين بقوا في صالة العرض إلى غرفة استراحة النصف الخلفي الصغيرة.

يدوم الأولاد أحياناً لوقت طويل مدهش؛ وجورج أيلز أحد الأمثلة على ذلك. لكنهم ينحلون فجأة أحياناً. هذا ما بدا أنه يحصل لآيريس ستانهوپ. ما

يسميه أولاد النصف الخلفي ارتداداً - فترة راحة وجيزة من الصّداعات ما بعد الفيلم - لم يحصل لها هذه المرة. فقد أصبحت عيناها فارغتين وتدلّى فمها مفتوحاً. وَقَفَت عند جدار غرفة الاستراحة مُخْفِضَةً رَأْسَهَا وشعرها يغطي عينيها. ذهبت إليها هيلين ووضعت ذراعها حولها، لكن يبدو أن آيريس لم تلاحظ ذلك.

«ماذا نفعل هنا؟»، سألت دونا. «أريد العودة إلى غرفتي. أريد أن أنام. أكره ليالي الأفلام». بدت كثيرة الشكوى وعلى شفير البكاء، لكنها على الأقل لا تزال حاضرة ومُدركة لمحيطها. الشيء نفسه بدا أنه ينطبق علي جيمي وهال. صحيح أنهما بدّوا مذهولين، لكنهما ليسا غائبين تماماً على غرار آيريس.

لن يكون هناك المزيد من الأفلام، قال آيفيري. قط.

كان صوته صاحباً أكثر في ذهن كاليشا من أي وقت مضى، وهذا برهن لها أنهم حقاً أقوى سوياً.

«توقّع جريء»، قال نيكي. «خاصة توقّع قادم من لعين صغير مثلك يا أفسُتر».

ابتسم هال وجيمي لهذا، وحتى إن كايتي قهقهت. إلا أن آيريس بدت شاردة بالكامل، وراحت الآن تحكّ منفرج ساقها عن غير وعي. لَنْ مشتت الذهن أمام التلفزيون، رغم أن لا شيء يُعَرِّض عليه. اعتقدت كاليشا أنه ربما يدرس انعكاس صورته.

ليس لدينا الكثير من الوقت، قال آيفيري. سيأتي أحدهم قريباً ليعيدنا إلى عُرفنا.

«كورين على الأرجح»، قالت كاليشا.

«نعم»، قالت هيلين. «سافلة الشرق الخبيثة».

«ماذا نفعل؟»، سأل جورج.

بدا آيفيري في حيرة من أمره للحظة، وخافت كاليشا. ثم مدّ الفتى الصغير الذي ظنّ في وقت سابق من اليوم أن حياته ستنتهي في خزان الغمر يده. «أمسكوا»، قال. لنصنع دائرة.

اقتربوا كلهم ما عدا آيريس. أمسكت هيلين سيمز كتفَي آيريس وقادتها إلى الدائرة التقريبية التي شكلها الآخرون. إلتفت لَنْ ونظرَ نظرة حنين إلى

التلفزيون، ثم تنهّد ومدّ يديه. «تباً. لا يهمّ».

«هذا صحيح، تباً»، قالت كاليشا. «لا شيء لنخسره». أمسكت يد لَنُ اليمنى بيدها اليسرى، ويد نيكي اليسرى بيدها اليمنى. كانت آيريس آخر واحدة تنضمّ إليهم، وفور ارتباطها بجيمي كولوم عند جهةٍ وهيلين عند الأخرى، ارتفع رأسها.

«أين أنا؟ ماذا نفعل؟ هل انتهى الفيلم؟».

«صه»، قالت كاليشا.

«أشعر بتحسّن في رأسي!».

«جيد. اسكتي الآن».

وانضم الآخرون: صه... صه... اسكتي يا آيريس.

كانت كل صه صاحبة أكثر. هناك شيء يتغيّر. هناك شيء يُشخّن.

الرافعات، فكّرت كاليشا في سرّها. هناك رافعات يا آيفيري.

أوما لها برأسه من الجهة الأخرى للدائرة.

لم تكن طاقة، على الأقل ليس بعد، وعرفت أنها ستكون قد ارتكبت خطأً مميتاً لو صدّقت أنها طاقة، لكن احتمال الطاقة كان موجوداً. فكّرت كاليشا في سرّها، هذا يشبه تنفّس الهواء قبيل اندلاع أكبر عاصفة رعدية صيفية.

«يا أصدقاء؟»، قال لَنُ بصوتٍ خجول. «لقد صفا ذهني. لا يمكنني أن أتذكّر آخر مرة كان صافياً فيها هكذا». نظّر إلى كاليشا بشيء يشبه الذعر. «لا تفلتيني يا شا!».

أنت بخير، فكّرت باتجاهه. أنت بأمان.

لكنه لم يكن كذلك. لا أحد منهم كان كذلك.

عرفت كاليشا ماذا سيحصل بعدها، ماذا يجب أن يحصل بعدها، وارتعبت منه. بالطبع، أرادت حصوله أيضاً. إلا أنها كانت أكثر من رغبةٍ كانت شهوة. إنهم أولاد يحملون متفجرات شديدة الانفجار، وقد يكون هذا خطأ، لكنه بدا صحيحاً تماماً.

تكلّم آيفيري بصوتٍ منخفضٍ واضحٍ. «فكّروا. فكّروا معي يا أصدقاء».

بدأ، والفكرة والصورة التي رافقت ذلك قوية وواضحة. انضم إليه نيكي. وكايتي وجورج وهيلين. وكاليشا أيضاً. ثم بقيتهم. إنهم ينشدون في نهاية الأفلام، وقد أنشدوا الآن.

فكّروا بالمُشترّة. فكّروا بالمُشترّة. فكّروا بالمُشترّة.

أنت النقاط، أكثر إشراقاً من أي وقت مضى. أنت الهمهمة، صاحبة أكثر من أي وقت مضى. أنت المُشترّة، تبصق تالّقا.

وفجأة لم يعودوا مجرد أحد عشر ولداً. أصبحوا فجأة ثمانية وعشرين.

إشعال، فكّرت كاليشا في سرّها. كانت مرتعبة؛ متهلّلة؛ مبجّلة.

يا للهول

19

عندما انتهى تيم من رواية قصة لوك، بقي المأمور آشورث صامتاً لعدة ثوان على كرسي الموزّع، وشابكاً أصابعه علي بطنه الكبير. ثم أمسك محرّك الأقراص الوامض ودّرّسه كما لو أنه لم ير أبداً شيئاً مماثلاً من قبل، ثم وضعه من يده. «أخبرك أنه لا يعرف ماذا يوجد عليه، صح؟ حصل عليه فقط من مدبّرة المنزل، إلى جانب السكين التي استخدمها ليُجري العملية الجراحية على شحمة أذنه».

«هذا ما قاله»، وافقه تيم.

«زحف تحت سور، واجتاز الغابة، ورَكِب زورقاً على نهرٍ تماماً مثل هك وجيم في رواية مارك توين، ثم استقلّ عربة نقل على طول الساحل الشرقي».

«وفقاً له، نعم»، قالت ويندي.

«حسناً، يا لها من حكاية. أعجبنى جداً الجزء عن التخاطر وتحكّم الذهن بالمادة. مثل القصص التي تروّيها الجدّات حول الموقد في الشتاء عن أمطار الدم وعلاجات المياه الراكدة. أيقظي الفتى يا ويندي. أيقظيه بهدوء، يمكنني

أن أرى أنه عانى الكثير مهما تكن قصته الحقيقية، لكن عندما نشاهد هذا، أريده أن يشاهده معنا».

اجتازت ويندي الغرفة وهزّت كتف لوك. بلطف أولاً، ثم بقوة أكثر قليلاً. متم، أن، وحاوّل أن يتعد عنها. أمسكت ذراعها. «بالله عليك يا لوك، افتح عينيك و-»

اندفع إلى الأعلى فجأة لدرجة أن ويندي تعثرت إلى الخلف. فُتحت عيناه لكنهما لا تريان شيئاً، وتطاير شعره أمام رأسه وحوله مثل ريش. «إنهم يفعلون شيئاً! لقد رأيتُ المُشَرِّرة!».

«عما يتكلّم؟»، سأل جورج بوركيت.

«لوك!»، قال تيم. «أنت بخير، كنت تحلم -»

«اقتلوهم!»، صرّخ لوك، وفي ملحق الاحتجاز الصغير للمحطة، انغلت أبواب كل الزنازين الأربعة بصخب. «أبيدوا أولئك السفلة!».

تطايرت الأوراق عن مكتب المورّع كأنها سرب طيور جافلة. شَعَرَ تيم بهبّة ريح مرّت به، وكانت حقيقية كفاية لتنفس له شعره. صرخت ويندي صرخة خافتة. ونهض المأمور جون عن كرسيه بسرعة.

هزّ تيم الفتى هزّة عنيفة. «استيقظ يا لوك، استيقظ!».

الأوراق المتطايرة في الغرفة سقطت على الأرض. وراح رجال الشرطة المتحلّقين، بما في ذلك المأمور جون، يحدّقون بلوك بأفواه فاغرة.

أخذ لوك يضرب الهواء. «ارحلوا»، متم. «ارحلوا».

«حسناً»، قال تيم وأفلت كتف لوك.

«ليس أنتم، النقاط. أضواء شتازي...». زَقَر ومزّر يده في شعره القدر. «حسناً. لقد زالت».

«أنت فعلت هذا؟»، سألت ويندي وهي تومئ إلى الأوراق الساقطة على الأرض. «أنت حقاً فعلت هذا؟».

«بالتأكيد شيء ما فعله»، قال بيل ويكلو وهو ينظر إلى ساعة دوام القارع الليلي. «كانت عقارب هذه تدور... بسرعة كبيرة... لكنها توقفت الآن».

«إنهم يفعلون شيئاً»، قال لوك. «أصدقائي يفعلون شيئاً. لقد شَعَرْتُ بذلك، حتى عند هذه المسافة البعيدة. كيف يُعَقَل هذا؟ يا للهول، رأسي».

اقترب آشورث من لوك ومدَّ يده. لاحظ تيم أنه أبقى يده الأخرى على عَقَب قِراب مسدَّسه. «أنا المأمور آشورث يا بُنيّ. هل تريد أن تصافحني؟». صافحه لوك.

«جيد. بداية جيدة. الآن أريد الحقيقة. هل فعلتَ هذا الآن؟».

«لا أعرف إن كنتُ أنا أو هم مَن فعل ذلك»، قال لوك. «لا أعرف كيف يمكن أن يكونوا هم لأنهم بعيدون جداً، لكنني لا أعرف كيف يمكن أن أكون أنا أيضاً. فأنا لم أفعل أي شيء مثل هذا في حياتي».

«أنت متخصص بصواني البيترا»، قالت ويندي. «الصواني الفارغة».

ابتسم لوك ابتسامَةً خفيفةً. «نعم. ألم تروا الأضواء؟ أي واحد منكم؟ مجموعة نقاط ملوَّنة؟».

«لم أر أي شيء سوى أوراق تتطاير»، قال المأمور جون. «وسمِعْتُ أبواب الزنازين تلك تنغلق بقوة. فرانك، جورج، هلاً لممتما هذه الأشياء من فضلكما. ويندي، أحضري حَبَّة أسبرين لهذا الفتى. ثم سنشاهد ماذا يوجد على محرِّك الأقراص هذا».

قال لوك، «كل ما استطاعت أمك التكلُّم عنه بعد ظهر اليوم هو مشابك الشعر. قالت إن أحدهم سرَّق لها مشابك شعرها».

فَعَرَ فم المأمور جون. «كيف تعرف هذا؟».

هَزَّ لوك رأسه. «لا أعرف. أعني، أنا لا أحاول حتى. يا للهول، أتمنّى لو عَرَفْتُ ما الذي يفعلونه. وأتمنّى لو كنتُ معهم».

قال تاغ، «أعتقد أنه قد تكون هناك بعض الحقيقة في قصة هذا الولد في النهاية».

«أريد مشاهدة محرِّك الأقراص الوامض هذا، وأريد مشاهدته الآن»، قال المأمور آشورث.

ما رأوه في الهدء كان كرسياً فارغاً، كرسياً مجتّحاً قديم الطراز موضوعاً أمام جدار معلقة عليه لوحة مؤطرة لسفينة شراعية. ثم أطلَّ وجه امرأة تحدَّق في العدسة.

«هذه هي»، قال لوك. «إنها مورين، السيدة التي ساعدتني على الهروب».

«هل هذه مشتغلة؟»، قالت مورين. «الضوء الصغير مُضاء، لذا أظن أنها مشتغلة. آمل ذلك، لأنني لا أعتقد أن لديّ القوة لأكثّر هذا». غادر وجهها شاشة الكمبيوتر المحمول التي كان المعاونون يشاهدونها. وجد تيم هذا مريحاً، لأن المشهد عن قُرب كان أشبه بالنظر إلى امرأة عالقة داخل حوض أسماك.

خفت صوتها قليلاً، لكنه بقي مسموعاً. «لكن إذا دعت الحاجة، سأفعل ذلك». جلست على الكرسي وعدّلت حاشية تنورتها المليئة بالأزهار فوق رُكبتَيها. كانت ترتدي بلوزة حمراء فوقها. لوك، الذي لم يرها أبداً بدون زِيَّها الرسمي، وجد أنها تركيبة جميلة، لكن الألوان الساطعة لم تتمكن من حجب مدى نحالة وجهها أو هزالته.

«ارفع الصوت إلى حدّه الأقصى»، قال فرانك پوتر. «كان عليها استخدام ميكروفون».

كانت تتكلم في غضون ذلك. لذا أرجع تاغ الفيديو، ورفع الصوت، وضغط زر التشغيل مرة أخرى. عادت مورين إلى الكرسي المجتّح مرة أخرى وعدّلت حاشية تنورتها مرة أخرى. ثم نظرت إلى عدسة الكاميرا مباشرة.

«لوك؟».

جفل من سماع إسمه منها لدرجة أنه كاد يردّ عليها، لكنها أكملت كلامها قبل أن يستطيع فعل ذلك، وما قالته بعد ذلك غرز خنجراً جليدياً في قلبه. رغم أنه عرفه، أليس كذلك؟ تماماً مثلما لم يحتج إلى ستار تريبيون لتكشف له الخبر عن والدَيه.

«إذا كنت تشاهد هذا، فهذا يعني أنك هربت وأنني ميتة».

قال المعاون المدعو پوتر شيئاً للمعاون المدعو فاراداي، لكن لوك لم يكثر. كان مركزاً بالكامل على المرأة التي كانت صديقه الراشدة الوحيدة في المعهد.

«لن أروي لك قصة حياتي»، قالت المرأة الميتة الجالسة على الكرسي المجنح. «ليس هناك وقت لذلك، وأنا مسرورة لأنني خجلة من الكثير منه. لكن ليس من إني. أنا فخورة من الحالة التي شبَّ عليها. سيدخل الكلية. لن يعرف أبداً أنني أنا من أعطاه المال، لكن لا بأس. هذا جيد، هكذا يجب أن يتم الأمر، لأنني تخليت عنه. ولوك، لولا مساعدتك لي، ربما كنت خسرت ذلك المال وفرصة أن أعوض عليه. أمل فقط أن أكون قد عوّضت عليك.»

سكتت قليلاً، لكي تتمالك نفسها.

«سأخبرك أحد أجزاء قصتي، لأنه مهم. كنت في العراق خلال حرب الخليج الثانية، وكنت في أفغانستان، وشاركت في ما سُمي الاستجواب المعزز.»

وجد لوك فصاحتها الهادئة - بلا لحظات تردّد أو تأتأة - مريحة. هذا جعله يشعر بالإحراج وبالحزن أيضاً. بدت ذكية أكثر بكثير مما كانت عليه خلال محادثتهما الهامسة بالقرب من صانعة الثلج. لأنها كانت تتظاهر ببساطة العقل؟ ربما، لكن ربما - على الأرجح - لأنه رأى امرأة في الزي البني لمديرات المنزل وافترض أنها لا تملك الكثير من الذكاء.

بمعنى آخر ليست مثلي، فكّر لوك في سرّه وأدرك أن الإحراج لا يصف شعوره الآن بشكل دقيق. الكلمة الصحيحة لما يشعر به هي الخزي.

«رأيت الإيهام بالغرق، ورأيت رجالاً - ونساءً أيضاً، اثنتين - يقفون في أحواض ماء وهناك إلكترونيات مُلصقة بأصابعهم أو مُقحمة في مؤخراتهم. رأيت أظافر القدمين تُنزع بكماشة. رأيت رجلاً يتلقى رصاصةً في ركبته عندما بصق في وجه المستجوب. صُدمت في البدء، لكنني لم أعد أشعر بذلك بعد حين. وكنت أشعر بالسرور أحياناً عندما يكونون رجالاً زرعوا عبوات ناسفة لشبابنا أو انتحاريين أرسلوا إلى الأسواق المزدهمة. كنت أشعر في الأغلب أنني... أعرف الكلمة...»

«محجرة العواطف»، قال تيم.

«محجرة العواطف»، قالت مورين.

«يا للهول، كأنها سمعتك»، قال المعاون بوركيت.

«صه»، قالت ويندي، وشيء في هذه الكلمة جعل لوك يرتعش. كان كما لو أن أحداً غيرها قالها قبلها. أعاد تركيز انتباهه على الفيديو.

«- لم أشارك أبداً بعد المهمتين أو الثلاث الأولى، لأنهم أعطوني وظيفة أخرى. عندما يرفضون أن يتكلموا، كنت ضابطة الصف اللطيفة التي تدخل وتعطيهم ليشربوا أو تسلل لهم شيئاً في جيبها ليأكلوه، لوح شوكولا أو قطعتي بسكويت. كنت أخبرهم أن المستجوبين في استراحة أو يتناولون الطعام، وأن الميكروفونات مطفأة. كنت أقول لهم إنني أشفق عليهم وأريد مساعدتهم. أقول لهم إنهم سيقتلون إذا لم يتكلموا، رغم أن ذلك مخالف للقوانين. لم أقل أبداً أنه مخالف لاتفاقية جنيف، لأن معظمهم لا يعرف ما هي تلك الاتفاقية. أقول إنهم إذا لم يتكلموا، فسُقتل عائلاتهم، وأنا لا أريد حصول ذلك حقاً. لم أكن أنجح عادة - لأنهم يشكون - لكن أحياناً عندما يعود المستجوبون، يُخبرهم السجناء ما يريدون سماعه، إما لأنهم صدقوني أو لأنهم أرادوا تصديقي. يقولون لي أشياء أحياناً، لأنهم مرتبكون... مشوشون... ولأنهم وثقوا بي. فقد كان لي وجه يوحى بالثقة كثيراً».

أعرف لماذا تُخبرني هذا، فكر لوك في سرّه.

«كيف وصلت إلى المعهد... هذه قصة طويلة جداً لكي ترويها امرأة مُتعبة ومريضة. أتى شخص لرؤيتي، لنكتفي بهذا. ليست السيدة سيغسبي يا لوك، وليس السيد ستاكهاوس. وليس رجلاً من الحكومة أيضاً. كان عجوزاً. قال إنه مجتد. سألتني إن كنت أريد وظيفة عندما تنتهي جولتي. قال إنها وظيفة سهلة، لكن فقط لشخص يستطيع إبقاء فمه مغلقاً. كنت أفكر وقتها بمعاودة التجنيد، لكن هذا بدا أفضل. لأن الرجل قال إنني سأساعد بلدي أكثر بكثير مما أستطيع في بلاد الرمال. لذا قبلت الوظيفة، وعندما عيّنوني مدبرة منزل، لم أمانع. عرفتُ ماذا كانوا يفعلون، لكنني لم أمانع أيضاً في البدء، لأنني عرفتُ السبب. حسناً فعلتُ، لأن المعهد هو مثلما يقولون عن المافيا - حالما تدخل، لا يعود بإمكانك الخروج. عندما لم يكفني المال لتسديد فواتير زوجي، وعندما بدأتُ أخشى أن تستولي النسور على المال الذي ادخرته لإبني، طلبتُ تادية الوظيفة التي كنتُ أوديها في الجيش، وتركتني السيدة سيغسبي والسيد ستاكهاوسني أحاول».

«الوشاية»، همس لوك.

«كان الأمر سهلاً، مثل ارتداء حذاء قديم. بدأت العمل هناك منذ اثنتي عشرة سنة، لكنني لم أبدأ الوشاية إلا آخر ستة عشر شهراً تقريباً، وبدأت في النهاية أشعر بسوء ما أفعله، ولا أقصد الوشاية فقط. لقد تحجرت عواطفني في ما كنا نسميه المنازل السوداء، وبقيت متحجرة في المعهد، لكن التحجر بدأ يزول في نهاية المطاف، مثلما تزول طبقة الصقل عن السيارة إذا لم تُعد تجديدها بين الحين والآخر. إنهم مجرد أولاد، والأولاد يريدون أن يثقوا براشدي لطيف وحنون. المسألة ليست كما لو أنهم فجروا أي شخص من قبل. هم الذين فجروا، هم وعائلاتهم. لكنني ربما كنت لأتبع ما أفعله، على أي حال. إذا كنت سأكون صادقة - وفات الأوان لأكون أي شيء آخر - أظن أنني كنتُ تابعتُ فعل ذلك على الأرجح. لكنني مرضتُ عندها، والتقيتُ بك يا لوك. لقد ساعدتني، لكن هذا ليس سبب مساعدتي لك. ليس السبب الوحيد، على أي حال، وليس السبب الرئيسي. لقد رأيتُ كم أنت ذكي، أذكى بكثير من كل الأولاد الآخرين، وأذكى بكثير من الأشخاص الذين خطفوك. عرفتُ أنهم لا يهتمون لذكائك المدهش، أو لحسن فكاھتك البسيط، أو كيف كنت مستعداً لمساعدة إنسانة مريضة مثلي، رغم أنك عرفت أن ذلك قد يسبب لك المتاعب. بالنسبة لهم أنت مجرد ترس آخر في الآلة، ستُستخدم إلى أن تُبلى. وكان سيصيبك في النهاية ما أصاب كل الآخرين. المئات منهم. وربما الآلاف، إذا ما عدنا إلى البدايات».

«هل هي مجنونة؟»، سأل جورج بوركيت.

«اصمت!»، قال آشورث. كان يميل إلى الأمام مُسنداً نفسه على بطنه، وعيناه ثابتتين على الشاشة.

توقفت مورين لتشرب بعض الماء ثم لتفرك عينيها الغارقتين عميقاً في محجريهما. عينان مريضتان. عينان حزبتان. عينان مُحْتَصِرَتان، فكر لوك في سره، تحدّقان بالأبدية مباشرة.

«كان لا يزال قراراً صعباً، وليس فقط بسبب ما يمكنهم فعله لي أو لك يا لوك. كان صعباً لأنك إذا نجحت في الهروب حقاً، إذا لم يقبضوا عليك في الغاية أو في دينيسون ريفر بند، وإذا استطعت إيجاد شخص يصدّقك... إذا تخطيت كل تلك الـ إذا، قد تتمكن من فضح ما يجري هنا منذ خمسين أو ستين سنة. تُهدّم كل شيء على رؤوسهم».

مثل شمشون في المعبد، فكر لوك في سره.

مالت إلى الأمام ونظرت إلى العدسة مباشرة. إليه مباشرة.

«وهذا يمكن أن يعني نهاية العالم».

21

حوّلت الشمس الغاربة السكك الحديدية القريبة من طريق الولاية 92 إلى خطوط نار حمراء زهرية، وبدا أنها تسلط ضوءها على اللافتة التي أمامها مباشرة:

أهلاً بكم في دويراي، ك.ج.

مقرّ مقاطعة فيرلي

عدد السكان 1,369

مكان لطيف للزيارة ومكان ألطف للعيش!

أوقف دينيه وويليامز الشاحنة الأمامية عند حافة الطريق الترابية. تبعه الآخرون. تكلم مع الجالسين في شاحنته - السيدة سيغسبي، الطبيب إيفانز، ميشيل روبيرتسون - ثم ذهب إلى الشاحنتين الأخرين. «أطفئوا اللاسلكي، وانزعوا سماعات الرأس. لا نعرف ما هي الترددات التي قد يستمع إليها السكان المحليون أو شرطة الولاية. أطفئوا الهواتف الخلوية. هذه العملية مغلقة الآن وستبقى كذلك إلى أن نعود إلى المهبط».

عاد إلى الشاحنة الأمامية، وعاود الجلوس خلف المقود، واستدار إلى السيدة سيغسبي. «كل شيء بخير يا سيدتي؟».

«بخير».

«أنا هنا مُكرهاً»، قال الطبيب إيفانز مرة أخرى.

«اصمت»، قالت السيدة سيغسبي. «دينيه؟ هيا بنا».

دخلوا مقاطعة فيرلي. هناك حظائر وحقول ومجموعة أشجار صنوبر على أحد جانبي الطريق؛ وسكك حديدية ومزيد من الأشجار على الجانب الآخر. البلدة نفسها تبعد الآن ثلاثة كيلومترات فقط.

22

كانت كورين راوسون تقف أمام صالة العرض تثرثر مع جايك «الأفعى» هاولاند وفيل «الحبّة» تشافتيس. معنّفة في طفولتها على يد أبيها واثنين من إخوتها الأربعة الأكبر منها سنّاً، لم تعاني كورين من أي مشكلة أبداً في عملها في النصف الخلفي. تعرف أن الأولاد يسمّونها كورين الصافعة، ولا بأس بهذا. فقد صُفّعت كثيراً في حديقة رينو للمقطورات حيث ترعرعت، وبالنسبة لها، المرء لا يحصد إلا ما زرعه. كما أن هذا يجري من أجل قضية جيدة. ما يسمّى حالة ربح للجميع.

بالطبع هناك سلبيات للعمل في النصف الخلفي. بادئ ذي بدء، يُحشأ رأسك بمعلومات كثيرة. فهي تعرف أن فيل يريد مضاجعتها على عكس جايك الذي يفضّل النساء ذوات الرفوف المزدوجة العريضة في الأمام والحمولة الزائدة في الخلف. وتعرف أنهما يعرفان أنها لا تريد أي نوع من العلاقة من أي منهما، على الأقل ليس بهذه الطريقة؛ فمنذ سنّ السابعة عشرة وهي تميل حصراً إلى الجهة الأخرى.

يبدو التخاطر رائعاً دائماً في القصص والأفلام، لكنه مزعج جداً في الحياة الحقيقية. فالهمة ترافقه، وهذه نقطة سلبية. وهو تراكمي، وهذه نقطة سلبية كبيرة. يتم تبادل مدبّرات المنزل والبوابين بين النصف الأمامي والنصف الخلفي وهذا يساعد، لكن الممرّضين الحمر يعملون هنا وليس في أي مكان آخر. هناك فريقان، ألفا وبيتا، يعمل كل واحد منهما لأربعة أشهر متواصلة، ثم ينال إجازة لأربعة أشهر. شارفت كورين على نهاية وريدتها الرباعية الأشهر. ستمضي أسبوعاً أو أسبوعين في إزالة الضغط في قرية الموظفين المجاورة، لتسترجع ذاتها الأساسية، ثم تنتقل إلى منزلها الصغير في نيوجيرسي، حيث تعيش مع أندريا، التي تصدّق أن شريكها تعمل في مشروع عسكري سري للغاية. سري للغاية صحيح؛ لكنه ليس عسكرياً.

سيتضاءل التخاطر المنخفض المستوى خلال إقامتها في القرية، وسيكون قد زال حين تعود إلى أندريا. ثم بعد بضعة أيام في وريدتها التالية، سيبدأ بالتسلل من جديد. لو كانت قادرةً على الشعور بالتعاطف (وهذا إحساس تُسف منها في سنّ الثالثة عشرة)، لَشَعَرَتْ به تجاه الطبيب هالاس والطبيبة جايمس. فهما هنا كل الوقت تقريباً، وهذا يعني أنهما معرّضان للهمة باستمرار تقريباً، ويمكن رؤية تأثير ذلك عليهما. تعرف أن الطبيب هندريكس، رئيس الخدمات الطبية في المعهد، أعطى أطباء النصف الخلفي حُقناً يُفترَض بها أن تحدّ من التآكل المتواصل، لكن هناك فرقاً كبيراً بين الحدّ من شيء وبين إيقافه.

هوراس كيلر، وهو ممرض أحمر على علاقة ودّية معه، يسمّي هَكل وجَكل مجنوتين عاليي الأداء. يقول إن أحدهما أو كليهما سيخرج عن طوره في نهاية المطاف، وعندها ستضطر السلطات العليا إلى إيجاد موهبة طبية جديدة. هذا لا شيء بالنسبة لكورين. فوظيفتها هي التأكد أن الأولاد يأكلون عندما يُفترَض بهم أن يأكلوا، ويدخلون عُرفهم عندما يُفترَض بهم الذهاب إلى عُرفهم (ما يفعلونه هناك لا يعنينا أيضاً)، ويشاهدون الأفلام في ليالي الأفلام، ولا يخرجون عن الخط. وعندما يفعلون ذلك، تصفعهم.

«الموتى دماغياً مضطربون هذه الليلة»، قال جايك الأفعى. «يمكن سماعهم هناك. المسدّسات الصاعقة على أهبة الاستعداد خلال تغذية الساعة الثامنة، صح؟».

«حالتهم أسوأ في الليل دائماً»، قال فيل. «أنا لا... مهلاً، تباً لهذا».

شَعرت بها كورين أيضاً. كانوا معتادين على المهمة، على غرار اعتياد المرء على صوت برّاد صاحب أو مكيف هواء يطرطق. لكنها ارتفعت فجأة إلى المستوى الذي عليهم تحمّله في ليالي الأفلام التي تكون ليالي المُشترّة أيضاً. لكنها في ليالي الأفلام تأتي غالباً من خلف الأبواب المُقفلة للجناح أ، المعروف أيضاً بمنتزه اللادماغيين. يمكنها الشعور بها قادمة من هناك الآن، لكنها قادمة من اتجاه آخر أيضاً، مثل ضغط رياح عاتية. من غرفة الاستراحة التي ذهب إليها أولئك الأولاد لتمضية وقتهم الحر بعد انتهاء الفيلم. في البدء ذهبت مجموعة أولى إلى هناك، أولئك الذين لا يزالون عاليي الأداء، ثم تبعهم ولدان اعتبرتهما كورين قبيل مرحلة الموت دماغياً.

«ماذا يفعل أولئك الملاعين؟»، صرّخ فيل ووضّع يديه على صدغيه.

ركّضت كورين نحو غرفة الاستراحة وهي تستلّ عصا صعّقها، وجايك خلفها. أما فيل - ربما الحساس أكثر للمهمة، وربما خائف فحسب - فبقي مكانه يضغط راحتي يديه على صدغيه كما لو أنه يريد منع دماغه من الانفجار.

ما رآته كورين عندما وصلت إلى الباب هو حوالي دزينة أولاد. حتى آيريس ستانهوپ، التي ستذهب بالطبع إلى منتزه اللادماغيين بعد فيلم الغد، كانت هناك. كانوا يقفون في دائرة، ممسكين أيدي بعضهم البعض، والآن المهمة قوية كفاية لجعل عيني كورين تدمعان. شعرت أنه يمكنها حتى الإحساس بحشوات أسنانها تهترّ.

أمسكي الفتى الجديد، فكّرت في سرّها. الجمبري. أعتقد أنه هو الذي يحفّز هذا. اصعقيه وستنقطع الدارة.

لكن حتى وهي تفكّر بذلك، انفتحت أصابعها وسقطت عصا الصعق على السجادة. خلفها، تائهة تقريباً في الهمهمة، سمعت جايك يصرخ بأعلى صوته على الأولاد بأن يتوقفوا عن فعل ما يفعلونه ويذهبوا إلى عُرفهم. الفتاة السوداء تنظر إلى كورين، وهناك ابتسامة وِحة على شفّتها.

سأصفع تلك النظرة عن وجهك يا آنسة، فكّرت كورين في سرّها، وعندما رفعت يدها، أومأت الفتاة السوداء برأسها.

هذا صحيح، اصفعي.

انضم صوت آخر إلى صوت كاليشا: اصفعي!

ثم كل الآخرين: اصفعي! اصفعي! اصفعي!

بدأت كورين راوسون تصفع نفسها، بيدها اليمنى أولاً، ثم بيدها اليسرى، مراراً وتكراراً، بقوة أكثر وأكثر، مُدركةً أن خديها سخنا أولاً ثم بدأ يحترقان، لكن ذلك الإدراك كان خافتاً ونائياً، لأن الهمهمة لم تعد همهمة أبداً الآن بل زعيقاً صاخباً.

أوقعها جايك أرضاً على رُكبتَيها أثناء تجاوزه لها مُسرِعاً. «توقفوا عما تفعلونه أيها اللعينون الحقيرون -»

ارتفعت يده وحدثت فرقة كهربائية بينما صعق نفسه بين عينيه. ارتعش إلى الخلف، وتباعدت رجلاه عن بعضهما أولاً ثم ارتطمتا ببعضهما كما لو أنهما تؤدّيان حركة غريبة على حلبة رقص، وانتفخت عيناه. فغر فمه وأقحم عصا الصعق فيه. كُتم صوت الفرقة الكهربائية، لكن النتيجة كانت جليّة. تورّمت حنجرته مثل مثانةٍ، وأشرق ضوء أزرق وجيز جداً من منخريه. ثم وَقَعَ إلى الأمام على وجهه، حاشراً عصا الصعق النحيلة في فمه بالكامل، وإصبعه لا يزال يضغط على زنادها.

قادتهم كاليشا في رواق المقيمين وأيديهم لا تزال مشبوكة ببعضها مثل تلاميذ صف روضة أولى في نزهة مدرسية. رأهم فيل الحبة وارتعد خوفاً إلى الخلف، حاملاً عصا صعقه في يده وممسكاً أحد أبواب صالة العرض بالأخرى. على مسافة بعيدة قليلاً في الرواق، بين الكافيتيريا في جهة الجناح أ في الأخرى، وقّف الطبيب إيفيرت هالاس فاغراً فمه.

بدأت الآن قبضات تطرق على الأبواب المزدوجة المُقفلة لمنتزهِ اللادماغيين. أفلت فيل عصا الصعق ورفع يده التي كانت تحملها ليُظهر للأولاد

المقترِبين أنها فارغة.

«لن أكون مشكلةً»، قال. «مهما كنتم تنوون أن تفعلوا، لن أكون مشكلةً -»

انغلقت أبواب صالة العرض بقوة، مما قَطع صوته وكذلك ثلاثة من أصابعه.

استدار الطبيب هالاس وفرّ.

ظهر ممزّضان حمراوان آخران من غرفة استراحة الموظفين التي ما بعد السُّلم الذي يؤدي إلى محرقة الجثث. ركّضا نحو كاليشا وكادرها المؤقت شاهرين عُصي الصعق. توقّفا خارج الأبواب المُقفلة للجناح أ وصعقا بعضهما البعض، وسقطا على رُكبتيهما. بقيا يتبادلان صواعق كهربائية إلى أن انهارا فاقدَي الوعي. ظهر المزيد من الممزّضين، إما لأنهم رأوا ما كان يحصل أو شَعروا به، وانسَحَبوا، بعضهم نزولاً على الدرجات نحو محرقة الجثث (طريق مسدود في أكثر من طريقة واحدة)، وبعضهم الآخر إلى غرفة استراحة الموظفين أو غرفة استراحة الأطباء الأبعد منها.

هيا يا شا. كان آيفيري ينظر إلى ما بعد فيل - الذي كان يعوي على بقايا أصابعه المبتورة - والممزّضين المذهولين في الرواق.

ألسنا خارجين؟

نعم. لكننا سندعهم يخرجون أولاً.

بدأ الأولاد المتشابكو الأيدي يسرون في الرواق إلى الجناح أ، إلى قلب الهمهمة.

23

«لا أعرف كيف يختارون أهدافهم»، كانت مورين تقول. «لطالما تساءلتُ عن هذا، لكن لا شك أن الأسلوب ناجح، لأن لا أحد رمى قبلة ذرّبة أو بدأ حرباً عالميةً منذ أكثر من خمس وسبعين سنة. فكّر كم رائع هذا الإنجاز. أعرف أن البعض يقولون إن السماوات تحمينا، والبعض يقولون إنها الديبلوماسية، أو ما يسمّونه الدمار المتبادل المؤكد، لكنني لا أصدّق أيّاً من هذا. إنه المعهد».

سكتت قليلاً لتشرب الماء مرة أخرى، ثم استأنفت.

«يعرفون أي أولاد يأخذون بسبب اختبار يخضع له معظم الأولاد عند الولادة، لا يُفترض بي معرفة ما هو ذلك الاختبار، فأنا مجرد مدبرة منزل وديعة، لكنني أنصت مثلما أشي. وأتطقل. يسمّى الجين BDNF، وهذا اختصار عامل التغذية العصبية المستمد من الدماغ. الأولاد الذين لديهم جين BDNF عالٍ يستهدفون، يُتابعون، ثم يؤخذون في نهاية المطاف ويُحصرون إلى المعهد. يكونون كباراً في السنّ أحياناً حتى حدود السادسة عشرة، لكن معظمهم صغارٌ في السنّ. يُمسيكون أولئك الذين لديهم رقم جين BDNF مرتفع حقاً في أسرع وقت ممكن. كان لدينا أولاد هنا في الثامنة من أعمارهم فقط.»

هذا يفسّر قدوم آيفيري، فكرّ لوك في سرّه. وتوأما ويلكوكس.

«يتم تحضيرهم في النصف الأمامي. يُنجز أحد أجزاء عملية التحضير بالحُقن، ويُنجز جزء آخر منها بتعريضهم لشيء يسمّيه الطبيب هندريكس أضواء شتازي. لبعض الأولاد الذين أتوا إلى هنا قدرات تخاطرية - يقرأون الأفكار. ولبعضهم الآخر قدرات تحريك عقلي - تحكّم الذهن بالمادة. بعد الحُقن والتعرّض لأضواء شتازي، يبقى بعض الأولاد مثلما كانوا، لكن قدرة معظمهم التي أخذوا من أجلها تصبح أقوى قليلاً على الأقل. وهناك قلة، يسمّيهم هندريكس زهريين، يخضعون لاختبارات وحُقن أكثر من غيرهم ويطوّرون القدرتين أحياناً. سمعتُ الطبيب هندريكس يقول ذات مرة إنه قد تكون هناك قدرات أكثر حتى، ويمكن لاكتشافها أن يغيّر كل شيء إلى الأفضل.»

«تخ و تع أيضاً»، همسَ لوك. «حصل لي هذا، لكنني أخفيته. على الأقل حاولتُ ذلك.»

«عندما يصبحون جاهزين ل... للعمل، يُنقلون من النصف الأمامي إلى النصف الخلفي حيث يشاهدون أفلاماً تُظهر الشخص نفسه مراراً وتكراراً. في منزله، في عمله، في الملعب، في اللقاءات العائلية. ثم يشاهدون صورة محقّزة تُعيد أضواء شتازي وتربطهم ببعضهم أيضاً. فطاقاتهم خفيفة عندما يكونون لوحدهم، حتى بعد التحسينات، لكن عندما يجتمعون، ترتفع قوتهم... هناك كلمة لهذا...»

«أضعافاً مضاعفة»، قال لوك.

«لا أعرف الكلمة. أنا مُتعبة. المهم هو أن أولئك الأولاد يُستخدمون للتخلّص من بعض الأشخاص. يبدو الأمر حادثاً أحياناً، وأحياناً انتحاراً، وأحياناً

أخرى جريمة قتل. لكنهم الأولاد دائماً. ذلك السياسي، مارك بيركوفيتس؟ إنهم الأولاد. جانكي غافور، ذلك الرجل الذي يُظنُّ أنه فَجَّر نفسه بالخطأ في مَصنعه لإعداد القنابل في إقليم قندوز منذ سنتين؟ إنهم الأولاد. هناك آخرون كُثُر، فقط خلال مدة عملي في المعهد. ستقول لي إنه لا يوجد مَبْرَّر منطقي لكل ذلك - المستهدَف منذ ست سنوات كان شاعراً أرجنتينياً شرب محلولاً لصنع الصابون - نعم لا يوجد مَبْرَّر منطقي يمكنني رؤيته، لكن لا شك أن هناك واحداً، لأن العالم لا يزال هنا. سمعتُ السيدة سيغسبي، إنها المدير، تقول ذات مرة إننا مثل أشخاص ينقذون باستمرار زورقاً كان سيغرق لولا تدخلنا، وأنا أصدِّقها».

فركت مورين عينيها مرة أخرى، ثم مالت إلى الأمام ونظرت إلى الكاميرا باهتمام.

«يحتاجون إلى سيل متواصل من الأولاد الذين لديهم جين BDNF عالٍ، لأن النصف الخلفي يستهلكهم. يُصابون بضداعات تزداد سوءاً أكثر فأكثر، وكلما يعاينون أضواء شتازي، أو يرون الطبيب هندريكس مع المُشترِّرة، يخسرون المزيد من ذواتهم الأساسية. وفي النهاية، عندما يُرسلون إلى منتزه اللادماغيين - هذا ما يُطلقه الموظفون على الجناح أ - يصبحون أولاداً مصابين بالخبل أو بمرحلة متقدمة من مرض ألزهايمر. تزداد حالتهم سوءاً أكثر فأكثر إلى أن يموتوا. من التهاب رئوي عادة، لأنهم يُبقون منتزه اللادماغيين بارداً عن عمد. أو يموتون أحياناً كما...» هزَّت كتفيها. «يا إلهي، كما لو أنهم نسوا فحسب كيف يأخذون النَّفس التالي. أما بالنسبة للتخلص من الجثث، فالمعهد يملك أحدث محرقة جثث».

«لا»، قال المأمور آشورث بصوتٍ خافتٍ. «آه، لا».

«يعمل الموظفون في النصف الخلفي وفق ما يسمونه جولات طويلة. أي أنهم يعملون لبضعة أشهر متواصلة ثم يأخذون إجازة لبضعة أشهر متواصلة. يجب أن يتم الأمر بهذه الطريقة، لأن الجو سام. لكن بما أن لا أحد من الموظفين يملك جيناً BDNF عالياً فإن العملية تعمل بشكل أبطأ عليهم. وبعضهم بالكاد يبدو أنه يتأثر بها أبداً».

سكنت قليلاً لتأخذ رشفة ماء.

«هناك طبيبان يعملان في المعهد طوال الوقت تقريباً، وكلاهما يفقدان عقليهما. أعرف لأنني كنتُ هناك. تعمل مدبِّرات المنزل والبوابون في جولات

أقصر بين النصف الأمامي والنصف الخلفي. الشيء نفسه يحصل مع موظفي الكافيتيريا. أعرف أن هذه معلومات كثيرة في وقت قصير، وهناك المزيد، لكن هذا كل ما أقدر على تقديمه الآن. يجب أن أذهب، لكن معي شيء أريد أن أريك إياه يا لوك. أنت وأي شخص ربما يشاهد هذا معك. من الصعب النظر إليه، لكنني أمل أن تتمكن من ذلك، لأنني خاطرتُ بحياتي للحصول عليه».

أخذت نفساً مرتعشاً وحاولت أن تتنسم. بدأ لوك يبكي، بصمت في البدء.

«لوك، مساعدتك على الهروب كان أصعب قرار في حياتي، حتى والموت يحدّق بي وجهاً لوجه والجحيم، ليس عندي شك، ينتظرني على الجهة الأخرى من الموت. كان قراراً صعباً لأن الزورق قد يغرق الآن، والذنب سيكون ذنبي. كان عليّ أن أختار بين حياتك وربما حياة مليارات الأشخاص على كوكب الأرض الذين يعتمدون على عمل المعهد حتى دون أن يعرفوا ذلك. اخترتك عليهم كلهم، وليسامحني الله».

أصبحت الشاشة زرقاء. مدّ تاغ يده إلى لوحة مفاتيح الكمبيوتر المحمول، لكن تيم أمسكها. «انتظر».

ظهر خطٌ ساكنٌ وسُمعت تكتكة، ثم بدأ فيديو جديد. كانت الكاميرا تتحرّك في رواق على أرضه سجادة زرقاء سميكة. هناك ضجة جشّاء متقطعة، وراحت الصورة تتنقل بين الحين والآخر بين ظلمة وضوء كما لو أنها خلف مصراع.

إنها تصوّر بنفسها، فكّر لوك في سرّه. تصوّر من خلال فجوة أو مزق أحدثته في جيب زيّها. وتلك الضجة الجشّاء هي احتكاك لباسها بالميكروفون.

شكّ أن تتمكّن الهواتف الخلوية من إجراء مكالمات في الغابات العميقة لماين الشمالية، لكنه توقع أنها ممنوعة منعاً باتاً في المعهد في جميع الأحوال، لأن الكاميرات ستظل قادرة على العمل. لو ألقى القبض على مورين، لما فقدت راتبها أو وظيفتها فحسب. لقد خاطرت بحياتها حقاً. هذا جعل الدموع تنهمر بغزارة أكثر. شَعَر بالشرطية غوليکسون - ويندي - تضع ذراعها حوله. أسند رأسه عليها بامتنان، لكنه أبقى عينيه على شاشة الكمبيوتر المحمول. ها هو النصف الخلفي أخيراً. هذا ما هَرَب منه. هذا هو المكان الذي يتواجد فيه آيفيري الآن بلا شك، بافتراض أنه لا يزال حيّاً.

مرّت الكاميرا عبر أبواب مزدوجة مفتوحة على اليمين. استدارت مورين لبرهة لِتُعطي المشاهدين نظرة على صالة العرض التي تتضمن حوالي

عشرين مقعداً فحماً. ظهر ولدان يجلسان هناك.
«هل تلك الفتاة تدخن؟»، سألت ويندي.

«نعم»، قال لوك. «أظن أنهم يدعونهم يحصلون على السجائر في النصف الخلفي أيضاً. الفتاة من أصدقائي. تدعى آيريس ستانهوپ. أخذوها قيل أن أخرج. أتساءل إن كانت لا تزال حيّة؟ وإن كانت لا تزال تستطيع أن تفكر، إن كانت حيّة».

دارت الكاميرا عائدةً إلى الرواق. مرّ ولدان آخران، ورفعنا نظريهما نحو مورين دون إبداء أي اهتمام بها قبل أن يخرجنا من الإطار. ثم ظهر ممّرض في ثوب فضفاض أحمر. صوته مكتوم داخل الجيب الذي أخفت فيه مورين هاتفها، لكن كلماته مفهومة: سألتها إن كانت مسرورة من عودتها. وسألته مورين إن بدت له مجنونة، وضحك. قال شيئاً عن القهوة، لكن قماش الجيب كان يحفّ بصخب، ولم يستطع لوك سماعه.

«هل يضع مسدّساً على خصره؟»، سألت المأمور جون.

«إنه عصا صعق»، قال لوك. «أو ما تسمّونه مسدّساً صاعقاً. هناك زر عليها يزيد مستوى الفولطية».

فرانك پوتر: «لا شك أنك تمزح!».

مرّت الكاميرا بمجموعة أخرى من الأبواب المزدوجة المفتوحة، على اليسار هذه المرة، وتقدّمت عشرين أو ثلاثين خطوة إضافية، ثم توقفت عند باب مُغلق مطبوع عليه الجناح أ بالأحمر. قالت مورين بصوتٍ منخفضٍ، «هذا هو منتزه اللادماغيين».

ظهرت يدها، المكسوة بقفاز لاتكس أزرق، في الإطار. كانت تمسك بطاقة مفتاح. بدت للوك مثل بطاقة المفتاح التي سرقها ما عدا أن لونها برتقالي ساطع، لكن خطر بباله أن العاملين في النصف الخلفي ليسوا مهمّلين بشأنها مثل العاملين في النصف الأمامي. ضعطتها مورين على المربع الإلكتروني فوق مسكة الباب، وسُمع أزيز، ثم قُتِح الباب.

الجحيم وراءه.

آني اليتيمة من عشاق البيسبول، وُتمضي عادة أمسيات الصيف الدافئة في خيمتها تستمع إلى مباريات فريق صغير من كولومبيا في الدوري الثانوي يدعى البراعات. تفرح كثيراً عندما ينتقل أحد لاعبيه إلى الدوري الرئيسي في بينغامتون، لكنها تحزن دائماً لفقدانهم. عندما تنتهي المباراة، قد تنام قليلاً، ثم تستيقظ وتنتقل إلى برنامج جورج أولمان لترى ما يجري في ما يسميه جورج عالم الغربيين المدهش.

لكنها فضولية هذه الليلة بشأن الفتى الذي قفز من القطار. لذا قرّرت أن تأتي إلى المخفر وترى إن كان يمكنها معرفة أي شيء. لن يدعونها تدخل من الباب الأمامي على الأرجح، لكن فرانكي پوتر أو بيلي ويكلو يخرج إلى الزقاق أحياناً، حيث تُبقي فراشها الهوائي ومؤونتها الاحتياطية، ليدخّن سيجارةً. لذا فقد يُخبرانها قصة الولد إذا سألت بلطف. فهي، في النهاية، نظفته وواسته قليلاً، وهذا يعطيها اهتماماً متأسلاً.

هناك مسار يمتدّ من خيمتها القريبة من المستودعات عبر الغابة في الجهة الغربية للبلدة. عندما ذهبت إلى الزقاق لُتمضي الليل على فراشها الهوائي (أو في الداخل إذا كان الطقس قارساً - يدعونها تفعل ذلك الآن، بفضل مساعدتها تيم بصنع راية إبطاء السرعة)، سلكت المسار وصولاً إلى الجوهرة، صالة السينما في البلدة، حيث شاهدت عدة أفلام مثيرة للاهتمام عندما كانت أصغر سنّاً (وأعقل قليلاً). الصالة مقفلة منذ خمس عشرة سنة، ومرأب السيارات الذي خلفها عبارة عن برية أعشاب ضارة. تجتاز تلك المسافة عادة وتصعد إلى جناح الطوب المتهالك للمسرح القديم وصولاً إلى الرصيف. يقع المخفر ومركز دويراي التجاري على الجهة الأخرى للشارع الرئيسي، حيث يمتدّ زقاقها (هكذا تعتبره) بينهما.

هذه الليلة، وبينما كانت على وشك الخروج من المسار نحو مرأب السيارات، رأت مركبةً تدخل شارع الصنوبر. تبعثها مركبة أخرى... ثم أخرى. ثلاث شاحنات تسير الواحدة تلو الأخرى. رغم أن الشفق كان يتقدّم، إلا أن أضواءها لم تكن مُضاءةً. وقفت أني خلف الأشجار تراقبها تدخل المرأب الذي كانت على وشك اجتيازه. استدارت الشاحنات كما لو أنها في تشكيل عسكري، وتوقفت خلف بعضها البعض موجهةً مقدماتها نحو شارع الصنوبر. كما لو أنها قد تحتاج إلى الفرار سريعاً، فكرت في سرّها.

فُتحت الأبواب. نزل بعض الرجال والنساء. أحد الرجال يرتدي سترة رياضية وسروالاً جميلاً فيه ثنيةٌ وإحدى النساء، أكبر سنّاً من الآخرين، ترتدي بذلة نسائية حمراء داكنة. وامرأةٌ أخرى ترتدي فستاناً عليه زهور. هذه الأخيرة

تحمل جزداناً، على عكس الأربعة الأخريات. معظمهن يرتدين سراويل جينز وقمصاناً داكنةً.

ما عدا الرجل ذو السترة الرياضية، الذي وَقَفَ إلى الخلف فحسب وراح يراقب، تحرَّك الباكون بسيرة وحزم، مثل أشخاص في مهمة. بدوا عسكريين لأنني، وسرعان ما تأكد انطباعها هذا. فقد فتح اثنان من الرجال وإحدي النساء الأصغر سناً الأبواب الخلفية للشاحنات. أخرج الرجلان صندوقاً فولاذياً طويلاً من إحداها. ومن الجهة الخلفية لشاحنة أخرى خرجت أحزمة أقربة وِرْعَتها المرأة على الجميع ما عدا على الرجل ذي السترة الرياضية ورجل آخر ذي شعر أشقر قصير والمرأة المرتدية فستان الزهور. فُتِح الصندوق الفولاذي وخرجت منه بندقيتان طويلتان ليستا من صنف بنادق الصيد. كانتا ما اعتقدته أني لوذو بندقيتين لمدرسة تعليم إطلاق النار.

وضعت المرأة المرتدية فستان الزهور مسدّساً صغيراً في جزدانها. وحشّر الرجل الذي بجانبها مسدّساً أكبر في حزامه عند أسفل ظهره، ثم أسدلّ ذيل قميصه فوقه. وضع الآخرون أسلحتهم في قرايبها. بدوا كأنهم فريق مداهمة. تبا، إنهم فريق مداهمة. لم تر أني كيف يمكنهم أن يكونوا أي شيء آخر.

أي شخص عادي - شخص لا يستقي أخباره كل ليلة من جورج أولمان، مثلاً - ربما كان لينظر إلى كل ذلك بارتباك مرتعب ويتساءل ماذا تفعل مجموعة لعينة من رجال ونساء مسلحين في بلدة خاملة في كارولينا الجنوبية لا تتضمن سوى مصرف واحد فقط ويُقفل كل شيء فيها خلال الليل. الشخص العادي كان ليُخرج هاتفه الخلوي ويتصل بـ 911. لكن أني ليست شخصاً عادياً، وتعرف تماماً ما ينوي فعله أولئك الرجال والنساء المسلحين، وعددهم عشرة على الأقل وربما أكثر. لم يأتوا في السيارات الرباعية الدفع السوداء التي كانت تتوقعها، لكنهم هنا للفتى بكل تأكيد.

الاتصال بـ 911 لتنبيه الأشخاص في المخفر ليس خياراً على كل حال، لأنها لن تحمل هاتفاً خلويّاً حتى ولو كانت قادرة على تحمّل ثمن واحد. فالهواتف الخلوية تبتّ إشعاعات في الرأس، أي مغفّل يعرف ذلك، كما أنه يمكنهم تعقبها بهذه الطريقة. لذا تابعت أني سيرها على المسار، أخذت تركض الآن، إلى أن وصلت إلى الجهة الخلفية لصالون حلقة دويراي الذي يبعد مسافة مبنيين. هناك درج متخلّع يقود إلى الشقة التي فوقه. صعده أني بأسرع ما يمكنها، وهي تُمسك شالها السيرابي وتنورتها الطويلة تحتها لكي لا تنزل قدمها وتسقط. راحت تطرق على الباب في الأعلى إلى أن رأت كوربيت دنتون عبر الستارة المتعرجة يجرّ قدميه نحوها يقوده بطنه الكبير. دقّ

الستارة جانباً وحدّق بالخارج ورأسه الأضلع يلمع تحت ضوء سقف المطبخ الملطخ ببراز الذباب.

«آني؟ ماذا تريدان؟ لن أعطيك أي شيء لتأكله، إذا كان ذلك -»

«هناك رجال»، قالت وهي تلهث لتلتقط أنفاسها. كان يمكنها أن تضيف أن هناك نساءً أيضاً، لكن مجرد قول رجال بدا مخيفاً أكثر، بالنسبة لها على الأقل. «لقد ركنوا خلف الجوهرة!».

«انصرفي يا آني. ليس لدي وقت لحماقاتك -»

«هناك فتى! أعتقد أن أولئك الرجال ينوون الذهاب إلى المخفر واختطافه! أعتقد أنه سيحدث إطلاق نار!».

«تباً، ما هذا الذي تقولينه -»

«رجاءً أيها الطبّال، رجاءً! أعتقد أن معهم رشاشات، وذلك الفتى، إنه فتى لطيف!».

فتح الباب. «دعيني أشمّ رائحة أنفاسك».

أمسكته بقميص بيجامته. «لم أتناول شراباً منذ عشر سنوات! رجاءً أيها الطبّال، لقد أتوا للفتى!».

شمّ عابساً الآن. «لا شراب. هل تهلوسين؟».

«لا!».

«قلت رشاشات. هل تقصدان بنادق آلية، مثل AR-15؟». بدأ دنتون الطبّال يبدو مهتماً.

«نعم! لا! لا أعرف! لكن لديك مسدّسات، أعرف ذلك! عليك أن تُحضرها!».

«لقد فقدت عقلك»، قال وعندها بدأت آني تبكي. يعرفها الطبّال معظم حياته، وحتى إنه ذهب للرقص معها مرة أو مرتين عندما كانا أصغر سناً بكثير، ولم يرها تبكي أبداً. تصدّق حقاً أن شيئاً يحصل، وقرّر الطبّال أنه لا مانع لديه من مجاراتها. فهو كان يفعل ما يفعله كل ليلة فحسب، وهو التفكير بالغباء الأساسي للحياة.

«حسناً، هيا نلقي نظرة».

«ومسدّساتك؟ ستُحضِر مسدّساتك؟».

«تَباً لا. قلتُ إننا سنذهب ونلقي نظرة».

«أيها الطُّبَّال، رجاءً!».

«اسمعي»، قال. «هذا كل ما أنا مستعد أن أفعله. اقبله أو ارفضه كما

هو».

لعدم وجود خيار آخر لديها، قبلته آني اليتيمة.

25

«آه يا إلهي، ما هذا الذي أنظر إليه؟».

خرجت كلمات ويندي مكتومة لأنها كانت تضع يدها على فمها. لم يُجبها أحدٌ. كانوا يحدِّقون بالشاشة، ولوك جامدٌ من الدهشة والرعب ومن الراحة أيضاً.

النصف الخلفي للنصف الخلفي - الجناح أ، منتزه اللادماغيين - غرفة طويلة مرتفعة بدت للوك من صنف المصانع المهجورة التي تدور فيها معارك بالمسدّسات دائماً في نهاية أفلام الحركة التي كان يحبّ ورولف مشاهدتها منذ ألف سنة، عندما كان ولداً حقيقياً. الجناح مُضاء بقضبان فلورية موضوعة خلف شبكة سلكية تُلقي ظلالاً وتعطي المكان جواً مُخيفاً كأنه يقع تحت سطح البحر. هناك نوافذ طويلة ضيقة مُغطاة بشبكة سلكية أثنى. لا توجد أسرّة، فقط فُرُش عارية. بعض تلك الفُرُش مدفوعة إلى الأروقة، واثنتان منها مقلوبتان، وواحدة مُسنّدة بترّج على جدار من الطوب الخرساني العاري. كان ملطخاً بمادة صفراء ربما هي قيء.

هناك مزراب طويل مليء بمياه جارية يمتدّ على طول أحد جدران الطوب الخرساني التي طبع عليها شعار يقول أنتم منقذون! قرفصت فتاة عارية ما عدا من جاربتين قذرتين فوق ذلك المزراب وأسندت ظهرها على الجدار وبديها على رُكبتَيها. كانت تتبرّز. سُمع صوت أجش بفعل احتكاك ملابس مورين بالهاتف الذي في جيبها، حيث ألصقته على الأرجح كي لا يظهر، وحُجبت الصورة للحظة بفعل انسداد الشق الذي كانت الكاميرا تحدّق من خلاله. عندما

فُتح مرة أخرى، كانت الفتاة تبتعد متمهلاً كأنها ثملة، وبرازها ينتقل بعيداً في المزراب.

ظهرت امرأة في زيّ مديرة منزل بئى تستخدم معقماً لتنظف ما قد يكون مزيداً من القىء، أو مزيداً من البراز، أو مجرد طعام مسكوب. رأت مورين، لوّحت لها، وقالت شيئاً لم يستطع أحد منهم فهمه، ليس بسبب المعقم فقط بل لأن منتزه اللادماغيين مزيجٌ مخبولٌ من الأصوات والصراخ. رأوا فتاة تتشقلب في أحد الأروقة المتعرجة، وتجاوزها فتى في سروال داخلي قدر ووجه مليء بالبثور ونظارات وسخة متدلّية على أنفه وهو يصيح «يا-يا-يا-يا-يا» ويضرب أعلى رأسه مع كل مقطع لفظي يشدد عليه. تذكر لوك أن كاليشا ذكرت له فتى ذا بثور ونظارات في يومه الأول في المعهد. يبدو كما لو أن بيتي ذهب منذ فترة طويلة، رغم أن ذلك حصل الأسبوع الفائت فقط، قالت، وها هو ذلك الفتى. أو ما بقي منه.

«ليتلاجون»، همسن لوك. «أعتقد أن هذا إسمه. بيت ليتلاجون».

لم يسمعه أحدٌ. كانوا يحدّقون بالشاشة كما لو أنهم منومون مغنطيسياً.

مقابل المزراب المستخدم لأهداف إقصائية يوجد مجرى طويل على قوائم فولاذية وقفت أمامه فتاتان وفتى. كانت الفتاتان تستخدمان يديهما لتعرفان مادة بئية في فمهما. شَعَر تيم، وهو يحدّق بهذا المشهد وقد اعتراه إحساس بالإنكار والقرف، أنها تشبه حبوب مايبو التي كان يأكلها في طفولته. وكان الفتى قد حنى وجهه في تلك المادة واضعاً يديه على جانبيه ويفرّق أصابعه. ظهر بضعة أولاد آخرين مستقلقين فحسب على فُرشهم، يحدّقون بالسقف بوجوه وشماتها ظلال الشبكة السلكية.

بينما سارت مورين نحو المرأة ذات المعقم، افتراضياً لتحلّ محلها في وظيفتها، اختفت الصورة وعادت الشاشة الزرقاء. انتظروا ليروا إن كانت مورين ستظهر مجدداً على كرسيها المجنّح، ربما لتقدّم مزيداً من الشرح، لكن لم يكن هناك شيء آخر.

«يا إلهي، ما كان ذلك؟»، سأل فرانك پوتر.

«النصف الخلفي للنصف الخلفي»، قال لوك بوجه أبيض أكثر من أي وقت مضى.

«أي صنف من الأشخاص سيضعون أولاداً في -»

«وحوش»، قال لوك. نهض ثم وضع يده على رأسه وترجّح.

أمسكه تيم. «هل سيغمى عليك؟».

«لا. لا أعرف. أحتاج إلى الخروج. أحتاج إلى أن أتنشق بعض الهواء المنعش. أشعر كما لو أن الجدران تُطبق عليّ».

نظرَ تيم إلى المأمور جون، الذي أوماً برأسه. «خذه إلى الزقاق. لنرى إن كان هذا سيُصلح حاله».

«سأتي معك»، قالت ويندي. «ستحتاج لي لتفتح الباب، على أي حال».

الباب الموجود في الطرف البعيد لمنطقة الاحتجاز مطبوع عليه بأحرف بيضاء كبيرة: مخرّج الطوارئ سيرن جرس الإنذار. استخدمت ويندي مفتاحاً من حمّاليتها لتعطل الإنذار، وضغط تيم المسكة الأفقية التي تمتدّ على عرض الباب بكعب يده واستخدم اليد الأخرى ليقود لوك، غير المترجّح الآن لكنه لا يزال شاحباً بشكل رهيب، إلى الزقاق. يعرف تيم ما هو الاضطراب ما بعد الصدمة، لكنه لم يره أيداً ما عدا على التلفزيون. إنه يراه الآن، لدى هذا الفتى الذي لن يكون كبيراً في السنّ كفاية ليحلق ذقنه قبل ثلاث سنوات أخرى.

«لا تدس على أي من أغراض أني»، قالت ويندي. «خاصة فراشها الهوائي. لن تشكرك على ذلك».

لم يسأل لوك ماذا يفعل فراش هوائي وحقيبتنا ظهر وعربة تسوّق بثلاث عجلات وكيس نوم ملفوف في الزقاق. سار ببطء نحو الشارع الرئيسي وهو يأخذ أنفاساً عميقة، متوقفاً مرةً لينحني ويُمسك رُكبتيه.

«هل تشعر بتحسن؟»، سأل تيم.

«سيُخرجهم أصدقائي»، قال لوك وهو لا يزال منحنياً.

«يُخرجون من؟»، سألت ويندي. «أولئك...» لم تعرف كيف تُنهي جملتها. لا يهمّ لأنه لم يبدُ أن لوك يسمعها.

«لا يمكنني رؤيتهم، لكنني أعرف. لا أفهم كيف أقدر على ذلك، لكنني قادر عليه. أعتقد أنه أفسّتر. أقصد أيفيري. كاليشا معه. ونيكي. وجورج. يا للهول كم هم أقوياء! كم هم أقوياء سوباً!».

قَوْمَ لُوكٍ ظَهْرَهُ وَبَدَأَ يَسِيرُ مَرَّةً أُخْرَى. عِنْدَمَا تَوَقَّفَ عِنْدَ مَدْخَلِ الزَّقَاقِ،
أَضَاءَتِ أَعْمَدَةُ الْإِنَارَةِ السِّتَّةَ فِي الشَّارِعِ الرَّئِيسِيِّ. نَظَرَ إِلَى تَيْمٍ وَوِينْدِيِّ
مِنْ دَهْشًا. «هَلْ فَعَلْتُ ذَلِكَ؟».

«لَا يَا عَزِيزِي»، قَالَتْ وَبِينْدِيِّ وَهِيَ تَضْحَكُ قَلِيلًا. «إِنَّهُ وَقْتُهَا الْإِعْتِيَادِي
فَحَسِبْ. هِيَ نَعُودُ إِلَى الدَّخْلِ الْآنَ. تَحْتَاجُ إِلَى أَنْ تَشْرَبَ إِحْدَى عِبَوَاتِ كُولَا
المأمور جون».

لَمَسَتْ كَتْفَهُ. أَبْعَدَهَا لُوكٍ عَنْهُ. «مَهْلًا».

كَانَ زَوْجَانِ يَمْسِكَانِ يَدَيْ بَعْضَهُمَا يَجْتَازَانِ الشَّارِعَ الْمَهْجُورَ. لِلرَّجُلِ
شَعْرٌ أَشْقَرٌ قَصِيرٌ، وَالْمَرْأَةُ تَرْتَدِي فِسْتَانًا عَلَيْهِ زَهْرٌ.

26

انخفضت الطاقة التي يولدها الأولاد عندما أفلت نيكي يدي كاليشا
وجورج، لكن قليلاً فقط. لأن الآخرين تجمّعوا الآن خلف باب الجناح أ وكانوا
يزوّدون معظم الطاقة.

الأمر يشبه أرجوحةً، فكّر نيكي في سرّه. فمع انخفاض القدرة على
التفكير، ترتفع الـ تخ والـ تع. والموجودون خلف ذلك الباب أصبحوا بلا عقول
تقريباً.

هذا صحيح، قال آيفيري. هكذا يتم الأمر. إنهم البطارية.

كان ذهن نيكي صافياً - لا ألم على الإطلاق. عند نظره إلى الآخرين،
خمن أنهم مثله تماماً. من المستحيل تحديد إن كانت الصّداقات ستعود أم لا -
أو متى ستعود. الآن يشعر بالامتنان فحسب.

لا حاجة للمُشَرِّرة بعد اليوم؛ لقد تخطوا ذلك الآن. كانوا يركبون
الهمهمة.

انحنى نيكي فوق الممرّصين اللذين صعقا نفسيهما حتى فقدا وعيهما
وبدأ يفتش في جيوبهما. وجد ما كان يبحث عنه، وسلمه إلى كاليشا التي
سلمته إلى آيفيري. «افعل ذلك أنت»، قالت.

آيفيري ديكسون - الذي كان يجب أن يكون في منزله يتناول العشاء مع
والديه بعد يوم مرهق آخر من كونه أصغر فتى في الصف الخامس - أخذ

بطاقة المفتاح البرتقالية وضغطها على لوح المستشعر. أَرَّ القفل، وُفُتِح الباب. وجدوا مقيمي منتزه اللادماغيين متجمّعين على الجهة الأخرى مثلما تحتشد الخراف معاً في العاصفة. كانوا قذرين ومذهولين، وأغلبهم عراة. واللعب يسيل من العديد منهم. وييتي ليتلجون يصيح «يا-يا-يا-يا» وهو يطرق رأسه.

لن يعودوا أبداً، فكَّر آيفيري في سرّه. تروسهم مفكّكة جداً لكي تُشفى. وربما آيريس أيضاً.

جورج: لكن قد يكون هناك أمل لبقيتنا.

نعم.

تعرف كاليشا أن هذا فظٌّ، لكنها تعرف أنه ضروري أيضاً: في هذه الأثناء، يمكننا استخدامهم.

«ماذا نفعل الآن؟»، سألت كاييتي. «ماذا نفعل الآن ماذا نفعل الآن؟».

للحظة لم يُجبها أيُّ واحد منهم، لأن لا أحد منهم عَرَف. ثم تكلمَّ آيفيري.

النصف الأمامي. هيا تُحضر بقية الأولاد ونخرج من هنا.

هيلين: وإلى أين نذهب؟

بدأ إنذارٌ يدوّي بصخب في تناوبٍ صعوداً وهبوطاً. لم يكثر أحد منهم لذلك.

«سننلق بشأن هذا لاحقاً»، قال نيكي. شبكَ يديه بيدي كاليشا وجورج مرة أخرى. «أولاً، هيا ننتقم قليلاً. هيا نُحدث بعض الأضرار. هل لدى أي واحد منكم مشكلة مع ذلك؟».

لا أحد لديه مشكلة. بأيدي متشابكة مرة أخرى، راح الأحد عشر الذين بدأوا الثورة يسيرون في الرواق نحو غرفة استراحة النصف الخلفي، وردة المصعد التي وراءها. تبعهم مقيموا الجناح أ في تجمهر يشبه حشداً من الزومبيين، ربما شدّتهم مغنطيسية الأولاد الذين لا يزالون قادرين على التفكير. انخفضت المهمة إلى أزيز، لكنها بقيت موجودة.

حاول آيفيري ديكسون أن يبحث عن لوك، آملاً أن يجده في مكان بعيد جداً لكي يكون مفيداً لهم. لأن هذا يعني أن أحد عبيد المعهد على الأقل أصبح

بمأمن. هناك احتمال كبير أن بقيتهم سيموتون، لأن موظفي بؤرة القذارة هذه سيفعلون أي شيء ليمنعوهم من الهرب.

أي شيء.

27

بقي تريفور ستاكهاوس يسير ذهاباً وإياباً في مكتبه في نهاية رواق مكتب السيدة سيغسبي لأنه متوتر جداً لكي يجلس، وسيبقى هكذا إلى أن تتصل به جوليا. قد تكون أخبارها جيدة أو سيئة، لكن أي خبر أفضل من هذا الانتظار.

رنَّ هاتفٌ، لكنه لم يكن الرنين التقليدي للخط الأرضي ولا الصوت بررت-بررت لهاتف مقصورتَه؛ كان البوق المزدوج المُلحَّ للهاتف الآمن الأحمر. آخر مرة رنَّ فيها كانت عند وقوع تلك المهزلة مع التوأمين والفتى كروس في الكافيتيريا. رَفَع ستاكهاوس السَّماعة وقبل أن يتمكن من قول أي كلمة، راح الطبيب هالاس يبربر في أذنه.

«لقد خرجوا، أولئك الذين يشاهدون الأفلام بالتأكيد وأعتقد الموتى دماغياً أيضاً، لقد أذوا ثلاثة ممرّضين على الأقل، لا، أربعة، تقول كورين إنها تعتقد أن فيل تشافتس مات، تكهرب -»

«اصمت!»، صاح ستاكهاوس في الهاتف. ثم عندما تأكد (لا، لم يتأكد، بل أمل فقط) أن يكون قد حظي بانتباه هكل، قال: «رتّب أفكارك وأخبرني ماذا حصل.»

هالاس، الذي صُدم عائداً إلى نسبة تقريبية من العقلانية التي كانت لديه في يوم من الأيام، أخبر ستاكهاوس بما رآه. وقُبيل انتهائه من سرد قصته، بدأ جرس الإنذار العام للمعهد يدوي.

«يا إلهي، هل أطلقت هذا يا إيفيرت؟»

«لا، لا، ليس أنا، لا شك أنها جوان. الطبيبة جايمس. كانت في محرقة الجثث. تذهب إلى هناك للتأمل.»

كاد ذهن ستاكهاوس يشرد جزّاء الصورة الغريبة التي أثارها هذا في مخيلته، حيث تراءت له الطبيبة جكل جالسةً متشابكة الرجلين أمام باب الفرن، ربما تتضرّع للحصول على السكينة، ثم أجبر ذهنه على العودة إلى

الحالة التي بين يديه: لقد قام أولاد النصف الخلفي بنوع من التمرد الغبي. كيف أمكن حصول ذلك؟ هذا لم يحصل أبداً من قبل. ولماذا الآن؟

كان هَكل لا يزال يتكَلَّم، لكن ستاكهاوس سمع كل ما احتاج إليه. «اسمعي يا إيفيرت. جمّع كل البطاقات البرتقالية التي يمكنك إيجادها واحرقها، مفهوم؟ احرقها.»

«كيف... كيف يُفترض بي أن...»

«لديك فرن لعين في الطابق ه!»، زار ستاكهاوس. «استخدم ذلك الشيء اللعين لشيء آخر غير الأولاد!».

أغلق السَّماعة واستخدم الخط الأرضي ليتصل بفيلوز في غرفة الكمبيوتر. أراد أندي معرفة سبب انطلاق الإنذار. بدا خائفاً.

«لدينا مشكلة في النصف الخلفي، لكنني أهتمّ بالأمر. انقل لي ما تصوّره الكاميرات هناك إلى كمبيوتري. لا تطرح أسئلة، افعل ذلك فحسب.»

شغّل كمبيوتره المكتبي - هل استغرق اشتغال هذا الشيء المسنّ كل هذا الوقت سابقاً؟ - وضغط زر الكاميرات الأمنية. رأى كافتيريا النصف الأمامي، فارغة في أغلبها... وبضعة أولاد في الملعب...

«أندي!»، صرّخ. «ليس النصف الأمامي، النصف الخلفي! توقف عن اللهو-»

تبدّلت الصورة، ورأى هَكل عبر عدسة مليئة بالغبار يرتعد خوفاً في مكتبه لحظة دخول جَكل، افتراضياً من جلسة تأملها المقطوعة. كانت تلتفت إلى الورااء.

«حسناً، هذا أفضل. سأكمّل من هنا.»

بدّل الصورة ورأى غرفة استراحة الممرّضين. كان عددٌ منهم يرتعد خوفاً هناك وقد أغلقوا الباب الذي يؤدّي إلى الرواق وأقفلوه افتراضياً. لا شيء مفيد هنا.

بدّل الصورة، وها هو الرواق الرئيسي ذو السجادة الزرقاء وقد تمدّد عليها ثلاثة ممرّضين على الأقل. لا، أربعة. رأى جايك هاولاند يجلس على الأرض خارج صالة العرض ضاغطاً يده على أعلى ثوبه الفصفاض المشبّع بالدم.

بدّل الصورة، وها هي الكافيتيريا، فارغة.

بدّل الصورة، وها هي غرفة الاستراحة. رأى كورين راوسون راكعةً بجانب فيل تشافتس وتثرثر مع شخص على جهازها اللاسلكي. بدا فيل ميتاً بالفعل.

بدّل الصورة، وها هي ردهة المصعد. بدأ باب المصعد ينغلق للتو. المصعد بحجم المصاعد المستخدمة لنقل المرضى في المستشفيات، وكان يعجّ بمقيمين. معظمهم عراة. الموتى دماغياً من الجناح أ. إذا أمكنه إيقافهم هناك... سجنهم هناك...

بدّل الصورة، وعبر طبقة الغبار والأوساخ تلك المثيرة للغضب، رأى ستاكهاوس مزيداً من الأولاد في الطابق ه، حوالي عشرة منهم، يتجمهرون أمام باب المصعد منتظرين أن يُفتح ويتقيأ بقية المتمردّين الصغار. ينتظرون خارج النفق الذي يؤدّي إلى النصف الأمامي. هذا ليس جيداً.

رَفَع ستاكهاوس الخط الأرضي ولم يسمع شيئاً غير الصمت. لقد أغلَق فيلوز الخط من طرفه. عاود ستاكهاوس الاتصال به وهو يشتم الوقت المُهدر. «هل يمكنك أن تقطع الطاقة عن مصعد النصف الخلفي؟ أو توقفه في بئرهِ؟».

«لا أعرف»، قال فيلوز. «ربما. قد يكون مذكوراً في كتيّب إجراءات الطوارئ. فقط دعني أتحد -»

لكن فات الأوان، فقد فُتحت أبواب المصعد في الطابق ه وخرج منه الهاربون من منتزه اللادماغيين، وراحوا يحدّقون بردهة المصعد المبلطة كما لو أنه يوجد شيء لرؤيته هناك. هذا سيئ، لكن ستاكهاوس رأى شيئاً أسوأ. بإمكان هكل وِجكل تجميع عشرات بطاقات مفاتيح النصف الخلفي وحرقتها، لكن ذلك لن يُحدث أي فرق. لأن أحد الأولاد - التافه الذي تعاون مع مدبرة المنزل على هروب إليس - يحمل بطاقة مفتاح برتقالية في يده. سيفتح الباب الذي يؤدّي إلى النفق، كما سيفتح الباب الذي يؤدّي إلى الطابق و في النصف الأمامي. إذا وصلوا إلى النصف الأمامي، يمكن أن يحصل أي شيء.

للحظة، بدا أنها لن تنتهي، تاه ستاكهاوس. كان فيلوز يزعم في أذنه، لكن الصوت بدا نائياً. لأنه نعم، الحقيير الصغير يستخدم البطاقة البرتقالية ويقود فرقته المرحّة إلى النفق. ستأخذهم نزهة لمئتي متر إلى النصف الأمامي. انغلق الباب خلف آخرهم، مما ترك ردهة المصعد السفلية فارغة. بدّل ستاكهاوس إلى كاميرا جديدة ورآهم يسيرون في النفق المبلط.

اقتحم الطبيب هندريكس الغرفة، دونكي كونغ العزيز بذيل قميصه الذي يرفرف وسخابه نصف المفتوح وعينيه الحمراء الجاحظتين. «ماذا يجري؟ ماذا-»

وزيادةً في درجة الجنون، بدأ هاتف مقصورته رنينه بررت-بررت-بررت. رفع ستاكهاوس يده لإسكات هندريكس. تابع هاتف المقصورة مطالباته.

«أندي. إنهم في النفق. إنهم قادمون، ومعهم بطاقة مفتاح. نحتاج إلى إيقافهم. هل لديك أي أفكار على الإطلاق؟».

لم يتوقع شيئاً سوى المزيد من الذعر، لكن فيلوز فاجأه. «أظن أنه يمكنني قتل الأفعال».

«ماذا؟».

«لا يمكنني تعطيل البطاقات، لكن يمكنني تجميد الأفعال. رموز الدخول يولدها الكمبيوتر، لذا-»

«هل تقول إنه يمكنك حزمهم؟».

«حسناً، نعم».

«افعل ذلك! افعل ذلك الآن!».

«ما الأمر؟»، سأل هندريكس. «يا للهول، كنتُ أهماً بالمغادرة وانطلق الإنذار-»

«اصمت»، قال ستاكهاوس. «لكن ابق هنا. قد أحتاج إليك».

تابع هاتف المقصورة نهيقه. رَفَع سَمَاعَتَهُ وهو لا يزال يراقب النفق والأغبياء السائرين. أصبح يضع هاتفاً على كل أذن الآن، مثل ممثل في كوميديا تهرجية قديمة. «ماذا؟ ماذا؟».

«نحن هنا، والفتى هنا»، قالت السيدة سيغسبي. الاتصال جيد كما لو أنها في الغرفة المجاورة. «أتوقع أن يصبح في عهدتنا بعد قليل». سكتت قليلاً. «أو ميتاً».

«ممتاز يا جوليا، لكن لدينا حالة هنا. لقد حصل-»

«مهما يكن، تولى أمره. هذا يحصل الآن. سأُتصل بك بعدما نخرج من البلدة».

أغلقت الخط. لم يكثر ستاكهاوس، لأنه إذا لم يصنع فيلوز أعجوبةً بالكمبيوتر، فقد لا يعود هناك شيء لتعود إليه جوليا.

«آندي! هل لا تزال معي؟».

«أنا هنا».

«هل فعلت ذلك؟».

شعر ستاكهاوس بيقين مُرعب أن فيلوز سيقول إن نظام كمبيوترهم القديم اختار هذه اللحظة الحرجة بالذات لينهار.

«نعم. حسناً، بكل تأكيد. إنني أنظر إلى رسالة على شاشتي تقول بطاقات المفاتيح البرتقالية غير صالحة أدخل رمز ترخيص جديد».

تأكيد آندي فيلوز لم يخفف حدة قلق ستاكهاوس على الإطلاق. فجلس على كرسيه، شابكاً يديه ببعضهما، ومراقباً شاشة كمبيوتره. انضم إليه هندريكس، وراح يحدّق من فوق كتفه.

«يا إلهي، ماذا يفعلون في الخارج؟».

«أظنهم قادمون إلينا»، قال ستاكهاوس. «نحن على وشك معرفة إن كانوا يستطيعون فعل ذلك أم لا».

خرج موكب الهاربين المحتملين عن عدسات إحدى الكاميرات. ضغط ستاكهاوس المفتاح الذي يبذل بين الكاميرات وحصل على صورة كورين راوسون تحمل رأس فيل في حُضنها، ثم حصل على الصورة التي أرادها. كانت تُظهر الباب إلى الطابق و من جهة النصف الأمامي في نفق الوصول. لقد وصل الأولاد إليه.

«وقت الحسم»، قال ستاكهاوس. كان يشدّ قبضتيه بقوة كافية ليخلف علامات على راحتي يديه.

رفع ديكسون البطاقة البرتقالية ووضعها على لوحة القارئة. جرب المسكة وعندما لم يحصل شيء، استرخى تريفور ستاكهاوس أخيراً. بجانبه، زفر هندريكس نفساً يعبق برائحة قوية لشراب الذرة. تناول الشراب أثناء

العمل أمرٌ ممنوعٌ كلياً مثل حمل هاتف خلوي، لكن ستاكهاوس لن يكثر
لذلك الآن.

ذباب في مرطبان، فكّر في سرّه. هذا كل ما أتم عليه الآن أيها الفتيان
والفتيات. أما بالنسبة لما سيحصل لكم تالياً...

لحسن الحظ أن هذه لم تكن مشكلته. ما سيحصل لهم بعد تدبير أمر
الجزء الفار في كارولينا الجنوبية من مسؤولية السيدة سيغسبي.

«لهذا السبب يدفعون لك راتباً كبيراً يا جوليا»، قال واستوى على
كرسيه ليراقب مجموعة من الأولاد - بقيادة ويلهولم الآن - يعودون ويجربون
الباب الذي جاءوا منه. من دون نتيجة. رمى الشقي ويلهولم رأسه إلى الخلف.
وفتح فمه. تمّنى ستاكهاوس لو يمكنه سماع الأصوات لكي يستطيع سماع
صرخة خيبة الأمل تلك.

«لقد احتوينا المشكلة»، قال لهندريكس.

«مم»، قال هندريكس.

استدار ستاكهاوس لينظر إليه. «ما معنى هذا؟».

«ربما ليس بالكامل».

28

وَصَعَّ تيم يده على كتف لوك. «إذا كنت تشعر بتحسّن الآن، علينا حقاً
العودة إلى الداخل وحلّ هذه المسألة. سُنحضر لك عبوة الكولا تلك، و-»

«مهلاً». كان لوك يحدّق بالزوجين اللذين يجتازان الشارع ممسكين يدي
بعضهما. لم يلاحظا الأشخاص الثلاثة الواقفين عند مدخل زقاق أني اليتيمة؛
فقد كان تركيزهما منصبّاً على المخفر.

«لقد خرجنا عن الطريق العام بين الولايات وتُهنأ»، قالت ويندي.
«أراهنك بأي شيء تريده. نحصل على نصف دزينة في الشهر. هل تريد العودة
الآن؟».

لم يكثر لوك. لا يزال بإمكانه الشعور بالآخرين، الأولاد، وبدوا
مرتعبين الآن، لكنهم إلى الخلف بعيداً في ذهنه، مثل الأصوات التي تأتي عبر

مروحة التهوية من غرفة أخرى. تلك المرأة... التي ترتدي الفستان المُزدان بالزهور...

سقط شيء وأيقظني. لا شك أنه الكأس الذي فزنا به في مناظرة الشمال الغربي، لأنه الأكبر ويُحدث قرقةً صاخبةً. انحنى شخصٌ فوقِي. قلتُ ماما لأنه رغم معرفتي أنها ليست هي، إلا أنها امرأة وماما هي أول كلمة تبادرت إلى ذهني الذي لا يزال نائماً تقريباً. وقالت -

«بالتأكيد»، قال لوك. «أي شيء تريده».

«رائع!»، قالت ويندي. «سنقوم فقط -»

«لا، هذا ما قالته هي». أشار بإصبعه. وصل الزوجان إلى الرصيف أمام المخفر. ما عادا يمسكان يدي بعضهما. استدار لوك إلى تيم بعينين شاخصتين ومذعورتين. «إنها أحد الذين خطفوني! رأيتها مرة أخرى، في المعهد! في غرفة الاستراحة! إنهم هنا! لقد أخبرتك أنهم سيأتون من أجلي وها هم هنا!».

استدار لوك وركّض نحو الباب الذي لم يكن مقفلاً من هذه الجهة لكي تستطيع آني الدخول في وقت متأخر من الليل، إن أرادت ذلك.

«ما -»، بدأت ويندي تقول، لكن تيم لم يدعها تُنهي جملتها. ركّض خلف لوك، والفكرة التي خطرت بباله هي أن الولد ربما محقٌّ بشأن نوربرت هوليستر في النهاية.

29

«إذاً؟»، كان همس آني اليتيمة حاداً جداً لكي يمكن اعتباره همساً. «هل تصدّقني الآن يا سيد كوربيت دنتون؟».

لم يردّ الطّبّال في البدء لأنه كان يحاول استيعاب ما يراه: ثلاث شاحنات مركونة جنباً إلى جنب، ومجموعة رجال ونساء وراءها. يدوا أنهم تسعة، ما يكفي لتشكيل فريق بيسبول لعين. وآني محقّة بأنهم مسلّحون. إنه الشّفق الآن، لكن الضوء يدوم طويلاً في أواخر الصيف، فضلاً عن أن أعمدة الإنارة مُضاءة. استطاع الطّبّال رؤية أسلحة جنبيّة في قِرابها وبنديتين طويلتين بدتا كأنهما HK. آلات قاتلة للأشخاص. فريق البيسبول متجمّع قرب

مدخل صالة السينما القديمة، لكنه مخفي تقريباً عن عيون المارة على الرصيف بفضل حافة الطوب. من الواضح أنهم ينتظرون شيئاً.

«لديهم كسّافة!»، همست أني. «هل تراهما يجتازان الشارع؟ سيتفحصان مكتب المأمور ليتحقّقا من عدد الموجودين داخله! هل ستُحضر أسلحتك اللعينة الآن أم عليّ أن أذهب وأحضرها بنفسني؟».

استدار الطّبّال، ولأول مرة منذ عشرين سنة، وربما حتى ثلاثين، شرعَ يركض بأقصى سرعته. صعد الدرجات إلى الشقة الواقعة فوق صالون حلاقته وتوقف عند المنبسط طويلاً كفاية ليأخذ ثلاثة أو أربعة أنفاس عميقة. طويلاً كفاية أيضاً ليتساءل إن كان قلبه قادراً على تحمّل الجهد أو سينفجر فحسب.

رصاصاته عيار 9 ملم، التي كان ينوي إطلاقها بنفسه في إحدى ليالي كارولينا الجنوبية الهائلة هذه (كان يمكن أن يفعلها من قبل، لولا محادثة عَرَضية مثيرة للاهتمام مع القارع الليلي الجديد للبلدة)، ملقمة في البندقية الموجودة في الخزانة. وكذلك حال مسدّسه الآلي عيار 45 والمسدّس عيار 38. على الرف العالي.

أخذ كل الأسلحة الثلاثة ونزل الدرجات ركضاً وهو يلهث ويتعرق رائحة نبتة، لكنه شَعَرَ أنه حيّ بالكامل لأول مرة منذ سنوات عديدة. ترقّب سماع أصوات إطلاق رصاص، لكن لا شيء من هذا القبيل حتى الآن.

ربما هم الشرطة، فكّر في سرّه، لكن هذا بدا غير محتمل. فرجال الشرطة كانوا سيدخلون بشكل علني، ويظهرون بطاقتهم، ويعلنون عن مهمتهم. كما أنهم كانوا سيأتون في سيارات سوداء رُباعية الدفع.

على الأقل هذا ما يفعلونه على التلفزيون.

30

قاد نيك ويلهولم الكتيبة الغوغاء للفتيان والفتيات المفقودين عائدين في النفق المائل قليلاً إلى الباب المُقفل من جهة النصف الأمامي. تبعه بعض سجناء الجناح أ؛ أما بعضهم الآخر فتجمهروا فحسب. بدأ بيت ليتلجون يضرب أعلى رأسه مرة أخرى وهو يصيح «يا-يا-يا-يا-يا». تردّد صدى صوته في النفق مما جعل أنشودته الإيقاعية مزعجة ومجنّنة في أن.

«اشبكوا أيديكم بأيدي بعضكم»، قال نيكي. «كلنا». رَفَع ذقنه ليشير إلى الموتى دماغياً المتجمهرين، وأضاف، أعتقد أن هذا سيُحضرهم.

مثل حشراتٍ إلى الضوء الجاذب للحشرات، فكَّرت كاليشا في سرّها. لم يكن هذا لطيفاً جداً، لكن الحقيقة نادراً ما تكون لطيفة.

أتوا. ومع انضمام كل واحد إلى الدائرة، أصبحت المهمة صاخبة أكثر. جوانب النفق أجبرت دائرتهم على أن تشبه شكل كبسولةٍ، لكن لا بأس بذلك. الطاقة هنا.

فهمت كاليشا ما يجول في خاطر نيكي، ليس لأنها كانت تلتقطه فحسب، بل لأنه الحل الوحيد الباقي أمامهم.

سويّاً أقوى، فكَّرت في سرّها، ثم صاحت بصوتٍ صاخبٍ لآيفيري: «حطّم هذا القفل يا أفسُتر».

ارتفعت المهمة إلى مستوى تلك الصرخة، وإذا كان أحدهم لا يزال يعاني من صداع، فسيكون قد فرّ منه مرتعباً. انتاب كاليشا ذلك الشعور بامتلاك طاقة متسامية مرة أخرى. كانت تشعر بها في ليالي المُشترّة، لكنها تكون طاقة قذرة وقتها. أما هذه الطاقة فنظيفة، لأنها هم. كان أولاد الجناح أ صامتين لكن مبتسمين. إنهم يشعرون بالطاقة أيضاً. وتروق لهم. افترضت كاليشا أن هذا أقرب ما يمكن للتفكير سيقدرّون عليه على الإطلاق.

صدر صوت صرير خافت من الباب، وأمكنهم رؤيته يعاود الاستقرار في إطاره، لكن هذا كل شيء. كان آيفيري يقف على رؤوس أصابعه، ووجهه الصغير مشدود من قوة التركيز. حَرَّ الآن وزفرَ بقوة.

جورج: لا؟

آيفيري: لا. لو كان مُقفلًا فحسب، أعتقد أننا كنا سننجح، لكن الأمر كما لو أن القفل غير موجود حتى.

«مَيِّت»، قالت آيريس. «مَيِّت، مَيِّت، لا يمكنه أن يزيِّت، هذا ما يثبَّت، القفل مَيِّت».

«جمِّدوها بطريقة أو بأخرى»، قال نيكي. ولا يمكننا تحطيمها، أليس كذلك؟

آيفيري: لا، فولاذ صلب.

«أين سوبرمان عندما تحتاج إليه؟»، قال جورج. فَرَكَ يديه على خديهِ راسماً ابتسامة جدّية على وجهه.

جلّست هيلين، ووضعت يديها على وجهها، وبدأت تبكي. «ما نفعنا؟»، ثم كَثَّرت ما قالته لكن كصدي ذهني هذه المرة: ما نفعنا؟

استدار نيكي إلى كاليشا. أي أفكار؟

لا.

استدار إلى آيفيري. وماذا عنك؟

هَرَّ آيفيري رأسه.

31

«ماذا تقصد، ليس تماماً؟»، سأل ستاكهاوس.

بدلاً من أن يجيبه، أسرع دونكي كونغ عبر الغرفة إلى نظام اتصال ستاكهاوس الداخلي المغطى أعلاه بطبقة سميكة من الغبار. لم يستخدمه ستاكهاوس ولو مرة واحدة في حياته - فالأمر ليس كما لو أن عليه أن يُعلن عن حفلات الرقص أو ليالي التوافق القادمة. انحنى الطبيب هندريكس ليفحص أزرار التحكم البدائية، ونقفَ زراً فأضاء مصباحاً مكتئباً أخضر.

«ماذا تقصد -»

إنه دور هندريكس أن يقول له أن يصمت، وبدلاً من أن يغضب، شَعَرَ ستاكهاوس ببعض الإعجاب. أياً يكن ما ينوي الطبيب العزيز فعله، فقد اعتقد أنه مهم.

أمسك هندريكس الميكروفون، ثم سكت لبرهة. «هل هناك وسيلة لضمان عدم سماع أولئك الأولاد الهارين لما سأقوله؟ فلا معنى من إعطائهم بعض الأفكار.»

«لا توجد مكبّرات صوت في نفق الوصول»، قال ستاكهاوس آملاً أن يكون محقاً. «أما بالنسبة للنصف الخلفي فأعتقد أن لديهم نظام اتصالات داخلي منفصلاً. ماذا تنوي أن تفعل؟».

نظَرَ إليه هندريكس كما لو أنه أحمق. «لمجرد أن أجسامهم مسجونة، فهذا لا يعني أن عقولهم مسجونة».

تَبَّأً، فَكَّرَ ستاكهاوس في سرِّه. نسيثُ الغاية من وجودهم هنا.

«الآن كيف يعمل هذا... لا تهتمّ، لقد فهمتُ». ضغطَ هندريكس الزر الموجود على الجهة الجانبية للميكروفون، ثم تنحى وبدأ يتكلّم. «يُرْجى الانتباه. كل الموظفين، انتبهوا. معكم الطبيب هندريكس». مرَّ يده في شعره الخفيف، جاعلاً ما كان مجنوناً أصلاً يبدو مجنوناً أكثر. «لقد فرَّ الأولاد من النصف الخلفي، لكن لا داعي للهلع. أكزّر، لا داعي للهلع. لقد حُجزوا في نفق الوصول بين النصف الأمامي والنصف الخلفي. لكنهم قد يحاولون التأثير عليكم مثلما...». سكت قليلاً ولحق شفّتيه. «مثلما يأترون على بعض الأشخاص عندما يؤدّون وظيفتهم. قد يحاولون جعلكم تؤذون أنفسكم. أو... حسناً... تنقلون على بعضكم البعض».

يا للهول، فَكَّرَ ستاكهاوس في سرِّه، يا لها من فكرة مُبهجة.

«اسمعوني جيداً»، قال هندريكس. «سيقدرّون على النجاح بهذا تغلغل ذهني فقط إذا كان الهدف غير مرتاب. لذا إذا شعرتم بأي شيء... إذا خطرت ببالكم أفكار ليست أفكاركم... ابقوا هادئين وقاوموها. اطردها. ستتمكنون من فعل ذلك بسهولة كبيرة. قد يساعدكم أن تتكلّموا بصوتٍ عالٍ. أن تقولوا لن أستمع إليك».

بدأ يضع الميكروفون من يده، لكن ستاكهاوس أخذه. «معكم ستاكهاوس. إلى موظفي النصف الأمامي، يجب أن يعود كل الأولاد إلى عُرفهم فوراً. إذا قاومكم أي واحد منهم، اصعقوه».

أطفأ نظام الاتصال الداخلي واستدار إلى هندريكس. «ربما لن يفكّر الملائعين الصغار في النفق بذلك. فهم مجرد أولاد في النهاية».

«آه، سيفكّرون به»، قال هندريكس. «لقد خضعوا للتدريب في النهاية».

32

أمسك تيم لوك وهو يفتح باب منطقة الاحتجاز. «ابق هنا يا لوك. تعالي معي يا ويندي».

«لا تعتقد حقاً -»

«لا أدري ما أعتقد. لا تُشهري مسدّسك، لكن تأكدي أن مشبك القِراب مفكوك».

بينما أسرعَ تيم وويندي في الرواق القصير بين الزنازين الأربعة الفارغة، سمعا صوت رجلٍ. بدا لطيفاً كفاية. رائق المزاج حتى. «أخبرونا زوجتي وأنا عن وجود بعض الأبنية القديمة المثيرة للاهتمام في بوفورت، وفكرنا أن نسلك طريقاً مختصراً، لكن نظام التموضع العالمي في مركبتنا فقدَ عقله نوعاً ما».

«أجبرته أن يتوقف ويسأل عن الاتجاهات»، قالت المرأة، وعندما دخل تيم المكتب رآها تنظر إلى زوجها - إذا كان الرجل الأشقر زوجها حقاً - بسُخْط مستمتع. «لم يرد ذلك. يظن الرجال دائماً أنهم يعرفون إلى أين يذهبون، أليس كذلك؟».

«عذراً لكننا مشغولون قليلاً الآن»، قال المأمور جون، «وليس لديّ الوقت -»

«هذه هي!»، صرّح لوك من خلف تيم وويندي مما أجفلهما. راح بقية الضباط ينظرون حولهم. اندفع لوك متخطياً ويندي بقوة كافية لجعلها تترجّح على الجدار. «هي التي رشّنتني على وجهي وأفقدتني وعيي! أيتها السافلة، لقد قتلّت والديّ!».

حاول أن يركض صوبها، لكن تيم التقطه من عنق قميصه وشدّه إلى الورا. بدا الرجل الأشقر والمرأة ذات فستان الزهور متفاجئين ومُحتارين. أي أنهما بدّوا عاديين تماماً. ما عدا أن تيم اعتقد أنه رأى تعبيراً آخر على وجه المرأة، للحظة فقط: نظرة تعرّف وشيك.

«أعتقد أن هناك خطأ ما»، قالت وابتسمت ابتسامة مرتبكة. «مَن هذا الفتى؟ هل هو مجنون؟».

رغم أنه مجرد القارع الليلي للبلدة وسيبقى كذلك طوال الأشهر الخمسة القادمة، إلا أن تيم عاد إلى صيغة الشرطي دون تخطيط مُسبق، مثلما فعل ليلة اقتحام دينك الولدين بقالة زوني وأطلقا النار على أبسيميل دوبيرا. «أريد رؤية بطاقتي هويتكما من فضلكما».

«لا داعي لذلك حقاً، صح؟»، قالت المرأة. «لا أعرف مَن يظننا الفتى، لكننا تائهان، وفي صغري، كانت أُمي تُخبرني دائماً أن ألجأ إلى شرطي إذا تهت».

نهض المأمور جون. «نعم، نعم، قد يكون هذا صحيحاً، وإذا كان صحيحاً فلن يكون لديكما مانع من أن نرى رخصة قيادتكما، أليس كذلك؟».

«على الإطلاق»، قال الرجل. «فقط دعني أحضِرُ محفظتي». كانت المرأة تمدّ يدها إلى جزدانها من قبل وقد بدت ساخطةً.

«احترسوا!»، صرّخ لوك. «معهم مسدّسات!».

بدا تاغ فاراداي وجورج بوركيت مندهشين، وفرانك پوتر وبيل ويكلو حائرّين.

«مهلاً لحظة!»، قال المأمور جون. «ضعا يديكما حيث يمكنني رؤيتها!».

لم يتوقف أي واحد منهما. وخرّجت يد ميشيل روبرتسون من جزدانها حاملةً ليس رخصة قيادتها بل مسدّس سيغ زاور الذي أعطي لها. كما مدّ دينيه ويليامز يده إلى ظهره ليُمسك مسدّس الغلوك الذي في حزامه وليس محفظته. كان المأمور والمعاون فاراداي يمدّان يديهما إلى مسدّسيهما، لكنهما كانا بطيئين، بطيئين.

على عكس تيم. فقد سحب مسدّس ويندي من قرابها وصوّبه بيديه الاثنتين. «ارميا سلاحيكما، ارمياهما!».

لم يرمياهما. صوّبت روبرتسون نحو لوك، وأطلق عليها تيم طلقةً واحدةً دفعتها إلى الخلف نحو أحد أبواب المخفر المزدوجة الكبيرة بقوة كافية لتكسر الزجاج المصنّف.

ركع ويليامز على ركبته وصوّب نحو تيم الذي بالكاد تسوّى له الوقت ليقول لنفسه، هذا الرجل محترف وأنا في عداد الموتى. لكن مسدّس الرجل انتفض إلى أعلى كما لو أن حبلاً خفياً شدّه، والرصاص التي كانت تستهدف تيم دخلت السقف. ركّل المأمور جون آشورث رأس الرجل الأشقر مما جعله يسقط منبطحاً على الأرض. وداسَ بيلي ويكلو على معصمه.

«استسلم أيها السافل، استسلم -»

تلك كانت اللحظة التي طلبت فيها السيدة سيغسبي، وقد أدركت أن الأمور ساءت، من لويس غرانت وتوم جونز أن يستخدموا الأسلحة الكبيرة. ويليامز وروبرتسون غير مهمّين.

الفتى هو المهم.

ملأت البندقيتان HK37 شَقَق دوبراي المسالم سابقاً بالرعد. وأمطَرَ غرانت وجونز جدار الطوب الأمامي للمخفر بالرصاص مُحدَثين سُحْباً من الغبار الأحمر الزهري ومحطَمين النوافذ وألواح الباب الزجاجي إلى الداخل. كانا على الرصيف؛ أما بقية أعضاء الفريق الذهبي فوقفوا منتشرين خلفهما في الشارع. الاستثناء الوحيد هو الطبيب إيفانز، الذي وقف جانباً واضعاً يديه على أذنيه.

«نعم!»، صرّخت وايونا بريغز. كانت تتمايل من قدم إلى أخرى كما لو أنها تحتاج إلى دخول الحَمَام. «اقتلوا السفلة!».

«اذهبوا!»، صرّخت السيدة سيغسبي. «اذهبوا كلكم الآن! خذوا الفتى أو اقتلوه! خذوه أو -»

ثم من خلفهم: «لن تذهبوا إلى أي مكان يا سيّدة. أقسم أن عدداً منكم سيموت إذا حاولتم أن تتحرّكوا. أنتم في المقدمة، ارميا سلاحكما فوراً».

استدار لويس غرانت وتوم جونز، لكنهما لم يرميا سلاحيهما.

«ارمياهما بسرعة»، قالت آني، «أو ستموتان. هذه ليست نزهة يا فتيان. أنتم في الجنوب الآن».

نظراً إلى بعضهما البعض، ثم وضعاً البندقيتين الآليتين على الرصيف بحذر.

رأت السيدة سيغسبي ناصبي كمين غير متوقّعين يقفان تحت الياقطة المرتخية للجوهرية: رجل أصلع بدين يرتدي قميص بيجامة وامرأة شعثناء الشعر ترتدي ما بدا أنه شال سيرابي مكسيكي. الرجل يحمل بندقية. والمرأة ذات الشال السيرابي تحمل مسدّساً ألياً في يده ومسدّساً عادياً في اليد الأخرى.

«الآن بقيتكم افعلوا الشيء نفسه»، قال دنتون الطبال. «أنتم في مرمى النيران».

نظرت السيدة سيغسبي إلى الساذجين الواقفين أمام المسرح المهجور، وكانت فكرتها بسيطة ومُنَهَكَة: ألن ينتهي هذا أبداً؟

طلقة نارية من داخل المخفر، ثم هدوء وجيز، ثم طلقة أخرى. عندما ألقى الساذجان نظرة سريعة في ذلك الاتجاه، انحنى غرانت وجونز ليلتقطا سلاحيهما.

«لا تفعل ذلك!»، صرخت المرأة ذات الشال السيرابي.

روبن لكس، التي أطلقت النار على والد لوك عبر وسادة منذ وقت غير بعيد، استغلت تلك الفرصة السانحة الصغيرة لتُشهر مسدسها السيغ. نزل بقية أعضاء الفريق الذهبي أرضاً ليعطوا غرانت وجونز مجالاً مريحاً لإطلاق النار. هذا ما تعلموا أن يفعلوه في هكذا ظروف. بقيت السيدة سيغسبي واقفة مكانها كما لو أن غضبها من هذه المشكلة غير المتوقعة سيحميها.

34

عندما بدأت المواجهة في كارولينا الجنوبية، كانت كاليشا وأصدقائها يجلسون بأثسين بالقرب من باب الوصول إلى النصف الأمامي. الباب الذي لا يمكنهم فتحه لأن أيريس محققة: القفل ميّت.

نيكي: ربما لا يزال بإمكاننا أن نفعل شيئاً. نقضي على الموظفين في النصف الأمامي مثلما قضينا على الممرّضين الأحمر.

راح آيفيري يهزّ رأسه. بدا أقلّ شبهاً بفتى صغير وأكثر شبهاً بعجوز مُنهك. لقد حاولتُ. جرّبتُ الوصول إلى غلاديس، لأنني أكرهها. هي وابتسامتها المزيفة. قالت إنها لا تستمع إليّ ودفعتنني بعيداً.

نظرتُ كاليشا إلى أولاد الجناح أ الذين راحوا يتجولون مرة أخرى كما لو أن هناك أي مكان للذهاب إليه. بدأت فتاة تتشقلب؛ وشرع فتى يرتدي شورتاً قذراً وقميصاً تائياً ممزقاً يطرق رأسه بالجدار بخفة؛ وواصل بيت ليتلجون يصرخ سلسلة يا-يا تلك. لكنهم سيأتون إذا تم استدعاؤهم، ولا يزال لديهم الكثير من الطاقة. أمسكت يد آيفيري. «كلنا معاً -»

«لا»، قال آيفيري. قد تتمكن من جعلهم يشعرون ببعض الغرابة، نجعلهم يُصابون بدوارٍ وغيثانٍ... لكن هذا كل شيء».

كاليشا: لكن لماذا؟ لماذا؟ إذا استطعنا قتل صانع القنابل ذاك في أفغانستان -

آيفيري: لأن صانع القنابل لم يكن يعرف. الواعظ، ذلك الرجل وسْتِن،
لم يكن يعرف. عندما يعرفون...

جورج: يمكنهم إبقاءنا خارج أذهانهم.

أوماً آيفيري برأسه.

«ماذا يمكننا أن نفعل إذا؟»، سألت هيلين. «أي شيء؟».

هَرَّ آيفيري رأسه. لا أعرف.

«هناك شيء واحد»، قالت كاليشا. «نحن مسجونون هنا، لكننا نعرف
شخصاً ليس مسجوناً. سنحتاج إلى الجميع». أمالت رأسها نحو المنفيين
المتجوّلين من الجناح أ. «دعنا نستدعيهم».

«لستُ أكيداً يا شا»، قال آيفيري. «أنا مُتَعَبٌ جداً».

«مجرد هذا الشيء الآخر»، قالت متملّقةً إياه.

تنهَّد آيفيري ومدَّ يديه. تشابكت أيدي كاليشا ونيكي وجورج وهيلين
وكايتي. بعد لحظة، انضمت إليهم آيريس أيضاً. مرة أخرى، انجرف الآخرون
إليهم. شكلوا الكبسولة، وارتفعت المهمة. شَعَرَ بها الممرّضون والفنيون
والبوّابون في النصف الأمامي وخافوا منها، لكنها لم تكن موجّهة إليهم. على
بُعد ألفين ومئتين وخمسين كيلومتراً، كان تيم قد وضع للتورصاصةً بين ثديي
ميشيل روبيرتسون؛ وكان غرانت وجونز يرفعان بندقيتهما الآليتين ليُمطرا
واجهة المخفر بالرصاص؛ وكان بيلي ويكلو يقف على يد دينيه ويليامز والمأمور
جون بجانبه.

راح أولاد المعهد ينادون لُوك.

35

لم يفكّر لُوك بأن يحاول بذهنه رفع مسدّس الرجل الأشقر عالياً؛ بل
فعل ذلك فحسب. فقد عادت أضواء شتازي حاجبةً للحظةٍ كل شيء عن
الأنظار. وعندما بدأت تتضاءل، رأى أحد الشرطيين يقف على معصم الرجل
الأشقر محاولاً جعله يُفِلِت المسدّس من يده. زَمَّ الرجل الأشقر شفّيته في
إيماءة ألم شديد، وكان الدم يسيل على جانب وجهه، لكنه بقي متمالكاً نفسه.

أرجعَ المأمور قدمه إلى خلف قاصداً على ما يبدو أن يركل رأس الرجل الأشقر مرة أخرى.

رأى لوك هذا القدر، لكن أضواء شتازي عادت أكثر إشراقاً من أي وقت مضى، وأصابعه أصوات أصدقائه مثل ضربة مطرقة في وسط رأسه. ترنح إلى الوراء عبر المدخل إلى منطقة الاحتجاز، ورفع يديه كما لو أنه يريد صدّ لكمية، وتعثرت قدماه. حط على مؤخرته لحظة فتح غرانت وجوز النار بيندقيتهما الأليتين.

رأى تيم يشدّ ويندي ويُنزلها إلى الأرض ويغطي جسمها بجسمه. رأى رصاصاتٍ تخرق المأمور ومعاونه الواقف على يد الرجل الأشقر. سقطا معاً. تطاير زجاجٌ. هناك شخصٌ يصرخ. اعتقد لوك أنها ويندي. في الخارج، سمع لوك المرأة التي بدا صوتها يشبه صوت السيدة سيغسبي بشكل غريب تصيح شيئاً بدا أنه كلكم الآن.

بدا للوك، المذهول من جرعة مزدوجة من أضواء شتازي والأصوات المجتمعة لأصدقائه، أن العالم تباطأ. رأى أحد المعاوين الآخرين - الجريح، لأن هناك دم يسيل على ذراعه - يستدير نحو الأبواب الرئيسية المحطمة، على الأرجح ليرى من الذي يُطلق النار. بدت حركته بطيئة جداً. الرجل الأشقر ينهض إلى رُكبتيه، وبدت حركته بطيئة هو أيضاً. هذا أشبه بمشاهدة رقصة باليه تحت الماء. أطلق النار على ظهر المعاون، ثم بدأ يستدير نحو لوك. أسرع الآن، العالم يتسارع مرة أخرى. قبل أن يتمكن الرجل الأشقر من إطلاق النار، انحنى المعاون ذو الشعر الأحمر، يمكن القول إنه قوّس ظهره تقريباً، وأطلق النار على صدغه. طار الرجل الأشقر جانبياً وحط فوق المرأة التي تظاهرت أنها زوجته.

امرأة في الخارج - ليست تلك التي بدا صوتها يشبه صوت السيدة سيغسبي بل واحدة أخرى ذات لكمة جنوبية - صرخت، «لا تفعل ذلك!».

تبع ذلك مزيد من الطلقات النارية، ثم صاحت المرأة الأولى، «الفتى! علينا القبض على الفتى!».

هذه هي، فكّر لوك في سرّه. لا أعرف كيف يُعقل ذلك، لكنها هي. السيدة سيغسبي في الخارج.

روبن لكس بارعة في إطلاق النار، لكن الشفق يتعمق والمسافة بعيدة لمسدس صغير مثل مسدسها. أصابت رصاصتها دنتون الطبال في كتفه بدلاً من أن تصيب وسط كتله الضخمة. دفعته إلى الخلف نحو شباك التذاكر المغلق بألواح خشبية، وطاشت رصاصاتها التاليتان في الهواء. بقيت أني اليتيمة تقف مكانها. لقد تربت بهذه الطريقة في أجسام قصب جورجيا على يد والدٍ قال لها، «لا تتراجعي يا فتاة، ليس لأي شيء» لقد كان جان لودو ماهراً جداً في إطلاق النار سواء كان ثملاً أم واعياً، وقد علمها جيداً. فتحت النار الآن بمسدس الطبال، معوضةً عن الارتداد الأثقل للمسدس الآلي عيار 45. دون حتى التفكير بذلك. قضت على أحد حاملي البندقيتين الآليتين (هذا طوني فيزالي الذي لن يستخدم عصا صق مرة أخرى أبداً)، دون أن تكثر أبداً للرصاصات الثلاثة أو الأربعة التي أرت قربها، وقد داعبت إحداها حاشية شالها السيرابي قليلاً.

عاد الطبال وصوب نحو المرأة التي أطلقت عليه النار. كانت روبن راكعةً على ركبة واحدة في وسط الشارع تشتم مسدسها السبع الذي علق. ثبت الطبال بندقيته على كتفه التي لم تكن تنزف ورماها أرضاً بالكامل.

«أوقفوا إطلاق النار!»، راحت السيدة سيغسي تصرخ. «علينا القبض على الفتى! علينا التأكد من الفتى! توم جونز! أليس غرين! لويس غرانت! انتظروني! جوش غوتفريد! وايونا بريغز! حافظا على ثباتكما!».

نظر الطبال وأناي إلى بعضهما البعض. «هل نواصل نحن إطلاق النار أم لا؟»، سألت أني.

«تباً إن كنتُ أعرف»، قال الطبال.

كان توم جونز وأليس غرين يطوقان أبواب المخفر المحطمة. تراجع جوش غوتفريد ووايونا بريغز إلى الورا، وطوقا السيدة سيغسي بشكل مماثل مبقيان سلاحيهما مصوبين نحو مُطلق النار غير المتوقعين اللذين أغمياهما. الطبيب جايمس إيفانز، الذي لم يُعَيّن له دور، عيّن واحداً لنفسه. تجاوز السيدة سيغسي واقترب من الطبال وأناي اليتيمة رافعاً يديه ورأساً ابتسامة استرضاء على وجهه.

«عد إلى هنا أيها المغفل!»، قالت السيدة سيغسي بحدة.

تجاهلها. «لستُ جزءاً من هذا»، قال للرجل البدين المرتدي بيجامة، الذي بدا له الأعقل بين ناصبي الكمين. «لم أرغب أبداً أن أكون جزءاً من هذا، لذا أعتقد أنني سأكتفي بـ -»

«آه، اجلس»، قالت آني وأطلقت عليه رصاصة في قدمه. كانت رؤوفةً كفايةً لتفعل ذلك بالمسدّس عيار 38، الذي سبب ضرراً أقل. نظرياً، على الأقل.

هذا ترك المرأة المرتدية البذلة النسائية الحمراء، المرأة المسؤولة عن كل هذه العملية. إذا عاد إطلاق النار من جديد، ستمزّق إرباً إرباً على الأرجح في وابل الرصاصات، لكنها لم تُظهر أي خوف، بل مجرد نوع من التركيز الغاضب.

«سأدخل المخفر الآن»، قالت للطبّال وآني اليتيمة. «لا داعي لمزيد من هذا الهُراء. ابقيا كما أنتما وستكونان بخير. عاودا إطلاق النار وسيقضي عليكما جوش ووايوناك. مفهوم؟».

لم تنتظر ردّاً، بل استدارت فحسب وسارت نحو بقايا فريقها وكعبها المنخفض يقطع على الرصيف.

«أيها الطبّال؟»، قالت آني. «ماذا نفعل؟».

«ربما ليس علينا أن نفعل أي شيء»، قال. «انظري إلى يسارك. لا تحرّكي رأسك، فقط عينيك».

فعلت ذلك ورأت أحد الأخوين دوبيرا يقترب مستعجلاً على الرصيف حاملاً مسدّساً. سيُخير شرطة الولاية لاحقاً أنه رغم أنه وأخاه رَجلان مسالمان، إلا أنهما وجدا أنه من الحكمة إبقاء مسدّس في المتجر منذ عملية السطو.

«الآن إلى يمينك. لا تحرّكي رأسك».

حرّكت عينيها في ذلك الاتجاه ورأت الأرملة غُولسبي والسيد بيلسون، والد توأمي بيلسون. آدي غُولسبي في رداها وخفيها، وريتشارد بيلسون في شورت وقميص تائي أحمر. وكل واحد منهما يحمل بندقية صيد. لم يرهما الجمع الواقفون أمام المخفر؛ كان انتباههم منصباً على المهمة التي جاءوا من أجلها.

أنتم في الجنوب الآن، قالت آني لأولئك المتطعّنين المسلّحين. خطر بالها أنهم على وشك أن يعرفوا مدى حقيقة قولها هذا.

«توم وإليس»، قالت السيدة سيغسبي. «ادخلا. تأكدا من إحضار الفتى».

ساعد تيم ويندي على النهوض عن الأرض. بدت مذهولةً، غير متأكدة كلياً أين هي. هناك ورقة ممزقة عالقة في شعرها. لقد توقف إطلاق النار في الخارج، على الأقل في الوقت الحاضر. حلَّ محله بعض الكلام، لكن أدت تيم ترتان، ولم يتمكن من فهم ما يُقال. وهذا غير مهم. إذا كانوا يتصالحون هناك، فهذا جيد. لكن من الحكمة توقع المزيد من الحرب.

«ويندي، بخير؟»

«لقد... تيم، لقد قتلوا المأمور جون! كم واحداً آخر؟»

هزّها. «هل أنت بخير؟»

أومأت برأسها. «ن-نعم. أعتقد أ-»

«أخرجي لوك من الباب الخلفي».

مدّت يدها نحوه. تملّص منها لوك وركّض نحو مكتب المأمور. حاول تاغ فاراداي أن يمسك ذراعه، لكن لوك تملص منه أيضاً. لقد أصابت رصاصة الكمبيوتر المحمول وجعلته ينحرف، لكن الشاشة لا تزال مشغلة رغم انكسارها، والضوء البرتقالي الخافت لمحرك الأقراص الومض يطرف بثبات. أذناه ترتان أيضاً، لكنه قريب من الباب الآن، وسمع السيدة سيغسبي تقول تأكداً من إحضار الفتى.

آه أيتها السافلة، فكّر في سرّه. أيتها السافلة العديمة الشفقة.

أمسك لوك الكمبيوتر المحمول وركع على ركبتيه، واحتضنه إلى صدره بينما دخلت أليس غرين وتوم جونز عبر الأبواب المزدوجة المحطّمة. رفع تاغ سلاحه الجنبيّ لكنه تلقى رشقةً من البندقية HK قبل أن يتمكن من إطلاق النار، مما مزّق الجهة الخلفية لقميص زبه الرسمي. طار الغلوك من يده وراح يدور على الأرض. المعاون الوحيد الذي لا يزال واقفاً، فرانك پوتر، لم يتحرّك أبداً ليدافع عن نفسه. كان هناك تعبير ذهول وعدم تصديق على وجهه. أطلقت أليس غرين رصاصة على رأسه، ثم انحنت عندما اندلع مزيد من إطلاق النار في الشارع خلفها. علت صيحاتٌ وصرخة ألمٍ.

الطلقات النارية والصرخة شتتت ذهن الرجل حامل البندقية HK للحظة. استدار جونز في ذلك الاتجاه، وأصابه تيم برصاصتين، واحدة في الجهة الخلفية لعنقه والأخرى في رأسه. قوّمت أليس غرين ظهرها وتقدّمت بوجه صارم، وقد خطّت فوق جونز، ورأى تيم امرأة أخرى تحتشد خلفها. امرأة أكبر منها سنّاً وترتدي بذلةً نسائيةً حمراء، وتحمل مسدّساً أيضاً. يا إلهي، فكّر في سرّه، كم عددهم؟ هل أرسلوا جيشاً لفتى صغير واحد؟

«إنه خلف المكتب يا أليس»، قالت المرأة الأكبر سنّاً. رغم وقوع مجزرة في المكان، بدت هادئةً بشكلٍ موحّش. «يمكنني رؤية الضمادة على أذنه. أخرجيه وأطلق النار عليه».

استدارت المرأة المدعوة أليس حول المكتب. لم يتكبّد تيم عناء إبلاغها أن تتوقف - لقد تخطوا تلك المرحلة من قبل - بل ضغط زناد غلوك ويندي فحسب. فرقّع فراغاً، رغم أنه كان يُفترض وجود طلقة واحدة على الأقل في المخزن، وطلقتين على الأرجح. حتى في لحظة الحسم هذه، فهم السبب: لم تُعد ويندي حشو مسدّسها بالكامل بعد آخر تمرين لها على إطلاق النار في مضمار الرماية في دإنينغ. هكذا أمور ليست في أعلى لائحة أولوياتها. حتى إنه تسبّى له الوقت ليفكّر - مثلما كان يفعل خلال أيامه الأولى في دويراي - أن ويندي لا تصلح أن تكون شرطية.

كان عليها أن تلتزم بوظيفة المورّع، فكّر في سرّه، لكن فات الأوان الآن. أعتقد أننا سنموت كلنا.

نهض لوك من خلف مكتب المورّع حاهلاً الكمبيوتر المحمول بيديه. لوّح به بقوة وأصاب أليس غرين على وجهها. تحطمت الشاشة المكسورة. ترنّحت غرين إلى الخلف نحو المرأة ذات البذلة النسائية، وأنفها وفمها ينزفان، ثم رفعت مسدّسها مرة أخرى.

«إرمه، إرمه، إرمه!»، صرّخت ويندي وقد التقطت مسدّس تاغ فاراداي. لم تكثرث لها غرين. فقد كانت تصوّب على لوك، الذي كان يسحب محرّك الأقراص الوامض لمورين ألفورسون من منفذ الكمبيوتر المحمول بدلاً من أن ينحني للاحتماء. أطلقت ويندي النار ثلاث مرات، وهي تضيق عينيها وتصرخ بحدة مع كل طلقة. أصابت الرصاصة الأولى أليس غرين فوق جسر أنفها. واخترقت الثانية إحدى الفجوات في الباب حيث كان يوجد لوح زجاج مصنّف منذ مئة وخمسين ثانية فقط.

أصابته الثالثة جوليا سيغسبي في رجليها. طار مسدّسها من يدها، وتكوّرت على الأرض، ونظرة ذهول على وجهها. «لقد أطلقت النار عليّ. لماذا أطلقت النار عليّ؟».

«هل أنت غبية؟ لماذا برأيك؟»، قالت ويندي. سارت إلى المرأة الجالسة عند الجدار وحذاؤها يسحق الزجاج المحطم. الهواء عابقٌ برائحة البارود، والمكتب - الذي كان نظيفاً ومنظماً ذات يوم، والآن تدبّه الفوضى - مليءٌ بدخان أزرق. «كنتِ تطلّبين منهم إطلاق النار على الولد».

أعطتها السيدة سيغسبي صنف الابتسامة المخصّصة فقط لأولئك الذين عليهم أن يتحمّلوا المغفّلين. «أنتِ لا تفهمين. وكيف يمكنكِ أن تفهمي؟ إنه مُلكننا».

«ليس بعد الآن»، قال تيم.

رَكَع لُوك بجانب السيدة سيغسبي. هناك يُقع دم على خديّه وشظية زجاج في حاجب إحدى عينيه. «مَن تركته مسؤولاً عن المعهد؟ ستاكهاوس، أليس كذلك؟».

نظّرت إليه فحسب.

«هل هو ستاكهاوس؟».

لا شيء.

دخل دنتون الطيّال وراح ينظر حوله. إحدى جهتي قميص بيجامته غارقةٌ بالدم، لكنه بدا متيقّظاً بشكل ملحوظ رغم ذلك. وغوتالي دوبرا يحدّق من فوق كتفه بعينين محمّلتين.

«تبا»، قال الطيّال. «إنها مجزرة».

«اضطررتُ إلى إطلاق النار على رجل»، قال غوتالي. «والسيدة غولسبي أطلقت النار على امرأة كان تحاول إطلاق النار عليها. إنها حالة دفاع عن النفس واضحة».

«كم شخصاً في الخارج؟»، سألهما تيم. «هل تم شلّهم كلهم، أم أحدهم لا يزال فاعلاً؟».

دَفَعَت أَنِي غوتالي دوبيرا جانباً وَوَقَّفت بجانب الطَّبَّال. بدت بشالها السيرابي ويديها اللتين تحملان مسدَّسين ينبعث منهما دخانٌ كأنها شخصية في فيلم إيطالي عن الغرب الأميركي. لم يتفاجأ تيم. فقد تخطى مرحلة التفاجؤ. «أظن أن مصير جميع الذين خَرَجوا من تلك الشاحنات معروف»، قالت. «جريحان، واحدٌ برصاصة في قدمه والآخر مُصاب إصابة سيئة. إنه الذي أطلق دوبيرا النار عليه. يبدو أن بقية السفلة موتى هنا». تفحَّصت الغرفة. «يا إلهي، مَن بقي من رجال المخفر؟».

ويندي، فكَّر تيم في سرِّه لكنه لم يقله. أظن أنها المأمور بالإجابة الآن. أو ربما روني غيبسون عندما تعود من عطلتها. روني على الأرجح. لن تريد ويندي هذا المنصب.

وقف ريتشارد بيلسون وآدي غولسبي الآن مع غوتالي، خلف آني والطَّبَّال. تفحَّص بيلسون الغرفة الرئيسية مرتعباً - جدران مليئة بثقوب رصاصات، زجاج محطم، بُرك دم على الأرض، جثث ممدَّدة - وضع يده على فمه.

آدي مصنوعة من مادة صلبة أكبر. «الطبيب في طريقه إلى هنا. نصف سكان البلدة في الشارع هناك، ومعظمهم مسلحون. ماذا حصل هنا؟ ومَن هذا؟»، أشارت إلى الفتى النحيل ذي الضمادة على أذنه.

لم يكثر لها لُوك. كان مركزاً على المرأة في البذلة النسائية. «ستاكهاوس بالتأكيد. لا شك أنه هو. أحتاج إلى التواصل معه. كيف أفعل ذلك؟».

حدَّقت به السيدة سيغسبي فحسب. ركَّع تيم بجانب لُوك. ما رآه في عيني المرأة ذات البذلة النسائية هو ألم وإنكار وكره. لا يمكنه أن يحدِّد بالضبط أيًّا من تلك المشاعر هي المهيمنة، لكن إذا أُجبر على أن يتكهَّن، سيقول الكره. الكره هو الأقوى دائماً، على الأقل في المدى القريب.

«لُوك -»

لم يكثر له لُوك. كل تركيزه منصبٌّ على المرأة الجريحة. «أحتاج إلى التواصل معه يا سيدة سيغسبي. إنه يحتجز أصدقائي سجناء».

«ليسوا سجناء، إنهم مُلكية خاصة!».

انضمت إليهم ويندي. «أعتقد أنك لا شك كنت غائبة يوم تعلمتم في المدرسة عن تحرير لينكولن للعبيد يا سيدتي».

«تأتون إلى هنا، تطلقون النار على بلدتنا»، قالت آني. «أظن أنكم عرّفتهم، أليس كذلك؟».

«اسكتي يا آني»، قالت ويندي.

«أحتاج إلى التواصل معه يا سيدة سيغسبي. أحتاج إلى إبرام اتفاق. أخبريني كيف أفعل ذلك».

عندما لم تردّ، حشر لوك إبهامه في ثقب الرصاصة في بنطلونها الأحمر. زعّقت السيدة سيغسبي. «لا، آه لا، هذا مؤلم!».

«عُصي الصعق مؤلمة!»، صرّخ بها لوك. خشّشت شظايا الزجاج على الأرض، وشكلت جداول صغيرة. حملت آني بعينين مندهشتين. «الحقن مؤلمة! الإبهام بالغرق مؤلم! وتمزيق ذهنك؟». حشر إبهامه في جرح الرصاصة مرة أخرى. انغلق باب منطقة الاحتجاز بقوة مما أجفلهم كلهم. «وتدمير ذهنك؟ هذا أكثر شيء مؤلم!».

«اجعلوه يتوقف!»، صرّخت السيدة سيغسبي. «اجعلوه يتوقف عن إيذائي!».

انحنت ويندي لتبعد لوك. هزّ تيم رأسه وأمسك ذراعها. «لا».

«إنها المؤامرة»، همست آني للطبّال بعينين جاحظتين. «هذه المرأة تعمل لصالح المؤامرة. كلهم أيضاً! عرّفت ذلك منذ البداية. لقد قلتُ هذا ولم يصدّقني أحد!».

بدأ الرنين في أذني تيم يخفت. لم يسمع أي صفارات إنذار، وهذا لم يفاجئه. توقع أن شرطة الولاية ربما لم تعرف حتى بوقوع معركة بالمسدّسات في دويراي، على الأقل ليس بعد. وأي شخص اتصل بـ 911 لم يُحوّل إلى دورية الطرقات العامة لكارولاينا الجنوبية بل إلى مأمور مقاطعة فيرلي - وهذه كارثة. ألقى نظرة سريعة على ساعته وصدّم من رؤية أن العالم كان سليماً معافى منذ حوالي خمس دقائق فقط.

«السيدة سيغسبي، أليس كذلك؟»، سأل وهو يركع بجانب لوك.

لم تقل شيئاً.

«أنتِ في وضع سيئ جداً يا سيده سيغسبي. أنصحك أن تُخبري لوك هنا ما يريد معرفته».

«أحتاج إلى عناية طبية».

هزَّ تيم رأسه. «ما تحتاجين إليه هو أن تتكلمي. ثم سنرى بشأن العناية الطبية».

«لقد قال لوك الحقيقة»، قالت ويندي غير موجَّهة كلامها إلى شخص محدَّد. «بشأن كل شيء».

«ألم أقل هذا للتو؟»، قالت آني بصوتٍ يكاد يكون صياحاً.

شقَّ الطبيب روبر طريقه إلى المكتب. «يا للهول»، قال. «مَن لا يزال حيّاً؟ ما مدى سوء إصابة هذه المرأة؟ هل كان عملاً إرهابياً؟».

«إنهم يعدُّونني»، قالت السيدة سيغسبي. «إذا كنتَ طبيباً، مثلما توحى لي الحقيبة السوداء التي تحملها، فمن واجبك أن تجعلهم يتوقفون».

قال تيم، «الفتى الذي عالجتَه كان هارباً من هذه المرأة وفريق المداهمة الذي أَحَصَرته معها أيها الطبيب. لا أعرف عدد الموتى في الخارج، لكننا فقدنا خمسة، بما في ذلك المأمور، وكل ذلك بناءً على أوامر هذه المرأة».

«سنعامل مع ذلك لاحقاً»، قال روبر. «أحتاج الآن إلى الاعتناء بها. إنها تنزف. وعلى أحدٍ أن يطلب سيارة إسعاف لعينة».

نظَّرت السيدة سيغسبي إلى لوك وكشفت عن أسنانها في ابتسامة قالت لقد فزْتُ، ثم التفتت إلى روبر. «شكراً أيها الطبيب. شكراً».

«هناك رجل مشاكس»، قالت آني بنبرة لا تنمُّ عن إعجاب. «واحد أطلقكُ النار على قدمه، ربما حالته بسيطة. لذهبتُ لرؤيته لو كنتُ مكانكم. أعتقد أنه سيبع جَدَّته لعبودية بيضاء لقاء حقنة مورفين».

جحظت عينا السيدة سيغسبي جافلاً. «اتركوه وشأنه. أمنعكم من التكلُّم معه».

وقف تيم على قدميه. «تمنعينا أم لا تمنعينا. لا أعرفُ لصالح مَن تعملين أيتها السيدة، لكنني أظن أن أيام خطفك الأولاد قد ولت. لوك، ويندي،

38

أضأت أضواء المنازل في كل أنحاء البلدة، وامتلاً شارع دوپراي الرئيسي بحشود المتجمهرين. راحت جثث الموتى تُغطى بأي شيء تصل إليه الأيدي. وأخذ أحدهم كيس نوم آني اليتيمة من الزقاق وبسّطه فوق روبن لكس.

نُسي أمر الطبيب إيفانز بالكامل. كان بإمكانه أن يعرج إلى إحدى الشاحنات العائلية المركونة والفرار بها، لكنه لم يبذل أي جهد ليفعل ذلك. وجدّه تيم وويندي ولوك جالساً على حافة الرصيف أمام الجوهرة، وخذاه يلمعان من الدموع. لقد تمكن من خلع حذائه، وكان يحدّق الآن بجورب دموي يغطي ما بدا أنها قدم مشوّهة بشكل سيئ. كم تضرّر العظم وكم سيزول من ذلك التورّم في نهاية المطاف، لم يعرف تيم ولم يكثرث.

«ما اسمك يا سيد؟»، سأل تيم.

«لا تهتمّ بإسمي. أريد محامياً. وأريد طبيباً. لقد أطلقت امرأة النار عليّ. أريد أن يتم توقيفها».

«يدعى جايمس إيفانز»، قال لوك. «وهو طبيب. تماماً مثلما كان جوزيف منغليه».

بدا أن إيفانز لاحظ وجود لوك لأول مرة. أشار إلى الفتى بإصبع مرتعش. «كل هذا ذنبك».

اندقّع لوك نحو إيفانز، لكن تيم شدّه إلى الخلف هذه المرة ودقّعه بلطف لكن بحزم نحو ويندي التي أمسكته بكتفيه.

قرفص تيم لكي يمكنه أن ينظر مباشرةً إلى عيني الرجل الخائف الشاحب. «اسمعي أيها الطبيب إيفانز. اسمعني جيداً. لقد أتيت وأصداؤك بكل عجرفة إلى البلدة للقبض على هذا الفتى وقتلتم خمسة أشخاص. كلهم ضباط شرطة. قد لا تعرف ذلك الآن لكن كارولينا الجنوبية تعتمد عقوبة الإعدام، وإذا كنت تعتقد أنهم لن يستخدموها، ودون تردّد، لمقتل مأمور المقاطعة وأربعة معاونين -»

«لم تكن لي أي علاقة بذلك!»، زعق إيفانز. «كنتُ هنا مُكرهاً! أنا -»

«اصمت!»، قالت ويندي. كانت لا تزال تحمل مسدّس المرحوم تاغ فاراداي فصوّبته الآن نحو القدم التي لا تزال تنتعل فردة الحذاء. «كان أولئك الضباط أصدقائي أيضاً. إذا كنت تعتقد أنني سأتلو عليك حقوقك أو شيء من هذا القبيل، فلا شك أنك فقدت صوابك. ماذا سأفعله إن لم تُخبر لوك ما يريد معرفته هو وضع رصاصة في قدمك الأخرى -»

«حسناً! حسناً! نعم!»، مدّ إيفانز يديه ليحمي قدمه السليمة، وهذا جعل تيم يشفق عليه تقريباً. تقريباً. «ماذا تريد أن تعرف؟».

«أحتاج إلى التكلّم مع ستاكهاوس»، قال لوك. «كيف يمكنني أن أفعل ذلك؟».

«هاتفها»، قال إيفانز. «معها هاتف خاص. اتصلت به قبل أن يحاولوا... آه... عملية الاستخراج. رأيُّها تضعه في جيب معطفها».

«سأحضره»، قالت ويندي وعادت نحو المخفر.

«لا تُحضري الهاتف فقط»، قال لوك. «أحضريها هي أيضاً».

«لوك... إنها مُصابة بطلقة نارية».

«قد نحتاج إليها»، قال لوك. كانت عيناه صلبتين خاليتين من أي تعبير.

«لماذا؟».

لأنها مباراة في الشطرنج الآن، وفي الشطرنج لا تفكّر أبداً بالنقطة التالية التي تكون على وشك القيام بها، أو حتى بالنقطة التي تليها. بل تفكّر بالنقلات الثلاثة التالية، هذه هي القاعدة. وبثلاثة بدائل لكل نقلة منها، بناءً على ما سيفعله خصمك.

نظرت إلى تيم الذي أوماً برأسه. «أحضريها. ضعي لها الأصفاد إذا احتجت إلى ذلك. أنت القانون في النهاية».

«يا لهول هكذا فكرة»، قالت وابتعدت.

الآن، أخيراً، سمع تيم صفارة إنذار. وربما حتى اثنتين. لكن الصوت لا يزال خافتاً.

أَمْسَكَ لَوْكَ مَعْصَمَهُ. شَعَرَ تِيمَ أَنَّ الْفَتَى يَبْدُو مَرْكَزاً كَلِيّاً، مُدْرِكاً كَلِيّاً، وَمُصَاباً بِمَلَلٍ شَدِيدٍ أَيْضاً. «لَا يُمْكِنُنِي أَنْ أُنْشِغَلَ بِهَذَا. لَدَيْهِمْ أَصْدِقَائِي. إِنَّهُمْ مَسْجُونُونَ وَلَا أَحَدٌ لِيَسَاعِدُهُمْ غَيْرِي».

«مَسْجُونُونَ فِي ذَلِكَ الْمَعْهَد».

«نَعَمْ. أَنْتِ تَصَدِّقُنِي الْآنَ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟».

«سَيَكُونُ مِنَ الصَّعْبِ عَدَمُ تَصَدِيقِكَ بَعْدَ مَا رَأَيْنَاهُ عَلَى مُحَرِّكَ الْأَقْرَاصِ الْوَامِضِ، وَكُلِّ هَذَا. مَاذَا حَصَلَ لِمُحَرِّكَ الْأَقْرَاصِ؟ هَلْ لَا يَزَالُ مَعَكَ؟».

رَبَّتْ لَوْكَ عَلَى جَيْبِهِ.

«تَنْوِي السَّيِّدَةِ سِيغْسَبِي وَالْأَشْخَاصَ الَّذِينَ تَعْمَلُ مَعَهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا شَيْئاً لِأَصْدِقَائِكَ أَوْلَئِكَ لَكِي يَنْتَهِي بِهِمُ الْأَمْرُ مِثْلَ الْأَوْلَادِ فِي ذَلِكَ الْجَنَاحِ؟».

«إِنَّهُمْ يَفْعَلُونَ ذَلِكَ مِنْ قَبْلِ، لَكِنْهُمْ خَرَجُوا. بِسَبَبِ آيْفِيرِي فِي الْأَغْلَبِ، وَآيْفِيرِي ذَهَبَ إِلَى هُنَاكَ لِأَنَّهُ سَاعَدَنِي عَلَى الْهَرَبِ. أَظُنُّ أَنَّهُ يُمْكِنُكَ وَصْفُ ذَلِكَ بِالسَّخْرِيَّةِ. لَكِنِّي مُتَأَكِّدٌ تَمَاماً أَنَّهُمْ مَسْجُونُونَ مَرَّةً أُخْرَى. أَخْشَى أَنْ سَتَاكْهَافُوسُ سَيَقْتُلُهُمْ إِنْ لَمْ أُبْرَمِ اتِّفَاقاً مَعَهُ».

عَادَتْ وَيَنْدِي تَحْمَلُ جِهَازاً مَرَبَّعاً افْتَرَضَ تِيمَ أَنَّهُ هَاتِفٌ. رَأَى ثَلَاثَةَ خَدُوشِ نَازِفَةٍ عَلَى الْجَهَةِ الْخَلْفِيَّةِ لِلْيَدِ الَّتِي تَحْمَلُهُ.

«لَمْ تَرِدِ التَّخَلِّيَ عَنْهُ. وَهِيَ قَوِيَّةٌ بِشَكْلِ مَدْهَشٍ، حَتَّى بَعْدَ تَلْقِيهَا رِصَاصَةً». سَلِمَتْ تِيمَ الْجِهَازَ وَالتَّقَتَتْ إِلَى الْوَرَاءِ. كَانَتْ أَنِي الْيَتِيمَةَ وَدَنْتُونَ الطَّبَّالَ يَسْنَدَانِ السَّيِّدَةَ سِيغْسَبِي فِي الْجَانِبِ الْمَقَابِلِ لِلشَّارِعِ. رَغْمَ شُحُوبِ لَوْنِهَا وَشَعُورِهَا بِالْأَلَمِ، كَانَتْ تَقَاوَمُهُمَا بِقَدْرِ مَا تَسْتَطِيعُ. وَكَانَ هُنَاكَ ثَلَاثُونَ شَخْصاً عَلَى الْأَقْلَى مِنْ سَكَانِ دُوبِرَايَ يَسِيرُونَ خَلْفَهُمْ، وَفِي طَلِيعَتِهِمُ الطَّبِيبُ رُوبِرُ.

«هَا هِيَ يَا تِيمِي»، قَالَتْ أَنِي الْيَتِيمَةَ لَاهْتَةً، وَظَهَرَتْ عِلَامَاتُ حَمْرَاءَ عَلَى خَدَّهَا وَصَدَغَهَا حَيْثُ صَفَعَتْهَا السَّيِّدَةُ سِيغْسَبِي، لَكِنِ أَنِي لَمْ تَبْدُ مِنْزَعَجَةً وَلَوْ قَلِيلاً. «مَاذَا تَرِيدُنَا أَنْ نَفْعَلَ بِهَا؟ افْتَرَضُ أَنْ شَنْقَهَا غَيْرَ وَارِدَ عَلَى الْإِطْلَاقِ، لَكِنَهَا فِكْرَةٌ جَدَّابَةٌ».

وَضَعَ الطَّبِيبُ رُوبِرُ حَقِيبَتَهُ السُّودَاءَ أَرْضَاءً، وَأَمْسَكَ أَنِي بِشَالِهَا السَّيْرَابِي، وَسَخَبَهَا جَانِباً لَكِي يُمْكِنُهُ مَوَاجَهَةُ تِيمَ. «مَا هَذَا التَّفَكِيرُ اللَّعِينُ؟ لَا يُمْكِنُكُمْ نَقْلُ هَذِهِ الْمَرْأَةِ إِلَى أَيِّ مَكَانٍ! خَرِيَّ بِكُمْ أَنْ تَقْتُلُوهَا!».

«لا أعتقد أنها تحتضر أيها الطبيب»، قال الطَّبَّال. «لكمّنتي وكادت تكسر لي أنفي». ثم ضحك. لا يعتقد تيم أنه سميع الرجل يضحك ولو مرة واحدة من قبل.

تجاهلت ويندي الطَّبَّال والطبيب. «إذا كنا سنذهب إلى أي مكان يا تيم، من الأفضل أن نفعل ذلك قبل وصول شرطة الولاية».

«رجاءً». نظرَ لوك إلى تيم أولاً ثم إلى الطبيب روبر. «سيموت أصدقاؤني إن لم نفعل شيئاً، أعرف ذلك. وهناك آخرون معهم، أولئك الذين يسمّونهم الموتى دماغياً».

«أريد الذهاب إلى المستشفى»، قالت السيدة سيغسبي. «لقد فقدت الكثير من الدم. وأريد رؤية محامي».

«أغلقني فمك وإلا فسأغلقه لك»، قالت آني. نظرت إلى تيم. «إصابته ليست سيئة مثلما تحاول أن تتظاهر. النزيف توقف من قبل».

لم يردّ تيم فوراً. كان يفكّر بذلك اليوم، منذ وقت غير بعيد، عندما دخل مركز وستفيلد التجاري في ساراسوتا ليشتري حذاءً فقط لا غير وركضت امرأة إليه لأنه يرتدي زيّ شرطي. قالت إن هناك فتىّ يلوّح بمسدّس قرب صالة السينما، لذا ذهب تيم ليستطلع الأمر، ووجد نفسه أمام قرار غير له حياته. قرأ أحصره إلى هنا في الواقع. والآن أمامه قرار آخر ليأخذه.

«ضمّدها أيها الطبيب. أعتقد أنني وويندي ولوك سنأخذ هذين الاثنين في نزهة صغيرة ونرى إن كان يمكننا حسم هذه المسألة».

«أعطها شيئاً للألم أيضاً»، قالت ويندي.

هزّ تيم رأسه. «أعطني إياه. سأقرّر متى ستحصل عليه».

راح الطبيب روبر ينظر إلى تيم - وويندي أيضاً - كما لو أنه لم يرهما أبداً في حياته. «هذا خطأ».

«لا أيها الطبيب»، قالت آني بدمائة مدهشة. أمسكت روبر بكتفه ووجّهت نظره إلى ما بعد الجثث المغطاة في الشارع وفي المخفر، بنوافذه وأبوابه المحطمة. «هذا هو الخطأ».

بقي الطبيب يقف مكانه للحظة ينظر إلى الجثث والمخفر المُمطر رصاصاً. ثم وصل إلى قرار. «دعونا نرى حجم الضرر. إذا كانت لا تزال تنزف

بشدة، أو إذا كانت عظمة فخذها مكسورة، لن أسمح لكم بأخذها». لكنك ستسمح لنا، فكّر تيم في سرّه. لأنه لا مجال لكي تمنعنا. ركّع روپر، وفتح حقيبته، وأخرج مقصّاً جراحياً.

«لا»، قالت السيدة سيغسبي وهي تسحب نفسها من قبضة الطيّال. أمسكها مرة أخرى فوراً، لكن تيم تنبّه من أنها كانت قادرةً علي وضع ثقل وزنها على رِجلها المصابة قبل أن تفعل ذلك. روپر رأى ذلك أيضاً. «لن تُجري لي عملية جراحية في هذا الشارع!».

«العملية الجراحية الوحيدة التي سأجرّيها هي على ساق بنطلونك»، قال روپر. «إلا إذا بقيت تكافحين. افعلي ذلك ولن أتمكن من ضمان ماذا سيجري».

«لا! أمنعك من أن -»

أمسكتها آني بعنقها. «يا امرأة، لا أريد سماع المزيد عما تسمحين به وعما تمنعينه. لا تتحرّكي، وإلا فإن رِجلك هي آخر شيء ستقلقين بشأنه». «ارفعي يديك عني!».

«فقط إذا توقفتِ عن الحراك. وإلا فسألوي عنقك الهزيل».

«من الأفضل أن تفعلي ذلك»، نصّحت آدي عُولسبي. «يمكنها أن تفقد عقلها عندما تُصاب بإحدى نوباتها».

توقّفت السيدة سيغسبي عن المقاومة، ربما بسبب الإرهاق وربما بسبب التهديد بالخنق أيضاً. قصّ روپر سروالها الفضفاض فوق الجرح بخمسة سنتيمترات بشكل أنيق. سقطت ساق البنطلون حول كاحلها كاشفةً بشرتها البيضاء وزخرفة دوالي أوردّة، وشيئاً بدا أشبه بنشطة سكين وليس ثقب رصاصة.

«حسناً يا عزيزتي»، قال روپر بنبرة ارتياح. «الإصابة ليست سيئة. أسوأ من خدش لكن ليس بكثير. كنتِ محظوظةً يا سيدتي. بدأ الجرح يتخثّر حتى».

«أنا مُصابة إصابة سيئة!»، صاحت السيدة سيغسبي.

«ستصبحين هكذا إذا لم تصمتي»، قال الطيّال.

مَسَحَ الطَّيِّبُ الجرحَ بِمِطْهَرٍ، وَلَفَّ ضِمَادَةً حَوْلَهُ، وَثَبَّتَهُ بِمَشْبِكِ أَوْرَاقٍ. حينَ انْتَهَى، بَدَأَ أَنْ كُلَّ سَكَّانٍ دُوبِرَايَ - أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَعْشَوْنَ فِي الْبَلَدَةِ، عَلَى الْأَقْلِ - يَتَفَرَّجُونَ عَلَى مَا يَفْعَلُ. فِي غَضُونِ ذَلِكَ، نَظَرَ تَيْمٌ إِلَى هَاتِفِ الْمَرْأَةِ. هُنَاكَ زُرَّ عَلَى الْجَهَةِ الْجَانِبِيَّةِ أَضَاءُ الشَّاشَةِ وَظَهَرَ لَهُ أَنَّ مَسْتَوَى الطَّاقَةِ 75%.

أَطْفَأَهُ مَرَّةً أُخْرَى وَسَلَّمَهُ إِلَى لُوكٍ. «احتفظ بهذا في الوقت الحاضر».

بَيْنَمَا وَصَعَهُ لُوكٌ فِي الْجَيْبِ الَّذِي يَحْتَوِي عَلَى مَحَرِّكَ الْأَقْرَاصِ الْوَامِضِ، شَدَّتْ يَدُ بِنْتِ لُونِهِ. إِنَّهُ إِيفَانِز. «عليك أن تكون يقظاً يا عزيزي لُوكٍ. هذا إذا كنت لا تريد تحميل نفسك المسؤولية».

«مسؤولية ماذا؟»، سألت ويندي.

«نهاية العالم يا آنسة. نهاية العالم».

«اصمت أيها المغفل»، قالت السيدة سيغسبي.

تَأَمَّلَهَا تَيْمٌ لِلْحِظَّةِ، ثُمَّ اسْتَدَارَ إِلَى الطَّيِّبِ. «لا أعرف بالضبط مع ماذا تتعامل هنا، لكنني أعرف أنه شيء مذهل. نحتاج إلى بعض الوقت مع هذين الاثنين. عندما يصل رجال شرطة الولاية، أخبرهم أننا سنعود بعد ساعة، أو ساعتين كحد أقصى. سنحاول عندها تدبير شيء يُقَارِبُ الْإِجْرَاءَاتِ الْعَادِيَّةَ لِلشَّرْطَةِ عَلَى الْأَقْلِ».

هَذَا وَعْدٌ شَكَّ أَنَّه سَيَكُونُ قَادِرًا عَلَى الْوَفَاءِ بِهِ. شَعَرَ أَنَّ وَقْتَهُ فِي دُوبِرَايَ، كَارُولَايْنَا الْجَنُوبِيَّةِ، انْتَهَى بِكُلِّ تَأَكِيدٍ، وَأَسِيفٌ لِذَلِكَ.

اعتقد أنه كان يمكنه أن يعيش هنا. ربما مع ويندي.

39

وَقَفَّتْ غَلَادِيْسُ هِيكْسُونُ أَمَامَ سِتَاكِهَاوَسِ وَقَفَّةً عَسْكَرِيَّةً مَتَاهِبَةً، مُبَاعِدَةً قَدَمَيْهَا عَنِ بَعْضِهِمَا الْبَعْضَ، وَوَاضِعَةً يَدَيْهَا خَلْفَ ظَهْرِهَا. ابْتِسَامَتُهَا الْمَزِيْفَةُ الَّتِي أَصْبَحَ كُلُّ وُلْدٍ فِي الْمَعْهَدِ يَعْرِفُهَا (وَبِكْرَهَا) اخْتَفَتِ بِالْكَامِلِ.

«هل تفهمين الوضع الحالي يا غلاديس؟».

«نعم سيدي. مقيموا النصف الخلفي موجودون في نفق الوصول».

«صحيح. لا يمكنهم الخروج، لكن اعتباراً من الآن، لا يمكننا الدخول. أفهم أنهم حاولوا... هلاً قلنا العبث ببعض الموظفين باستخدام قدراتهم النفسانية؟».

«نعم سيدي. هذا لا ينجح».

«لكنه غير مريح».

«نعم سيدي، قليلاً. هناك نوع من... الهمهمة. إنها مزعجة. ليس هنا في الإدارة، على الأقل ليس بعد، لكن كل شخص في النصف الأمامي يشعر بها».

هذا منطقي، فكّر ستاكهاوس في سرّه. فالنصف الأمامي أقرب إلى النفق. يمكن القول إنه فوقه تماماً.

«يبدو أنه يصبح أقوى يا سيدي».

ربما تتخيّل هذا فحسب. يستطيع ستاكهاوس أن يأمل ذلك، ويمكنه أن يأمل أن دونكي كونغ كان محقاً عندما أصرّ على أن ديكسون وأصدقاؤه لا يستطيعون التأثير على العقول المحضّرة، حتى ولو أضاف الموتى دماغياً قوتهم التي لا يمكن إنكارها إلى المعادلة، لكن مثلما كان جدّه معتاداً أن يقول، الأمل لا يجعلك تفوز في سباقات الخيل.

ربما لأن صمته أربكها، أكملت تقول، «لكننا نعرف ماذا ينوون أن يفعلوا يا سيدي، وهذه ليست بمشكلة. إنهم تحت السيطرة».

«أحسنتِ قولاً يا غلاديس. الآن سبب استدعائي لك إلى هنا. أعلم أنك درستِ في جامعة ماساتشوستس في أيام شبابك».

«هذا صحيح يا سيدي، لكن لثلاثة فصول دراسية فقط. لم أشعر أن ذلك يناسبني، لذا تركتُ وتطوّعتُ في المارينز».

أوماً ستاكهاوس برأسه. لا داعي لإحراجها عبر ذكره ما هو مذكور في ملفها: بعد تحقيقها نتائج جيدة في سنتها الأولى، عانت غلاديس من متاعب خطيرة نوعاً ما خلال سنتها الثانية. ففي مقهى قريب من حرم الجامعة يتردّد إليه الطلاب، جعلت منافسةً لها على إعجاب حبيبها تفقد وعيها عبر ضربها بزجاجة شراب شعير، ولم يُطلب منها مغادرة المقهى فحسب بل الجامعة أيضاً. لم يكن ذلك الحادث أول فورة لها بسبب مزاجها السيئ. لا عجب أنها اختارت المارينز.

«علمتُ أنكِ كنتِ تدرسين الكيمياء».

«لا سيدي، ليس تماماً. لم أكن قد اخترتُ اختصاصاً قبل... قبل أن أفّرّ المغادرة».

«لكن تلك كانت نيتك».

«آه، نعم سيدي، في ذلك الوقت».

«غلاديس، لنفترض أننا احتجنا إلى - وهذه جملة محطوط من قدرها بشكل ظالم - حل نهائي بخصوص أولئك المقيمين في نفق الوصول. لا أقول إن ذلك سيحصل، لا أقول ذلك أبداً، لكن لنفترض أنه سيحصل».

«هل تسأل إن كان يمكن تسميمهم بطريقة أو بأخرى يا سيدي؟».

«لنفترض أنني أسأل ذلك».

ابتسمت غلاديس الآن، وهذه كانت ابتسامة حقيقية تماماً. وربما حتى ارتاحت نفسياً. إذا زال المقيمون، ستتوقف المهمة المزعجة. «أسهل شيء في العالم يا سيدي، بافتراض أن نفق الوصول موصول بنظام التدفئة والتهوية وتكييف الهواء، وأنا أكيدة أنه موصول به. ما ستريده هو مادة مبيضة ومادة منظّفة للمرحاض. هناك الكثير منهما في قسم مدبّرات المنزل. امزجهما وستحصل على غاز الكلور. ما عليك سوى وضع بضعة دلاء منها تحت فتحة أنبوب نظام التدفئة والتهوية وتكييف الهواء الذي يغذي النفق، وغطه بملاءة واقية للماء للحصول على امتصاص جيد إلى الداخل». سكتت قليلاً لتفكر. «بالطبع، قد تريد إخلاء الموظفين من النصف الخلفي قبل أن تفعل ذلك. فقد تكون هناك فتحة تغذية واحدة فقط لذلك الجزء من المجمع. لسْتُ متأكدة. يمكنني النظر إلى خرائط التدفئة، إذا كنتِ -»

«لا داعي لذلك»، قال ستاكهاوس. «لكن ربما يمكنكِ وفرد كلارك البواب... آه... تحضير المكونات الملائمة. من باب الاحتياط فقط لا غير».

«نعم سيدي، تماماً». بدت غلاديس توّاقة للذهاب. «هل يمكنني أن أسأل أين السيدة سيغسبي؟ مكتبها فارغ، وقالت روزاليند أن أسألك، إذا أردتُ أن أعرف».

«لا شأن لكِ بأمور السيدة سيغسبي يا غلاديس». وبما أنها بدت مصمّمة على البقاء في وقفها العسكرية، أضاف: «انصرفي».

غادرت لتجد فُرد البوّاب وتبدأ تجميع المكوّنات التي ستضع حدّاً للأولاد
والهممة التي استقرّت في النصف الأمامي.

استراح ستاكهاوس على كرسيه، وتساءل إن كان هكذا عمل جذري
سيصبح ضرورياً. شَعَرَ أنه سيصبح ضرورياً. وهل يُعتبر عملاً جذرياً حقاً إذا ما
أخذ بعين الاعتبار ما كانوا يفعلونه هنا طوال العقود السبعة الأخيرة تقريباً؟
الموت محتوم في مهنتهم، في النهاية، والحالة السيئة تتطلب بداية جديدة
أحياناً.

تعتمد تلك البداية الجديدة على السيدة سيغسبي. صحيح أن بعثتها إلى
كارولينا الجنوبية رعناء إلى حد ما، لكن هكذا خطط هي التي تنجح في أغلب
الأحيان. تذكر شيئاً قاله مايك تايسون: بعدما يبدأ تبادل اللكمات، تفرّ
الاستراتيجية من النافذة. إن استراتيجية خروجه جاهزة على كل حال. ومنذ
سنوات. فقد ادّخر بعض المال، وجَهَّز جوازات سفر مزيفة (ثلاثة منها)، ووضع
خطط سفر، واختار وجهةً. لكنه سيبقى هنا طالما يستطيع، جزئياً بدافع الوفاء
لجوليا، وفي الأغلب لأنه مقتنع بالعمل الذي يفعلونه. فإبقاء العالم آمناً
لديموقراطية مسألة ثانوية. أما إبقاؤه آمناً بالكامل فمسألة رئيسية.

لا سبب للرحيل بعد، أخبر نفسه. المخطّط ساء، لكنه لم يفسد بعد. من
الأفضل الانتظار. ورؤية من سيظل واقفاً بعدما ينتهي تبادل اللكمات.

انتظر أن يُطلق هاتف المقصورة رنينه بررت-بررت الحادّ. عندما تُطلعه
جوليا على النتيجة هناك، سيقرّر خطوته التالية. وإذا لم يرنّ الهاتف أبداً،
سيكون ذلك جواباً له أيضاً.

40

هناك صالون تجميل مهجور صغير حزين عند تقاطع الطريقين العاميين
US 17 و SR 92. ركنَ تيم الشاحنة وسار إلى جهة الراكب حيث تجلس السيدة
سيغسبي. فتح بابها، ثم سحب الباب المنزلق إلى الخلف. كان لوك وويندي
يجلسان على جانبي الطبيب إيفانز، الذي بقي يحدّق بتجهم بقدمه المشوّهة.
وكانت ويندي تحمل مسدّس تاغ فاراداي، ولوك هاتف مقصورة السيدة
سيغسبي.

«لوك، تعال معي. ويندي، ابقِ حيث أنتِ، رجاءً».

خَرَجَ لُوكٌ. طَلَبَ مِنْهُ تِيمَ الْهَاتِفِ. سَلَّمَهُ لَهُ لُوكٌ. شَغَّلَهُ تِيمٌ، ثُمَّ انْحَنَى فِي بَابِ الرَّكَابِ. «كَيْفَ يَعْمَلُ هَذَا الطِّفْلُ؟».

لَمْ تَقُلْ شَيْئاً، بَلْ بَقِيتَ تَنْظُرُ إِلَى الْأَمَامِ مَبَاشِرَةً نَحْوَ الْمَبْنَى الْمَغْلُوقَةِ نَوَافِذِهِ بِالْوَحْشِيبَةِ وَوَلَفْتَهُ الْبَاهِتَةَ الَّتِي تَقُولُ هِيرِبُورْت 2000. زَقَرْتِ جِدَاجِدًا، وَأَمَكْنَهُمْ سَمَاعَ صَفَارَاتِ الْإِنْذَارِ مِنْ اتِّجَاهِ دُوبِرَايِ. قَدَّرَ تِيمٌ أَنَّهَا أَقْرَبُ الْآنَ، لَكِنِّهَا لَا تَزَالُ لَمْ تَصِلْ إِلَى الْبَلَدَةِ. سَتَصِلُ إِلَى هُنَاكَ قَرِيباً.

تَنَهَّدَ. «لَا تَصْعَبِي الْأَمْرَ يَا سِيدَتِي. يَقُولُ لُوكٌ إِنْ هُنَاكَ فِرْصَةٌ لِإِبْرَامِ اتِّفَاقٍ، وَهُوَ وَلَدٌ ذَكِيٌّ».

«ذَكِيٌّ جِداً لِصَالِحِهِ الشَّخْصِيِّ»، قَالَتْ ثُمَّ زَمَّتْ شَفْتَيْهَا وَهِيَ لَا تَزَالُ تَنْظُرُ عَبْرَ الزَّجَاجِ الْأَمَامِيِّ، شَابِكَةً ذِرَاعَيْهَا فَوْقَ صَدْرِهَا الْهَزِيلِ.

«نَظِراً لِلْمَوْقِفِ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ، عَلَيَّ أَنْ أَقُولَ إِنَّهُ ذَكِيٌّ جِداً لِصَالِحِكِ أَيْضاً. عِنْدَمَا أَقُولُ لَا تَصْعَبِي الْأَمْرَ، أَعْنِي لَا تَجْعَلِينِنِي أُؤْذِيكَ. وَبِالنِّسْبَةِ لِامْرَأَةٍ تُؤْذِي أَوْلَاداً -»

«تُؤْذِيهِمْ وَتَقْتُلُهُمْ»، عَلَّقَ لُوكٌ. «تَقْتُلُ أَشْخَاصاً آخَرِينَ أَيْضاً».

«بِالنِّسْبَةِ لِامْرَأَةٍ تَفْعَلُ هَكَذَا أُمُورًا، مِنْ الْوَاضِحِ أَنَّكَ تَكْرَهُينَ الْأَلْمَ بِنَفْسِكَ. لِذَا تَوَقَّفِي عَنِ الصَّمْتِ وَأَخْبِرِينِي كَيْفَ يَعْمَلُ هَذَا».

«يُنَشِّطُ صَوْتِيًّا»، قَالَ لُوكٌ. «أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟».

نَظَرَتْ إِلَيْهِ مَتَفَاجِئَةً. «أَنْتَ تَعِ وَلَسْتَ تَخِ. وَال تَعِ لَدَيْكَ غَيْرُ قَوِيَّةٍ أَيْضاً».

«الْأَحْوَالُ تَغَيَّرَتْ»، قَالَ لُوكٌ. «بِفَضْلِ أَضْوَاءِ شِتَازِي. نَشَّطِي الْهَاتِفَ يَا سِيدَةَ سِيغْسَبِي».

«لُتَبْرِمِ اتِّفَاقاً؟»، قَالَتْ وَضَحَكَتْ ضَحْكَةً صَاحِبَةً. «أَيُّ اتِّفَاقٍ يُمْكِنُهُ أَنْ يَفِيدَنِي؟ أَنَا مَيِّتَةٌ مَهْمَا حَصَلَ. لَقَدْ فَسَّلْتُ».

انْحَنَى تِيمٌ دَاخِلَ الْبَابِ الْمُتَحَرِّكِ. «وَيَنْدِي، أَعْطِينِي الْمَسَدَّسَ».

أَعْطَتْهُ إِيَّاهُ دُونَ جِدَالٍ.

وَوَضَعَ تِيمٌ فَوْهَةً مَسَدَّسَ الْمَعَاوِنِ فَارَادَايِ الْآكِي عَلَى سَاقِ الْبِنْتَلُونِ الَّتِي لَا تَزَالُ هُنَاكَ، تَحْتَ الرِّكْبَةِ مَبَاشِرَةً. «هَذَا مَسَدَّسٌ غَلُوكٌ يَا سِيدَتِي. إِذَا

ضغطتُ الزناد، لن تتمكني من السير مرة أخرى أبداً».

«الصدمة وفقدان الدم سيقتلانا!»، زَعَقَ الطبيب إيفانز.

«خمسة موتى هناك، وأنتِ المسؤولة»، قال تيم. «هل تعتقدين أنني أهتمُّ حقاً؟ لقد نفذ صبري منك يا سيده سيغسبي. هذه فرصتك الأخيرة. قد يُغمى عليك فوراً، لكنني أراهن أن أضواءك ستبقى مُضاءة لبعض الوقت. وقبل أن تنطفئ، الألم الذي ستشعرين به سيجعل أخدود الرصاصة في رِجلك الأخرى يبدو مثل قبلة تصبحين على خير».

لم تقل شيئاً.

قالت ويندي، «لا تفعل ذلك يا تيم. لا يمكنك، ليس بدم بارد».

«بلى يمكنني». لم يكن تيم متأكداً أنها الحقيقة. ما يعرفه بكل تأكيد هو أنه لا يريد اكتشاف ذلك. «ساعديني يا سيده سيغسبي. ساعدي نفسك».

لا شيء. والوقت قصير. آني لن تُخبر شرطة الولاية في أي اتجاه ذهبوا؛ وهكذا سيفعل الطَّبَّال وادي غولسبي. الطبيب روير قد يُخبرهم. نوربرت هولистер، الذي تعهَّل وبقي بعيداً عن الأنظار خلال معركة المسدَّسات في الشارع الرئيسي، يشكّل مرشحاً مرجحاً أكثر.

«حسناً. أنتِ سافلة قاتلة، لكنني لا أزال آسفاً لاضطراري إلى فعل ذلك. لا عدّ حتى ثلاثة».

وَوَضَعَ لُوكُ يديه فوق أذنيه ليكبت صوت الطلقة النارية، وهذا ما أقنعها. «لا». مدَّت يدها. «أعطني الهاتف».

«لا أعتقد».

«ضعه إذاً أمام فمي».

فعل تيم ذلك. تمتت السيدة سيغسبي شيئاً، وتكلَّم الهاتف. «التنشيط مرفوض. لديك محاولتان أخريان».

«يمكنك فعل أفضل من هذا»، قال تيم.

تنحنت السيدة سيغسبي وتكلَّمت هذه المرة بنبرة عادية تقريباً. «سيغسبي واحد. رؤساء كنساس سيأتي».

الشاشة التي ظهرت بدت مشابهة تماماً للشاشة التي على آيفون تيم. ضغطَ رمز الهاتف، ثم رمز أحدث المكالمات. هناك، في أعلى اللائحة، كان الإسم ستاكهاوس.

سَلَّمَ الهاتف إلى لُوك. «اتصل به. أريده أن يسمع صوتك. ثم أعطني إياه».

«لأنك الراشد وسيصدِّقك».

«آمل أنك محقٌّ».

41

بعد ساعة تقريباً من آخر اتصال أجرته جوليا معه - وهذه مدة طويلة جداً - أضاء هاتف مقصورة ستاكهاوس وبدأ يترن. أمسكه. «هل قبضت عليه يا جوليا؟».

الصوت الذي رَدَّ كان مذهلاً لدرجة أن ستاكهاوس كاد يفلت الهاتف. «لا»، قال لُوك إليس، «حصل الأمر بالمعكوس». استطاع ستاكهاوس سماع سرور لا يمكن إنكاره في صوت الحقير الصغير. «نحن الذين قبضنا عليها».

«ما... ما...»، لم يستطع التفكير بشيء آخر ليقوله في البدء. لم تعجبه كلمة نحن تلك. ما جعله يتمالك نفسه هو فكرة جوازات السفر الثلاثة المخبأة في خزانة مكتبه، واستراتيجية الخروج المدروسة بعناية التي ترافقها.

«لم تفهم، صح؟»، سأل لُوك. «ربما تحتاج إلى تغطيس في خزان الغمر. إنه يصنع عجائب لقدراتك الذهنية. وأنا برهان حيّ. أنا أكيد أن آيفيري برهان حيّ أيضاً».

شَعَرَ ستاكهاوس برغبة جامحة لئنهى المكالمة فوراً، ليأخذ جوازات سفره ببساطة وبخرج من هنا، بسرعة وهدوء. ما أوقفه هي حقيقة أن الولد اتصل فعلاً. وهذا يعني أن لديه شيئاً ليقوله. ربما شيء ليعرضه عليه.

«لُوك، أين السيدة سيغسبي؟».

«هنا»، قال لُوك. «فتحت لنا الهاتف. أليس هذا تصرّف رائع منها؟».

لنا. ضمير سيئ آخر. ضمير خطير.

«لقد حصل سوء فهم»، قال ستاكهاوس. «إذا كانت هناك أي فرصة لإصلاح الوضع، من المهم أن نفعل ذلك. المخاطر أكبر مما تظن.»

«ربما يمكننا فعل ذلك»، قال لوك. «هذا سيكون جيداً.»

«رائع! إذا كنت تستطيع فقط إعطاء السيدة سيغسبي الهاتف لدقيقة أو دقيقتين، لكي أعرف أنها بخير-»

«لما لا تتكلم مع صديقي بدلاً من ذلك؟ يدعى تيم.»

انتظر ستاكهاوس والعرق يقطر على خديه. نظر إلى شاشة كمبيوتره. بدا الأولاد في النفق الذين بدأوا الثورة - ديكسون وأصدقائه - كأنهم نائمون. على عكس الموتى دماغياً. كانوا يسرون بلا هدف، يتمتمون ويصطدمون ببعضهم البعض أحياناً مثل السيارات الاصطدامية في مدينة الملاهي. أحدهم يحمل قلم شمع للتلوين أو شيء من هذا القبيل ويكتب به على الجدار. تفاجأ ستاكهاوس. لم يعتقد أن أيًا منهم لا يزال قادراً على الكتابة. ربما هذه مجرد خربشة. الكاميرا اللعينة غير نقية كفاية ليرى جيداً. معدّات لعينة دون المستوى.

«سيد ستاكهاوس؟»

«نعم. مع من أتكلّم؟»

«تيم. هذا كل ما تحتاج إليه الآن.»

«أريد التكلّم مع السيدة سيغسبي.»

«قل لها شيئاً، لكن باختصار»، قال الرجل الذي يسمّي نفسه تيم.

«أنا هنا يا تريفور»، قالت جوليا. «وأسفة. لم تنجح العملية فحسب.»

«كيف -»

«لا تهتمّ كيف يا سيد ستاكهاوس»، قال الرجل الذي يسمّي نفسه تيم، «ولا تهتمّ بملكة السافلات هنا. نحتاج إلى إبرام اتفاق، ونحتاج إلى فعل ذلك بسرعة. هل يمكنك أن تصمت وتُنصت لي؟»

«نعم.» سحب ستاكهاوس مفكرةً أمامه. سقطت عليها نقاط من العرق. مسح جبهته بكُمّه، وقلبَ إلى صفحة جديدة، وأمسكَ قلمًا. «تفضّل.»

«أحصّر لوك محرّك أقراص وامض من ذلك المعهد حيث كنتم تحتجزونه. امرأة تدعى مورين ألفورسون صنعته. تروي فيه قصة رائعة، قصة من الصعب تصديقها، ما عدا أنها صوّرت أيضاً فيديوها لما يجري في ما تسمّونه الجناح أ أو منتزه اللادماغيين. هل أنت معي حتى الآن؟».

«نعم».

«يقول لوك إنكم تحتجزون عدداً من أصدقائه رهائن إلى جانب عدد من الأولاد من الجناح أ.»

حتى تلك اللحظة، لم يفكّر ستاكهاوس بهم كرهائن، لكنه افترض ذلك من وجهة نظر إيس...

«لنفترض أن هذا هو الحال يا تيم».

«نعم، لنفترض ذلك. الآن يأتي الجزء المهم. اعتباراً من الآن، فقط شخصان يعرفان قصة لوك وماذا يوجد على محرّك الأقراص الوامض. أنا أحدهما. ويندي صديقتي هي الشخص الآخر، وهي معي ولوك. لقد شاهده آخرون، كلهم رجال شرطة، لكنهم ماتوا كلهم بفضل ملكة السافلات هنا والقوة التي أحصرتها معها. معظم رجالها ماتوا أيضاً».

«هذا مستحيل!»، صرّخ ستاكهاوس. ففكرة أن مجموعة رجال شرطة في بلدة صغيرة يمكنهم القضاء على أفراد فريقَي الأويال والياقوت الأحمر معاً سخيفة.

«كانت الزعيمة متلهّفة قليلاً يا صديقي واستخفوا بنا. لكن دعنا لا نستطرد، اتفقنا؟ محرّك الأقراص الوامض معي. ومعني أيضاً سيدتك سيغسبي وطبيب يدعى جايمس إيفانز. الاثنان جريحان، لكن إذا خرجا من هذا، سيتعافيان. الأولاد معك. هل يمكننا أن نقايس؟».

صُعق ستاكهاوس.

«ستاكهاوس؟ أحتاج إلى جواب».

«هذا سيعتمد على ما إذا كان يمكننا إبقاء هذا المرفق سرياً أم لا»، قال ستاكهاوس. «من دون تلك الضمانة، لا تبدو الصفقة منطقية».

صمت مؤقت، ثم استأنف تيم كلامه. «يقول لوك إننا قد نتمكن من تدبير ذلك. في الوقت الحاضر، إلى أين أذهب يا ستاكهاوس؟ كيف تمكن

طاقم قراصنتك من الوصول إلى هنا من ماين بهذه السرعة؟».

أخبره ستاكهاوس أين تنتظر التشالينجر خارج الكولو - لم يكن لديه خيار آخر حقاً. «تستطيع السيدة سيغسبي إعطاءك الاتجاهات الدقيقة بعدما تصل إلى بلدة بوفورت. الآن أحتاج إلى التكلّم مع إيليس مرة أخرى».

«هل هذا ضروري حقاً؟».

«في الواقع، إنه حيوي».

ساد صمت قصير، ثم أصبح الفتى على الخط الآمن. «ماذا تريد؟».

«أفترض أنك كنت على تواصل مع أصدقائك»، قال ستاكهاوس. «ربما صديقٌ واحدٌ بالأخص، السيد ديكسون. لا داعي لكي تؤكد أو تنفي، أفهم أن الوقت قصير. في حال كنت لا تعرف مكانهم بالضبط -»

«إنهم في النفق بين النصف الخلفي والنصف الأمامي».

كان هذا مُقلِقاً. ومع ذلك، أكمل ستاكهاوس.

«هذا صحيح. إذا أمكننا التوصل إلى اتفاق، فقد يخرجون ويرون الشمس مرة أخرى. وإلا فسأملأ ذلك النفق بغاز الكلور، وسيموتون ببطء وبشكل بغيض. لن أرى ذلك يحصل؛ سأكون قد رحلتُ بعد دقيقتين من إصداري الأمر. أخبرك هذا لأنني متيقن أن صديقك الجديد تيم سيودّ إبقاءك خارج أي اتفاق نبرمه. هذا لا يمكن أن يحصل. مفهوم؟».

ساد صمت قصير، ثم قال لوك: «نعم. أفهم. سأتي معه».

«جيد. على الأقل في الوقت الحاضر. هل انتهينا؟».

«ليس تماماً. هل سيعمل هاتف السيدة سيغسبي من الطائرة؟».

سمع ستاكهاوس السيدة سيغسبي تقول بشكل باهت إنه سيعمل.

«ابق قريباً من هاتفك يا سيد ستاكهاوس»، قال لوك. «سنحتاج إلى التكلّم مرة أخرى. وتحتاج إلى التوقف عن التفكير بالهرب. إذا فعلت ذلك، سأعرف. معنا شرطية، وإذا طلبتُ منها الاتصال بجهاز الأمن القومي، ستفعل ذلك. ستصبح صورتك في كل مطار في البلاد، وكل هوية مزوّرة في العالم لن تنفعل بشيء. ستكون مثل أرنب في حقل مفتوح. هل تفهمني؟».

للمرة الثانية، أصبح ستاكهاوس مصعوقاً جداً ليتكلم.

«هل تفهمني؟».

«نعم»، قال.

«جيد. سنتصل بك للتفاهم على التفاصيل الدقيقة».

ثم اختفى الفتى. وضع ستاكهاوس الهاتف على مكتبه بعناية. لاحظ أن يده ترتعش قليلاً. جزء من ذلك سببه الرعب، لكن أغلبه الحنق. سنتصل بك، قال الفتى كما لو أنه مدير بارز في وادي السيليكون وستاكهاوس صبي مكتب عليه إطاعته.

سنرى بشأن ذلك، فكّر في سرّه. سنرى.

42

سَلِّمْ لُوْكَ هَاتِفِ الْمَقْصُورَةِ إِلَى تِيمِ كَمَا لَوْ أَنَّهُ سُرَّ مِنَ التَّخَلُّصِ مِنْهُ.

«كيف تعرف أن لديه هوية مزوّرة؟»، سألت ويندي. «هل قرأت ذلك في أفكاره؟».

«لا»، قال لوك. «لكنني أكيد أن لديه الكثير منها - جوازات سفر، رُخص قيادة، شهادات ولادة. أنا أكيد أن الكثير منهم يملكون منها. ربما ليس الممرّضون والفتيون وموظفو الكافيتيريا، لكن الأعلى منهم رتبةً. إنهم مثل أَيْخَمَانِ أَوْ وَالْتِرِ رَاوْفِ، الرَّجُلِ الَّذِي ابْتَكَرَ فِكْرَةَ بِنَاءِ حَجَرَاتِ غَازِ جَوَّالَةٍ». نَظَرَ لُوْكَ إِلَى السَّيِّدَةِ سَيِّغْسَبِيِّ. «كَانَ رَاوْفٌ سَيِّتْلَاءُ مِ تَمَاماً مَعَ أَشْخَاصٍ مِثْلِكُمْ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟».

«قد تكون لدى تريفور وثائق مزوّرة»، قالت السيدة سيغسبي. «أنا لا».

ورغم أن لوك لا يستطيع دخول ذهنها - فقد أغلقته عنه - شَعَرَ أَنَّهَا تَقُولُ الْحَقِيقَةَ. هُنَاكَ كَلِمَةٌ لِلْأَشْخَاصِ مِثْلَهَا، وَهِيَ كَلِمَةٌ تَعْصُبُ. أَيْخَمَانِ وَمَنْغَلِيهِ وَرَاوْفِ فَرَّوَا، بِمَا أَنَّهُمْ جَبْنَاءُ إِنْتِهَازِيُونَ؛ أَمَّا الْفُوْهَرُّ الْمَتَعْصَّبُ فَبَقِيَ وَانْتَحَرَ. شَعَرَ لُوْكَ بِبِقِيْنِ أَنَّهُ إِذَا سَنَحَتِ الْفُرْصَةَ لِهَذِهِ الْمَرْأَةِ فَإِنَّهَا سَتَفْعَلُ الشَّيْءَ نَفْسَهُ. طَالَمَا أَنَّهُ غَيْرُ مُؤَلِّمٍ نَسَبِيًّا.

عاد وركب الشاحنة، مع انتباهه إلى تجنّب قدم إيفانز المجروحة.
«يعتقد السيد ستاكهاوس أنني آتٍ إليه، لكن هذا غير صحيح».

«لا؟»، سأل تيم.

«لا. أنا آتٍ من أجله».

ومضت أضواء شتازي أمام عيني لوك في الظلمة المتزايدة، وتدحرج
باب الشاحنة المنزلق مغلقاً من تلقاء نفسه.

الهاتف الكبير

1

وصولاً حتى بوفورت، بقي ركّاب الشاحنة صامتين في الأغلب. حاول الطبيب إيفانز بدء محادثة في لحظة من اللحظات، فقد أراد إعلامهم مرة أخرى أنه بريء في كل هذا. أخبره تيم أن لديه خيارين: إما أن يصمت ويأخذ حَبَّتِي أوكسيكودون التي أعطاه إياها الطبيب روبر، أو يواصل الكلام ويتحمّل الألم في قدمه المصابة. اختار إيفانز الصمت والحَبَّتَيْن. لا يزال هناك القليل منها في القارورة البنية الصغيرة. قدّم تيم واحدةً إلى السيدة سيغسبي، فبلعتها دون ماء ولم تتكبّد عناء شكره.

أراد تيم الحفاظ على الهدوء كرمي للوك، الذي كان دماغ العملية الآن. عرّف أن معظم الناس سيعتبرونه مخبولاً لسماحه لفتى في الثانية عشرة من عمره أن يضع استراتيجيةً تهدف إلى إنقاذ الأولاد في ذلك النفق دون أن يُقتلوا هم أيضاً، لكنه لاحظ أن ويندي تلتزم الصمت أيضاً. كانت وتيم يعرفان ما فعله لوك ليصل إلى هنا، وقد رأيا طاقته تعمل منذ ذلك الحين، وفهما.

ما هو ذلك الفهم بالضبط؟ لماذا صدّف أن الولد، علاوة على امتلاكه جراًةً، عبقريٌّ فعليٌّ. لقد اختطفه بلطجيو المعهد ليحصلوا على موهبةٍ لا تزيد عن كونها خدعة مسرحية (على الأقل قبل تحسينها). لقد اعتبروا ذكاءه مجرد عاملٍ مساعدٍ لما كانوا يسعون وراءه حقاً، مما جعلهم أشبه بصيادين غير قانونيينٍ مستعدين أن يذبحوا فيلاً وزنه ستة أطنان ليحصلوا على أربعين كيلوغراماً من العاج.

شكّ تيم أن يكون إيفانز قادراً على تقدير السخرية، لكنه شَعَرَ أن سيغسبي قادرة على تقديرها... إذا تقبّلت فكرة وجود غرفة ذهنية: عملية سرية دامت عقوداً قضى عليها الشيء الذي اعتبروه غير ضروري بالذات - الذكاء المرعب لهذا الولد.

حوالي الساعة التاسعة، وبُعِيد اجتياز حدود مدينة بوفورت، أخبر لوك تيم أن يجد نُزْلاً. «لكن لا تركز أمامه. اذهب إلى جهته الخلفية».

وجدوا نُزْلاً رخيصاً في شارع باوندرى، ومرأبه الخلفي مظلل بأشجار المغنوليا. رَكَن تيم قرب السور وأطفأ المحرِّك.

«هنا تتركينا أيتها الضابطة ويندي»، قال لوك.

«تيم؟»، سألت ويندي. «عما يتكلّم؟».

«عن حجزك غرفةً، وهو محقٌّ»، قال تيم. «أنتِ تبقين، نحن نذهب».

«عودي إلى هنا بعدما تحصلين على مفتاحك»، قال لوك. «وأعيدي لنا بعض الورق. هل معك قلم؟».

«بالطبع، ومعى مفكرتي». ربّت على الجيب الذي في الجهة الأمامية لبنطلون زيّها. «لكن -»

«سأشرح لكِ قدر ما أستطيع عندما تعودين، لكنك باختصار بوليصة تأميننا».

خاطبت السيدة سيغسبي تيم لأول مرة منذ صالون التجميل المهجور. «ما مرّ به هذا الفتى جَعَله مجنوناً، وستكون مجنوناً أنت أيضاً إذا استمعت إلى ما يقوله. أفضل شيء يمكن أن يفعله ثلاثكم هو تركي والطبيب إيفانز هنا والفرار».

«والذي سيعني تركي أصدقائي يموتون»، قال لوك.

ابتسمت السيدة سيغسبي. «حقاً يا لوك، فكّر. هل أفادوك يوماً؟».

«لن تفهمي»، قال لوك. «ولو بعد مليون سنة».

«هيا يا ويندي»، قال تيم. أمسك يدها وضغط عليها. «احجزي غرفةً ثم عودي».

رمقته بنظرة ارتياب لكنها سلّمته الغلوك، وخرّجت من الشاحنة، وتوجّهت إلى المكتب.

قال الطبيب إيفانز، «أريد التشديد على أنني كنتُ هنا -»

«مُكرهاً، نعم»، قال تيم. «فهمنا ذلك. اصمت الآن».

«هل يمكننا الخروج؟»، سأل لوك. «أريد التكلّم معك دون...»، أوماً برأسه نحو السيدة سيغسبي.

«بالتأكيد، يمكننا فعل ذلك». فتّح تيم باب الراكب والباب المنزلق معاً، ثم وَقَف عند السور الذي يفصل التُّرل عن وكالة السيارات المُغلقة المجاورة له. انضم إليه لوك. من حيث وَقَف تيم، يمكنه رؤية راكبيه المقاومين، ويمكنه إيقافهما إذا قرّر أحدهما الهرب. لم يعتقد أن هذا مرجّح جداً، بما أن أحدهما مُصاب بطلقة في رجله والآخر في قدمه.

«ما الأمر؟»، سأل تيم.

«هل تلعب الشطرنج؟».

«أعرف اللعبة، لكنني لم أكن بارعاً بها أبداً».

«أنا بارع بها»، قال لوك. كان يتكلّم بصوتٍ منخفضٍ. «والآن أنا أَلعب معه. ستاكهاوس. هل تفهم ذلك؟».

«أعتقد أنني أفهم».

«أحاول التفكير بثلاث نقلات مسبقاً، زائد النقلات المضادة لنقلاته المستقبلية».

أوماً تيم برأسه.

«في الشطرنج، الوقت ليس عاملاً إلا إذا كنت تلعب الشطرنج السريع، وهذه المباراة من ذلك الصنف. علينا الذهاب من هنا إلى المهبط حيث تنتظر الطائرة. ثم إلى مكان ما قرب پَرَسك آيل، حيث تتمركز الطائرة. ومن هناك إلى المعهد. لا يمكنني رؤيتنا نصل إلى هناك قبل الثانية فجراً على الأقل. هل يبدو هذا صحيحاً لك؟».

فكّر تيم بهذا وأوماً برأسه. «ربما متأخراً أكثر من ذلك بقليل، لكن لنقل الثانية فجراً».

«هذا يعطي أصدقائي خمس ساعات ليفعلوا شيئاً من تلقاء أنفسهم، لكنه يعطي ستاكهاوس خمس ساعات أيضاً ليعيد التفكير بوضعه ويغيّر رأيه، فيخفق أولئك الأولاد بالغاز ويفرّ. أخبرته أن صورته ستكون في كل مطار، وأعتقد أنه سيصدّق ذلك، لأنه يجب أن تكون هناك صور له في مكان ما على الانترنت. الكثير من موظفي المعهد عسكريون سابقون. على الأرجح هو أيضاً».

«قد تكون هناك صورة له حتى على هاتف ملكة السافلات»، قال تيم.

أوماً لوك برأسه، رغم أنه شكّ أن تكون السيدة سيغسبي من النوع الذي يلتقط صوراً. «لكنه قد يقرّر التسلّل عبر الحدود الكندية سيراً على الأقدام. أنا متأكد أن لديه وسيلة هروب بديلة واحدة على الأقل - جدول أو طريق مهجور في غابة. هذه إحدى تلك النقلات المستقبلية الممكنة التي عليّ أن أتذكرها. لولا أن...»

«لولا أن ماذا؟».

فَرَكَ لُوكُ كَعَبَ يَدِهِ عَلَى خَدِّهِ، وَهَذِهِ إِيمَاءَةٌ إِرهَاقٍ وَتَرَدُّدٍ يَتَمَيَّزُ بِهَا الرّاشِدُونَ بِشَكْلِ غَرِيبٍ. «أحتاج إلى رأيك. فما أفكر به يبدو لي منطقياً، لكنني لا أزال مجرد ولد. لا يمكنني أن أكون أكيداً. أنت راشد، وأحد الأخيار».

تأثّر تيم بهذا الكلام. ألقى نظرة سريعة على الجهة الأمامية للمبنى، لكن لم يكن هناك أثر لويندي بعد. «أخبرني بماذا تفكر».

«أنني قضيتُ عليه. قضيتُ على عالمه بالكامل. أعتقد أنه قد يبقى فقط ليقتلني. مستخدماً أصدقائي كطعم ليتأكد من قدومي. هل هذا منطقي لك؟ قل الحقيقة».

«نعم، منطقي»، قال تيم. «لا مجال لكي نكون متأكدين، لكن الانتقام محفّز قوي، وستاكهاوس ذاك لن يكون أول شخص يتجاهل مصلحته الشخصية لكي ينتقم. ويمكنني التفكير بسبب آخر قد يجعله يقرّر البقاء في مكانه بانتظارك».

«ما هو؟»، سأل لوك وهو يدرسه بقلق. أتت ويندي غوليكسون من خلف المبنى حاملةً بطاقة مفتاح بيدها.

أمال تيم رأسه نحو باب الشاحنة المفتوح، ثم قرّب رأسه من رأس لوك. «سيغسبي هي الزعيمة، صح؟ وستاكهاوس مجرد تابع لها؟».

«نعم».

«حسناً»، قال تيم مبتسماً قليلاً، «مَن زعيمها؟ هل فكَّرتَ بذلك؟».

جحظت عينا لوك وانفتح فمه قليلاً. فهم قصده. وابتسم.

3

التاسعة والرُّبع.

المعهد هادئ. الأولاد في النصف الأمامي نائمون حالياً، بمساعدة المُسكنات التي أعطاهم إياها جو وهَداد. وفي نفق الوصول، كان الخمسة الذين بدأوا التمرد نائمين أيضاً، لكن ليس يوماً عميقاً على الأرجح؛ أمل ستاكهاوس أن تكون صُداعاتهم تؤلمهم كثيراً. الأولاد الوحيدون الذين لا يزالون مستيقظين هم الموتى دماغياً، وقد بقوا يتجولون في الأرجاء كما لو أن هناك مكاناً ليذهبوا إليه. يشكلون دوائر أحياناً، كما لو أنهم يرقصون.

عاد ستاكهاوس إلى مكتب السيدة سيغسبي وفتح الجارور المُقفل أسفل مكتبها بواسطة نسخة المفتاح التي أعطته إياها. أمسك الآن هاتف المقصورة الخاص بيده، الهاتف الذي يسمونه الهاتف الأخضر، أو أحياناً الهاتف الصفري. لقد تذكر شيئاً قالتَه جوليا ذات مرة بشأن ذلك الهاتف وأزراره الثلاثة. حصل ذلك في القرية العام الماضي، عندما كانت معظم خلايا دماغِي هُكل وجُكل لا تزال تعمل. كان أولاد النصف الخلفي قد قتلوا للتو تاجراً آسيوياً يهزُّب المال إلى خلايا إرهابية في أوروبا، وبدأ الأمر حادثاً كلياً. كانت الحياة جيدة. وقد دعتَه جوليا إلى العشاء للاحتفال. تشاركاً قارورة شراب عنب قبل العشاء، ثم قارورة ثانية خلاله وبعده. هذا أرخى لسانها.

«أكره إجراء مكالمات تحديث عبر الهاتف الصفري. ذلك الرجل ذو الصوت الأليغ. أتخيّل دائماً أنه أمهق. لا أعرف لماذا. ربما بسبب شيء رأيته في قصة مصوِّرة عندما كنتُ صغيرة. وغد أمهق ذو عينين تُطلقان أشعة سينية».

أوما ستاكهاوس برأسه تفهّماً. «أين هو؟ مَن هو؟».

«لا أعرف ولا أريد أن أعرف. أتصل به هاتفياً، أقدم له تقريرِي، ثم آخذ دُشاً. هناك شيء واحد فقط أسوأ من الاتصال بالهاتف الصفري. هو تلقي اتصال عبره».

نظّر ستاكهاوس إلى الهاتف الصفري الآن وقد انتابه شيء يشبه الرعب الذي يسببه تصديق الخرافات، كما لو أن مجرد التفكير بتلك المحادثة سيجعله يرنّ -

«لا»، قال للغرفة الفارغة. للهاتف الصامت. الصامت في الوقت الحاضر، على الأقل. «لا خرافة فيه. سيرنّ عاجلاً أم آجلاً. منطوق بسيط».

بالتأكيد. لأن الأشخاص على الطرف الآخر للهاتف الصفري - الرجل الأثغ والمنظمة الأكبر التي هو جزء منها - سيعرفون عن الفوضى العارمة في تلك البلدة الصغيرة في كارولينا الجنوبية. بالطبع سيعرفون عنها. ستصبح الخبر الرئيسي في كل أنحاء البلاد وربما العالم بأسره. وربما يعرفون عنها من قبل. إذا كانوا يعرفون بشأن هوليلستر، المندوب الذي يعيش في دويراي في الواقع، فربما تواصلوا معه وحصلوا على كل التفاصيل المجدّدة للدم في العروق.

ومع ذلك فإن الهاتف الصفري لم يرنّ. هل يعني هذا أنهم لم يعرفوا، أو أنهم يعطونه بعض الوقت ليعيد تصحيح الأمور؟

أخبر ستاكهاوس الرجل المدعو تيم أن أي صفقة يعقدانها ستعتمد على ما إذا كان يمكن إبقاء المعهد سراً أم لا. فستاكهاوس ليس مغفلاً كفاية ليصدّق أن عمله يمكن أن يستمر، على الأقل ليس هنا في غابات ماين، لكن إذا استطاع تدبير المسألة بطريقة أو بأخرى دون أن تنتشر أخبار عالمية عن تعنيف أولاد نفسانيين وقتلهم... أو عن سبب حصول تلك الأشياء... فسيكون ذلك شيئاً مهماً. وحتى قد يُكافأ إذا استطاع تدبير قصة تسرّ لا لبس فيها، رغم أن مجرد الحفاظ على حياته سيكون مكافأة كافية.

فقط ثلاثة أشخاص يعرفون، وفقاً لتيم ذاك. فالآخرون الذين رأوا محتوى محرّك الأقراص الوامض ماتوا. قد يكون بعض أفراد الفريق الذهبي المنحوس أحياء، لكنهم لم يروا المحتوى، وسيلتزمون الصمت بشأن كل شيء آخر.

أحضر لوك إليس ومعاونيه إلى هنا، فكّر في سرّه. هذه هي الخطوة الأولى. قد يصلون عند الثانية فجراً. وحتى وصولهم عند الواحدة والنصف سيعطيني وقتاً كافياً لأنصب كميناً. كل ما يوجد بين يديّ هو فئّيون وأبدان عريضة، لكن بعضهم - زيكي اليوناني، على سبيل الذكر لا الحصر - رجالٌ عُتاة. استحوذ على محرّك الأقراص الوامض واقبض عليهم. ثم عندما يتصل الرجل الأثغ - وسيتصل - ليسأل كيف أتعامل مع الوضع، يمكنني إخباره...

«يمكنني إخباره أن المشكلة حُلّت من قبل»، قال ستاكهاوس.

وَصَعَّ الهاتف الصفري على مكتب السيدة سيغسبي وأرسل له رسالة ذهنية: لا ترنّ. لا تتجرأ أن ترنّ قبل الثالثة فجراً. والرابعة أو الخامسة سيكون أفضل حتى.

«أعطني وقتاً كافياً -»

رنّ الهاتف، وصاح ستاكهاوس جافلاً. ثم ضحك، رغم أن قلبه لا يزال ينبض بسرعة كبيرة. ليس الهاتف الصفري بل هاتف مقصورته. وهذا يعني أن المكالمات آتية من كارولينا الجنوبية.

«ألو؟ هل هذا تيم أم لوك؟»

«لوك. اسمعني، وسأخبرك كيف ستسير هذه العملية».

4

كاليشا تائهة في منزل كبير جداً، وليست لديها أي فكرة كيف تخرج منه، لأنها لم تعرف كيف دخلت إليه. إنها في رواق بدا مشابهاً لرواق المساكن في النصف الأمامي، حيث عاشت لبرهة قبل أن تؤخذ لكي يُنهب دماغها. ما عدا أن هذا الرواق مفروشٌ بمكاتب ومرايا وشماعات وشيءٍ بدا مثل قدم فيل مليء بمظلات. هناك طاولة جنبيّة عليها هاتفٌ بدا مشابهاً تماماً للهاتف الذي في مطبخ منزلهم، وكان يرنّ. رَفَعَت السَّمَاعَةَ، وبما أنه لا يمكنها قول ما علّموها أن تقوله منذ سنّ الرابعة («مسكن عائلة بنسون»)، قالت مرحباً فحسب.

«أولاً؟ مي إسكوتشاس؟». إنه صوت فتاة، خافت ومتقطعٌ وبالكَاد مسموع.

عَرَفَت كاليشا كلمة أولاً لأنها تعلّمت الإسبانية لسنة في المدرسة المتوسطة، لكن معجمها الزهيد لا يتضمن كلمة إسكوتشاس. ومع ذلك، عَرَفَت ما قالته الفتاة، وأدركت أن هذا حلمٌ.

«نعم، ممم، يمكنني سماعك. أين أنت؟ مَنْ أنت؟»

لكن الفتاة اختفت.

أغلقت كاليشا سماعة الهاتف وبقيت تسير في الرواق. أطلت رأسها إلى ما بدا صالوناً في فيلم قديم، ثم إلى قاعة رقص أرضيتها مغطاة بمربعات سوداء وبيضاء جعلتها تتذكر لوك ونيك يلعبان الشطرنج في الملعب.

بدأ هاتف آخر يرنّ. أسرعت ودخلت مطبخاً عصرياً لطيفاً. البرّاد مليء بصور ومغنطيسات ومُلصَق مخفّف صدمات يقول بيركوفيتس للرئاسة! لا تعرف بيركوفيتس لكنها عرفت أنه مطبخه. الهاتف معلق على الجدار. كان أكبر من الهاتف الذي على الطاولة الجنيّة، وأكبر بالطبع من الهاتف الذي في مطبخ عائلة بنسون، ويكاد يكون هاتف نكتة. لكنه يرنّ، لذا رَفَعَت سماعته.

«مرحبا؟ أولا؟ إسمي - مي أليمو - كاليشا».

لكنها لم تكن الفتاة الإسبانية. كان فتى. «بونجور، فو مونتونديه؟». الفرنسية. بونجور كلمة فرنسية. لغة مختلفة، نفس السؤال، والاتصال أفضل هذه المرة. ليس كثيراً، لكن قليلاً.

«نعم، وي-وي، أسمعك! أين -»

لكن الفتى اختفى، وبدأ هاتف آخر يرنّ. أسرعت عبر حجرة مؤن وإلى غرفة جدرانها من القش وأرضيتها وسخة والقسم الأكبر منها مغطى بحصيرة منسوجة غنية بالألوان. كانت المحطة الأخيرة لأمير حرب أفريقي هارب يدعى بادو بوكاسا طعنته إحدى عشيقاته بحنجرته. ما عدا أنه قُتل في الواقع على يد مجموعة أولاد على بُعد آلاف الكيلومترات. كان الطبيب هندريكس قد لَوَّح عصاه العجيبة - والتي صدَفَ أنها مُشترّرة رخيصة من احتفال الرابع من يوليو - وقُضي على السيد بوكاسا. الهاتف الذي على الحصيرة أكبر أيضاً، بحجم مصباح طاولة تقريباً. السماعة ثقيلة في يدها عندما رَفَعَتها.

فتاة أخرى، وصوتها واضح جداً هذه المرة. بدا لها أنه كلما كُبر الهاتف، كلما أصبح الصوت أنقى. «زدرافو، كوجس لي مي؟».

«نعم، أسمعك بوضوح، ما هذا المكان؟».

اختفى الصوت، وراح هاتف آخر يرنّ. كان في غرفة نوم فيها ثريّاً، وذلك الهاتف بحجم مسند قدمين. اضطرت إلى رفع السماعة بيديها الاثنتين.

«هالو، هُور جي مي؟».

«نعم! بالتأكيد! قطعاً! تفصّل بالكلام!».

لم يكلمها. اختفت نغمة الاتصال الهاتفي بكل بساطة.

الهاتف التالي موجود في غرفة شمسية ذات سقف زجاجي رائع، وحجمه كبير مثل الطاولة التي يجلس عليها. الرنين يؤلم أذنيها. بدا ذلك أشبه بالاستماع إلى هاتف موصول بمضخ صوت في حفلة روك أند رول. ركضت كاليشا إليه، ومدت يديها، ورفعت راحتيها إلى أعلى، وأسقطت سماعة الهاتف عن قاعدته، ليس لأنها توقعت تنويراً بل لكي تُسكته قبل أن يفخت لها طبلتي أذنيها.

«تشاو!»، دوى صوت فتى. «مي سينتي؟ مي سينتي؟».

وهذا أيقظها.

5

كانت مع أصدقائها - آيفيري ونيكي وجورج وهيلين. لا يزال الآخرون نائمين، لكن ليس نوماً هائلاً. جورج وهيلين يثنان. ونيكي يتمتم شيئاً ويمد يديه، مما ذكرها بطريقة ركضها إلى الهاتف الكبير لتجعله يتوقف. وآيفيري يتلوى ويلهث شيئاً سمعته من قبل: هور جي مي؟ هور جي مي؟

إنهم يحلمون ما حلمت به، وبناءً على المكان الذي يتواجدون فيه الآن - الطبيعة التي جعلهم بها المعهد - بدت لها هذه الفكرة منطقية تماماً. إنهم يولدون نوعاً من الطاقة الجماعية، تخاطراً وتحريكاً عقلياً أيضاً، لذا أين الغرابة في أن يتشاركوا الحلم نفسه؟ السؤال الوحيد هو من منهم الذي بدأه. تظن أنه آيفيري، لأنه الأقوى.

قفير نحل، فكّرت في سرّها. هذا ما نحن عليه الآن. قفير نحل نفساني.

وقفت كاليشا على قدميها ونظرت حولها. لا يزالون عالقين في نفق الوصول، هذا لم يتغيّر، لكنها شَعرت أن منسوب تلك الطاقة الجماعية تغيّر. ربما لهذا السبب لم يتم أولاد الجناح أ، رغم أن الوقت متأخر نوعاً ما بلا شك؛ لطالما كان إحساس كاليشا بالوقت جيداً، واعتقدت أنها الساعة التاسعة والنصف على الأقل، وربما أكثر.

الهمهمة صاحبة أكثر من أي وقت مضى، وتعززت بنوع من الهدير المتواصل: ممم-ممم-ممم-ممم. رأت باهتمام (لكن ليس بتفاجؤ فعلي) أن

أضواء السقف الفلورية تدور مع الهمهمة، فتتبدّل من ساطعة إلى خافتة، إلى ساطعة مرة أخرى.

قدرة تع يمكنك رؤيتها في الواقع، فكّرت في سرّها. لكل الخير الذي تفعله لنا.

بيت ليتلجون، الفتى الذي كان يضرب رأسه ويصيح يا-يا-يا، أتى إليها متبخرًا. كان بيت في النصف الأمامي لطيفاً ومزعجاً نوعاً ما، مثل أخ صغير يلاحق أخته أينما ذهبت ويحاول التنصت عليها بينما تتبادل وصدقياتها أسرارهن. من الصعب النظر إليه الآن بفمه الرطب المتهدّل وعينيهِ الفارغتين.

«مي إسكوتشاس؟»، قال. «هورست دُو ميش؟».

«حلّمته أنت أيضاً»، قالت كاليشا.

لم يكثر بيت بل استدار عائداً نحو رفاقه المتجوّلين، وراح يقول الآن شيئاً بدا أنه ستايزز ميني. الله أعلم ما هي هذه اللغة، لكن كاليشا متأكدة أن معنى كلامه مماثل لكل الآخرين.

«أسمعك»، قالت كاليشا لأحد غير محدّد. «لكن ماذا تريد؟».

في منتصف النفق تقريباً نحو الباب المُقفّل الذي يؤدّي إلى النصف الخلفي، هناك شيء مكتوب على الجدار بقلم شمع تلوين. سارت كاليشا لتنظر إليه، متفادياً عدداً من أولاد الجناح أ المتجوّلين لتصل إلى هناك. وجدت مكتوباً بأحرف أرجوانية كبيرة اتصل بالهاتف الكبير. أجب على الهاتف الكبير. إذا فالموتى دماغياً يحلمون ذلك الحلم أيضاً، حتى وهم مستيقظون. بما أن القسم الأكبر من أدمغتهم مُسحّ، ربما هم يحلمون طوال الوقت. يا لها من فكرة رهيبة، أن يحلم المرء ويحلم ويحلم ولا يكون قادراً أبداً على إيجاد العالم الحقيقي.

«أنت أيضاً، أليس كذلك؟».

إنه نيك، بعينين منتفختين من النوم وشعر منتصب في الهواء. شكله محبّب نوعاً ما. رفعت حاجبي عينيها.

«الحلم. المنزل الكبير، الهواتف الكبيرة بشكل متزايد؟ أشبه بأحداث رواية قبعات بارثولوميو كابنز الخمسمئة؟».

«بارثولوميو ماذا؟».

«رواية الدكتور سُوس. يستمر بارثولوميو بمحاولة خلعه قبعته للملك، وكلما خلعَ واحدةً، كلما ظهرت واحدة أكبر وأجمل تحتها».

«لم أقرأها أبداً، لكن الحلم، بلى. أعتقد أنه أتى من آيفيري». أشارت إلى الفتى الذي كان لا يزال نائماً نوم شخص مُنهك كلياً. «أو بدأ عنده، على الأقل».

«لا أعرف إن بدأه بنفسه، أو يتلقاه ويضخّمه ويمرّره إلينا. لست متأكداً أن هذا مهم». درّس نيك الرسالة المكتوبة على الجدار، ثم نظر حوله. «الموتى دماغياً مضطربون هذه الليلة».

عبست به كاليشا. «لا تسمّمهم بهذه التسمية. إنها كلمة مُهينة. كما لو أنك تسمّيني زنجية».

«حسناً»، قال نيك، «المعوّقون عقلياً مضطربون هذه الليلة. هل هذا أفضل؟».

«نعم». وابتسمت له.

«كيف رأسك يا شا؟».

«أفضل. بخير، في الواقع. ورأسك؟».

«مثلك».

«ورأسي أيضاً»، قال جورج وقد انضم إليهما. «شكراً على سؤالك. هل حلمتما الحلم؟ هواتف أكبر ومرحبا، هل تسمعينني؟».

«نعم»، قال نيك.

«ذلك الهاتف الأخير، الهاتف قُبيل أن استيقظتُ، كان أكبر مني. والهمة أقوى». ثم أضاف بنفس النبرة الاعتيادية: «كم تعتقدان سيمرّ من وقت قبل أن يقرّروا قتلنا بالغاز؟ أنا متفاجئ أنهم لم يفعلوا ذلك من قبل».

6

التاسعة وخمس وأربعون دقيقة، في مرأب النُّزل الرخيص في بوفورت، كارولاينا الجنوبية.

«أنا أسمعك»، قال ستاكهاوس. «إذا تركتني أساعدك، ربما يمكننا حلّ هذه المسألة معاً. دعنا نناقشها».

«دعنا لا نناقشها»، قال لوك. «كل ما عليك فعله هو أن تُنصت لي. وتدوّن ملاحظات، لأنني لا أريد أن أضطر إلى تكرار كلامي».

«هل صديقك تيم لا يزال معك -»

«هل تريد محرّك الأقراص الوامض أم لا؟ إذا كنت لا تريده، واصل الكلام. وإذا كنت تريده، اخرس».

وَصَع تيم يده على كتف لوك. على المقعد الأمامي للشاحنة، كانت السيدة سبيغسبي تهزّ رأسها متأسفةً. لم يحتج لوك إلى قراءة أفكارها ليعرف بماذا تفكر: فتى يحاول أن يتصرّف كرجلٍ.

تنهّد ستاكهاوس. «تفضّل. القلم والورق على أهبة الاستعداد».

«أولاً. الضابطة ويندي لا تملك محرّك الأقراص الوامض، هذا يأتي معنا، لكنها تعرف أسماء أصدقائي - كاليشا، آيفيري، نيكي، هيلين، وبضعة آخرين - ومن أين أتوا. إذا كان والداهم متوفين، مثل والديّ، فذلك سيكون كافياً لإجراء تحقيق، حتى من دون محرّك الأقراص الوامض. لن تضطر أبداً إلى قول كلمة واحدة عن الأولاد النفسانيين أو بقية قتلتك السافلين. سيجدون المعهد. حتى ولو هربت يا ستاكهاوس فإن مدراءك سيصطادونك. نحن أفضل فرصة لك لكي تنجو من هذا. مفهوم؟».

«إعفني من هذا الترويج التافه. ما كنية الضابطة ويندي تلك؟».

تيم، الذي كان يميل رأسه إلى مسافة قريبة كفاية ليسمع طرفي المحادثة، هزّ رأسه. هذه نصيحة لم يحتج إليها لوك.

«لا تهتمّ. ثانياً. اتصل بالطائرة التي جاءت بها جماعتك. أخير الطيارين أن عليهما سجن نفسيهما في قُمرة القيادة حالما يريانا قادمين».

همس تيم كلمتين. أوماً لوك برأسه.

«لكن قبل أن يفعل ذلك، أخبرهما أن يُنزلا درج الطائرة».

«كيف سيعرفان أنه أنتم؟».

«لأننا سنكون في إحدى الشاحنات التي جاء بها قتلتمك المأجورون». شَعَرَ لُوكُ بالسرور لإعطائه ستاكهاوس هذه المعلومة، على أمل أن يؤكد هذا قصده بكل وضوح: لقد سَدَّدَت السيدة سيغسبي لكرمتها ولم تُصب هدفها.

«لا نرى الطيار ومساعدته ولا يريانا. سنهبط من حيث أقلعت الطائرة، وسيبقيان داخل قُمرة القيادة. معي حتى الآن؟».

«نعم».

«ثالثاً. أريد شاحنة بانتظارنا، تتسع لتسعة ركاب، تماماً مثل تلك التي غادرنا بها دوپراي».

«نحن لا -»

«لا تراوغ، لديكم أسطول مركبات في بلدة ثكناتكم الصغيرة تلك. لقد رأيتهَا. الآن هل ستتعاون معي على هذا، أم يجب أن أفقد الأمل منك فحسب؟».

كان لُوكُ يتصَبَّب عرقاً بشدة، وليس فقط لأن الليل رطب. سُرَّ كثيراً من يد تيم على كتفه وَعَيْتِي ويندي القلقتين. من الجيد ألا يكون لوحده في هذا بعد الآن. لم يُدرك حقاً كم كان العبء ثقيلاً عليه حتى الآن.

تنهَّد ستاكهاوس تنهيدة رجلٍ مرهَقٍ بشكل غير عادل. «أكمل».

«رابعاً. ستدبر لنا حافلة».

«حافلة؟ هل أنت جدِّي؟».

قرَّر لُوكُ تجاهل هذه المقاطعة، وقد شَعَرَ أنها مبرِّرة. بالطبع بدا تيم وويندي مندهشين.

«أنا متأكد أن لديك أصدقاء في كل مكان، وهذا يتضمن بعض رجال الشرطة في دينيسون ريفر بِنْد على الأقل. وربما كلهم. إنه الصيف، لذا فالأولاد في عطلة، والحافلات ستكون مركونة في مرأب بلدية البلدة، إلى جانب المحارث وشاحنات التفريغ وكل الأمور الأخرى. اطلب من أحد أصدقائك الشرطيين فتح المبنى حيث يحتفظون بالمفاتيح. واجعله يضع المفتاح في فتحة إشعال حافلةٍ تتسع لأربعين شخصاً على الأقل. يستطيع أحد فنيِّيك أو ممرِّضيك قيادتها إلى المعهد، وليتركها قرب سارية العَلَم أمام مبنى الإدارة والمفاتيح داخلها. هل تفهم كل ذلك؟».

«نعم». نبرة جدّية. لا احتجاج أو مقاطعة الآن، ولم يحتج لوك إلى استيعاب تيم الراشد لعلم النفس والدافع لكي يفهم السبب. لا شك أن ستاكهاوس يقول لنفسه إن هذه خطة رعناء لولدٍ، ولا تعدو كونها تفكيراً بالتمني. يمكنه رؤية الشيء نفسه على وجهي تيم وويندي. كانت السيدة سيغسبي في مرمى السمع، وبدا كما لو أنها تجد صعوبة في منع نفسها من الضحك.

«إنها عملية تبادل بسيطة. تحصل أنت على محرّك الأقراص الوامض، وأحصل أنا على الأولاد. أولاد النصف الخلفي، وأولاد النصف الأمامي أيضاً. اجعلهم حاضرين كلهم لرحلتهم الميدانية عند الثانية فجر الغد. وستبقي الضابطة ويندي فمها مغلقاً. هذا هو الاتفاق. آه، ستحصل أيضاً على مديرتك الحقيرة وطبيبك الحقير».

«هل يمكنني أن أطرح عليك سؤالاً يا لوك؟ هل هذا مسموح؟».

«تفضّل».

«بعدما يصبح معك ما بين خمسة وثلاثين وأربعين ولداً محشورين في حافلة مدرسية صفراء كبيرة مطبوع عليها دينيسون ريفر بند، إلى أين تنوي أخذهم؟ تذكر دائماً أن أكثرتهم أصبحوا بلا عقول؟».

«ديزني لاند»، قال لوك.

وَصَع تيم يده على جبينه كما لو أن أُصيب بضداع مفاجئ.

«سنبقى على اتصال مع الضابطة ويندي. قبل أن نُقلع. بعد أن نهبط. عندما نصل إلى المعهد. عندما نغادر المعهد. إذا لم تتلقَ مكالمةً، ستبدأ بإجراء اتصالاتها، بدءاً بشرطة ولاية ماين، ثم تنتقل إلى مكتب التحقيقات الفدرالي وجهاز الأمن القومي. مفهوم؟».

«نعم».

«جيد. آخر شيء. عندما نصل إلى هناك، أريدك أن تكون موجوداً شخصياً. ماداً ذراعيك. يدٌ على غطاء الحافلة، ويدٌ على سارية العَلَم. حالما يصبح الأولاد داخل الحافلة وتيم صديقي خلف المقود، أعطيك محرّك أقراص مورين الوامض وأركب الحافلة بنفسي. هل هذا واضح؟».

«نعم».

صوت نقي. حاول ألا يبدو صوته مثل صوت رجلٍ فاز بالجائزة الكبرى.

يفهم أن ويندي قد تكون مشكلةً، ففكر لوك في سرّه، لأنها تعرف أسماء مجموعة أولاد مفقودين، لكن هذه مشكلة يعتقد أنه يمكنه حلّها. محرّك الأقراص الوامض أهمّ ومن الصعب صرف النظر عنه على اعتباره أخباراً كاذبةً. إنني أقدمه له على طبق من فضة. كيف يمكنه أن يرفض؟ الجواب: لا يمكنه.

«لوك -»، بدأ تيم.

هزّ لوك رأسه: ليس الآن، ليس بينما أفكر.

يعرف أن موقفه لا يزال سيئاً، لكنه يرى شعاع ضوء الآن. الحمد لله أن تيم ذكّرني بما كان يجب أن أفكر فيه بنفسي: لا ينتهي الأمر عند سيغسبي وستاكهاوس. يجب أن يقبضوا على مدرائهم، الأشخاص الأعلى منهم شأنًا. عند وقوع الكارثة، يستطيع ستاكهاوس إخبارهم أن الوضع كان يمكن أن يكون أسوأ بكثير؛ في الواقع يجب أن يشكروه لإنقاذه أعناقهم.

«هل ستتصل بي قبل إقلاكم؟»، سأل ستاكهاوس.

«لا. أثق بأنك ستنهي كل الترتيبات». رغم أن الثقة ليست أول كلمة تتبادر إلى ذهن لوك عندما يفكر بستاكهاوس. «المرّة القادمة التي نتكلم فيها ستكون وجهاً لوجه، في المعهد. شاحنة في المطار. حافلة تنتظر قرب سارية العَلَم. اخدعنا في أي لحظة وستبدأ الضابطة ويندي بإجراء اتصالاتها وروايتها الحكاية. وداعاً».

أنهى المكالمة وارتخى.

7

أعطى تيم ويندي مسدّس الغلوك وأوما لها إلى سجينهم. أومات برأسها. بعدما أصبحت متأهبةً، أخذ تيم الفتى جانباً. وقفا قرب السور، في بقعة ظل تُلقِيها إحدى أشجار المغنوليا.

«لوك، الخطة لن تنجح أبداً. إذا ذهبنا إلى هناك، قد تكون الشاحنة تنتظرنا في المطار، لكن إذا كان ذلك المعهد مثلما تقول عنه، فسنجد أنفسنا في كمين ونُقتل عندما نصل إلى هناك. أصدقاؤك وبقية الأولاد أيضاً. هذا يترك ويندي فقط، وستبدل قُصاري جهدها، لكن ستمرّ أيام قبل أن يذهب أي شخص

إلى هناك - أعرف كيف تعمل دوائر فرض القانون عندما يظهر شيء خارج المألوف. إذا وجدوا المكان، سيكون فارغاً ما عدا من الجثث. وربما لن يجدوا الجثث أيضاً. تقول إن لديهم نظاماً للتخلص من ال...»، لم يعرف تيم كيف يعبر عن ذلك بالضبط. «من الأولاد المستهلكين».

«أعرف كل ذلك»، قال لوك. «الأمر لا يتعلق بنا، بل بهم. الأولاد. كل ما أشتريه هو الوقت. شيء ما يجري هناك. وليس فقط هناك».

«لا أفهم».

«أنا أقوى الآن»، قال لوك، «ونحن على بُعد ألفي كيلومتر من المعهد. أنا جزء من أولاد المعهد، لكنهم لم يعودوا هم فقط الآن. فلو كان الأمر كذلك لما استطعتُ أبداً دَفَع مسدّس ذلك الرجل إلى الأعلى بذهني. صواني البيتزا الفارغة كانت أفضل ما يمكنني فعله، أتذكر؟».

«لوك، أنا فقط لا -»

رَكَزَ لوك. تراءت له للحظة صورة الهاتف في قاعتهم الأمامية يرن، وعرف أنه إذا رفع السماعة، سيسأله شخص، «هل تسمعي؟». ثم اختفت تلك الصورة وحلت محلها النقاط الملوّنة وصوت همهمة خافتة. النقاط معتمة وليست ساطعة، وهذا جيد. أراد أن يُظهرها لتيم، لكن دون أن يؤذيه... وإيذاؤه سيكون سهلاً جداً.

تعبّر تيم إلى الأمام نحو السياج المُشَبَّك، كما لو أن يدين غير مرئيتين دفعته، ورفع ساعديه في الوقت المناسب ليمنع وجهه المندفع من الارتطام به.

«تيم؟»، نادى ويندي.

«أنا بخير»، قال تيم. «ابقِ عينيك عليهما يا ويندي». نظَرَ إلى لوك.

«أنتِ فعلتِ هذا؟».

«لم يأت مني، أتى من خلالي»، قال لوك. لأن لديهم الوقت الآن (قليلاً على الأقل)، ولأنه شَعَرَ بالفضول، سأل، «بماذا شعرت؟».

«هَبَّة قوية من الرياح».

«بالتأكيد قوية»، قال لوك. «لأننا أقوى سويةً. هذا ما يقوله آيفيري».

«إنه الولد الصغير».

«نعم. كان أقوى ولد حصلوا عليه منذ وقت طويل. سنوات ربما. لا أعرف ماذا حصل بالضبط، لكنني أعتقد أنهم وضعوه في خزان الغمر - أخضعوه لخبرة الاحتضار التي تحسّن أضواء شتازي، ولم يعطوه أياً من الحُقن التي تحدّد القدرات».

«لا أفهمك».

بدا أن لوك لم يسمعه. «أنا أكيد أنه كان عقاباً، لمساعدتي على الفرار». أمال رأسه نحو الشاحنة. «السيدة سيغسبي قد تعرف. وربما كانت فكرتها حتى. على أي حال، هذا أعطى نتائج عكسية. لا شك في ذلك، لأنهم تمرّدوا. يملك أولاد الجناح أ الطاقة الحقيقية. وقد أطلق آيفيري سراحها».

«لكنها طاقة غير كافية لإخراجهم من المكان العالقين فيه».

«ليس بعد»، قال لوك. «لكنني أعتقد أنهم سيتمكّنون من الخروج».

«لماذا؟ كيف؟».

«جعلتني أفكّر عندما قلت إن للسيدة سيغسبي وستاهاوس رؤساء بلا شك. كان عليّ أن أنتبه إلى ذلك بنفسي، لكنني لم أنظر حتى تلك المسافة البعيدة أبداً. على الأرجح لأن الأهل والأساتذة هم الرؤساء الوحيدون الذين يحظى بهم الأولاد. وإذا كان هناك مزيد من الرؤساء، لما لا يكون هناك مزيد من المعاهد؟».

دخلت سيارة المرأب، ومرّت بجانبهم، واختفت في غمرة أضواء خلفية حمراء. عندما اختفت، أكمل لوك.

«ربما المعهد في ماين هو الوحيد الذي في أميركا، أو ربما هناك معهد على الساحل الغربي. بشكل مشابه لمساند الكتب. لكن قد يكون هناك معهد في المملكة المتحدة... وفي روسيا... الهند... الصين... ألمانيا... كوريا. هذا بديهي، عندما تفكّر فيه».

«سباق أدمغة بدلاً من سباق تسلّح»، قال تيم. «هذا ما تقوله؟».

«لا أعتقد أنه سباق. أعتقد أن كل المعاهد تتعاون مع بعضها. لسئ متأكداً من ذلك، لكنه يبدو منطقياً. هدف مشترك. هدف جيد، نوعاً ما - قتل بضعة أولاد لمنع الجنس البشري بأكمله من قتل نفسه. مقايضة. الله أعلم منذ

متى يجري هذا، لكن لم يحصل تمرد أبداً من قبل. بدأه آيفيري وأصدقائي الآخرين، لكن يمكنه أن ينتشر. وربما يكون قد انتشر من قبل».

تيم جايمپسون ليس مؤرخاً أو عالم اجتماع، لكنه يجري الأحداث الحالية، واعتقد أن لوك يمكن أن يكون محققاً. التمرد - أو الثورة، لاستخدام مصطلح أقل إزدرائية - يشبه فيروساً، خاصة في عصر المعلومات. يمكنه أن ينتشر.

«الطاقة التي يملكها كل واحد منا - سبب اختطافهم لنا وإحضارنا إلى المعهد في المقام الأول - طفيفة فحسب. أما الطاقة المجتمعة لجميعنا أقوى. خاصة أولاد الجناح أ. فمع زوال عقولهم، لا تبقى لديهم سوى الطاقة. لكن إذا كانت هناك معاهد أكثر، إذا عرفوا بما يجري في معهدنا، وإذا تضافرت جهودهم كلهم...»

هزّ لوك رأسه. راح يفكر مرة أخرى بالهاتف في قاعتهم الأمامية، الذي كبر إلى حجم هائل.

«إذا حصل ذلك، فستكون كبيرة، وأعني كبيرة حقاً. لهذا السبب نحتاج إلى الوقت. إذا كان ستاكهاوس يظن أنني أحمق متلهّف لأنقذ أصدقائي بحيث أجري اتفاقاً أبله، فهذا جيد».

لا يزال تيم قادراً على الشعور بهبة الرياح الوهمية تلك التي دفعته إلى السور. «لسنا ذاهبان إلى هناك لإنقاذهم بالضبط، أليس كذلك؟».

نظر إليه لوك برصانة. بدا بوجهه المرضوض القذر وأذنه المضمّدة كأنه أكثر ولد بريء غير مؤذ. ثم ابتسم، وللحظة لم يبدو مؤذياً أبداً.

«لا. نحن ذاهبان لنللم الفتات».

8

كاليشا بنسون، آيفيري ديكسون، جورج آيلز، نيكولاس ويلهولم، هيلين سيمز.

خمسة أولاد يجلسون في نهاية نفق الوصول، بجانب الباب المُقفل الذي يؤدّي (لا يعني أنه سيؤدّي) إلى الطابق و للنصف الأمامي. كانت كاييتي غيغنز وهال ليونارد قد بقيا معهم لبرهة، لكنهما انضما الآن إلى أولاد الجناح أ، فيسيران معهم عندما يسرون، ويتشابكون الأيدي عندما يقرون تشكيل

إحدى تلك الدوائر. كذلك فعل لَنُ، وبدأت آمال كاليشا بشأن آيريس تتلاشى، رغم أن آيريس اكتفت حتى الآن بالنظر إلى أولاد الجناح أيشكلون دائرة، ثم يفكونها، ثم يشكلونها مرة أخرى. لقد عادت هيلين، وأصبحت معهم بالكامل. قد تكون آيريس بعيدة جداً. الشيء نفسه ينطبق على جيمي كولوم ودونا غيبسون، اللذين تعرّفت عليهما كاليشا في النصف الأمامي - فبفضل جدري مائها، بقيت هناك أطول بكثير من المقيمين الاعتياديين. تُحزنها حال أولاد الجناح أ، لكن حال آيريس أسوأ. واحتمال أنها تشوّهت أبعد من إمكانية شفائها... هذه الفكرة...

«رهيبة»، قال نيكي.

نظّرت إليه نظرة شبه موبّخة. «هل أنت في ذهني؟».

«نعم، لكنني لا أنظر إلى جارور ملابسك الداخلية الذهني»، قال نيكي، ونحّرت كاليشا.

«كلنا في أذهان بعضنا البعض الآن»، قال جورج. آمال إبهاماً نحو هيلين. «هل تعتقدين حقاً أنني أردتُ معرفة أنها ضحكت بشدّة في حفلة بيجامات أقامتها إحدى صديقاتها لدرجة أنها بوّلت على نفسها؟ هذه حالة إغراق معلوماتي أصلية».

«هذا أفضل من معرفة أنك تقلق من ظهور صدّفية على -»، بدأت هيلين تقول، لكن كاليشا أمرتها أن تسكت.

«كم تعتقدون أن الوقت الآن؟»، سأل جورج.

استشارت كاليشا معصمها العاري. «الساعة كذا وربع».

«تبدو لي الحادية عشرة»، قال نيكي.

«هل تريدون معرفة شيء مضحك؟»، قالت هيلين. «لطالما كرهتُ الهمهمة. عرّفتُ أنها تسلخ دماغي».

«كلنا عرّفنا ذلك»، قال جورج.

«الآن تعجبني نوعاً ما».

«لأنها طاقة»، قال نيكي. «طاقتهم، إلى أن استعدادنا».

«موجة ناقله»، قال جورج. «وهي ثابتة الآن. فقط تنتظر بثاً».

مرحبا، هل تسمعيني؟ فكرت كاليشا في سرّها، والارتعاش الذي أصابها لم يكن بغيضاً كلياً.

تشابكت أيدي العديد من أولاد الجناح أ. وانضمت إليهم آيريس ولن. ارتفعت المهمة. وكذلك حصل لنبض الأضواء الفلورية على السقف. ثم أفلتوا أيدي بعضهم البعض وتراجعت المهمة عائدةً إلى مستواها المنخفض السابق.

«إنه في الجو»، قالت كاليشا. لم يحتج أحدٌ منهم إلى سؤالها من عتت.

«أحبّ أن أطيّر مرة أخرى»، قالت هيلين متأسفةً. «أحبّ ذلك».

«هل سينتظرونه يا شا؟»، سأل نيكى. «أم يفتحون الغاز فحسب؟ ما رأيك؟».

«من نصّبني البروفسور كزافيه؟» دفعت مرفقها بخصر آيفيري... لكن بلطف. «استيقظ يا أفستر. وشمّ رائحة القهوة».

«أنا مستيقظ»، قال آيفيري. هذا ليس صحيحاً تماماً؛ فهو لا يزال يكبو، مستمتعاً بالمهمة. ويفكر بهواتف تكبّر أكثر فأكثر، على غرار قبعات بارثولوميو كابنز التي بقيت تزداد حجماً وأناقةً. «سينتظرون. مضطرون أن ينتظروا، لأنه إذا حصل أي شيء لنا، سيعرف لوك. وسنتظر إلى أن يصل إلى هنا».

«وعندما يصل؟»، سألت كاليشا.

«نستخدم الهاتف»، قال آيفيري. «الهاتف الكبير. كلنا معاً».

«كم كُبر حجمه؟»، بدا صوت جورج متوتراً. «لأن آخر هاتف لعين رأيتُه كان كبيراً جداً. بكبر حجمي تقريباً».

اكتفى آيفيري بهزّ رأسه. تهذّل جفناه. لا يزال ولداً صغيراً في أعماقه، وقد تخطى وقت نومه منذ مدة طويلة.

لا يزال أولاد الجناح أ - من الصعب عدم اعتبارهم موتى دماغياً، حتى لكاليشا - يُمسكون أيدي بعضهم البعض. سطّعت أضواء السقف؛ واحترق أحد الأنابيب في الواقع. تعمّقت المهمة واشتدّت حدّتها. شَعروا بذلك في النصف

الأمامي، كاليشا أكيدة من ذلك - جو وهّداد، تشاد ودايف، پريسلا وذلك اللئيم زيكي. بقيتهم أيضاً. هل يخيفهم هذا؟ ربما قليلاً، لكنهم -

لكنهم يصدّقون أننا عالقون، فكّرت في سرّها. يصدّقون أنهم لا يزالون بأمان. يصدّقون أنه تم احتواء الثورة. دعهم يواصلون تصديق ذلك.

في مكان ما هناك هاتف كبير - أكبر هاتف، واحد له وصلات في عدة عُرف. إذا اتصلوا عبر ذلك الهاتف (عندما يتصلون عبره، لأنه لا خيار آخر أمامهم) فإن الطاقة في هذا النفق العالقين فيه ستفوق أي قبلة انفجرت ذات يوم على سطح الأرض أو تحته. تلك المهمة، الآن مجرد موجة ناقلة، قد تنمو إلى اهتزاز يمكنه إسقاط أبنية، وربما تدمير مدن بأكملها. ليست متأكدة من ذلك، لكنها شغرت أنه قد يكون حقيقياً. كم عدد الأولاد، الفارغة رؤوسهم الآن من كل شيء ما عدا من الطاقات التي اختطفوا من أجلها، الذين ينتظرون اتصالاً عبر الهاتف الكبير؟ مئة؟ خمسمئة؟ ربما حتى أكثر، إذا كانت هناك معاهد في كل أنحاء العالم.

«نيكي؟».

«ماذا؟»، كان يكبو أيضاً، وبدا منزعجاً.

«ربما يمكننا تشغيله»، قالت ولم يكن هناك داعٍ لكي تحدّد عما تتكلّم. «لكن إذا فعلنا ذلك... هل يمكننا إعادة إطفائه؟».

فكّر بذلك، ثم ابتسم. «لا أعرف. لكن بعد الذي فعلوه بنا... بصراحة يا عزيزتي، لا يهمني بتاتاً».

9

الحادية عشرة والرّبع.

عاد ستاكهاوس إلى مكتب السيدة سيغسبي، والهاتف الصفري - لا يزال صامتاً - على طاولة المكتب. بعد خمس وأربعين دقيقة، سينتهي اليوم الأخير من العمل الاعتيادي للمعهد. غداً سيصبح هذا المكان مهجوراً، مهما كانت نتيجة العملية مع لوك إيس. احتواء البرنامج ككل ممكن رغم ويندي تلك التي تركها لوك وصديقه تيم خلفهما جنوباً، لكن قُضي على هذا المرفق. الأشياء المهمة لهذه الليلة هي الحصول على محرّك الأقراص الوامض والتأكد

من موت لوك إليس. إنقاذ السيدة سيغسبي سيكون أمراً لطيفاً، لكنه أمر اختياري حصراً.

في الواقع، بدأ هجر المعهد من قبل. فمن حيث يجلس، يمكنه أن يرى جيداً الطريق الذي يقود بعيداً عن المعهد، إلى دينيسون ريفر بند أولاً، ثم إلى بقية البلدات الثمانية والأربعين السفلى... ناهيك عن كندا والمكسيك، لأولئك الذين يحملون جوازات سفر. اتصل ستاكهاوس بزيكي، وتشاد، والطباخ دوغ (عشرون سنة مع هالبرتون)، والطبيبة فيليشيا ريتشاردسون التي جاءت إليهم من مجموعة الصقر للحماية. إنهم أشخاص يثق بهم.

أما بالنسبة للآخرين... فقد رأى ارتعاش أضوائهم الأمامية المغادرة بين الأشجار. قدر عددهم بدزينة فقط حتى الآن، لكن سيكون هناك المزيد. قريباً سيصبح النصف الأمامي مهجوراً ما عدا من الأولاد المقيمين هناك حالياً. ربما أصبح مهجوراً من قبل. لكن زيكي وتشاد ودوغ والطبيبة ريتشاردسون سيقون؛ إنهم موالون. وغلاديس هيكسون. ستبقى أيضاً، ربما بعد رحيل كل الآخرين. غلاديس ليست مجرد مقاتلة؛ بدأ ستاكهاوس يصبح أكثر وأكثر اقتناعاً أنها مضطربة نفسياً بكل معنى الكلمة.

أنا أيضاً مضطرب نفسياً لبقائي، فكر ستاكهاوس في سرّه. لكن الشقي محقّ - سيصطادونني مثل أرنب. وهو يتجه نحو ذلك مباشرة. إلا إذا...

«إلا إذا كان يلاعيني»، همس ستاكهاوس.

أطلت روزاليند، مساعِدة السيدة سيغسبي، برأسها. ماكياها المثالي عادة تأكل على مدى الاثنتي عشرة ساعة الأخيرة الصعبة، وشعرها الرمادي المثالي عادة ملتصق على الجهتين.

«سيد ستاكهاوس؟».

«نعم، روزاليند».

بدأت روزاليند منزعة. «أظن أن الطبيب هندريكس رحل. أظن أنني رأيت سيارته منذ حوالي عشر دقائق».

«لست متفاجئاً. يجب أن ترحلي أنت أيضاً يا روزاليند. إلى موطنك». ابتسم. شَعَرَ بالغرابة أن يتسم في ليلة كهذه، لكنها غرابة جيدة. «أدركت للتو أنني أعرفك منذ أن أتيت إلى هنا - عدة أقمار - ولا أعرف من أين أنت».

«ميزولا»، قالت روزاليند. بدت متفاجئة بنفسها. «هذه في مونتانا. على الأقل أفترض أنها لا تزال موطني. أملك منزلاً في ميزوري، لكنني لم أذهب إلى هناك منذ خمس سنوات تقريباً. أدفع الضرائب في موعدها فحسب. عندما يكون لديّ وقت فراغ، أبقى في القرية. وفي العطلة، أذهب إلى بوسطن. أحبّ فريقَي ريد سوكس والبروينز، والسينما الفنية في كامبريدج. لكنني جاهزة دائماً للعودة».

أدرك ستاكهاوس أن هذا أكثر ما قالت له روزاليند طوال كل تلك الأعمار، التي تمتدّ إلى أكثر من خمس عشرة سنة. كانت هنا، أجيرة السيدة سيغسبي المخلصة، عندما تقاعد ستاكهاوس من خدمته كمحقّق في الجيش الأميركي، وها هي لا تزال هنا ولم يختلف مظهرها. يمكنها أن تكون في الخامسة والستين، أو حتى السبعين ولا تزال محتفظة بشبابها.

«سيدي، هل تسمع ضجيج المهمة تلك؟».

«نعم».

«هل صادرة عن محوّل أو شيء؟ لم أسمعها أبداً من قبل».

«محوّل. نعم، أفترض أنه يمكنك تسميتها هكذا».

«إنها مزعجة جداً». قرّكت أذنيها فبعثرت شعرها أكثر فأكثر. «أفترض أن الأولاد يفعلون ذلك. هل ستعود جوليا - السيدة سيغسبي؟ ستعود، أليس كذلك؟».

أدرك ستاكهاوس (بمرح وليس بغضب) أن روزاليند، الأنيقة وغير المتطفلة دائماً، لم تغفل عما يجري حولها أبداً، سواء كانت هناك مهمة أم لا.

«أتوقع ذلك، نعم».

«إذاً أودّ أن أبقى. يمكنني إطلاق النار، لعلمك. أذهب إلى المضمار في بند مرةً في الشهر، وأحياناً مرتين. معي مرادف نادي الرماية لشارة رام بارع، وفزت بمنافسة المسدّس الصغير العام الماضي».

مساعدّة جوليا الهادئة ليست بارعة في تدوين المختصرات فحسب، بل تملك شارة براعة في الرماية... أو مرادفها، حسبما قالت. العجائب لا تتوقف أبداً.

«بماذا تطلقين النار يا روزاليند؟».

«سميث وويسون m&p عيار 45.»

«قوة الارتداد لا تزعجك؟»

«بمساعدة داعمة للمعصم، أتدبر مسألة الارتداد جيداً. سيدي، إذا كانت نيتك تحرير السيدة سيغسبي من خاطفيها، أوّد كثيراً أن أشارك في العملية.»

«حسناً»، قال ستاكهاوس، «أهلاً بك. يمكنني الاستفادة من كل مساعدة يمكنني الحصول عليها.» لكن عليه أن ينتبه لطريقة استخدامه لها، لأن إنقاذ جوليا قد لا يكون ممكناً. لقد أصبحت قابلة للاستغناء الآن. الشيء المهم هو محرّك الأقراص الوامض. وذلك الفتى اللعين الذكي أكثر من اللازم لمصلحته.

«شكراً، سيدي. لن أخذك.»

«أنا متأكد من ذلك يا روزاليند. سأخبرك كيف أتوقع أن تسير هذه العملية، لكن لديّ سؤال أولاً.»

«نعم؟»

«أعرف أن الرجل لا يُفترض به أن يسأل هذا أبداً، والسيدة لا يُفترض بها أن تقول ذلك أبداً، لكن كم عمرك؟»

«ثمانية وسبعون، سيدي.» أجابت فوراً وهي تواصل النظر إلى عينيه مباشرة، لكن هذا كذب. روزاليند داوسون في الواحدة والثمانين في الواقع.

10

الثانية عشرة إلا ربعاً.

راحت طائرة التيشالينجر المطبوع 940NF على ذيلها وصناعات ماين الورقية على جانبها تحلق برتابة شمالاً نحو ماين على ارتفاع 12,000 متر. وبمساعدة من الدفع النفاث، بقيت سرعتها تتقلب بلطف بين 840 و890 كيلومتراً في الساعة.

وصولهم إلى الكولو ثم إقلاعهم من هناك حصل دون أي عائق، في الأغلب لأن السيدة سيغسبي تحمل تصريح دخول لكبار الشخصيات صادر عن خطوط ريغال الجوية، وكانت أكثر من مستعدة لاستخدامه لفتح البوابة. فقد

أحسَّت بفرصة - ولو ضئيلة - للخروج من هذا حيَّةً. وجدوا التشالينجر واقفةً في عَظْمَةٍ منعزلةٍ مُنزلةٍ سلالمةا. رفع تيم السلام بنفسه، وأقفل الباب بإحكام، ثم طرَق على باب فُمرة القيادة المُغلق بعَقِب غلوك المعاون الميت.

«أعتقد أننا كلنا جاهزون هنا. إذا كنتما تملكان تصريحاً بالإقلاع، هيا بنا».

لم يأتِه جوابٌ من الجهة الأخرى للباب، لكن المحرَّكات بدأت تدور. وأصبحوا في الجو بعد دقيقتين. إنهم الآن في مكان ما فوق فيرجينيا الغربية، وفقاً للشاشة التي عند القاطع، ودويراي خلفهم. لم يتوقع تيم أن يغادر فجأة هكذا، وبالطبع ليس في هكذا ظروف كارثية.

إيفانز يكبو، ولُوك ميثٌ بالنسبة للعالم. فقط السيدة سيغسبي لا تزال مستيقظة، وتجلس منتصبة الظهر، وتحَدِّق بوجه تيم بثبات. هناك شيء في تلك العينين غير المعبرَّتين العريضتين يشبه عيني حيوان زاحفٍ. ربما كانت آخر حبوب ألم الطبيب روير سُنَّخمده، لكنها رَقَصتها رغم الألم الذي لا شك أنه شديد نوعاً ما. لقد نجت من إصابة خطيرة بطلقة نارية، لكن حتى الإصابة الطفيفة تؤلم كثيراً.

«أظن أن لديك خبرة في فرض القانون»، قالت. «هذا واضح في تصرَّفاتك، وفي ردَّة فعلك السريعة والجيدة».

لم يقل تيم شيئاً، بل اكتفى بالنظر إليها. وَصَع الغلوك بجانبه على المقعد. فإطلاق النار من مسدَّس على ارتفاع 12,000 متر سيكون فكرة سيئة جداً، ولماذا سيفعل ذلك حقاً، حتى ولو كانوا على ارتفاعٍ متدنٍ أكثر بكثير؟ فهو يأخذ هذه السافلة إلى حيث تريد أن تذهب بالضبط.

«لا أفهم لماذا تتماشى مع هذه الخطة». أومأت برأسها نحو لُوك، الذي بدا - بوجهه القذر وأذنه المضمَّدة - أصغر سناً بكثير من اثنتي عشرة سنة. «كلانا يعرف أنه يريد إنقاذ أصدقائه، وأعتقد أن كلينا يعرف أن الخطة ساذجة. بلهاء، في الواقع. ومع ذلك واقفتَ عليها. لماذا يا تيم؟».

لم يقل تيم شيئاً.

«قبولك أن تتورَّط في المقام الأول هو سر بالنسبة لي. ساعدني أفهم».

لم تكن لديه نيَّة بفعل ذلك. فأحد الأشياء الأولى التي علَّمه إياها الضابط المرشد له خلال الأشهر الأربعة لتدريبه كشرطي مبتدئ هي أنك أنت

من يسأل المُرتكِبين. لا تدع المُرتكِبين يسألونك أبداً.

حتى ولو كان ميّالاً للتحدّث، لم يعرف ما الذي يمكنه أن يقوله وسيبدو عاقلاً ولو بشكل طفيف حتى. هل يمكنه أن يُخبرها أن وجوده على متن هذه الطائرة الحديثة، هذه الطائرة من الصنف الذي لا يستقله إلا الرجال والنساء الأغنياء عادة، مجرد صدفة؟ أن رجلاً كان مسافراً في يوم من الأيام إلى مدينة نيويورك نهض فجأة على متن طائرة عادية أكثر بكثير ووافق على التخلّي عن مقعده لقاء مبلغ نقدي وإقامة في فندق؟ أن كل شيء - السفر مجاناً في سيارات الآخرين شمالاً، توقف السير على الطريق I-95، النزهة إلى دوبراي، وظيفة القارع الليلي - تبع من ذلك التصرّف المتهوّر الواحد؟ أو هل يمكنه أن يقول إنه القدر؟ أنه انتقل إلى دوبراي بفعل يد لاعب شطرنج كوني، ليُنقذ الفتى النائم من براثن الأشخاص الذين خطفوه وأرادوا استخدام عقله الرائع إلى أن ينصّب؟ وفي تلك الحالة، ماذا يمكن القول عن المأمور جون، تاغ فاراداي، جورج بوركيت، فرانك پوتر، وبيبل ويكلو؟ مجرد بياذق تمت التضحية بهم في المباراة الكبيرة؟ وأي قطعة هو؟ سيكون لطيفاً أن يصدّق أنه حصان، لكن المرجّح أكثر هو أنه مجرد بيدق آخر.

«متأكدة أنك لا تريدين تلك الحبة؟»، سأل.

«لا تنوي الإجابة على سؤالي، أليس كذلك؟».

«لا يا سيدتي، لا أنوي الإجابة عليه». أدار تيم رأسه ونظر خارجاً إلى الظلمة والأضواء القليلة هناك، مثل يراعات في قعر بئرٍ.

11

منتصف الليل.

أطلق هاتف المقصورة صرخته الجشّاء. ردّ ستاكهاوس. الصوت الذي على الخط هو لأحد الممرّضين غير المناوبين، رجل يدعى رون تشرش. الشاحنة المطلوبة تنتظر في المطار، قال تشرش. قادت دينيز أولغود، وهي فتية غير مناوبة (رغم أنه يُفترَض أن كلهم مناوبون الآن)، خلف تشرش في سيارة سيدان تابعة للمعهد. الفكرة هي أنه بعد تركه المركبة على المدرج، سيعود إلى هنا مع دينيز. لكن هناك علاقة ما بين دينك الاثنين يعرف عنها ستاكهاوس. فوظيفته أن يعرف الأشياء، في النهاية. أيقن أنه مع قدوم الفتى

إلى المعهد، سيتوجّه رون ودينيز إلى أي مكان ليس هنا. لا بأس. رغم أن حالات الفرار العديدة أمر محزن، إلا أنه رُبَّ ضارّة نافعة. فقد حان الوقت لوضع حدّ لهذه العملية. سيبقى ما يكفي من فريقه للمشهد الأخير، وهذا هو المهم.

سِيَهَرَم لُوكٌ وصديقه تيم، ليس لديه أي شكّ في ذلك. وإما سيكون ذلك كافياً جداً للرجل الأثغ على الطرف الآخر للهاتف الصفري أو لن يكون. هذه مسألة خارجة عن سيطرة ستاكهاوس، وهو أمر يدعو إلى الارتياح. شَعَرَ أنه حَمَلَ هذه الثقة بالقضاء والقدر مثل فيروس راقِدٍ منذ أيامه في العراق وأفغانستان، ولم يُدرك ذلك قبل الآن. سيفعل ما بوسعته، وهذا ما يقدر أن يقوم به أي رجل أو امرأة. الكلاب تنبّح والقافلة تسير.

سمع طرَقاً على الباب وأطلَّت روزاليند. لقد فعلت شيئاً لشعرها، ووجده تحسناً. لكنه كان أقلّ يقيناً بشأن قراب الكتف الذي ترتديه الآن. المنظر سريالي قليلاً، مثل كلب يرتدي قبعة حفلة.

«غلاديس هنا يا سيد ستاكهاوس».

«دعها تدخل».

دخلت غلاديس. كان هناك قناع هواء يتدلّى تحت ذقنها، وعيناها حمراوين. شكّ ستاكهاوس أنها كانت تبكي، لذا فالاحمرار ناتج على الأرجح عن المواد السميّة التي كانت تمزجها. «كل شيء جاهز. كل ما عليّ فعله الآن هو إضافة المادة المنظّفة للمراحيض. أصدر الأمر يا سيد ستاكهاوس، وسُتطلق الغاز عليهم». هزّت رأسها بحركة سريعة وعنيفة. «تلك المهمة تُفقدني أعصابي».

من مظهرك، أنتِ قاب قوسين من ذلك، فكّر ستاكهاوس في سرّه، لكنها محقّة بشأن المهمة. فهذا شيء لا يمكنك الاعتياد عليه. فقط عندما تعتقد أنه يمكنك ذلك، ترتفع حدّته - ليس في أذنك بالضبط، بل داخل رأسك. ثم تنخفض فجأة إلى مستواها السابق المُحتمل أكثر قليلاً.

«كنت أتكلّم مع فيليشيا»، قالت غلاديس. «أقصد الطبيبة ريتشاردسون. كانت تراقبهم على شاشتها. تقول إن المهمة تصبح أقوى عندما تتشابك أيديهم، وتنخفض عندما يفلتون أيدي بعضهم البعض».

لقد قدّر ستاكهاوس ذلك من قبل من تلقاء نفسه. لا داعي لأن تكون عالم صواريخ، مثلما يقول المثل.

«هل سيحصل الأمر قريباً يا سيدي؟».

نظّر إلى ساعته. «أعتقد بعد حوالي ثلاث ساعات. وحدات نظام التدفئة والتهوية وتكييف الهواء موجودة على السطح، صح؟».

«نعم».

«قد أتمكن من الاتصال بك عندما يحين الوقت يا غلاديس، لكنني قد لا أتمكن. ستحصل الأمور بسرعة على الأرجح. إذا سمعت أصوات عيارات نارية من الجهة الأمامية لمبنى الإدارة، ابدأي إطلاق غاز الكلور سواء اتصلت بك أم لا. ثم تعالي. لا تعودي إلى الداخل، فقط اركضي على السطح إلى الجناح الشرقي للنصف الأمامي. مفهوم؟».

«نعم سيدي!». ابتسمت له الابتسامة الكبيرة التي يكرها كل الأولاد.

12

الثانية عشرة والنصف.

كانت كاليشا تراقب أولاد الجناح أ وتتذكر الفرقة الموسيقية السائرة لولاية أوهايو. كان أبوها يحب كرة القدم، وكانت تشاهد المباريات معه دائماً - للحميمية - لكن الجزء الوحيد الذي كان يهّمها حقاً هو العرض بين الشوطين، عندما تنزل الفرقة الموسيقية (فخر البكايز! مثلما يصفها المذيع دائماً) إلى الملعب وتبدأ بالعزف وتجسيد أشكال لا يمكن رؤيتها بشكل واضح إلا من فوق - كل شيء من حرف S على صدر سوبرمان إلى دينوسور رائع من الحديقة الجوراسية يسير وهو يومئ برأسه.

لا توجد آلات موسيقية مع أولاد الجناح أ، وكل ما يفعلونه عندما تتشابك أيديهم هو نفس الدائرة - غير النظامية، لأن نفق الوصول ضيقٌ - لكن لديهم نفس... هناك كلمة لهذا...

«التزامن»، قال نيكي.

استدارت جافلةً. ابتسم لها وهو يسرح شعره إلى الخلف لكي يدعها ترى بوضوح أكثر عينيه اللتين كانتا، بصراحة، فانتين نوعاً ما.

«هذه كلمة كبيرة حتى لفتى أبيض».

«حصلتُ عليها من لوك».

«هل تسمعه؟ هل أنت على تواصل معه؟».

«نوعاً ما. بشكل متقطع. من الصعب تحديد أيهما تفكيري وأيهما تفكيره. النوم ساعدني. لكن عندما استيقظتُ، أعاققتني أفكاره».

«مثل التشويش؟».

هَرَّ كتفيه. «أظن ذلك. لكن إذا فتحتِ ذهنك، أنا متأكد تماماً أنه يمكنك سماعه أيضاً. يصبح بُهَّ أوضح أكثر عندما يشكّلون إحدى دوائرهم». أوماً برأسه إلى أولاد الجناح الذين استأنفوا تجوّلهم الهائم. كان جيمي ودونا يسيران معاً، ويلوِّحان يديهما المتشابكتين. «هل تريدان المحاولة؟».

حاولت كاليشا التوقف عن التفكير. كان الأمر صعباً جداً في البدء، لكن عندما استمعت إلى الهمهمة، أصبح أسهل. الهمهمة أشبه بغسول فم، ما عدا أنه للدماغ.

«ما المضحك؟».

«لا شيء».

«آه، فهمتُ»، قال نيكي. «غسول للدماغ بدلاً من غسول للفم. يعجبني هذا».

«إنني ألتقط شيئاً، لكن ليس الكثير. قد يكون نائماً».

«على الأرجح. لكنني أعتقد أنه سيستيقظ قريباً. لأننا مستيقظون».

«التزامن»، قالت. «هذه كلمة مخيفة. وتبدو من كلماته تماماً. هل تعرف الفَيْش التي كانوا يعطوننا إياها للآلات؟ كان لوك يسمّيها مكافأة. هذه كلمة مخيفة أخرى».

«لوك مميّز لأنه ذكي جداً». نظَرَ نيكي إلى آيفيري الذي كان يتكئ على هيلين، والاثنتان نائمان نوماً عميقاً. «وأفيستر مميّز لمجرد أنه... حسناً...»

«لمجرد أنه آيفيري».

«نعم». ابتسم نيكي. «وقد عزّزه أولئك الحمقى دون أن يضعوا منظمّ ضغط على محرّكه». ابتسامته، بصراحة، فاتنة مثل عينيه. «لعلّمك، كلاهما معاً».

وضعانا حيث نحن الآن. لوك هو الشوكولا، وآيفيري زبدة الفول السوداني. لو كان أحدهما دون الآخر، لما تغيّر شيء. لكنهما يشكّلان معاً كوب زبدة الفول السوداني ماركة ريس الذي سيمزّق هذا المكان».

ضحكت. تشبيه غبي لكنه دقيق جداً أيضاً. على الأقل أملت ذلك. «لكننا لا نزال عالقين. مثل جردان في أنبوب مسدود».

نظرت عيناه الزرقاوان إلى عينيها البئيتين. «لن نبقى هنا طويلاً، تعرفين هذا».

قالت، «سنموت، أليس كذلك؟ إذا لم يطلقوا الغاز علينا، إذا...»، أمالت رأسها نحو أولاد الجناح الذين كانوا يحومون مرة أخرى. اشتدّت حدّة الهمهمة. وسطعت أضواء السقف. «سيحصل ذلك عندما يُطلق سراحهم، والآخرين، أينما كانوا».

الهاتف، فكّرت باتجاهه. الهاتف الكبير.

«على الأرجح»، قال نيكى. «يقول لوك إننا سندمّرهم مثلما دمّر شمشون المعبد على رؤوس الفلسطينيين. لا أعرف القصة - لا أحد في عائلتي تكبّد عناء قراءة كتاب الحكمة القديمة - لكنني أفهم الفكرة العامة».

كاليشا تعرف القصة، وارتعشت. نظرت إلى آيفيري مرة أخرى، وتذكّرت شيئاً آخر من كتاب الحكمة القديمة: سيقودهم ولد صغير.

«هل يمكنني أن أخبرك شيئاً؟»، قالت كاليشا. «ستضحك على الأرجح، لكن لا يهمني».

«تفضّلي».

«أودّ أن تقبّلي».

«ليست مهمة صعبة تماماً»، قال نيكى وابتسم.

مالت صوبه. مال ليلاقياها. قبّلا بعضهما في الهمهمة.

هذا لطيف، فكّرت كاليشا في سرّها. اعتقدت أنه سيكون كذلك، وصدق ظني.

أنت فكرة نيكي حالياً، راكبةً المهمة: هيا نجرب قبلتين. لنرى إن كان اللطف سيتضاعف.

13

الواحدة والنصف.

حطت التشالينجر على مدرج مهبط خاص مُلك شركة وهمية تدعى صناعات ماين الورقية. ثم سارت إلى مبنى مظلم صغير. أثناء اقترابها، أضاءت ثلاثة أضواء تُضيئها الحركة على السطح، مما أنار وحدة طاقة أرضية مربعة ومحملة حاويات هيدروليكية. لم تكن المركبة المنتظرة شاحنة صغيرة بل شيفروليه سوبربان تُسع لتسعة ركاب. لونها أسود ونوافذها ملوثة. كانت آني اليتيمة ستحبها كثيراً.

توقفت التشالينجر قرب السوبربان وانطفأت محرّكاتها. بقي تيم للحظات غير متأكد كلياً أنها انطفأت، لأنه أمكنه سماع همهمة خافتة.

«هذا الصوت ليس من الطائرة»، قال لوك. «بل من الأولاد. سيصبح أقوى عندما نقرب».

ذهب تيم إلى الجهة الأمامية للمقصورة، وشدّ الرافعة الحمراء الكبيرة ففتح الباب، وأنزل السلالم. نزلوا إلى المدرج على بُعد أقل من متر من جهة سائق السوبربان.

«حسناً»، قال وهو يستدير نحو الآخرين. «ها قد وصلنا. لكن قبل أن نطلق يا سيدة سيغسبي، معي شيء لك».

على الطاولة في منطقة المحادثات في التشالينجر، وجد كمية كبيرة من الكراسيات اللامعة التي تُعلن عن مختلف منتجات صناعات ماين الورقية الوهمية كلياً، ونصف دزينة قبعات لصناعات ماين الورقية. سلمها واحدة وأخذ أخرى لنفسه.

«ارتدي هذه. اضغطيها إلى الأسفل. شعرك قصير ولا يجب أن تجدي صعوبة في حشره كله تحتها».

نظرت السيدة سيغسبي إلى القبعة بنفور. «لماذا؟».

«ستدخلين قبلنا. إذا كان هناك أشخاص ينتظرون إيقاعنا في كمين، أودّ أن تجذبي نيرانهم».

«لماذا سيضعون أشخاصاً هنا في حين أننا ذاهبون إلى هناك؟».

«أقرّ أن هذا يبدو غير محتمل، لذا لن تمانعي من الذهاب قبلنا». ارتدى تيم قبعته لكن عكسياً، والقطعة البلاستيكية التي تسمح بتعديل حجمها تلامس جبهته. شَعَرَ لوك أنه كبير جداً في السنّ ليرتدي القبعة بهذه الطريقة - فهذه طريقة ارتداء الصغار لها - لكنه أبقى فمه مغلقاً. اعتقد أنها ربما طريقة تيم ليحُثّ نفسه. «إيفانز، أنت خلفها مباشرة».

«لا»، قال إيفانز. «لن أغير هذه الطائفة. لست متأكداً أنني قادر على مغادرتها حتى لو أردت ذلك. قدمي تؤلمني جداً. لا يمكنني وضع أي وزن عليها».

فكّر تيم بذلك، ثم نظَرَ إلى لوك. «ما رأيك؟».

«إنه يقول الحقيقة»، قال لوك. «سيكون عليه نزول الدرجات وثباً، وهي شديدة الانحدار. قد يقع».

«ما كان يجب أن أكون هنا في المقام الأول»، قال الطبيب إيفانز، وسالت دمعة خصة من إحدى عينيه. «أنا رجل طب!».

«أنت وحش طب»، قال لوك. «كنت تشاهد أولاداً يغرقون تقريباً - اعتقدوا أنهم يغرقون - وتدوّن ملاحظات. وهناك أولاد ماتوا لأنه كانت لديهم ردّة فعل مميتة تجاه الحُقن التي كنت وهندريكس تعطيهاهم إياها. والذين عاشوا منهم ليسوا أحياء أبداً، أليس كذلك؟ دعني أخبرك شيئاً، أرغب أن أدوس على قدمك. أن أغرز كعبي فيها».

«لا!»، زعق إيفانز. انكمش على مقعده وسحب قدمه المتورّمة إلى خلف القدم السليمة.

«لوك»، قال تيم.

«لا تقلق»، قال لوك. «أريد ذلك لكنني لن أفعله. لأن فعل ذلك سيجعني مثله». نظَرَ إلى السيدة سيغسبي. «وأنت، ليس لديك أي خيار. انهضي وانزلي هذه الدرجات».

شَدَّت السيدة سيغسبي قبعة الصناعات الورقية على رأسها ونهضت عن مقعدها بالمقدار الذي تقدر عليه من وقار. هَمَّ لُوكُ بالنزول خلفها، لكن تيم شدّه إلى الخلف. «أنت خلفي. لأنك المهم بيننا».

لم يجادل لُوكُ.

وَقَفَت السيدة سيغسبي عند أعلى درج الطائرة ورفعت يديها فوق رأسها. «أنا السيدة سيغسبي! إذا كان هناك أي شخص في الخارج، لا تطلق النار!».

التقط لُوكُ تيم يفكرٌ بوضوح: بالتأكيد ليس مثلما ادّعت.

لم يكن هناك جواب؛ لا صوت في الخارج سوى الجدادج، ولا صوت في الداخل سوى المهمة الخافتة. شَقَّت السيدة سيغسبي طريقها ببطء على الدرجات، متمسكةً بالدرابزين ومفضلةً رِجلها المصابة.

قرع تيم على باب قُمرة القيادة بعقب الغلوك. «شكراً أيها السادة. كانت رحلة جيدة. لا يزال هناك راكبٌ على متن الطائرة. خذوه إلى حيثما يريد».

«خذوه إلى الجحيم»، قال لُوكُ. «تذكرة ذهاب بلا عودة».

نزل تيم الدرجات وهو يحتاط لطلقة ناريةٍ ممكنةٍ - لم يتوقَّعها أن تصبح لتعرّف عن نفسها. لكن كان عليه أن يتوقَّع ذلك. حسبما تبين، لم يتلقوا أي رصاصة.

«مقعد الراكب الأمامي»، قال تيم للسيدة سيغسبي. «لُوكُ، اجلس خلفها. المسدّس معي، لكنك سنّدي. إذا حاولت أن تهاجمني، استخدم بعض طاقتك الذهنية. مفهوم؟».

«نعم»، قال لُوكُ، وجلس على المقعد الخلفي.

جلّست السيدة سيغسبي وثبتت حزام أمانها. عندما مدّت يدها لتغلق الباب، هزّ تيم رأسه. «ليس بعد». وقّف واضعاً يده على الباب المفتوح واتصل بويندي الأمنة في غرفتها في نُزل بوفورت الرخيص.

«النسر حطّ».

«هل أنتم بخير؟». الاتصال جيدٌ كما لو أنها تقف بجانبه. تمنّى لو كانت كذلك، ثم تذكّر إلى أين هم ذاهبون.

«بخير حتى الآن. استعدي. سأُتصل بكِ عندما ينتهي كل هذا».

إذا استطعتُ، فكّر في سرّه.

سار تيم إلى جهة السائق وركب. وجدَ المفتاح في حاملة الكوب. أوماً برأسه للسيدة سيغسبي. «الآن يمكنك إغلاق الباب».

أغلقتَه، ثم نظّرت إليه بازدراء وقالت ما كان لوك يفكر فيه. «تبدو غيباً جداً مرتدياً القبعة بهذه الطريقة يا سيد جايميسون».

«ماذا يمكنني أن أقول، أنا من محبي إمينيم. الآن اصمتي».

14

في مبنى وصول صناعات ماين الورقية المظلم، ركع رجل بجانب النوافذ وراقب أضواء السوبربان تُضاء وتبدأ سيرها نحو البوابة المفتوحة. يُعتبر إروين موليسون، وهو عامل مطحنة عاطل عن العمل، أحد مندوبي المعهد الكثر في دينيسون ريفر بند. كان بإمكان ستاكهاوس أن يأمر رون تشرش بالبقاء، لكنه عرّف من خبرته أن إصدار أمر إلى رجلٍ قد يختار عصيانه فكرةً سيئةً. من الأفضل استخدام مهلولٍ يريد فقط جني بعض الدولارات الإضافية.

اتصل موليسون برقم محفوظ مسبقاً في هاتفه الخلوي. «لقد انطلقوا»، قال. «رجل وامرأة وفتى. المرأة ترتدي قبعة فوق شعرها، لم أتمكن من رؤية وجهها، لكنها وقفت عند باب الطائرة وصاحت إسمها. السيدة سيغسبي. الرجل أيضاً يرتدي قبعة، لكنه أدارها إلى الخلف. الفتى هو الذي تبحث عنه. هناك ضمادة على أذنه ورصّة قوية على جانب وجهه».

«جيد»، قال ستاكهاوس. فقد تلقى من قبل مكالمة من مساعد قبطان تشالينجر الذي أخبره أن الطبيب إيفانز بقي على متن الطائرة. هذا جيد.

حتى الآن، كل شيء جيد... أو جيد قدر الإمكان وفقاً للظروف. الحافلة مركونة قرب سارية العَلَم مثلما طلب منه. سيضع الطباخ دوغ والممرّض تشاد بين الأشجار التي خلف مبنى الإدارة، حيث يبدأ الممر الخاص للمعهد. سيقع زيكي أيونيديس وفيليشيا ريتشاردسون في مركزيهما على سطح مبنى الإدارة، خلف حاجز سيخفيهما إلى أن يبدأ إطلاق النار. ستبدأ غلاديس بحّ السم

في نظام التدفئة والتهوئة وتكييف الهواء، ثم تنضم إلى زيكي وفيليشيا. ذاك الموقعان سيمكّنان حصول تبادل كلاسيكي لإطلاق النار عندما تدخل السوبربان - هذه هي النظرية على الأقل. ووقوف ستاكهاوس بجانب سارية العَلم واضعاً يده على غطاء الحافلة سيجعله بعيداً ثلاثين متراً على الأقل عن خط النار. عَرَف أنه سيكون معرّضاً لخطر الإصابة برصاصة طائشة، لكنه خطر مقبول.

لقد أرسل روزاليند لتبقى متأهبةً خارج باب نفق الوصول في الطابق و من جهة النصف الأمامي. فقد أراد ضمان أنها لن تحظى بفرصة لئدرِك أن مديرتها القديمة والمحبوبة موجودة في خط تبادل النيران أيضاً، لكن السبب الفعلي يتخطى ذلك. فقد فهم أن المهمة الثابتة طاقةً. ربما ليست كافية بعد لاختراق الباب، لكنها ربما تكون كافية. ربما كانوا ينتظرون وصول الفتى ليس فحسب، لكي يمكنهم الهجوم من الخلف وإحداث صنف الفوضى التي أثاروها من قبل في النصف الخلفي. لا يملك الموتى دماغياً ذكاءً كافياً للتفكير بشيء من هذا القبيل، لكن هناك الآخرين معهم. في تلك الحالة، ستكون روزاليند هناك مع مسدّسها، وأوائل الأولاد الذين يجتازون ذلك الباب سيتمّون لو بقوا خلفه. لا يسع ستاكهاوس سوى الأمل أن يكون الهجوم بقيادة الفتى ويلهولم اللعين ذاك.

هل أنا جاهز لهذا؟ سأل نفسه، وبدا أن الجواب هو نعم. جاهزٌ قدر ما يستطيع. وربما الوضع لا يزلُّ بخير. ففي الخارج، يتعاملون مع إليس في النهاية. مجرد ولد وبطلٌ مضلُّ التقى به بالصدفة. بعد غضون تسعين دقيقة فقط، ستنتهي هذه المهزلة.

15

الساعة الثالثة. أصبحت المهمة صاحبة أكثر الآن.

«توقف»، قال لوك. «انعطف إلى هناك». كان يشير إلى مسار ترابي تحجبه أشجار صنوبر قديمة ضخمة، وبالكاد مدخله مرئي.

«هل هذا هو الطريق الذي سلكته عندما هَرَبت؟»، سأل تيم.

«يا للهول، لا. لكانوا قبضوا عليّ فوراً».

«إذاً كيف تعرف -»

«هي تعرف»، قال لوك. «ولأنها تعرف، أنا أعرف».
استدار تيم إلى السيدة سيغسبي. «هل هناك بوابة؟».
«اسأله»، قالت باستهزاء.

«لا بوابة»، قال لوك. «مجرد لافتة كبيرة تقول محطة تجارب صناعات
ماين الورقية وممنوع الدخول».

لم يستطع تيم أن يمنع نفسه من الابتسام من خيبة الأمل التامة التي
ظهرت على وجه السيدة سيغسبي. «يجب أن يكون الولد شرطياً، ألا تعتقدين
يا سيدة سيغسبي؟ لن يتمكن أي منهم من تقديم عذر كاذب لغيابه عن مسرح
الجريمة».

«لا تفعل هذا»، قالت. «ستتسبب بمقتلنا نحن الثلاثة. لا شيء سيردع
ستاكهاوس». أدارت رأسها لتتنظر إلى لوك. «أنت قارئ أفكار وتعرف أنني
أقول الحقيقة، لذا أخبره».

لم يقل لوك شيئاً.

«كم نبعد عن معهدكم؟»، سأل تيم.

«خمسة عشر كيلومتراً»، قالت السيدة سيغسبي. «وربما أكثر». قرّرت
على ما يبدو أن لا جدوى من المماحكة.

انعطف تيم إلى الطريق. بعدما تجاوز الأشجار الكبيرة (حقت أغصانها
سقف السيارة وجانبيها)، وجدّه سلساً ومُصاناً جيداً. أثار ثلاثة أرباع القمر في
السماء الفسحة التي بين الأشجار، مما حوّل التراب إلى لون العظام. أطفأ
تيم أضواء السوبربان الأمامية وتابع القيادة.

16

الثالثة والثلاث.

أمسك آيفيري ديكسون معصم كاليشا بيد باردة. كانت تكبو على كتف
نيكي فرفعت رأسها. «أفستّر؟».

أيقظيهم. هيلين وجورج ونيكي. أيقظيهم.

«ما -»

إذا كنتم تريدون أن تعيشوا، أيقظيهم. سيحصل الأمر قريباً جداً.
كان نيك ويلهولم مستيقظاً من قبل. «هل يمكننا أن نعيش؟»، سأل.
«هل تعتقد أن هذا ممكن؟».

«أسمعكم في الداخل!». يدا صوت روزاليند القادم من الجهة الأخرى
للباب مكتوماً قليلاً فقط. «عما تتكلمون؟ ولماذا الهمهمة؟».

أيقظت كاليشا جورج وهيلين. تستطيع كاليشا رؤية النقاط الملونة من
جديد. صحيح أنها باهتة، لكنها تراها، وكانت تندفع إلى الأعلى والأسفل في
النفق مثل أولاد على زحلوقة، وبدا هذا منطقياً نوعاً ما لأنهم أولاد في النهاية،
أليس كذلك؟ أو بقايا أولاد. إنهم أفكار أصبحت مرئية، تدور وتتراقص عبر أولاد
الجناح أ المتجولين. وهل بدا أولئك الأولاد أكثر حيوية قليلاً؟ قليلاً فقط؟
اعتقدت كاليشا ذلك، لكن ربما هذا من نتاج خيالها فحسب. وكذلك التفكير
بالتمني. يعتاد المرء على التفكير بالتمني في المعهد. يعيش عليه.

«لعلمكم، معي مسدّس!».

«وأنا أيضاً أيتها السيدة»، قال جورج. أمسك منفرج ساقيه ثم استدار
إلى آيفيري. ما الأخبار أيها الطفل الزعيم؟

نظرَ إليهم آيفيري، الواحد تلو الآخر، ورأت كاليشا أنه يبكي. هذا جعلها
تشعر بثقل في معدتها، كما لو أنها أكلت شيئاً فاسداً وستتقيأه.

عندما يحصل الأمر، عليكم التصرف بسرعة.

هيلين: عندما يحصل ماذا يا آيفيري؟

عندما أتكلّم على الهاتف الكبير.

نيكي: تتكلّم مع مَنْ؟

الأولاد الآخرون. الأولاد البعيدون جداً.

أومات كاليشا برأسها إلى الباب. تلك المرأة تحمل مسدّساً.

آيفيري: هذا آخر شيء عليكم القلق بشأنه. فقط اذهبوا. كلكم.

«نحن»، قال نيكى. «نحن يا آيفيرى. كلنا سنذهب».

لكن آيفيرى كان يهزُّ رأسه. حاولت كاليشا دخول ذلك الرأس، حاولت معرفة بماذا يفكر، ماذا يعرف، لكن كل ما حصلت عليه هو كلمتين، تتكرران بلا توقف.

أنتم أصدقائي. أنتم أصدقائي. أنتم أصدقائي.

17

قال لوك، «إنهم أصدقاؤه، لكن لا يمكنه الذهاب معهم».

«من لا يمكنه الذهاب مع من؟»، سأل تيم. «عما تتكلم؟».

«عن آيفيرى. عليه أن يبقى. إنه الشخص الذي عليه أن يتصل بالهاتف الكبير».

«لا أعرف عما تتكلم يا لوك».

«أريدكم، لكنني أريده أيضاً!»، صاح لوك. «أريدكم كلهم! هذا ليس عدلاً!».

«إنه مجنون»، قالت السيدة سيغسبى. «بالتأكيد أنك تُدرك أن -»

«اصمتي»، قال تيم. «إنني أحذرك للمرة الأخيرة».

نظرت إليه، قرأت وجهه، وفعلت مثلما قال لها.

قاد تيم السوبربان ببطء فوق هضبة وتوقف. الطريق يعرض أمامهم. يمكنه رؤية أضواء بين الأشجار، والكتلة المظلمة لمبنى.

«أعتقد أننا وصلنا»، قال. «لوك، لا أعرف ماذا يجري مع أصدقائك، لكن هذا خارج عن سيطرتنا الآن. أحتاج منك أن تتمالك نفسك. هل يمكنك فعل ذلك؟».

«نعم». كان صوته أجش. تنحنح وحاول مرة أخرى. «نعم. حسناً».

خرج تيم، سار إلى باب الراكب، وفتحه.

«ماذا نفعل الآن؟»، سألت السيدة سيغسبي. بدت نكدةً وقليلة الصبر، لكن حتى في الضوء الشحيح، استطاع تيم رؤية كم كانت خائفة. وهي محقة أن تكون خائفة.

«اخرجي. ستقودين السيارة بقية المسافة. سأجلس في الخلف مع لوك، وإذا حاولت القيام بأي حركة متذاكية، مثل الاصطدام بشجرة قبل أن نصل إلى تلك الأضواء، سأضع رصاصة في عمودك الفقري عبر المقعد».

«لا. لا!».

«بلى. إذا كان لوك محققاً بشأن ما كنتم تفعلونه بأولئك الأولاد، فستكون لديك فاتورة باهظة لتسدّدِها. حان وقت الحساب. اخرجي، واجلسي خلف المقود، وقودي. ببطء. خمسة عشر كيلومتراً في الساعة». سكت قليلاً.

«وأديري قبعتك عكسياً على رأسك».

18

اتصل آندي فيلوز من مركز الكمبيوتر/المراقبة. تكلم بصوت عالٍ ومتحمس. «لقد وصلوا يا سيد ستاكهاوس! توقفوا قبل حوالي مئة متر من بداية الممر الخاص! أضواؤهم مطفأة، لكن هناك ما يكفي من ضوء القمر ومن أضواء المبنى لرؤبتهم. إذا كنت تريدني عرض الصور على شاشتك لكي تتمكن من التأكد، أنا -»

«لا داعي». قدّف ستاكهاوس هاتف مقصورتَه على المكتب، وألقى نظرة أخيرة على الهاتف الصفري - لقد بقي صامتاً، الحمد لله على ذلك - وتوجّه إلى الباب. جهازه اللاسلكي في جيبه، مرفوع إلى كسبٍ عالٍ وموصول بالزر الذي في أذنه. كل أفراد فريقه على نفس القناة.

«زيكي؟».

«أنا هنا أيها الزعيم. مع الطيبة».

«دوغ؟ تشاد؟».

«في المكان المطلوب». الطبّاخ دوغ هو الذي قال هذا. في الأيام الأفضل، كان يجلس مع الأولاد على العشاء أحياناً ويؤدّي لهم بعض الخدع العجيبة التي تجعل بعض الصغار منهم يضحكون. «نحن أيضاً نرى مركبتهم. سوداء تتسع لتسعة ركّاب. سوبربان أو تاهو، صح؟».

«صح. غلاديس؟».

«على السطح يا سيد ستاكهاوس. كل المكونات جاهزة. ما عليّ سوى مزجها».

«ابدأ أي بذلك إذا حصل إطلاق للنار». لكن هذه لم تعد مجرد فرضية، بل مسألة توقيت فقط، وفي غضون ثلاث أو أربع دقائق فقط. وربما أقل.
«عُلم».

«روزاليند؟».

«في مكاني. المهمة صاخبة جداً هنا. أعتقد أنهم يتآمرون».

ستاكهاوس متأكد أنهم يتآمرون، لكن ذلك لن يدوم لمدة طويلة. سيكونون مشغولين جداً في الاختناق. «حافظي على ثباتك يا روزاليند. ستعودين إلى قنواي لمشاهدة السوكس قريباً جداً».

«هل سترافقني يا سيدي؟».

«فقط إذا كان يمكنني تشجيع فريق اليانكيز».

ذهب إلى الخارج. كان هواء الليل بارداً بشكل منعش بعد يوم حار. شَعَرَ باشتداد المَوَدَّة تجاه فريقه. أولئك الذين بقوا معه لمؤازرته. سيكافأون مهما كلف الأمر، إذا كان القرار عائداً له. هذا واجب صعب، وقد بقوا لتأديته. الرجل الجالس خلف مقود السوبربان مضلل، نعم. وما لم يفهمه، ما لا يمكنه فهمه، هو أن حياة جميع الذين أحبهم في يوم من الأيام تعتمد على ما فعلوه هنا، لكن هذا انتهى الآن. كل ما يستطيع البطل المضلل أن يفعله هو أن يموت.

اقترب ستاكهاوس من حافلة المدرسة المركونة قرب سارية العَلم وكَلَّمَ جنوده للمرة الأخيرة. «يا مُطلقاً النار، أريدكما التركيز على السائق، واضح؟ ذلك الذي يرتدي قبعته عكسياً. ثم أمطرا السيارة اللعينة بأكملها، من الأمام إلى الخلف. صوّبا عالياً، نحو النوافذ، وحطما ذلك الزجاج الداكن، وأطلقا النار على الرؤوس. مفهوم؟».

«نعم».

«ابدأ إطلاق النار عندما أرفع يدي. أكّرر، عندما أرفع يدي».

وَقَفَ سَناكهاوس أمام الحافلة. وَصَّعَ يده اليمنى على سطحها القارس المرصَّع بالندى. وأمسك سارية العَلم بيده اليسرى. ثم انتظر.

19

«قودي»، قال تيم. انبطح على الأرض خلف مقعد السائق، ولُوك تحته.
«لا تجعلني أفعل هذا رجاءً»، قالت السيدة سيغسبي. «فقط لو تتركني أُخبرك عن سبب الأهمية الكبيرة لهذا المكان -»
«قودي».

قادت. اقتربت الأضواء أكثر. يمكنها الآن رؤية الحافلة، وسارية العَلم، وتريفور الواقف بينهما.

20

حان الوقت، قال آيفيري.

توقَّع أن يكون خائفاً، فقد كان خائفاً منذ أن استيقظ في غرفة تشبه غرفته لكنها لم تكن غرفته، ثم أوقعه هاري كرويس أرضاً وأصبح خائفاً أكثر من أي وقت مضى. لكنه لم يعد خائفاً الآن، بل مبتهجاً. هناك أغنية تشغلها أمه على جهاز الستيريو طوال وقت تنظيفها المنزل، وتذكر الآن بيتاً منها: سأتحرَّر.

سار إلى أولاد الجناح أ الذين كانوا يحومون من قبل. تبَّعته كاليشا ونيكي وجورج وهيلين. مدَّ آيفيري يديه. أمسكت كاليشا يداً وأمسكت آيريس - آيريس المسكينة، التي كان يمكن إنقاذها لو حصل ذلك قبل يوم واحد فقط - اليد الأخرى.

المرأة المتأهبة خارج الباب صرخت شيئاً، سؤالاً، لكنه ضاع في الهمهمة الصاعدة. أتت النقاط، لم تعد معتمة الآن بل ساطعة وتزداد إشراقاً. ملأت أضواء شتازي مركز الدائرة، وراحت تدور وتتصاعد مثل الشريط على سارية الحلاق، آتية من مصدر عميق من الطاقة، ثم تعود إلى هناك، ثم ترجع منشطَةً وأقوى من أي وقت مضى.

أغمضوا عيونكم.

لم تعد فكرةً عاديةً بل فكرةً صاحبةً تركب الهمهمة.

راقبهم آيفيري ليتأكد أنهم أغمضوا عيونهم، ثم أغمض عينيه. توقع أن يرى غرفته في منزله، أو ربما فناءهم الخارجي ذا الأرجوحة والحوض المائي الذي ينفخه أبوه في احتفال يوم الشهداء، لكنه لم ير ذلك. ما رآه خلف عينيه المغمضتين - ما رآوه كلهم - هو ملعب المعهد. وربما ما كان يجب أن تكون هذه مفاجأة. صحيح أنه أسقط أرضاً هناك وبكى، وتلك كانت بداية سيئة لهذه الأسابيع الأخيرة من حياته، لكن أصبح لديه أصدقاء بعد ذلك، أصدقاء طيبون. لم يكن لديه أصدقاء في منزله. فقد اعتبره طلاب مدرسته غريب الأطوار، وحتى كانوا يسخرون من إسمه فيركضون صوبه صائحين «يا آيفيري، هل كنت تدري؟» في وجهه. كل ذلك غير موجود هنا، لأنهم كلهم هنا في الورطة نفسها. هنا أصدقاؤه اهتموا به، عاملوه كشخص عادي، والآن جاء دوره ليهتم بهم. كاليشا ونيكي وجورج وهيلين: سيهتم بهم.

وأهمهم لوك. إذا استطاع.

مُغمضاً عينيه، رأى الهاتف الكبير.

بجانب الترامبولين، أمام الخندق الضحل الذي تلوّى لوك فيه ليعبر تحت السور، هناك هاتف قديم الطراز ارتفاعه خمسة أمتار على الأقل ولونه أسود كالموت. وقّف آيفيري وأصدقاؤه والأولاد من الجناح أ حوله في دائرة. راحت أضواء شتازي تدور، أكثر إشراقاً من أي وقت مضى، فوق قرص الهاتف الدوّار الآن، وتترحلق الآن بشكل مسبّب للدوار فوق سمّاعته الهائلة.

كاليشا، اذهبي. الملعب!

لم تحتجّ. أفلتت يد آيفيري، لكن قبل أن تسبّب الثغرة في الدائرة بانقطاع الطاقة وتدمير الرؤيا، أمسك جورج يد آيفيري. الهمهمة في كل مكان الآن، ولا شك أنهم يسمعونها في كل تلك الأماكن البعيدة حيث يوجد أولاد آخرون مثلهم، يقفون في دوائر مثل هذه. لقد سمع أولئك الأولاد، تماماً مثلما سمعت الأهداف التي أحضرت إلى مختلف معاهدهم ليقتلوها. وبشكل مماثل لتلك الأهداف، سيطع الأولاد. الفرق هو أنهم سيطيعون عن علمٍ، وبسرورٍ. لم تندلع الثورة هنا فقط؛ كانت ثورة عالمية.

جورج، اذهب. الملعب!

انسحبت يد جورج وأخذت يد نيكي مكانها. نيكي الذي دعمه عندما أوقعه هاري أرضاً. نيكي الذي سمّاه أفسّتر، كما لو أنه إسم مميز فقط

الأصدقاء يستطيعون استخدامه. شدَّ آيفيري على يده، وشَعَرَ بنيكى يشدُّ على يده بدوره. نيكى الذي كان مرضوضاً دائماً. نيكى الذي لم يكن يخنع أو يأخذ فيشهم الحقيرة.

نيكى، اذهب. الملعب!

ذهب. هيلين الآن هي التي تمسك يده، هيلين بشعرها المتمرّد الباهت، هيلين التي علمته أن يقوم بلفّات أمامية على الترامبولين وراقبته «لكى لا تقع وتؤذي رأسك الغبي».

هيلين، اذهبي. الملعب!

ذهبت، آخر أصدقائه من هنا، لكن كايتي أمسكت اليد التي كانت هيلين تمسكها، وحان الوقت.

في الخارج، طلقة نارية خافتة.

رجاءً لا تدع الأوان يكون قد فات!

كانت هذه آخر فكرة واعية له كفرِّد، كآيفيري. ثم انضم إلى المهمة، والأضواء.

لقد حان الوقت لإجراء مكالمة بعيدة المسافة.

21

من خلال بضعة أشجار متبقية، رأى ستاكهاوس السوبربان تقترب وبريق الأضواء من مبنى الإدارة ينزلق على سطحها الكروم. كانت تسير ببطء شديد، لكنها قادمة. خطرٌ بباله (تأخر الوقت كثيراً ليفعل أي شيء بشأن ذلك، لكن الحال لم يكن هكذا دائماً) أن محرّك الأقراص الوامض ربما لم يعد مع الفتى، وأنه تركه في النهاية مع تلك التي سمّاها الضابطة ويندي. أو أخفاه في مكان ما بين المطار وهنا، مع إجراء البطل المضلل مكالمة في اللحظات الأخيرة ليُخبر الضابطة ويندي عن مكان وجوده في حال ساءت الأمور.

لكن ماذا كان يمكن أن أفعل بشأن ذلك؟ فكّر في سرّه. لا شيء. هذا فقط.

ظهرت السوبربان عند بداية الممر الخاص. بقي ستاكهاوس واقفاً بين الحافلة وسارية العَلم، مادّاً ذراعيه مثلما طلب منه. لقد وصلت المهمة إلى مستوى يُصمّ الآذان تقريباً، وتساءل إن كانت روزاليند لا تزال في مكانها أو اضطرت إلى الفرار. تذكر غلاديس وأمل أنها جاهزة لتبدأ المزج.

ضيق عينيه نحو الشكل الجالس خلف مقود السوبربان. من المستحيل تمييز الكثير، وعرف أن دوع وتشاد لن يقدرَا على رؤية أي شيء على الإطلاق من خلال النوافذ الخلفية المظلمة إلى أن يحطمانها، لكن الزجاج الأمامي شفاف، وعندما قَلصت السوبربان المسافة إلى عشرين متراً - أقرب قليلاً مما كان يأمل - رأى القطعة البلاستيكية التي تُستخدم لتوسيع القبعة على جبهة السائق، فأفلت سارية العَلم. بدأ السائق يهزُّ رأسه بشكل مضطرب، ورفع إحدى يديه عن المقود وراح يضغط بشكل نجم البحر على الزجاج الأمامي في إيماءة توقف، وأدرك أنه خُدع. كانت الخدعة بسيطة مثل هروب ولد عبر الزحف تحت سورٍ، وفَعّالة مثلها تماماً.

لم يكن البطل المضلل هو الجالس خلف المقود. بل السيدة سيغسبي.

توقفت السوبربان مرة أخرى، ثم بدأت تتراجع إلى الخلف. «آسف يا جوليا، لا مفرّ من ذلك»، قال ورفع يده.

بدأ إطلاق النار من مبنى الإدارة والأشجار. في مؤخرة النصف الأمامي، نرعت غلاديس هيكسون غطاءً دَلَوِيّ مادة مبيضة كبيرين موضوعين تحت وحدة التدفئة والتهوية وتكييف الهواء التي تزوّد تدفئةً وتبريداً للنصف الخلفي ونفق الوصول. حبست أنفاسها، وأفرغت قوارير المادة المنطقّة للمراحيض في دَلَوِيّ المادة المبيضة، وحركت المزيج بسرعة بواسطة مقبض ممسحة، وغطت الدلوين والوحدة بملاءة واقية للماء، ثم ركضت بسرعة نحو الجناح الشرقي للنصف الأمامي وعيناها تحرقانها. أثناء ركضها على السطح، أدركت أنه يتحرّك تحت قدميها.

22

«لا يا تريفور، لا!»، صرخت السيدة سيغسبي. كانت تهزُّ رأسها يميناً ويساراً. من موضعه خلفها، رآها تيم ترفع يداً وتضغطها على الزجاج الأمامي. استخدمت يدها الأخرى لتبديل علبة تروس السوبربان إلى وضعية السير إلى الخلف.

لم تكد السيارة تعاود التحرك حتى بدأ إطلاق النار، بعضه قادم من اليمين، في الغابة، وبعضه من الأمام و- كان تيم متأكداً جداً - من فوق. ظهرت ثقوب في زجاج السوبربان الأمامي. أصبح الزجاج حليبياً وارتخى إلى الداخل. أصبحت السيدة سيغسبي دميةً ترتعش وترتدُّ وتُصدر صرخات مكبوتة بينما أصابتها الرصاصات.

«ابق هادئاً يا لوك!»، صرّخ تيم عندما بدأ الفتى يتلوّى تحته. «ابق هادئاً!».

اخرقت الرصاصات نوافذ السوبربان الخلفية، وسقطت شظايا الزجاج على ظهر تيم. هناك دم يسيل على الجهة الخلفية لمقعد السائق. حتى مع الهمهمة الهادئة التي بدا أنها قادمة من كل مكان، استطاع تيم سماع الرصاصات تمرّ فوقه مباشرة، وكل واحدة منها تُصدر أزيزاً منخفضاً.

كما سميع صوت ثقّب الرصاصات للمعدن، وانفتح غطاء صندوق السوبربان. وجد تيم نفسه يتذكّر المشهد الأخير في فيلم عصابات قديم، بوني باركر وكلايد بارو يرقصان رقصة الموت بينما تمرّق الرصاصات سيارتهما وجسدَيهما. أياً كانت خطة لوك، فقد ساءت بشكل كارثي. لقد ماتت السيدة سيغسبي؛ يمكنه رؤية دمها مرشوش على بقايا الزجاج الأمامي. وهما التاليان.

ثم علت صرخات من الجهة الأمامية وصيحات من الجهة اليمنى. اخرقت رصاصتان أخريان الجهة اليمنى للسوبربان، وقد لمست إحداهما ياقة قميص تيم في الواقع. كاتتا الرصاصتان الأخيرتان. وما سمعه الآن كان زئيراً صاخباً.

«دعني أنهض!»، لهث لوك. «لا يمكنني التنفّس!».

ابتعد تيم عن الفتى وحدّق بين المقعدَيْن الأماميين. كان يُدرك أن رأسه قد يُنسف في أي لحظة، لكن عليه أن يرى. نهض لوك بجانبه. بدأ تيم يُخبر الفتى أن يعاود الاختباء على أرض السيارة، لكن الكلمات ماتت في حنجرته.

لا يُعقل أن يكون هذا حقيقياً، فكّر في سرّه. لا يُعقل.

لكنه كان حقيقياً.

وَقَفَ آيْفِيرِي وَالآخَرُونَ فِي دَائِرَةِ حَوْلِ الْهَاتِفِ الْكَبِيرِ. بِسَبَبِ أَضْوَاءِ شَتَايِ، مِنَ الصَّعْبِ رُؤْيَةَ الْهَاتِفِ السَّاطِعِ وَالْجَمِيلِ جَدًّا.

الْمُشْتَرَّةَ، فَكَّرَ آيْفِيرِي فِي سَرِّهِ. الْآنَ نَصْنَعُ الْمُشْتَرَّةَ.

تَكَثَّلَتْ مِنَ الْأَضْوَاءِ، بَارْتِفَاعِ ثَلَاثَةِ أَمْتَارٍ وَتَبْصُقُ تَأَلِّقًا فِي كُلِّ اتِّجَاهٍ. اضْطَرَبَتْ الْمُشْتَرَّةَ ذَهَابًا وَإِيَابًا فِي الْبَدءِ، ثُمَّ سَيَّطَرَ الذَّهْنُ الْجَمَاعِي عَلَيْهَا بِشَكْلِ حَازِمٍ أَكْثَرَ. تَلَوَّحَتْ عَلَى سَمَاعَةِ الْهَاتِفِ الْعَمَلَاةِ وَأَوْقَعَتْهَا عَنِ قَاعِدَتِهَا الْعَمَلَاةِ. شَكَلَهَا الَّذِي يَشْبَهُ ثِقَالَاتِ الْحَدِيدِ حَطًّا مُنْحَرَفًا عِنْدَ قَضْبَانِ اللَّعْبِ فِي الْمَلْعَبِ، وَانْسَكَبَتْ أَصْوَاتُ بَلْغَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ قِطْعَةِ الْفَمِ، وَكَلَّمَتْهَا تَطْرَحُ الْأَسْئَلَةَ نَفْسَهَا: مَرْحَبًا، هَلْ تَسْمَعُنِي؟ مَرْحَبًا، هَلْ أَنْتُمْ هُنَاكَ؟

نَعَمْ، أَجَابَ أَوْلَادُ الْمَعْهَدِ وَبِصَوْتٍ وَاحِدٍ. نَعَمْ، نَسْمَعُكَ! نَقِّذِ الْآنَ!

سَمِعَتْ مَجْمُوعَةَ أَوْلَادِ فِي مَنْتَزِهِ سَيِّرَا نِيْفَادَا الْوَطْنِي فِي اسْبَانِيَا. وَسَمِعَتْ مَجْمُوعَةَ أَوْلَادِ بُوْسْنِيِيْنِ مَسْجُونِيِيْنِ فِي جِبَالِ الْأَلْبِ الْدِيْنَارِيَّةِ. وَفِي پَامپُوسِ، وَهِيَ جَزِيرَةٌ تَحْمِي مَدْخَلَ مِيْنَاءِ أَمْسْتَرْدَامِ، سَمِعَتْ مَجْمُوعَةَ أَوْلَادِ هُوْلَنْدِيِيْنِ. وَسَمِعَتْ مَجْمُوعَةَ أَوْلَادِ أَلْمَانِ فِي الْغَابَاتِ الْجَبَلِيَّةِ لِبَافَارِيَا.

فِي پِيْتَرَاپِيْرْتُوسَا، اِيْطَالِيَا.

فِي نَامُوْنِ، كُورِيَا الْجَنُوبِيَّةِ.

عَشْرَةَ كِيْلُومِتْرَاتٍ خَارِجَ بَلَدَةِ تَشِيْرْسْكِي السِّيْبِيْرِيَّةِ الشَّيْخِ.

سَمِعُوا، أَجَابُوا، أَصْبَحُوا وَاحِدًا.

24

وَصَلَتْ كَالِيْشَا وَالآخَرُونَ إِلَى الْبَابِ الْمُقْفَلِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النِّصْفِ الْأَمَامِي. يُمْكِنُهُمْ سَمَاعُ الطَّلُقَاتِ النَّارِيَّةِ بِوَضُوحِ الْآنِ، لِأَنَّ الْهَمْمَةَ تَوَقَّفَتْ فِجَاءً، كَمَا لَوْ أَنَّ قَابِسًا فِي مَكَانٍ مَا سُحِبَ.

آه، لَا يَزَالُ هُنَاكَ، فَكَّرَتْ كَالِيْشَا فِي سَرِّهَا. لَمْ يَعْذُ لَنَا بَعْدَ الْآنِ.

بَدَأَ تَأْوُهُ فِي الْجِدْرَانِ، صَوْتٌ بَشْرِي تَقْرِيْبًا، ثُمَّ الْبَابُ الْفُولَايْزِي بَيْنَ نَفْقِ الْوَصُولِ وَالطَّابِقِ وَ لِلنِّصْفِ الْأَمَامِي انْفَجَرَ إِلَى الْخَارِجِ، مُحْطَمًا رُوْزَالِيْنِدِ دَاوُسُونِ الْوَاقِفَةِ أَمَامِهِ وَقَتْلَهَا عَلَى الْفُورِ. حَطَّ الْبَابُ مَا بَعْدَ الْمَصْعَدِ، مَفْتُولًا

بشكل غريب حيث كانت مفصلاته الضخمة. وعلى السقف، بدأ المشبك السلكي الذي يحمي أنابيب الأضواء الفلورية يتموج مُلقياً ظلالاً تحت الماء مجنوناً.

ازداد صخب التأوه، وأصبح قادماً من كل مكان. بدا الأمر كما لو أن الميني يحاول أن يمرق نفسه. في السوبربان، تذكر تيم فيلم بوني وكلايد؛ وتذكرت كاليشا رواية بو انهيار منزل آشر.

هيا، فكرت نحو الآخرين. أسرع!

ركضوا متجاوزين الباب الممرق والمرأة الممرقة المستلقية تحته في بركة دم منتشرة.

جورج: ماذا بشأن المصعد؟ إنه خلفنا هناك!

نيكي: هل أنت مجنون؟ لا أعرف ماذا يجري، لكنني لن أركب أي مصعد لعين.

هيلين: هل هذا زلزال؟

«لا»، قالت كاليشا.

زلزال ذهني. لا أعرف كيف -

«... كيف يفعلون ذلك، لكن هذا ما...»، أخذت نفساً وتذوّقت شيئاً لاذعاً جعلها تسعل. «هذا ما هو عليه».

هيلين: هناك خطبٌ ما في الهواء.

قال نيكي، «أعتقد أنه نوعٌ من السموم». أولئك السفلة، لا يتوقفون أبداً.

دفعت كاليشا الباب المعلم سلاالم لتفتحه بقوة وبدأوا يصعدون، وكلهم يسعلون الآن. بين الطابقين د وج، بدأت الدرجات تهتز تحتهم. وتعرّجت التشققات على طول الجدران. انطفأت الأضواء الفلورية وأضاءت أضواء الطوارئ مُلقيةً توهجاً أصفر بارداً. توقفت كاليشا، انحنت، تقيأت تقيؤاً جافاً، ثم عادت صعود السلاالم.

جورج: ماذا بشأن آيفيري وبقية الأولاد الذين لا يزالون في الأسفل؟
سيختنقون!

نيكي: وماذا بشأن لوك؟ هل هو هنا؟ هل لا يزال حيًّا؟

لم تعرف كاليشا. كل ما تعرفه أن عليهم الخروج قبل أن يختنقوا. أو قبل أن يُسحقوا، إذا كان المعهد ينهار إلى الداخل.

أصاب اهتزازٌ هائلُ المبنى ومالت السلالم إلى اليمين. فكَّرت كيف كان حالهم الآن لو استقلوا المصعد، ودقَّعت الفكرة بعيداً.

الطابق ب. راحت كاليشا تلهث لتلتقط أنفاسها، لكن الهواء أفضل هنا، وكانت قادرة على الركض بشكل أسرع قليلاً. شَعَّرت بالسرور من أنها لم تصبح مدمنة على سجاير آلة البيع على الأقل. التأوه في الجدران أصبح صراخاً منخفضاً. يمكنها سماع أصوات تمعُّج المعدن المجوّف، وفهمت أن كل أنابيب المياه والكهرباء تتفكك.

كل شيء يتفكك. تراءى لها فيديو شاهده يوماً على يوتيوب، شيء رهيب لم تقدر على إشاحة نظرها عنه: طبيب أسنان يستخدم ملقطاً ليقلع سنّ أحدهم. اهتزَّ السنُّ محاولاً البقاء في اللثة بينما الدم يتسرَّب من حوله، لكنه خرج أخيراً وجذوره تتدلى تحته. هذا يشبه ذلك.

وصلت إلى باب الطابق الأرضي، لكنه كان مائلاً الآن، سريالياً، ثملاً. دقَّعته لكنه لم يُفْتَح. انضم إليها نيكي ودقَّعا معاً. لا فائدة. ارتفعت الأرض تحتهم، ثم عادت وانخفضت بعنف. سقطت قطعة من السقف، وتحطمت على الدرجات، وانزلقت بعيداً وهي تتشقلب.

«سيهرسنا إذا لم نخرج!»، صرخت كاليشا.

نيكي: جورج. هيلين.

مدَّ يديه. السُّلم ضيق، لكن أربعتهم انحشروا معاً أمام الباب بطريقة أو بأخرى، والتصقت أوراكهم وأكتافهم ببعضها. غطى شعر جورج عيني كاليشا. وملأت أنفاس هيلين، الكريهة من الخوف، وجهها. بحثوا بارتباك وشبكوا أيديهم. أتت النقاط وفتِح الباب مُطلقاً زعيقاً وأخذاً معه قسماً من العضادة العليا. ظهر وراءه رواق المساكن، المائل بترجّح الآن إلى إحدى الجهتين. اجتازت كاليشا المدخل المعقوف قبل البقية، وهربت منه مثل فلينة تفرّ من قارورة شراب بالفقاييع. ركعت على رُكبتيها، وجرحت يدها بفتحة ضوء

سقطت أرضاً ناثرةً زجاجاً ومعدناً في كل مكان. على أحد الجدران، منحرفاً لكن لا يزال معلقاً هناك، رأت المُلصق الإعلاني للأولاد الثلاثة الذين يركضون في مَرَجٍ والذي يقول إنه مجرد يوم آخر في النعيم.

نهضت كاليشا مترنحةً، نظرت حولها، ورأت الثلاثة الآخرين يفعلون مثلها. ركضوا معاً نحو غرفة الاستراحة، متجاوزين العُرف التي لن يعيش فيها أولادٌ مسروقون مرة أخرى أبداً. راحت أبواب تلك العُرف تُفتح وتُغلق بعنف، كما لو أن هناك مجانين يصفقون. في المطعم، وجدوا أن العديد من آلات البيع سقطت ساكنةً الوجبات الخفيفة من أحشائها. ملأت القوارير المكسرة الهواء بعبير الشراب اللاذع. باب الملعب مفتول تماماً وعالق في وضعية الإغلاق، لكن زجاجه اختفى فدخّل هواء منعش على نسيم أواخر الصيف. وَصَلت كاليشا إلى الباب وجمّدت أرضها. نسيت للحظة كل شيء عن المبنى الذي بدا أنه يمزق نفسه من حولهم.

كانت فكرتها الأولى أن الآخرين خرجوا في النهاية، ربما من خلال الباب الآخر لنفق الوصول، لأنهم ها هنا: أيفيري، إيريس، هال، لَن، جيمي، دونا، وبقية أولاد الجناح أ. ثم أدركت أنها لا تراهم أبداً في الواقع. كانوا إسقاطات أفاتارات. على غرار الهاتف الضخم الذي يحومون حوله. كان يجب أن يسحق الترامبولين وشبكة كرة الريشة، لكن الاثنين لا يزالان هناك، ويمكنها رؤية السياج المُشبَّك ليس خلف الهاتف الكبير فحسب بل من خلاله.

ثم اختفى الأولاد والهاتف معاً. أدركت أن الأرض ترتفع مرة أخرى، لكنها لم تكن تعاود الانخفاض هذه المرة. يمكنها رؤية فجوة تتسع ببطء بين غرفة الاستراحة وحافة الملعب. حوالي عشرين سنتيمتراً فقط في الوقت الحاضر، لكنها تكبر. اضطرت أن تقفز قفزةً صغيرةً لكي تخرج، كما لو أنها كانت تقف على الدرجة الثانية لسلمٍ.

«هيا!»، صرخت بالآخرين. «أسرعوا! بينما لا تزالون قادرين!».

25

سمع ستاكهاوس صراخاً عن سطح مبنى الإدارة، وتوقّف إطلاق النار من هناك. استدار ورأى شيئاً لم يستطع استيعابه في البدء. النصف الأمامي يرتفع. هناك طيف تحت ضوء القمر يتمايل على السطح، ماداً ذراعيه في محاولةٍ ليحافظ على توازنه. لا شك أنها غلاديس.

هذا لا يُعقل، فكّر في سرّه.

لكنه يحصل فعلاً. ارتفع النصف الأمامي إلى أعلى، وهو ينسحق ويتهشم أثناء ابتعاده عن الأرض. حجب القمر عن الأنظار، ثم غطسَ مثل أنف مروحية ضخمة خرقاء. طارت غلاديس. سمعها ستاكهاوس تصرخ وهي تختفي في الظلال. على مبنى الإدارة، رمى زيكي والطبيبة ريتشاردسون سلاحيهما وتمسكا بالحاجز وهما يحدقان بشيء أشبه بحلم: المبنى يصعد ببطء نحو السماء، مُربقاً زجاجة وقطع طوبه الخرسانية، وبيّاحاً معه معظم السياج المُشبَّك للملعب. سال الماء من الأنابيب المحطمة من الجانب السفلي المتشابك للمبنى.

سقطت آلة بيع السجائر متقلبةً من الباب المحطم لغرفة استراحة الجناح الغربي إلى الملعب. كانت لتسحق جورج أيلز، الفاجر الفم وهو ينظر إلى الجانب السفلي للنصف الأمامي يرتفع نحو السماء، لو لم ينتزعه نيكي بعيداً عنها.

خرج الطباخ دوغ والممرّض تشاد من بين الأشجار الحاجبة بعنقين ممدودين وفمين مفتوحين، وبنديقيتهما تتدليان من يديهما. ربما افترضاً أن أي شخص موجود في السوبربان المليئة بثقوب الرصاصات مات؛ والمرجح أكثر هو أنهما نسيا أمر السيارة كلياً في خضم دهشتهما ورعبهما.

أصبح قعر النصف الأمامي فوق سطح مبنى الإدارة الآن. تقدّم بالفخامة البطيئة لسفينة حربية شراعية تابعة للبحرية الملكية من القرن الثامن عشر في نسيم خفيف. تدلت المواد العازلة والأسلاك، والشرر لا يزال يتطاير من بعضها، مثل حبال سُرية مقطوعة. وتكشّط أبواب ناتئ من إحدى علب التهوية. رآه زيكي اليوناني والطبيبة فيليشيا ريتشاردسون قادماً نحوهما فركّضا إلى الفتحة التي كانا قد خرجا منها. نجح زيكي، على عكس الطبيبة ريتشاردسون. وصّعت ذراعيها فوق رأسها في إيماءة حماية كانت غريزية ومثيرة للشفقة في آن.

تلك كانت اللحظة التي انهار فيها نفق الوصول - المُضعف بفعل سنوات الإهمال والطفو الكارثي للنصف الأمامي - ساحقاً الأولاد الذين كانوا يُحتضرون من قبل بسبب التسمّم بالكور والجمل الذهني الزائد. حاقظوا على دائرتهم حتى النهاية، ومع انهيار السقف، خطرت فكرة أخيرة ببال أيغيري ديكسون، الصافي الذهن والهادئ: لقد أحببتُ أنه كان لديّ أصدقاء.

لم يتذكّر تيم خروجه من السوبربان. فقد كان باله مشغولاً كلياً بمحاولة استيعاب ما يراه: مبني ضخم يعوم في الهواء ويتحرّك فوق مبني صغير فيهيمن عليه. رأى طيفاً عليّ سطح ذلك المبني الصغير يضع يديه على رأسه. ثم سمع صوت تمعّج مكتوماً من مكان ما خلف هذا الوهم غير المعقول لدايفد كوبرفيلد، وتشكّلت سحابة هائلة من الغبار... وسقط المبني العائم مثل صخرة.

هَرَّ دويُّ ضخمُ الأرض جَعَلَ تيم يترنّج. لا مجال أبداً أن يتمكن المبني الصغير - مكاتب، افتراض تيم - من تحمّل كل ذلك الوزن. انفجر إلى الخارج في كل الاتجاهات، راسّاً خشباً وأسمناً وزجاجاً. تطاير مزيد من الغبار، ما يكفي منه لحجب القمر. لعلّ جهاز إنذار الحافلة (مَن كان يعلم أنها مجهزة بواحد؟) مُطلقاً زعيقاً صاخباً. الشخص الذي كان على السطح تُوقّي بالتأكيد، وأي شخص كان لا يزال في الداخل أصبح مجرد هلام الآن.

«تيم!»، أمسك لوك ذراعه. «تيم!». أشار إلى الرجلين اللذين خرجا من بين الأشجار. أحدهما لا يزال يحدّق بالأطلال، لكن الآخر بدأ يرفع مسدّساً كبيراً. ببطء شديد، كما لو أنه في حلم.

رفع تيم مسدّسه، وبشكل أسرع بكثير. «لا تفعل ذلك. ارميها أرضاً».

نظراً إليه بذهول، ثم فعلاً مثلما قال لهما.

«اقتربا الآن من سارية العَلَم».

«هل انتهى الأمر؟»، سأل أحد الرجلين. «أخبرني رجاءً أنه انتهى».

«أعتقد ذلك»، قال لوك. «افعلا ما يقوله لكما صديقي».

تهاديا عبر الغبار المتطاير نحو سارية العَلَم والحافلة. التقط لوك سلاحيهما، وفكر برميهما في السوبربان، ثم أدرك أنهما لن يقودا هذه المركبة المليئة بثقوب الرصاصات والملطخة بالدم إلى أي مكان. احتفظ بأحد الرشاشين، ورمى الآخر في الغابة.

27

أخذ ستاكهاوس لحظةً ليراقب تشاد والطباخ دوغ يسيران نحوه، ثم استدار لينظر إلى أطلال حياته.

لكن مَنْ كان يمكنه أن يعلم؟ فكّر في سرّه. مَنْ كان يمكنه أن يعلم أن لديهم وصولاً إلى طاقة كافية لرفع مبنى في الهواء؟ ليس السيدة سيغسبي، ليس إيفانز، ليس هكل وجكل، ليس دونكي كونغ - أينما هو هذه الليلة - وبالطبع ليس أنا. اعتقدنا أننا نعمل مع فولطية مرتفعة، بينما كل ما استغليناه في الواقع هو مجرد تيار خفيف. لقد وقعنا في شرّ أعمالنا.

شعّر بتربيت على كتفه. استدار ليجد البطل المضللّ أمامه. كان عريض الكتفين (مثلما يجب أن يكون البطل الأصيل)، لكنه يرتدي نظارات، وهذا لم يلائم الصورة الذهنية المقبولة.

بالطبع هناك دائماً كلارك كنت، فكّر ستاكهاوس في سرّه.

«هل أنت مسلّح؟»، سأل الرجل المدعو تيم.

هزّ ستاكهاوس رأسه وأوماً إيماءة ضعيفة بيده. «كان يُفترض بهم أن يهتموا بذلك».

«هل أنتم آخر ثلاثة؟».

«لا أعرف». لم يشعر ستاكهاوس بهذا الإنهاك أبداً من قبل. افترض أن ذلك ناتج عن الصدمة... وعن رؤية مبنى يرتفع في سماء الليل حاجباً القمر عن الأنظار. «ربما لا يزال بعض الموظفين في النصف الخلفي أحياء. والأطباء هناك، هالاس وجايمس. لكن بالنسبة للأولاد في النصف الأمامي... لا أرى كيف يستطيع أي شخص أن ينجو من ذلك». أوماً نحو الأطلال بذراع بدت بوزن الرصاص.

«لكن بقية الأولاد»، قال تيم. «ماذا بشأنهم؟ ألم يكونوا في المبنى الآخر؟».

«كانوا في النفق»، قال لوك. «حاول هذا قتلهم بالغاز، لكن النفق انهار أولاً. انهار عندما ارتفع النصف الأمامي».

فكّر ستاكهاوس بأن ينكر هذا، لكن ما نفع ذلك إن كان بإمكان الفتى ليس أن يقرأ أفكاره؟ بالإضافة إلى ذلك، كان مُتعباً جداً. مستنفداً بالكامل.

«أصدقاؤك أيضاً؟»، سأل تيم.

فتح لوك فمه ليقول إنه لا يعرف بشكل مؤكّد، لكن هذا مرجّح. ثم ارتعش رأسه، كما لو أن أحدهم ناداه. إذا كان الأمر كذلك فإن النداء حصل

داخل رأسه، لأن تيم لم يسمع الصوت إلا بعد عدة ثوانٍ.
«لوك!».

اقتربت فتاةً تركض على المَرَجَة المليئة بالفضلات متجنِّبةً الأنقاض التي تفجَّرت إلى الخارج على شكل هالةٍ. هناك ثلاثة آخرون يتبعونها، فتَيان وفتاة أخرى.
«لوكي!».

رَكَض لُوك ليلَاقِي الفتاة التي في الطليعة ورمى ذراعيه حولها. انضم إليهما الثلاثة الآخرون، وبينما تعانقوا في عناق جماعي، سَمِع تيم المهمة مرة أخرى، لكن بمستوى منخفض الآن. تحرَّكت بعض الأنقاض، وارتفعت قِطع من الخشب والحصى في الهواء، ثم سقطت مرة أخرى. ألم يسمع همس أصواتهم المتمازجة في رأسه؟ ربما هذا مجرد خياله، لكن...

«لا يزالون يُصدرون طاقةً»، قال ستاكهاوس. تكَلَّم بلا مبالاة، مثل رجل يمرُّ وقته فحسب. «أسمعهم. وأنت أيضاً. انتبه. التأثير تراكميٌّ. لقد حوَّل هالاس وجايمس إلى هَكل وجَكل». نبج ضحكةً قصيرةً. «مجرد طائرا عَقَّعَ كرتونيان يحملان شهادتين طبيتين مُكَلِّفتين».

تجاهل تيم هذا وترك الأولاد يفرحون بلحظة لمَّ شملهم - هل هناك أي شخص يستحق ذلك أكثر منهم؟ راقب ناجيي المعهد الراشدين الثلاثة. رغم أنهم لم يبدُ في الواقع أنهم سيسبِّون له أي متاعب.
«ماذًا سأفعل بكم أيها السفلة؟»، سأل تيم. لم يكن يكلم الناجين حقاً، بل فقط يفكر بصوتٍ عالٍ.

«لا تقتلنا رجاءً»، قال دوغ. أشار إلى العناق الجماعي الذي كان لا يزال سارياً. «لقد أطعمت هؤلاء الأطفال. أبقيتهم أحياء».

«لن أحاول تبرير أي شيء فعلتموه هنا إذا كنتم تريدون أن تبقوا أحياء»، قال تيم. «قد يكون الصمت أعقل خيار لديكم». ركز انتباهه على ستاكهاوس. «يبدو أننا لن نحتاج إلى الحافلة في النهاية، بما أنكم قتلتم معظم الأولاد -»

«لسنا من قتلهم -»

«هل أنت أصم؟ قلتُ اصمتوا».

رأي ستاكهاوس التعبير على وجه الرجل. لم يبذُ تعبير بطولَةٍ، سواء كان مضملاً أم لا. بدا تعبير قتل. لذا صمت.

«نحتاج إلى توصيلة من هنا»، قال تيم، «ولا أريد حقاً أن أضطر إلى السير معكم أيها المُحاربين السعداء عبر الغابة إلى تلك القرية التي يقول لوك إنها لديكم. لقد كان يوماً طويلاً ومُتعباً. أي اقتراحات؟».

بدا أن ستاكهاوس لم يسمعه. كان ينظر إلى بقايا النصف الأمامي، وبقايا مبنى الإدارة المهروس تحته. «كل هذا»، قال متعجباً. «كل هذا بسبب فتى هارب واحد».

ركّله تيم بخفة على كاحله. «ركّز أيها الحقيير. كيف آخذ هؤلاء الأولاد من هنا؟».

لم يُجبه ستاكهاوس، كما لم يُجبه الرجل الذي ادّعى أنه أطعم الأولاد. لكن الرجل الثالث الذي كانت ثيابه تشبه ثياب ممرّض فتكلم. «إذا كانت لديّ فكرة بشأن ذلك، هل ستدّعي أذهب؟».

«ما اسمك؟».

«تشاد يا سيدي. تشاد غرينلي».

«حسناً يا تشاد، هذا يعتمد على مدى جودة فكرتك».

28

بقي الناجون الآخرون من المعهد يتعائقون ويتعائقون ويتعائقون. شَعَرَ لوك أنه يمكنه مواصلة معانقتهم هكذا إلى الأبد، ومواصلة شعوره بعناقهم له، لأنه لم يتوقع أبداً رؤية أي واحد منهم مرة أخرى. كل ما يحتاجون إليه في الوقت الحاضر موجود داخل الدائرة المحتشدة التي شكّلوها على هذه المَرَجَة المليئة بالفضلات. كل ما يحتاجون إليه هو بعضهم البعض. وتباً للعالم وكل مشاكله.

آيفيري؟

كاليشا: رحل. هو والبقية. عندما انهار النفق فوقهم.

نيكي: هذا أفضل يا لوك. لما بقي نفسه. ليس على طبيعته. ما فعله، ما فعلوه... كان ليجرّده، مثلما جرّد كل الآخرين.

ماذا بشأن الأولاد في النصف الأمامي؟ هل لا يزال أحدهم حيّاً؟ إذا كان حيّاً، علينا أن -

كاليشا هي التي أجابته بأن هزّت رأسها، ولم ترسل كلماتها بل صورةً: المرحوم هاري كروس، من سيلما، ألاباما. الفتى الذي مات في الكافيتيريا.

أمسك لوك ذراعَي شا. كلهم؟ هل تقولين أنهم ماتوا كلهم من النوبات حتى قبل أن ينهار هذا؟

أشار إلى أنقاض النصف الأمامي.

«أعتقد عندما ارتفع»، قال نيكي. «عندما ردّ آيفيري على الهاتف الكبير». وعندما كان جلياً أن لوك لم يفهم بالكامل: عندما انضم الأولاد الآخرون.

«الأولاد البعيدون»، أضاف جورج. «في المعاهد الأخرى. كان أولاد النصف الأمامي... لا أعرف الكلمة».

«غير محصّنين جيداً»، قال لوك. «هذا ما تقصده. كانوا غير محصّنين. الأمر يشبه إحدى تلك الحُقن القديمة اللعينة، أليس كذلك؟ إحدى الحُقن السيئة».

أوماوا برؤوسهم.

همست هيلين، «أنا أكيدة أنهم ماتوا وهم يرون النقاط. كم مربع هذا؟».

كان جواب لوك الإنكارَ الطفولي الذي يبتسم له الراشدون بسخرية و فقط الأولاد الآخرون يستطيعون فهمه بالكامل: هذا ليس عدلاً! ليس عدلاً!

لا، واقفوه الرأي. ليس عدلاً.

انفصلوا. راح لوك ينظر إليهم الواحد تلو الآخر في ضوء القمر المليء بالغبار: هيلين، جورج، نيكي... وكاليشا. تذكر اليوم الذي تعرّف فيه عليها، متظاهرةً أنها تدخن سيجارة حلوى.

جورج: ماذا نفعل الآن يا لوكي؟

«تيم سيعرف»، قال لوك، ولا يسعه سوى الأمل أن يكون محققاً في ذلك.

29

قادهم تشاد حول الأبنية المدمّرة، ومشى ستاكهاوس والطباخ دوغ خلفه بتناقل مطاطئي رأسيهما. تبعهم تيم حاملاً المسدّس في يده. سار لوك وأصدقاؤه خلف تيم. عاودت الجداجد، التي أصمّتها الدمار، غناءها من جديد.

توقّف تشاد عند حافة مسار أسفّلتنيّ مركونة عليه ست سيارات وثلاث أو أربع شاحنات متلاصقة ببعضها البعض. كانت بينها شاحنة تويوتا متوسطة الحجم مخصّصة لتسليم البضائع مطبوع على جانبها صناعات ماين الورقية. أشار إليها. «ما رأيك بهذه يا سيدي؟ هل ستفي بالغرض؟».

شعر تيم أنها ستفي بالغرض، في البداية على الأقل. «ماذا بشأن المفاتيح؟».

«الجميع يستخدم شاحنات الصيانة هذه، لذا يتركون المفاتيح فوق واقية الزجاج الأمامي دائماً».

«لوك»، قال تيم، «هلاً تفقدت ذلك؟».

ذهب لوك؛ ذهب الآخرون معه، كما لو أنهم لا يستطيعون تحمّل الانفصال عنه ولو لدقيقة. فتح لوك باب السائق وأخفّض واقية الزجاج الأمامي. سقط شيء في يده. التقط المفاتيح.

«جيد»، قال تيم. «الآن افتح الجهة الخلفية. إذا وجدت أغراضاً هناك، أخرجها».

الولد الضخم الذي يدعى نيك والولد الصغير الذي يدعى جورج اهتما بتنفيذ هذه المهمة، فراحا يرميان مدمّات، ومجارف، وصندوق أدوات، وعدة أكياس سماد للمرجة. أثناء فعلهما ذلك، جلس ستاكهاوس على العشب ووضع رأسه على ركبتيه. كانت إيماءة هزيمة عميقة، لكن تيم لم يُشفيق عليه. ربّت على كتف ستاكهاوس.

«سنرحل الآن».

لم يرفع ستاكهاوس نظره. «إلى أين؟ أعتقد أن الفتى قال شيئاً عن ديزني لاند». أعطى نخرة ضحكٍ جدّيةً جداً.

«ليس من شأنك. لكن لديّ فضول. إلى أين ستذهب أنت؟».

لم يُجبه ستاكهاوس.

30

لا توجد مقاعد في الجهة الخلفية للشاحنة الصغيرة المخصّصة لتسليم البضائع، لذا راح الأولاد يتناوَبون على الجلوس على المقعد الأمامي، بدءاً بكاليشا. حشّر لوك نفسه على الأرضية المعدنية بين المقعد وتيم. وتجمّع نيكي وجورج وهيلين عند الأبواب الخلفية، وراحوا ينظرون خارجاً من خلال نافذتين صغيرتين مليئتين بالغبار إلى عالم لم يتوقعوا أن يروه مرة أخرى أبداً.

لوك: لماذا تبكين يا كاليشا؟

أخبرته، ثم قالت ذلك بصوت عالٍ لكي يسمع تيم. «لأنه جميل جداً. حتى في الظلمة، كله جميل جداً. أتمنى فقط لو كان أيفيري هنا ليراه».

31

كان الفجر لا يزال مجرد إشاعة على الأفق الشرقي عندما انعطف تيم جنوباً على الطريق العام 77. أخذ الفتى المدعو نيكي مكان كاليشا على المقعد الأمامي. ذهب لوك معها إلى الجهة الخلفية للشاحنة، وأصبح أربعتهم الآن مكدّسين معاً مثل مجموعة جراء مستغرقة في نومها. بدا أن نيكي نائم أيضاً، وراح رأسه يرتطم بخقّة على النافذة كلما اصطدمت الشاحنة بمطبّ... وكان هناك الكثير من المطبّات.

بُعید رؤيته لافتة تُعلن أن ميللينوكت تبعد ثمانين كيلومتراً، نظّر تيم إلى هاتفه الخلوي ورأى أن لديه شّرتين وتسعة بالمئة من الطاقة. اتصل بويندي، التي أجابت من الرّثة الأولى. أرادت معرفة إن كان بخير. طمأنها. سألت إن كان لوك بخير.

«نعم. إنه نائم. معي أربعة أولاد إضافيين. كان هناك آخرون - لا أعرف عددهم بالضبط، عدد لا بأس به - لكنهم ماتوا».

«ماتوا؟ يا للهول يا تيم، ماذا حصل؟».

«لا يمكنني إخبارك الآن. سأفعل عندما أقدر، وقد تصدّقيته حتى، لكنني في مكانٍ ناءٍ الآن، وهناك ربما ثلاثون دولاراً في محفظتي، ولا أجرؤ على استخدام بطاقات إئتماني. هناك فوضى عارمة في المعهد، ولا أريد أن أخاطر بترك آثار ورقية خلفي. كما أنني مُتعب جداً. لا يزال نصف خزان وقود الشاحنة ممتلئاً وهذا جيد، لكنني أقود وأنا نائم تقريباً. تبا-تبا-تبا، صح؟».

«ما... أنت... لديك أي...»

«وبندي، إنني أفقدك. إذا كنتِ تسمعيني، سأعاود الاتصال بك. أحبك».

لم يعرف إن سمعت آخر كلمة أم لا، أو كيف ستتفاعل معها إن كانت قد سمعتها. فهو لم يقلها لها أبداً من قبل. أطفأ هاتفه ووضعها في الصندوق إلى جانب مسدّس تاغ فاراداي. كل ذلك الذي حصل في دوپراي بدا له أنه حصل منذ وقت طويل، تقريباً في حياة عاشها شخص آخر. ما يهمّ الآن هو هؤلاء الأولاد، وماذا سيفعل بهم.

أيضاً، مَنْ قد يأتي ليطاردهم.

«تيم».

التفت نحو نيكي. «اعتقدت أنك نائم».

«لا، أفكر فحسب. هل يمكنني أن أخبرك شيئاً؟».

«بالتأكيد. أخبرني كثيراً. أبقني مستيقظاً».

«أريد فقط أن أشكرك. لن أقول إنك أعدت لي ثقتي بالطبيعة البشرية، لكن قدومك مع لوكي... هذا يتطلب جرأة».

«اسمع يا صغيري، هل تقرأ أفكاري؟».

هزّ نيك رأسه. لا يمكنني فعل ذلك الآن. لا أظن أنني قادر حتى على تحريك أحد مغلّفات الحلوى على أرضية هذه الكومة، وهذه كانت ميزتي. إذا اتصلت بهم...»، أمال رأسه نحو الأولاد النائمين في الجهة الخلفية للشاحنة الصغيرة. «سيختلف الوضع. لبعض الوقت على الأقل».

«هل تعتقد أنك سترجع؟ ستستعيد ما كان لديك سابقاً؟».

«لا أعرف. ليس أمراً مهماً جداً بالنسبة لي في الحاليتين. لم يكن أبداً. ما كان مهماً لي هو كرة القدم وهوكي الشارع». حدّق بتيم. «يا للهول، هذه ليست جيوباً تحت عينيك، هذه حقائب سفر».

«لا أمانع لو نمثُ قليلاً»، أجاب تيم موافقاً. نعم، حوالي اثنتي عشرة ساعة مثلاً. وجد نفسه يتذكّر مؤسسة نوربرت هوليستر الآيلة للسقوط، حيث التلفزيون لا يعمل والصرّاصير حرّة طليقة. «أعتقد أن هناك فنادق رخيصة مستقلة لا يطرحون فيها أي أسئلة إن عُرضت عليهم أموال نقدية، لكن أخشى أن الأموال النقدية مشكلةٌ لنا».

ابتسم نيكي، ورأى تيم المراهق الذي سيصبح وسيماً - إن شاء الله - بعد بضع سنوات. «أعتقد أنني وأصدقائي قد تتمكن من مساعدتك في مسألة الأموال النقدية. لسْتُ متأكداً تماماً، لكن بلى، على الأرجح. هل لديك ما يكفي من وقود لبلوغ البلدة المجاورة؟».

«نعم».

«توقف هناك»، قال نيكي وأعاد إسناد رأسه على النافذة.

32

لم يَمْضِ وقت طويل على فتح فرع مصرف إئتمان البحّارة في ميللينوكت أبوابه عند التاسعة صباح ذلك اليوم حتى استدعت أمينة صندوق تدعى ساندرنا روبيشو مدير المصرف من مكتبه. «لدينا مشكلة»، قالت. «انظر إلى هذا».

أجلست نفسها أمام شاشة مشاهدة مشاهدة فيديو الصرّاف الآلي، وجلس براين ستيرنز بجانبها. تنام كاميرا الصرّاف الآلي بين المعاملات، وهذا يعني طوال الليل عادة في بلدة ميللينوكت الشمالية الصغيرة في ماين، وتستيقظ لأوائل زبائنها حوالي السادسة صباحاً. الختم الزمني المعروض على الشاشة التي كانا ينظران إليها قال 5:18 صباحاً. شاهد ستيرنز خمسة أشخاص يقتربون من الصرّاف الآلي. أربعة منهم رفعوا قمصانهم فوق أفواههم وأنوفهم لتكون مثل أقنعة قاطعي الطرق في فيلم قديم عن الغرب الأميركي، والخامس ارتدى قبعة أخفضها فوق عينيه. استطاع ستيرنز رؤية صناعات ماين الورقية على الجهة الأمامية.

«يبدو أن هؤلاء مجرد أولاد!».

أومأت ساندرنا برأسها. «إلا إذا كانوا أقزاماً، وهذا لا يبدو محتملاً جداً. راقب هذا يا سيد ستيرنز.»

شبكَ الأولاد أيديهم بأيدي بعضهم وشكّلوا دائرةً. ظهرت بضعة خطوط ضبابية على الصورة، كما لو أنها ناتجة عن تشويش كهربائي وجيز جداً. ثم بدأت فتحة الصراف الآلي تتقياً مالاً. كان هذا أشبه بمشاهدة آلة في صالة ألعاب الحظ تدفع لفائزٍ جائزته.

«تياً، ما هذا؟».

هزّت ساندرنا رأسها. «لا أعرف ما هذا، لكنهم حصلوا على أكثر من ألفي دولار، ولا يُفترَض أن تُعطي الآلة أي شخص أكثر من ثمانمئة دولار. هكذا تم إعدادها. أظن أنك يجب أن تتصل بأحدهم للإبلاغ عن هذا، لكنني لا أعرف مَنْ.»

لم يردّ ستيرنز. بل راقب فحسب، مفتوناً، بينما راح قطع الطريق الصغار - بدوا كأنهم طلاب في المرحلة المتوسطة، إن كانوا طلاباً - يللمون المال.

ثم اختفوا.

الرجل الأثغ

1

في صباح يوم بارد من أيام أكتوبر بعد حوالي ثلاثة أشهر، تمسّى تيم جايميسون على الممر الخاص لما كان يُعرّف بمزرعة تلة كاتاوبا إلى طريق ولاية كارولينا الجنوبية 121-A. استغرقت النزهة بعض الوقت، فطول الممر الخاص حوالي كيلومتر. لو كان أطول ولو قليلاً، هكذا كان يحبّ أن يمازح ويندي، لوّجّب عليهم تسميته طريق ولاية كارولينا الجنوبية 121-B. كان يرتدي سروال جينز باهتاً، وحذاء عمل قذراً ماركة جورجيا جاينت، وكنزة كبيرة لدرجة أنها تصل إلى أعلى فخذيه. إنها هدية من لوك، اشتراها عبر الانترنت، ومكتوب على جبتها الأمامية كلمة مذهّبة: أفسّتر. تيم لم يلتق أيغيري ديكسون أبداً، لكن ارتداء القميص أشعره بالسرور. كان وجهه مسمّراً جداً. لم تكن كاتاوبا مزرعة حقيقية لعشر سنوات، لكن لا يزال هناك فدان حديقة خلف الحظيرة، وقد حان موسم الحصاد.

وَصَلَ إلى صندوق البريد، فتحه، وبدأ يُخرج البريد الدعائي الاعتيادي (يبدو أن لا أحد يتلقى بريداً حقيقياً هذه الأيام)، ثم جمّد. شَعَرَ أن معدته، التي كانت بخير خلال النزهة إلى هنا، تقلّصت. اقتربت سيارته، أبطأت، ثم ركّنت جانباً. لا شيء مميّز فيها، مجرد شيفروليه ماليبو ملطخة بغبار ضارب إلى الحمرة وعليها الكمية الاعتيادية من الحشرات المهروسة على مُصَبَّعِهَا. ليست سيارة أحد الجيران، فهو يعرف كل سياراتهم، لكن يمكنها أن تكون سيارة بائع، أو شخص تائه يحتاج إلى الاستفسار عن الاتجاهات. إلا أنها لم تكن كذلك. لم يعرف تيم الرجل الجالس خلف المقود، فقط أنه، أي تيم، كان ينتظره. وها قد أتى.

أغلق تيم صندوق البريد ووضع يداً خلف ظهره، كما لو أنه يريد أن يشدّ حزامه. كان حزامه في مكانه وكذلك مسدّسه، مسدّس غلوك كان ذات يوم

مُلكِ معاونٍ مأمورٍ أحمر الشعر يدعى تاغارت فاراداي.

أطفأ الرجل المحرَّك وخرَج. كان يرتدي سروال جينزٍ أحدث بكثيرٍ من سروال تيم - لا تزال ثنيات المتجر واضحة عليه - وقميصاً أبيض مزَّرراً حتى العنق. وجهه وسيم ورتيب، وهذا تناقض ربما يبدو مستحيلاً إلى أن ترى رجلاً كهذا. عيناه زرقاوان، وشعره بذلك الأشقر الفنلندي الذي يبدو أبيض تقريباً. بدا، في الواقع، مشابهاً كثيراً لما تخيَّلتَه المرحومة جوليا سيغسبي. رمى تحية الصباح على تيم، وردَّ له تيم التحية ويده لا تزال خلف ظهره.

«أنت تيم جايميسون». مدَّ الزائر يده.

نظرَ تيم إليه، لكنه لم يصفحه. «نعم. ومن تكون أنت؟».

ابتسم الرجل الأشقر. «لنقل إنني ويليام سميث. هذا هو الإسم المدوَّن على رخصة قيادتي». لفظَ كلمتي رخصة قيادتي بشكل سليم، لكنه لفظَ كلمة سميث كـ ثميث. لثغة، لكن بسيطة. «نادني بيل».

«كيف يمكنني أن أخدمك يا سيد سميث؟».

الرجل الذي يسمِّي نفسه بيل سميث - إسم مجهول مثل سيارته السيدان - حوَّل عينيه نحو أشعة الشمس الباكرة، وابتسم ابتسامة خفيفة كما لو أنه يناقش عدة أجوبة محتملة لهذا السؤال، وكلها لطيفة. ثم عاد والتفت إلى تيم. لا تزال الابتسامة على شفثيه، لكن عينيه لا تبتسمان.

«يمكننا مواصلة المراوغة على هذا المنوال، لكنني متأكد أن يوماً مزدحماً ينتظرك، لذا لن أضيع من وقتك أكثر مما أحتاج. دعني أبدأ بالتأكيد لك أنني لستُ هنا لأسبب لك أي متاعب، لذا إذا كان مسدِّساً ما لديك هناك وليس مجرد حكة في ظهرك، يمكنك تركه حيث هو. أعتقد أنه يمكننا الاتفاق على أنه جرى ما يكفي من إطلاق النار في هذا الجزء من العالم لسنة واحدة».

فكَّر تيم أن يسأل السيد سميث كيف وجَّده، لكن لماذا يتكبَّد عناء السؤال؟ لا يمكن أن يكون إيجاداه صعباً. فمزرعة كاتاوبا مُلك هاري وريتا غوليكسون، اللذين يعيشان الآن في فلوريدا. بقيت إينتهما تهتمَّ بالمنزل القديم طوال السنوات الثلاثة الأخيرة. ومن أفضل في تادية هذه المهمة من معاونة مأمور؟

حسناً، كانت معاونة، ولا تزال تتقاضى راتباً من المقاطعة، على الأقل في الوقت الحاضر، لكن من الصعب تحديد مسؤولياتها هذه الأيام. روني

غيبسون، التي كانت غائبة ليلة غزوة جماعة السيدة سيغسبي، هي الآن مأمورة مقاطعة فيرلي بالإنابة، لكن لا أحد يعرف كم سيدوم هذا؛ هناك شائعات عن نقل المخفر إلى بلدة دابنغ القريبة. وويندي لم تصلح يوماً لتكون أحد أفراد الشرطة الفاعلين على الأرض.

«أين الضابطة ويندي؟»، سأل سميث. «في المنزل، ربما؟».

«أين ستاكهاوس؟»، قابله تيم. «لا شك أنك أخذت مصطلح الضابطة ويندي منه، لأن المرأة سيغسبي تُوقيت».

هَرَّ سميث كتفيه، وحشَرَ يديه في الجبين الخلفيين لسرواله الجينز الجديد، وتأرجح على كعبيه، ونظر حوله. «أه، المكان لطيف هنا، أليس كذلك؟». خرجت منه كلمة أليس ألث، لكن اللثغة خفيفة جداً حقاً، وتكاد تكون غير موجودة أبداً.

قرَّر تيم عدم الإلحاح بالسؤال عن ستاكهاوس. من الواضح أنه لن يصل إلى أي نتيجة بشأنه، كما أن ستاكهاوس أشبه بأخبار قديمة. قد يكون في البرازيل؛ قد يكون في الأرجنتين أو استراليا؛ وقد يكون ميتاً. مكان وجوده لا يهم تيم بشيء على الإطلاق. والرجل ذو اللثغة محق؛ لا جدوى من المراوغة.

«المعاونة غوليكسون موجودة في كولومبيا، تُدلي بشهادتها في جلسة تحقيق مُغلقة حول المعركة بالمسدّسات التي وقعت الصيف الفائت».

«أظن أن لديها قصة سيصدّقها أعضاء تلك اللجنة».

لم تكن لدى تيم أي مصلحة في تأكيد هذا الافتراض. «ستحضر أيضاً بعض الاجتماعات التي سيقام فيها مستقبل فرض القانون هنا في مقاطعة فيرلي، بما أن الحمقى الذين أرسلتهم قضوا على معظمه».

بسط سميث يديه. «أنا والأشخاص الذين أعمل معهم لا علاقة لنا بذلك. لقد تصرّفت السيدة سيغسبي من تلقاء نفسها كلياً».

ربما هذا صحيح لكنه غير صحيح أيضاً، كان بإمكان تيم أن يقول. لقد تصرّفت لأنها كانت خائفة منك ومن الأشخاص الذين تعمل معهم.

«أفهم أن جورج آيلز وهيلين سيمز رحلا»، قال السيد سميث. لفظاً سيمز تيمز. «السيد آيلز اليافع إلى عمّ في كاليفورنيا، والأنسة سيمز إلى جدّتها في ديلاوير».

لم يعرف تيم من أين يأتي الرجل الأثغ بمعلوماته هذه - فقد اختفى نوربرت هوليستر منذ زمن بعيد، وأغلق نُزُل دويراي وعُلقت لافتة للبيع على واجهته حيث ستبقى هناك لمدة طويلة على الأرجح - لكنها معلومات جيدة. لم يتوقع تيم أبداً أن يعيش حياته دون أن يفطن له أحد، فهذه فكرة ساذجة، لكن لم يعجبه عمق معرفة السيد سميث عن الأولاد.

«هذا يعني أن نيكولاس ويلهولم وكاليشا بنسون لا يزالان هنا. ولوك إليس، بالطبع». عادت الابتسامة، أخفّ الآن. «كاتب كل بؤسنا».

«ماذا تريد يا سيد سميث؟».

«القليل جداً، في الواقع. سنصل إلى ذلك. في هذه الأثناء، دعني أهنئك. ليس فقط على شجاعتك التي كانت واضحة ليلة اقتحامك المعهد لوحده تقريباً، بل على العناية التي أظهرتها والضابطة ويندي بعد ذلك. لقد كنتما تورّعا، أليس كذلك؟ أيلز أولاً، بعد حوالي شهر من العودة إلى كارولينا الجنوبية. والفتاة سيمز بعده بأسبوعين. وكلاهما مع قصص عن اختطافهما لأسباب مجهولة، واحتجازهما لمدة زمنية مجهولة في مكان مجهول، ثم أطلق سراحهما... لأسباب مجهولة أيضاً. تمكنت والضابطة ويندي من ترتيب كل ذلك بينما كنتما بلا شك تحت مراقبة دقيقة».

«كيف تعرف كل هذا؟».

جاء دور الرجل الأثغ كي لا يُجيب، لكن لا بأس بهذا. خمن تيم أنه استقى بعض معلوماته على الأقل من الصحف والانترنت مباشرة. فعودة الأولاد المخطوفين هي أخبار مثيرة لاهتمام وسائل الإعلام دائماً. «متى ذهب ويلهولم وبنسون؟».

فكر تيم بهذا وقرّر عدم الإجابة. «نيكي ذهب هذا الجمعة. إلى عمّه وعمّته في نيفادا. أخوه هناك من قبل. نيك غير متحمّس بشأن الذهاب، لكنه يفهم أنه لا يمكنه البقاء هنا. ستبقى كاليشا لأسبوع آخر أو أسبوعين. لديها أخت في هيوستن أكبر منها باثنتي عشرة سنة. كاليشا متلهّفة لمعاودة الاتصال بها». هذا صحيح وغير صحيح في آن. لأن كاليشا، مثل الآخرين، تعاني من اضطراب ما بعد الصدمة.

«وستصدّق الشرطة قصصهم أيضاً؟».

«نعم. القصص بسيطة كافية، وبالطبع كلهم خائفون مما قد يحدث لهم إذا قالوا الحقيقة». سكت تيم قليلاً. «هذا إن صدّقوهم من الأصل».

«والسيد إليس اليافع؟ ماذا بشأنه؟».

«سابقى لوك معي. ليس لديه أقارب أو أي مكان ليذهب إليه. لقد عاد إلى دراساته من قبل. تهدئ له أعصابه. الفتى حزين يا سيد سميث. حزين على والديه، حزين على أصدقائه». سكت قليلاً ثم نظر بحدّة إلى الرجل الأشقر. «أظن أنه حزين أيضاً على الطفولة التي سرقتها منه جماعتك».

انتظر أن يردّ سميث على هذا. لكن سميث لم يردّ، لذا أكمل تيم كلامه.

«في نهاية المطاف، إذا استطعنا تأليف قصة مقبولة إلى حد معقول، سيُكمل حياته من حيث توقفت. تسجيل مزدوج في كلية إمرسون ومعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا. إنه ولد ذكي جداً». مثلما تعرف جيداً، لم يحتج أن يضيف هذا. «سيد سميث... هل تهتمّ حتى؟».

«ليس كثيراً»، قال سميث. أخرج علبة سجائر من جيب صدره. «هل تدخن؟».

هزّ تيم رأسه.

«نادراً ما أدخن أنا أيضاً»، قال السيد سميث، «لكنني أخضع لعلاج النطق بسبب لثغتي، وأسمح لنفسني بتدخين سيجارة كمكافأة عندما أتمكن من السيطرة عليها في المحادثات، خاصة الطويلة منها والحادّة، مثل محادثتنا الآن. هل لاحظت أنني ألثغ؟».

«لثغة خفيفة جداً».

أوما السيد سميث برأسه، مسروراً على ما يبدو، وأشعل سيجارَةً. كانت رائحتها في هواء الصباح البارد عذبة وعطيرة. رائحة يبدو أنها صُنعت لدولة التبغ، والتي لا تزال عليه هذه الدولة... ولو ليس في مزرعة كاتاوبا منذ ثمانينات القرن الماضي.

«آمل أن تكون متأكداً أنهم سيقون صامتين. وإذا تكلم أحدهم، ستكون هناك عواقب لخمستهم. رغم محرّك الأقراص الوامض الذي من المفترض أنه معكم. ليس كل... جماعتي... يصدّقون أنه موجود في الواقع».

ابتسم تيم دون أن يُظهر أسنانه. «من غير الحكمة لك... لجماعتك... اختبار هذه الفكرة».

«أفهم وجهة نظرك. لكنه سيظل من السيئ جداً أن يتكلم أولئك الأولاد عن مغامراتهم في غابات ماين. إذا كنت على تواصل مع السيد آيلز والآنسة سيمز، قد تريد تمرير هذه الفكرة إليهما. أو ربما يستطيع ويلهولم وبنسون وإليس التواصل معهم بطرق أخرى».

«هل تتكلم عن التخاطر؟ لا تتكل على ذلك لأنه يعود إلى ما كان عليه قبل أن اختطفتهم جماعتك. الشيء نفسه مع التحريك العقلي». كان يُخبر سميث ما أخبره إياه الأولاد، لكن تيم لم يكن متأكداً كلياً أنه يصدّق ذلك. كل ما يعرفه بشكل مؤكد هو أن تلك الهمهمة المريعة لم تُعد أبداً. «كيف تسنّرت على المسألة يا سميث؟ لديّ فضول بمعرفة ذلك».

«لن أشيع لك فضولك»، قال الرجل الأشقر. «لكنني سأخبرك أن المنشأة في ماين لم تكن الشيء الوحيد الذي لفت انتباهنا. كان هناك عشرون معهداً آخر في أجزاء أخرى من العالم، وكلها لم تعد تعمل. صمّد اثنان منها - في دول الطاعة فيها تُطبع في أذهان الأولاد منذ الولادة تقريباً - لحوالي ستة أسابيع، ثم شهدا حالات انتحار جماعية».

حالات انتحار جماعية أم قتل جماعية؟ تساءل تيم، لكن هذا ليس موضوعاً أراد أن يطرحه. فكلما تخلص من هذا الرجل بشكل أسرع، كلما كان ذلك أفضل.

«الفتى إليس - بمساعدتك، لولا مساعدتك بالأحرى - قضى علينا. هذا يبدو ميلودرامياً بلا شك، لكنه الحقيقة».

«هل تعتقد أنني أكثر؟»، سأل تيم. «كنتم تقتلون الأولاد. ستذهبون إلى الجحيم كلكم».

«بينما أنت واثق يا سيد جايميسون أنك ستذهب إلى السماوات. من يدري، قد تكون محقاً. فمن يستحق ذلك أكثر من رجل هرع لإنقاذ أطفال عُزّل؟ إذا أردت أن أقتبس من الحكيم العظيم فسأقول إنك سئسامح لأنك لم تكن تدري ماذا كنت تفعل». رمى سيجارته جانباً. «لكنني سأخبرك. هذا ما أتيت من أجله، بموافقة أقراني. بفضلك وبفضل إليس، العالم الآن تحت المراقبة لمنع من الانتحار». لم يلبث هذه المرة.

لم يقل تيم شيئاً، بل انتظر فحسب.

«أول معهد، رغم أنه لم يكن يدعى هكذا، كان في ألمانيا النازية».

«لماذا هذا لا يفاجئني؟»، قال تيم.

«لماذا هذه السرعة في الحُكم؟ لقد بدأ النازيون العمل على تحقيق الانشطار النووي قبل أميركا. كما أنشأوا مضادات حيوية لا تزال تُستخدم هذه الأيام. وابتكروا علم الصواريخ العصري تقريباً. كان بعض العلماء الألمان يُجرون اختباراتٍ على الإدراك فوق الحسّي، بدعم كبير من هتلر، واكتشفوا، بالصدفة تقريباً، أن عدداً من الأولاد الموهوبين قادرون على جعل بعض الأشخاص المزعجين - يمكنك وصفهم بعقبات في طريق التقدّم - يتوقفون عن أن يكونوا مزعجين. استُنفد أولئك الأولاد بحلول العام 1944، لأنه لم تكن هناك أي طريقة مؤكّدة، أو أي طريقة علمية، لإيجاد بدائل بعد أن يصبحوا، بتعايير المعهد، موتى دماغياً. ولم يظهر الاختبار الأكثر فائدةً لاكتشاف القدرة النفسانية المستترة إلا لاحقاً. هل تعرف ما كان ذلك الاختبار؟».

«الجين BDNF. عامل التغذية العصبية المستمد من الدماغ. هذا ما قاله لوك».

«نعم، إنه ولد ذكي. ذكي جداً. يتمني جميع المعنيين الآن لو أنهم تركوه وشأنه. لم يكن مستوى جينه BDNF مرتفعاً جداً حتى».

«أتخيّل أن لوك يتمني أيضاً لو أنهم تركوه وشأنه. وتركوا والدَيه وشأنهما. لماذا لا تختصر الآن وتقول ما كنت تنوي قوله».

«حسناً. عُقدت مؤتمرات قبل انتهاء الحرب العالمية الثانية وبعد انتهائها. إذا كنت تتذكر أياً من تاريخ القرن العشرين، فستعرف عن بعضها».

«أعرف عن بالطا»، قال تيم. «التقى روزفلت وتشريشل وستالين ليقسّموا العالم مبدئياً».

«نعم، هذا هو المؤتمر الشهير، لكن أهم اجتماع عُقد في ريو دي جانيرو، ولم تشارك فيه أي حكومة... إلا إذا كنت تريد اعتبار الذين اجتمعوا - وأخلافهم على مرّ السنوات - نوعاً من حكومة ظل. كانوا يعرفون - كنا نعرف - عن الأولاد الألمان، وقرروا إيجاد المزيد منهم. بحلول العام 1950، فهمنا فائدة الجين BDNF. فأقيمت معاهد، الواحد تلو الآخر، في أماكن معزولة. حُسّنت الأساليب. لا تزال تعمل منذ أكثر من سبعين سنة، وبمقاييسنا، أنقذت العالم من محرقة نووية أكثر من خمسمئة مرة».

«هذا مضحك»، قال تيم بقسوة. «هذه نكتة».

«لا ليس مضحكاً. دعني أعطيك مثلاً. عندما ثار الأولاد في المعهد الذي في ماين - وهي ثورة انتشرت كفيروس إلى كل المعاهد الأخرى - كانوا قد بدأوا العمل لجعل واعظٍ يدعى پول وسْتِن ينتحر. بفضل لوك إليس، لا يزال ذلك الرجل حيّاً. وبعد عشر سنوات من الآن، سيصبح من أعزّ أصدقاء رجل متخشّع سيصبح وزير دفاع أميركا. وسْتِن سيُقنع الوزير أن الحرب وشيكة، والوزير سيُقنع الرئيس، وهذا سيؤدي في نهاية المطاف إلى توجيه ضربة نووية استباقية. قنبلة واحدة فقط، لكن يمكنها جعل كل أحجار الدومينو تبدأ بالسقوط. هذا الجزء يتخطى نطاق توقّعاتنا».

«لا يمكنك أن تعرف شيئاً كهذا على الإطلاق».

«كيف تعتقد أننا نختار أهدافنا يا سيد جايميسون؟ بالقرعة؟».

«أفترض بالتخاطر».

بدا السيد سميث مثل أستاذٍ صبورٍ مع تلميذٍ بطيء الفهم. «أصحاب الـ تع يحزّكون الأشياء وأصحاب الـ تخ يقرأون الأفكار، لكن كليهما غير قادر على قراءة المستقبل». أخرج علبة سجائره مرة أخرى. «متأكد أنك لا تريد واحدة؟».

هرّ تيم رأسه.

أشعل سميث سيجارةً. «الأولاد أمثال لوك إليس وكاليشا بنسون نادرون، لكن هناك أشخاصاً آخرين أندزّ منهما حتى. نفيسون أكثر من أي معدن نفيس. وأفضل شيء لديهم؟ مواهبهم لا تخبو مع العمر أو تدمّر لهم عقولهم».

لمحّ تيم حركةً بطرف عينه فاستدار. لقد اجتاز لوك الممر الخاص. وإلى الأعلى أكثر على التلة، وقفت أني لوڊو رافعةً بندقية صيد على ذراعها، وعلى جانبها كاليشا ونيكي. لم ير سميث أيّاً منهم بعد؛ فقد كان يحدّق بالمدى الضبابي إلى بلدة دويراي الصغيرة والسكك الحديدية المتألقة التي تخرقها.

تُمضي أني معظم وقتها الآن في تلة كاتاوبا. كانت مفتونة بالأولاد، وبدوا أنهم يستمتعون بذلك. أشار إليها تيم ثم ربّت الهواء بيده: ابقني مكانك. أومات برأسها ووقفت أرضها تراقب. كان سميث لا يزال يتأمل المنظر الخلاب جداً.

«لنفترض أن هناك معهداً آخر - واحداً صغيراً جداً، واحداً مميزاً جداً كل شيء فيه من الصنف الأحدث والأفخر. لا كمبيوترات قديمة أو بنية تحتية متداعية. ويقع في مكان آمن بالكامل. تتواجد معاهد أخرى في ما اعتبرناه منطقة معادية، لكن ليس ذلك المعهد. لا توجد مسدّسات صاعقة، لا حُقن، لا عقوبات. وليس هناك داعٍ لتعريض مقيمي ذلك المعهد المميّز لخبرات الاحتضار مثل خزان الغمر بقصد المساعدة على إطلاق العنان لقدراتهم الدفينة.

«لنفترض أنه في سويسرا. قد لا يكون هناك، لكن هذا سيفي بالغرض. يقع على أرض محايدة، لأن لعدة دول مصلحة في صيانتها وتمكينه من مواصلة عمله بشكل سلس. عدد كبير من الدول. يوجد حالياً ستة ضيوف مميّزين جداً في ذلك المكان. لم يعودوا أولاداً؛ خلافاً لأصحاب الـ تخ والـ تع في المعاهد المختلفة، مواهبهم لا تضعف وتختفي في أواخر مراهقتهم وأوائل عشريناتهم. اثنان من أولئك الأشخاص كبيران جداً في السن في الواقع. مستوى الجين BDNF لديهم غير مرتبط بمواهبهم المميّزة جداً؛ إنهم فريدون من نوعهم بهذا المعنى، ومن الصعب جداً إيجادهم. كنا نبحث عن بدائل باستمرار، لكن تم تعليق ذلك البحث الآن، لأنه بالكاد يبدو ضرورياً».

«من هم أولئك الأشخاص؟».

«مستبصرون»، قال لوك.

استدار سميث جافلاً. «آه، مرحباً يا لوك». ابتسم، لكنه تراجع خطوة إلى الوراء في الوقت نفسه. هل شَعَرَ بالخوف؟ اعتقد تيم ذلك. «مستبصرون بالضبط».

«عما تتكلّم؟»، سأل تيم.

«الاستبصار»، قال لوك. «أشخاص يستطيعون رؤية المستقبل».

«أنت تمزح، صح؟».

«لا أنا ولا هو»، قال سميث. «يمكنك تسمية أولئك الستة خط إنذارنا المبكر البعيد - هذا تعبير بائد من الحرب الباردة. أو إذا كنت تريد أن تكون أكثر حداثة، إنهم مسيرتنا، يطيرون إلى المستقبل ويحدّدون الأماكن التي ستندلع فيها حرائق هائلة. نركّز فقط على منع الكبير منها. وقد صمّد العالم لأننا كنا قادرين على أخذ تلك التدابير الاستباقية. لقد مات آلاف الأولاد في هذه

العملية، لكن تم إنقاذ مليارات الأولاد». استدار إلى لوك وابتسم. «بالطبع أنت تفهم - إنه استنتاج بسيط كفاية. أعلم أنك نابغة في الرياضيات أيضاً، وأنا أكيد أنك ترى نسبة الكلفة إلى الفائدة. قد لا يعجبك هذا، لكنك تفهمه».

استأنفت آني ومعاونها اليافعان نزول التلة، لكن تيم لم يتكبد هذه المرة عناء التأشير لهم ليتراجعوا. فقد كان مذهولاً جداً مما سمعه.

«يمكنني تصديق التخاطر، ويمكنني تصديق التحريك العقلي، لكن الاستبصار؟ هذا ليس علماً، هذا كلام فارغ!».

«أؤكد لك أنه ليس كذلك»، قال سميث. «مستبصرونا يعثرون على الأهداف. ويقضي عليهم أصحاب الـ تع والـ تخ بعد أن يعملوا جماعياً ليزيدوا طاقتهم».

«الاستبصار موجود يا تيم»، قال لوك بهدوء. «عرّفت أنه لا شك الاستبصار حتى قبل أن أهرب من المعهد. أنا متأكد تماماً أن أيغيري عرّف ذلك أيضاً. لا شيء آخر يفسّر الأمر. بدأت أقرأ عنه منذ أن وصلنا إلى هنا، كل شيء أمكنني إيجاده. الإحصائيات غير قابلة للجدل تقريباً».

انضمت كاليشا ونيكي إلى لوك. راحا ينظران بفضول إلى الرجل الأشقر الذي سمى نفسه بيل سميث، لكن أياً منهما لم يتكلم. وقفت آني خلفهم. كانت ترتدي شالها السيرابي، رغم أن اليوم دافئ، وبدت أشبه بمسح مكيكي أكثر من أي وقت مضى. بدت عيناها ساطعتين ومُدركتين. لقد غيرها الأولاد. لم يظن تيم أن طاقتهم هي السبب؛ فهي تسبب عكس التحسين على المدى البعيد. اعتقد أنها المصادقة فحسب، أو ربما حقيقة أن الأولاد تقبلوها مثلما هي بالضبط. مهما يكن السبب، شَعَرَ بالسرور لها.

«أترى؟»، قال سميث. «لقد أكدّه لك مقيمك العبقري. مستبصرونا الستة - كانوا ثمانية في وقت من الأوقات، وذات مرة، في السبعينات، كانوا مجرد أربعة، وتلك كانت فترة مخيفة جداً - يبحثون باستمرار عن أفرادٍ معيّنين نسميهم مِفصّلات. إنهم النقاط المحورية التي قد يدور عليها باب الانقراض البشري. المِفصّلات ليسوا عوامل تدمير، بل مٌتجهيات تدمير. كان وستن أحد تلك المِفصّلات. بعدما يُكتشفون، نحقق بأمرهم، بخلفياتهم، نراقبهم، نصوّرهم بالفيديو. ثم يُسلمون في نهاية المطاف إلى أولاد مختلف المعاهد، الذين يقضون عليهم، بطريقة أو بأخرى».

كان تيم يهزّ رأسه. «لا أصدّق».

«مثلما قال لوك، الإحصائيات -»

«لا تستطيع الإحصائيات أن تبرهن شيئاً. لا أحد يستطيع رؤية المستقبل. إذا كنت وأقرانك تصدِّقون هذا حقاً، فأنتم لستم منظمة، أنتم جماعة أصولية».

«لديّ عمّة يمكنها رؤية المستقبل»، قالت آني فجأة. «منعت أولادها من الخروج ذات ليلة عندما أرادوا الذهاب إلى مقصفي، ووقع انفجار بسبب تسرّب غازي. احترق عشرون شخصاً مثل فئران في مدخنة، لكن أولادها بقوا آمنين في المنزل». سكتت قليلاً، ثم أضافت، كأن فكرة خطرت ببالها للتو، «عرّفت أيضاً أن ترومان سيُنتخب رئيساً، ولا أحد صدّق ذلك الهراء».

«هل عرّفت عن ترامب؟»، سألت كاليشا.

«آه، لقد ماتت قبل مدة طويلة من انتخاب ذلك الأحمق»، قالت آني، وعندما رَفَعَت لها كاليشا راحة يدها، خبطتها آني بذكاء.

تجاهل سميث المقاطعة. «العالم لا يزال هنا يا تيم. هذه ليست إحصائية، إنها حقيقة. سبعون سنة بعد محو هيروشيما وناغازاكي عن الخارطة بقنبلتين ذريّتين، لا يزال العالم هنا رغم أن دولاً عديدة تملك أسلحة ذريّة، ورغم أن المشاعر البشرية البدائية لا تزال تتحكم بالفكر المنطقي، ولا تزال المعتقدات الخرافية توجّه مسار السياسات البشرية. لماذا؟ لأننا حميناها، والآن زالت تلك الحماية. هذا ما فعله لوك إليس، وما شاركت أنت في صنعه».

نظّر تيم إلى لوك. «هل تصدِّق هذا؟».

«لا»، قال لوك. «وهو أيضاً لا يصدِّقه، على الأقل ليس بالكامل».

رغم أن تيم لم يعرف ذلك، إلا أن لوك كان يفكّر بالفتاة التي سألته عن سؤال الرياضيات في اختبار السات، السؤال المتعلق بكلفة غرفة فندق هارون. لقد أجابت عليه إجابةً خاطئةً، وهذا كان الشيء نفسه، لكن بمقياس أكبر بكثير؛ الجواب الخاطئ ينبع من معادلة معيوبة.

«أنا متأكد أنك ترغب بتصديق ذلك»، قال سميث.

«آني محقّة»، قال لوك. «هناك حقاً أشخاص يملكون ومضات استبصار، وربما عمّتها كانت أحدهم. رغم ما يقوله هذا الرجل، وقد يصدِّقه في الواقع، إلا أنها ليست نادرة مثلما يعتقد. أنت حتى ربما تراءت لك مرةً أو مرتين يا تيم، لكنك تسمّيها على الأرجح شيئاً آخر. غريزة، ربما».

«أو حدّس»، قال نيكى. «في البرامج التلفزيونية، ينتاب رجال الشرطة حدّسٌ دائماً».

«البرامج التلفزيونية ليست الحياة»، قال تيم، لكنه كان يفكّر أيضاً بشيء من الماضي: قراره الفجائي، بلا أي سبب حقيقي، بالنزول من طائرة والسفر مجاناً في سيارات الآخرين شمالاً بدلاً من ذلك.

«هذا مؤسف جداً»، قالت كاليشا. «أحبّ البرنامج ريفردايل».

«كلمة ومضة تُستخدَم مراراً وتكراراً في القصص عن تلك الأشياء»، قال لوك، «لأن هذا ما تبدو عليه، شيء يشبه البرق. أنا أصدّق هذا، وأصدّق أنه ربما يوجد أشخاص يستطيعون تسخيرها».

رفع سميث يديه في إيماة ما أقوله بالضبط. «ها قد سمعتم بأنفسكم». إلا أنه قالها ثمّعتم بأنفثكم. لقد عادت اللثغة إلى الظهور. وجَد تيم هذا مثيراً للاهتمام.

«إلا أن هناك شيئاً لا يُخبركم إياه»، قال لوك. «على الأرجح لأنه لا يحبّذ أن يقوله لنفسه. لا أحد منهم يحبّذ ذلك. تماماً مثلما لم يحبّذ جنرالنا إخبار أنفسهم أنه لم تكن هناك أي طريقة للنصر في حرب فييتنام، حتى بعدما أصبح ذلك واضحاً لهم».

«ليست لديّ أي فكرة عما تتكلّم»، قال سميث.

«بلى»، قالت كاليشا.

«بلى»، قال نيكى.

«من الأفضل لك أن تعترف يا سيد»، قالت آني اليتيمة. «هؤلاء الأشقياء يقرأون أفكارك. هذا يدغدغ، أليس كذلك؟».

استدار لوك إلى تيم. «كنتُ متأكداً ذات مرة أن الاستبصار بلا شكّ هو الذي يقود هذا، وتمكّنُ من الوصول إلى كمبيوتر حقيقي -»

«يقصد كمبيوتراً لا تحتاج إلى فيّش لكي تستخدمه»، قالت كاليشا.

نكّزها لوك. «اصمتي لدقيقة رجاءً».

ابتسم نيكى. «احذري يا شا، بدأ لوكي يفقد أعصابه».

ضحكت. على عكس سميث. لقد فقدَ سيطرته على هذه المحادثة بعد وصول لوك وصديقيه، وقد أظهرَ تعبيره - فم مشدود، حاجبان منقبضان - أنه لم يكن معتاداً على ذلك.

«بعدما تمكّنتُ من الوصول إلى كمبيوتر حقيقي»، استأنف لوك، «أجريتُ توزيع برنولي. هل تعرف ما هو هذا يا سيد سميث؟».

هزَّ الرجل الأشقر رأسه.

«لكنه يعرف»، قالت كاليشا بعينين مرحتين.

«صحيح»، وافق نيكي. «ولا يعجبه. هذا التوزيع ليس صديقه».

«توزيع برنولي هو طريقة دقيقة للتعبير عن احتمال»، قال لوك. «إنه يرتكز على فكرة أن هناك نتيجتين محتملتين لبعض الأحداث التجريبية، مثل نقف عملة معدنية أو الفوز في مباريات كرة السلة. يمكن التعبير عن النتائج ك p للنتيجة الإيجابية و n للنتيجة السلبية. لن أضجركم بالتفاصيل، لكنكم تحصلون في النهاية على نتيجة بوليانية تعبّر بوضوح عن الفرق بين الأحداث العشوائية وغير العشوائية».

«أجل، لا تُضجرونا بالأمور السهلة»، قال نيكي، «ادخل صُلب الموضوع فوراً».

«نقف العملة المعدنية عملية عشوائية. نتائج مباريات كرة السلة تبدو عشوائية إذا أخذت عيّنة صغيرة، لكن إذا أخذت عيّنة أكبر، يصبح واضحاً أنها ليست كذلك، لأن هناك دوراً لعوامل أخرى. عندها تصبح الحالة احتمالية، وإذا كان الاحتمال أكبر من الاحتمال ب، فإن الاحتمال أ سيحصل في معظم الحالات. ستعرف هذا إن راهنت على حدث رياضي في يوم من الأيام، صح؟».

«بالتأكيد»، قال تيم. «يمكنك إيجاد الاحتمالات وعلى الأرجح امتداد الرهان في الصحيفة اليومية».

أوما لوك برأسه. «المسألة بسيطة جداً في الواقع، وعندما تطبّق برنولي على إحصائيات الاستبصار، يظهر لك مِيلٌ مثيرٌ للاهتمام. آني، بعد كم من الزمن شبّ الحريق بعد أن تلقت عمّتك موجتها الدماغية بشأن إبقاء أولادها في المنزل؟».

«في الليلة نفسها»، قالت آني.

بدا لوك مسروراً. «وهذا يجعله مثلاً مثالياً. توزيع برنولي الذي أجرته يظهر أن الومضات الاستبصارية - أو الرؤى، إذا كنتم تفضلون هذه الكلمة - تميل إلى أن تكون أدق عندما تفصلها ساعات فقط عن الحدث المتوقع. وعندما تصبح المدة بين التوقع والحدث المتوقع أطول، يبدأ احتمال حصول التوقع بالانخفاض. وعندما تصبح المدة بالأسابيع، يسقط التوقع تقريباً من الجدول و p تصبح n».«

رَكَز انتباهه على الرجل الأشقر.

«أنت تعرف هذا، والأشخاص الذين تعمل معهم يعرفونه. لقد عرفوه منذ سنوات. منذ عقود، في الواقع. لا شك أنهم عرفوه. كل عاشق للرياضيات لديه كمبيوتر يمكنه إجراء توزيع برنولي. ربما لم يكن هذا واضحاً لكم عندما بدأت هذا الشيء في أواخر الأربعينات أو أوائل الخمسينات، لكن لا بد أنكم عرفتم في الثمانينات. وعلى الأرجح في الستينات.»

هَرَّ سميث رأسه. «أنت ذكي جداً يا لوك، لكنك لا تزال مجرد ولد، والأولاد ينغمسون في التفكير العجيب - يحترقون الحقيقة إلى أن تتوافق مع ما يتمنونه. هل تعتقد أننا لم نُجرِ اختبارات لنبرهن القدرات المستبصرة لمجموعتنا؟»

أصبحت لثغته تزداد سوءاً شيئاً فشيئاً.

«نُجري اختبارات جديدة كلما أضفنا مستبصراً جديداً. فيُكلّفون بتوقع سلسلة أحداث عشوائية مثل الوصول المتأخر لبعض الطائرات... أحداث إخبارية مثل وفاة توم بيتي... التصويت على مشروع البريكسيت... حتى المركبات التي تمرّ عبر بعض التقاطعات. هذا سجل نجاحاتٍ - نجاحاتٍ مسجّلةٍ - يعود تاريخه إلى ثلاثة أرباع قرنٍ تقريباً!»

نجاحاتٍ مسجّلةٍ.

«لكن اختباراتك تركز دائماً على أحداثٍ ستحصل قريباً»، قالت كاليشا. «لا تتكبد عناء إنكار هذا، إنه في ذهنك مثل لافتة نيون. كما أنه منطقي أيضاً. فما فائدة أي اختبارٍ عندما لا يمكنك تصنيف النتائج لخمس أو عشر سنوات؟»

أمسكت يد نيكى. تراجع لوك إليهما وأمسك يد كاليشا. واستطاع تيم الآن سماع تلك المهمة مرة أخرى. كانت منخفضة، لكنها موجودة.

«كان النائب بيركوفيتس تماماً حيث قال مستبصرون إنه سيكون يوم وفاته»، قال سميث، «وقد توقّعوا ذلك التوقّع قبل سنة كاملة».

«حسناً»، قال لوك، «لكنكم استهدفتهم أشخاصاً - پول وستن، مثلاً - بناءً على توقّعات عما سيجري بعد عشر أو عشرين أو حتى خمس وعشرين سنة. تعرفون أنها توقّعات غير موثوقة، وتعرفون أن أي شيء يمكن أن يحصل يغيّر الأشخاص والأحداث التي سيكونون جزءاً منها إلى اتجاه مختلف، شيء مبتدل مثل عدم الردّ على مكالمة هاتفية، لكنكم أكملتكم في جميع الأحوال».

«لنفترض أنك محقّ»، قال سميث. «لكن أليسَ درهم وقاية خير من قنطار علاج؟». أليث. «فكر بالتوقّعات التي تبيّنت صحتّها، ثم فكر بالعواقب الممكنة لعدم فعل أي شيء!».

عادت أني دورة، وربما حتى دورتين. «كيف يمكنك أن تكون أكيداً أن التوقّعات ستصحّ إذا قتلتم الأشخاص الذين تتعلق بهم؟ لا أفهم هذا».

«هو لا يفهمه أيضاً»، قال لوك، «لكن لا يمكنه تحمّل فكرة أن كل عمليات القتل التي قاموا بها كانت بلا سبب وجيه. لا أحد منهم يمكنه ذلك».

«اضطررنا إلى تدمير القرية لكي نُنقذها»، قال تيم. «ألم يقل أحدهم هذا عن فييتنام؟».

«إذا كنتَ تقترح أن مستبصرينا كانوا يضلّلوننا، يختلقون أموراً -»

«هل يمكنك أن تكون أكيداً أنهم لم يفعلوا ذلك؟»، قابله لوك. «ربما ليس حتى عن وعي، لكن... إنهم يعيشون حياة مريحة هناك، أليس كذلك؟ حياة رعيّة. ليست مثل حياتنا في المعهد. وربما توقّعاتهم أصيلة في اللحظة التي تتراءى لهم. لكنها لا تزال لا تأخذ عوامل عشوائية بعين الاعتبار».

«أو مشيئة السماوات»، قالت كاليشا فجأة.

سميث - الذي كان يلعب دور محدّد الأقدار منذ زمن لا أحد يعلمه - ابتسم ابتسامة تهكمية لهذا.

قال لوك، «تفهم ماذا أقول، أعرف أنك تفهمه. هناك متغيّرات عديدة».

بقي سميث صامتاً للحظة ينظر إلى الأفق. ثم قال، «نعم، لدينا متخصصون في الرياضيات، ونعم، دُكر توزيع برنولي في التقارير والمناقشات. منذ سنوات الآن، في الواقع. لذا لنفترض أنك محقّ. لنفترض أن شبكة معاهدنا

لم تنقذ العالم من الدمار النووي خمسمئة مرة. لنفترض أنها كانت خمسين مرة فقط؟ أو خمس مرات؟ ألا يزال هذا يستحق الجهد؟».

بهدوء تام، قال تيم، «لا».

حدّق به سميث كما لو أنه مجنون. «لا؟ تقول لا؟».

«الأشخاص العاقلون لا يضحّون بأولادٍ بناءً على احتمالات. هذا ليس علماءً، إنه معتقدات خرافية. والآن أعتقد أنه حان الوقت لكي ترحل».

«سُعيد بناء البرنامج»، قال سميث. «إذا كان هناك وقت طبعاً، بما أن العالم يتدهور نزولاً مثل سيارة متهالكة بلا مقوّد لتوجيهها. أتيتُ أيضاً لأخبركم هذا، ولأحدركم. لا مقابلات. لا مقالات. لا منشورات على فايسبوك أو تويتر. هكذا روايات ستثير سخرية معظم الناس، على أي حال، لكن يمكننا أن نأخذها على محمل الجد كثيراً. إذا كنتم تريدون ضمان استمرار حياتكم، إلتزموا الصمت».

راحت المهمة تزداد سخباً، وعندما أخرج سميث علبة سجائره من جيب قميصه، كانت يده ترتعش. الرجل الذي ترجّل من الشيفروليه الرتيبة كان واثقاً من نفسه ويشعر أنه في سدّة المسؤولية. معتاد على إصدار الأوامر وبراها تُنفذ في أسرع وقت ممكن. أما الواقف هنا الآن، صاحب اللثغة الثقيلة وبُقع العرق المتسللة من تحت إبطي قميصه، فلم يكن ذلك الرجل.

«أظن أنه من الأفضل لك أن ترحل يا بُنيّ»، نصّحته آني بهدوء تام. وربما حتى بلطف.

سقطت علبة السجائر من يد سميث. عندما انحنى ليلتقطها، انزلقت بعيداً رغم أنه لم تكن هناك رياح.

«التدخين ضار»، قال لوك. «لست بحاجة إلى مستبصر ليُخبرك ماذا سيحصل إن لم تُقلع عنه».

بدأت مساحات زجاج ماليبو الأمامي تعمل. وأضيات أضواؤها.

«إرحل»، قال تيم. «طالما لا يزال بإمكانك الرحيل. أنت حانق من مسار الأمور، أفهم ذلك، لكن ليست لديك أي فكرة عن درجة حنق هؤلاء الأولاد. كانوا في موقع الحدث».

ذهب سميث إلى سيارته وفتح الباب. ثم وجّه إصبعاً نحو لوك. «صدّق ما تشاء»، قال. «كلنا نفعل ذلك يا سيد إيس اليافع. ستكتشف ذلك بنفسك في الوقت المناسب. وبعد فوات الأوان».

قاد سيارته مبتعداً، وأثارت عجلاتها الخلفية سحابة غبار تطايرت نحو تيم والآخرين... ثم انحرفت عنهم، كما لو أنها أبعدت بفعل نفخة ريح لا أحد منهم استطاع الشعور بها.

ابتسم لوك وقد شَعَرَ أنه كان بإمكان جورج القيام بأفضل من ذلك.

«ربما كان من الأفضل أن تتخلّص منه»، قالت آني بنبرة واقعية. «هناك مساحات كبيرة لجثّة في ذلك الطرف البعيد للحديقة».

تنهّد لوك وهزّ رأسه. «هناك آخرون غيره. إنه فقط الرجل في مقدمة الدورية».

«بالإضافة إلى ذلك»، قالت كاليشا، «هذا سيجعلنا نصبح مثلهم».

«ومع ذلك»، قال نيكي بنبرة حالمة. لم يقل المزيد، لكن تيم لم يحتج إلى أن يكون قارئ أفكار ليدرك بقية فكرته: كان يمكن أن يكون ذلك لطيفاً.

2

توقّع تيم أن تعود ويندي من كولومبيا على العشاء، لكنها اتصلت به وقالت إنها مضطرة أن تبقى هناك. فقد تم تحديد اجتماع آخر أيضاً عن مستقبل فرض القانون في مقاطعة فيرلي في الصباح التالي.

«يا للهول، ألن ينتهي هذا أبداً؟»، سأل تيم.

«أنا متأكدة تماماً أنه سيكون آخر اجتماع. الوضع معقّد، مثلما تعرف، والبيروقراطية تجعل كل شيء أسوأ. كل شيء بخير عندك؟».

«كل شيء على ما يرام»، قال تيم، وأمل أن تكون هذه هي الحقيقة.

أعدّ وعاءً كبيراً من المعكرونة للعشاء؛ وحصّر لوك صلصة بولونيز؛ وتعاونت كاليشا ونيكي على تحضير سلطة. اختفت آني، مثلما تفعل في أغلب الأحيان.

أكلوا جيداً. جرت أحاديث جيدة، وكمية معقولة من الضحك. ثم أثناء عودة تيم مُحضراً قالب حلوى بيبيريدج فارم من البرّاد، وقد حمله عالياً مثل نادل في أوبرا هزلية، رأى أن كاليشا تبكي، وقد وضع كلُّ من نيك ولوك ذراعاً حولها، لكنهما لم يقولا أي كلمات مواسية (على الأقل كلمات لم يستطع تيم سماعها). بدوا غارقين في تفكير عميق، استبطائيين. معها، لكن ليس معها بالكامل على الأرجح؛ ربما تاها في همومهما الشخصية.

وضع تيم قالب الحلوى على الطاولة. «ما الخطب يا ك؟ أنا متأكد أنهما يعرفان، لكنني لا أعرف. لذا ساعدي أخاً لك».

«ماذا لو كان محقاً؟ ماذا لو كان ذلك الرجل محقاً ولوك مخطئاً؟ ماذا لو أن العالم سينتهي في ثلاث سنوات... أو ثلاثة أشهر... لأننا لسنا هناك لحمايته؟».

«لستُ مخطئاً»، قال لوك. «لديهم علماء رياضيات، لكنني أفضل منهم. هذا ليس تفاخراً إذا كان الحقيقة. وماذا قال عني؟ ذلك الشيء بشأن التفكير العجيب؟ هذا ينطبق عليهم أيضاً. لا يمكنهم تحمّل فكرة أنهم مخطئون».

«لست أكيداً!»، صاحت. «يمكنني سماع ذلك في ذهنك يا لوكي، لا تزال غير أكيد!».

لم ينكر لوك ذلك، بل اكتفى بالتحديق بطبقه.

رفعت كاليشا نظرها إلى تيم. «ماذا لو كانوا محقّين مرةً واحدةً فقط؟ عندها ستكون تلك مسؤوليتنا!».

تردّد تيم. لم يشأ التفكير أن ما سيقوله لهذه الفتاة قد يكون له تأثير كبير على طريقة عيشها بقية حياتها، لم يرغب تحمّل تلك المسؤولية بأي شكل من الأشكال، لكنه خشي أنه يتحمّلها على أي حال. الفتيان يستمعان أيضاً. يستمعان وينتظران. لا يملك قدرات نفسانية، لكن هناك طاقة واحدة يملكها: إنه الناضج بينهم. الراشد. أرادوه أن يُخبرهم أنه لا يوجد وحشٌ تحت السرير.

«إنها ليست مسؤوليتك. ليست مسؤولية أي واحد منكم. لم يأت ذلك الرجل ليحذركم بأن تلزموا الصمت، بل أتى ليسمّم حياتكم. لا تدعيه ينجح في ذلك يا كاليشا. لا يدعه أيُّ واحد منكم ينجح. كجنس بشري، نحن مجبولون لنفعل شيئاً واحداً قبل كل الأشياء الأخرى، وقد فعلتموه أيها الأولاد».

مدَّ يديه ومسح الدموع عن خدي كاليشا.

«لقد بقيتم على قيد الحياة. استخدمتم حبكم ودهاءكم، وبقيتم على قيد الحياة. الآن هيا نأكل بعض الحلوى.»

3

حلَّ يوم الجمعة، وكان دور نيك أن يرحل.

وقَّف تيم وويندي مع لوك يشاهدون نيكي وكاليشا يسيران على الممر الخاص وهما يحتضان بعضهما البعض. ستوصله ويندي إلى محطة الحافلات في برانزويك، لكن الثلاثة الواقفين في الأعلى هناك فهموا أن هذين الاثنين يحتاجان إلى - ويستحقان - بعض الوقت على انفراد أولاً. كيودِّعا بعضهما.

«هيا نستعرض الأمر مرة أخرى»، كان تيم قد قال قبل ساعة، عقب انتهاء غداءٍ لم يتناول نيكي أو كاليشا الكثير منه. خرج تيم ونيكي إلى الشرفة الخلفية بينما غسل لوك وكاليشا الأطباق القليلة.

«لا داعي»، قال نيكي. «لقد فهمته يا رجل. حقاً.»

«من باب الاحتياط»، قال تيم. «هذا مهم. برانزويك إلى شيكاغو، صح؟»

«صح. تنطلق الحافلة عند الساعة والرُّبع هذه الليلة.»

«مع مَنْ تتكلم في الحافلة؟»

«لا أحد. ولا ألفت أي انتباه.»

«وعندما تصل إلى هناك؟»

«أتصل بعمِّي فُرد من الرصيف البحري نيفي بير. لأن هذا هو المكان الذي أنزلني فيه الخاطفون. نفس المكان الذي أنزلوا فيه جورج وهيلين.»

«لكنك لا تعرف هذا.»

«لا، لا أعرفه.»

«هل تعرف جورج وهيلين؟»

«لم أسمع بهما أبداً».

«ومَن هم الأشخاص الذين اختطفوك؟».

«لا أعرف».

«ماذا أرادوا؟».

«لا أعرف. إنه لغز. لم يتحرّشوا بي، لم يسألوني أي أسئلة، لم أسمع أي أولاد آخرين، لا أعرف شيئاً. عندما يستجوبني رجال الشرطة، لا أضيف أي شيء».

«هذا صحيح».

«في نهاية المطاف سيبأس رجال الشرطة وأواصل رحلتي إلى نيفادا وأعيش في تبات ونبات مع عمّتي وعمّي وبوبي». بوبي هو أخ نيك، الذي كان يبيت ليلته في منزل صديق له ليلة اختطاف نيك.

«وعندما تعرف أن والدَيْك ماتا؟».

«أنصدم. ولا تقلق، سأبكي. لن يكون ذلك صعباً. ولن تكون دموعاً وهمية. ثِق بي في هذا. هل انتهينا؟».

«تقريباً. أولاً أرخ قبضتيك قليلاً. تلك التي عند طرفي ذراعيك وتلك التي في ذهنك. أعطِ العيش في تبات ونبات فرصة».

«هذا ليس سهلاً يا رجل». لمعت عينا نيكي من الدموع. «ليس سهلاً أبداً».

«أعرف»، قال تيم، وخاطر بعناقه.

لم يتجاوب نيك في البدء، ثم عاتقه بدوره. صعب. وجد تيم أنها بداية، وشعر أن الفتى سيكون بخير مهما طرح عليه رجال الشرطة من أسئلة، ومهما كثر روا له أن كلامه لا يبدو منطقياً.

جورج آيلز هو الولد الذي يقلق تيم بشأنه عندما تتعلق المسألة بإضافة بعض الأمور؛ فالولد ثرثار نموذجي ومنمّق بالفطرة. لكن تيم شعر - أمل - أنه أوصل الفكرة إلى جورج أخيراً؛ ما لا تعرفه يحميك. وما تضيفه قد يفضحك.

الآن كان نيك وكاليشا يتعانقان قرب صندوق البريد عند أسفل الممر الخاص، حيث ألقى السيد سميث اللوم بصوته الألتغ محاولاً زرع الشعور بالذنب لدى أولاد أرادوا فقط أن يبقوا على قيد الحياة.

«يحبُّها حقاً»، قال لوك.

نعم، فكّر تيم في سرّه، وأنت أيضاً.

لكن لوك ليس أول فتى يجد نفسه الدخيل في مثلث أحباب، ولن يكون الأخير. وهل أحباب هي الكلمة الصحيحة؟ لوك ذكي، لكنه فقط في الثانية عشرة أيضاً. ستزول ميشاعره تجاه كاليشا مثل حمى، رغم أن لا جدوى من إخباره ذلك. لكنه سيتذكرها، تماماً مثلما يتذكر تيم الفتاة التي كان مجنوناً بها في الثانية عشرة من عمره (كانت في السادسة عشرة، وتبعد عنه سنوات ضوئية). تماماً مثلما ستتذكر كاليشا نيكي، الفتى الوسيم الذي حارب.

«تحبُّك أيضاً»، قالت ويندي بلطف، وضغطت بخفة على الجهة الخلفية لعنق لوك المحترق من الشمس.

«ليس بنفس الطريقة»، قال لوك بتجهم، لكنه ابتسم عندها. «تياً، الحياة تستمر».

«من الأفضل أن تُحضري السيارة»، قال تيم لويندي. «تلك الحافلة لن تنتظر».

أحضرت السيارة. ركب لوك معها إلى صندوق البريد، ثم وقف مع كاليشا. لوجا بيديهما للسيارة المنطلقة. خرجت يد نيكي من النافذة ولوحت لهما بدورها. ثم اختفت السيارة. في جيب نيك الأمامي الأيمن - الجيب الذي سيكون أصعب على نشتال في محطة الحافلات سرقة - يوجد سبعون دولاراً نقداً وبطاقة هاتف. وفي حذائه يوجد مفتاح.

صعد لوك وكاليشا الممر الخاص معاً. في منتصف الطريق إلى هناك، وصّعت كاليشا يديها على وجهها وبدأت تبكي. بدأ تيم يعاود النزول، ثم وجد أنه من الأفضل ألا يفعل ذلك. هذه مهمة لوك. وقد أداها بأن وضع ذراعيه حولها. لأنها أطول منه، أسندت رأسها على رأسه وليس على كتفه.

سمع تيم المهمة، التي لم تتعد الآن همساً منخفضاً. كانا يتكلمان، لكن لا يمكنه سماع ما يقولانه، ولا بأس بذلك. فالكلام ليس موجهاً له.

بعد أسبوعين، جاء دور كاليشا لترحل، ليس إلى محطة الحافلات في برانزويك بل إلى تلك التي في غرينفيل. ستصل إلى شيكاغو في وقت متأخر من اليوم التالي، وتتصل بأختها في هيوستن من الرصيف البحري نيفي بير. أهدتها ويندي جزدانا مطرّزاً صغيراً. يوجد فيه سبعون دولاراً وبطاقة هاتف. وهناك مفتاح، مماثل لمفتاح نيكي، في إحدى فردتي حذاءها الرياضي. يمكن سرقة المال وبطاقة الهاتف؛ أما المفتاح فلا يمكن أبداً.

عانت تيم بقوة. «هذا شكرٌ لا يكفي لما فعلته، لكنني لا أملك أي شيء آخر».

«هذا كافٍ»، قال تيم.

«آمل ألا ينتهي العالم بسببنا».

«سأقول لك هذا للمرة الأخيرة يا شا - إذا ضغطَ أحدهم الزر الأحمر الكبير، فلن يكون أنت».

ابتسمت بفتور. «عندما كنا معاً في النهاية، كان لدينا زر أحمر كبير لإنهاء كل الأضرار الحمراء الكبيرة. وبدا جيداً أن أضغطه. هذا ما يقلقني. كم كان ذلك الشعور جيداً».

«لكن هذا انتهى».

«نعم. كل ذلك يزول، وهذا يسرّني. لا أحد يجب أن يملك هكذا قدرة، خاصة ليس أولاداً».

اعتقد تيم أن بعض الأشخاص الذين يمكنهم ضغط الزر الأحمر الكبير مجرد أولاد، في التفكير إن لم يكن في الجسم، لكنه لم يقل ذلك. كانت تواجه مستقبلاً مجهولاً وغير أكيد، وهذا مخيف كفاية.

استدارت كاليشا إلى لوك ومدّت يدها إلى جزدانها الجديد. «معي شيء لك. كان في جيبي عندما تركنا المعهد، ولم أدرك ذلك. أريدك أن تأخذه».

أعطته علبة سجائر متجعدّة على جبتها الأمامية صورة راعي بقر يلوح بأنشودة. وفوقها إسم الصنف، سجائر حلوى راوند أب. وتحتها جملة دخن مثل بابا تماماً!

«لم يبقَ إلا بضع سجائر»، قالت. «مكسورة وبالية على الأرجح أيضاً، لكن -»

بدأ لوك يبكي. كان دور كاليشا هذه المرة لتضع ذراعيها حوله.
«لا يا عزيزي»، قالت. «لا. رجاءً. هل تريد أن تكسر لي قلبي؟».

5

بعدما رحلت كاليشا وويندي، سأل تيم لوك إن كان يريد أن يلعب الشطرنج. هزَّ الفتى رأسه. «أعتقد أنني قد أخرج إلى الجهة الخلفية لبرهة، وأجلس تحت تلك الشجرة الكبيرة. أشعر بفراغ في داخلي. لم أشعر بهكذا فراغ أبداً».

أوما تيم برأسه. «ستمتلي مرة أخرى. ثق بي».

«أظن أنه عليّ ذلك. تيم، هل تعتقد أن أحدهم سيضطر أن يستخدم مفتاحه؟».

«لا».

ستفتح المفاتيح صندوق أمانات في مصرفٍ في تشارلستون يحتوي على ما أعطته مورين ألفورسون إلي لوك. إذا حصل أي شيء لأحد الأولاد الذين غادروا الآن مزرعة كاتاوبا - أو للوك أو ويندي أو تيم - سيأتي أحدهم إلي تشارلستون ويفتح الصندوق. ربما كلهم سيأتون، إن كان الرابط الذي تشكل في المعهد لا يزال قائماً.

«هل سيصدّق أي شخص ماذا يوجد على محرّك الأقراص الوامض؟».

«آني ستصدّقه بالطبع»، قال تيم مبتسماً. «إنها تصدّق وجود الأشباح، والصحون الطائرة، والأرواح البديلة، وأشياء كثيرة أخرى».

لم يبادل لوك الابتسام. «نعم، لكنها... مخبولة قليلاً. رغم أنها أفضل حالاً الآن بعد أن بدأت ترى السيد دنتون كثيراً».

ارتفع حاجبا تيم. «الطبال؟ هل تقصد أن تقول إنهما يتواعدان؟».

«أظن ذلك، إذا كان هذا ما تزالون تسمّونه عندما يكون الأشخاص الذين يقومون به عجائز».

«قرأت هذا في أفكارها؟».

ابتسم لوك قليلاً. «لا. لقد عدتُ إلى تحريك صواني البيتزا وقلب صفحات الكتب. لقد أخبرتني». فكر لوك قليلاً. «وأظن أنه لا بأس أنني أخبرتك. فهي لم تجعلني أحلف بأن أكتُم السر، أو أي شيء من هذا القبيل».

«تياً. أما بالنسبة لمحرك الأقراص الوامض... هل تعرف كيف يمكنك شدّ خيط طليق وتفكيك كنزة بأكملها؟ أعتقد أن محرك الأقراص الوامض قد يكون مماثلاً لذلك. فهو يُظهر أولاداً قد يتعرّف عليهم بعض الأشخاص. الكثير منهم. وهذا قد يدفع إلى بدء تحقيق، وسيضئ نهائياً أي أمل قد يكون لدى منظمة الرجل الأثغ بأن تعاود تشغيل برنامجها».

«لا أعتقد أنه يمكنهم فعل ذلك، علي أي حال. قد يظنّ ذلك، لكنه مجرد تفكير عجيب أيضاً. لقد تغيّر العالم كثيراً منذ الخمسينات. اسمع، سأذهب إلى...»، أوما رأسه قليلاً نحو المنزل والحديقة.

«بالتأكيد، تفصّل».

بدأ لوك يبتعد، ليس سيراً بالضبط، بل ماشياً بتثاقل ومُخفضاً رأسه.

كاد تيم يتركه يذهب، ثم غيّر رأيه. لحق به وأمسكه بكتفه. عندما استدار لوك، عاتقه تيم. لقد عاتق نيكي - تياً، لقد عاتقهم كلهم، وأحياناً بعد أن يستيقظوا من حلم مزعج - لكن هذا العناق عتّى أكثر. عتّى العالم، على الأقل لتيم. أراد أن يقول للوك إنه شجاع، وربما أشجع ولد خارج كتاب مغامرات للفتيان. أراد أن يقول للوك إنه قوي ومحترم وسيكون والداه فخورين به. أراد أن يقول للوك إنه يحبّه. لكن لم تكن هناك كلمات، وربما لا حاجة لها. أو للتخاطر.

أحياناً العناق يكون تخاطراً.

في الجهة الخلفية بين الشرفة والحديقة، هناك شجرة سنديان قديمة جميلة. لوك إليس - ذات يوم من مينيابوليس، مينيسوتا، ذات يوم محبوب من

هيرب وآيلين إيليس، ذات يوم صديق لمورين ألقورسون، وكاليشا بنسون،
ونيك ويلهولم، وجورج أيلز - جلس تحتها. وَصَّعَ سَاعِدِيهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ
المرفوعتين ونظر نحو ما أسمته الضابطة ويندي تلال الأفعوانية.

ذات يوم صديق آيفيري أيضاً، فَكَّرَ فِي سِرِّهِ. آيفيري هو الشخص الذي
أنقذهم حقاً. إذا كان هناك بطل، فهو ليس أنا. إنه أَقْسَتر.

أخذ لُوكُ علبة السجائر المتجعدَّة من جيبه وأخرج إحداها. تذكَّرَ رُؤْيَا
كاليشا لأول مرة، جالسةً على الأرض وواضعةً إحدى هذه في فمها. هل تريد
واحدةً؟ سألته. بعض السكر قد يساعد حالتك الذهنية. هذا يساعدي دائماً.

«ما رأيك يا أقْسَتر؟ هل سيساعد حالتني الذهنية؟».

قرقش لُوكُ قطعة الحلوى. ساعدته فعلاً، رغم أنه لم تكن لديه أي
فكرة لماذا؛ لا شيء علمي في هذا بالطبع. راح يحدِّق بالعلبة ورأى سيجارتين
أو ثلاث أخرى. يمكنه أن يأكلها الآن، لكن قد يكون من الأفضل أن ينتظر.

من الأفضل أن يوقِّر بعضها لوقت لاحق.

سبتمبر 23 2018

كلمة من المؤلف

بضع كلمات إن سمحت لي، يا عزيزي القارئ الوفي، عن رسّ دورّ.

التقيته منذ أكثر من أربعين سنة - أكثر بكثير - في بلدة بريدغتون، ماين، حيث كان مساعِد الطبيب الوحيد في المركز الطبي الثلاثي الأطباء. كان يداوي المشاكل الطبية الخفيفة لمعظم أفراد عائلتي، كل شيء من إنفلونزا المعدة إلى التهابات الأذن لدى الأولاد. نكته القياسية للحمى كانت سوائل شفافة - «مجرد شراب عنب الجونبير مع بعض الشراب الروسي». سألني عما أعمل لأكسب لقمة عيشي، وأخبرته أنني أؤلف روايات وقصصاً قصيرة، أغلبها مؤلفات مخيفة عن الظواهر النفسانية، ومصّاصي الدماء، ووحوش متنوّعة أخرى.

«آسف، لا أقرأ هذا الصنف»، قال دون أن يعرف كلانا أنه سيقراً في نهاية المطاف كل شيء أكتبه، بعد انتهاء المسودة عادة، وفي أغلب الأحيان خلال عملي على مختلف الروايات. ما عدا زوجتي، كان الشخص الوحيد الذي يرى مؤلفاتي قبل أن ترتدي زيّها الكامل وتصبح جاهزة لنسختها النهائية.

بدأتُ أطرح عليه أسئلة، عن المسائل الطبية أولاً. رسّ هو الشخص الذي أخبرني كيف تتغيّر الإنفلونزا من سنة إلى أخرى، مما يجعل كل لقاح جديد بائداً (هذا كان لرواية المنصة). وأعطاني لائحة تمارين لمنع ذوبان عضلات المرضى الذين في حالة غيبوبة تامة (هذا كان لرواية المنطقة الميتة). وشرّح بصبر كيف أن الحيوانات تنقل عدوى داء الكلب، وكيف يتطوّر المرض (لرواية كوجو).

توسّعت صلاحياته تدريجياً، وعندما تقاعد من الطب، أصبح مساعدي في الأبحاث بدوام كامل. زرنا مستودع كتب مدرسة تكساس معاً لرواية 11.22.63 - كتاب لم أكن لأقدر على تأليفه حقاً من دونه - وبينما رحبنا بامتصاص بنية المكان (أبحث عن أشباح... وأجدها)، راح رسّ يلتقط صوراً ويأخذ قياسات. عندما ذهبنا إلى سينما تكساس، حيث قبض على لي هارفي أوزوالد، رسّ هو

الذي سأل عن الفيلم الذي كان يُعرض في ذلك اليوم (فيلمين هما صرخة المعركة و الحرب جحيم).

لرواية تحت القبة، جمّع معلومات كثيرة عن النظام البيئي الصغري الذي كنتُ أحاول إنشائه، من طاقة المولدات الكهربائية إلى المدة الزمنية التي قد تدومها المؤمن الغذائية، لكن أكثر شيء افتخر به هو عندما سألتُه إن كان يمكنه التفكير بإمداد هوائي لشخصيات روايتي - شيء مثل أسطوانة الهواء المضغوط - سيدوم لخمس دقائق تقريباً. كان ذلك لذروة الكتاب، وكنتُ محتاراً. وكذلك رَسَّ أيضاً، إلى أن علق في زحمة مرور ذات يوم، وألقى نظرة جيدة إلى كل السيارات التي من حوله.

«العجلات»، أخبرني. «هناك هواء في العجلات. سيكون عفناً ومذاقه رديء، لكن سيكون من الممكن تنفّسه». وهكذا جاءني الحل يا أعزائي القراء.

بصمات رَسَّ مطبوعة في كل أرجاء الكتاب الذي قرأته للتو، من اختبارات الجين BDNF للمولودين حديثاً (نعم، إنه شيء حقيقي، لكن تمت المبالغة به)، إلى كيف يمكن توليد غاز سام من أشياء عادية في المنزل (لا تحاولوا فعل هذا أيها الأولاد). دقّق كل سطر وكل حقيقة، وساعدني على بلوغ ما كان هدفي دائماً: جعل المستحيل مُقنعاً. كان رجلاً ضخماً، أشقر، عريض الكتفين، يحبّ المزاح وشراب الشعير، وإطلاق صواريخ مائة يوم الرابع من يوليو. ربّي ابنتين رائعتين ورافق زوجته خلال مرضها الطويل الأخير. عملنا معاً، لكنه كان صديقي أيضاً. كنا منسجمين معاً. لم نتجادل ولو مرة واحدة.

تُوِّقِي رَسَّ من فشل في الكلّيتين في خريف 2018، وأفتقده كثيراً. بالتأكيد، عندما أحتاج إلى معلومات (مؤخراً عن المصاعد وهواتف الآيفون من الجيل الأول)، لكن أكثر بكثير عندما أنسى أنه غادرنا وأقول لنفسني، «يجب أن أتصل برَسَّ أو أرسل له رسالة بريد إلكتروني لأسأله عما يجري». هذا الكتاب مُهدى إلى أحفادي، لأن أغلبه يدور عن أولاد، لكن رَسَّ هو الذي أفكر فيه وأنا أضع رأسي على الوسادة لأنام. من الصعب جداً نسيان الأصدقاء القدامى.

اشتقتُ لك يا صديقي.

قبل أن أنهي كلمتي هذه، يا عزيزي القارئ الوفي، يجب أن أشكر المشبوهين الاعتياديين: تشاك فيريل، وكيلي؛ كريس لوتس، الذي يهتمّ بأمور الحقوق الأجنبية ووجدَ لي طرقاً مختلفة كثيرة لقول هل تسمعنني؛ راند هولستن، الذي يهتمّ بعقود الأفلام (هناك الكثير منها مؤخراً)؛ وكايتي موناهان،

المسؤولة عن قسم الدعاية لدى سكريبنر. وشكر عميق لنان غراهام، التي حرّرت كتاباً مليئاً بعدة أجزاء متحرّكة، وخطوط زمنية متوازية، وعشرات الشخصيات. لقد جعلته كتاباً أفضل. أحتاج أيضاً إلى شكر مارشا ديفيليو وجولي أوغلي وباربرا ماكتاير، اللواتي يتلقين المكالمات، ويحدّدن المواعيد، ويوفرن لي تلك الساعات الحيوية التي أستخدمها كل يوم للتأليف.

أخيراً لكن بالتأكيد ليس آخراً، أشكر أولادي - نَعمي، جو، أوبن - وزوجتي. إن كان يمكنني أن أقتبس من جورج ر. ر. مارتن، إنها شمسي ونجمي.

فبراير 17 2019